

نأملات أبين نبهة في

سورة الأذعام

رقبة خرايبة

تأملات شيخ السلام ابن تيمية  
في  
القرآن الكريم  
سورة الأنعام  
رقية محمود الغرايبة

## الفهرس

28	مقدمة سورة الانعام
35	الأنعام 1-18
116	الانعام 19-39
216	الانعام 40-58
330	الأنعام 59-73
413	الانعام 74-90
520	الأنعام 91-117
774	الانعام 118-135
788	مسائل فقهية
926	الانعام 136-153
978	مسائل فقهية
1159	الأنعام 154-165

## الفهرس (2)

- 28 \_\_\_\_\_ مقدمة سورة الانعام
- 35 \_\_\_\_\_ الأنعام 1-18
- 36 \_\_\_\_\_ أول من يدعى الى الجنة الحمادون
- 37 \_\_\_\_\_ الحمد نوعان
- 38 \_\_\_\_\_ الحمد أعم من الشكر
- 39 \_\_\_\_\_ الليل والنهار تبع للسموات والارض
- 41 \_\_\_\_\_ أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع
- 43 \_\_\_\_\_ جعل المشركون لله أندادا في العبادة والمحبة والدعاء
- 45 \_\_\_\_\_ { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }
- 46 \_\_\_\_\_ لله صفات اختيارية
- 48 \_\_\_\_\_ إن الله خلق دم من تراب
- 48 \_\_\_\_\_ أجل القيامة المسمى عنده فلا يعلمه إلا هو
- 49 \_\_\_\_\_ ان الرب تعالى بائن من مخلوقاته
- 49 \_\_\_\_\_ الله سبحانه رب كل شيء ومليكه
- 51 \_\_\_\_\_ حلول المثال العلمي
- 56 \_\_\_\_\_ { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }
- 58 \_\_\_\_\_ النسخ لا يجوز في الأخبار
- 60 \_\_\_\_\_ الكسب هو الفعل الذى يعود على فاعله بنفع أو ضرر
- 61 \_\_\_\_\_ الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة
- 61 \_\_\_\_\_ الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة
- 65 \_\_\_\_\_ الذكاء والأخلاق لا يوجب النجاة الا بالايمان بالله وتوحيده
- 68 \_\_\_\_\_ الأعمال هي سبب فى الثواب والعقاب

- الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحوها تغيير في وجه العقل  
69 \_\_\_\_\_ والأعراض عنها قدح في الشرع
- 70 \_\_\_\_\_ كثير في اللغة يكون أمران متلازمان فيطلق الإسم عليهما
- 71 \_\_\_\_\_ ليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة
- 72 \_\_\_\_\_ الكتاب اسم للقرآن العربي بالضرورة والاتفاق
- 73 \_\_\_\_\_ الاقرار بالرب وملائكته معروف عند عامة الأمم
- 74 \_\_\_\_\_ يجيب سبحانه عن شبه منكري جنس الرسالة
- 75 \_\_\_\_\_ البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أیده الله
- 78 \_\_\_\_\_ لو جاء الملائكة في صورة لبشر لحصل اللبس
- 79 \_\_\_\_\_ السنة لا تتبدل ولا تتحول
- 80 \_\_\_\_\_ أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعتر بها ونتعظ
- 82 \_\_\_\_\_ { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }
- 83 \_\_\_\_\_ كتابته على نفسه تستلزم إرادته
- 86 \_\_\_\_\_ الله سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات
- 87 \_\_\_\_\_ كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله تعالى
- 88 \_\_\_\_\_ حقيقة التوحيد إخلاص الدين كله لله
- 89 \_\_\_\_\_ { وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ }
- 90 \_\_\_\_\_ اتباع الامر أصل عام و اجتناب المنهى عنه فرع خاص
- 91 \_\_\_\_\_ رسل الله هم أطوع الخلق لله
- 91 \_\_\_\_\_ المخلوق ليس باله في نفسه لكن عابده اتخذها لها
- 93 \_\_\_\_\_ الاسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له
- 94 \_\_\_\_\_ أن الأمن من عذاب الله وحصول السعادة إنما هو
- 94 \_\_\_\_\_ التوحيد الذي بعث الله به رسله هو توحيد الالوهية
- 95 \_\_\_\_\_ قطب رحى الدين

- 97 \_\_\_\_\_ جميع المخلوقات فقراء لله تعالى
- القسم المحمود من الناس وهو حال الذين حققوا إياك نعبد وإياك  
101 \_\_\_\_\_ نستعين
- 102 \_\_\_\_\_ حكم من إذا أصابته نائبة أو خوف استنجد بشيخه
- 102 \_\_\_\_\_ { فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }
- 105 \_\_\_\_\_ النسخ لا يجوز في الأخبار
- 109 \_\_\_\_\_ بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش
- 111 \_\_\_\_\_ ان فعل الله كله حسن جميل
- 111 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية
- 116 \_\_\_\_\_ الانعام 19-39
- 117 \_\_\_\_\_ القرآن كله يثبت توحيد الالهية
- 120 \_\_\_\_\_ يبين للمشركين قبح ما هم عليه من الشرك
- 122 \_\_\_\_\_ الطريقان التي بهما تثبت نبوة النبي
- 124 \_\_\_\_\_ النذارة ليست مختصة بمن شافهم بالخطاب
- 125 \_\_\_\_\_ أحكام الكفر و التأديب لا تثبت إلا بعد بلوغ الرسالة
- 130 \_\_\_\_\_ صفات الله التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه
- 131 \_\_\_\_\_ أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبتك فيه الكافرون
- 132 \_\_\_\_\_ أصل الإيمان
- 137 \_\_\_\_\_ بيان خطأ قول جهم أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه
- 140 \_\_\_\_\_ ذم الله الكاذب على الله والمكذب بالحق
- 143 \_\_\_\_\_ الفرق بين دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبئ الكذاب
- 144 \_\_\_\_\_ الشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء
- 145 \_\_\_\_\_ شأن النفس يوم القيامة يجادل الله بالباطل
- 147 \_\_\_\_\_ القلب الميت

- 150 \_\_\_\_\_ أصل صلاح القلب هو حياته واستنارته
- 158 \_\_\_\_\_ {أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }
- 159 \_\_\_\_\_ سماع فقهه و قبول
- 160 \_\_\_\_\_ البصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل
- 161 \_\_\_\_\_ الآيات البراهين الدالة على نبوة محمد
- 162 \_\_\_\_\_ يهلكون أنفسهم بنهيهم عن الرسول ونأيهم عنه
- 164 \_\_\_\_\_ إن الله يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون
- 165 \_\_\_\_\_ بعد الموت يصير الغيب شهادة
- من وقف عند الحقيقة الكونية ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية كان
- 166 \_\_\_\_\_ من جنس إبليس وأهل النار
- 170 \_\_\_\_\_ استعمال لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر
- 171 \_\_\_\_\_ فسر طائفة من أهل السنة اللقاء في كتاب الله بالرؤية
- 172 \_\_\_\_\_ لفظ العقل في القرآن
- العلم بالحق يوجب إتباعه إلا لمعارض راجح مثل إتباع الهوى
- 174 \_\_\_\_\_ بالإستكبار
- 177 \_\_\_\_\_ الحزن نهى عنه وإن تعلق بأمر الدين
- 178 \_\_\_\_\_ أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله هي من الإيمان
- {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }
- 181 \_\_\_\_\_
- 194 \_\_\_\_\_ القيام بالواجبات يحتاج إلى شروط
- 196 \_\_\_\_\_ وعد الله الذي وعده رسله من كلماته التي لا مبدل لها
- 197 \_\_\_\_\_ الإيمان بما وصف الله سبحانه به نفسه
- 198 \_\_\_\_\_ قصص المرسلين تسلية وتثبيت
- 199 \_\_\_\_\_ إن الله سبحانه قادر على ما لا يفعله
- 200 \_\_\_\_\_ العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه

- 202 \_\_\_\_\_ الآيات التي يجعلها الله دلالة على صدق الأنبياء هي مما ينزله  
إن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض
- 202 \_\_\_\_\_
- 202 \_\_\_\_\_ جامع الجامع جامع و دليل الدليل دليل
- 203 \_\_\_\_\_ حياة القلوب وموتها
- 204 \_\_\_\_\_ من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له
- 206 \_\_\_\_\_ صلاح الخلق فى معرفة ربهم
- من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه فإن ذلك يورثه الجهل  
والضلال
- 207 \_\_\_\_\_
- 209 \_\_\_\_\_ ما يقوم بالقلب من الشعور يوجب أموراً ظاهرة
- 210 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية
- 216 \_\_\_\_\_ الانعام 40-58
- 217 \_\_\_\_\_ لفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول معنيين
- 218 \_\_\_\_\_ ذم الله سبحانه حزبين
- من دعاه موقناً أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه وقد يكون مشركاً  
وفاسقاً
- 225 \_\_\_\_\_
- 227 \_\_\_\_\_ الشرك نوعان
- 229 \_\_\_\_\_ حكم من إذا أصابته نائبة أو خوف استنجد بشيخه
- 230 \_\_\_\_\_ الحكمة من ذكر أنه أخذهم بالعذاب ولم يقل بالذنوب
- 230 \_\_\_\_\_ "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة"
- 232 \_\_\_\_\_ قسوة القلوب من ثمرات المعاصي
- 234 \_\_\_\_\_ البدعة احب الى ابليس من المعصية
- "إذا رأيت الله ينعم على العبد مع إقامته على معصيته فإنما هو استدراج  
يستدرجه به "
- 235 \_\_\_\_\_
- 235 \_\_\_\_\_ الحمد أوسع العلوم الإلهية



- 239 \_\_\_\_\_ الله سبحانه يسوي بين المتمثلين ويفرق بين المختلفين
- 240 \_\_\_\_\_ التوحيد والايمن بالرسول متلازمان
- 242 \_\_\_\_\_ قرن الصلاح والاصلاح بالايمن
- 242 \_\_\_\_\_ ان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان
- 243 \_\_\_\_\_ إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى
- 244 \_\_\_\_\_ الحكمة من قوله { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ }
- 244 \_\_\_\_\_ المتبعون للرسول هم المهتدون
- 245 \_\_\_\_\_ العلم والقدرة والغنى لا تصلح على وجه الكمال الا لله وحده
- 246 \_\_\_\_\_ من يزعم ان نبي او شخص ما ينطبق علمه على علم الله تعالى فان هذا كفر صريح
- 247 \_\_\_\_\_ دعاء الميت والغائب والاستغاثة به من عبادات الضالين
- 249 \_\_\_\_\_ الاستقامة في اتباع ما أمر
- 250 \_\_\_\_\_ الرد على احتجاجهم بان الملائكة افضل
- 251 \_\_\_\_\_ مدح الله انواع العلم واسبابه وكماله
- 252 \_\_\_\_\_ بعثت الرسل ليكون الدين كله لله
- 252 \_\_\_\_\_ مقتضيات محبة الله ورسوله
- 253 \_\_\_\_\_ إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله
- 254 \_\_\_\_\_ الشرك نوعان
- 258 \_\_\_\_\_ الشفاعة نوعان
- 260 \_\_\_\_\_ الشفاعة المنفية فى القرآن
- 266 \_\_\_\_\_ الشفاعة التى نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك
- 268 \_\_\_\_\_ لا يتقدم أحد عند الله بسلطانه وماله ولا بذله وفقره
- 270 \_\_\_\_\_ الارادة هي الفارقة بين اهل الجنة واهل النار
- 271 \_\_\_\_\_ الصلاة والدعاء فيها إرادة وجه الله

- 271 \_\_\_\_\_ الزهد الشرعى و الرغبة الشرعية
- 272 \_\_\_\_\_ سميت الصلاة دعاء
- 274 \_\_\_\_\_ اسم الوجه مذکور فى تقرير ألوهيته
- 274 \_\_\_\_\_ لا يذكر الكفار حجة صحيحة
- لو كان العمل لا يقبل إلا ممن لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى
- 275 \_\_\_\_\_ يتوب من الفواحش
- 276 \_\_\_\_\_ من تكون لبيان الجنس
- 277 \_\_\_\_\_ { بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }
- 280 \_\_\_\_\_ لله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر
- 284 \_\_\_\_\_ { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }
- 285 \_\_\_\_\_ الناس لهم في أفعال الله ثلاثة أقوال
- 292 \_\_\_\_\_ للمخلوق على الله حق وهو الذى أوجبه على نفسه بحكمته
- 296 \_\_\_\_\_ كل من عصى الله فهو جاهل
- 301 \_\_\_\_\_ التائب يتوب مما تركه من حقوق الله تعالى ومما فعله من السيئات
- 305 \_\_\_\_\_ التوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله
- 306 \_\_\_\_\_ اعتقاد أهل السنة لا ينفون عنه ما وصف به نفسه
- 308 \_\_\_\_\_ الله سبحانه أحكم كتابه ثم فصله وبينه لعباده
- 309 \_\_\_\_\_ لفظ الدعاء يتناول معنيين
- 310 \_\_\_\_\_ العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه
- 311 \_\_\_\_\_ { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ }
- 313 \_\_\_\_\_ { إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي }
- 319 \_\_\_\_\_ الفرق بين أمره الدينى وخلقته الكونى
- 319 \_\_\_\_\_ الله سبحانه يحكم ويشهد ويفتى ويقص ويبشر ويهدى بكلامه
- 320 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

- 330 \_\_\_\_\_ الأنعام 59-73
- 331 \_\_\_\_\_ كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق
- 332 \_\_\_\_\_ من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل
- 333 \_\_\_\_\_ الله عز وجل على العرش فى السماء
- 335 \_\_\_\_\_ الحفظة الموكلين ببني آدم
- 335 \_\_\_\_\_ "إن أمسكت نفسى فأرحمها وإن أرسلتها فاحفظها "
- 337 \_\_\_\_\_ أن الله تعالى قد أضاف كثيرا من الحوادث إليه
- 339 \_\_\_\_\_ إن الخلق كلهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أى طريق سلكوا
- 340 \_\_\_\_\_ كل سائل راغب راهب
- 341 \_\_\_\_\_ السنة فى الدعاء كله المخافة
- 342 \_\_\_\_\_ من ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنوب
- 344 \_\_\_\_\_ يذم الله من يشرك به بعد كشف البلاء عنه
- 348 \_\_\_\_\_ أن الله على كل شىء قدير سواء شاءه أو لم يشأه
- 353 \_\_\_\_\_ الله سبحانه يهدد بالقدرة لكون المقدر يقترب بها
- 353 \_\_\_\_\_ إذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا فى ظلمة الفتن
- 355 \_\_\_\_\_ تنفى الفتنة بالإستغفار
- 357 \_\_\_\_\_ كل خير فى غير هذه الأمة فهو فيها أعظم وكل شر فيها فهو فى غيرها أعظم
- 358 \_\_\_\_\_ " لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه "
- 360 \_\_\_\_\_ القرآن هو شرف لمن آمن به
- 362 \_\_\_\_\_ القاعد المستمع من غير إنكار بمنزلة الفاعل
- 364 \_\_\_\_\_ ما خالف الشرع والدين فإنه يكون من النفس والشيطان
- 366 \_\_\_\_\_ الخانضون فى آيات الله بالباطل
- 368 \_\_\_\_\_ الهجر الشرعى نوعان

- 370 \_\_\_\_\_ الخلوّة والعزلة والانفراد المشروع
- 371 \_\_\_\_\_ "إذا سألت فاسئَل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"
- 372 \_\_\_\_\_ صلاح القلب فى العدل وفساده فى الظلم
- 373 \_\_\_\_\_ لله الشفاعة جميعا
- 377 \_\_\_\_\_ الشرك نوعان
- 379 \_\_\_\_\_ الشفاعة نوعان
- 381 \_\_\_\_\_ إثبات الشفاعة لأهل الكبائر
- 384 \_\_\_\_\_ الدعاء
- 384 \_\_\_\_\_ الحيرة من جنس الجهل والضلال
- 387 \_\_\_\_\_ دين الله هو اسلام الوجه لله والاحسان
- 389 \_\_\_\_\_ الصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال
- 391 \_\_\_\_\_ بيان ما أمر الله به ورسوله من إقام الصلاة وإتمامها والطمأنينة
- 396 \_\_\_\_\_ حكم من ترك واجبا من واجبات الصلاة
- 399 \_\_\_\_\_ الشارع لم ينقل الاسماء ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة
- 400 \_\_\_\_\_ لله سبحانه فى كل ما يخلقه حكمة يحبها و يرضاها
- 403 \_\_\_\_\_ الأمر الكونى
- 405 \_\_\_\_\_ لله كلمات كثيرة
- 406 \_\_\_\_\_ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن
- 407 \_\_\_\_\_ { عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ }
- 407 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية
- 413 \_\_\_\_\_ الانعام 74-90
- 414 \_\_\_\_\_ إبراهيم دعا إلى الفطرة
- 421 \_\_\_\_\_ حقيقة الحنيفية
- 423 \_\_\_\_\_ أصل العبادة هي المحبة

- 426 \_\_\_\_\_ المخلوق ليس باله في نفسه لكن عبده جعله الها
- 427 \_\_\_\_\_ الذين يجمعون بين السحر وعبادة الكواكب من أعظم أنواع الشرك
- 429 \_\_\_\_\_ كان ابراهيم موقنا
- 429 \_\_\_\_\_ الاخلاص ينفي اسباب دخول النار
- 433 \_\_\_\_\_ تعليق النجاة والفلاح في الآخرة بالتوحيد
- 437 \_\_\_\_\_ الرد على الذين ينكرون صفات الله تعالى الاختيارية
- 450 \_\_\_\_\_ اخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه
- 457 "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان"
- 459 \_\_\_\_\_ إقامة الوجه ضد ازاعته وامالته وهو الصراط المستقيم
- 461 \_\_\_\_\_ الباطن هو الأصل والظاهر هو الكمال والشعار
- 463 \_\_\_\_\_ امام الحنفاء
- 464 \_\_\_\_\_ لله تبارك وتعالى حق لا يشركه فيه أحد
- 466 \_\_\_\_\_ من كان في قلبه رياسة لمخلوق ففيه من عبوديته بحسب ذلك
- 469 \_\_\_\_\_ إن الإشراف في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل
- 473 \_\_\_\_\_ أصل العدل
- 475 \_\_\_\_\_ الامن هو لمن لم يخلط ايمانه بشرك
- 478 \_\_\_\_\_ الظلم ثلاثة أنواع
- \_\_\_\_\_ الصحابة كانوا إذا عرض لأحدهم شبهة في آية أو حديث سأل عن ذلك
- 482 \_\_\_\_\_
- 483 \_\_\_\_\_ ذكر أقوال الكفار وحججهم وجوابها بأحسن الحجج وأكملها
- 483 \_\_\_\_\_ { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا }
- 484 \_\_\_\_\_ تعليق دخول الجنة بالإيمان
- 484 \_\_\_\_\_ { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }
- 487 \_\_\_\_\_ ذكر الله أنه يرفع درجات من يشاء

- 488 \_\_\_\_\_ المكذبون للرسول دائما حجتهم داحضة متناقضة
- 489 \_\_\_\_\_ الأنبياء دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له
- 489 \_\_\_\_\_ تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط
- 489 \_\_\_\_\_ ابراهيم أبو الانبياء
- 490 \_\_\_\_\_ الأنبياء أفضل الخلق وهم أصحاب الدرجات العلى
- 491 \_\_\_\_\_ الله خالق أفعال العباد
- 494 \_\_\_\_\_ إن الله لم يجعل شيئا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر
- 499 \_\_\_\_\_ الرد على الذين يقولون إن الكبيرة تحبط الحسنات حتى الإيمان
- 501 \_\_\_\_\_ الردة عن الإسلام
- 506 \_\_\_\_\_ لم يثن الله على أحد في القرآن بنسبه
- الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله
- 507 \_\_\_\_\_
- 507 \_\_\_\_\_ الصالح هو الذي استتوت سريرته وعلانيته
- 508 \_\_\_\_\_ الاسلام دين جميع المرسلين
- 510 \_\_\_\_\_ {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ} \_\_\_\_\_
- 511 \_\_\_\_\_ {إِنْ هُوَ إِلَّا نَذْرٌ لِلْعَالَمِينَ}
- 511 \_\_\_\_\_ تعليم القرآن والعلم بغير أجره فهو أفضل الأعمال
- 513 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية
- 520 \_\_\_\_\_ الأنعام 91-117
- 522 \_\_\_\_\_ أن الله لم ينزل كتابا أهدى من التوراة والقرآن
- 525 \_\_\_\_\_ الاقتصار على الاسم المفرد لا أصل له
- 537 \_\_\_\_\_ اسلوب القرآن في مجادلته
- 540 \_\_\_\_\_ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} \_\_\_\_\_
- أن العالم العلوى والسفلى بالنسبة الى الخالق سبحانه وتعالى فى غاية الصغر
- 545 \_\_\_\_\_

- 546 \_\_\_\_\_ الإيمان الذي يهبه الله لعبده سماه نورا
- 547 \_\_\_\_\_ الناس في النبوة على درجات
- 549 \_\_\_\_\_ أصل الإسلام هو الإيمان بالوحدانية والرسالة  
رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله
- 551 \_\_\_\_\_
- من الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل
- 552 \_\_\_\_\_
- 553 \_\_\_\_\_ إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى
- 553 \_\_\_\_\_ { وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ }
- 558 \_\_\_\_\_ من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار
- 570 \_\_\_\_\_ لا معصوم إلا الأنبياء
- 571 \_\_\_\_\_ أساس الطريق الى الله
- 573 \_\_\_\_\_ القرآن قد بين النعيم والعذاب في البرزخ
- 577 \_\_\_\_\_ الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله
- 578 \_\_\_\_\_ ان الأمر يومئذ لله
- 578 \_\_\_\_\_ الشفاعة المنفية في القرآن
- 583 \_\_\_\_\_ الشرك وسائر البدع مبناها على الكذب  
الشرك أن تجعل لغيره شركا أو نصيبا في عبادتك وتوكلك وإستعانتك
- 584 \_\_\_\_\_
- 587 \_\_\_\_\_ حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها
- 587 \_\_\_\_\_ القدرة التي تبهر العقول
- انكار بعض الناس ان يكون شيء من حركات الكواكب وغيرها من
- 588 \_\_\_\_\_ الاسباب فهو أيضا قول بلا علم
- 590 \_\_\_\_\_ أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع
- 592 \_\_\_\_\_ الحكمة من اعتبار الشهر والعام الهلالي دون الشمسي

- 593 { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } \_\_\_\_\_
- 594 الرد على أقوال الفلاسفة \_\_\_\_\_
- 597 الله سبحانه خلق الأسباب والمسببات \_\_\_\_\_
- 601 { سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ } \_\_\_\_\_
- 603 تقرير أصول الدين من مسائل التوحيد والصفات \_\_\_\_\_
- 606 ثبوت صفات الكمال لله دون ما سواه \_\_\_\_\_
- 609 نزه الله تعالى نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد \_\_\_\_\_
- 612 ذكر ثلاث أدلة على نفى ما زعموه من خرق البنين \_\_\_\_\_
- 619 بين القرآن أنهم أخطأوا طريق القياس في العلة والتولد \_\_\_\_\_
- 627 انفراده بالملك و علمه بكل شئ يستلزم ان يكون فاعلا بارادته \_\_\_\_\_
- 628 بيان بطلان دعوى النصارى \_\_\_\_\_
- 632 أن الله خالق كل شيء وخالق أفعال العباد \_\_\_\_\_
- 637 الشر لم يضاف الى الله إلا على أحد و جوه ثلاثة \_\_\_\_\_
- 638 "الخير بيديك و الشر ليس اليك " \_\_\_\_\_
- 641 الاسم تتنوع دلالاته بحسب قيوده \_\_\_\_\_
- 643 لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب \_\_\_\_\_
- 644 إجماع السلف على أثبات الرؤية بالعين في الآخرة ونفيها في الدنيا \_\_\_\_\_
- 650 الرد على الذين ينكرون الرؤية \_\_\_\_\_
- 654 النفى ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتا \_\_\_\_\_
- العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول  
أو فعل \_\_\_\_\_
- 656 \_\_\_\_\_
- من كان من المؤمنين مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح واما اهل  
القوة فانما يعملون بآية القتال \_\_\_\_\_
- 657 \_\_\_\_\_
- 659 قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته \_\_\_\_\_
- 661 السب قدر زائد على الكفر \_\_\_\_\_



- 665 \_\_\_\_\_ الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله
- 667 \_\_\_\_\_ الدعاء والدعوة دعاء عبادة ودعاء مسألة
- 668 \_\_\_\_\_ الغفلة والشهوة أصل الشر
- 671 \_\_\_\_\_ الآيات لا تستلزم الهدى بل تستلزم إقامة الحجة
- 674 \_\_\_\_\_ "من ثواب الحسنه الحسنه بعدها "
- 677 \_\_\_\_\_ مما يعاقب به الناس على الذنوب سلب الهدى و العلم النافع
- 683 \_\_\_\_\_ العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل
- 686 \_\_\_\_\_ طريقان مبتدعان وطريق شرعي
- 687 \_\_\_\_\_ وصف الله أهل الباطل بأنهم يعمهون
- 689 \_\_\_\_\_ ليس من الأعضاء أشد إرتباطا بالقلب من العينين
- 690 \_\_\_\_\_ الدعاء و التعليم و الإرشاد له فاعل و له قابل
- 693 \_\_\_\_\_ للشيطان وسواس فى قلوب الناس
- الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وباليوم الآخر أمور متلازمة
- 695 \_\_\_\_\_
- 696 \_\_\_\_\_ الكتاب هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا
- 698 \_\_\_\_\_ وعد الله الذي وعده رسله من كلماته التى لامبدل لها
- 700 \_\_\_\_\_ حكم الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة
- 701 \_\_\_\_\_ القرآن العربي العظيم كلام الله العزيز العليم
- الرد على الذين يقولون ان جبريل اخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من
- 706 \_\_\_\_\_ الله
- 710 \_\_\_\_\_ كل مبتدع ديننا خالف به سنة الرسول لا يتبع الا ديننا
- 711 \_\_\_\_\_ الوحي وحيان
- سماع كلام أهل البدع لمن يضره ذلك باب تجتمع فيه الشبهات
- 714 \_\_\_\_\_ والشهوات
- 715 \_\_\_\_\_ الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان

- 716 \_\_\_\_\_ كل متمرّد عند العرب شيطان وفي اشتقاقه قولان
- 720 \_\_\_\_\_ مخالفة الرسل وترك الايمان بالآخرة متلازمان
- 724 \_\_\_\_\_ الذين عندهم ما يناقض بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة اصناف
- 725 \_\_\_\_\_ أخبر الله في غير موضع من القرآن نزل منه
- 728 \_\_\_\_\_ أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشرا مثلهم
- 731 \_\_\_\_\_ القرآن كلام الله ليس بمخلوق
- 734 \_\_\_\_\_ النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع
- 736 \_\_\_\_\_ كلما تحققت الحقائق كان ما دل عليه القرآن هو الحق
- 738 \_\_\_\_\_ علو الله تعالى عن سائر مخلوقاته
- 741 \_\_\_\_\_ {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْدُورًا}
- 741 \_\_\_\_\_ ان الله يبعث لهذه الامة في راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها
- 743 \_\_\_\_\_ أسماء القرآن
- 744 \_\_\_\_\_ الله يأمر الأنبياء مع علمه أنهم يطيعونه
- 745 \_\_\_\_\_ الرب سبحانه على صراط مستقيم
- 746 \_\_\_\_\_ دلائل نبوة محمد قطعية يقينية
- 747 \_\_\_\_\_ {سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}
- 748 \_\_\_\_\_ بالصدق والعدل تصلح جميع الاحوال وهما قرينان
- 749 \_\_\_\_\_ كلمات الله تعالى نوعان
- 752 \_\_\_\_\_ أهل السنة والجماعة لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه
- 755 \_\_\_\_\_ لفظ الكلمة في الكتاب والسنة انما يراد به الجملة التامة
- 759 \_\_\_\_\_ المضاف إلى الله نوعان
- 759 \_\_\_\_\_ جماع الشر الجهل والظلم
- 761 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية
- 774 \_\_\_\_\_ الانعام 118-135

- 775 \_\_\_\_\_ الاسم يظهر به المسمى ويعلو
- 778 \_\_\_\_\_ اسماء الله عز وجل مباركة
- 779 \_\_\_\_\_ بين الله للمسلمين جميع ما يتقونه
- 780 \_\_\_\_\_ الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلالا مطلقا
- 783 \_\_\_\_\_ انتفاء دليل التحريم دليل على عدم التحريم
- 786 \_\_\_\_\_ قيد الأمور بالقدرة والاستطاعة و الوسع والطاقة
- 788 \_\_\_\_\_ مسائل فقهية
- 788 \_\_\_\_\_ 1- حكم التسمية على الذبيحة
- 794 \_\_\_\_\_ 2-الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلالا مطلقا
- 795 \_\_\_\_\_ 3-الأصل في الأعيان الطهارة
- 796 \_\_\_\_\_ 4-أكل الميتة للمضطر واجب عليه
- 5-من يتداوى بالخمير ولحم الخنزير وغير ذلك من المحرمات هل يباح للضرورة أم لا وهل هذه الآية {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} {الأنعام119} فى إباحة ما ذكر أم لا ؟
- 796 \_\_\_\_\_
- 797 \_\_\_\_\_ { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ }
- 800 \_\_\_\_\_ اتباع الأهواء فى الديانات أعظم من اتباع الأهواء فى الشهوات
- 802 \_\_\_\_\_ كل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة فهو من أهواء
- صالح بنى آدم الإيمان والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شينان
- 805 \_\_\_\_\_
- 808 \_\_\_\_\_ وجود العلم بخبر من الأخبار هو الضابط فى حصول التواتر
- 810 \_\_\_\_\_ لا يحل لأحد أن يتكلم فى الدين بلا علم
- 812 \_\_\_\_\_ النفس خاننة لها فى السر أهواء و أفعال باطنة
- 814 \_\_\_\_\_ الأدلة الصحيحة لا تتناقض
- 817 \_\_\_\_\_ القياس الذى يتبع
- 822 \_\_\_\_\_ الاسم المجرد لا يفيد الايمان

- 825 \_\_\_\_\_ الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان
- 828 \_\_\_\_\_ الرسالة روح العالم ونوره وحياته
- 832 \_\_\_\_\_ كفل الله لمن آمن به أن يجعل له نورا يمشي به في الناس
- 838 \_\_\_\_\_ لله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر
- 840 \_\_\_\_\_ "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم"
- 841 \_\_\_\_\_ الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة
- 842 \_\_\_\_\_ كل عطاء من الله فضل وكل عقوبة منه عدل
- 843 \_\_\_\_\_ { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ }
- 845 \_\_\_\_\_ الحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع
- \_\_\_\_\_ من فضله الله تعالى فانه يفضله بالأسباب التي يستحق بها التفضيل
- 848 \_\_\_\_\_ بالجزاء
- \_\_\_\_\_ وجوب التصديق بصفات الله تعالى ليس موقوفا على أن يقوم عليها دليل
- 852 \_\_\_\_\_ عقلي
- 853 \_\_\_\_\_ جاءت الإرادة في كتاب الله على نوعين
- 868 \_\_\_\_\_ هل أراد الله تعالى المعصية من خلقه أم لا؟
- 872 \_\_\_\_\_ الهدى أربعة أقسام
- 875 \_\_\_\_\_ أن الله خص المؤمنين بنعمة دون الكافرين بأن هداهم للإيمان
- 878 \_\_\_\_\_ { يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ }
- 882 \_\_\_\_\_ "إن للحسنة نورا في القلب وإن للسينة لظلمة في القلب "
- \_\_\_\_\_ من الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به
- 885 \_\_\_\_\_ رسوله
- 887 \_\_\_\_\_ استمتاع الانس بالجن والجن بالانس
- 894 \_\_\_\_\_ التوحيد والايمان بالرسل متلازمان
- 896 \_\_\_\_\_ كما تكونون يول عليكم
- 897 \_\_\_\_\_ { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا }

- 901 \_\_\_\_\_ المؤمنين بالرسول المتبعون لهم هم المهتدون
- 907 \_\_\_\_\_ القرآن خطاب للثقلين
- 911 \_\_\_\_\_ هل في الجن رسل أم ليس فيهم إلا نذر؟
- 914 \_\_\_\_\_ الجنة والنار درجات
- 914 \_\_\_\_\_ { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }
- 915 \_\_\_\_\_ الخليفة هو الذي خلف غيره
- 917 "لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم ويتركوا ما جاءتهم به أنبيأؤهم"
- 918 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية
- 926 \_\_\_\_\_ الانعام 136-153
- أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين
- 928 \_\_\_\_\_
- 930 \_\_\_\_\_ كل من احتج بالقدر فإنه متناقض
- 939 \_\_\_\_\_ الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله
- 941 \_\_\_\_\_ الأصل في العبادات التوقيف والأصل في العادات العفو
- جميع بنى آدم العقلاء لا بد لهم من أمور يأمرون بها وأمور ينهون عنها
- 943 \_\_\_\_\_
- 945 \_\_\_\_\_ الفرق بين الحب في الله والحب مع الله
- 947 \_\_\_\_\_ إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى
- 948 \_\_\_\_\_ السينات منشؤها الجهل والظلم
- 950 \_\_\_\_\_ من اتخذ إلهه هواه قد زين له سوء عمله
- 950 \_\_\_\_\_ ان الله قادر على ما لا يفعله
- نفس اسماء الله عز وجل مباركة وبركتها من جهة دلالتها على المسمى
- 951 \_\_\_\_\_
- 953 \_\_\_\_\_ الدين ما شرعه الله ورسوله
- 959 \_\_\_\_\_ يجيء الوصف في القرآن مستعملا في الكذب

- 960 \_\_\_\_\_ "كل من عمل سوءا فهو جاهل "
- 961 \_\_\_\_\_ بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين أو الدنيا
- 963 \_\_\_\_\_ المؤمن يبغى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر
- 965 \_\_\_\_\_ ذم لمن عمل بالظن
- 966 \_\_\_\_\_ من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين
- 967 \_\_\_\_\_ خلق الله الأشياء بأسباب
- 969 \_\_\_\_\_ ما حرمه رسول الله إنما هو زيادة تحريم ليس نسخا للقرآن
- ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن هو من الدين المبدل
- 974 \_\_\_\_\_
- 975 \_\_\_\_\_ " هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا "
- 978 \_\_\_\_\_ مسائل فقهية
- 978 \_\_\_\_\_ 1-الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلالا
- 985 \_\_\_\_\_ 3-حكم لبن الميتة وأنفحتها
- 986 \_\_\_\_\_ 4-حكم طهارة جلود الميتة بالدباغ
- 990 \_\_\_\_\_ 5-حكم ما ذبحه أهل الكتاب لكناسهم أو لأعيادهم
- 993 \_\_\_\_\_ 6-حكم التداوى
- 994 \_\_\_\_\_ 7-أكل الميتة للمضطر واجب عليه
- 995 \_\_\_\_\_ 7-الخبائث جميعا تباح للمضطر
- 996 \_\_\_\_\_ 8-لم يوجب ما لا يستطاع ولم يحرم ما يضطر إليه
- 998 \_\_\_\_\_ الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب
- الحسنات سبب للتحليل دينا وكونا والسيئات سبب للتحريم دينا وكونا
- 999 \_\_\_\_\_
- 1001 \_\_\_\_\_ التحليل والتحريم لا يتعلق بإستطابة العرب ولا بإستخبائهم
- 1003 \_\_\_\_\_ الاحتجاج بالقدر حجة باطللة داحضة

- اصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله  
1010 \_\_\_\_\_
- الأفعال منقسمة إلى حسن وسيء مع كونه تعالى خالق الصنفين \_1018  
1022 \_\_\_\_\_ مطالبة بالعلم وذم لمن يتبع الظن وما عنده علم  
عامة ما ذم الله به المشركين في القرآن من الدين المنهي عنه انما هو  
1023 \_\_\_\_\_ الشرك والتحريم
- المحتجون على القدر باسقاط الأمر و النهى يشبهون المشركين \_1024  
من اكتفى بالحقائق الكونية ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع  
1034 \_\_\_\_\_ ابليس اللعين
- القدرية الجبرية الجهمية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين \_1040  
1054 \_\_\_\_\_ أصل الضلال اتخاذ دين لم يشرعه الله أو تحريم ما لم يحرمه الله
- أهل السنة وسط بين أهل التعطيل وبين أهل التمثيل \_\_\_\_\_1058  
1059 \_\_\_\_\_ أضل الضلال اتباع الظن والهوى
- من احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه كان من أخسر الناس \_\_\_\_1059  
1061 \_\_\_\_\_ احرص على ما ينفعك واستعن بالله
- الإيمان بالقدر هدى و الإحتجاج به على الله ضلال وغي \_\_\_\_\_1062  
1065 \_\_\_\_\_ { فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }
- الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وباليوم الآخر أمور متلازمة  
1066 \_\_\_\_\_
- 1069 \_\_\_\_\_ ثلاث مهلكات
- 1071 \_\_\_\_\_ أهل البدع والتفرق هم أهل الأهواء
- 1072 \_\_\_\_\_ إن المشركين يعدلون آلهتهم برب العالمين
- 1073 \_\_\_\_\_ أعلم الناس من كان رأيه وقياسه موافقا للنصوص
- " ليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما  
1076 \_\_\_\_\_ بطن "
- 1077 \_\_\_\_\_ المحرمات قسمان

- 1082 \_\_\_\_\_ جميع الرسل متفقون في الأصول الاعتقادية والعلمية
- 1085 \_\_\_\_\_ قرن حق الأيوين بحقه
- 1086 \_\_\_\_\_ خص هذه الصورة بالنهاي لأنها هي الواقعة لا لأن التحريم يختص بها
- 1087 \_\_\_\_\_ الشريعة تأمر بالمصالح الخالصة والراجعة
- 1088 \_\_\_\_\_ "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء"
- 1093 \_\_\_\_\_ النظر إلى العورات حرام
- 1095 \_\_\_\_\_ مدح الله وأثنى على من كان له عقل
- 1097 \_\_\_\_\_ أعظم الله أمر اليتامى فى كتابه
- 1099 \_\_\_\_\_ علق الله الأحكام ببلوغ الحلم
- 1099 \_\_\_\_\_ الشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفسد وتقليلها
- 1101 \_\_\_\_\_ تحقيق المناط أن يعمل بالنص والإجماع
- 1102 \_\_\_\_\_ بخس المكيال و الميزان من الأعمال التى أهلك الله بها قوم شعيب
- 1103 \_\_\_\_\_ { لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }
- 1108 \_\_\_\_\_ العدل جماع الدين والحق والخير كله
- 1113 \_\_\_\_\_ صحة القلب وصلاحه فى العدل ومرضه من الزيغ والظلم والانحراف
- 1115 \_\_\_\_\_ العدل فى القول خبر يتعلق بالماضى و الحاضر و الوفاء بالعهد يكون فى القول المتعلق بالمستقبل
- 1116 \_\_\_\_\_ يستدل بالعدل على القياس الصحيح العقلي والشرعي
- 1118 \_\_\_\_\_ طريق الموازنة والمعادلة من سلكه كان قائما بالقسط
- 1120 \_\_\_\_\_ { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ }
- 1122 \_\_\_\_\_ الدين ما شرعه الله ورسوله
- 1123 \_\_\_\_\_ حيث ذكر الله الحق فى القرآن جعله واحدا وجعل الباطل متعددا



- 1126 كتاب الله حكم ما بينكم ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله \_\_\_\_\_
- 1133 كل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وهى ضلالة \_\_\_\_\_  
 معرفة ما جاء به الرسول و ما أراده بألفاظ القرآن و الحديث هو أصل  
 العلم و الإيمان و السعادة
- 1140 \_\_\_\_\_  
 من أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمدا من الكتاب والحكمة
- 1142 \_\_\_\_\_
- 1145 ان اتباع الامر أصل عام وان اجتناب المنهى عنه فرع خاص \_\_\_\_\_  
 "تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعايد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل  
 مفتون "
- 1146 \_\_\_\_\_
- 1148 "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين" \_\_\_\_\_
- 1151 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية
- 1159 \_\_\_\_\_ الأنعام 154-165
- 1160 إن الله تعالى إنما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة \_\_\_\_\_
- 1161 \_\_\_\_\_ الرحمة تحصل بالقرآن
- 1162 أنزل القرآن كراهة أن يقولوا ذلك ومنعا ودفعاً \_\_\_\_\_  
 التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله وأن تترك معصية الله على  
 نور من الله
- 1163 \_\_\_\_\_
- 1164 إثبات الملائكة وأفعالها وكلامها وتأثيرها في العالم \_\_\_\_\_  
 مذهب سلف الأمة أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله  
 فى النفى والاثبات
- 1164 \_\_\_\_\_
- يفتح الله عز وجل للتوبة مسيرة عرضه أربعون سنة ولا يغلق حتى تطلع  
 الشمس من قبله
- 1168 \_\_\_\_\_
- 1169 أنواع الاختلاف \_\_\_\_\_
- 1173 اتبع الناس للرسول اقلهم اختلافا \_\_\_\_\_
- 1176 وجوب الاجتماع فى الدين \_\_\_\_\_
- 1179 بعض صور التفرق والاختلاف \_\_\_\_\_

- 1180 \_\_\_\_\_ التفريق والاختلاف في الكتاب والسنة
- 1188 \_\_\_\_\_ 2-الرافضة سلكوا في الصحابة مسلك التفريق
- 1189 \_\_\_\_\_ 3-زوال الألفة والعصمة واخوة الدين
- 1194 \_\_\_\_\_ 4- تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين وإستحلال دمائهم وأموالهم
- 1197 \_\_\_\_\_ 5- ان كثيرا من نزاع الناس سببه أفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة
- 1199 \_\_\_\_\_ المراد بالحسنة والسينة عند عامة المفسرين
- 1201 \_\_\_\_\_ يعطى العبد بكل حسنة عشر أمثالها
- 1202 \_\_\_\_\_ الظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى
- 1203 \_\_\_\_\_ التوحيد هو أول الدين وآخره وباطن الدين وظاهره
- 1208 \_\_\_\_\_ الاسلام دين جميع المرسلين
- 1212 \_\_\_\_\_ أهل البدع والضلال يحجون إلى المشاهد وقبور شيوخهم
- 1216 \_\_\_\_\_ الصلاة و النسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله
- 1218 \_\_\_\_\_ الاحكام المتعلقة بالأضحية
- 1219 \_\_\_\_\_ 1-تسميته الله على الذبيحة غير ذبحها لله
- 1221 \_\_\_\_\_ الأضحية من أعظم شعائر الاسلام
- 1223 \_\_\_\_\_ وقت الأضحية
- 1224 \_\_\_\_\_ الاسلام فى الاصل من باب العمل وأما الايمان فاصله تصديق وقرار ومعرفة
- 1227 \_\_\_\_\_ { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }
- 1232 \_\_\_\_\_ الرد على الذين يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولا
- 1235 \_\_\_\_\_ الايمان بربوبية الله
- 1236 \_\_\_\_\_ لا يصلح ان يقال ان الله يستخلف أحدا عنه
- 1241 \_\_\_\_\_ وجوب اتخاذ الإمارة

1242 \_\_\_\_\_ الشر لم يرد في أسمائه و إنما و رد في مفعولاته

1244 \_\_\_\_\_ لطائف لغوية

## §§~ الأنعام (مكية) 165 ~ §§

## مقدمة سورة الانعام

\*سورة الأنعام سورة مكية باتفاق الناس<sup>1</sup>

وسورة الأنعام سورة عظيمة مشتملة على أصول الإيمان والتوحيد<sup>1</sup>

\* قال الله تعالى { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {112} البقرة 112  
وقد فسر إسلام الوجه لله بما يتضمن إخلاص قصد العبد لله بالعبادة له وحده وهو محسن بالعمل الصالح المشروع المأمور به وهذان الأصلان جماع الدين أن لا نعبد إلا الله وأن نعبد به بما شرع لا نعبد بالبدع وقال تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } {الكهف 110} وكان عمر بن الخطاب يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ليلوكم أيكم أحسن عملا قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أصوبه وأخلصه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وهذان الأصلان هما تحقيق الشهادتين اللتين هما رأس الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله فإن الشهادة لله بأنه لا إله إلا هو تتضمن إخلاص الألوهية له فلا يجوز أن يتأله القلب غيره لا بحب ولا خوف ولا رجاء ولا إجلال ولا إكبار ولا رغبة ولا رهبة بل لا بد أن يكون الدين كله لله كما قال تعالى { وَقَاتِلُواهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } {البقرة 193} فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغيره كان في ذلك من الشرك بحسب ذلك وكمال الدين كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره من

أحب الله وأبغض الله وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان  
 فالمؤمنون يحبون الله والله والمشركون يحبون مع الله كما قال  
 تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ  
 اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 والشهادة بأن محمداً  
 رسول الله تتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما  
 أمر فما أثبتته وجب إثباته وما نفاه وجب نفيه كما يجب على  
 الخلق أن يثبتوا ما أثبتته الرسول لربه من الأسماء والصفات  
 وينفوا عنه ما نفاه عنه من مماثلة المخلوقات فيخلصون من  
 التعطيل والتمثيل ويكونون على خير عقيدة في إثبات بلا تشبيه  
 وتنزيه بلا تعطيل وعليهم أن يفعلوا ما أمرهم به وأن ينتهوا عما  
 نهاهم عنه ويحللوا ما أحله ويحرموا ما حرمه فلا حرام إلا ما  
 حرمه الله ورسوله ولا دين إلا ما شرعه الله ورسوله ولهذا ذم الله  
 المشركين في **سورة الأنعام** والأعراف وغيرهما لكونهم حرموا  
 ما لم يحرمه الله ولكونهم شرعوا ديناً لم يأذن به الله كما في قوله  
 تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ  
 نَصِيباً } الأنعام 136 إلى آخر السورة وما ذكر الله في صدر  
 سورة الأعراف وكذلك قوله تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ  
 مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21

\*فان اقواما استحلوا بعض ما حرمه الله واقواما حرموا بعض ما  
 احل الله تعالى وكذلك اقواما احدثوا عبادات لم يشرعها الله بل  
 نهى عنها و اصل الدين ان الحلال ما احله الله  
 ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله والدين ما شرعه الله  
 ورسوله ليس لاحد ان يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث  
 الله به ورسوله قال الله تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً  
 فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ  
 لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } الأنعام 153 وفي حديث عبد الله بن مسعود  
 رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطأ وخط  
 خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذه سبيل الله وهذه سبيل على  
 كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ { وَأَنَّ هَذَا

صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ  
 { الأنعام 153 وقد ذكر الله تعالى في **سورة الأنعام** والاعراف  
 وغيرهما ما ذم به المشركين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى  
 كالبحيرة والسائبة واستحلوا ما حرمه الله كقتل اولادهم وشرعوا  
 ديناً لم يأذن به الله فقال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ  
 الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 ومنه اشياء هي محرمة  
 جعلوها عبادات كالشرك والفواحش مثل الطواف بالبيت عراة  
 وغير ذلك <sup>1</sup>

\* أما العبادات فأعظمها الصلاة والناس أما أن يبتدئوا مسائلها  
 بالطهور لقوله صلى الله عليه وسلم مفتاح الصلاة الطهور  
 كما رتبته أكثرهم وأما بالمواقيت التي تجب بها الصلاة كما فعله  
 مالك وغيره فأما الطهارة والنجاسة فنوعان من الحلال  
 والحرام في اللباس ونحوه تابعان للحلال والحرام في الأطعمة  
 والأشربة ومذهب أهل الحديث في هذا الأصل العظيم الجامع  
 وسط بين مذهب العراقيين والحجازيين فإن أهل المدينة مالكا  
 وغيره يحرمون من الأشربة كل مسكر كما صحت بذلك  
 النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة  
 وليسوا في الأطعمة كذلك بل الغالب عليهم فيها عدم التحريم  
 فيبيحون الطيور مطلقا وان كانت من ذات المخالب ويكرهون  
 كل ذي ناب من السباع وفي تحريمها عن مالك روايتان وكذلك  
 في الحشرات عنه هل هي محرمة أو مكروهة روايتان وكذلك  
 البغال والحمير وروي عنه أنها مكروهة أشد من كراهة السباع  
 وروى عنه أنها محرمة بالسنة دون تحريم الحمير والخيل أيضا  
 يكرهها لكن دون كراهة السباع وأهل الكوفة في باب  
 الأشربة مخالفون لأهل المدينة ولسائر الناس ليست الخمر عندهم  
 إلا من العنب ولا يحرمون القليل من المسكر إلا أن يكون خمرا  
 من العنب أو أن يكون من نبيذ التمر أو الزبيب النيء أو يكون  
 من مطبوخ عصير العنب إذا لم يذهب ثلثاه وهم في الأطعمة في  
 غاية التحريم حتى حرموا الخيل والضباب وقيل إن أبا حنيفة

يكره الضب والضباع ونحوها فأخذ أهل الحديث في الأشربة بقول أهل المدينة وسائر أهل الأمصار موافقة للسنة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في التحريم وزادوا عليهم في متابعة السنة وصنف الإمام أحمد كتابا كبيرا في الأشربة ما علمت أحدا صنف أكبر منه وكتبا أصغر منه وهو أول من أظهر في العراق هذه السنة حتى إنه دخل بعضهم بغداد فقال هل فيها من يحرم النبيذ فقالوا لا إلا أحمد بن حنبل دون غيره من الأئمة وأخذ فيها بعامة السنة حتى إنه حرم العصير والنبيذ بعد ثلاث وإن لم يظهر فيه شدة متابعة للسنة المأثورة في ذلك لأن الثلاث مظنة ظهور الشدة غالبا والحكمة هنا مما تخفى فأقيمت المظنة مقام الحكمة حتى إنه كره الخليطين إما كراهة تنزيه أو تحريم على اختلاف الروايتين عنه وحتى اختلف قوله في الانتباز في الأوعية هل هو مباح أو محرم أو مكروه لأن أحاديث النهي كثيرة جدا وأحاديث النسخ قليلة فاختلف اجتهاده هل تنسخ تلك الأخبار المستفيضة بمثل هذه الأخبار التي لا تخرج عن كونها أخبار آحاد ولم يخرج البخاري منها شيئا وأخذوا في الأطعمة بقول أهل الكوفة لصحة السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم بتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وتحريم لحوم الحمر لأن النبي صلى الله عليه وسلم أنكر على من تمسك في هذا الباب بعدم وجود نص التحريم في القرآن حيث قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول بيننا وبينكم هذا القرآن فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمانه ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى وهذا المعنى محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه و علموا أن ما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو زيادة تحريم ليس نسخا للقرآن لأن إنما دل على أن الله لم يحرم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير وعدم التحريم ليس تحليلا



و إنما هو بقاء للأمر على ما كان و هذا قد ذكره الله في **سورة الأنعام** التي هي مكية باتفاق العلماء ليس كما ظنه أصحاب مالك و الشافعي أنها من آخر القرآن نزولاً و إنما سورة المائدة هي المتأخرة و قد قال الله فيها { **الْيَوْمَ أَجِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ** } المائدة 5 فعلم أن عدم التحريم المذكور في **سورة الأنعام** ليس تحليلاً و إنما هو عفو فتحريم رسول الله رافع للعفو ليس نسخاً للقرآن لكن لم يوافق أهل الحديث الكوفيين على جميع ما حرموه بل أكلوا الخيل لصحة السنن عن النبي صلى الله عليه و سلم بتحليلها يوم خيبر و بأنهم ذبحوا على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فرسا و أكلوا لحمه و أكلوا الضب لصحة السنن عن النبي صلى الله عليه و سلم بأنه قال لا أحرمه و بأنه أكل على مائدته و هو ينظر و لم ينكر على من أكله و غير ذلك مما جاءت فيه الرخصة فنقصوا عما حرمه أهل الكوفة من الأطعمة كما زادوا على أهل المدينة في الأشربة لأن النصوص الدالة على تحريم الأشربة المسكرة أكثر من النصوص الدالة على تحريم الأطعمة و لأهل المدينة سلف من الصحابة و التابعين في استحلال ما أحلوه أكثر من سلف أهل الكوفة في استحلال المسكر و المفاسد الناشئة من المسكر أعظم من مفاسد خبائث الأطعمة و لهذا سميت الخمر أم الخبائث كما سماها عثمان بن عفان رضي الله عنه و غيره و أمر النبي صلى الله عليه وسلم بجلد شاربها فإنه لم يحد فيها أحد من أهل العلم إلا ما بلغنا عن الحسن البصري بل قد أمر صلى الله عليه وسلم بقتل شارب الخمر في الثالثة أو الرابعة و إن كان الجمهور على أنه منسوخ و نهى النبي صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه عن تخليل الخمر و أمر بشق ظروفها و كسر دنانها و إن كان قد اختلفت الرواية عن أحمد هل هذا باق أو منسوخ و لما كان الله سبحانه و تعالى إنما حرم الخبائث لما فيها من الفساد إما في العقول أو الأخلاق أو غيرها ظهر على الذين استحلوا بعض المحرمات من الأطعمة أو الأشربة ممن النقص بقدر ما فيها من المفسدة و لولا

التأويل لاستحقوا العقوبة ثم إن الإمام أحمد وغيره من علماء الحديث زادوا في متابعة السنة على غيرهم بأن أمروا بما أمر الله به ورسوله مما يزيل ضرر بعض المباحات مثل لحوم الإبل فإنها حلال بالكتاب و السنة و الإجماع و لكن فيها من القوة الشيطانية ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله إنها جن خلقت من جن و قد قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود الغضب من الشيطان و إن الشيطان من النار وإنما تطفئ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ فأمر بالتوضؤ من الأمر العارض من الشيطان فأكل لحمها يورث قوة شيطانية تزول لما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الوضوء من لحمها كما صح ذلك عنه من غير وجه من حديث جابر بن سمرة و البراء بن عازب و أسيد بن الحضير و ذي الغرة و غيرهم فقال مرة توضئوا من لحوم الإبل و لا توضئوا من لحوم الغنم و صلوا في مرابض الغنم و لا تصلوا في معاطن الإبل فمن توضأ من لحومها اندفع عنه ما يصيب المدمنين لأكلها من غير وضوء كالأعراب من الحقد و قسوة القلب التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله المخرج عنه في الصحيحين إن الغلظة و قسوة القلوب في الفدادين أصحاب الإبل و إن السكينة في أهل الغنم<sup>1</sup>



## الأنعام 1-18

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ  
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} {1} هُوَ  
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ  
أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} {2} وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ  
يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} {3} وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ  
آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} {4} فَقَدْ كَذَّبُوا  
بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ  
يَسْتَهْزِئُونَ} {5} أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ  
مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَمُكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ  
عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ  
بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} {6} وَلَوْ نَزَّلْنَا  
عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا  
إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ} {7} وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ  
وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقَضَىٰ الْأَمْرَ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ} {8} وَلَوْ  
جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ} {9}  
وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ بُرْسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ  
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} {10} قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ  
انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} {11} قُلْ لِمَنْ مَا فِي  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ  
لِيَجْمَعَكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا  
أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} {12} وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {13} قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا  
فَاطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي  
أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنْ

المُشْرِكِينَ {14} قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ {15} مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ {16} وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {17} وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {18}

### أول من يدعى الى الجنة الحمادون

قال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الانعام 1 فالمصلي في آخر القيام بعد الركوع يقول ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الارض الى قوله أهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقوله احق ما قال العبد خبر مبتدأ محذوف أى هذا الكلام احق ما قال العبد فتبين ان حمد الله والثناء عليه احق ما قاله العبد وفي ضمنه توحيد له اذا قال ولك الحمد أى لك لا لغيرك وقال فى آخره لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت وهذا يقتضى انفراد العبد بالعطاء والمنع فلا يستعان الا به ولا يطلب الا منه ثم قال ولا ينفع ذا الجد منك الجد فبين ان الانسان وان أعطى الملك والغنى والرئاسة فهذا لا ينجيه منك انما ينجيه الايمان والتقوى وهذا تحقيق قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 فكان هذا الذكر فى آخر القيام لأنه ذكر أول القيام وقوله أحق ما قال العبد يقتضى ان يكون حمد الله احق الاقوال بان يقوله العبد وما كان احق الاقوال كان أفضلها واوجبها على الانسان ولهذا افترض الله على عباده فى كل صلاة ان يفتتحوها بقولهم { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 وامرهم ايضا ان يفتتحوا كل خطبة بالحمد لله فامرهم ان يكون

مقدما على كل كلام سواء كان خطابا للخالق او خطابا للمخلوق  
ولهذا يقدم النبي الحمد أمام الشفاعة يوم القيامة ولهذا أمرنا  
بتقديم الثناء على الله في التشهد قبل الدعاء وقال النبي كل  
امر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم وأول من يدعى الى  
الجنة الحمدون الذين يحمدون الله على السراء والضراء  
وقوله { الْحَمْدُ لِلَّهِ } الفاتحة 1 حمد مطلق فان الحمد  
اسم جنس والجنس له كمية وكيفية فالثناء كميته وتكبيره وتعظيمه  
كيفية<sup>1</sup>

## الحمد نوعان

\* فان الله سبحانه اخبر ان له الحمد وانه حميد مجيد وان له الحمد  
في الاولى والاخرة وله الحكم ونحو ذلك من انواع المحامد  
و الحمد نوعان حمد على احسانه الى عباده وهو من الشكر  
و حمد لما يستحقه هو بنفسه من نعوت كماله وهذا الحمد لا يكون  
الا على ما هو في نفسه مستحق للحمد وانما يستحق ذلك من هو  
متصف بصفات الكمال وهي امور وجودية فان الامور العدمية  
المحضة لا حمد فيها ولا خير ولا كمال ومعلوم ان كل ما  
يحمد فانما يحمد على ماله من صفات الكمال فكل ما يحمد به  
الخلق فهو من الخالق والذي منه ما يحمد عليه هو أحق بالحمد  
فثبت انه المستحق للمحامد الكاملة وهو احق من كل محمود  
بالحمد والكمال من كل كامل وهو المطلوب<sup>1</sup>

\* فقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال  
كل مولود يولد على الفطرة وفي صحيح مسلم عنه أنه قال يقول  
الله تعالى خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم  
ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا  
فإنه فطر عباده على الحنيفية ملة إبراهيم وأصلها محبة الله وحده  
فما من فطرة لم تفسد إلا وهي تجد فيها محبة الله تعالى لكن قد  
تفسد الفطرة إما لكبر و غرض فاسد كما في فرعون وإما بأن

يشرك معه غيره في المحبة كما قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } البقرة 165 وأما أهل التوحيد الذين يعبدون الله مخلصين له الدين فإن في قلوبهم محبة الله لا يماثله فيها غيره ولهذا كان الرب محموداً حمداً مطلقاً على كل ما فعله وحمداً خاصاً على إحسانه إلى الحامد فهذا حمد الشكر والأول حمده على كل ما فعله كما قال { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } { الأنعام 1 } { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } فاطر 1 والحمد ضد الذم والحمد خير بمحاسن المحمود مقرون بمحبته والذم خير بمساوىء المذموم مقرون ببيغضه فلا يكون حمد لمحمود إلا مع محبته ولا يكون ذم لمذموم إلا مع بغضه وهو سبحانه له الحمد في الأولى والآخرة وأول ما نطق به آدم الحمد لله رب العالمين وأول ما سمع من ربه يرحمك ربك وآخر دعوى أهل الجنة أن الحمد لله رب العالمين وأول من يدعى إلى الجنة الحامدون ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد آدم فمن دونه تحت لوائه وهو صاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون فلا تكون عبادة إلا بحب المعبود ولا يكون حمد إلا بحب المحمود وهو سبحانه المعبود المحمود<sup>1</sup>

### الحمد أعم من الشكر

\*الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر لأنه يكون على المحاسن والإحسان فإن الله تعالى يحمد على ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى وما خلقه في الآخرة والأولى ولهذا قال تعالى { وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا } { الإسراء 111 } وقال { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } { الأنعام 1 } وقال { الْحَمْدُ

اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي  
 الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {سبأ 1} وَقَالَ {الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ  
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مِّنْهُنَّ  
 وَثَلَاثٌ وَرُبَاعٌ يَّزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 {فاطر 1} وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام فهو أخص من  
 الحمد من هذا الوجه لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل  
 أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا ولهذا  
 قال تعالى {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} {سبأ 13} والحمد إنما  
 يكون بالقلب واللسان فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه  
 والحمد أعم من جهة أسبابه وفي الحديث الحمد لله رأس  
 الشكر فمن لم يحمد الله لم يشكره وفي الصحيح عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله ليرضى عن العبد أن  
 يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها و الله  
 أعلم<sup>1</sup>

## الليل والنهار تبع للسموات والارض

\* الليل والنهار الذى هو حاصل بالشمس هو تبع للسموات  
 والارض لم يخلق هذا الليل وهذا النهار قبل هذه السموات  
 والارض بل خلق هذا الليل وهذا النهار تبعا لهذه السموات  
 والارض فان الله اذا اطلع الشمس حصل النهار واذا غابت  
 حصل الليل فالنهار بظهورها والليل بغروبها فكيف يكون هذا  
 الليل وهذا النهار قبل الشمس والشمس والقمر مخلوقان مع  
 السموات والارض وقد قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ  
 وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} {الأنبياء 33}  
 وقال تعالى {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ  
 سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} {يس 40} قال ابن عباس  
 وغيره من السلف فى فلكة مثل فلكة المغزل فقد أخبر تعالى  
 أن الليل والنهار والشمس والقمر فى الفلك و الفلك هو  
 السموات عند أكثر العلماء بدليل أن الله ذكر فى هاتين الآيتين ان



الشمس والقمر فى الفلك وقال فى موضع آخر { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا } {15} وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا } {16} نوح 15-16 فأخبر أنه جعل الشمس والقمر فى السموات وقال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } {الأنعام 1} بين أنه خلق السموات والأرض وأنه خلق الظلمات والنور لأن الجعل هو التصيير يقال جعل كذا اذا صيره فذكر أنه خلق السموات والأرض وأنه جعل الظلمات والنور لأن الظلمات والنور مجعولة من الشمس والقمر المخلوقة فى السموات وليس الظلمات والنور والليل والنهار جسما قائما بنفسه ولكنه صفة وعرض قائم بغيره فالنور هو شعاع الشمس وضوءها الذى ينشره الله فى الهواء وعلى الأرض وأما الظلمة فى الليل فقد قيل هى كذلك وقيل هى أمر وجودى فهذا الليل وهذا النهار اللذان يختلفان علينا اللذان يولج الله أحدهما فى الآخر فيولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخلف أحدهما الآخر يتعاقبان كما قال تعالى { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ } آل عمران 190 وقال تعالى { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ } {40} يس 40 بين سبحانه أنه جعل لكل شىء قدرا واحدا لا يتعداه فالشمس لا ينبغى لها أن تدرك القمر وتلحقه بل لها مجرى قدره الله لها وللقمر مجرى قدره الله له كما قال تعالى

{وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمُ مُظْلِمُونَ} {37} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } {38} وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ } {39} يس 37-39 ثم قال { لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ } {40} يس 40 أى لا يفوته ويتقدم امامه حتى يكون بينهما برزخ بل هو متصل به لا هذا يفصل عن هذا ولا هذا يفصل عن هذا { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } {40} يس 40 فالمقصود

أن هذا الليل وهذا النهار جعلهما الله تبعاً لهذه السموات والأرض

1

## أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع

\*قال تعالى { **وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** } **الأنعام 1** ومن هذا تسمية الليل ظلمة والنهار نورا فإنهما عرضان وقد قيل هما جوهران<sup>1</sup>

\*قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر مروى بألفاظ أخر كقوله يقول الله يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار وفي لفظ لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر يقلب الليل والنهار وفي لفظ يقول ابن آدم يا خيبة الدهر وأنا الدهر فقوله في الحديث بيدي الأمر أقلب الليل والنهار يبين أنه ليس المراد به أنه الزمان فإنه قد أخبر أنه يقلب الليل والنهار والزمان هو الليل والنهار فدل نفس الحديث على أنه هو يقلب الزمان ويصرفه كما دل عليه قوله تعالى { **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ** } {43} **يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ** } {44} **النور 43-44** وإزجاء السحاب سوقه والودق المطر فقد بين سبحانه خلقه للمطر وإنزاله على الأرض فإنه سبب الحياة في الأرض فإنه سبحانه جعل من الماء كل شيء حي ثم قال { **يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ** } **النور 44** إذ تقليبه الليل والنهار تحويل أحوال العالم بإنزال المطر الذي هو سبب خلق النبات والحيوان والمعدن وذلك سبب تحويل الناس من حال إلى حال المتضمن رفع قوم وخفض آخرين وقد أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع كقوله { **وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** } **الأنعام 1** وقوله { **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** } **الأنبياء 33**

وقوله { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا } الفرقان 62 وقوله { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَبْصَارِ } آل عمران 190 وغير ذلك من النصوص التي تبين أنه خالق الزمان ولا يتوهم عاقل أن الله هو الزمان فإن الزمان مقدار الحركة والحركة مقدارها من باب الأعراض والصفات القائمة بغيرها كالحركة والسكون والسواد والبياض ولا يقول عاقل أن خالق العالم هو من باب الأعراض والصفات المفتقرة إلى الجواهر والأعيان فإن الأعراض لا تقوم بنفسها بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به والمفتقر إلى ما يغيّره لا يوجد بنفسه بل بذلك الغير فهو محتاج إلى ما به وجوده فليس هو غنيا في نفسه عن غيره فكيف يكون هو الخالق لكل ماسواه ومعلوم أن المراتب ثلاث ثم أن يستغني بنفسه وأن يحتاج إليه ما سواه وهذه صفة الخالق سبحانه فكيف يتوهم أنه من النوع الأول وأهل الإلحاد القائلون بالوحدة أو الحلول أو الإتحاد لا يقولون أنه هو الزمان ولا أنه من جنس الأعراض والصفات بل يقولون هو مجموع العالم أو حال في مجموع العالم فليس في الحديث شبهة لهم لو لم يكن قد بين فيه أنه سبحانه مقلب الليل والنهار فكيف وفي نفس الحديث أنه بيده الأمر يقرب الليل والنهار إذا تبين هذا فللناس في الحديث قولان معروفان لأصحاب أحمد وغيرهم أحدهما وهو قول أبي عبيد وأكثر العلماء أن هذا الحديث خرج الكلام فيه لرد ما يقوله أهل الجاهلية ومن أشبههم فإنهم إذا أصابتم مصيبة أو منعوا أعراضهم أخذوا يسيرون الدهر والزمان يقول أحدهم قبح الله الدهر الذي شنت شملنا ولعن الله الزمان الذي جرى فيه كذا وكذا وكثيرا ما جرى من كلام الشعراء وأمثالهم نحو هذا كقولهم يا دهر فعلت كذا وهم يقصدون سب من فعل تلك الأمور ويضيفونها إلى الدهر فيقع السب على الله تعالى لأنه هو الذي فعل تلك الأمور وأحدثها والدهر مخلوق له هو الذي يقبله ويصرفه والتقدير أن ابن آدم يسب من فعل هذه

الأمر وأنا فعلتها فإذا سب الدهر فمقصوده سب الفاعل وإن أضاف الفعل إلى الدهر والدهر لا فعل له وإنما الفاعل هو الله وحده وهذا كرجل قضى عليه قاض بحق أو أفتاه مفت بحق فجعل يقول لعن الله من قضى بهذا أو أفتى بهذا ويكون ذلك من قضاء النبي صلى الله عليه وسلم وفتياه فيقع السب عليه وإن كان الساب لجهله أضاف الأمر إلى المبلغ في الحقيقة والمبلغ فعل من التبليغ بخلاف الزمان فإن الله يقبله ويصرفه والقول الثاني قول نعيم بن حماد وطائفة معه من أهل الحديث والصوفية إن الدهر من أسماء الله تعالى معناه القديم الأزلي ورووا في بعض الأدعية يا دهر يا دهور يا ديهار وهذا المعنى صحيح لأن الله سبحانه هو الأول ليس قبله شيء وهو الآخر ليس بعده شيء فهذا المعنى صحيح إنما النزاع في كونه يسمى دهرًا بكل حال فقد أجمع المسلمون وهو مما علم بالعقل الصريح أن الله سبحانه وتعالى ليس هو الدهر الذي هو الزمان أو ما يجري مجرى الزمان فإن الناس متفقون على الزمان الذي هو الليل والنهار وكذلك ما يجري مجرى ذلك في الجنة كما قال تعالى { وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } مريم: 62 قالوا على مقدار البكرة والعشي في الدنيا الآخرة يوم الجمعة يوم المزيد والجنة ليس فيها شمس ولا زهمير ولكن تعرف الأوقات بأنوار آخر قد روي أنه تظهر من تحت العرش فالزمان هنالك مقدار الحركة التي بها تظهر تلك الأنوار<sup>1</sup>

## **جعل المشركون لله أندادا في العبادة والمحبة والدعاء**

\* وإذا كان الشيء يعدل غيره فعدل الشيء بالفتح هو مساويه وإن كان من غير جنسه كما قال تعالى { أَوْ عَدُلٌ ذَلِكَ صِيَامًا } المائدة: 95 والصيام ليس من جنس الطعام والجزاء ولكنه يعادله في القدر وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقوله تعالى { وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ } البقرة: 123 أي فدية و الفدية ما يعدل بالمفدى وإن كان من

غير جنسه { **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** } { الأنعام 1 } أي يجعلون له عدلا أي ندا في الإلهية و إن كانوا يعلمون أنه ليس من جنس الرب سبحانه<sup>1</sup>

\*فإن المشركين يعدلون آلهتهم برب العالمين كما قال { **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** } { الأنعام 1 } وقال { **تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** } {97} { **إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** } {98} الشعراء 97-98

\*أن عامة السيئات يدخل في الظلم وأن الحسنات غالبها عدل وأن القسط هو المقصود بارسال الرسل وإنزال الكتب والقسط والعدل هو التسوية بين الشيين فان كان بين متماثلين كان هو العدل الواجب المحمود وإن كان بين الشيء وخلافه كان من باب قوله { **ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** } { الأنعام 1 } كما قالوا { **تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** } {97} { **إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ** } {98} الشعراء 97-98 فهذا العدل والتسوية والتمثيل والاشراك هو الظلم العظيم وإذا عرف أن مادة العدل والتسوية والتمثيل والقياس والاعتبار والتشريك والتشبيه والتنظير من جنس واحد فيستدل بهذه الأسماء على القياس الصحيح العقلي والشرعي ويؤخذ من ذلك تعبير الرؤيا فان مداره على القياس والاعتبار والمشابهة التي بين الرؤيا وتأويلها ويؤخذ من ذلك ما في الأسماء واللغات من الاستعارة والتشبيه إما في وضع اللفظ بحيث يصير حقيقة في الاستعمال وإما في الاستعمال فقط مع القرينة اذا كانت الحقيقة أخرى فان مسميات الأسماء المتشابهة متشابهة ويؤخذ من ذلك ضرب الأمثال للتصوير تارة وللتصديق أخرى وهو نافعة جدا وذلك أن أدرك النفس لعين الحقائق قليل وما لم يدركه فإنما يعرفه بالقياس على ما عرفته فاذا كان هذا في المعرفة ففي التعريف ومخاطبة الناس أولى وأحرى<sup>1</sup>

\*أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله إلهاً آخر مساوياً له في الصفات والأفعال بل ولا كانوا يقولون إن الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم ولا أن الأصنام تخلق شيئاً من العالم ومن ظن أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النجم أو الشمس أو القمر رب العالمين أو أن الخليل عليه السلام لما قال هذا ربي أراد به رب العالمين فقد غلط غلطا بينا بل قوم إبراهيم كانوا مقرين بالصانع وكانوا يشركون بعبادته كأمثالهم من المشركين فأخبر تعالى عن الخليل أنه عدو لكل ما يعبدونه إلا لرب العالمين كما قال تعالى {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} الأنعام 79 ولم يقل من المعطلين فإن قومه كانوا يشركون ولم يكونوا معطلين كفرعون اللعين فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدلوا به وجعلوا له أندادا في العبادة والمحبة والدعاء وهذا كما قال تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام<sup>1</sup>

### { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ }

\*ودين الإسلام مبنى على أصليين وهما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأول ذلك أن لا تجعل مع الله الهاً آخر فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله ولا ترجوه كما ترجو الله ولا تخشاه كما تخشى الله ومن سوى بين المخلوق والخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله وهو من الذين برّهم يعدلون وقد جعل مع الله الهاً آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السموات والأرض كما قال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} العنكبوت 61 وكانوا مع ذلك مشركين يجعلون مع الله إلهة أخرى<sup>1</sup>

\* والقرآن ملآن من توحيد الله تعالى وأنه ليس كمثلته شىء فلا يمثل به شىء من المخلوقات فى شىء من الأشياء إذ ليس كمثلته شىء لافى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله ولا فيما يستحقه من العبادة والمحبة والتوكل والطاعة والدعاء وسائر حقوقه قال تعالى { رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا } مريم65 فلا أحد يساميه ولا يستحق أن يسمى بما يختص به من الأسماء ولا يساويه فى معنى شىء من الأسماء لا فى معنى الحى ولا العليم ولا القدير ولا غير ذلك من الأسماء ولا فى معنى الذات والموجود ونحو ذلك من الأسماء العامة ولا يكون إلهها ولا ربا ولا خالفا فقال تعالى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } {1} { اللَّهُ الصَّمَدُ } {2} { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } {3} { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } {4} { الاخلاص 1-4 } فلم يكن أحد يكافيه فى شىء من الأشياء فلا يساويه شىء ولا يماثله شىء ولا يعادله شىء قال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } { الأنعام 1 } وقال تعالى { فَكَبَرُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ } {94} { وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ } {95} { قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ } {96} { تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } {97} { إِذْ نَسَوْنَ رَبَّ الْعَالَمِينَ } {98} { الشعراء 94-98 } وقال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ } {73} { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَّا تَعْلَمُونَ } {74} { النحل 73-74 }<sup>1</sup>

### الله صفات اختيارية

\* وقوله { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } { الأنعام 1 } { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ } { الكهف 1 } ونحو ذلك

فاذا لم يكن له فعل يقوم به باختياره امتنع ذلك كله فانه من  
المعلوم بصريح العقل أنه اذا خلق السموات والارض  
فلابد من فعل يصير به خالقا والافلو استمر الامر على حال  
واحدة لم يحدث فعل لكان الامر على ما كان قبل أن يخلق وحينئذ  
فلم يكن المخلوق موجودا فكذلك يجب أن لا يكون المخلوق  
موجودا ان كان الحال في المستقبل مثل ما كان في الماضي لم  
يحدث من الرب فعل هو خلق السموات والارض وقد قال تعالى  
{ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ  
{ الكهف 51 } ومعلوم أنهم قد شهدوا نفس المخلوق فدل على أن  
الخلق لم يشهده وهو تكوينه لها واحداثه لها غير المخلوق  
الباقي وأيضا فانه قال { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي  
سِتَّةِ أَيَّامٍ } الأعراف 54 فالخلق لها كان في ستة أيام وهي  
موجودة بعد المشيئة فالذى اختص بالمشيئة غير الموجود بعد  
المشيئة وكذلك { الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ } البقرة 163 فان  
الرحمن الرحيم هو الذى يرحم العباد بمشيئته وقدرته فان لم يكن  
له رحمة الا نفس ارادة قديمة او صفة أخرى قديمة لم يكن  
موصوفا بأنه يرحم من يشاء ويعذب من يشاء قال الخليل { قُلْ  
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّسَاءَ  
الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 20 { يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ  
مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ } 21 { العنكبوت 20-21 فالرحمة ضد  
التعذيب والتعذيب فعله وهو يكون بمشيئته كذلك الرحمة تكون  
بمشيئته كما قال { وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ } العنكبوت 21

\* جاءت الكتب الإلهية بخطاب الناس بالمعقولات الصحيحة  
القطرية فإن الرسل بعثوا بتقرير الفطرة وتكميلها لا بتغيير  
الفطرة وتحويلها والنفس إنما تنال كمالها بسعادتها ونجاتها  
بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة ولهذا حيث ذكر الله في كتابه  
شيئا من هذه الأسماء التي تدل على الفعل لم يعقل العقلاء من  
ذلك إلا أنه محدث كقوله تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ



{ الأنعام 1 } إلى أمثال ذلك من الخطاب الذي قد علم بالإضطرار  
معناه وأن بناءها أمر حادث كان بعد أن لم يكن<sup>1</sup>

### إن الله خلق ادم من تراب

\*قال تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ  
مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ } الأنعام 2 فإن الله خلق ادم من  
تراب وخلط التراب بالماء حتى صار طينا وأيس الطين حتى  
صار صلصالا كالفخار<sup>1</sup>

### أجل القيامة المسمى عنده فلا يعلمه إلا هو

\*قوله سبحانه { ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ } الأنعام 2  
فالأجل الأول هو أجل كل عبد الذي ينقضي به عمره و الأجل  
المسمى عنده هو أجل القيامة العامة ولهذا قال { وَأَجَلٌ  
مُّسَمًّى عِنْدَهُ } الأنعام 2 فإن وقت الساعة لا يعلمه ملك مقرب و  
لا نبي مرسل كما قال { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ  
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ } الأعراف 187  
بخلاف ما إذا قال مسمى كقوله { إِذَا تَدَايَيْنْتُم بِدِينٍ إِلَىٰ  
أَجَلٍ مُّسَمًّى } البقرة 282 إذ لم يقيد بأنه مسمى عنده فقد يعرفه  
العباد وأما أجل الموت فهذا تعرفه الملائكة الذين يكتبون  
رزق العبد و أجله و عمله و شقى أو سعيد كما قال في  
الصحيحين عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله صلى الله  
عليه و سلم و هو الصادق المصدوق ان أحدكم يجمع خلقه في  
بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون  
مضغة مثل ذلك ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال  
أكتب رزقه و أجله و عمله و شقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح  
فهذا الأجل الذي هو أجل الموت قد يعلمه الله لمن شاء من عباده  
وأما أجل القيامة المسمى عنده فلا يعلمه إلا هو<sup>1</sup>

{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ } { الأنعام 2 }

## ان الرب تعالى بائن من مخلوقاته

\*قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } { الزخرف 84 } أى هو إله من فى السموات وإله من فى الأرض كما قال الله تعالى { وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } { الروم 27 } وكذلك قوله تعالى { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } { الأنعام 3 } كما فسره أئمة العلم

كالامام احمد وغيره انه المعبود فى السموات والأرض واجمع سلف الأمة وأئمتها على ان الرب تعالى بائن من مخلوقاته يوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل يوصف بصفات الكمال دون صفات النقص ويعلم انه ليس كمثله شىء فى صفات الكمال كما قال الله تعالى { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } { 1 } { اللَّهُ الصَّمَدُ } { 2 } { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } { 3 } { وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ } { 4 } { 1-4 } قال ابن عباس الصمد العليم الذى كمل فى علمه العظيم الذى كمل فى عظمته القدير الكامل فى قدرته الحكيم الكامل فى حكمته السيد الكامل فى سؤده وقال ابن مسعود وغيره هو الذى لا جوف له والاحد الذى لا نظير له فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال ونفى النقائص عنه واسمه الاحد يتضمن اتصافه انه لا مثل له<sup>1</sup>

## الله سبحانه رب كل شىء ومليكه

\*ولما كانت كل حركة وعمل فى العالم فأصلها المحبة والإرادة وكل محبة وإرادة لا يكون أصلها محبة الله وإرادة وجهه فهى باطلة فاسدة كان كل عمل لا يراد به وجهه باطلا فأعمال الثقلين الجن والإنس منقسمة منهم من يعبد الله ومنهم من لا يعبد بل قد يجعل معه إلهها آخر وأما الملائكة فهم عابدون لله وجميع

الحركات الخارجة عن مقدور بني آدم والجن والبهائم فهي من عمل الملائكة وتحريكها لما في السماء والأرض وما بينهما فجميع تلك الحركات والأعمال عبادات لله متضمنة لمحبتة وإرادته وقصده وجميع المخلوقات عابدة لخالقها إلا ما كان من مردة الثقلين وليست عبادتها إياه قبولها لتدبيره وتصريفه وخلقه فإن هذا عام لجميع المخلوقات حتى كفار بني آدم فلا يخرج أحد عن مشيئته وتدبيره وذلك بكلمات الله التي كان النبي يستعيز بها فيقول أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وهذا من عموم ربو بيته وملكه وهذا الوجه هو الذي أدركه كثير من أهل النظر والكلام حتى فسروا ما في القرآن والحديث من عبادة الأشياء وسجودها وتسبيحها بذلك وهم غالطون في هذا التخصيص شرعا وعقلا أيضا فإن المعقول الذي لهم يعرفهم أن كل شيء وكل متحرك وأن كان له مبدأ فلا بد له من غاية ومنتهى كما يقولون لها علتان فاعلية وغائية والذي ذكروه إنما هو من جهة العلة الفاعلية وبعض المخلوقين كذلك يجعلونه من جهة العلة الغائية وهذا غلط فلا يصلح أن يكون شيء من المخلوقات علة فاعلية ولا غائية إذ لا يستقل مخلوق بأن يكون علة تامة قط ولهذا لم يصدر عن مخلوق واحد شيء قط ولا يصدر شيء في الآثار إلا عن اثنين من المخلوقات كما قد بينا هذا في غير هذا الموضوع وكذلك لا يصلح شيء من المخلوقات أن يكون علة غائية تامة إذ ليس في شيء من المخلوقات كمال مقصود حتى من الأحياء فالمخلوقات بأسرها يجتمع فيها هذان النقصان أحدهما أنه لا يصلح شيء منها أن تكون علة تامة لا فاعلية ولا غائية والثاني أن ما كان فيها علة فله علة سواء كان علة فاعلية أو غائية فالله سبحانه رب كل شيء ومليكه وهو رب العالمين لا رب لشيء من الأشياء إلا هو وهو إله كل شيء وهو في السماء إله وفي الأرض إله وهو الله في السموات وفي الأرض لو كان فيهما إلهة إلا الله لفسدنا وما من إله إلا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا

فعبادة المخلوقات وتسبيحها هو من جهة إلهيته سبحانه وتعالى  
وهو الغاية المقصودة منها ولها<sup>1</sup>

\* وهو كما يشهد ربوبيته وتدبيره العالم المحيط وحكمته  
ورحمته فكذلك يشهد إلهيته العامة فانه { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ  
وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } الزخرف 84 إله في السماء وإله في الأرض  
{ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ  
{ الرحمن 29 وكذلك قوله { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي  
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } الأنعام 3 على  
أحد القولين على وقف من يقف عند قوله { وَفِي الْأَرْضِ  
{ الأنعام 3 فان المعنى هو في السموات الله وفي الأرض الله ليس  
فيهما من هو الله غيره وهذا وان كان مشابها لقوله { وَهُوَ  
الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ } الزخرف 84 فهو أبلغ  
منه ونظيره قوله { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } الأنبياء 22  
وقد قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي بَدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ  
وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ  
{ الروم 27 وقوله { سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } الحديد 1 وقوله { وَبِاللَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم بِالْعُدْوَىٰ وَالْأَصَالِ  
{ الرعد 15 وهذا من معاني ألوهيته وخضوع الكائنات واسلامها  
له وافتقارها اليه وسؤالها اياه ودعاء الخلق اياه اما دعاء عبادة  
واما دعاء مسألة واما دعاؤهما جميعا ومن أعرض عنه  
وقت الاختيار { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ  
إِلَّا إِلَهُهُ } الإسراء 67 { أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ } النمل 62  
ونشهد أن كل معبود سواه من لدن عرشه الى قرار أرضه فإنه  
باطل الا وجهه الكريم كما نشهد أنها كلها مفتقرة اليه في مبدئها  
نشهد أنها مفتقرة اليه في منتهاها والا كانت باطلة<sup>1</sup>

## حلول المثال العلمي

\* (فيه نقص في البداية ) قال تعالى { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } الأنعام 3 يراد به حلول المثال العلمي ومن هذا الباب ما يرويه النبي عن ربه قال يقول الله أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه فأخبر أن شفتيه تتحرك به أي باسمه وكذلك قوله في الحديث الصحيح عبدي مرضت فلم تعدني فيقول العبد رب كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده فقال لوجدتني عنده ولم يقل لوجدتني إياه وهو عنده أي في قلبه والذي في قلبه المثال العلمي وقال تعالى عبدي جعت فلم تطعمني فيقول وكيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي ولم يقل لوجدتني قد أكلته وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفي رواية فبي يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي ولإن سألتني لأعطينه ولإن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته وهذا الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام أو الاتحاد العام أو وحدة الوجود وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك كأشباه النصارى والحديث حجة على الفريقين فإنه قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب فأثبت ثلاثة وليا له وعدوا يعادي وليه ويميز بين نفسه وبين وليه وعدو وليه فقال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ولكن دل ذلك على أن وليه الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي فيكون الرب مؤذنا بالحرب لمن عاداه بأنه معاد الله ثم قال تعالى وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما

افتترضت عليه ففرق بين العبد المتقرب والرب المتقرب إليه ثم قال ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فبين أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض ثم قال فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة هو صدره وبطنه وظهره ورأسه وشعره وهو كل شيء أو في كل شيء قبل التقرب وبعده وعند الخاص وأهل الحلول صار هو وهو كالنار والحديد والماء واللين لا يختص بذلك آلة الإدراك والفعل ثم قال تعالى فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وعلى قول هؤلاء الرب هو الذي يسمع ويبصر ويبطش ويمشي والرسول إنما قال فبي ثم قال ولئن سألتني لأعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه فجعل العبد سائلاً مستعيذاً والرب مسؤولاً مستعازاً به وهذا يناقض الاتحاد وقوله فبي يسمع مثل قوله ما تحركت بي شفته يريد به المثال العلمي وقول الله فيكون الله في قلبه أي معرفته ومحبته وهواه ومولاته وهو المثل العلمي فبذلك الذي في قلبه يسمع ويبصر ويبطش ويمشي والمخلوق إذا أحب المخلوق أو عظمه أو أطاعه يعبر عنه بمثل هذا فيقول أنت في قلبي وفي فؤادي وما زلت بين عيني ومنه قول القائل مثالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فأين تغيب وقول الآخر ومن عجبني أني أحن إليهم وأسأل عنهم من لقيت وهم معي وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشناقهم قلبي وهم بين أضلعي ومثل هذا كثير مع علم العقلاء أن نفس المحبوب المعظم هو في نفسه ليست ذاته في عين محبه ولا في قلبه ولكن قد يشتهه هذا بهذا حتى يظن الغالطون أن نفس المحبوب المعبود في ذات المحب العابد ولذلك غلط بعض الفلاسفة حتى ظنوا أن ذات المعلوم المعقول يتحد بالعالم العاقل فجعلوا المعقول والعقل والعاقل شيئاً واحداً ولم يميزوا بين حلول مثال المعلوم وبين حلول ذاته وهذا يكون لضعف العقل وقوة سلطان المحبة والمعرفة فيغيب الإنسان

بمعبوده عن عبادته وبمحبوبه عن محبته وبمشهوده عن شهادته  
وبمعروفه عن معرفته فيفنى من لم يكن عن شهود العبد لا أنه  
نفسه يعدم ويفنى في من لم يزل في شهوده فينبغي أن يعرف  
هذا النوع من الكلام فإنه تنحل به إشكالات كثيرة فإن هذا موجود  
في كلام الله ورسله وكلام المخلوقين في عامة الطوائف مع  
ظهور المعنى ومعرفة المتكلم والمخاطب أنه ليس المراد أن ذات  
أحدهما اتحدت بذات الآخر بل أبلغ من ذلك يطلق لفظ الحلول  
والإتحاد ويراد به معنى صحيح كما يقال فلان وفلان بينهما  
إتحاد إذا كانا متفقين فيما يحببان ويغضبان ويواليان ويعاديان فلما  
اتحد مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان وبينهما إتحاد  
ولا يعني بذلك أن ذات هذا اتحدت بذات الآخر كإتحاد النار  
والحديد والماء واللبن أو النفس والبدن وكذلك لفظ الحلول  
والسكنى والتخلل وغير ذلك<sup>1</sup>

\*فالمؤمنون يعرفون الله ويحبونه ويعبدونه ويذكرونه ويقال هو  
في قلوبهم والمراد معرفته ومحبته وعبادته وهو المثل العلمي  
ليس المراد نفس ذاته كما يقول الإنسان لغيره أنت في قلبي وما  
زلت في قلبي وبين عيني ويقال ساكن في القلب يعمره  
لست أنساه فأذكره<sup>1</sup>

\*وهو سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه وفي سنة نبويه  
بقربه من الداعي وقربه من المتقرب إليه فقال تبارك وتعالى  
{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ  
{البقرة 186 وثبت في الصحيحين عن أبي موسى أنهم  
كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فكانوا  
يرفعون أصواتهم بالتكبير فقال ايها الناس أربعوا على أنفسكم  
فانكم لا تدعون أصم ولا غائبا انما تدعون سميعا قريبا أن الذي  
تدعونه أقرب الى أحدكم من عنق راحلته وفي الصحيحين  
عن النبي يقول الله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه  
ذراعا ومن تقرب الى ذراعا تقربت اليه باعا ومن أتانى يمشى

أتيتته هرولة وقربه من العباد بتقربهم اليه مما يقربه جميع من يقول أنه فوق العرش سواء قالوا مع ذلك أنه تقوم به الافعال الاختيارية أو لم يقولوا وأما من ينكر ذلك فمنهم من يفسر قرب العباد بكونهم يقاربونه ويشابهونه من بعض الوجوه فيكونون قريبين منه وهذا تفسير أبى حامد والمتفلسفة فانهم يقولون الفلسفة هي التشبه بالاله على قدر الطاقة ومنهم من يفسر قربهم بطاعتهم ويفسر قربهم بآثابته وهذا تفسير جمهور الجهمية فانهم ليس عندهم قرب ولا تقريب أصلا ومما يدخل فى معانى القرب وليس فى الطوائف من ينكره قرب المعروف والمعبود الى قلوب العارفين العابدين فان كل من أحب شيئا فانه لا بد ان يعرفه ويقرب من قلبه والذى يبغضه يبعد من قلبه لكن هذا ليس المراد به أن ذاته نفسها تحل فى قلوب العارفين العابدين وانما فى القلوب معرفته وعبادته ومحبته والايمان به ولكن العلم يطابق المعلوم وهذا الايمان الذى فى القلوب هو المثل الأعلى الذى له فى السموات والأرض وهو معنى قوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ } { الزخرف 84 } وقوله { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ } { الأنعام 3 } وقد غلط فى هذه الآية طائفة من الصوفية والفلاسفة وغيرهم فجعلوه حلول الذات وإتحادها بالعباد والعارف من جنس قول النصارى فى المسيح وهو قول باطل كما قد بسط فى موضعه والذين يثبتون تقريبه العباد الى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة وهو قول الأشعرى وغيره من الكلاية فانهم يثبتون قرب العباد الى ذاته وكذلك يثبتون إستواءه على العرش بذاته ونحو ذلك ويقولون الاستواء فعل فعله فى العرش فصار مستويا على العرش وهذا ايضا قول ابن عقيل وابن الزاغونى وطوائف من أصحاب أحمد وغيرهم وأما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الافعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ونزوله واستوائه على العرش وهذا مذهب أئمة



السلف وأئمة الاسلام المشهورين وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر وأول من أنكر هذا في الاسلام الجهمية ومن وافقهم من المعتزلة وكانوا ينكرون الصفات والعلو على العرش ثم جاء ابن كلاب فخالفهم في ذلك واثبت الصفات والعلو على العرش لكن وافقهم على أنه لا تقوم به الامور الاختيارية ولهذا أحدث قوله في القرآن أنه قديم لم يتكلم به بقدرته ولا يعرف هذا القول عن أحد من السلف بل المتواتر عنهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق وان الله يتكلم بمشيئته وقدرته كما ذكرت ألفاظهم في كتب كثيرة في مواضع غير هذا فالذين يثبتون أنه كلم موسى بمشيئته وقدرته كلاما قائما به هم الذين يقولون أنه يدنو ويقرب من عباده بنفسه<sup>1</sup>

### {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }

قال الامام أحمد في كتابه الذي كتبه في الرد على الجهمية والزنداقة بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه5 وقال { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف54 فقالوا هو تحت الأرض السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون في مكان دون مكان ويتلون آيات من القرآن { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } الأنعام3 قلنا قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظيم الرب شيء فقالوا أي شيء قلنا أحشاءكم واجوافكم واجواف الخنازير والحشوش والأماكن القفرة ليس فيها من عظيم الرب شيء وقد أخبرنا أنه في السماء فقال { أَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ } الملك16 وقد قال جل ثناؤه { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } فاطر10 وقال تعالى { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } آل عمران55

وقال تعالى {بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ} النساء 158 وقال تعالى {وَلَهُ  
 مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ  
 وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ} الأنبياء 19 وقال تعالى {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مَنْ  
 فَوْقَهُمْ} النحل 50 وقال تعالى {ذِي الْمَعَارِجِ} 3 {تَعْرُجُ  
 الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} 4 {المعارج 3-4} وقال تعالى {وَهُوَ  
 الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} الأنعام 18 وقال تعالى {وَهُوَ الْعَلِيُّ  
 الْعَظِيمُ} الشورى 4 قال فهذا خبر الله أنه في السماء ووجدنا  
 كل شيء في اسفل مذموما يقول جل ثناؤه {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي  
 الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} النساء 145 وقال تعالى {وَقَالَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا  
 تَحْتَ أقدامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} فصلت 29 وقلنا لهم أليس  
 تعلمون ان ابليس مكانه مكان والشياطين مكانهم مكان فلم يكن  
 الله ليجتمع هو وابلليس في مكان واحد ولكن معنى قوله عز وجل  
 {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ} الأنعام 3 يقول هو اله  
 من في السموات واله من في الأرض وهو الله على العرش وقد  
 أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون  
 علم الله في مكان دون مكان وذلك قوله {لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} الطلاق 12 وقال  
 من الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير  
 صاف وفيه شيء صاف لكان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من  
 غير أن يكون ابن آدم في القدح والله وله المثل الأعلى قد أحاط  
 بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه وخصلة  
 أخرى لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ثم اغلق بابها وخرج  
 كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره وكم سعة كل بيت من  
 غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار فانه عز وجل وله  
 المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وعلم كيف هو وما هو من  
 غير أن يكون في شيء مما خلق<sup>1</sup>

## النسخ لا يجوز في الأخبار

\*وقال الامام أبو عبدالله الحارث بن اسماعيل بن أسد المحاسبى فى كتابه المسمى فهم القرآن قال فى كلامه على النسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز فى الأخبار قال لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شىء إلى أن قال وكذلك لا يجوز اذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع الاصوات ولا قدره له ولا يتكلم ولا كلام كان منه وأنه تحت الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك فاذا عرفت ذلك واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فان تلوت آية فى ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض اخباره وكذلك قوله تعالى { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } الأنعام 18 وقوله { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 وقوله { أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُمْ نَارًا } المؤمنون 16 وقوله { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } فاطر 10 وقال { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } السجدة 5 وقال { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } المعارج 4 وقال لعيسى { إِنِّي مُتَوَقِّئُكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } آل عمران 55 الآية وقال { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } النساء 158 وقال { إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ } الأعراف 206 وذكر الآلهة أن لو كان آلهة لا يتعوا الى ذى العرش سبيلا حيث هو فقال { قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } الإسراء 42 أى طلبه وقال { سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } الأعلى 1 قال أبو عبدالله فلن ينسخ ذلك لهذا أبدا كذلك قوله { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ } الزخرف 84 وقوله { وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ } ق 16 وقوله { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ

**يَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَجَهْرَكُمْ { الأنعام 3 }** وقوله { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاقِعُهُمْ { المجادلة 7 الآية فليس هذا بناسخ لهذا ولا هذا ضد لذلك وأعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته فيكون في أسفل الأشياء أو ينتقل فيها لانتقالها ويتبعض فيها على أقدارها ويزول عنها عند فنائها جل وعز عن ذلك وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله تعالى في كل مكان بنفسه كأننا كما هو على العرش لا فرقان بين ذلك ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه لأن كل من يثبت شيئاً في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى في كل شيء بنفسه كأننا ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا لا كالشيء في الشيء قال ابو عبدالله لنا قوله { حَتَّى نَعْلَمَ } محمد 31 { وَسَيَرَى اللَّهُ } التوبة 94 { إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ } الشعراء 15 فانما معناه حتى يكون الموجود فيعلمه موجودا ويسمعه مسموعا ويبصره مبصرا لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر وأما قوله { وَإِذَا أَرَدْنَا } الإسراء 16 اذا جاء وقت كون المراد فيه وان قوله { عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } الأنعام 18 الآية { أَلَمْ نَكُنْ مِنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16 { إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } الإسراء 42 فهذا وغيره مثل قوله { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } المعارج 4 { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } فاطر 10 هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزه عن الدخول في خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده لأنه قال { أَلَمْ نَكُنْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضُ } الملك 16 يعنى فوق العرش والعرش على السماء لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء في السماء وقد قال مثل ذلك في قوله { فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ } التوبة 2 يعنى على الأرض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله { يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ } المائدة 26 يعنى على الأرض لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله {

وَأَصْلِبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ { طه 71 } يعنى فوقها عليها  
 وقال { أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ { الملك 16 } ثم فصل فقال {  
 أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ { الملك 16 } ولم يصل فلم يكن لذلك  
 معنى اذا فصل قوله { مَن فِي السَّمَاءِ { الملك 16 } ثم استأنف  
 التخويف بالخسف إلا أنه على عرشه فوق السماء وقال تعالى  
 { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ { السجدة 5 }  
 وقال { تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ { المعارج 4 } فبين  
 عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف وقت صعودها  
 بالارتفاع صاعدة اليه فقال { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ  
 سَنَةٍ { المعارج 4 } فقال صعودها اليه وفصله من قوله اليه كقول  
 القائل اصعد الى فلان فى ليلة أو يوم وذلك أنه فى العلو وان  
 صعودك اليه فى يوم فاذا صعدوا الى العرش فقد صعدوا الى الله  
 عز وجل وان كانوا لم يروه ولم يساوه فى الارتفاع فى علوه  
 فإنهم صعدوا من الأرض ورجوا بالأمر الى العلو قال تعالى  
 { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ { النساء 158 } ولم يقل عنده<sup>1</sup>

\*قال الله تعالى { وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى { الروم 27 } وكقوله  
 { وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ { الزخرف 84 }  
 { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ { الأنعام 3 } وهو المثل  
 فى قوله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ { الشورى 11 } فانه سبحانه لا يماثله  
 شىء اصلا فنفسه المقدسة لا يماثلها شىء من الموجودات  
 وصفاتها لا يماثلها شىء من الصفات وما فى القلوب من معرفته  
 لا يماثله شىء من المعارف ومحبته لا يماثلها شىء فله المثل  
 الأعلى كما أنه فى نفسه الأعلى<sup>1</sup>

### الكسب هو الفعل الذى يعود على فاعله بنفع أو ضرر

\*قال تعالى { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
 وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ { الأنعام 3 } أن الكسب هو الفعل الذى  
 يعود على فاعله بنفع أو ضرر كما قال تعالى { لَهَا مَا كَسَبَتْ  
 وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ { البقرة 286 } فبين سبحانه أن كسب النفس

لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما  
أنه ينتفع بذلك<sup>1</sup>

## الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة

\*والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي  
أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسمونها من يسميها من  
النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه  
الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من  
لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب  
والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات  
فكثير في القرآن كقوله تعالى في حق محمد { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ  
آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } {4} فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } {5}  
الانعام 4-5<sup>1</sup>

## الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة

\*والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي  
أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسمونها من يسميها من  
النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه  
الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من  
لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب  
والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات  
فكثير في القرآن كقوله تعالى في حق محمد { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ  
آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } {4} فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ  
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } {5}  
الانعام 4-5<sup>1</sup>

\*ومما ينبغي ان يعلم أن الله إذا أرسل نبيا وأتى بآية دالة على  
صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة فمن طالبهم بآية  
ثانية لم تجب إجابته إلى ذلك بل وقد لا ينبغي ذلك لأنه إذا جاء

بأية ثانية طولب بثالثة وإذا جاء بثالثة طولب برابعة وطلب  
 المتعنتين لا أمد له ومعلوم أنه قامت عليه حجة في مسألة علم أو  
 حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها وقال أنا لا أقبل حتى  
 تقوم عليه حجة ثانية وثالثة كان ظالما متعديا ولم يجب إجابته  
 إلى ذلك ولا يمكن الحكام الخصوم من ذلك بل إذا قامت البينة  
 بحق المدعي حكم له بذلك ولو قال المطلوب أريد بينة ثانية  
 وثالثة ورابعة لم يجب إلى ذلك فحق الله الذي أوجبه على عباده  
 من توحيده والإيمان به وبرسله أولى إذا أقام بينة أوجبت على  
 الخلق الإيمان برسله أن لا يجب إجابة الطالب إلى ثانية وثالثة ثم  
 قد يكون في تتابع الآيات حكمة فيتابع تعالى بين الآيات كما  
 أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بآيات متعددة لعموم دعوته  
 وشمولها فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان  
 أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من  
 لا يعرف الآخر وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا وقد يرسل الأنبياء  
 بآيات متتابعة وتقسي قلوب الكفار عن الإيمان لتتابع الآيات اية  
 بعد آية لينتشر ذلك ويظهر ويبلغ ذلك قوما آخرين فيكون ذلك  
 سببا لإيمانهم كما فعل بآيات موسى وآيات محمد كما ذكر في  
 التوراة أنه يقسي قلب فرعون لتظهر عجائبه وآياته وكما صد  
 المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يمانعوه ويسعوا في معارضته  
 والقدح في آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره  
 من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه بخلاف ما لو  
 اتبع ابتداء بدون ذلك فإنه قد كان يظن أنهم قادرون على  
 معارضته وكذلك أيضا يكون في ذلك على يقينه وصبره وجهاده  
 ويقين من آمن به وصبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم  
 الدرجات في الدنيا والآخرة وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل  
 بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في كتابه من  
 أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي  
 جاؤوا بها فتارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة  
 وتارة لا يجيبهم لما فيه في ذلك من المصرة والمفسدة عند

جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم الذين يقولون إنه يفعل للحكمة ومن لم يعلل أفعاله يرد ذلك إلى محض المشيئة ويقول إقترن بالمراد والمفسدة عادة وسنة من الله وإن لم يفعل هذا لهذا وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في إيمانهم بها فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى بل تستلزم إقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كما فعل بفرعون وأبي لهب وغيرهما لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما وقد بين أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها أو لوجود المفسدة قال تعالى { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {109} وَنَقَلِبْ أُنْفُسَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } {110} وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لَيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } {111} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {112}

الانعام 109-112 قال تعالى { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } {الإسراء 59} بين سبحانه أنما منعه أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها الذي استحقوا بها الهلاك فإذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث وغيرها من كتب المسلمين وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان فقد ذكر المفسرون ما رواه أهل التفسير والحديث والمسند وغيرهم من حديث الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي



عنهم الجبال حتى يزرعوا قال فقليل له إن شئت تستأني بهم وإن  
 شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم  
 قال لا بل أستأني بهم فأنزل الله هذه الآية { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ  
 نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً  
 فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } الإسراء 59 وروى ابن  
 أبي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال سمعت الحسن البصري  
 في قوله { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ }  
 { الإسراء 59 قال رحمة لكم ايها الأمة أنا لو أرسلنا بالآيات  
 فكذبتم بها اصابكم ما اصاب من قبلكم وفي الإنجيل أن اليهود  
 طلبوا من المسيح آية من السماء فقال لهم المسيح الأمة الفاجرة  
 تطلب آية ولا تعطى إلا مثل آية نونان وقد كانت الآيات يأتي بها  
 محمد صلى الله عليه وسلم آية بعد آية فلا يؤمنون بها وقد كانت  
 الآيات يأتي بها محمد صلى الله عليه وسلم آية بعد آية فلا  
 يؤمنون بها قال تعالى { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا  
 كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } {4} فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ  
 يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } {5} أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ  
 قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ  
 عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ  
 وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } {6} وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي  
 قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ  
 مُبِينٌ } {7} وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ  
 ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } {8} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ  
 مَا يَلْبَسُونَ } {9} وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ  
 سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } {10} قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ  
 ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } {11} سورة الأنعام 4-11  
 أخير سبحانه بأن الآيات تأتيهم { وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ  
 إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } { الأنعام 4 وأنهم بتكذيبهم الحق سوف  
 يرون صدق ما جاء به الرسول كما أهلك من قبلهم بذنوبهم التي  
 هي تكذيب الرسول فإن الله يقول { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى

حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى  
 إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ {القصص 59} وأخبر بشدة كفرهم بأنه {وَلَوْ  
 نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ  
 هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ {الأنعام 7} وبين سبحانه أنه لو جعل الرسول  
 ملكا لجعله على صورة الرجل إذ كانوا لا يطيعون أن يروا  
 الملائكة في صورهم وحينئذ فكان اللبس يقع لظنهم أن الرسول  
 بشر لا ملك<sup>1</sup>

## الذكاء والأخلاق لا يوجب النجاة الا بالايمان بالله

### وتوحيده

\*قد جعل الله لكل شيء قدرا والقوم وان كان لهم ذكاء وفطنة  
 وفيهم زهد وأخلاق فهذا القدر لا يوجب السعادة والنجاة من  
 العذاب الا بالاصول المتقدمة من الايمان بالله وتوحيده واخلاص  
 عبادته والايمان برسله واليوم الاخر والعمل الصالح وإنما  
 قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الارادة فالذى يؤتى فضائل  
 علمية و ارادية بدون هذه الاصول يكون بمنزلة من يؤتى قوة فى  
 جسمه وبدنه بدون هذه الاصول وأهل الرأي والعلم بمنزلة  
 اهل الملك والامارة وكل من هؤلاء وهؤلاء لا ينفعه ذلك شيئا الا  
 ان يعبد الله وحده لا شريك له ويؤمن برسله وباليوم الآخر وهذه  
 الامور متلازمة فمن عبد الله وحده لزم ان يؤمن برسله ويؤمن  
 باليوم الاخر فيستحق الثواب والا كان من اهل الوعيد يخلد فى  
 العذاب هذا اذا قامت عليه الحجة بالرسل ولما كان كل  
 واحد من اهل الملك والعلم قد يعارضون الرسل وقد يتابعونهم  
 ذكر الله ذلك فى كتابه فى غير موضع فذكر فرعون والذى حاج  
 ابراهيم فى ربه لما آتاه الله الملك والملا من قوم نوح وعاد

وغيرهم من المستكبرين المكذبين للرسول وذكر قول علمائهم  
 كقوله { فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ  
 وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } {83} فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا  
 بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ } {84} فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ  
 لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ  
 الْكَافِرُونَ } {85} غافر 83-85 وقال تعالى { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ  
 اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ } {4} كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ  
 قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ  
 وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ  
 عِقَابِ } {5} غافر 4-5 الى قوله { الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ  
 سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ  
 عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } غافر 35 والسultan هو الوحي  
 المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير

موضع كقوله { أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهَوْا يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ  
 يُشْرِكُونَ } الروم 35 وقوله { مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ  
 } الأعراف 71 وقال ابن عباس كل سلطان في القرآن فهو  
 الحجة ذكره البخارى فى صحيحه وقد ذكر فى هذه  
 السورة سورة حم غافر من حال مخالفى الرسل من الملوك  
 والعلماء مثل مقول الفلاسفة و علمائهم ومجادلتهم واستكبارهم ما  
 فيه عبرة مثل قوله { إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ  
 سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ } غافر 56  
 ومثل قوله { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ  
 } {69} الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ  
 يَعْلَمُونَ } {70} إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ } {71}  
 فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ } {72} غافر 69-72 الى قوله  
 { ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ  
 تَمْرَحُونَ } غافر 75 وختم السورة بقوله تعالى { فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ  
 رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ } غافر 83 وكذلك  
 فى سورة الانعام والأعراف وعامة السور المكية وطائفة من

السور المدنية فانها تشتمل على خطاب هؤلاء وضرب الامثال ومقاييس لهم وذكر قصصهم وقصص الانبياء واتباعهم معهم فقال سبحانه {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} {الأحقاف} 26

فأخبر بما مكنهم فيه من اصناف الادراكات والحركات واخبر ان ذلك لم يغن عنهم حيث جحدوا آيات الله وهى الرساله التي بعث بها رسله ولهذا حدثنى ابن الشيخ الحصرى عن والده الشيخ الحصرى شيخ الحنيفه فى زمنه قال كان فقهاء بخارى يقولون فى ابن سينا كان كافرا ذكيا وقال الله تعالى {أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ} {غافر} 21 الآية والقوة نعم قوة الادراك النظرية وقوة الحركة العمليه وقال فى الآية الأخرى {كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ} {غافر} 82 فأخبر بفضلهم فى الكم والكيف وانهم اشد فى انفسهم وفى آثارهم فى الارض وقال تعالى {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} {82} فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} {83} {غافر} 82-83 وقال تعالى {وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلَفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} {6} يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} {7} {الروم} 6-7 الى قوله {اللَّهُ بِيَدِ الْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} {الروم} 11 وقال تعالى {فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} {5} {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} {6} {الأنعام} 5-6 وقد قال سبحانه عن اتباع هؤلاء الاثمه من اهل الملك والعلم

المخالفين للرسول {يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا  
أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ} {66} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا  
وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ  
وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا {68} {الاحزاب 66-68} وقال تعالى {وَإِذْ  
يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا  
فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ { غافر 47 الى قوله } قَالَ  
الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدَ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ { غافر 48  
ومثل هذا فى القرآن كثير يذكر فيه من اقوال اعداء الرسل  
وافعاهم وما اوتوه من قوى الادراكات والحركات التى لم تتفهم  
لما خالفوا الرسل وقد ذكر الله سبحانه ما فى المنتسبين  
الى اتباع الرسل من العلماء والعباد والملوك من النفاق والضلال  
فى مثل قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ  
وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ  
{التوبة 34 يستعمل لازما يقال صد صدودا اى اعرض كما قال  
تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ  
رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا {النساء 61 ويقال صد  
غيره يصدّه والوصفان يجتمعان فيهم ومثل قوله {أَلَمْ تَرَ إِلَى  
الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِبْتِ وَالطَّاعُوتِ  
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا  
{النساء 51 وفى الصحيحين عن ابي موسى عن النبى قال  
مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجه طعمها طيب وريحها  
طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب  
ولا ريح لها ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها  
طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظل  
طعمها مر ولا ريح لها فبين ان فى الذين يقرءون القرآن  
مؤمنين ومنافقين<sup>1</sup>

## الأعمال هى سبب فى الثواب والعقاب

\* الأعمال هي سبب في الثواب و العقاب فلو قال قائل إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب و أنه قدر ذلك أو قال إنه غفر لآدم بلا توبة و إنه علم ذلك كان هذا كذبا و بهتاناً بخلاف ما إذا قال {فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} البقرة 37 {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَؤَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} طه 121 فإنه يكون صادقا في ذلك و الله سبحانه علم ما يكون من آدم قبل أن يكون و هو عالم به بعد أن كان و كذلك كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنه علم أنه أهلك نوح و عاد و ثمود و فرعون و لوط و مدين و غيرهم بذنوبهم و أنه نجي الأنبياء و من إتبعهم بإيمانهم و تقواهم كما قال {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} الأعراف 165 و قال {فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} العنكبوت 40 و قال {فَأَهْلَكْنَا هُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِم قَرْنًا آخَرِينَ} الأنعام 6<sup>1</sup>

## الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحوها تغيير في وجه العقل والأعراض عنها قدح في الشرع

\*منهم (الرافضة) يتركون الأسباب الدنيوية ويجعلون وجود السبب كعدمه و منهم قوم يتركون الأسباب الأخروية فيقولون إن سبق العلم والحكم أنا سعادة فنحن سعداء وإن سبق أنا أشقياء فنحن أشقياء فلا فائدة في العمل و منهم من يترك الدعاء بناء على هذا الأصل الفاسد ولا ريب أن هذا الأصل الفاسد مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة الدين ومخالف لصريح المعقول ومخالف للحس والمشاهدة و قد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن إسقاط الأسباب نظرا إلى القدر فرد ذلك كما ثبت في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد إلا وقد علم مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا يا رسول الله

أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي الصحيح أيضا أنه قيل له يا رسول الله أرأيت ما يكدر الناس فيه اليوم ويعملون أشيء قضى عليهم ومضى أم فيما يستقبلون مما أتاهم فيه الحجة فقال بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم قالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على كتابنا فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له أرأيت أدوية تتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وقد قال تعالى في كتابه { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 وقال تعالى { وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ } فاطر 9 وقال { فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } الأنعام 6 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد عسى أن تخلف فينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون فكيف يمكن أن يشهد أن الله لم ينصب على توحيده دليلا ولا جعل للنجاة من عذابه وسيلة ولا جعل لما يفعله المتوكل من عباده سببا وهو مسبب الأسباب وخالق كل شيء بسبب منه لكن الأسباب كما قال فيها أبو حامد وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهما الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا تغيير في وجه العقل والأعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع<sup>1</sup>

## كثير في اللغة يكون أمران متلازمان فيطلق الاسم عليهما

\*كثير في اللغة يكون أمران متلازمان إما دائما وإما غالبا فيطلق الاسم عليهما ويغلب هذا تارة وهذا تارة وقد يقع على أحدهما مفردا كلفظ النهر و القرية و الميزاب ونحو

ذلك مما فيه حال ومحل فالإسم يتناول مجرى الماء والماء  
الجاري وكذلك لفظ

القرية يتناول المساكن والسكان ثم تقول حفر النهر فالمراد به  
المجرى و تقول جرى النهر فالمراد به الماء وتقول جرى  
الميزاب تعنى الماء ونصب الميزاب تعنى الخشب و قال تعالى  
{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمَنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا  
مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ  
بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } النحل 112 والمراد السكان فى المكان وقال  
تعالى { وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ  
} الأعراف 4 و قال تعالى { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ  
الَّتِي آفَيْلْنَا فِيهَا } يوسف 82 و قال تعالى { وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ  
لَمَّا ظَلَمُوا } الكهف 59 و قال تعالى { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا  
أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ } هود 102 و قال تعالى { لَنُنذِرَ أُمَّ  
الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا } الشورى 7 و قال تعالى { فَكَأَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ  
أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبُرُءٌ مُّعْتَلَّةٌ  
وَقَصْرِ مَشِيدٍ } الحج 45 و الخاوي على عروشه المكان لا  
السكان و قال تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ  
عُرُوشِهَا } البقرة 259 لما كان المقصود بالقرية هم السكان  
كان إرادتهم أكثر فى كتاب الله وكذلك لفظ النهر لما كان  
المقصود هو الماء كان إرادته أكثر كقوله { وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ  
تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهِمْ } الأنعام 6 و قوله { وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا  
} الكهف 33 فهذا كثير أكثر من قولهم حفرنا النهر و  
كذلك إطلاق لفظ القرآن على نفس الكلام أكثر من إطلاقه على  
نفس التكلم وكذلك لفظ الكلام والقول والقصص و سائر أنواع  
الكلام يراد بها نفس الكلام أكثر مما يراد بها فعل المتكلم وهذه  
الأمور لیسطها موضع آخر <sup>1</sup>

ليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة



\*قال تعالى { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّانَهُمْ فِي  
الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمْكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا  
الْأَنْهَارَ تَجْرِيًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَا هُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ  
قَرْنًا آخَرِينَ } الانعام 6 كما جاء في الحديث المعروف أن سعد بن  
ابى وقاص قال يا رسول الله الرجل يكون حامية القوم ايسهم له  
مثل ما يسهم لا ضعفهم فقال يا سعد وهل تنصرون وترزقون  
الا بضعفانكم بدعائهم وصلاتهم واخلاصهم وقد يكون  
للرزق والنصر اسباب آخر فان الفجار والكفار أيضا يرزقون  
وينصرون وقد يجذب الارض على المؤمنين ويخيفهم من  
عدوهم لينيبوا اليه ويتوبوا من ذنوبهم فجميع لهم بين غفران  
الذنوب وتفريج الكروب وقد يملى للكفار ويرسل السماء عليهم  
مدرارا ويمددهم بأموال وبنين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون  
إما ليأخذهم فى الدنيا أخذ عزيز مقتدر واما ليضعف عليهم  
العذاب فى الآخرة فليس كل انعام كرامة ولا كل امتحان عقوبة  
قال الله تعالى { فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ  
فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ } 15 { وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ  
رَبِّي أَهَانَنِ } 16 { الفجر 15-16 }<sup>1</sup>

### الكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق

\*الكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق فان الكلابية أو  
بعضهم يفرق بين الكلام وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم  
بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربى وهو  
مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد  
سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى  
{الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ } الحجر 1 وقال {طس  
تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ } النمل 1 وقال {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ  
نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ } الأحقاف 29 الى قوله تعالى  
{ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا  
بَيْنَ يَدَيْهِ } الأحقاف 30 فبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو

الكتاب وقال {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ} {21} فِي لُوحٍ  
 مَّحْفُوظٍ {22} {البروج 21-22} وقال { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } {77} فِي  
 كِتَابٍ مَّكْنُونٍ {78} الواقعة 77-78 وقال { يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً  
 {2} فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ } {3} البينة 2-3 وقال { وَالطُّورِ } {1} وَكِتَابٍ  
 مَّسْطُورٍ {2} فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ {3} الطور 1-3 وقال { **وَلَوْ نَزَّلْنَا  
 عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ } {الأنعام 7} ولكن لفظ  
 الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب  
 فيه كما قال تعالى { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } {77} فِي كِتَابٍ  
 مَّكْنُونٍ {78} الواقعة 77-78 وقال { وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا } {الإسراء 13} <sup>1</sup>**

\* وقال تعالى { **وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ  
 بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ } {7} وَقَالُوا لَوْلَا  
 أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } {8}  
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ } {9}  
 المائدة 7-9 بين أن الرسول لو كان ملكا لكان في صورة رجل إذ لا  
 يستطيعون الأخذ عن الملك على صورته ولو كان في صورة رجل  
 لعاد اللبس <sup>1</sup>**

### الاقرار بالرب وملائكته معروف عند عامة الأمم

\* وكذلك الملائكة يقر بها عامة الأمم كما ذكر الله عن قوم نوح  
 وعاد وثمود وفرعون مع شركهم وتكذيبهم بالرسول أنهم كانوا  
 يعرفون الملائكة قال قوم نوح { مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ  
 يَبْفَضِلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً } {المؤمنون 24} وقال  
 { أَنْدَرْتَكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ } {13} { إِذْ جَاءَهُمْ  
 الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ  
 رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً } {14} { فصلت 13-14} وقال فرعون { أَمْ أَنَا

خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ {52} فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ  
أَسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ

مُفْتَرِينَ {53} الزخرف 52-53 وكذلك مشركوا العرب قال

تعالى {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّفُضِيَ

الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ} الأنعام 8 وقال تعالى {وَقَالُوا مَالِ هَذَا

الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ

فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا} الفرقان 7 وقال تعالى عن الأمم مطلقا {

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ

بَشَرًا رَسُولًا} 94 {قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ

مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} 95 {الإسراء 95-

96 فكانت هذه الأمم المكذبة للرسول المشركة بالرب مقرة بالله

وبملائكته فكيف بمن سواهم فعلم أن الاقرار بالرب وملائكته

معروف عند عامة الأمم<sup>1</sup>

### يجيب سبحانه عن شبه منكري جنس الرسالة

\*يقول سبحانه {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} الشعراء 105

{كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ} الشعراء 123 {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ

{الشعراء 141 {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ} الشعراء 160 ونحو

ذلك وكل من هؤلاء إنما جاءه رسول واحد لكن كانوا مكذبين

بجنس الرسل لم يكن تكذيبهم بالواحد لخصوصه وهذا بخلاف

تكذيب اليهود والنصارى لمحمد صلى الله عليه وسلم فانهم لم

يكذبوا جنس الرسل إنما كذبوا واحدا بعينه بخلاف مشركي

العرب الذين لم يعرفوا الرسل فان الله يحتج عليهم في القرآن

بأثبات جنس الرسالة ولهذا يجيب سبحانه عن شبه منكري

جنس الرسالة كقولهم {أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا} الإسراء 94

فيقول {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ

الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} النحل 43 أي هذا متواتر عند أهل

الكتاب فاسألوه عن الرسل الذين جاءتهم أكانوا بشرا أم لا

وكذلك قوله {وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّفُضِيَ

الأمرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ} 8} **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ} 9} الانعام 8-9** فانهم لا يستطيعون الاخذ عن الملك في صورته فلو أرسلنا اليهم ملكا لجعلناه رجلا في صورة الانسان وحينئذ كان يلتبس عليهم الامر ويقولون هو رجل والرجل لا يكون رسولا وكذلك الرسل قبله قال تعالى **{أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} الأعراف 63** {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ} يونس 2 وكما قال تعالى **{قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِّن الرُّسُلِ} الأحقاف 9** ونحو ذلك فكان علمهم بثبوت معين من هذا النوع يوجب العلم بقضية مطلقة وهو ان هذا النوع موجود بخلاف ما إذا اثبت ذلك ابتداء بلا وجود نظير فانه يكون اصعب وإن كان ممكنا فان نوحا اول رسول بعثه الله الى اهل الارض ولم يكن قبله رسول بعث الى الكفار المشركين يدعوهم الى الانتقال عن الشرك الى التوحيد وآدم والذين كانوا بعده كان الناس في زمهمن مسلمين كما قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشر قرون كلهم على الاسلام لكن لما بعث الله نوحا وانجى من آمن به وأهلك من كذبه صار هذا المعين يثبت هذا النوع أقوى مما كان يثبت ابتداء<sup>1</sup>

## البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أیده

### الله

\*قال تعالى {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 فقله {صَاحِبُكُمْ} النجم 2 تنبيه على نعمته على البشر واحسانه اليهم إذ بعث اليهم من يصحبهم ويصحبونه بشرا مثلهم فانهم لا يطيقون الاخذ عن الملك كما قال تعالى **{وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَّفُضِيَ الأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ} 8} **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبَسُونَ} 9} الانعام 8-9**** وروى ابن ابي حاتم عن ابي زرعة عن منجاب بن الحرث عن بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك عن ابن عباس ولو

أنزلنا ملكا لقضي الأمر لأهلكتناهم ثم لا ينظرون لا يؤخرون ولو  
 جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يقول لو اتاهم ملك ما أتاهم إلا في  
 صورة رجل لانهم لا يستطيعون النظر الى الملائكة وكذلك قال  
 غيره من المفسرين وللبسنا عليهم قالوا لخلطنا ولشبهنا عليهم ما  
 يخلطون ويشبهون على انفسهم حتى يشكوا فلا يدروا املك هو او  
 ادمى فبين سبحانه انه لو أنزل ملكا لم يمكنهم ان يروه إلا في  
 صورة بشر كما كان جبريل يأتي النبي صلى الله عليه وسلم إذا  
 رآه الناس في صورة دحية الكلبي او في صورة اعرابي لما اتاه  
 وسأله عن الاسلام والايمان والاحسان وكذلك لما اتوا ابراهيم  
 ولوطا ورأتهم سارة وقم لوط لم يأتوا إلا في صورة رجال  
 وكذلك لما اتى جبريل مريم عليها السلام لينفخ فيها اتاها في  
 صورة رجل قال تعالى { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا  
 سَوِيًّا } {17} قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا {18} قَالَ  
 إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا {19} مريم 17- 19  
 وإذا كانوا لا يستطيعون ان يروا الملك إلا في صورة رجل فلو  
 جاءهم لقالوا هذا بشر ليس بملك واشتبه الامر واختلط والتبس  
 الامر عليهم فلم تكن هذه شبهة تنقطع بانزال ملك وهذا كما  
 قال في السورة الاخرى { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ  
 أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا } {85} وَلَئِن سَأَلْنَا لَنُذَهَبَنَّ  
 بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا {86} إِلَّا رَحْمَةً  
 مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا {87} قُلْ لَئِن اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ  
 وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ  
 بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا {88} وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ  
 مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا {89} الي قوله { وَمَا  
 مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا  
 رَسُولًا } {94} قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ  
 لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا {95} الاسراء 85-95  
 وايضا في قوله { صَاحِبِكُمْ } التكوير 22 بيان انه عربي بعث  
 بلسانهم كما قال { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ

{ إبراهيم4 وقد قال تعالى { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ { التوبة128 قيل المراد من انفس العرب فالخطاب لهم وقيل من انفس بني ادم فهو بشر لا ملك ولا جني لان الخطاب لجميع الخلق الذين ارسل اليهم لا سيما وهذه في سورة براءة وهي من اخر القران نزولا وقيل ان هذه الاية اخر ما نزل وقد نزلت بعد دعوة الروم والفرس والقبط وهو بالمؤمنين من هؤلاء كلهم رؤف رحيم ولا ريب انه صلى الله عليه وسلم من الانس ومن العرب افضل الانس ومن قريش افضل العرب ومن بني هاشم افضل قريش والانفس يراد بهم جنس الانسان كما قال تعالى {لَوْلَا اِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا { النور12 فقوله صاحبكم مثل قوله من انفسكم ومثل قوله { أَكَاثِرٌ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ { يونس2 وقوله { سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا { الإسراء93 لم يقصد بهذا اللفظ تفضيل الملك عليه كما توهمه بعض الناس كما ان قوله ان اوحينا الى رجل { أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ { يونس2 وقوله { سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا { الإسراء93 لم يقصد به ان غيره افضل منه <sup>1</sup>

\*من الأشياء ما يرى ومنها ما لا يرى والفارق بينهما لا يجوز أن يكون أمورا عدمية لأن الرؤية أمر وجودي والمرئي لا يكون إلا موجودا فليست عدمية لا تتعلق بالمعدوم ولا يكون الشرط فيه إلا أمرا وجوديا لا يكون عدميا وكل ما لا يشترط فيه إلا الوجود دون العدم كان بالوجود الأكمل أولى منه بالانقاص فكل ما كان وجوده أكمل كان أحق بأن يرى وكل ما لم يمكن أن يرى فهو أضعف وجودا مما يمكن أن يرى فالأجسام الغليظة أحق بالرؤية من الهواء والضياء أحق بالرؤية من الظلام لأن النور أولى بالوجود والظلمة أولى بالعدم والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجودا وأبعد الأشياء عن العدم فهو أحق بأن يرى وإنما لم نره لعجز أبصارنا عن رؤيته لا لأجل امتناع رؤيته كما

أن شعاع الشمس أحق بأن يرى من جميع الأشياء ولهذا مثل النبي صلى الله عليه وسلم رؤية الله به فقال ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر شبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مثل المرئي ومع هذا فإذا حذق البصر في الشعاع ضعف عن رؤيته لا لامتناع في ذات المرئي بل لعجز الرائي فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله تعالى الأدميين وقواهم حتى أطاقوا رؤيته ولهذا لما تجلى الله عز وجل للجبل خر موسى صعقا { فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف 143 قيل أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده فهذا للعجز الموجود في المخلوق لا لامتناع في ذات المرئي بل كان المانع من ذاته لم يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهي الأمر إلى المعدوم الذي لا يتصور أن يرى خارج الرائي ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله كما أيد نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } {8} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ } {9} الأنعام 8-9 قال غير واحد من السلف هم لا يطيقون أن يروا الملك في صورته فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر وحينئذ كان يشتبه عليهم هل هو ملك أو بشر فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك إليهم فأرسلنا إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه وكان هذا من تمام الإحسان إلى الخلق والرحمة ولهذا قال تعالى { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } التكويد 22<sup>1</sup>

## لو جاء الملائكة في صورة لبشر لحصل اللبس

\* يبين أنه لم يرسل ملائكة بل رجالا من أهل القرى ليبين أن هذا معتاد معروف ليس هو أمرا لم تجر به عادة الرب فان الكفار كانوا يقولون إنما يرسل الله ملكا أو يرسل مع البشر ملكا قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ

الأمرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ {8} وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ {9} الأنعام 8-9 بين أنهم لا يطيقون الأخذ عن الملائكة إن لم يأتوا في صورة البشر ولو جاءوا في صورة لبشر لحصل اللبس<sup>1</sup>

\*فإن من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلا ملكا أو بشرا معه ملك ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر فبين سبحانه أنكم لا تطيقون التلقي عن الملك فلو أنزلناه ملكا لجعلناه في صورة بشر وحينئذ كنتم تظنونه بشرا فيحصل اللبس عليكم فأمر الله تعالى بسؤال أهل الكتاب عن أمرهم أكان بشرا أم كان ملكا ليقيم الحجة بذلك على من أنكر إرسال بشر كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } {7} وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ } {8} ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ } {9} الانبياء 7-9 وأهل الذكر هم أهل الذكر الذي أنزله الله تعالى<sup>1</sup>

{وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلِي مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} الأنعام 10

### السنة لا تتبدل ولا تتحول

\*وقد بين سبحانه وتعالى أن السنة لا تتبدل ولا تتحول في غير موضع و السنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثانی مثل ما فعل بنظيره الاول ولهذا أمر سبحانه وتعالى بالاعتبار وقال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} يوسف 111 والاعتبار أن يقرن الشيء بمثله فيعلم أن حكمه مثل حكمه كما قال ابن عباس هلا اعتبرتم الاصابع بالاسنان فاذا قال { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } الحشر 2 وقال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} يوسف 111 أفاد أن من عمل



مثل أعمالهم جوزى مثل جزائهم ليحذر أن يعمل مثل أعمال الكفار وليرغب في أن يعمل مثل أعمال المؤمنين اتباع الانبياء قال تعالى {قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} آل عمران 137 وقال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} الانعام 11<sup>1</sup>

### أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعبر بها ونتعظ

\* قال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ} الانعام 11 قص الله علينا أخبار الأمم المكذبة للرسول وما صارت اليه عاقبتهم وأبقى آثارهم وديارهم عبرة لمن بعدهم وموعظة وكذلك مسخ من مسخ قرده وخنازير لمخالفتهم لأنبيائهم وكذلك من خسف به وأرسل عليه الحجارة من السماء وأغرقه في اليم وأرسل عليه الصيحة وأخذة بأنواع العقوبات وإنما ذلك بسبب مخالفتهم للرسول واعراضهم عما جاءوا به واتخاذهم أولياء من دونه وهذه سنته سبحانه فيمن خالف رسله وأعرض عما جاؤوا به واتبع غير سبيلهم ولهذا أبقى الله سبحانه آثار المكذبين لنعبر بها ونتعظ لنلنا فعل كما فعلوا فيصيبنا ما أصابهم كما قال تعالى {إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} {34} وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} {35} العنكبوت 34-35 وقال تعالى {ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ} {136} وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ} {137} وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {138} الصافات 136-138 أي تمرّون عليهم نهارا بالصباح وبالليل ثم قال {أَفَلَا تَعْقِلُونَ} الصافات 138 وقال تعالى في مدائن قوم لوط {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} {74} إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ} {75} وَأَنَّهَا لِبِسْبِيلٍ مُّقِيمٍ} {76} الحجر 74-76 يعني مدائنهم بطريق مقيم يراها المار بها وقال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} يوسف 109 وهذا كثير في الكتاب العزيز

يخبر الله سبحانه عن إهلاك المخالفين للرسول ونجاة اتباع المرسلين ولهذا يذكر سبحانه في سورة الشعراء قصة موسى وإبراهيم ونوح وعاد وثمود ولوط وشعيب ويذكر لكل نبي إهلاكه لمكذبيهم والنجاة لهم ولأتباعهم ثم يختم القصة بقوله { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ } {190} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } {191} الشعراء 190-191 فختم القصة باسمين من اسمائه تقتضيها تلك الصفة وهو العزيز الرحيم فانتقم من أعدائه بعزته وانجى رسله واتباعهم برحمته<sup>1</sup>

\* قال تعالى { فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } {35} فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ } {36} وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ } {37} الذاريات 35-37 و قال في سفينة نوح { وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَمَنْ مِّن مَّدَكِرٍ } القمر 15 فأخبر أنه أبقى آيات و هي العلامات و الدلالات فدل ذلك على أن ما يخصه من أخبار المؤمنين و حسن عاقبتهم في الدنيا و أخبار الكفار و سوء عاقبتهم في الدنيا هو من باب الآيات و الدلالات التي يستدل بها و يعتبر بها علما و وعظا فيفيد معرفة صحة ما أخبرت به الرسل و يفيد الترغيب و التهيب و يدل ذلك على أن الله يرضي عن أهل طاعته و يكرمهم و يغضب على أهل معصيته و يعاقبهم كما يستدل بمخلوقاته العامة على قدرته فإن الفعل يستلزم قدرة الفاعل و يستدل بأحكام الأفعال على علمه لأن الفعل المحكم يستلزم علم الفاعل و بالتخصيص على مشيئته لأن التخصيص مستلزم لإرادته فكذلك يستدل بالتخصيص بما هو أحمد عاقبة على حكمته لأن تخصيص الفعل بما هو محمود في العاقبة مستلزم للحكمة و يستدل بتخصيص الأنبياء و إتياعهم بالنصر و حسن العاقبة و تخصيص مكذبيهم بالخزي و سوء العاقبة على أنه يأمر و يحب و يرضي ما جاءت به الأنبياء و يكره و يسخط ما كان عليه مكذبوهم لأن تخصيص أحد النوعين بالإكرام و النجاة و الذكر الحسن و الدعاء و

تخصيص الآخر بالعذاب و الهلاك و قبح الذكر و اللعنة يستلزم محبة ما فعله الصنف الأول و بغض ما فعله الصنف الثاني<sup>1</sup>

### { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ }

\* وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم و أرسل إليهم رسولا يبين لهم ما يسعدهم و ما يشقيهم ثم أنه هدى عباده المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فمن عليهم بالإيمان و العمل الصالح فخلقه بفضله و إرساله الرسول بفضله و هدايته لهم بفضله و جميع ما ينالون به الخيرات من قواهم و غير قواهم هي بفضله فكذلك الثواب و الجزاء هو بفضله و إن كان أوجب ذلك على نفسه كما حرم على نفسه الظلم و وعد بذلك كما قال { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 12 وقال يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا و قال تعالى { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } الروم 47 فهو واقع لا محالة و اوجب بحكم إيجابه و وعده لأن الخلق لا يوجبون على الله شيئا أو يحرمون عليه شيئا بل هم أعجز من ذلك و أقل من ذلك و كل نعمة منه فضل و كل نقمة منه عدل كما فى الحديث المتقدم إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها فمن و جد خيرا فليحمد الله و من و جد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه و فى الحديث الصحيح سيد الإستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك و وعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي و أبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة فقوله أبوء لك بنعمتك علي و أبوء بذنبي إعتراف بإنعام الرب و ذنب العبد كما قال بعض السلف أنى أصبح بين نعمة تنزل من الله علي و بين ذنب يصعد مني إلى الله فأريد أن أحدث للنعمة شكرا و للذنب إستغفارا<sup>1</sup>

## كتابه على نفسه تستلزم إرادته

\*إنا فرضنا إنا نعلم بالعقل حسن بعض الأفعال وقبحها لكن العقل لا يقول إن الخالق كالمخلوق حتى يكون ما جعله حسنا لهذا أو قبيحا له جعله حسنا للآخر أو قبيحا له كما يفعل مثل ذلك القدرية لما بين الرب والعبد من الفروق الكثيرة وإن فرضنا أن حسن الأفعال وقبحها لا يعلم إلا بالشرع فالشرع قد دل على أن الله قد نزه نفسه عن أفعال وأحكام فلا يجوز أن يفعلها تارة بخبره مثنيا على نفسه بأنه لا يفعلها وتارة بخبره أنه حرمها على نفسه هذا يبين المسألة الثانية فنقول الناس لهم في أفعال الله باعتبار ما يصلح منه ويجوز وما لا يجوز منه ثلاثة أقوال طرفان ووسط فالطرف الواحد طرف القدرية وهم الذين حجروا عليه أن يفعل إلا ما ظنوا بعقلهم أنه الجائز له حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجوز فأوجبوا عليه بعقلهم أمورا كثيرة وحرموا عليه بعقلهم أمورا كثيرة لا بمعنى أن العقل أمر له وناه فإن هذا لا يقوله عاقل بل بمعنى أن تلك الأفعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن أدخلوا في ذلك المنكرات ما بنوه على بدعتهم في التكذيب بالقدر وتوابع ذلك والطرف الثاني طرف الغلاة في الرد عليهم وهم الذين قالوا لا ينزه الرب عن فعل من الأفعال ولا نعلم وجه إمتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لا يفعله المطابق لعلمه بأنه لا يفعله وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر به من أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال الله تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِي الرَّحْمَةَ {الأنعام 54} وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي ولم يعلم هؤلاء أن الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه إذ العلم يطابق المعلوم فعلمه بأنه يفعل هذا وانه لا يفعل هذا ليس فيه تعرض لأنه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على

نفسه كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم يكن في هذا بيان لكونه محمودا ممدوحا على فعل هذا وترك هذا ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضى لهذا والمانع من هذا فإن الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه ليس فيه بيان ما يدعو إلى الفعل ولا إلى الترك بخلاف قوله { **كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ**

{ **الأنعام 12** } وحرّم على نفسه الظلم فإن التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية إلى الفعل وهذا بين واضح إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته انه يفعل وهو كتابة التقدير كما قد ثبت في الصحيح انه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فإنه قال { **كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ** } { **الأنعام 12** } ولو أريد كتابة التقدير لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة إذ كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ولكان قد حرم على نفسه كل ما لم يفعله من الإحسان كما حرم الظلم وكما أن الفرق ثابت في حقتنا بين قوله { **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ** } { **البقرة 178** } وبين قوله { **وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ** } { **القمر 52** } وقوله { **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا** } { **الحديد 22** } وقوله فيبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد فهكذا الفرق أيضا ثابت في حق الله ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم قوله تعالى { **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** } { **الروم 47** } وقول النبي في الحديث الصحيح يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم قال حقهم عليه ألا يعذبهم ومنه قوله في غير حديث كان حقا على الله أن يفعل به كذا فهذا الحق الذي عليه هو أحقه على نفسه بقوله ونظير تحريمه على نفسه وإيجابه على نفسه ما أخبر به من قسمه ليفعلن وكلمته السابقة كقوله { **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ**

سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ { طه 129 } وقوله { لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ } السجدة 13  
 و { أَنهَلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } إبراهيم 13 { فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ  
 دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ  
 وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } آل عمران 195  
 { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ } الأعراف 6

ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الإيجاب والمعنى  
 بخلاف القسم المتضمن للخبر المحض ولهذا قال الفقهاء اليمين  
 إما أن توجب حقا أو منعا أو تصديقا أو تكديبا وإذا كان معقولا  
 فى الإنسان أنه يكون أمرا مأمورا كقوله { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ  
 بِالسُّوءِ } يوسف 53 وقوله { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى  
 النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ } النازعات 40 مع أن العبد له أمر وناه فوقه  
 والرب الذى ليس فوقه أحد لأن يتصور أن يكون هو الأمر  
 الكاتب على نفسه الرحمة والناهى المحرم على نفسه الظلم أولى  
 وأحرى وكتابته على نفسه ذلك تستلزم إرادته لذلك ومحبته له  
 ورضاه بذلك وتحريمه الظلم على نفسه يستلزم بغضه لذلك  
 وكراهته له وإرادته ومحبته للفعل توجب وقوعه منه وبغضه له  
 وكراهته لأن يفعله يمنع وقوعه منه فأما ما يحبه ويبغضه من  
 أفعال عباده فذلك نوع آخر ففرق بين فعله هو وبين ما هو مفعول  
 مخلوق له وليس فى مخلوقه ما هو ظلم منه وإن كان بالنسبة إلى  
 فاعله الذى هو الإنسان هو ظلم كما ان أفعال الإنسان هى بالنسبة  
 إليه تكون سرقة وزنا وصلاة وصوما والله تعالى خالقها بمشيئته  
 وليست بالنسبة إليه كذلك إذ هذه الأحكام هى للفاعل الذى قام به  
 هذا الفعل كما أن الصفات هى صفات للموصوف الذى قامت به  
 لا للمخالف الذى خلقها وجعلها صفات والله تعالى خلق كل صانع  
 وصنعتة كما جاء فى الحديث وهو خالق كل موصوف وصفته  
 ثم صفات المخلوقات ليست صفاته له كالألوان والطعوم  
 والروائح لعدم قيام ذلك به وكذلك حركات المخلوقات ليست  
 حركات له ولا أفعالا له بهذا الاعتبار لكونها مفعولات هو خلقها  
 وبهذا الفرق تزول شبهة كثيرة والأمر الذى كتبه على نفسه

يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن ترك هذا الذي لو ترك  
لكان تركه نقصا وكذلك الأمر الذي حرمه على نفسه يستحق  
الحمد والثناء على تركه وهو مقدس عن فعله الذي لو كان  
لأوجب نقصا وهذا كله بين والله الحمد عند الذين أوتوا العلم  
والإيمان وهو أيضا مستقر في قلوب عموم المؤمنين<sup>1</sup>

\*قول الجمهور إن الله عليم حكيم رحيم قائم بالقسط وإنه سبحانه  
كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما  
نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة وكما يشهد به الاعتبار حسا  
وعقلا وذلك واقع منه بحكمته ورحمته وبحكم أنه كتب على نفسه  
الرحمة وحرم على نفسه الظلم لا بأن الخلق يوجبون عليه  
ويحرمون ولا بأنه يشبه المخلوق فيما يجب ويحرم بل كل نعمة  
منه فضل وكل نقمة منه عدل وليس لمخلوق عليه حق إلا ما  
أحقه هو على نفسه المقدسة كقوله { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ  
{ الأنعام 12 } كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ { الأنعام 54  
وقوله { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } الروم 47 وذلك بحكم  
وعده وصدقه في خبره وهذا متفق عليه بين المسلمين وبحكم  
كتابه على نفسه وحكمته ورحمته وهذا فيه تفصيل ونزاع مذكور  
في غير هذا الموضع<sup>1</sup>

## الله سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات

\*ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما  
وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا  
تعطيل ومن غير تكليف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه  
ليس كمثل شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به  
نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله  
وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه  
لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى  
فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه وهو

سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات وقد دخل في هذه الجملة قوله سبحانه {قُلْ لَمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} الأنعام12<sup>1</sup>

{قُلْ لَمَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} الأنعام12

{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} المائدة13

### كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله تعالى

\*وقد قال تعالى {قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} الزمر64 وقال تعالى {قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَنْتَخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ} الأنعام14 {أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَنِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} الأنعام114 فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمره بعبادة غير الله ولا اتخاذ غير الله وليا ولا حكما فلم يكونوا يستحقون الإنكار فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن عبادته واتخاذها وليا وحكما وأنه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما قال تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء213 وقال {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا} الإسراء22 وأمثال ذلك<sup>1</sup>

\*وقد علم بالكتاب والسنة والاجماع وبالعلوم العقلية الضرورية إثبات غير الله تعالى وأن كل ما سواه من المخلوقات فإنه غير الله



تعالى ليس هو الله ولا صفة من صفات الله ولهذا أنكر الله على من عبد غيره ولو لم يكن هناك غير لما صح الإنكار قال تعالى {قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ آخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ {الأنعام14<sup>1</sup>

## حقيقة التوحيد إخلاص الدين كله لله

\* التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله الأولين والآخرين من الرسل قال تعالى {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبُدُونَ {الزخرف45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ {النحل36 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ {الأنبياء25 وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم أعبدوا الله مالكم من إله غيره وهذا أول دعوة الرسل وآخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضا من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه وحقيقته إخلاص الدين كله لله والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء وهو أن تثبت الإلهية الحق في قلبك وتنفي الإلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات فنقول لا إله إلا الله فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقته أن تنفي عبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشيتها عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبموالاته عن

موالاة ما سواه وبسؤاله عن سؤال ما سواه وبالإستعاذه به عن الإستعاذة بما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه وبالإنابة إليه عن الإنابة إلى ما سواه وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قام يصلي من الليل وقد روي أنه كان يقوله بعد التكبير اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليت توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وقال تعالى **{ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَخْذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ } الأنعام 14** وقال **{ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } الأنعام 114** وقال **{ أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } 64** **{ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } 65** **{ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } 66** الزمر 64-66 وقال تعالى **{ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 161** **{ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 162** **{ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } 163** **{ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا } 164** { الأنعام 161-164 وهذا التوحيد كثير في القرآن وهو أول الدين وآخره وباطن الدين وظاهره وذروة سنام هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل ثم للخليلين محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم تسليمًا<sup>1</sup>

**{ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ }**

\* و دل قوله الأحد الصمد على أنه لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد فإن الصمد هو الذي لا جوف له و لا أحشاء فلا يدخل فيه شيء فلا يأكل و لا يشرب سبحانه و تعالى كما قال {قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ} الأنعام 14 و في قراءة الأعمش و غيره و لا يطعم بالفتح و قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } 56 { مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ } 57 { الذاريات 56-57 }<sup>1</sup>

### اتباع الامر أصل عام و اجتناب المنهى عنه فرع خاص

\* ان الكلمات الجوامع التي في القرآن تتضمن امثال المأمور به و الوعيد على المعصية بتركه مثل قوله تعالى لنبية { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا } هود 112 وقال { فَذَلِكِ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ } الشورى 15 وقال { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 14 { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } 15 { الأنعام 14-15 } وقال { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } 11 { وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ } 12 { الزمر 11-12 } وقال { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَّفَكَّرُونَ } الأنعام 50 وقال { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } يونس 109 وقال { وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } الأنعام 153 الى أمثال هذه النصوص التي يوصى فيها باتباع ما أمر و يبين أن الاستقامة في ذلك و انه لم يأمر الا بذلك و أنه ان ترك ذلك كان عليه العذاب و نحو ذلك مما يبين ان اتباع الامر أصل عام و ان اجتناب المنهى عنه فرع خاص<sup>1</sup>

## رسـل الله هم أطوع الخلق لله

\*أن رسول الله جاء بالرسالة من الله وهذا يختص به وتصديق هذه الرسالة والإيمان بها واجب على الثقلين والرسول هو أول من يحب عليه الإيمان بهذه الرسالة التي أرسله الله بها ولهذا قال في سورة يونس {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} يونس 104 وقال {قُلْ إِنِّي **أَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ** {الأنعام 14 إلى غير ذلك من الآيات فهو يتعلق به أمران عظيمان أحدهما إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله وهذا مختص به والثاني تصديقه فيما جاء به وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه وهذا يجب عليه وعلى كل أحد فإنه قد يوجد فيمن يرسله المخلوق من يصدق في رسالته لكنه لا يتبعها إما لطعنه في المرسل وإما لكونه يعصيه وإن كان قد أرسل بحق فالملوك كثيرا ما يرسلون رسولا بكتب وغيرها ببلغ الرسل رسالتهم فيصدقون بها ثم قد يكون الرسول أكثر مخالفة لمرسله من غيره من المرسل إليهم ولهذا ظن طائفة منهم القاضي أبو بكر أن مجرد كونه رسولا لله لا يستلزم المدح ثم قال إن هذا قد يقال فيمن قبل الرسالة وبلغها وفيمن لم يقبل لكن هذا غلط فإن الله لا يرسل رسولا إلا وقد إصطفاه فيبلغ رسالات ربه ورسـل الله هم أطوع الخلق لله وأعظم إيماناً بما بعثوا به بخلاف المخلوق فإنه يرسل من يكذب عليه ومن يعصيه ومن لا يعتقد وجوب طاعته والخالق منزّه عن ذلك<sup>1</sup>

## المخلوق ليس باله في نفسه لكن عابده اتخذها

\*و اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبيع ربا سوى الله ولم يتخذ ربا سواه كما قال تعالى {قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} الأنعام 164 وقال تعالى {أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} الأنعام 14 وقال {وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} آل عمران 80 وهو أيضا فى نفسه هو الاله الحق لا اله غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده من لم يجعل معه الها آخر ولا اتخذ الها غيره قال تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا} الإسراء 22 وقال ابراهيم لأبيه أزر {أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} الأنعام 74 فالمخلوق ليس باله فى نفسه لكن عباده اتخذها وجعله الها وسماه الها وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا وقاضيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يؤم ولا يفتى ولا يقضى وغير الله لا يصلح ان يتخذ الها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع ولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال كل من سوى الله اما أنه لا يسمع دعاء الداعى أو يسمع ولكن لا يستجيب له فإن غير الله لا يستقل بفعل شىء البتة وقد قال تعالى {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ} {22} وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ {23} سبأ 22- 23 فغير الله لا مالك لشىء ولا شريك فى شىء ولا هو معاون للرب فى شىء بل قد يكون له شفاعة ان كان من الملائكة والانبياء والصالحين ولكن لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وان يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعة البتة فلا يصلح من سواه لان يكون الها معبودا كما لا

يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير<sup>1</sup>

## الإسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له

\* {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} المائدة 14 أن الإسلام دين و الدين مصدر دان يدين دينا اذا خضع وذل و دين الإسلام الذي إرتضاه الله وبعث به رسله هو الإستسلام لله وحده فاصله في القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون ما سواه فمن عبده و عبد معه الها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبده بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما والإسلام هو الإستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا استسلم فالإسلام في الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح<sup>1</sup>

\* ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص مأخوذ من قوله تعالى {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} الزمر 29 فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر 60 وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقيل له يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا

أفمن الكبر ذلك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق  
وغمط الناس بطر الحق جحده ودفعه وغمط الناس ازدرأؤهم  
واحتقارهم<sup>1</sup>

## أن الأيمن من عذاب الله وحصول السعادة إنما هو بطاعته

\*وقد أمر تعالى أفضل الخلق ان يقول إنه لا يملك لنفسه ضرا  
ولا نفعا ولا يملك لغيره ضرا ولا رشدا فقال تعالى {قُلْ لَّا  
أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} {الأعراف 188} وقال  
{قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} {21} {قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي  
مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} {22} {إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ  
وَرِسَالَاتِهِ} {23} {الجن 21-23} يقول لن يجيرنى من الله احد إن  
عصيته كما قال تعالى {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ  
يَوْمٍ عَظِيمٍ} {الزمر 13} {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ  
عَظِيمٍ} {المائدة 15} {وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} {الجن 22} اى ملجأ  
الجا اليه إلا بلاغا من الله ورسالاته اى لا يجيرنى منه احد الا  
طاعته ان أبلغ ما أرسلت به اليكم فبذلك تحصل الاجاره والأيمن  
وقيل أيضا لا أملك لكم ضرا ولا رشدا لا املك الا تبليغ ما  
ارسلت به منه ومثل هذا فى القرآن كثير فتبين أن الأيمن من  
عذاب الله وحصول السعادة إنما هو بطاعته تعالى لقوله {مَا  
يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ} {النساء 147} وقال تعالى  
{قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ} {الفرقان 77} اى لو لم تدعوه  
كما أمر فتطيعوه فتعبدوه وتطيعوا رسله فانه لا يعبأ بكم شيئا<sup>1</sup>  
{مَنْ يُصِرْفَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ}

## التوحيد الذي بعث الله به رسله هو توحيد الالهوية

\*فالتوحيد الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه هو ان يعبد الله  
وحده لا شريك له فهو توحيد الالهوية وهو مستلزم لتوحيد  
الربوبية وهو ان يعبد الحق رب كل شيء فأما مجرد توحيد

الربوبية وهو شهود ربوبية الحق لكل شيء فهذا التوحيد كان في  
المشركين كما قال تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم  
مشركون سورة يوسف 106 وان الله هو رب كل شيء  
وعالم بكل شيء ومليكه لا يخلق ولا يرزق الا هو ولا يعطى ولا  
يمنع الا هو لا مانع لما اعطى ولا مطعي لما منع {وَإِنْ يَمْسَسْكَ  
اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ قَدِيرٌ { الأنعام 17<sup>1</sup>

\*وهو سبحانه الضار النافع قادر على أن يضر من يشاء وإن  
كان ما ينزله من الضر بعابديه هو رحمة في حقهم كما قال أيوب  
{ مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ { الأنبياء 83 وقال تعالى  
{ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ  
فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {17} } وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ  
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {18} { الأنعام 17-18 وقال أيضا لرسوله محمد  
صلى الله عليه سلم { قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا  
شَاءَ اللَّهُ { الأعراف 188 وقال تعالى { وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ  
وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ { البقرة 177 وهو سبحانه يحدث ما  
يحدثه من الضرر بمن لا يوصف بمعصية من الأطفال  
والمجانين والبهائم لما فى ذلك منة الحكمة والنعمة والرحمة كما  
هو مبسوط فى غير هذا الموضوع <sup>1</sup>

### قطب رحي الدين

\* قال تعالى { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ  
يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {17} } وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ  
عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {18} { الأنعام 17-18 فتوحيد الله  
وإخلاص الوجه والعمل له عبادة وإستعانة هي قطب رحي  
الدين وذلك أن العبد بل كل حى بل وكل مخلوق سوى الله هو  
فقير محتاج الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره والمنفعة للحي هي  
من جنس النعيم واللذة والمضرة هي من جنس الألم والعذاب  
فلا بد له من أمرين أحدهما هو المطلوب المقصود المحبوب



الذى ينتفع ويلتذ به والثانى هو المعين الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع من دفع المكروه وهذان هما الشيطان المنفصلان الفاعل والغاية فهنا أربعة أشياء أحدها أمر هو محبوب مطلوب الوجود والثانى أمر مكروه مبغض مطلوب العدم والثالث الوسيلة الى حصول المطلوب المحبوب والرابع الوسيلة الى دفع المكروه فهذه الأربعة الأمور ضرورية للعبد بل ولكل حى لا يقوم وجوده وصلاحه إلا بها وأما ما ليس بحى فالكلام فيه على وجه آخر إذا تبين ذلك فبيان ما ذكرته من وجوه أحدها أن الله تعالى هو الذى يحب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب وهو المعين على المطلوب وما سواه هو المكروه وهو المعين على دفع المكروه فهو سبحانه الجامع للأمر الأربعة دون ما سواه وهذا معنى قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فإن العبودية تتضمن المقصود المطلوب لكن على أكمل الوجوه والمستعان هو الذى يستعان به على المطلوب فالأول من معنى الألوهية والثانى من معنى الربوبية إذ الإله هو الذى يؤله فيعبد محبة وإنابة وإجلالا وإكراما والرب هو الذى يربى عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه الى جميع أحواله من العبادة وغيرها وكذلك قوله تعالى {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} هود 88 وقوله {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} هود 123 وقوله {عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} الممتحنة 4 وقوله تعالى {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ} الفرقان 58 وقوله تعالى {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ} الرعد 30 وقوله {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} {8} رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} {9} المزمّل 8-9 فهذه سبعة مواضع تنتظم هذين الأصليين الجامعين<sup>1</sup>

\*قال تعالى في حكايته عن الخليل {وَحَاجَّهٖ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَسْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ

عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81}  
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ  
مُهْتَدُونَ {82} وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ  
دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {83} الانعام 80-83 فإن  
هؤلاء المشركين الشرك الأكبر والأصغر يخوفون المخلصين  
بشفعائهم فيقال لهم نحن لا نخاف هؤلاء الشفعاء الذين لكم فإنهم  
خلق من خلق الله لا يضرون إلا بعد مشيئة الله قال تعالى {وَإِنْ  
يَمَسُّنَا اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّنَا بِخَيْرٍ فَهُوَ  
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} {الأنعام 17} وَإِنْ يَمَسُّنَا اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا  
كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن  
يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ {يونس 107} فمن مسه الله  
بضر فلا كاشف له إلا هو ومن أصابه برحمة فلا راد لفضله  
وكيف نخاف هؤلاء المخلوقين الذين جعلتموهم شفعاء وأنتم لا  
تخافون الله وأنتم قد أحدثتم في دينه من الشرك ما لم ينزل به وحيا  
من السماء فأَيُّ الفريقين أَحَقُّ بِالْأَمْنِ من كان لا يخاف إلا الله ولم  
يبتدع في دينه شركا أم من ابتدع في دينه شركا بغير إذنه بل من  
أمن ولم يخلط إيمانه بشرك فهوؤلاء هم الذين لهم الأمن وهم  
مهتدون وهذه الحجة المستقيمة التي يرفع الله بها وبأمثالها  
أهل العلم درجات<sup>1</sup>

## جميع المخلوقات فقرأ الله تعالى

\*وذلك أن الانسان بل و جميع المخلوقات عباد الله تعالى فقرأ  
إليه ممالك له و هو ربهم و ملكهم و إلههم لا إله إلا هو  
فالمخلوق ليس له من نفسه شيء أصلا بل نفسه و صفاته و  
أفعاله و ما ينتفع به أو يستحقه و غير ذلك إنما هو من خلق الله و  
الله عزوجل رب ذلك كله و ملكه و بارئه و خالقه و مصوره  
وإذا قلنا ليس له من نفسه إلا العدم فالعدم ليس هو شيئا يفتقر إلى  
فاعل موجود بل العدم ليس بشيء و بقاؤه مشروط بعدم فعل  
الفاعل لا أن عدم الفاعل يوجبه و يقتضيه كما يوجب الفاعل

المفعول الموجود بل قد يضاف عدم المعلول الى عدم العلة و  
 بينهما فرق و ذلك أن المفعول الموجود إنما خلقه و أبدعه الفاعل  
 و ليس المعدوم أبدعه عدم الفاعل فإنه بقضي الى التسلسل و  
 الدور ولأنه ليس اقتضاء أحد العدمين للآخر بأولى من العكس  
 فإنه ليس أحد العدمين مميذا لحقيقة استوجب بها أن يكون فاعلا  
 وان كان يعقل أن عدم المقتضى أولى بعدم الأثر من العكس فهذا  
 لأنه لما كان و جود المقتضى هو المفيد لوجود المقتضى صار  
 العقل يضيف عدمه الى عدمه إضافة لزومية لأن عدم الشيء إما  
 ان يكون لعدم المقتضى أو لوجود المانع و بعد قيام المقتضى  
 لا يتصور أن يكون العدم إلا لأجل هاتين الصورتين أو لحالتين  
 فلما كان الشيء الذي انعقد سبب و جوده يعوقه و يمنعه  
 المانع المنافى و هو أمر موجود و تارة لا يكون سببه قد انعقد  
 صار عدمه تارة ينسب إلى عدم مقتضيه و تارة الى و جود مانعه  
 و منافيه و هذا معنى قول المسلمين ما شاء الله كان و ما لم  
 يشأ لم يكن إذ مشيئته هي الموجبة وحدها لا غيرها فيلزم من  
 انتفائها انتفاؤه لا يكون شيء حتى تكون مشيئته لا يكون شيء  
 بدونها بحال فليس لنا سبب يقتضى وجود شيء حتى تكون  
 مشيئته مانعة من وجوده بل مشيئته هي السبب الكامل فمع  
 وجودها لا مانع و مع عدمها لا مقتضى { مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ  
 رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ } فاطر 2  
 { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا  
 رَادَ لِفَضْلِهِ } يونس 107 { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ  
 لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 17 { وَهُوَ  
 الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } 18 { الْأَنْعَامُ 17-18 } { قُلْ  
 أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ  
 كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ  
 حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ } الزمر 38 وإذا عرف أن العبد  
 ليس له من نفسه خير أصلا بل ما بنا من نعمة فمن الله و إذا  
 مسنا الضر فإليه نجأ والخير كله بيديه كما قال { مَا أَصَابَكَ مِنْ

حَسَنَةً فَمَنْ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ { النساء 79 و قال  
 { أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مَثَلِيهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ  
 عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ } آل عمران 165 و قال النبي صلى الله عليه و سلم  
 فى سيد الاستغفار الذى فى صحيح البخارى اللهم أنت ربي  
 لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك و وعودك ما  
 استطعت أعود بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على و  
 أبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت و قال فى  
 دعاء الاستفتاح الذى فى صحيح مسلم لبيك و سعديك و الخبر  
 بيديك و الشر ليس إليك تباركت ربنا و تعاليت<sup>1</sup>

\*وقال تعالى { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ  
 وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ } آل عمران 83  
 فذكر إسلام الكائنات طوعا وكرها لأن المخلوقات جميعها متعبدة  
 له التعبد العام سواء أقر المقر بذلك أو أنكره وهم مدينون  
 مدبرون فهم مسلمون له طوعا وكرها ليس لأحد من المخلوقات  
 خروج عما شاءه وقدره وقضاه ولا حول ولا قوة إلا به و هو  
 رب العالمين ومليكمهم يصرفهم كيف يشاء وهو خالقهم كلهم  
 وبارئهم ومصورهم وكل ما سواه فهو مربوب مصنوع مفطور  
 فقير محتاج معبد مقهور وهو الواحد القهار الخالق البارئ  
 المصور وهو وإن كان قد خلق ما خلقه بأسباب فهو خالق السبب  
 والمقدر له وهو مفتقر إليه كافتقار هذا وليس فى المخلوقات سبب  
 مستقل بفعل ولا دفع ضرر بل كل ما هو سبب فهو محتاج إلى  
 سبب آخر يعاونه وإلى ما يدفع عنه الضد الذى يعارضه ويمانعه  
 وهو سبحانه وحده الغني عن كل ما سواه ليس له شريك يعاونه  
 ولا ضد يناوئه ويعارضه قال تعالى { قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادْنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادْنِي  
 بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ  
 الْمُتَوَكِّلُونَ } الزمر 38 وقال { وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ  
 لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {17} وَهُوَ  
 الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ {18} { الأنعام 17-18<sup>1</sup>

\*ومعلوم أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله وقدرته وأن الخلق ليس منهم شيء إلا ما أحدثه الله فيهم فاذا انقطع طلب القلب للمعونة منهم وطلبها من الله فقد طلبها من خالقها الذي لا يأتي بها إلا هو قال تعالى { مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ } فاطر 2 وقال تعالى { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ } يونس 107 وقال تعالى { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ شَيْءٍ قَدِيرٌ } 17 { وَالْخَبِيرُ } 18 { الأنعام 17-18 } وقال تعالى قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ } الزمر 38 وقال صاحب يس { أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَأَنْتُغْنِي عَنْهُمْ شِفَاءَهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ } 23 { إني إذا لفي ضلالٍ مُبينٍ } 24 { يس 23-24 } ولهذا يأمر الله بالتوكل عليه وحده في غير موضع وفي الأثر من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده قال تعالى { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبيراً } الفرقان 58<sup>1</sup>

\*فإن ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة فإن ما شاء الله كان ولا يكون شيء إلا بقدرته و ما تعلقت به القدرة من الموجودات تعلقت به المشيئة فإنه لا يكون شيء إلا بقدرته و مشيئته و ما جاز أن تتعلق به القدرة جاز أن تتعلق به المشيئة و كذلك بالعكس و ما لا فلا و لهذا قال { فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17 و الشيء في الأصل مصدر شاء يشاء شيئاً كنال ينال نيلاً ثم و ضعوا المصدر موضع المفعول فسموا المشيء شيئاً كما يسمى

المنيل نيلا فقالوا نيل المعدن و كما يسمى المقذور قدرة و  
المخلوق خلقا فقله { **فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } الأنعام 17  
أي على كل ما يشاء فمنه ما قد شيء فوجد و منه ما لم يشأ لكنه  
شيء في العلم بمعنى أنه قابل لأن يشاء و قوله { **عَلَى كُلِّ**  
**شَيْءٍ** } الأنعام 17 يتناول ما كان شيئا في الخارج و العلم أو ما  
كان شيئا في العلم فقط بخلاف مالا يجوز أن تتناوله المشيئة و  
هو الحق تعالى و صفاته أو الممتنع لنفسه فإنه غير داخل في  
العموم و لهذا إتفق الناس على أن الممتنع لنفسه ليس بشيء<sup>1</sup>

### القسم المحمود من الناس وهو حال الذين حققوا إياك نعبد وإياك نستعين

\* القسم المحمود من الناس وهو حال الذين حققوا إياك نعبد  
وإياك نستعين وقوله هود فاعبده وتوكل عليه فاستعانوا به على  
طاعته وشهدوا أنه إلههم الذي لا يجوز أن يعبدوا إلا إياه وطاعة  
رسوله وأنه ربهم الذي ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع  
وأنه { **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ**  
**بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } الأنعام 17 ولهذا قال طائفة من  
العلماء الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب  
أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية  
قدح في الشرع وإنما التوكل المأمور به ما يجتمع فيه مقتضي  
التوحيد والعقل والشرع<sup>1</sup>

\* ولا يأتي بالحسنات الا الله ولا يذهب السيئات الا الله { **وَإِنْ**  
**يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ**  
**عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } الأنعام 17 واذا دعا العبد ربه باعطاء  
المطلوب ودفع المرهوب جعل له من الايمان بالله ومحبته  
ومعرفته وتوحيده ورجائه وحياة قلبه واستنارته بنور الايمان ما  
قد يكون أنفع له من ذلك المطلوب ان كان عرضا من الدنيا وأما  
إذا طلب منه أن يعينه على ذكره وشكره وحسن عبادته وما يتبع  
ذلك فهنا المطلوب قد يكون أنفع من الطلب وهو الدعاء

والمطلوب الذكر والشكر وقيام العبادة على أحسن الوجوه وغير ذلك<sup>1</sup>

## حكم من إذا أصابته نائبة أو خوف استجد بشيخه

\* حكم من إذا أصابته نائبة أو خوف استجد بشيخه وأما الرجل إذا أصابته نائبة أو خاف شيئا فاستغاث بشيخه يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع فهذا من الشرك وهو من جنس دين النصارى فإن الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضر قال تعالى { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } {الأنعام} 17<sup>1</sup>

## { فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

\* قال تعالى { وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } {الأنعام} 17 اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير كما نطق بذلك القرآن أى فى مواضع كثيرة جدا و قد بسطت الكلام فى الرد على من أنكر قدرة الرب فى غير موضع كما قد كتبناه على الأربعةين و المحصل و فى شرح الأصبهانية و غير ذلك و تكلمنا على ما ذكره الرازى و غيره فى مسألة كون الرب قادرا مختارا و ما وقع فيها من التقصير الكثير مما ليس هذا موضعه و المقصود هنا الكلام بين أهل الملل الذين يصدقون الرسل فنقول هنا مسائل المسألة الأولى قد أخبر الله أنه على كل شيء قدير و الناس فى هذا على ثلاثة أقوال طائفة تقول هذا عام يدخل فيه الممتنع لذاته من الجمع بين الضدين و كذلك دخل فى المقدور كما قال ذلك طائفة منهم ابن حزم و طائفة تقول هذا عام مخصوص يخصص منه الممتنع لذاته فإنه و إن كان شيئا فإنه لا يدخل فى المقدور كما ذكر ذلك ابن عطية و غيره و كلا القولين

خطأ و الصواب هو القول الثالث الذى عليه عامة النظار و هو أن الممتنع لذاته ليس شيئاً ألبتة و أن كانوا متنازعين فى المعدو فإن الممتنع لذاته لا يمكن تحققه فى الخارج و لا يتصوره الذهن ثابتاً فى الخارج و لكن يقدر إجتماعهما فى الذهن ثم يحكم على ذلك بأنه ممتنع فى الخارج إذ كان يمتنع تحققه فى الأعيان و تصوره فى الأذهان إلا على وجه التمثيل بأن يقال قد تجتمع الحركة و السكون فى الشيء فهل يمكن فى الخارج أن يجتمع السواد و البياض فى محل واحد كما تجتمع الحركة و السكون فيقال هذا غير ممكن فيقدر إجتماع نظير الممكن ثم يحكم بإمتناعه و أما نفس إجتماع البياض و السواد فى محل واحد فلا يمكن و لا يعقل فليس بشيء لا فى الأعيان و لا فى الأذهان فلم يدخل فى قوله { فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17 المسألة الثانية أن المعدو ليس بشيء فى الخارج عند الجمهور و هو الصواب وقد يطلقون أن الشيء هو الموجود فيقال على هذا فيلزم أن لا يكون وقادراً إلا على موجود و ما لم يخلقه لا يكون قادراً عليه و هذا قول بعض أهل البدع قالوا لا يكون قادراً إلا على ما أراده دون ما لم يرده و يحكى هذا عن تلميذ النظام و الذين قالوا إن الشيء هو الموجود من نظار المثبتة كالأشعرى و من وافقه من أتباع الأئمة أحمد و غير أحمد كالقاضى أبى يعلى و ابن الزاغوني و غيرهما يقولون أنه قادر على الموجود فيقال أن هؤلاء أثبتوا ما لم تثبته الآية فالآية أثبتت قدرته على الموجود و هؤلاء قالوا هو قادر على الموجود و المعدوم و التحقيق أن الشيء إسم لما يوجد فى الأعيان و لما يتصور فى الأذهان فما قدره الله و علم أنه سيكون هو شيء فى التقدير و العلم و الكتاب و أن لم يكن شيئاً فى الخارج و منه قوله { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 و لفظ الشيء فى الآية يتناول هذا و هذا فهو على كل شيء ما وجد و كل ما تصوره الذهن موجوداً إن تصور أن يكون موجوداً قدير لا يستثنى من ذلك شيء و لا يزداد عليه شيء كما قال تعالى { بَلَى قَادِرِينَ عَلَى



أَنْ نُسَوِّيَ بِنَانِهِ {القيامة4} و قال {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ  
 يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ {الأنعام65} و  
 قد ثبت في الصحيحين أنها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه و  
 سلم أعود بوجهك فلما نزل {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ  
 بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ {الأنعام65} الآية قال هاتان أهون فهو  
 قادر على الأولتين و إن لم يفعلهما و قال {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ  
 مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ  
 {المؤمنون18} قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به  
 حتى تموتوا عطشا و تهلك مواشيكم و تخرب أراضيكم و معلوم  
 أنه لم يذهب به و هذا كقوله {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ  
 {الواقعة68} إلى قوله و {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكذِّبُونَ  
 {الواقعة82} و هذا يدل على أنه قادر على ما لا يفعله فإنه أخبر  
 أنه لو شاء جعل الماء أجاجا و هو لم يفعله و مثل هذا {وَلَوْ  
 شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا {السجدة13} {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ  
 مِنَ فِي الْأَرْضِ {يونس99} {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْنَا {البقرة253} فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء و هو لم يفعلها  
 فلو لم يكن قادرا عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها  
 المسألة الثالثة أنه على كل شيء قدير فيدخل في ذلك أفعال  
 العباد و غير أفعال العباد و أكثر المعتزلة يقولون أن أفعال العبد  
 غير مقفورة المسألة الرابعة أنه يدخل في ذلك  
 أفعال نفسه و قد نطقت النصوص بهذا و هذا كقوله تعالى  
 {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ  
 مِنْهُمْ {يس81} {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى  
 {القيامة40} {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بِنَانِهِ {القيامة4} و  
 نظائره كثيرة و القدرة على الأعيان جاءت في مثل قوله  
 {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ {المؤمنون12} {أَيَحْسَبُ  
 أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ {البلد5} و جاءت منصوصا عليها في  
 الكتاب و السنة أما الكتاب فقوله {فَأَمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ  
 مُنْقِمُونَ {الزخرف41} فبين أنه سبحانه يقدر عليهم أنفسهم و

هذا نص في قدرته على الأعيان المفعولة و قوله { وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ } ق45 و { لَأَسْتَعْلِيَهُمْ بِمُصَيِّرٍ } الغاشية22 و نحو ذلك و هو يدل بمفهومه على أن الرب هو الجبار عليهم المسيطر و ذلك يستلزم قدرته عليهم و قوله { فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ } الأنبياء87 على قول الحسن و غيره من السلف ممن جعله من القدرة دليل على أن الله قادر عليه و على أمثاله و كذلك قول الموصي لأهله لئن قدر الله على ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا من العالمين فلما حرقوه أعاده الله تعالى و قال له ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يارب فغفر له و هو كان مخطئا في قوله لئن قدر الله على ليعذبني كما يدل عليه الحديث و أن الله قدر عليه لكن لخشيته و إيمانه غفر الله له هذا الجهل و الخطأ الذي وقع منه و قد يستدل بقوله { أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ } المرسلات20 الى وله { فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ } المرسلات23 على قول من جعله من القدرة فإنه يتناول القدرة على المخلوقين و إن كان سبحانه قادرا أيضا على خلقه فالقدرة على خلقه قدرة عليه و القدرة عليه قدرة على خلقه و جاء أيضا الحديث منصوصا في مثل قول النبي صلى الله عليه و سلم لأبي مسعود لما رآه يضرب عبده الله أقدر عليك منك على هذا فهذا فيه بيان قدرة الرب على عين العبد و أنه أقدر عليه منه على عبده و فيه إثبات قدرة العبد<sup>1</sup>

### النسخ لا يجوز في الأخبار

\*وقال الامام أبو عبدالله الحارث بن اسماعيل بن أسد المحاسبي في كتابه المسمى فهم القرآن قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ وأن النسخ لا يجوز في الأخبار قال لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ولا أسماءه يجوز أن ينسخ منها شيء إلى أن قال وكذلك لا يجوز اذا أخبر أن صفاته حسنة عليا أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب وأنه لا يبصر ما قد كان ولا يسمع

الاصوات ولا قدره له ولا يتكلم ولا كلام كان منه وأنه تحت  
 الأرض لا على العرش جل وعلا عن ذلك فاذا عرفت ذلك  
 واستيقنته علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز فان تلوت آية  
 فى ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض اخباره وكذلك  
 قوله تعالى **{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }**  
**الأنعام 18** وقوله **{ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }** طه 5  
 وقوله **{ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ }** الملك 16 وقوله **{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ**  
**الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }** فاطر 10 وقال **{ يُدَبِّرُ**  
**الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ }** السجدة 5 وقال  
**{ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ }** المعارج 4 وقال لعيسى  
**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا }** آل  
 عمران 55 الآية وقال **{ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ }** النساء 158 وقال  
**{ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ }** الأعراف 206  
 وذكر الآلهة أن لو كان آلهة لا يتعوا الى ذى العرش سبيلا حيث  
 هو فقال **{ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَعُوا إِلَىٰ ذِي**  
**الْعَرْشِ سَبِيلًا }** الإسراء 42 أى طلبه وقال **{ سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ**  
**الْأَعْلَى }** الأعلى 1 قال أبو عبدالله فلن ينسخ ذلك لهذا أبدا  
 كذلك قوله **{ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ**  
**الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ }** الزخرف 84 وقوله **{ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ**  
**حَبْلِ الْوَرِيدِ }** ق 16 وقوله **{ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي**  
**الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ }** الأنعام 3 وقوله **{ مَا يَكُونُ مِنْ**  
**نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُم }** المجادلة 7 الآية فليس هذا بناسخ  
 لهذا ولا هذا ضد لذلك وأعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن  
 الله أراد الكون بذاته فيكون فى أسفل الأشياء أو ينتقل فيها  
 لانتقالها ويتبعض فيها على أقدارها ويزول عنها عند فنائها جل  
 وعز عن ذلك وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله  
 فزعموا أن الله تعالى فى كل مكان بنفسه كائنا كما هو على  
 العرش لا فرقان بين ذلك ثم أحالوا فى النفس بعد تثبيت ما يجوز  
 عليه فى قولهم ما نفوه لأن كل من ثبت شيئا فى المعنى ثم نفاه

بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه واحتجوا بهذه الآيات أن الله تعالى  
 فى كل شىء بنفسه كأننا ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا لا كالشىء  
 فى الشىء قال ابو عبدالله لنا قوله { حَتَّى نَعْلَمَ } محمد 31  
 { وَسَيَرَى اللَّهُ } التوبة 94 { إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ } الشعراء 15  
 فانما معناه حتى يكون الموجود فيعلمه موجودا ويسمعه مسموعا  
 ويبصره مبصرا لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر  
 وأما قوله { إِذَا أَرَدْنَا } النحل 40 اذا جاء وقت كون المراد  
 فيه وان قوله { عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 { وَهُوَ  
 الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } الأنعام 18 الآية { أَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ  
 } الملك 16 { إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا } الإسراء 42  
 فهذا وغيره مثل قوله { نَعْرُجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ  
 } المعارج 4 { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ } فاطر 10 هذا  
 منقطع يوجب أنه فوق العرش فوق الأشياء كلها منزه عن  
 الدخول فى خلقه لا يخفى عليه منهم خافية لأنه أمان فى هذه  
 الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده لأنه قال { أَمِنْتُمْ مِّن فِي  
 السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ } الملك 16 يعنى فوق العرش  
 والعرش على السماء لأن من قد كان فوق كل شىء على السماء  
 فى السماء وقد قال مثل ذلك فى قوله { فَسِيحُوا فِي  
 الْأَرْضِ } التوبة 2 يعنى على الأرض لا يريد الدخول فى  
 جوفها وكذلك قوله { يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ } المائدة 26 يعنى  
 على الأرض لا يريد الدخول فى جوفها وكذلك قوله {  
 وَلَا صَلَبْنَاكُمُ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } طه 71 يعنى فوقها عليها  
 وقال { أَمِنْتُمْ مِّن فِي السَّمَاءِ } الملك 16 ثم فصل فقال {  
 أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ } الملك 16 ولم يصل فلم يكن لذلك  
 معنى اذا فصل قوله { مِّن فِي السَّمَاءِ } الملك 16 ثم استأنف  
 التخويف بالخسف إلا أنه على عرشه فوق السماء وقال تعالى  
 { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } السجدة 5  
 وقال { نَعْرُجُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ } المعارج 4 فبين  
 عروج الأمر وعروج الملائكة ثم وصف وقت صعودها

بالارتفاع صاعدة اليه فقال { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ } المعارج 4 فقال صعودها إليه وفصله من قوله إليه كقول القائل اصعد الى فلان في ليلة أو يوم وذلك أنه في العلو وان صعودك إليه في يوم فاذا صعدوا الى العرش فقد صعدوا الى الله عز وجل وان كانوا لم يروه ولم يساوه في الإرتفاع في علوه فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر الى العلو<sup>1</sup>

\*وقال أبو عبدالله محمد بن أبي زمنين الامام المشهور من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال ومن قول أهل السنة أن الله ينزل الى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حدا وذكر الحديث من طريق مالك وغيره الى أن قال وأخبرني وهب عن ابن وضاح عن الزهري عن ابن عباد قال ومن أدركت من المشائخ مالك وسفيان وفضيل بن عياض وعيسى بن المبارك ووكيع كانوا يقولون ان النزول حق قال ابن وضاح وسألت يوسف بن عدى عن النزول قال نعم أو من به ولا أحد فيه حدا وسألت عنه ابن معين فقال نعم أقربه ولا أحد فيه حدا قال محمد وهذا الحديث يبين أن الله عز وجل على العرش في السماء دون الأرض وهو ايضا بين في كتاب الله وفي غير حديث عن رسول الله قال تعالى {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ} السجدة 5 وقال تعالى { أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ } 16 { أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ } 17 { الملك 16-17 وقال تعالى { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } فاطر 10 وقال { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } الأنعام 18 وقال تعالى { يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ إِنِّي فَتَوَقَّيْكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } آل عمران 55 وقال { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } النساء 158 وذكر من طريق مالك قول النبي للجارية أين الله قالت في السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال فاعتقها قال والأحاديث

مثل هذا كثيرة جدا فسبحان من علمه بما فى السماء كعلمه بما فى الأرض لا اله الا هو العلى العظيم<sup>1</sup>

وقال الحافظ أبو بكر البيهقى باب القول فى الاستواء  
قال الله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه5 { ثُمَّ  
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ {الأعراف54 {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ  
{الأنعام18 {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ}{النحل50 { إِلَيْهِ يَصْعَدُ  
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ {فاطر10 {أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي  
السَّمَاءِ {الملك16 و اراد من فوق السماء كما قال { وَلَا أَصْلَبَتْكُمْ  
فى جُدُوعِ النَّخْلِ {طه71 بمعنى على جذوع النخل وقال  
{فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ}{التوبة2 اى على الارض وكل ما علا  
فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الآية أمنتكم من على  
العرش كما صرح به فى سائر الآيات قال وفيما كتبنا من الآيات  
دلالة على ابطال قول من زعم من الجهمية ان الله بذاته فى كل  
مكان وقوله { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ {الحديد4 انما اراد  
بعلمه لا بذاته<sup>1</sup>

## بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون الله على

### العرش

\* قال الامام أحمد فى كتابه الذى كتبه فى الرد على  
الجهمة والزنادقة بيان ما أنكرت الجهمية الضلال أن يكون  
الله على العرش وقد قال تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ  
اسْتَوَى} طه5 وقال { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ  
ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ {الأعراف54 فقالوا هو تحت الأرض  
السابعة كما هو على العرش فهو على العرش وفى السموات  
وفى الأرض وفى كل مكان لا يخلو منه مكان ولا يكون فى  
مكان دون مكان ويتلون آيات من القرآن { وَهُوَ اللَّهُ فِي  
السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ {الأنعام3 قلنا قد عرف المسلمون  
أماكن كثيرة ليس فيها من عظيم الرب شىء فقالوا أى شىء قلنا  
أحشاءكم واجوافكم واجواف الخنازير والحشوش والأماكن

القدرة ليس فيها من عظيم الرب شيء وقد أخبرنا أنه في السماء  
 فقال { أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ  
 تَمُورُ } الملك 16 وقد قال جل ثناؤه { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ  
 { فاطر 10 وقال تعالى { إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ } آل  
 عمران 55

وقال تعالى { بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ } النساء 158 وقال تعالى { وَلَهُ  
 مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ  
 وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ } الأنبياء 19 وقال تعالى { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ  
 فَوْقِهِمْ } النحل 50 وقال تعالى { ذِي الْمَعَارِجِ } { 3 } { تَعْرُجُ  
 الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ } { 4 } { 3-4 } وقال تعالى { وَهُوَ  
 الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } { الأنعام 18 وقال تعالى { وَهُوَ الْعَلِيُّ  
 الْعَظِيمُ } { الشورى 4 قال فهذا خبر الله أنه في السماء ووجدنا  
 كل شيء في أسفل مذموما يقول جل ثناؤه { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي  
 الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ } { النساء 145 وقال تعالى { وَقَالَ  
 الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا  
 تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ } { فصلت 29 وقلنا لهم أليس  
 تعلمون ان ابليس مكانه مكان والشیاطین مكانهم مكان فلم يكن  
 الله ليجتمع هو وابليس في مكان واحد ولكن معنى قوله عز وجل  
 { وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ } { الأنعام 3 يقول هو اله  
 من في السموات واله من في الأرض وهو الله على العرش وقد  
 أحاط علمه بما دون العرش لا يخلو من علم الله مكان ولا يكون  
 علم الله في مكان دون مكان وذلك قوله { لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا } { الطلاق 12 وقال  
 من الاعتبار في ذلك لو أن رجلا كان في يده قدح من قوارير  
 صاف وفيه شيء صاف لكان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من  
 غير أن يكون ابن آدم في القدح والله وله المثل الأعلى قد أحاط  
 بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه وخصلة  
 أخرى لو أن رجلا بنى دارا بجميع مرافقها ثم اغلق بابها وخرج  
 كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره وكم سعة كل بيت من

غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار فالله عز وجل وله  
 المثل الأعلى قد أحاط بجميع ما خلق وعلم كيف هو وما هو من  
 غير أن يكون في شيء مما خلق<sup>1</sup>

### ان فعل الله كله حسن جميل

\* ان فعل الله كله حسن جميل قال الله عز وجل {الَّذِي أَحْسَنَ  
 كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} السجدة 7 وقال تعالى {صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَرَ  
 كُلَّ شَيْءٍ} النمل 88 وقال تعالى {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ  
 بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ  
 {الأعراف 180 وقال النبي ان الله جميل يحب الجمال  
 وهو حكم عدل قال الله تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ  
 {آل عمران 18

وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا  
 {النساء 40 وقال تعالى {وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} الأنعام 18<sup>1</sup>

### لطائف لغوية

1- قال تعالى {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} الأنعام 1 ومن هذا  
 تسمية الليل ظلمة والنهار نورا فإنهما عرضان وقد قيل هما  
 جوهران<sup>1</sup>

2- ال تعالى {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ  
 وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} الأنعام 3 أن الكسب هو الفعل الذي  
 يعود على فاعله بنفع أو ضرر كما قال تعالى {لَهَا مَا كَسَبَتْ  
 وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 فبين سبحانه أن كسب النفس  
 لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما  
 أنه ينتفع بذلك<sup>1</sup>



3- قال تعالى { فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ

{ الأنعام 6 } عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الذنوب اذا أطلق دخل فيه ترك كل واجب وفعل كل محرم كما فى قوله { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا } الزمر 53 ثم قد يقرن بغيره كما فى قوله { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا } آل عمران 147<sup>1</sup>

4- قوله تعالى { وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ } المائدة 6 فيقال النهر كالقرية والميزاب كما يستعمل لفظ القرية تارة فى السكان فى مثل قوله { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا } يوسف 82 وتارة فى المساكن ونحو ذلك يراد به الحال ويراد به المحل فاذا قيل حفر النهر أريد به المحل واذا قيل جرى النهر أريد به الحال<sup>1</sup>

5- الكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق فان الكلاية أو بعضهم يفرق بين الكلام وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربى وهو مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد سمي نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى { الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ } الحجر 1 وقال { طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ } النمل 1 وقال { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ } الأحقاف 29 الى قوله تعالى { قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ } الأحقاف 30 فبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو الكتاب وقال { بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ } 21 { فِي لُوحٍ مَّخْفُوظٍ } 22 { البروج 21-22 } وقال { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } 77 { فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ } 78 { الواقعة 77-78 } وقال { يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً } 2 { فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ } 3 { البينة 2-3 } وقال { وَالطُّورِ } 1 { وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ } 2 { فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ } 3 { الطور 1-3 } وقال { وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ } 2

**عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَّسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ { الأنعام 7}** ولكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال تعالى { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ {77} فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ {78} الواقعة 77-78 وقال { وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً { الإسراء 13<sup>1</sup>

6- قال تعالى { **كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ { الأنعام 12}** ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة<sup>1</sup>

7- قال تعالى { **وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ { الأنعام 13}** سميع منزه عن الصم عليم منزه عن الجهل<sup>1</sup>

8- قال تعالى { **قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمَشْرِكِينَ { الأنعام 14}** ولفظ الإسلام يتضمن

الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص مأخوذ من قوله تعالى { **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ { الزمر 29}** فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو

مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى { **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ { غافر 60}** <sup>1</sup>

9- فإن ما تعلقت به المشيئة تعلقت به القدرة فإن شاء الله كان ولا يكون شيء إلا بقدرته و ما تعلقت به القدرة من الموجودات تعلقت به المشيئة فإنه لا يكون شيء إلا بقدرته و مشيئته و ما جاز أن تتعلق به القدرة جاز أن تتعلق به المشيئة و كذلك بالعكس

و مالا فلا و لهذا قال { **فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { الأنعام 17}** و الشيء في الأصل مصدر شاء يشاء شيئاً كنال ينال نيلاً ثم و ضعوا المصدر موضع المفعول فسموا المشيء شيئاً كما يسمى

المنيل نيلا فقالوا نيل المعدن و كما يسمى المقدور قدرة و  
المخلوق خلقا فقوله { فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17  
أي على كل ما يشاء فمنه ما قد شيء فوجد و منه ما لم يشأ لكنه  
شيء في العلم بمعنى أنه قابل لأن يشاء و قوله { عَلَىٰ كُلِّ  
شَيْءٍ } الأنعام 17 يتناول ما كان شيئا في الخارج و العلم أو ما  
كان شيئا في العلم فقط بخلاف ما لا يجوز أن تتناوله المشيئة و  
هو الحق تعالى و صفاته أو الممتنع لنفسه فإنه غير داخل في  
العموم و لهذا إتفق الناس على أن الممتنع لنفسه ليس بشيء<sup>1</sup>  
10- { فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } الأنعام 17 قدير منزه عن  
العجز والضعف<sup>1</sup>

11- قال تعالى { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ }  
الأنعام 18 حكيم منزه عن السفه<sup>1</sup>



## الانعام 19-39

{ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنَكُمْ  
وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنَّكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أُنْكُمْ  
لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ  
إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {19} الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ  
الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا  
أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {20} وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَىٰ  
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {21} وَيَوْمَ  
نُحْشِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائِكُمْ  
الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ {22} ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتِنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا  
وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ {23} انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ  
أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {24} وَمِنْهُمْ مَّنْ  
يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي  
أَذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا  
جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ  
الْأَوَّلِينَ {25} وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ  
إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ {26} وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ  
النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ {27} بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ  
رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ {28} وَقَالُوا إِنْ  
هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ {29} وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ  
وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا  
قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ {30} قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا  
حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمَلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ

ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ {31} وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا  
لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ {32} قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا  
يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ {33} وَلَقَدْ  
كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ  
آتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيٍّ  
الْمُرْسَلِينَ {34} وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِن  
اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغَىٰ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ  
فَتَأْتِيهِمْ بآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ  
مِنَ الْجَاهِلِينَ {35} إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ  
يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ {36} وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ  
آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {37} وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا  
طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أُمَّتَالِكُمْ مَّا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ  
مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ {38} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا  
بآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَن  
يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {39}

### القرآن كله يثبت توحيد الالهية

\*فان العرب لم تتكلم بلفظ لا اله مجردا ولا كانوا نافين  
للصانع حتى يقولوا لا اله بل كانوا يجعلون مع الله آلهة  
اخرى قال تعالى { **أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا**  
**أَشْهَدُ { الأنعام 19** ولهذا قالوا { **أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا**  
**لَشَيْءٌ عَجَابٌ** } ص 5 والقرآن كله يثبت توحيد الالهية ويعيب  
عليهم الشرك وقد تواتر عنه صلى الله عليه وسلم أنه أول ما  
دعى الخلق الى شهادة أن لا اله الا الله وقال أمرت أن أقاتل

الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله  
والمشركون لم يكونوا ينازعونه في الاثبات بل في النفي فكان  
الرسول والمشركون متفقين على اثبات إلهية الله وكان الرسول  
ينفي إلهية ما سوى الله وهم يثبتون فلم يتكلم أحد لا من المسلمين  
ولا من المشركين بهذه الكلمة إلا لاثبات إلهية الله ولنفي إلهية ما  
سواه والمشركون كانوا يثبتون إلهية ما سواه مع إلهيته<sup>1</sup>

\*وقال الله تعالى { فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ } 94 { وَجُنُودٌ إِيَّيْسَ  
أَجْمَعُونَ } 95 { قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ } 96 { تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ } 97 { إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } 98 { وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا  
الْمُجْرِمُونَ } 99 { فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ } 100 { وَلَا صَدِيقٍ  
حَمِيمٍ } 101 { فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } 102 { الشعراء  
94-102 وقوله { إِذْ نُسَوِّكُمْ } الشعراء 98 لم يريدوا به  
أنهم جعلوهم مساوين الله من كل وجه فان هذا لم يقله أحد من بنى  
آدم ولا نقل عن قوم قط من الكفار أنهم قالوا ان هذا العالم له  
خالقان متماثلان حتى المجوس القائلين بالأصليين النور  
والظلمة متفقون على أن النور خير يستحق أن يعبد  
ويحمد وان الظلمة شريرة تستحق أن تدم وتلعن واختلوا  
هل الظلمة محدثة أو قديمة على قولين وبكل حال لم يجعلوها  
مثل النور من كل وجه وكذلك مشركوا العرب كانوا  
متفقين على أن أربابهم لم تشارك الله في خلق السموات والأرض  
بل كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السموات والأرض وما بينهما  
كما أخبر عنهم بذلك في غير آيه كقوله تعالى { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ  
مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ  
فَأَنى يُؤْفَكُونَ } 61 { اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ  
لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } 62 { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ  
مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ  
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } 63 { العنكبوت 61-63 وقال تعالى {  
وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ  
الْعَلِيمُ } 9 { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {10} وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ  
 بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ {11} وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ  
 لَكُمْ مِنَ الْأَفْئِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ {12} لِنَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ  
 تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا  
 هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ {13} وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ {14}

الزخرف 9-14 وهذه الصفات من كلام الله تعالى ليست من  
 تمام جوابهم وقال تعالى { قُلْ لَمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ } {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ {85} قُلْ مَنْ رَبُّ  
 السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا  
 تَتَّقُونَ {87} قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ  
 عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ {89}  
 المؤمنون 84-89 وقال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ  
 أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } {40} بَلْ إِيَّاهُ  
 تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا

تُشْرِكُونَ {41} الأنعام 40-41 وكذلك قوله { اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا  
 يُشْرِكُونَ } {59} أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ  
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا  
 شَجَرَهَا أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ {60} أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ  
 قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ  
 حَاجِزاً أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ {61} النمل 59-61 أى أله مع الله فعل هذا  
 وهذا استفهام انكار وهم مقرون بأنه لم يفعل هذا اله آخر مع الله  
 ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله اله آخر فقد غلط

فانهم كانوا يجعلون مع الله آلهة أخرى كما قال تعالى { أَنْتُمْ  
 لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ  
 وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } الأنعام 19 وقال تعالى { فَمَا  
 أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } هود 101  
 وقال تعالى عنهم { أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ  
 عُجَابٌ } ص 5 وكانوا معترفين بأن آلهتهم لم تشارك الله فى  
 خلق السموات والأرض ولا خلق شىء بل كانوا يتخذونهم شفعاء



ووسائط كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ  
وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَوَاءٌ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} يونس 18 وقال  
عن صاحب يس { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ } {22} أَلتَّخَذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا  
تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ {يس 22-23} <sup>1</sup>

### يبين للمشركين قبح ما هم عليه من الشرك

\*وقد أخبر الله تعالى عن قبح أعمال الكفار قبل أن يأتيهم الرسول  
كقوله لموسى {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً  
يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ} {4} وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ  
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} {5} وَنَمَكَّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ  
{6} {القصص 4-6} فهذا خبر عن حاله قبل أن يولد موسى وحين  
كان صغيراً قبل أن يأتيه برسالة انه كان طاغياً مفسداً و ايضاً  
أمر الله الناس أن يتوبوا ويستغفروا مما فعلوه فلو كان كالمباح  
المستوى الطرفين والمعفو عنه وكفعل الصبيان والمجانين ما  
أمر بالاستغفار والتوبة فعلم أنه كان من السيئات القبيحة لكن الله  
لا يعاقب الا بعد إقامة الحجة وهكذا قول ابراهيم الخليل لقومه  
أيضاً {مَاذَا تَعْبُدُونَ} {85} أَلَيْسَ اللَّهُ بِرَبِّكُمْ فَتُؤَدُّونَ لَهُ خِيفَةً  
فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {87} الصافات 85-87 إلى قوله {أَتَعْبُدُونَ  
مَا تَتَّخِذُونَ} {95} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} {96} الصافات 95-96  
فهذا كله يبين قبح ما كانوا عليه قبل النهي وقبل انكاره عليهم  
ولهذا استفهم استفهام منكر فقال { أَتَعْبُدُونَ مَا تَتَّخِذُونَ } {95}  
وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} {96} الصافات 95-96 أى وخلق ما  
تتحتون فكيف يجوز أن تعبدوا ما تصنعونه بأيديكم وتدعون رب  
العالمين فلو لا ان حسن التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك  
له وقبح الشرك ثابت فى نفس الامر معلوم بالعقل لم يخاطبهم  
بهذا إذ كانوا لم يفعلوا شيئاً يذمون عليه بل كان فعلهم كأكلهم  
وشرابهم وإنما كان قبيحاً بالنهي ومعنى قبحه كونه منهيها عنه ولا

لمعنى فيه كما تقوله المجبرة وأيضا ففى القرآن فى مواضع كثيرة يبين لهم قبح ما هم عليه من الشرك وغيره بالأدلة العقلية ويضرب لهم الأمثال كقوله تعالى

{ أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ لَهُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ } {60} { أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًّ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُ لَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } {61} { أَمْ مَنْ يُحْيِبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ } {62}

النمل 60-62 وهذا فى جملة بعد جملة يقول { أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ } انكارا عليهم أن يعبدوا غير الله ويتخذوه إلهاً مع اعترافهم بأن هذا لم يفعله إله غير الله وإنما فعله هو وحده وقوله { أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ } جواب الاستفهام أى إله مع الله موجود وهذا

غلط فانهم يجعلون مع الله آلهة ويشهدون بذلك لكن ما كانوا يقولون إنهم فعلوا ذلك والتقريب انما يكون لما يقرون به وهم مقرون بانهم لم يفعلوا لا يقرون بأنه لم يكن معه إله قال تعالى { أَنْتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلهةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } {الأنعام 19} <sup>1</sup>

\*ودين الإسلام مبنى على أصليين وهما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأول ذلك أن لا تجعل مع الله الها آخر فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله ولا ترجوه كما ترجو الله ولا تخشاه كما تخشى الله ومن سوى بين المخلوق والخالق فى شىء من ذلك فقد عدل بالله وهو من الذين بربهم يعدلون وقد جعل مع الله الها آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات والأرض فإن مشركى العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السموات والأرض كما قال تعالى { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ } {العنكبوت 61} وكانوا مع ذلك مشركين يجعلون مع الله

آلهة أخرى قال تعالى { أَنْتُمْ لَنْتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ آلهَةٌ أُخْرَى  
قُلْ لَا أَشْهَدُ { الأنعام 19<sup>1</sup>

## الطريقان التي بهما تثبت نبوة النبي

\* ودلائل نبوة محمد قطعية يقينية لا يمكن القرح فيها بظن فإن  
الظن لا يدفع اليقين لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمدا  
كان مكتوبا باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء كما في  
صحيح البخاري أنه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا ببعض صفة  
رسول الله في التوراة فقال إنه لموصوف في التوراة ببعض  
صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا  
وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ  
ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا تجزي بالسيئة السيئة ولكن  
تجزي بالسيئة الحسنة وتغفو وتغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة  
الموجاء فأفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا  
إله إلا الله<sup>1</sup>

\* قال تعالى { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ  
وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنْتُمْ لَنْتَشْهَدُونَ أَنْ مَعَ  
اللَّهِ آلهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا  
تُشْرِكُونَ { الأنعام 19 } و هذان الطريقان بهما تثبت نبوة النبي و  
هي الآيات و البراهين الدالة على صدقه أو شهادة نبي آخر قد  
علم صدقه له بالنبوة فذكر هذين النوعين بقوله { قُلْ كَفَى  
بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً { العنكبوت 52 } وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ  
{ الرعد 43 } فتلك يعلم بها صدقه بالنظر العقلي في آياته و  
براهينه و هذه يعلم بها صدقه بالخبر السمعي المنقول عن  
الأنبياء قبله وكذلك قوله { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ  
شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ { الأنعام 19 } فقوله { قُلْ اللَّهُ { الأنعام 19  
فيها وجهان قيل هو جواب السائل و قوله { شَهِيدٌ  
{ الأنعام 19 } خبر مبتدا أي هو شهيد وقيل هو مبتدا و قوله

{ شَهِيدٌ } { الأَنْعَامُ 19 } خبره فأغنى ذلك عن جواب الاستفهام و الأول على قراءة من يقف على قوله { قُلِ اللَّهُ } { الأَنْعَامُ 19 } والثانى على قراءة من لا يقف و كلاهما صحيح لكن الثانى أحسن و هو أتم وكل أحد يعلم أن الله أكبر شهادة فلما قال { قُلِ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً } { الأَنْعَامُ 19 } علم أن الله أكبر شهادة من كل شيء فقيل له { قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } { الأَنْعَامُ 19 } ولما قال { اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } { الأَنْعَامُ 19 } كان فى هذا ما يغني عن قوله أن الله أكبر شهادة و ذلك أن كون الله أكبر شهادة هو معلوم و لا يثبت بمجرد قوله { أَكْبَرُ شَهَادَةً } { الأَنْعَامُ 19 } بخلاف كونه شهيدا بينه و بينهم فان هذا مما يعلم بالنص و الاستدلال فينظر هل شهد الله بصدقه و كذبهم فى تكذيبه أم شهد بكذبه و صدقهم فى تكذيبه و إذا نظر فى ذلك علم أن الله شهد بصدقه و كذبهم بالنوعين من الآيات بكلامه الذي أنزله و بما بين أنه رسول صادق ولهذا أعقبه بقوله { وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } { الأَنْعَامُ 19 } فإن هذا القرآن فيه الإنذار و هو آية شهد بها أنه صادق و بالآيات التى يظهرها فى الأفاق و فى الأنفس حتى يتبين لهم أن القرآن حق وقوله فى هذه الآية { قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } { الأَنْعَامُ 19 } و كذلك قوله { قُلِ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } { الرعد 43 } { قُلِ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } { الإسراء 96 } و كذلك قوله { قُلِ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } { العنكبوت 52 } و كذلك قوله { هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } { الأحقاف 8 } فنذكر سبحانه أنه شهيد بينه و بينهم و لم يقل شاهد علينا و لا شاهد لي لأنه ضمن الشهادة الحكم فهو شهيد يحكم بشهادته بيني و بينكم و الحكم قدر زائد على مجرد الشهادة فان الشاهد قد يؤدي الشهادة و أما الحاكم فإنه يحكم بالحق للمحق على المبطل و يأخذ حقه منه و يعامل المحق بما يستحقه و المبطل بما يستحقه و هكذا شهادة الله بين الرسول و متبعيه و بين مكذبيه فانها تتضمن حكم الله للرسول و أتباعه يحكم بما يظهره من الآيات الدالة على صدق

الرسول على أنها الحق و تلك الآيات أنواع متعددة ويحكم له أيضا بالنجاة و النصر و التأييد و سعادة الدنيا و الآخرة و لمكذبيه بالهلاك و العذاب و شقاء الدنيا و الآخرة كما قال تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ } التوبة 33 فيظهره بالدلائل و الآيات العلمية التي تبين أنه حق و يظهره أيضا بنصره و تأييده على مخالفيه و يكون منصورا كما قال تعالى { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ } الحديد 25 فهذه شهادة حكم كما قدمنا ذلك في قوله { شَهِدَ اللَّهُ } آل عمران 18 قال مجاهد والفراء و أبو عبيدة { شَهِدَ اللَّهُ } آل عمران 18 أي حكم و قضى لكن الحكم في قوله { بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الأنعام 19 أظهر و قد يقول الانسان لآخر فلان شاهد بيني و بينك أي يتحمل الشهادة بما بيننا فانه يشهد بما أنزله و يقوله و هذا مثل الشهادة على أعمال العباد و لكن المكذبون ما كانوا ينكرون التكذيب و لا كانوا يتهمون الرسول بأنه ينكر دعوى الرسالة فيكون الشهيد يتضمن الحكم أثبت و أشبه بالقرآن و الله أعلم<sup>1</sup>

## الندارة ليست مختصة بمن شافهم بالخطاب

\* في الصحيحين عن النبي أنه قال بلغوا عني ولو آية و قال نضر الله امراء سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه و قال ليلبغ الشاهد الغائب و قال إن العلماء ورثة الأنبياء و قد قال تعالى في القرآن { وَأَوْجِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } الأنعام 19 فكل من بلغه القرآن فهو مخاطب به يتناوله خطاب القرآن<sup>1</sup>

\* فإن محمدا صلى الله عليه و سلم قد عرف بالإضطرار من دينه أنه مبعوث إلى جميع الإنس و الجن و الله تعالى خاطب بالقرآن جميع الثقلين كما قال { لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } الأنعام 19

فكل من بلغه القرآن من إنسي و جني فقد أنذره الرسول به و الإنذار هو الإعلام بالمخوف و المخوف هو العذاب ينزل بمن عصى أمره و نهيه فقد أعلم كل من و صل إليه القرآن أنه إن لم يطعه و إلا عذبه الله تعالى و أنه إن أطاعه أكرمه الله تعالى و هو قد مات فإنما طاعته بإتباع ما في القرآن مما أوجبه الله و حرمه و كذلك ما أوجبه الرسول و حرمه بسنته فإن القرآن قد بين وجوب طاعته و بين أن الله أنزل عليه الكتاب و الحكمة و قال لأزواج نبيه {وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ} الأحزاب<sup>1</sup><sup>34</sup>

\*فأمره بتبليغ رسالته بحسب الإمكان إلى طائفة بعد طائفة وأمر بتبليغ الأقرب منه مكانا ونسبا ثم بتبليغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغ النذارة إلى جميع أهل الأرض كما قال تعالى {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَأَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} الأنعام 19 أي من بلغه القرآن فكل من بلغه القرآن فقد أنذره محمد صلى الله عليه وسلم ونبين هنا أن النذارة ليست مختصة بمن شافهم بالخطاب بل ينذرهم به وينذر من بلغهم القرآن<sup>1</sup>

\*والقرآن نفسه لفظه ومعناه الذي تكلم الله به وسمعه جبريل من الله وسمعه محمد من جبريل وبلغه محمد إلى الناس وأنذر به الأمم لقوله تعالى {لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} الأنعام 19 قرآن واحد وهو كلام الله<sup>1</sup>

## أحكام الكفر و التأديب لا تثبت إلا بعد بلوغ الرسالة

\* فمعلوم أن الحجة إنما تقوم بالقرآن على من بلغه كقوله { لَأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } الأنعام 19 فمن بلغه بعض القرآن دون بعض قامت عليه الحجة بما بلغه دون ما لم يبلغه فإذا اشتبه

معنى بعض الآيات وتنازع الناس في تأويل الآية وجب رد ما تنازعوا فيه إلى الله ورسوله فإذا اجتهد الناس في فهم ما أراه الرسول فالمصيب له أجران والمخطيء له أجر<sup>1</sup>

\*فمن جحد وجوبها(الصلاة) بجهله عرف ذلك وإن جدها عنادا كفر هذا اصل مضطرد في مباني الإسلام الخمسة و في الأحكام الظاهرة المجمع عليها من مكلف إن كان الجاحد لذلك معذورا مثل إن يكون حديث عهد بالإسلام أو قد نشأ ببادية هي مظنة الجهل بذلك لم يكفر حتى يعرف إن هذا دين الإسلام لأن أحكام الكفر و التأديب لا تثبت إلا بعد بلوغ الرسالة لا سيما فيما لا يعلم بمجرد العقل قال الله تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } الإسراء 15 و قال تعالى { لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } النساء 165 و قال تعالى { وَأَنَّا أَهْلَكْنَا هُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا } طه 134 و قال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا } القصص 59 و قال تعالى { **لَأَنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** } الأنعام 19 فالإنذار لمن بلغه القرآن بلفظه أو معناه فإذا بلغته الرسالة بواسطة أو بغير واسطة قامت عليه الحجة و انقطع عذره<sup>1</sup>

\*أما تارك الصلاة فهذا إن لم يكن معتقدا لوجوبها فهو كافر بالنص والإجماع لكن إذا اسلم ولم يعلم أن الله أوجب عليه الصلاة أو وجوب بعض أركانها مثل أن يصلي بلا وضوء فلا يعلم ان الله أوجب عليه الوضوء أو يصلي مع الجنابة فلا يعلم أن الله أوجب عليه غسل الجنابة فهذا ليس بكافر إذا لم يعلم لكن إذا علم الوجوب هل يجب عليه القضاء فيه قولان للعلماء في مذهب أحمد ومالك وغيرهما قيل يجب عليه القضاء وهو المشهور عن أصحاب الشافعي وكثير من اصحاب أحمد وقيل لا يجب عليه القضاء وهذا هو الظاهر وعن أحمد في هذا الأصل روايتان منصوصتان فيمن صلى في معاطن الإبل ولم

يكن علم بالنهاي ثم علم هل يعيد على روايتين ومن صلى ولم يتوضأ من لحوم الإبل ولم يكن علم بالنهاي ثم علم هل يعيد على روايتين منصوصتين وقيل عليه الإعادة إذا ترك الصلاة جاهلا بوجوبها في دار الإسلام دون دار الحرب وهو المشهور من مذهب أبي حنيفة والصائم إذا فعل ما يفطر به جاهلا بتحريم ذلك فهل عليه الإعادة على قولين في مذهب أحمد وكذلك من فعل محظورا في الحج جاهلا وأصل هذا أن حكم الخطاب هل يثبت في حق المكلف قبل أن يبلغه فيه ثلاثة اقوال في مذهب أحمد وغيره قيل يثبت وقيل لا يثبت وقيل يثبت المبتدأ دون الناسخ والأظهر أنه لا يجب قضاء شيء من ذلك ولا يثبت الخطاب إلا بعد البلاغ لقوله تعالى **{الأنعام 19}** وقوله **{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}** الإسراء 15 ولقوله **{لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل}** النساء 165 ومثل هذا في القرآن متعدد بين سبحانه أنه لا يعاقب أحدا حتى يبلغه ما جاء به الرسول ومن علم ان محمدا رسول الله فأمن بذلك ولم يعلم كثيرا مما جاء به لم يعذبه الله على ما لم يبلغه فإنه إذا لم يعذبه على ترك الإيمان بعد البلوغ فإنه لا يعذبه على بعض شرائطه إلا بعد البلاغ أولى وأحرى وهذه سنة رسول الله المستفيضة عنه في أمثال ذلك فإنه قد ثبت في الصحاح أن طائفة من اصحابه ظنوا أن قوله تعالى **{الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ}** البقرة 187 هو الحبل الأبيض من الحبل الأسود فكان أحدهم يربط في رجله حبالا ثم يأكل حتى يتبين هذا من هذا فبين النبي أن المراد بياض النهار وسواد الليل ولم يأمرهم بالإعادة وكذلك عمر بن الخطاب وعمار أجنيا فلم يصل عمر حتى أدرك الماء وظن عمار أن التراب يصل إلى حيث يصل الماء فتمرغ كما تمرغ الدابة ولم يأمر واحدا منهم بالقضاء وكذلك أبوذر بقي مدة جنبا لم يصل ولم يأمره بالقضاء بل أمره بالتيمم في المستقبل وكذلك المستحاضة قالت أنى استحاض حيضة شديدة تمنعني الصلاة والصوم فأمرها بالصلاة



زمن دم الإستحاضة ولم يأمرها بالقضاء ولما حرم الكلام فى الصلاة تكلم معاوية بن الحكم السلمى فبوالصلاة بعد التحريم جاهلا بالتحريم فقال له أن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شىء من كلام الأدميين ولم يأمره بإعادة الصلاة ولما زيد فى الصلاة الحضر حين هاجر إلى المدينة كان من كان بعيدا عنه مثل من كان بمكة وبأرض الحبشة يصلون ركعتين ولم يأمرهم النبى بإعادة الصلاة ولما فرض شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة ولم يبلغ الخبر إلى من كان بأرض الحبشة من المسلمين حتى فات ذلك الشهر لم يأمرهم بإعادة الصيام وكان بعض الأنصار لما ذهبوا إلى النبى من المدينة إلى مكة قبل الهجرة قد صلى إلى الكعبة معتقدا جواز ذلك قبل أن يؤمر بإستقبال الكعبة وكانوا حينئذ يستقبلون الشام فلما ذكر ذلك للنبى أمره بإستقبال الشام ولم يأمره بإعادة ما كان صلى وثبت عنه فى الصحيحين أنه سئل وهو بالجعرانة عن رجل أحرم بالعمرة وعليه جبة وهو متضمخ بالخلوف فلما نزل عليه الوحي قال له إنزع عنك جبتك وإغسل عنك أثر الخلق وإصنع فى عمرتك ما كنت صانعا فى حجك وهذا قد فعل محظورا فى الحج وهو لبس الجبة ولم يأمره النبى على ذلك بدم ولو فعل ذلك مع العلم للزمه دم وثبت عنه فى الصحيحين انه قال للأعرابي المسىء فى صلاته صل فإنك لم تصل مرتين او ثلاثا فقال والذى بعثك بالحق ما احسن غير هذا فعلمنى ما يجزىنى فى الصلاة فعلمه الصلاة المجزية ولم يأمره بإعادة ما صلى قبل ذلك مع قوله ما احسن غير هذا وإنما أمره أن يعيد تلك الصلاة لأن وقتها باق فهو مخاطب بها والتي صلاها لم تبرأ بها الذمة ووقت الصلاة باق ومعلوم أنه لو بلغ صبي أو أسلم كافر أو طهرت حائض او أفاق مجنون والوقت باق لزمهم الصلاة أداء لا قضاء وإذا كان بعد خروج الوقت فلا إثم عليهم فهذا المسىء الجاهل إذا علم بوجود الطمأنينة فى أثناء الوقت فوجبت عليه الطمأنينة حينئذ ولم تجب عليه قبل ذلك فلماذا أمره بالطمأنينة فى

صلاة تلك الوقت دون ما قبلها وكذلك أمره لمن صلى  
خلف الصف أن يعيد ولمن ترك لمعة من قدمه أن يعيد الوضوء  
والصلاة وقوله أولا صل فإنك لم تصل

تبين أن ما فعله لم يكن صلاة ولكن لم يعرف أنه كان جاهلا  
بوجوب الطمأنينة فلماذا أمره بالإعادة ابتداء ثم علمه إياها لما قال  
والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فهذه نصوصه في  
محظورات الصلاة والصيام والحج مع الجهل فيمن ترك  
واجباتها مع الجهل واما أمره لمن صلى خلف الصف أن يعيد  
فذلك انه لم يأت بالواجب مع بقاء الوقت فثبت الوجوب في حقه  
حين أمره النبي لبقاء وقت الوجوب لم يأمره بذلك مع مضي  
الوقت وأما أمره لمن ترك لمعة في رجله لم يصبها الماء  
بالإعادة فلأنه كان ناسيا فلم يفعل الواجب كمن نسي الصلاة  
وكان الوقت باقيا فإنها قضية معينة بشخص لا يمكن أن يكون  
في الوقت وبعده أعنى انه رأى في رجل رجل لمعة لم يصبها  
الماء فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة رواه أبو داود وقال احمد  
بن حنبل حديث جيد وأما قوله ويل للأعقاب من النار  
ونحوه فإنما يدل على وجوب تكميل الوضوء ليس في ذلك أمر  
بإعادة شيء ومن كان أيضا يعتقد أن الصلاة تسقط عن العارفين  
أو عن المشائخ الواصلين أو عن بعض أتباعهم أو أن الشيخ  
يصلي عنهم أو أن الله عبادا اسقط عنهم الصلاة كما يوجد كثير  
من ذلك في كثير من المنتسبين إلى الفقر والزهد وإتباع بعض  
المشائخ والمعرفة فهؤلاء يستتابون بإتفاق الأئمة فإن أقرروا  
بالوجوب وإلا قوتلوا وإذا أصروا على جحد الوجوب حتى قتلوا  
كانوا من المرتدين ومن تاب منهم وصلى لم يكن عليه إعادة ما  
ترك قبل ذلك في أظهر قولي العلماء فإن هؤلاء إما ان يكونوا  
مرتدين وإما ان يكونوا مسلمين جاهلين للوجوب فإن قيل  
إنهم مرتدون عن الإسلام فالمرتد إذا أسلم لا يقضي ما تركه حال  
الردة عن جمهور العلماء كما لا يقضي الكافر إذا أسلم ما ترك  
حال الكفر بإتفاق العلماء ومذهب مالك وابي حنيفة وأحمد في

أظهر الروايتين عنه والأخرى يقضي المرتد كقول الشافعي  
والأول اظهر فإن الذين إرتدوا على عهد رسول الله كالحارث  
ابن قيس وطائفة معه أنزل الله فيهم {كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا  
بَعْدَ إِيمَانِهِمْ} آل عمران 86 الآية والتي بعدها وكعبد الله بن أبي  
سرح والذين خرجوا مع الكفار يوم بدر وأنزل فيهم {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ  
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ  
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} النحل 110 فهؤلاء عادوا إلى الإسلام  
وعبدالله بن ابي سرح عاد إلى الإسلام عام الفتح وبايعه النبي ولم  
يأمر أحدا

منهم بإعادة ما ترك حال الكفر في الردة كما لم يكن يأمر سائر  
الكفار إذا أسلموا وقد إرتد في حياته خلق كثير إتبعوا الأسود  
العنسي الذي تنبأ بصنعاء اليمن ثم قتله الله وعاد أولئك إلى  
الإسلام ولم يؤمروا بالإعادة وتنبأ مسليمة الكذاب وأتبعه  
خلق كثير قاتلهم الصديق والصحابة بعد موته حتى أعادوا من  
بقي منهم إلى الإسلام ولم يأمر أحدا منهم بالقضاء وكذلك سائر  
المرتدين بعد موته وكان اكثر البوادي قد إرتدوا ثم عادوا  
إلى الإسلام ولم يأمر أحدا منهم بقضاء ما ترك من الصلاة وقوله  
تعالى {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ  
{الأنفال 38 يتناول كل كافر وإن قيل إن هؤلاء لم يكونوا  
مرتدين بل جهالا بالوجوب وقد تقدم أن الأظهر في حق هؤلاء  
أنهم يستأنفون الصلاة على الوجه المأمور ولا قضاء عليهم فهذا  
حكم من تركها غير معتقد لوجوبها<sup>1</sup>

## صفات الله التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها

### نبيه

\* وقال أبو عبدالله محمد بن أبي زمنين الامام المشهور  
من أئمة المالكية في كتابه الذي صنفه في أصول السنة قال  
فيه في الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه قال وأعلم بأن  
أهل العلم بالله وبما جاءت به انبيائه ورسله يرون الجهل بما لم

يخبر به عن نفسه علما والعجز عن ما لم يدع اليه ايماناً وأنهم  
 إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه الى حيث انتهى في كتابه  
 على لسان نبيه وقد قال وهو اصدق القائلين { كَلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ  
 إِلَّا وَجْهَهُ } القصص 88 وقال { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ  
 شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الأنعام 19 وقال { وَيَحْدَرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ  
 } آل عمران 28 وذكر أحاديث الصفات ثم قال فهذه  
 صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه ووصفه بها نبيه  
 وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير { لَيْسَ كَمِثْلِهِ  
 شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 لم تره العيون فتحدّه  
 كيف هو ولكن رأته القلوب في حقائق الايمان<sup>1</sup>

\* فالفرق بين مقام المخاطبة ومقام الإخبار فرق ثابت بالشرع  
 والعقل وبه يظهر الفرق بين ما يدعى الله به من الأسماء الحسنی  
 وبين ما يخبر به عنه عز وجل مما هو حق ثابت لإثبات ما  
 يستحقه سبحانه من صفات الكمال ونفى ما تنزه عنه عز وجل  
 من العيوب والنقائص فإنه الملك القدوس السلام سبحانه وتعالى  
 عما يقول الظالمون علواً كبيراً وقال تعالى { وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ  
 الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا  
 كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأعراف 180 مع قوله { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ  
 شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الأنعام 19 ولا يقال في  
 الدعاء يا شيء<sup>1</sup>

## أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبتك فيه الكافرون

\* أن الانبياء موسى والمسيح عليهما السلام بشرا بمحمد<sup>1</sup>  
 \* قال تعالى { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ  
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 20 المقصود بيان  
 أن أهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبتك فيه الكافرون  
 وذلك من وجوه أحدها أن الكتب المتقدمة تنطق بأن موسى  
 وغيره دعوا إلى عبادة الله وحده ونهوا عن الشرك فكان في هذا  
 حجة على من ظن أن الشرك دين ومثل هذا قوله تعالى

{وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ  
 إِلَهَةً يُعْبَدُونَ} {الزخرف 45} الوجه الثاني أن أهل الكتاب يعلمون  
 أن الله إنما أرسل إلى الناس بشرا مثلهم لم يرسل إليهم ملكا فإن  
 من الكفار من كان يزعم أن الله لا يرسل إلا ملكا أو بشرا معه  
 ملك ويتعجبون من إرسال بشر ليس معه ملك ظاهر كما قال  
 تعالى {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا  
 أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا} {94} {قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ  
 مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مَطْمَئِنِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا} {95}  
 الإسراء 94-95<sup>1</sup>

\* أن أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشرا  
 مثلهم لم يرسل إليهم ملكا ولهذا كان النبي في خطابه لأهل  
 الكتاب يقول لهم والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنني رسول  
 الله وكذلك من أسلم منهم كعبدالله بن سلام كان يقول لغيره من  
 أهل الكتاب والله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله  
 وهذا أمر معروف في الأحاديث الصحاح المخرجة في  
 الصحيحين وغيرهما<sup>1</sup>

\* ومما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة أن شهادة  
 الكتب المتقدمة لمحمد إما شهادتها بنبوته وإما شهادتها بمثل ما  
 أخبر به هو من الآيات البيّنات على نبوته ونبوته من قبله وهو  
 حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف  
 المشركين الملحدّين كما قد ذكر الله هذا النوع من الآيات في غير  
 موضع من كتابه كما في قوله تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
 يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ  
 {الأنعام 20<sup>1</sup>

### أصل الإيمان

\* قال تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ  
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} {الأنعام 20

ان لفظ الايمان انما يستعمل فى بعض الاخبار وهو مأخوذ من الأمن كما ان الاقرار مأخوذ من قر فالمؤمن صاحب امن كما ان المقر صاحب اقرار فلا بد فى ذلك من عمل القلب بموجب تصديقه فاذا كان عالما بأن محمدا رسول الله ولم يقترن بذلك حبه وتعظيمه بل كان يبغضه ويحسده ويستكبر عن اتباعه فان هذا ليس بمؤمن به بل كافر به ومن هذا الباب كفر ابليس وفرعون واهل الكتاب الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وغير هؤلاء فان ابليس لم يكذب خبرا ولا مخبرا بل استكبر عن امر ربه وفرعون وقومه قال الله فيهم { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } النمل 14 وقال له موسى { لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ } الإسراء 102 وقال تعالى { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } البقرة 146 فمجرد علم القلب بالحق ان لم يقترن به عمل القلب بموجب علمه مثل محبة القلب له واتباع القلب له لم ينفع صاحبه بل اشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وقلب لا يخشع ولكن الجهمية ظنوا ان مجرد علم القلب وتصديقه هو الايمان وان من دل الشرع على انه ليس بمؤمن فان ذلك يدل على عدم علم قلبه وهذا من اعظم الجهل شرعا وعقلا وحقيقته توجب التسوية بين المؤمن والكافر ولهذا اطلق وكيع بن الجراح واحمد بن حنبل وغيرهما من الأئمة كفرهم بذلك فانه من المعلوم ان الانسان يكون عالما بالحق ويبغضه لغرض آخر فليس كل من كان مستكبرا عن الحق يكون غير عالم به وحينئذ فالايمان لا بد فيه من تصديق القلب وعمله وهذا معنى قول السلف الايمان قول وعمل ثم انه اذا تحقق القلب بالتصديق والمحبة التامة المتضمنة للارادة لزم وجود الأفعال الظاهرة فان الارادة الجازمة اذا اقترنت بها القدرة التامة لزم وجود المراد قطعاً وانما ينتفى وجود الفعل لعدم كمال القدرة او لعدم كمال الارادة والا

فمع كمالها يجب وجود الفعل الاختياري فاذا اقر القلب اقرارا  
 تاما بان محمدا رسول الله واحبه محبة تامة امتنع مع ذلك ان لا  
 يتكلم بالشهادتين مع قدرته على ذلك لكن ان كان عاجزا لخرس  
 ونحوه او الخوف ونحوه لم يكن قادرا على النطق بهما و ابو  
 طالب وان كان عالما بان محمدا رسول الله وهو محب له فلم  
 تكن محبته له لمحبتة الله بل كان يحبه لأنه ابن اخيه فيحبه للقرابة  
 واذا احب ظهوره فلما يحصل له بذلك من الشرف والرئاسة  
 فأصل محبوبه هو الرئاسة فلماذا لما عرض عليه الشهادتين عند  
 الموت رأى ان بالاقرار بهما زوال دينه الذي يحبه فكان دينه  
 احب اليه من ابن اخيه فلم يقر بهما فلو كان يحبه لأنه رسول الله  
 كما كان يحبه ابو بكر الذي قال الله فيه { وَسَيَجْزِيهَا  
 الْأَتَقَى } {17} { الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى } {18} { وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ  
 نِعْمَةٍ تُجْزَى } {19} { إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى } {20} { وَلَسَوْفَ  
 يَرْضَى } {21} { الليل 17-21 } وكما كان يحبه سائر المؤمنين به  
 كعمر وعثمان وعلى غيرهم لنطق بالشهادتين قطعا فكان حبه  
 حبا مع الله لا حبا لله ولهذا لم يقبل الله ما فعله من نصر الرسول  
 وموازرتة لأنه لم يعمله لله والله لا يقبل من العمل الا ما اريد به  
 وجهه بخلاف الذي فعل ما فعل ابتغاء وجه ربه الأعلى وهذا  
 مما يحقق ان الايمان والتوحيد لا بد فيهما من عمل القلب  
 كحب القلب فلا بد من اخلاص الدين لله والدين لا يكون ديننا الا  
 بعمل فان الدين يتضمن الطاعة والعبادة وقد انزل الله عز وجل  
 سورتي الاخلاص قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد  
 احدهما في توحيد القول والعلم و الثانية في توحيد العمل  
 والارادة فقال في الأول { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } {1} { اللَّهُ الصَّمَدُ } {2} { لَمْ  
 يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } {3} { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } {4} { الاخلاص 1-4 } فأمره  
 ان يقول هذا التوحيد وقال في الثاني { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } {1}  
 { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } {2} { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } {3} { وَلَا أَنَا عَابِدٌ  
 مَّا عَبَدْتُمْ } {4} { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } {5} { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ

دين {6} الكافرون 1-6 فأمره ان يقول ما يوجب البراءة من عباده غير الله واخلص العبادة لله<sup>1</sup>

\* وهؤلاء المعروفون مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما من فقهاء الكوفة كانوا يجعلون قول اللسان وإعتقاد القلب من الإيمان وهو قول أبي محمد بن كلاب وأمثاله لم يختلف قولهم في ذلك ولا نقل عنهم أنهم قالوا الإيمان مجرد تصديق القلب لكن هذا القول حكوه عن الجهم بن صفوان ذكروا أنه قال الإيمان مجرد معرفة القلب وإن لم يقر بلسانه وإشنتد نكيرهم لذلك حتى أطلق وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما كفر من قال ذلك فإنه من أقوال الجهمية وقالوا إن فرعون وإبليس وأبا طالب واليهود وأمثالهم عرفوا بقلوبهم وجدوا بألسنتهم فقد كانوا مؤمنين وذكروا قول الله {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} النمل 14 وقوله {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} الأنعام 20 وقوله {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33 وقالوا إبليس لم يكذب خيرا ولم يجحد فإن الله أمره بلا رسول ولكن عصى وإستكبر وكان كافرا من غير تكذيب في الباطن وتحقيق هذا مبسوط في غير هذا الموضع<sup>1</sup>

\*فالتصديق الذي في القلب وعلمه يقتضي عمل القلب كما يقتضي الحس الحركة الإرادية لأن النفس فيها قوتان قوة الشعور بالملائم والمنافى والإحساس بذلك والعمل والتصديق به وقوة الحب للملائم والبغض للمنافى والحركة عن الحس بالخوف والرجاء والموالاة والمعادة وإدراك الملائم يوجب اللذة والفرح والسرور وإدراك المنافى يوجب الألم والغم وقد قال النبي كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء فالقلوب مبطورة على الإقرار بالله تصديقا به ودينا له لكن يعرض لها ما يفسدها ومعرفة الحق تقتضي محبته ومعرفة



الباطل تقتضي بغضه لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل لكن قد يعرض لها ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعه ولهذا أمرنا الله أن نقول في الصلاة {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {7} الفاتحة 6-7 وقال النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون لأن اليهود يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ولا يتبعونه لما فيهم من الكبر والحسد الذي يوجب بغض الحق ومعاداته والنصاري لهم عبادة وفي قلوبهم رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها لكن بلا علم فهم ضلال هؤلاء لهم معرفة بلا قصد صحيح وهؤلاء لهم قصد في الخير بلا معرفة له وينضم إلى ذلك الظن وإتباع الهوى فلا يبقى في الحقيقة معرفة نافعة ولا قصد نافع بل يكون كما قال تعالى عن مشركي أهل الكتاب {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} {الملك} 10 وقال تعالى {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ} {الأعراف} 179 فالإيمان في القلب لا يكون إيماناً بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك كما أنه لا يكون إيماناً بمجرد ظن وهوى بل لا بد في أصل الإيمان من قول القلب وعمل القلب<sup>1</sup>

\* أن الشخص إما أن يبين له أن ما بعث الله به رسوله حق ويعدل عن ذلك إلى اتباع هواه أو يحسب أن ما هو عليه من ترك ذلك هو الحق فهذا متبع للظن والأول متبع لهواه اجتماع الأمرين قال تعالى في صفة الأولين {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} {الأنعام} 20 وقال تعالى في صفة الأخسرين {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} {فاطر} 8 فالأول حال المغضوب عليهم الذين

يعرفون الحق ولا يتبعونه كما هو موجود في اليهود والثاني  
حال الذين يعملون بغير علم قال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ  
بِأَهْوَائِهِمْ بَغَيْرِ عِلْمٍ { الأنعام 119<sup>1</sup>

## بيان خطأ قول جهم أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه

\*فإن الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب ولا بد فيه من  
شيين تصديق بالقلب وإقراره ومعرفته ويقال لهذا قول القلب  
قال الجنيد بن محمد التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب  
فلا بد فيه من قول القلب وعمله ثم قول البدن وعمله ولا بد فيه من  
عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله  
ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل لله وحده  
وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي  
أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان ثم القلب هو الأصل  
فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك الى البدن بالضرورة لا  
يمكن أن يتخلف البدن عما يريده القلب ولهذا قال النبي في  
الحديث الصحيح ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح  
لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب  
وقال أبو هريرة القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك  
طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده وقول أبي هريرة  
تقريب وقول النبي أحسن بيانا فإن الملك وإن كان صالحا فالجند  
لهم إختيار قد يعصون به ملكهم وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع  
فساده أو فساد مع صلاحه بخلاف القلب فإن الجسد تابع له لا  
يخرج عن إرادته قط كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا  
صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد  
فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا لزم  
ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق  
كما قال أئمة أهل الحديث قول وعمل قول باطن وظاهر وعمل  
باطن وظاهر والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن

صلح الظاهر وإذا فسد فسد ولهذا قال من قال من الصحابة عن  
 المصلى العابت لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه فلا بد في  
 إيمان القلب من حب الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب  
 إليه مما سواهما قال الله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ  
 اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165  
 فوصف الذين آمنوا بأنهم أشد حبا لله من المشركين لأناداهم  
 وفي الآية قولان قيل يحبونهم كحب المؤمنين الله والذين  
 آمنوا أشد حبا لله منهم لأوثانهم وقيل يحبونهم كما يحبون الله  
 والذين آمنوا أشد حبا لله منهم وهذا هو الصواب والأول قول  
 متناقض وهو باطل فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة  
 المؤمنين الله وتستلزم الإرادة والإرادة التامة مع القدرة تستلزم  
 الفعل فيمتنع أن يكون الإنسان محبا لله ورسوله مريدا لما يحبه  
 الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فإذا لم  
 يتكلم الإنسان بالإيمان مع قدرته دل على أنه ليس في قلبه الإيمان  
 الواجب الذي فرضه الله عليه ومن هنا يظهر خطأ قول  
 جهم بن صفوان ومن إتبعه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد  
 تصديق القلب وعلمه لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان وظنوا  
 أنه قد يكون الإنسان مؤمنا كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب  
 الله ورسوله ويعادى الله ورسوله ويعادى أولياء الله ويوالى أعداء  
 الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار  
 غاية الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة قالوا وهذه كلها  
 معاص لا تنافي الإيمان الذي في قلبه بل يفعل هذا وهو في  
 الباطن عند الله مؤمن قالوا وإنما ثبت له في الدنيا أحكام الكفار  
 لأن هذه الأقوال أماره على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم  
 بالإقرار والشهود وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما أقر به  
 وبخلاف ما شهد به الشهود فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة  
 والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب  
 في الآخرة قالوا فهذا دليل على إنتفاء التصديق والعلم من قلبه  
 فالكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل والإيمان شيء واحد وهو

العلم أو تكذيب القلب وتصديقه فإنهم متنازعون هل تصديق القلب شيء غير العلم أو هو هو وهذا القول مع أنه أفسد قول قيل في الإيمان فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام المرجئة وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وأبي عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول وقالوا إبليس كافر بنص القرآن وإنما كفره بإستكباره وإمتناعه عن السجود لآدم لا لكونه كذب خبرا وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } النمل 14 وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } البقرة 146 وقال { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 20 وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله فيهم { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَئِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام 33 فهؤلاء غلطوا في أصلين أحدهما ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال وحركة وإرادة ومحبة وخشية فى القلب وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقا فإن أعمال القلوب التى يسميها بعض الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين الى الله أو مقامات العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الإيمان المستحب فالأول لا بد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من الابرار اصحاب اليمين ومن فعله وفعل الثانى كان من المقربين السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله والجهاد فى سبيله أحب إليه من أهله وماله ومثل خشية الله وحده دون خشية المخلوقين ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين والتوكل على الله وحده دون المخلوقين والإنابة إليه مع خشيته كما قال تعالى { هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ } 32 { مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ } 33 } ق

32-33 ومثل الحب في الله والبغض في الله والموالاة لله  
 والمعاداة لله والثاني ظنهم أن كل من حكم الشارع بأنه  
 كافر مخلد في النار فإنما ذاك لأنه لم يكن في قلبه شيء من العلم  
 والتصديق وهذا أمر خالفوا به الحس والعقل والشرع وما أجمع  
 عليه طوائف بني آدم السليمة الفطرة وجماهير النظار فإن  
 الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده  
 إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس ويحمله ذلك الهوى على  
 أن يعتدى عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو في قلبه يعلم أن  
 الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم  
 صادقون لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة وإما  
 لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض  
 كأموال ورياسة وصدقة أقوام وغير ذلك فيرون في اتباع الرسل  
 ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور مكروهة إليهم  
 فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون  
 مع علمهم بأنهم على الباطل والرسل على الحق ولهذا لا يذكر  
 الكفار حجة صحيحة تقدر في صدق الرسل إنما يعتمدون على  
 مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح { أُوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ  
 { الشعراء 111 ومعلوم أن اتباع الأردلين له لا يقدر في صدقه  
 لكن كرهوا مشاركة أولئك<sup>1</sup>

### ذم الله الكاذب على الله والمكذب بالحق

\*فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله  
 بشر إلا أن يكون نبيا فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي  
 وإذا كان الأمر كذلك فمعلوم بالتواتر أن محمدا ذكر أنه رسول  
 كإبراهيم وموسى وعيسى بل أخبر أنه سيد ولد آدم وأن آدم فمن  
 دونه تحت لوأته يوم القيامة وأنه لما أسري به وعرج إلى ربه  
 علا على الأنبياء كلهم على إبراهيم وموسى وهرون ويحيى  
 وعيسى وغيرهم وأخبر أنه لا نبي بعده وأن أمته هم الآخرون  
 في الخلق السابقون يوم القيامة وأن الكتاب الذي انزل إليه أحسن

الحديث وأنه مهيمن على ما بين يديه من الكتب مع تصديقه لذلك  
 وحينئذ فإن كان عالماً بصدق نفسه فهو نبي رسول ومن قال هذا  
 القول وهو يعلم أنه كاذب فهو من أظلم الناس وأفجرهم  
**{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ  
 الظَّالِمُونَ { الأنعام 21}**

\*و قد قال تعالى {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ  
 إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ {32} وَالَّذِي جَاءَ  
 بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ {33} الزمر 32- 33 الآية  
 فقد ذم الله سبحانه و تعالى الكاذب على الله و المكذب بالصدق و  
 هذا ذم عام و الرافضة اعظم أهل البدع دخولا في هذا  
 الوصف المذموم فإنهم اعظم الطوائف افتراء للكذب على الله و  
 أعظمهم تكديبا بالصدق لما جاءهم وأبعد الطوائف عن المجيء  
 بالصدق و التصديق به و أهل السنة المحضة أولى الطوائف  
 بهذا فإنهم يصدقون و يصدقون بالحق في كل ما جاء به و ليس  
 لهم هوى إلا مع الحق و الله تعالى مدح الصادق فيما يجيء به  
 و المصدق بهذا الحق فهذا مدح للنبي صلى الله عليه و سلم و لكل  
 من آمن به و بما جاء به و هو سبحانه لم يقل و الذي جاء  
 بالصدق و الذي صدق به فلم يجعلهما صنفين بل جعلهما صنفا  
 واحدا لأن المراد مدح النوع الذي يجيء بالصدق و يصدق  
 بالصدق فهو ممدوح على اجتماع الوصفين على أن لا يكون من  
 شأنه إلا أن يجيء بالصدق و من شأنه أن يصدق بالصدق و  
 قوله { جَاءَ بِالصِّدْقِ } الزمر 33 اسم جنس لكل صدق و أن  
 كان القرآن أحق بالدخول في ذلك من غيره و لذلك صدق به أي  
 بجنس الصدق و قد يكون الصدق الذي صدق به ليس هو عين  
 الصدق الذي جاء به كما تقول فلان يسمع الحق و يقول الحق و  
 يقبله و يأمر بالعدل و يعمل به أي هو موصوف بقول الحق  
 لغيره و قبول الحق من غيره وأنه يجمع بين الأمر بالعدل و  
 العمل به وإن كان كثير من العدل الذي يأمر به ليس هو عين  
 العدل الذي يعمل به فلما ذم الله سبحانه من اتصف بأحد

الوصفين الكذب على الله و التكذيب بالحق إذ كل منهما يستحق به الذم مدح ضدهما الخالي عنهما بأن يكون يجيء بالصدق لا بالكذب و أن يكون مع ذلك مصدقا بالحق لا يكون ممن يقوله هو و إذا قاله غيره لم يصدقه فإن من الناس من يصدق و لا يكذب لكن يكره أن غيره يقوم مقامه في ذلك حسدا و منافسة فيكذب غيره في غيره أو لا يصدقه بل يعرض عنه و فيهم من يصدق طائفة فيما قالت قبل أن يعلم ما قاله اصدق هو أم كذب و الطائفة الأخرى لا يصدقها فيما تقول و أن كان صادقا بل إما أن يصدقها وإما أن يعرض عنها و هذا موجود في عامة أهل الأهواء تجد كثيرا منهم صادقا فيما ينقله لكن ما ينقله عن طائفته يعرض عنه فلا يدخل هذا في المدح بل في الذم لأنه لم يصدق بالحق الذي جاءه و الله قد ذم الكاذب و المكذب بالحق لقوله في غير آية { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ } العنكبوت 68 وقال { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ } الأنعام 21 ولهذا لما كان مما وصف الله به الأنبياء الذين هم أحق الناس بهذه الصفة أن كلا منهم يجيء بالصدق فلا يكذب فكل منهم صادق في نفسه مصدق لغيره ولما كان قوله و الذي صنفا من الأصناف لا يقصد به واحد بعينه أعاد الضمير بصيغة الجمع فقال { وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } الزمر 33 وأنت تجد كثيرا من المنتسبين إلى علم و دين لا يكذبون فيما يقولونه بل لا يقولون إلا الصدق لكن لا يقبلون ما يخبر به غيرهم من الصدق بل يحملهم الهوى و الجهل على تكذيب غيرهم وإن كان صادقا أما تكذيب نظيره وإما تكذيب من ليس من طائفته و نفس تكذيب الصادق هو من الكذب ولهذا قرنه بالكاذب على الله فقال { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ } الزمر 32 فكلاهما كاذب هذا كاذب فيما يخبر به عن الله و هذا كاذب فيما يخبر به عن المخبر عن الله

و النصارى يكثر فيهم المفترون للكذب على الله و اليهود يكثر فيهم المكذبون بالحق و هو سبحانه ذكر المكذب بالصدق نوعا ثانيا لأنه أولا لم يذكر جميع أنواع الكذب بل ذكر من كذب على الله و أنت إذا تدبرت هذا و علمت أن كل واحد من الكذب على الله و التكذيب بالصدق مذموم و أن المدح لا يستحقه إلا من كان أتيا بالصدق مصدقا للصدق علمت أن هذا مما هدى الله به عباده إلى صراطه المستقيم إذا تأملت هذا تبين لك أن كثيرا من الشر أو أكثره يقع من أحد هذين فتجد إحدى الطائفتين أو الرجلين من الناس لا يكذب فيما يخبر به من العلم لكن لا يقبل ما تأتي به الطائفة الأخرى فربما جمع بين الكذب على الله و التكذيب بالصدق<sup>1</sup>

### الفرق بين دلائل النبي الصادق ودلائل المتبىء الكذاب

\*كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البيئات ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين قال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ } الأنعام 21 ومن كان كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال إن الله يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلقه ثم قرأ { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } هود 102 وقال أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقيئها الرياح تقومها تارة وتمليها أخرى ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة فالكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعا ويزول سريعا



كدولة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبتلون كثيرا ليمحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئا فشيئا كالزرع قال تعالى { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا

{الفتح 29} ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه الأمور وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله والمتنبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المتنبئ الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع<sup>1</sup>

### الشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء

\*والله سبحانه يقرن في كتابه بين الشرك والكذب كما يقرن بين الصدق والإخلاص ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله مرتين ثم قرأ قول الله تعالى { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } {30} حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ {31} {الحج 30-31} وقال تعالى { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } {22} ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتُهُمُ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ } {23} انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } {24} {الأنعام 22-24} والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شركا فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ولا أبعد عن التوحيد

حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه فيعطلونها عن الجمعات والجماعات ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها والله سبحانه في كتابه إنما أمر بعمارة المساجد لا المشاهد<sup>1</sup>

## شأن النفس يوم القيامة يجادل الله بالباطل

\*قال تعالى {وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ} النساء 107 أنه لا يجوز الجدل عن الخائن و لا يجوز للانسان أن يجادل عن نفسه إذا كانت خائنة لها في السر أهواء و أفعال باطنة تخفى على الناس قال تعالى {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} غافر 19 و قال تعالى {وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} الأنعام 120 وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ} الأعراف 33 و قد قال تعالى {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} 14 {وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ} 15} القيامة 14-15 فإنه يعتذر عن نفسه بأعذار و يجادل عنها و هو يبصرها بخلاف ذلك و قال تعالى {كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} الإسراء 14 و قال تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ} البقرة 204 و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم فهو يجادل عن نفسه بالباطل و فيه لد أي ميل و اعوجاج عن الحق و هذا على نوعين أحدهما أن تكون مجادلته و ذبه عن نفسه مع الناس و الثاني فيما بينه و بين ربه بحيث يقيم أعذار نفسه و يظنها محقة و قصدها حسنا و هي خائنة ظالمة لها أهواء خفية قد كتمتها حتى لايعرف بها الرجل حتى يرى و ينظر قال شداد بن أوس إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوة الخفية قال أبو دواد هي حب الرياسة و هذا من شأن النفس حتى أنه يوم القيامة يريد أن يدفع عن نفسه و يجادل الله بالباطل قال تعالى {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ

الكَاذِبُونَ {18} اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ

الْخَاسِرُونَ {19} {المجادلة 18-19} وقال تعالى {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ {22} ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا

مُشْرِكِينَ {23} انظر كيف كذبوا على أنفسهم وصلَّ عنهم ما كانوا يفترون {24} {الأنعام 22-24} وقد جاءت الأحاديث بأن

الانسان يجحد أعماله يوم القيامة حتى يشهد عليه سمعه و بصره و جوارحه و قال تعالى {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ

عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ} فصلت 22 ومن عادة المنافقين المجادلة

عن أنفسهم بالكذب و الأيمان الفاجرة و صفةم الله بذلك في غير موضع و فى قصة تبوك لما رجع النبي صلى الله عليه و سلم و جاء المنافقون يعتذرون إليه فجعل يقبل علانيتهم و يكل سرائرهم

إلى الله فلما جاء كعب قال و الله يارسول الله لو قعدت بين يدي ملك من ملوك الأرض لقدرت أن أخرج من سخطه إنى أوتيت جدلا و لكن أخاف إن حدثتك حديث كذب ترضى به عنى

ليوشكن الله أن يسخطك علي و لئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إنى لأرجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر و الله

ما كنت أقوى قط و لا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال النبي صلى الله عليه و سلم أما هذا فقد صدق يعنى و الباقي يكذبون ثم

إنه هجره مدة ثم تاب الله عليه ببركة صدقة فالاعتذار عن النفس بالباطل و الجدال عنها لا يجوز بل إن أذنب سرا بينه و

بين الله اعترف لربه بذنبه و خضع له بقلبه و سأله مغفرته و تاب إليه فانه غفور رحيم تواب و إن كانت السيئة ظاهرة تاب ظاهرا

و إن أظهر جميلا و أبطن قبيحا تاب فى الباطن من القبيح فمن أساء سرا أحسن سرا و من أساء علانية أحسن علانية {إنَّ

الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} {هود 114} <sup>1</sup>

## القلب الميت

\*والقلب الحى المنور فانه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل  
والقلب الميت فانه لا يسمع ولا يبصر قال تعالى {وَمَثَلُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمِيٌّ  
فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} البقرة 171 وقال تعالى {وَمِنْهُمْ مَّنْ  
يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ} {42}  
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا

يُبْصِرُونَ} {43} يونس 42- 43 وقال تعالى {وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ  
إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ  
يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوهَا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} الأنعام 25 الآيات

فأخبر انهم لا يفقهون بقلوبهم ولا يسمعون بأذانهم ولا يؤمنون  
بما رأوه من النار كما اخبر عنهم حيث قالوا قلوبنا فى اكنة  
مما تدعوننا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب  
فذكروا الموانع على القلوب والسمع والابصار وابدانهم حبة  
تسمع الاصوات وترى الاشخاص لكن حياة البدن بدون حياة  
القلب من جنس حياة البهائم لها سمع وبصر وهى تأكل وتشرب  
وتتكح ولهذا قال تعالى {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ  
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً} البقرة 171 فشبهم بالغنم الذى  
ينعق بها الراعى وهى لا تسمع الا نداء كما قال فى الآية الأخرى  
{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ  
هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} الفرقان 44 وقال تعالى {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ  
كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا  
يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ  
أَضَلُّ أَوْلَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ} الأعراف 179

فطائفة من المفسرين تقول فى هذه الآيات وما اشبهها كقوله  
{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا  
كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ} يونس 12

وأمثالها مما ذكر الله في عيوب الانسان ودمها فيقول هؤلاء هذه الآية في الكفار والمراد بالانسان هنا الكافر فيبقى من يسمع ذلك يظن انه ليس لمن يظهر الاسلام في هذا الذم والوعيد نصيب بل يذهب وهمه الى من كان مظهرا للشرك من العرب او الى من يعرفهم من مظهرى الكفر كاليهود والنصارى ومشركى الترك والهند ونحو ذلك فلا ينتفع بهذه الآيات التى أنزلها الله ليهتدى بها عباده فيقال اولا المظهرون للاسلام فيهم مؤمن ومنافق والمنافقون كثيرون فى كل زمان والمنافقون فى الدرك الاسفل من النار ويقال ثانيا الانسان قد يكون عنده شعبة من نفاق وكفر وان كان معه ايمان كما قال النبى فى الحديث المتفق عليه أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا أوتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر فأخبر أنه من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق وقد ثبت فى الحديث الصحيح أنه قال لابي ذر رضى الله عنه انك امرؤ فيك جاهلية و ابو ذر رضى الله عنه من أصدق الناس ايمانا وقال فى الحديث الصحيح أربع فى امتى من امر الجاهلية الفجر بالاحساب والطعن فى الأنساب والنياحة والاستسقاء بالنجوم وقال فى الحديث الصحيح لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه قالوا اليهود والنصارى قال فمن وقال أيضا فى الحديث الصحيح لتأخذن أمتى ما أخذت الامم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قالوا فارس والروم قال ومن الناس الا هؤلاء النفاق على نفسه وعن على او حذيفة رضى الله عنهما 0 قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اغلف فذاك قلب الكافر وقلب منكوس فذاك قلب المؤمن المنافق وقلب فيه مادتان تمده الاريمان ومادة تمده النفاق فأوليك قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وإذا عرف

هذا علم ان كل عبد ينتفع بما ذكر الله فى الايمان من مدح شعب  
الايمان و ذم شعب الكفر وهذا كما يقول بعضهم فى قوله  
{اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6 فيقولون المؤمن قد هدى  
الى الصراط المستقيم فأى فائدة فى طلب الهدى ثم يجيب بعضهم  
بأن المراد ثبتنا على الهدى كما تقول العرب للنائم نم حتى آيتك  
او يقول بعضهم الزم قلوبنا الهدى فحذف المزوم ويقول بعضهم  
زدنى هدى وإنما يوردون هذا السؤال لعدم تصورهم الصراط  
المستقيم الذى يطلب العبد الهداية اليه فان المراد به العمل بما  
امر الله به وترك ما نهى الله عنه فى جميع الأمور والانسان  
وإن كان أقر بان محمدا رسول الله وان القرآن حق على سبيل  
الاجمال فاكتر ما يحتاج اليه من العلم بما ينفعه ويضره وما امر  
به وما نهى عنه فى تفاصيل الأمور وجزئياتها لم يعرفه وما  
عرفه فكثير منه لم يعمل بعلمه ولو قدر أنه بلغه كل أمر ونهى  
فى القرآن والسنة فالقرآن والسنة إنما تذكر فيهما الامور العامة  
الكلية لا يمكن غير ذلك لا نذكر ما يخص به كل عبد ولهذا امر  
الانسان فى مثل ذلك بسؤال الهدى الى الصراط المستقيم  
والهدى الى الصراط المستقيم يتناول هذا كله يتناول التعريف بما  
جاء به الرسول مفصلا ويتناول التعريف بما يدخل فى اوامره  
الكليات ويتناول الهام العمل بعلمه فإن مجرد العلم بالحق لا  
يحصل به الإهداء أن لم يعلم بعمله ولهذا قال لنبيه بعد صلح  
الحديبية { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا } {1} لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ  
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا  
مُسْتَقِيمًا } {2} الفتح 1-2 وقال فى حق موسى وهرون {  
وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ } {117} وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ  
الْمُسْتَقِيمَ } {118} الصافات 117-118 والمسلمون قد تنازعوا فيما  
شاء الله من الامور الخبرية والعلمية الا اعتقادية والعملية مع أنهم  
كلهم متفقون على أن محمدا حق والقرآن حق فلو حصل لكل  
منهم الهدى إلى الصراط المستقيم فيما اختلفوا فيه لم يختلفوا ثم  
الذين علموا ما أمر الله به أكثرهم يعصونه ولا يحتذون حذوه فلو

هدوا الى الصراط المستقيم فى تلك الأعمال لفعلوا ما أمروا به وتركوا ما نهوا عنه والذين هداهم الله من هذه الأمة حتى صاروا من أولياء الله المتقين كان من أعظم أسباب ذلك دعاؤهم الله بهذا الدعاء فى كل صلاة مع علمهم بحاجتهم وفاقتهم الى الله دائما فى أن يهديهم الصراط المستقيم فبدوام هذا الدعاء والافتقار صاروا من أولياء الله المتقين قال سهل ابن عبد الله التستري ليس بين العبد وبين ربه طريق أقرب إليه من الافتقار وما حصل فيه الهدى فى الماضى فهو محتاج الى حصول الهدى فيه فى المستقبل وهذا حقيقة قول من يقول ثبتنا واهدنا لزوم الصراط<sup>1</sup>

### أصل صلاح القلب هو حياته واستنارته

\*وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها فى غير موضع كقوله {لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} يس70 وفى الحديث الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت وفى الصحيح أيضا اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذها قبورا وفى الدعاء المأثور اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا والربيع هو المطر الذي ينزل من السماء فينبت به النبات قال النبي صلى الله عليه وسلم إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا او يلم والفصل الذي ينزل فيه أول المطر تسميه العرب الربيع لنزول المطر الذي ينبت الربيع فيه وغيرهم يسمى الربيع الفصل الذي يلي الشتاء فإن منه تخرج الأزهار التي تخلق منها الثمار وتنبت الاوراق على الاشجار والقلب الحي المنور فإنه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا يبصر وقال تعالى {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} الأنعام25 فأخبر أنهم لا

يفقهون بقلوبهم ولا يسمعون بأذانهم ولا يؤمنون بما رأوه من  
النور<sup>1</sup>

\*إن الله سبحانه وتعالى خلق القلب للإنسان يعلم به الأشياء كما  
خلق العين يرى بها الأشياء والأذن يسمع بها الأشياء وكما خلق  
سبحانه كل عضو من أعضائه لأمر من الأمور وعمل من  
الأعمال فاليد للبطش والرجل للسعي واللسان للنطق والفم للذوق  
والأنف للشم والجلد للمس وكذلك سائر الأعضاء الباطنة  
الظاهرة فإذا استعمل العضو فيما خلق له وأعد من أجله فذلك هو  
الحق القائم والعدل الذي قامت به السماوات والأرض وكان ذلك  
خييرا وصلاحا لذلك العضو ولربه وللشيء الذي استعمل فيه  
وذلك الإنسان هو الصالح الذي استقام حاله وأولئك على هدى من  
ربهم وأولئك هم المفحون وإذا لم يستعمل العضو في حقه بل  
ترك بطالا فذلك خسران وصاحبه مغبون وإن استعمل في خلاف  
ما خلق له فهو الضلال والهلاك وصاحبه من الذين بدلوا نعمة  
الله كفرا ثم إن سيد الأعضاء ورأسها هو القلب كما سمي قلبا  
قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في الجسد مضغة إذا  
صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي  
القلب وقال صلى الله عليه وسلم الإسلام علانية والإيمان  
في القلب ثم أشار بيده إلى صدره وقال ألا إن التقوى  
ها هنا ألا إن التقوى ها هنا وإذا قد خلق ليعلم به فتوجه نحو  
الأشياء ابتغاء العلم بها هو الفكر والنظر كما أن إقبال الإذن على  
الكلام ابتغاء سمعه هو الإصغاء والاستماع وانصراف الطرف  
إلى الأشياء طلبا لرؤيتها هو النظر فالفكر للقلب كالإصغاء للأذن  
إذا سمعت ما أصغت إليه ومثله نظر العينين في شيء وإذا علم  
ما نظر فيه فذاك مطلوبة كما أن الأذن إذا سمعت ما أصغت إليه  
أو العين إذا أبصرت ما نظرت إليه وكم من ناظر مفكر لم يحب  
العلم ولم ينله كما أنه كم من ناظر إلى الهلال لا يبصره ومستمع  
إلى صوت لا يسمعه وعكسه من يؤتى علما بشيء لم ينظر فيه  
ولم تسبق منه سابقة فكر كمن فاجأته رؤية الهلال من غير قصد



إليه أو سمع قولاً من غير أن يصغي إليه وذلك كله لأن القلب بنفسه يقبل العلم وإنما الأمر موقوف على شرائط واستعداد قد يكون فعلاً من الإنسان فيكون مطلوباً وقد يأتي فضلاً من الله فيكون موهوباً فصلاح القلب وحقه والذي خلق من أجله هو أن يعقل الأشياء لا أقول أن يعلمها فقد يعلم الشيء من لا يكون عاقلاً له بل غافلاً عنه ملغياً له والذي يعقل الشيء هو الذي يقبده ويضبطه ويعيه ويثبته في قلبه فيكون وقت الحاجة إليه غنياً فيطابق عمله قوله وباطنه ظاهره وذلك هو الذي أوتي الحكمة { وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا } البقرة 269 وقال أبو الدرداء إن من الناس يؤتى من علماً ولا يؤتى حكماً وإن شداد بن أوس ممن أوتي علماً وحكماً هذا مع أن الناس متباينون في نفس أن يعقلوا الأشياء من بين كامل وناقص وفيما يعقلونه من بين قليل وكثير وجليل ودقيق وغير ذلك ثم هذه الأعضاء الثلاثة هي أمهات ما ينال به العلم يدرك أعني العلم الذي يمتاز به البشر عن سائر الحيوانات دون ما يشاركه فيه من الشم الذوق واللمس وهنا يدرك به ما يحب ويكره وما يميز به من يحسن إليها ويسيء إلى غير ذلك قال الله تعالى { وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } النحل 78 وقال { ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } السجدة 9 وقال { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } الإسراء 36 وقال { وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً } الأحقاف 26 وقال { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } البقرة 7 وقال فيما لكل عضو من هذه الأعضاء من العمل والقوة { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا } الأعراف 179 ثم إن العين تقصر عن القلب والأذن وتفارقهما في شيء وهو أنها إنما ترى بها الأشياء

الحاضرة والأمور الجسمانية مثل الصور والأشخاص فأما القلب والأذن فيعلم بهما ما غاب عن الإنسان وما لا مجال للبصر فيه من الأشياء بنفسه إذا كان العلم بها هو غذاؤه وخاصيته أما الأذن فإنها تحمل الكلام المشتمل على العلم إلى القلب فهي بنفسها إنما تنال القول والكلام فإذا وصل ذلك إلى القلب أخذ منه ما فيه من العلم فصاحب العلم في حقيقة الأمر هو القلب وإنما سائر الأعضاء حجته توصل إليه من الأخبار ما لم يكن ليأخذه بنفسه حتى إن من فقد شيئاً من هذه الأعضاء فإنه يفقد بفقده من العلم ما كان هو الواسطة فيه فالأصم لا يعلم ما في الكلام من العلم والضرير لا يدري ما تحتوي عليه الأشخاص من الحكمة البالغة وكذلك من نظر إلى الأشياء بغير قلب أو استمع إلى كلمات أهل العلم بغير قلب فإنه لا يعقل شيئاً فمدار الأمر على القلب وعند هذا تستبين الحكمة في قوله تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَنُّوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ } الحج 46 حتى لم يذكر هنا العين كما في الآيات السوابق فإن سياق الكلام هنا في أمور غائبة وحكمة معقولة من عواقب الأمور لا مجال لنظر العين فيها ومثله قوله { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ } الفرقان 44 وتبين حقيقة الأمر في قوله { إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } ق 37

فإن من يؤتى الحكمة وينتفع بالعلم على منزلتين إما رجل رأى الحق بنفسه فقبله واتبعه ولم يحتج إلى من يدعو إليه فذلك صاحب القلب أو رجل لم يعقله بنفسه بل هو محتاج إلى من يعلمه وتبين له ويعظه ويؤدبه فهذا أصغى فألقى السمع وهو شهيد أي حاضر القلب ليس بغائبه كما قال مجاهد أوتى العلم وكان له ذكرى ويتبين قوله { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } 42 { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ } 43 { يونس 42- 43 } وقوله { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ

**يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَأَ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوهَا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا  
جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ  
{ الأنعام 25** ثم إذا كان حق القلب أن يعلم الحق فإن الله هو الحق  
المبين { فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ  
{ يونس 32 إذا كان كل ما يقع عليه لمحة ناظر ويحول في لفظة  
خاطر ف الله ربه ومنشئه وفاطره ومبدئه لا يحيط علما إلا بما  
هو من آياته البينة في أرضه وسمائه وأصدق كلمة قالها لبيد ألا  
كل شيء ما خلا الله باطل ما من شيء من الأشياء إذا نظرت  
إليه من جهة نفسه وجدته إلى العدم ما هو فقير إلى الحي القيوم  
فإذا نظرت إليه وقد تولته يد العناية بتقدير من أعطى كل شيء  
خلقه هم هدى رأيته حينئذ موجودا مكسوا حلل الفضل والإحسان  
فقد استبان القلب إنما خلق لذكر الله سبحانه ولذلك قال بعض  
الحكماء المتقدمين من أهل الشام أظنه سليمان الخواص رحمه  
الله الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد فكما لا يجد الجسد لذة  
الطعام مع السقم فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا  
أو كما قال فإذا كان القلب مشغولا ب الله عاقلا للحق مفكرا في  
العلم فقد وضع موضعه كما أن العين إذا صرفت إلى النظر في  
الأشياء فقد وضعت في موضعها أما إذا لم يصرف إلى العلم ولم  
يرع فيه الحق فنسي ربه فلم يوضع في موضع بل هو ضائع ولا  
يحتاج أن يقال قد وضع في غير موضعه بل لم يوضع أصلا  
فإن موضعه هو الحق وما سوى الحق باطل فإذا لم يوضع في  
الحق لم يبق إلا الباطل والباطل ليس بشيء أصلا وما ليس  
بشيء أحرى إلا أن يكون موضعا والقلب هو بنفسه لا يقبل إلا  
الحق فإذا لم يوضع فيه فإنه لا يقبل غير ما خلق له { سُنَّةَ اللَّهِ  
الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا } الفتح 23 وهو  
مع ذلك ليس بمتروك مخلى فإن من لا يزال من أودية الأفكار  
وأقطار الأمانى لا يكون على الحال التي تكون عليها العين  
والأذن من الفراغ والتخلي فقد وضع في غير موضع لا مطلق  
ولا معلق موضوع لا موضع له وهذا من العجب فسبحان العزيز

الحكيم وإنما تنكشف له هذه الحال عند رجوعه إلى الحق إما في الدنيا عند الإنابة أو عند المنقلب إلى الآخرة فيرى سوء الحال التي كان عليها وكيف كان قلبه ضالاً عن الحق هذا إذا صرف إلى الباطل فأما لو ترك وحالته التي فطر عليها فارغاً عن كل ذكر وخالياً من كل فكر لقد كان يقبل العلم الذي لا جهل فيه ويرى الحق الذي لا ريب فيه فيؤمن بربه وينيب إليه فإن كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء لا تحس فيها من جدعاء { فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } الروم 30 وإنما يحول بينه وبين الحق في غالب الحال شغله بغيره من فتن الدنيا ومطالب الجسد وشهوات النفس فهو في هذه الحال كالعين النازرة إلى وجه الأرض لا يمكنها أن ترى مع ذلك الهلال أو هو يميل إليه فيصده عن اتباع الحق فيكون كالعين التي فيها قذى لا يمكنها رؤية الأشياء ثم الهوى قد يعرض له قبل معرفة الحق فيصده عن النظر فيه فلا يتبين له الحق كما قيل حبك الشيء يعمي ويصم فيبقى في ظلمة الأفكار وكثيراً ما يكون ذلك كبيراً يمنعه عن أن يطلب الحق { فَأَلْذِنِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ } النحل 22 وقد يعرض الهوى بعد أن عرف الحق فيجده ويعرض عنه كما قال سبحانه فيهم { سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً } الأعراف 146 ثم القلب للعمل كالإناء للماء والوعاء للغسل والوادي للسيل كما قال تعالى { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا } الرعد 17 الآية وقال للنبي صلى الله عليه وسلم إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت فيها أجادب أمسكت الماء فسقى الناس وزرعوا وأصاب منها طائفة إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً فذلك مثل

من فقه في دين الله ونفعه ما أرسلت به ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به وفي حديث كميل بن زياد عن علي رضي الله عنه قال القلوب أوعية فخيرها أوعاها وبلغنا عن بعض السلف قال القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إلى الله تعالى أرقها وأصفاها وهذا مثل حسن فإن القلب إذا كان رقيقا لنا كان قبوله للعلم سهلا يسيرا ورسخ فيه وأثر وإن يكن قاسيا غليظا يكن قبوله للعلم صعبا عسيرا ولا بد من ذلك أن يكون زكيا صافيا سليما حتى يزكو فيه العلم ويثمر ثمرا طيبا وإلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم وكان كالدغل في المزدرع إن لم يمنع الحب من أن ينبت منعه من أن يزكو ويطيب وهذا بين لأولي الأبصار وتلخيص هذه الجملة أنه إذا استعمل في الحق فله وجهان وجه مقبل على الحق ومن هذا الوجه يقال له وعاء وإناء لأن ذلك يستوجب ما يوعى فيه ويوضع فيه وهذه الصبغة وجود ثبوت ووجه معرض عن الباطل ومن هذا الوجه يقال له زكي وسليم وظاهر لأن هذه الأسماء تدل على عدم الشر والخبث والدغل وهذه الصبغة عدم ونفي وبهذا يتبين أنه إذا صرف إلى الباطل فله وجهان وجه الوجود أنه منصرف إلى الباطل مشغول به ووجه العدم أنه معرض عن الحق غير قابل له وهذا يبين من البيان والحسن والصدق ما في قوله إذا ما وضعت القلب في غير موضع وضع بغير إناء فهو قلب مضيع فإنه لما أراد أن يبين حال من ضيع قلبه فظلم نفسه بأن اشتغل بالباطل وملا به قلبه حتى لم يبق فيه متسع للحق ولا سبيل له إلى الولوج فيه ذكر ذلك منه فوصف حال هذا القلب بوجهيه ونعته بمذهبيه فذكر أولا وصف الوجود منه فقال إذا ما وضعت القلب في غير موضع يقول إذا شغلته بما لم يخلق له فصرفته إلى الباطل حتى صار موضوعا فيه ثم الباطل على منزلتين إحداها تشغل عن الحق ولا تعانده مثل الأفكار والهموم التي من علائق الدنيا وشهوات النفس والثانية تعاند الحق وتصد عنه مثل الآراء الباطلة

والأهواء المردية من الكفر والنفاق والبدع وشبه ذلك بل القلب لم يخلق إلا لذكر الله فما سوى ذلك فليس موضعاً له ثم ذكر ثانياً ووصف العدم منه فقال بغير إناء يقول إذا وضعته بغير إناء فوضعته ولا إناء معك كما تقول حضرت المجلس بلا محبرة فالكلمة حال من الواضع لا من الموضوع و الله أعلم وبيان هذه الجملة و الله أعلم أنه يقول إذا ما وضعت قلبك في غير موضع فاشتغل بالباطل ولم يكن معك إناء يوضع فيه الحق ويتنزل إليه الذكر والعلم الذي هو حق القلب فقلبك إذا مضى ضيعته من وجهي التضييع وإن كانا متحدين من جهة أنك وضعته في غير موضوع ومن جهة أنه لا إناء معك يكون وعاء لحقه الذي يجب أن يعطاه كما لو قيل لملك قد أقبل على اللهو إذا اشتغلت بغير المماسكة وليس في الملك من يدبره فهو ملك ضائع لكن هنا الإناء هو القلب بعينه وإنما كان ذلك لأن القلب لا ينوب عنه غيره فيما يجب أن يصنعه { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } {الأنعام 164} وإنما خرج الكلام في صورة اثنين بذكر نعتين لشيء واحد كما جاء نحوه في قوله تعالى { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } {3} { مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ } {4} { آل عمران 3- 4 } قال قتادة والربيع هو القرآن فرق فيه بين الحلال والحرام والحق والباطل وهذا لأن الشيء الواحد إذا كان له وصفان كبيران فهو مع وصف كالشيء الواحد وهو مع الوصفين بمنزلة الاثنين حتى لو كثرت صفاته لتنزل منزلة أشخاص ألا ترى أن الرجل الذي يحسن الحساب والطب بمنزلة حاسب وطبيب والرجل الذي يحسن النجارة والبناء بمنزلة نجار وبناء والقلب لما كان يقبل الذكر والعلم فهو بمنزلة الإناء الذي يوضع فيه الماء وإنما ذكر في هذا البيت الإناء من بين سائر أسماء القلب لأنه هو الذي يكون رقيقاً وصافياً وهو الذي يأتي به المستطعم المستعطي في منزلة البائس الفقير ولما كان ينصرف عن البال فهو زكي وسليم فكأنه اثنان ويتبين في الصورة أن الإناء غير القلب فهو يقول إذا ما وضعت قلبك في

غير موضع وهو الذي يوضع فيه الذكر والعلم ولم يكن معك إناء يوضع فيه المطلوب فتركها ثم أقبل يطلب طعاما فقيل له هات إناء نعطك طعاما فأما إذ أتيت وقد وضعت زبديتك مثلا في البيت وليس معك إناء نعطيك فيه شيئا رجعت بخفي حنين وإذا تأمل من له بصر بأساليب البيان وتصاريف اللسان وجد موقع هذا الكلام من العربية والحكمة كليهما موقعا حسنا بليغا فإن نقيض هذه الحال المذكورة أن يكون القلب مقبلا على الحق والعلم والذكر معرضا عن ذكر غير ذلك وتلك هي الحنيفة دين إبراهيم عليه السلام فإن الحنف هو الميل عن الشيء بالإقبال على آخر فالدين الحنيف هو الإقبال على الله وحده والإعراض عما سواه وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق والكلمة الطيبة لا إله إلا هو اللهم ثبتنا عليها في الدنيا وفي الآخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله<sup>1</sup>

### { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا }

\* وقال تعالى { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا } محمد 24 وقال { أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } النساء 82 وقال تعالى { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ } المؤمنون 68 وقال تعالى { فَبَشِّرْ عِبَادِ } 17 { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } 18 { الزمر 17-18 } وقال { وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا } الفرقان 73 وقال { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف 2 وقال { كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } هود 1 وقال { كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } 3 { بَشِيرًا وَنَذِيرًا } 4 { فَصَّلْتُ 3-4 } الى قوله { وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ } { فَصَّلْتُ 5 } فإذا كان كثير من القرآن أو أكثره مما لا يفهم احد معناه لم يكن المتدبر المعقول إلا بعضه وهذا خلاف ما دل عليه القرآن لا سيما عامة ما كان المشركون ينكرونه كالأيات الخبرية

و الأخبار عن اليوم الآخر أو الجنة و النار و عن نفي الشركاء و الأولاد عن الله و تسميته بالرحمن فكان عامة إنكارهم لما يخبرهم به من صفات الله نفيًا و إثباتًا و ما يخبرهم به عن اليوم الآخر و قد ذم الله من لا يعقل ذلك و لا يفقهه و لا يتدبره فعلم أن الله يأمر بعقل ذلك و تدبره و قد قال تعالى { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } {42} وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ } {43} يونس 42-43 و قال { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } { الأنعام 25} الآية و قال تعالى { وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْثُورًا } {45} وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } {46} الإسراء 45-46 الآية<sup>1</sup>

### سماع فقه و قبول

\* أصل السماع الذي أمر الله به هو سماع ما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم سماع فقه و قبول و لهذا إنقسم الناس فيه أربعة أصناف صنف معرض ممتنع عن سماعه و صنف سمع الصوت و لم يفقه المعنى و صنف فقهه و لكنه لم يقبله و الرابع الذي سمعه سماع فقه و قبول الأول كالذين قال فيهم { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ } فصلت 26 و الصنف الثاني من سمع الصوت بذلك لكن لم يفقه المعنى قال تعالى { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } البقرة 171 وقال تعالى { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا تَأْيِيذًا يَكْفُرُوهَا وَإِنْ يَسْمَعُوا كَلِمًا مِّنْهُ يَخْتَضِعُوا لَهَا خَرًا مِّثْلَ السُّجُودِ } الأنعام 110 يَوْمَئِذٍ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } { الأنعام 25} و قال تعالى { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } {42} وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا



يُبْصِرُونَ {43} إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ  
يَظْلِمُونَ {44} يونس 42-44 و قال تعالى {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ  
جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً {45}  
وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ  
رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّأَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً {46} نَحْنُ أَعْلَمُ  
بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ  
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا {47} الإسراء 45-47 و  
قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا  
وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي  
آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا {الكهف 57  
و قوله أن يفقهوه يتناول من لم يفهم منه تفسير اللفظ كما  
يفهم بمجرد العربية و من فهم ذلك لكن لم يعلم نفس المراد فى  
الخارج و هو الأعيان و الأفعال و الصفات  
المقصودة بالأمر و الخبر بحيث يراها و لا يعلم أنها مدلول  
الخطاب مثل من يعلم و صفا مذموما و يكون هو متصفا به أو  
بعضا من جنسه و لا يعلم أنه داخل فيه <sup>1</sup>

\*فدم المعرض عما يجب من استماع المشتغل عنه باستماع  
الغناء كما هو فعل كثير من الذين أضعوا الصلاة و اتبعوا  
الشهوات و حال كثير من المنتسكة فى اعتياضهم بسماع المكاء  
و التصدية عن سماع قول الله تعالى و مثل هذا قوله تعالى  
وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي  
آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ  
يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {25}  
الانعام 25<sup>1</sup>

### البصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل

\* قال تعالى { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ  
يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا

جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ {  
الانعام 25

فان البصر يرى غير مباشرة المرئي والذوق والشم واللمس لا يحصل له الاحساس إلا بمباشرة المحسوس والسمع وإن كان يحس الأصوات فالمقصود الأعظم به معرفة الكلام وما يخبر به المخبرون من العلم وهذا سبب تفضيل طائفة من الناس لالسمع على البصر كما ذهب إليه ابن قتيبية وغيره وقال الأكثرون البصر أفضل من السمع والتحقيق أن إدراك البصر أكمل كما قاله الأكثرون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المخبر كالمعاین لكن السمع يحصل به من العلم لنا أكثر مما يحصل بالبصر فالبصر أقوى وأكمل والسمع أعم وأشمل وهاتان الحاستان هما الأصل في العلم بالمعلومات التي يمتاز بها الإنسان عن البهائم استطراد ولهذا يقرن الله بينهما الفؤاد في مواضع كقوله تعالى { إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا } الإسراء 36 وقال تعالى { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } البقرة 17

### الآيات البراهين الدالة على نبوة محمد

\*والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميتها من يسميها من النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى في حق محمد { وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } الانعام 25

\* أن اسم الهلاك يراد به الفساد وخروجه عما يقصد به ويراد وهذا مناسب لما لا يكون لله فإنه فاسد لا ينتفع به في الحقيقة بل هو خارج عما يجب قصده وإرادته قال تعالى { **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** } الأنعام 26 أخبر أنهم يهلكون أنفسهم بنهيهم عن الرسول ونأيهم عنه ومعلوم أن من نأ عن اتباع الرسول ونهى غيره عنه وهو الكافر فإن هلاكه بكفره هو حصول العذاب المكروه له دون النعيم المقصود<sup>1</sup>

\* فان النأي كلما قل بعده أو كثر كأنه مثل المفارقة والبعد انما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقتة وقد قال تعالى { **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ** } الأنعام 26 وهم مذمومون على مجانبتة والتتحى عنه سواء كانوا قريبين أو بعيدين وليس كلهم كان بعيدا عنه لا سيما عند من يقول نزلت في أبى طالب وقد قال النابغة والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد والمراد به ما يحفر حول الخيمة لينزل فيه الماء ولا يدخل الخيمة أى صار كالحوض فهو بجانب للخيمة ليس بعيدا منها<sup>1</sup>

### يهلكون أنفسهم بنهيهم عن الرسول ونأيهم عنه

\* أن اسم الهلاك يراد به الفساد وخروجه عما يقصد به ويراد وهذا مناسب لما لا يكون لله فإنه فاسد لا ينتفع به في الحقيقة بل هو خارج عما يجب قصده وإرادته قال تعالى { **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** } الأنعام 26 أخبر أنهم يهلكون أنفسهم بنهيهم عن الرسول ونأيهم عنه ومعلوم أن من نأ عن اتباع الرسول ونهى غيره عنه وهو الكافر فإن هلاكه بكفره هو حصول العذاب المكروه له دون النعيم المقصود<sup>1</sup>

\* فان النأي كلما قل بعده أو كثر كأنه مثل المفارقة والبعد انما يستعمل فيما كثرت مسافة مفارقتة وقد قال تعالى { **وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ** } الأنعام 26 وهم مذمومون على مجانبتة

والتتحي عنه سواء كانوا قريبيين أو بعيدين وليس كلهم كان بعيدا عنه لا سيما عند من يقول نزلت في أبي طالب وقد قال النابغة والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد والمراد به ما يحفر حول الخيمة لينزل فيه الماء ولا يدخل الخيمة أى صار كالحوض فهو بجانب للخيمة ليس بعيدا منها وروى ابن بطة باسناده عن مبارك بن حسان قال قلت لسالم الأفطس رجل أطاع الله فلم يعصه ورجل عصى الله فلم يطعه فصار المطيع الى الله فأدخله الجنة وصار العاصى الى الله فأدخله النار هل يتفاضلان فى الايمان قال لا قال فذكرت ذلك لعطاء فقال سلهم الايمان طيب أو خبيث فان الله قال {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} الأنفال 37 فسألتهم فلم يجيبونى فقال بعضهم ان الايمان يبطن ليس معه عمل فذكرت ذلك لعطاء فقال سبحان الله أما يقرؤون الآية التى فى البقرة {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} البقرة 177 قال ثم وصف الله على هذا الاسم ما لزمه من العمل فقال {وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} البقرة 177 الى قوله {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} البقرة 177 فقال سلهم هل دخل هذا العمل فى هذا الاسم وقال {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ} الإسراء 19 فالزم الاسم العمل والعمل الاسم والمقصود هنا أنه لم يثبت المدح الا على ايمان معه العمل لا على ايمان خال عن عمل فاذا عرف أن الذم والعقاب واقع فى ترك العمل كان بعد ذلك نزاعهم لا فائدة فيه بل يكون نزاعا لفظيا مع أنهم مخطئون فى اللفظ مخالفون للكتاب والسنة وان قالوا انه لا يضره ترك العمل فهذا كفر صريح وبعض الناس يحكى هذا عنهم وأنهم يقولون ان الله فرض على العباد فرائض ولم يرد منهم أن يعملوها ولا يضرهم تركها وهذا قد يكون قول الغالية الذين يقولون لا يدخل النار من

أهل التوحيد أحد لكن ما علمت معينا أحكى عنه هذا القول وانما الناس يحكونه فى الكتب ولا يعينون قائله وقد يكون قول من لا خلاق له فان كثيرا من الفساق والمنافقين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب أو مع التوحيد وبعض كلام الرادين على المرجئة وصفهم بهذا ويدل على ذلك قوله تعالى فى آخر الآية { أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } البقرة 177 فقوله صدقوا أى فى قولهم آمنوا كقوله { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ } الحجرات 14 الى قوله { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } الحجرات 15 أى هم الصادقون فى قولهم آمنا بالله بخلاف الكاذبين الذين قال الله فيهم { إِذَا جَاءَكَ الْمُنافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقِينَ لَكَاذِبُونَ } المنافقون<sup>1</sup>

### إن الله يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون

\*قال تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } 27 { بَلْ بَدَأ لَهُمْ مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } 28 { الأنعام 27-28 إن الله يعلم ما كان و ما يكون و ما لا يكون لو كان كيف كان يكون فإن هذا من باب العلم و الخبر بما لا يكون لو كان كيف يكون كقوله { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا } الأنبياء 22 و قوله { وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ } الأنعام 28 و قوله { لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا } التوبة 47 و قوله { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ } الأنفال 23 و أمثال ذلك كما روى أنه يقال للعبد فى قبره حين يفتح له باب إلى الجنة و إلى النار و يقال هذا منزلك و لو عملت كذا وكذا أبدلك الله به منزلا آخر<sup>1</sup>

\* وقد ذكر الله علمه بما سيكون بعد ان يكون في بضعة عشر موضعا في القرآن مع اخباره في مواضع اكثر من ذلك انه يعلم ما يكون قبل ان يكون وقد اخبر في القرآن من المستقبلات التي لم تكن بعد بما شاء الله بل اخبر بذلك نبيه وغير نبيه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء بل هو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لو كان كيف كان يكون كقوله { **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ { الأنعام 28** بل وقد يعلم بعض عباده بما شاء ان يعلمه من هذا وهذا وهذا ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء <sup>1</sup>

### بعد الموت يصير الغيب شهادة

\* وأما ما أخبرت به الرسل من الغيب فليس هو معقولا مجردا في النفس ولا هو موجود في الخارج لا يحس به بحال بل هو مما يحس به كما أخبرت بالملائكة والجن وغير ذلك وكل ذلك مما يجوز رؤيته والإحساس به وكذلك ما أخبرت به من الجنة والنار هو مما يحس به وكذلك الرب تبارك وتعالى وتقدس وتعظم تجوز رؤيته بل يرى بالأبصار في الآخرة في عرصات القيامة وفي الجنة كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين ولهذا فرقت الرسل بين هذا وذاك فإن هذا شهادة أي مشهود لنا محسوس الآن وذاك غيب أي غائب عنا الآن لا نشهده وهذا فرق إضافي باعتبار حالنا في شهوده الآن وعدم شهوده فإذا متنا صار الغيب شهادة وشهدنا ما كانت الرسل أخبرت به وكان غيبا عنا قال تعالى { **وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ { الأنعام 30** <sup>1</sup>

## من وقف عند الحقيقة الكونية ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية كان من جنس إبليس وأهل النار

\*قال تعالى {وَلَوْ تَرَىٰ إِذُ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} {30} قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمَلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَّا سَاءَ مَا يَزُرُونَ} {31} وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} {32} قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ

يَجْحَدُونَ} {33} الأنعام 30-33 فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم لا رب لهم غيره ولا مالك لهم سواه ولا خالق إلا هو سواء اعترفوا بذلك أنكروه وسواء علموا ذلك أو جهلوه لكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك واعترفوا به بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحدا له مستكبرا على ربه ولا يقر ولا يخضع له مع علمه بأن الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجد

له كان عذابا على صاحبه كما قال تعالى {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} النمل 14 وقال تعالى {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} البقرة 146 وقال تعالى {فَأِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33 فإن اعترف العبد ان الله ربه وخالقه وأنه مفقر إليه محتاج إليه عرف العبودية المتعلقة بربوبية الله وهذا العبد يسأل ربه فيتضرع إليه ويتوكل عليه لكن قد يطبع امره وقد يعصيه وقد يعبده مع ذلك وقد يعبد الشيطان والاصنام ومثل هذه العبودية لا تفرق بين اهل الجنة والنار ولا يصير بها الرجل مؤمنا كما قال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ} يوسف 106 فإن المشركين كانوا يقرون

ان الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى {وَأَلِّينَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} لقمان 25 وقال تعالى {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} {85} المؤمنون 84-85 الى قوله {قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} المؤمنون 89 وكثير ممن يتكلم فى الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة وهى الحقيقة الكونية التى يشترك فيها وفى شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر وابليس معترف بهذه الحقيقة واهل النار قال ابليس {رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} الحجر 36 وقال {رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَرْيِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} الحجر 39 وقال {فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} ص 82 وقال {أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ} الإسراء 62 وامثال هذا من الخطاب الذى يقر فيه بان الله ربه وخالقه وخالق غيره وكذلك اهل النار قالوا {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} المؤمنون 106 وقال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا} الأنعام 30 فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما امر به من الحقيقة الدينية التى هى عبادته المتعلقة بالهيته وطاعة امره وامر رسوله كان من جنس ابليس واهل النار وان ظن مع ذلك انه خواص اولياء الله واهل المعرفة والتحقيق الذين يسقط عنهم الأمر والنهى الشرعيان كان من اشرف اهل الكفر والالحاد ومن ظن ان الخضر وغيره سقط عنهم الامر لمشاهدة الارادة ونحو ذلك كان قوله هذا من شر اقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل فى النوع الثانى من معنى العبد وهو العبد العابد فيكون عابدا لله لا يعبد الا اياه فيطيع امره وأمر رسله ويوالى اولياءه المؤمنين المتقين ويعادى اعداءه وهذا العبادة متعلقة بالهيته ولهذا كان عنوان التوحيد لا اله الا الله بخلاف من يقر بوبوبيته ولا يعبده او يعبد معه الها آخر فالاله الذى يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم والاجلال والاکرام والخوف والرجاء ونحو ذلك وهذه



العبادة هي التي يحبها الله ويرضاها بها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله وأما العبد بمعنى المعبد سواء أقر بذلك أو أنكره فتلك يشترك فيها المؤمن والكافر وبالفرق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة في عبادة الله ودينه وأمره الشرعى التي يحبها ويرضاها ويوالى أهلها ويكرمهم بجنته وبين الحقائق الكونية التي يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر التي من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع إبليس اللعين والكافرين برب العالمين ومن اكتفى بها فى بعض الأمور دون بعض أو فى مقام أو حال نقص من إيمانه وولايته الله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون وكره فيه الاشتباه على السالكين حتى زلق فيه من اكابر الشيوخ المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان مالا يحصيهم الا الله الذى يعلم السر والاعلان والى هذا اشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه فبين ان كثيرا من الرجال إذا وصلوا الى إلى القضاء والقدر أمسكوا الا انا فانى انفتحت لى فيه روزنة فنازعت اقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى امر الله به ورسوله لكن كثير من الرجال غلطوا فإنهم قد يشهدون ما يقدر على احدهم من المعاصى والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون ان هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدرة داخل فى حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك ديناً وطريقاً وعبادة فيضاهون المشركين الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 وقالوا { أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ } يس 47 وقالوا { لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ } الزخرف 20 ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا ان نرضى به ونصبر على موجبه فى المصائب التى تصيبنا كالفقر والمرض والخوف قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَمَنْ يُؤْمِنِ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ {التغابن 11} قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} {22} لَكَيْلًا تَأْسُرُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ {23} الحديد-22-23 وفي الصحيحين عن النبي أنه قال احتج آدم وموسى فقال انت آدم الذى خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالاته وبكلامه فهل وجدت ذلك مكتوبا على قبل ان أخلق قال نعم قال فحج آدم موسى وأدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظنا أن المذنب يحتج بالقدر قان هذا لايقوله مسلم ولا عاقل ولو كان هذا عذرا لكان عذرا لابليس وقوم هود وكل كافر ولا موسى لام آدم أيضا لأجل الذنب فان آدم قد تاب إلى ربه فاجتباه وهدى ولكن لامة لأجله المصيبة التى لحقتهم بالخطيئة ولهذا قال فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فأجابه آدم أن هذا كان مكتوبا قبل أن أخلق فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدار وما قدر من المصائب يجب لاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله ربا واما الذنوب فليس للعبد ان يذنب واذا اذنب فعليه ان يستغفر وفتوب من المعائب ويصبر على المصائب قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} غافر 55 وقال تعالى {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا} آل عمران 120 وقال {وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} آل عمران 186 وقال يوسف {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} يوسف 90 وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد فيها ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد فى سبيل الله الكفار والمنافقين ويوالي اولياء الله ويعادي اعداء الله ويحب فى الله ويبغض فى الله<sup>1</sup>

## استعمال لفظ الذوق فى إدراك الملائم والمنافر

\*قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل112  
فان من الناس من يقول الذوق حقيقة فى الذوق بالفم واللباس بما  
يلبس على البدن وانما استعير هذا وهذا وليس كذلك بل قال  
الخليل الذوق فى لغة العرب هو وجود طعم الشئ والاستعمال  
يدل على ذلك قال تعالى { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْيِ دُونَ  
الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ } السجدة21 وقال { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ  
فصلت50 وقال { ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان49  
وقال { فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا } الطلاق9 وقال { فَذُوقُوا  
الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } الأنعام30

وقال النبى ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام  
دينا وبمحمد رسولا وفى بعض الادعية أدقنا برد عفوك  
وحلاوة مغفرتك فلفظ الذوق يستعمل فى كل ما يحس  
به ويجد ألمه أو لذته فدعوى المدعى اختصاص لفظ الذوق بما  
يكون بالفم تحكم منه لكن ذاك مقيد فيقال ذقت الطعام وذقت هذا  
الشراب فيكون معه من القيود ما يدل على أنه ذوق بالفم واذا  
كان الذوق مستعملا فيما يحسه الانسان بباطنه أو بظاهره حتى  
الماء الحميم يقال ذاقه فالشراب اذا كان باردا أو حارا يقال ذقت  
حره وبرده ولفظ ذوق الجوع والخوف فان هذا اللفظ يدل على  
الاحساس بالموئم واذا أضيف الى المذذ على الاحساس به  
كقوله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى  
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فان قيل فلم لم  
يصف نعيم الجنة بالذوق قيل لأن الذوق يدل على جنس  
الاحساس ويقال ذاق الطعام لمن وجد طعمه وان لم يأكله وأهل  
الجنة نعيمهم كامل تام لا يقتصر فيه على الذوق بل استعمال لفظ  
الذوق فى النفى كما قال عن أهل النار { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا  
وَلَا شَرَابًا } النبأ24 أى لا يحصل لهم من ذلك ولا ذوق وقال

عن أهل الجنة { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى  
{ الدخان 156<sup>1</sup>

\*ولفظ الذوق وإن كان قد يظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر كما أن لفظ الإحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن وأما في اللغة فأصله الرؤيا كما قال { هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ { مريم 98 والمقصود لفظ الذوق قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ { النحل 112 فجعل الخوف والجوع مذوقا وأضاف إليهما اللباس ليشعر أنه لبس الجائع والخائف فشملة وأحاط به إحاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الألم لا يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواضع وقال تعالى { فَذُوقُوا الْعَذَابَ { آل عمران 106 وقال تعالى { ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ { الدخان 49 وقال تعالى { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ { القمر 48 وقال { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ { الدخان 56 وقال تعالى { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا { 24 { إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا { 25 { النبأ 24- 25 وقال { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ { السجدة 21 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً فاستعمال لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر كثير<sup>1</sup>

فسر طائفة من أهل السنة اللقاء في كتاب الله

### بالرؤية

\*وقد جاء في الكتاب والسنة الفاظ من نحو لقاء الله كقوله { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا { الأنعام 30<sup>1</sup>

\*فسر طائفة من أهل السنة اللقاء فى كتاب الله بالرؤية منهم ابو عبدالله بن بطة الامام قالوا فى قول الله { الَّذِينَ كَفَرُوا بآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ { الكهف 105 وفى قوله { مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ { العنكبوت 5 وفى قول الله { وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ { 45} الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ { البقرة 45-46 وفى قوله { قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ { البقرة 249 وفى قوله { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ { الأنعام 31 ان اللقاء يدل على الرؤية والمعانية وعلى هذا المعنى فقد استدل المثبتون بقوله سبحانه وتعالى { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ { الانشقاق 6 ومن أهل السنة من قال اللقاء اذا قرن بالتحية فهو من الرؤية وقال ابن بطة سمعت ابا عمر الزاهد اللغوى يقول سمعت ابا العباس أحمد بن يحيى

بلغنا يقول فى قوله { وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا { 43} تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ { 44} الأحزاب 43-44 أجمع أهل اللغة أن اللقاء ههنا لا يكون الامعانية ونظرة بالأبصار وأما الفريق الأول (يقصد من ينكر رؤية الكفار لله سبحانه وتعالى) فقال بعضهم ليس الدليل من القرآن على رؤية المؤمنين ربهم قوله { تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ { الأحزاب 44 وانما الدليل آيات أخر مثل قوله { وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ { 22} إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ { 23} القيامة 22-23 وقوله { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ { يونس 26 وقوله { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ { 22} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ { 23} المطففين 22-23 وقوله { لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ { ق 35<sup>1</sup>

### لفظ العقل فى القرآن

\* قال تعالى { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَأَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ { الانعام 32 ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً قائماً

بالعاقِلِ وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى لعلمكم تعقلون وقوله { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } الحج46 وقوله { قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } آل عمران118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } الملك10 وقال تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا } الحج46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوما يميز بها الانسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الاسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقِلِ أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقِلِ ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الانسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يدوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء<sup>1</sup>

\*قال تعالى { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَالِدَارُ الْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } الانعام32 الناس يدركون بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم منفعة في الدنيا وما يجلب لهم مضرة وهذا من العقل الذي ميز به الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال ما لا يدركه الحس ولفظ العقل في القرآن يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضرة<sup>1</sup>

\*قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى } طه54 أى  
العقول وقال تعالى { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حُجْرٍ } الفجر5 أى  
لذى عقل وقال تعالى { وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ } البقرة197  
وقال { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ  
{ الْأَنْفَال22 وقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ  
{ يوسف2 فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فأما من لا  
يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط بل قال  
تعالى عن أهل النار { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي  
أَصْحَابِ السَّعِيرِ } الملك10 وقال تعالى { وَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ  
كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا  
يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ  
أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } الأعراف179 وقال { أَمْ تَحْسَبُ  
أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ  
سَبِيلًا } الفرقان44<sup>1</sup>

## العلم بالحق يوجب إتباعه إلا لمعارض راجح مثل إتباع الهوى بالإستكبار

\*قال تعالى { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ  
يَجْحَدُونَ } الأنعام33 فالكفار الذين جحدوا ما علموا أنه الحق  
1

\*الكافر المعاند الذى ترك استماع القرآن كبرا وحسدا وهوى او  
سمعه وتدبره واستيقنت نفسه انه حق من عند الله ولكن جحد ذلك  
ظلما وعلوا كحال فرعون واكثر اهل الكتاب والمشركين الذين  
{ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام33<sup>1</sup>

أن العمل إما بمعرفة الحق وإتباعه فى العلم والعمل جميعا  
صلاح القول والعمل العلم والإرادة والعلم أصل العمل و  
أصل الإرادة والمحبة وغير ذلك وهو مستلزم له مالم يحصل  
معارض مانع فالعلم بالحق يوجب إتباعه إلا لمعارض راجح

مثل إتباع الهوى بالإستكبار ونحوه كحال الذين قال الله فيهم  
{سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ  
يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا  
وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} الأعراف 146 وقال  
{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} النمل 14 وقال  
**{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} الأنعام 33**  
ولهذا قال {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ  
النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} ص 26 ونحو  
ذلك فإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من  
الفساد إذا رأت الحق إتبعته وأحبته إذ الحق نوعان حق  
موجود فالواجب معرفته والصدق فى الإخبار عنه وضد ذلك  
الجهل والكذب وحق مقصود وهو النافع للإنسان فالواجب إرادته  
والعمل به وضد ذلك إرادة الباطل وإتباعه ومن المعلوم أن  
الله خلق فى النفوس محبة العلم دون الجهل ومحبة الصدق دون  
الكذب ومحبة النافع دون الضار وحيث دخل ضد ذلك فلمعارض  
من هوى وكبر وحسد ونحو ذلك كما انه فى صالح الجسد خلق  
الله فيه محبة الطعام والشراب الملائم له دون الضار فإذا إشتهى  
ما يضره أن كره ما ينفعه فلمرض فى الجسد وكذلك أيضا إذا  
إندفع عن النفس المعارض من الهوى والكبر والحسد وغير ذلك  
أحب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح كما أن الجسد  
إذا إندفع عنه المرض أحب ما ينفعه من الطعام والشراب فكل  
واحد من وجود المقتضى وعدم الدافع سبب للآخر وذلك سبب  
لصلاح حال الإنسان وضدهما سبب لضعف العلم  
غلبه الهوى الإنسان وإن وجد العلم والهوى وهما المقتضى  
والدافع فالحكم للغالب وإذا كان كذلك فصلاح بنى آدم الإيمان  
والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيان أحدهما  
الجهل المضاد للعلم فيكونون ضللا والثانى إتباع الهوى  
والشهوة اللذين فى النفس فيكونون غواة مغضوبا عليهم ولهذا  
قال {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} {1} {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} {2}



النجم 1-2 وقال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين  
 المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ  
 فوصفهم بالرشد الذى هو خلاف الغى وبالهدى الذى هو خلاف  
 الضلال وبهما يصلح العلم والعمل جميعا ويصير الإنسان عالما  
 عادلا لا جاهلا ولا ظالما<sup>1</sup>

\* أن الشخص إما أن يبين له أن ما بعث الله به رسوله حق  
 ويعدل عن ذلك إلى اتباع هواه أو يحسب أن ما هو عليه من ترك  
 ذلك هو الحق فهذا متبع للظن والأول متبع لهواه اجتماع الأمرين  
 قال تعالى في صفة الاولين { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ  
 بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام 33 وقال تعالى في صفة الآخسرين  
 { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } {103} الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي  
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } {104} الكهف  
 103-104 فالأول حال المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق  
 ولا يتبعونه كما هو موجود في اليهود والثاني حال الذين  
 يعملون بغير علم قال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ  
 عِلْمٍ } الأنعام 119<sup>1</sup>

\* وهؤلاء المعروفون مثل حماد بن أبى سليمان وأبى حنيفة  
 وغيرهما من فقهاء الكوفة كانوا يجعلون قول اللسان وإعتقاد  
 القلب من الإيمان وهو قول أبى محمد بن كلاب وأمثاله لم يختلف  
 قولهم فى ذلك ولا نقل عنهم أنهم قالوا الإيمان مجرد تصديق  
 القلب لكن هذا القول حكوه عن الجهم بن صفوان  
 ذكروا أنه قال الإيمان مجرد معرفة القلب وإن لم يقر بلسانه  
 وإشتد نكيرهم لذلك حتى أطلق وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل  
 وغيرهما كفر من قال ذلك فإنه من أقوال الجهمية وقالوا إن  
 فرعون وإبليس وأبا طالب واليهود وأمثالهم عرفوا بقلوبهم  
 وجدوا بالسننهم فقد كانوا مؤمنين وذكروا قول الله { وَجَحَدُوا  
 بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } النمل 14 وقوله { الَّذِينَ  
 آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ } البقرة 146

وقوله { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ }  
 { الأنعام 33 } وقالوا إبليس لم يكذب خيرا ولم يجحد فإن الله أمره بلا رسول ولكن عصى وإستكبر وكان كافرا من غير تكذيب فى الباطن وتحقيق هذا مبسوط فى غير هذا الموضع <sup>1</sup>

### الْحَزَنُ نَهَى عَنْهُ وَإِنْ تَعَلَّقَ بِأَمْرِ الدِّينِ

\* قال تعالى { قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ }  
 وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ { الأنعام 33 } واما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله بل قد نهى عنه فى مواضع وان تعلق بأمر الدين كقوله تعالى { وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } آل عمران 139 وقوله { وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ } النحل 127 وقوله { إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } التوبة 40 وقوله { وَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ } يونس 65 وقوله { لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ } الحديد 23 وامثال ذلك كثير وذلك لانه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه ومالا فائدة فيه لا يأمر الله به نعم لا يَأْتُمُّ صاحبه اذا لم يقترن بحزنه محرم كما يحزن على المصائب كما قال النبى ان الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا على حزن القلب ولكن يؤاخذ على هذا او يرحم و اشار بيده الى لسانه وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى الرب ومنه قوله تعالى { وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِبيصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ } يوسف 84 وقد تبين بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن كالحزين على مصيبة فى دينه وعلى مصائب المسلمين عموما فهذا يثاب على ما فى قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك ولكن الحزن على ذلك اذا افضى الى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نهى عنه والا كان حسب صاحبه رفع الاثم عنه من جهة الحزن واما ان افضى الى ضعف القلب واشتغاله به

عن فعل ما امر الله ورسوله به كان مذموما عليه من تلك  
الجهة وان كان محمودا من جهة اخرى واما المحبة لله والتوكل  
عليه والاخلاص له ونحو ذلك فهذه كلها خير محض وهى حسنة  
محبوبة فى حق كل احد من النبيين والصديقين والشهداء  
والصالحين ومن قال ان هذه المقامات تكون للعامّة دون الخاصة  
فقد غلط فى ذلك ان اراد خروج الخاصة عنها فان هذه لا يخرج  
عنها مؤمن قط وانما يخرج عنها كافر او منافق وقد تكلم بعضهم  
فى ذلك بكلام بينا غلظه فيه وانه تقصير فى تحقيق هذه المقامات  
بكلام مبسوط وليس هذا موضعه<sup>1</sup>

### أعمال القلوب التى أوجبها الله ورسوله هى من الإيمان

\*فإن الإيمان أصله الإيمان الذى فى القلب ولا بد فيه من  
شيين تصديق بالقلب وإقراره ومعرفة ويقال لهذا قول القلب  
قال الجنيد بن محمد التوحيد قول القلب والتوكل عمل القلب  
فلا بد فيه من قول القلب وعمله ثم قول البدن وعمله ولا بد فيه من  
عمل القلب مثل حب الله ورسوله وخشية الله وحب ما يحبه الله  
ورسوله وبغض ما يبغضه الله ورسوله وإخلاص العمل لله وحده  
وتوكل القلب على الله وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التى  
أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان ثم القلب هو الأصل  
فإذا كان فيه معرفة وإرادة سرى ذلك الى البدن بالضرورة لا  
يمكن أن يتخلف البدن عما يريد القلب ولهذا قال النبى فى  
الحديث الصحيح ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح  
لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهى القلب  
وقال أبو هريرة القلب ملك والأعضاء جنوده فإذا طاب الملك  
طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده وقول أبى هريرة  
تقريب وقول النبى أحسن بيانا فإن الملك وإن كان صالحا فالجند  
لهم إختيار قد يعصون به ملكهم وبالعكس فيكون فيهم صلاح مع  
فساده أو فساد مع صلاحه بخلاف القلب فإن الجسد تابع له لا  
يخرج عن إرادته قط كما قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا

صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسدت لها سائر الجسد فإذا كان القلب صالحا بما فيه من الإيمان علما وعملا قلبيا لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق كما قال أئمة أهل الحديث قول وعمل قول باطن وظاهر وعمل باطن وظاهر والظاهر تابع للباطن لازم له متى صلح الباطن صلح الظاهر وإذا فسدت فسدت ولهذا قال من قال من الصحابة عن المصلى العابت لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه فلا بد في إيمان القلب من حب الله ورسوله وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما قال الله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 فوصف الذين آمنوا بأنهم أشد حبا لله من المشركين لأندادهم وفى الآية قولان قيل يحبونهم كحب المؤمنين الله والذين آمنوا أشد حبا لله منهم لأوثانهم وقيل يحبونهم كما يحبون الله والذين آمنوا أشد حبا لله منهم وهذا هو الصواب والأول قول متناقض وهو باطل فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله وتستلزم الإرادة والإرادة التامة مع القدرة تستلزم الفعل فيمتنع أن يكون الإنسان محبا لله ورسوله مريدا لما يحبه الله ورسوله إرادة جازمة مع قدرته على ذلك وهو لا يفعله فإذا لم يتكلم الإنسان بالإيمان مع قدرته دل على أنه ليس فى قلبه الإيمان الواجب الذى فرضه الله عليه ومن هنا يظهر خطأ قول جهنم بن صفوان ومن إتبعه حيث ظنوا أن الإيمان مجرد تصديق القلب وعلمه لم يجعلوا أعمال القلب من الإيمان وظنوا أنه قد يكون الإنسان مؤمنا كامل الإيمان بقلبه وهو مع هذا يسب الله ورسوله ويعادى الله ورسوله ويعادى أولياء الله ويوالى أعداء الله ويقتل الأنبياء ويهدم المساجد ويهين المصاحف ويكرم الكفار غاية الكرامة ويهين المؤمنين غاية الإهانة قالوا وهذه كلها معاص لا تنافى الإيمان الذى فى قلبه بل يفعل هذا وهو فى الباطن عند الله مؤمن قالوا وإنما ثبت له فى الدنيا أحكام الكفار لأن هذه الأقوال أماراة على الكفر ليحكم بالظاهر كما يحكم

بالإقرار والشهود وإن كان في الباطن قد يكون بخلاف ما اقر به  
وبخلاف ما شهد به الشهود فإذا أورد عليهم الكتاب والسنة  
والإجماع على أن الواحد من هؤلاء كافر في نفس الأمر معذب  
في الآخرة قالوا فهذا دليل على إنتفاء التصديق والعلم من قلبه  
فالكفر عندهم شيء واحد وهو الجهل والإيمان شيء واحد وهو  
العلم أو تكذيب القلب وتصديقه فإنهم متنازعون هل تصديق  
القلب شيء غير العلم أو هو هو وهذا القول مع أنه أفسد قول  
قيل في الإيمان فقد ذهب إليه كثير من أهل الكلام  
المرجئة وقد كفر السلف كوكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل  
وابى عبيد وغيرهم من يقول بهذا القول وقالوا إبليس كافر بنص  
القرآن وإنما كفره بإستكباره وإمتناعه عن السجود لآدم لا لكونه  
كذب خبرا وكذلك فرعون وقومه قال الله تعالى فيهم {وَجَحَدُوا  
بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} النمل14 وكذلك اليهود  
الذين قال الله فيهم {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ  
أَبْنَاءَهُمْ} البقرة146 وكذلك كثير من المشركين الذين قال الله  
فيهم {فَاتَّهُمْ لَا يُكذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ  
{الأنعام33} فهؤلاء غلطوا في أصليين أحدهما  
ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط ليس معه عمل وحال  
وحركة وإرادة ومحبة وخشية في القلب وهذا من أعظم غلط  
المرجئة مطلقا فإن أعمال القلوب التي يسميها بعض  
الصوفية أحوالا ومقامات أو منازل السائرين الى الله أو مقامات  
العارفين أو غير ذلك كل ما فيها مما فرضه الله ورسوله فهو من  
الإيمان الواجب وفيها ما أحبه ولم يفرضه فهو من الإيمان  
المستحب فالأول لا بد لكل مؤمن منه ومن اقتصر عليه فهو من  
الابرار اصحاب اليمين ومن فعله وفعل الثانی كان من المقربين  
السابقين وذلك مثل حب الله ورسوله بل أن يكون الله ورسوله  
أحب اليه مما سواهما بل أن يكون الله ورسوله والجهاد في سبيله  
أحب إليه من أهله وماله ومثل خشية الله وحده دون خشية  
المخلوقين ورجاء الله وحده دون رجاء المخلوقين والتوكل على

الله وحده دون المخلوقين والإنابة إليه مع خشيته كما قال تعالى  
 { هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ } 32 { مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ  
 بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ } 33 ق 32-33 ومثل الحب في الله  
 والبغض في الله والموالاة لله والمعاداة لله والثاني ظنهم  
 أن كل من حكم الشارع بأنه كافر مخلد في النار فإنما ذاك لأنه لم  
 يكن في قلبه شيء من العلم والتصديق وهذا أمر خالفوا به الحس  
 والعقل والشرع وما أجمع عليه طوائف بنى آدم السليمة الفطرة  
 وجماهير النظار فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع  
 هذا يجحد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس  
 ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول بكل  
 طريق وهو في قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كذب الرسل  
 علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون لكن إما لحسدهم وإما  
 لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذي كانوا عليه وما  
 يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصدقة أقوام  
 وغير ذلك فيرون في اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم  
 أو حصول أمور مكروهة إليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من  
 أكفر الناس كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل  
 والرسل على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدر  
 في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح  
 { أَنْوَمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ } الشعراء 111 ومعلوم أن اتباع  
 الأردلين له لا يقدر في صدقه لكن كرهوا مشاركة أولئك<sup>1</sup>

## **{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }**

\*قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي  
 موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن  
 كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقومها تارة وتمليها أخرى  
 ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى

يكون انجعافها مرة واحدة فالكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعا ويزول سريعا كدولة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبطلون كثيرا ليمحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئا فشيئا كالزرع قال تعالى {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزُرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} {الفتح 29} ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه الأمور وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله والمنتبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل النبي الصادق ودلائل المنتبئين الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي والمؤمنين ثم كون العقاب لهم في غير موضع كقوله تعالى {وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَا هُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَاِ الْمُرْسَلِينَ} {الأنعام 134}

\*قال تعالى { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ } {13} { وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ } {14} { الانفطار 13-14 } ووعد أهل الإيمان والعمل الصالح بالنعيم التام في الدار الآخرة ووعد الكفار بالعذاب التام في الدار الآخرة أعظم من أن يذكر هنا وهذا مما لم ينازع فيه أحد من أهل الإسلام من الخطأ الظن بأن نعيم الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفجور ولكن تذكر هنا نكتة نافعة وهو أن الإنسان قد يسمع ويرى ما يصيب كثيرا من أهل الإيمان والإسلام في الدنيا من المصائب وما يصيب كثيرا من الكفار والفجار في الدنيا من الرياسة والمال وغير ذلك فيعتقد أن النعيم في الدنيا لا يكون إلا لأهل الكفر والفجور وأن المؤمنين ليس لهم في الدنيا ما يتنعمون

به إلا قليلا وكذلك قد يعتقد أن العزة والنصرة قد تستقر للكفار والمنافقين علي المؤمنين وإذا سمع ما جاء في القرآن من أن العزة لله ورسوله وللمؤمنين وأن العاقبة للتقوى وقول الله تعالى {وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْعَالِبُونَ} الصافات 173 وهو ممن يصدق بالقرآن حمل هذه الآيات علي الدار الآخرة فقط وقال أما الدنيا فما نري بأعيننا إلا أن الكفار والمنافقين فيها يظهرون ويغلبون المؤمنين ولهم العزة والنصرة والقرآن لا يرد بخلاف المحسوس ويعتمد علي هذا فيما إذا أُدِيلَ عليه عدو من جنس الكفار والمنافقين أو الظالمين وهو عند نفسه من أهل الإيمان والتقوى فيرى أن صاحب الباطل قد علا علي صاحب الحق فيقول أنا علي الحق وأنا مغلوب وإذا ذكره إنسان بما وعده الله من حسن العاقبة للمتقين قال هذا في الآخرة فقط وإذا قيل له كيف يفعل الله بأوليائه مثل هذه الأمور قال يفعل ما يشاء وربما قال بقلبه أو لسانه أو كان حاله يقتضي أن هذا نوع من الظلم وربما ذكر قول بعضهم ما علي الخلق أضر من الخالق لكن يقول يفعل الله ما يشاء وإذا ذكر برحمة الله وحكمته لم يقل إلا أنه يفعل ما يشاء فلا يعتقدون أن صاحب الحق والتقوى منصور مؤيد بل يعتقدون أن الله يفعل ما يشاء وهذه الأقوال مبنية علي مقدمتين إحداها حسن ظنه بدين نفسه نوعا أو شخصا واعتقاد أنه قائم بما يجب عليه وتارك ما نهى عنه في الدين الحق واعتقاده في خصمه ونظيره خلاف ذلك أن دينه باطل نوعا أو شخصا لأنه ترك المأمور وفعل المحظور والمقدمة الثانية أن الله قد لا يؤيد صاحب الدين الحق وينصره وقد لا يجعل له العاقبة في الدنيا فلا ينبغي الاغترار بهذا المؤمن يطلب نعيم الدنيا والنعيم التام في الآخرة ومن المعلوم أن العبد وإن أقر بالآخرة فهو يطلب حسن عاقبة الدنيا فقد يطلب ما لا بد منه من دفع الضرر وجلب المنفعة وقد يطلب من زيادة النفع ودفع الضرر ما يظن أنه مباح فإذا اعتقد أن الدين الحق قد ينافي ذلك لزم من ذلك إعراض القلب عن الرغبة في كمال الدين الحق وفي حال السابقين



والمقربين بل قد يعرض عن حال المقتصدین أصحاب اليمين فيدخل مع الظالمين بل قد يكفر ويصير من المرتدين المنافقين أو المعلنين بالكفر وإن لم يكن هذا في أصل الدين كان في كثير من أصوله وفروعه كما قال النبي يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا وذلك إذا اعتقد أن الدين لا يحصل إلا بفساد دنياه ولذلك فإنه يفرح بحصول الضرر له ويرجو ثواب ضياع ما لا بد له من المنفعة وهذه الفتنة التي صدت أكثر بنى آدم عن تحقيق الدين وأصلها الجهل بحقيقة الدين وبحقيقة النعيم الذي هو مطلوب النفوس في كل وقت إذ قد ذكرنا أن كل عمل فلا بد فيه من إرادة به لطلب ما ينعم فهناك عمل يطلب به النعيم ولا بد أن يكون المرء عارفاً بالعمل الذي يعمل به وبالنعيم الذي يطلبه ثم إذا علم هذين الأصلين فلا بد أن تكون فيه إرادة جازمة علي العمل بذلك وإلا فالعلم بالمطلوب وبطريقه لا يحصلان المقصود إلا مع الإرادة الجازمة والإرادة الجازمة لا تكون إلا مع الصبر ولهذا قال سبحانه وتعالى { وَالْعَصْرِ {1} إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} } إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ {3} العصر 1-3 وقال تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ } السجدة 24 فاليقين هو العلم الثابت المستقر والصبر لا بد منه لتحقيق الإرادة الجازمة والمقدمتان اللتان التي بنيت عليهما هذه البلية مبناهما علي الجهل بأمر الله ونهيه وبوعده ووعيده فإن صاحبهما إذا اعتقد أنه قائم بالدين الحق فقد اعتقد أنه فاعل للمأمور تارك للمحذور وهو على العكس من ذلك وهذا يكون من جهله بالدين الحق وإذا اعتقد أن صاحب الحق لا ينصره الله في الدنيا بل قد تكون العقاب في الدنيا للكفار على المؤمنين ولأهل الفجور علي أهل البر فهذا من جهله بوعد الله تعالى من الخطأ الاعتقاد أن الله ينصر الكفار في الدنيا ولا ينصر المؤمنين أما الأول فما أكثر من يترك واجبات لا يعلم بها ولا بوجوبها وما أكثر من يفعل

محرمات لا يعلم بتحريمها بل ما أكثر من يعبد الله بما حرم  
ويترك ما أوجب وما أكثر من يعتقد أنه هو المظلوم المحق من  
كل وجه وأنه خصمه هو الظالم المبطل من كل وجه ولا يكون  
الأمر كذلك بل يكون معه نوع من الباطل والظلم ومع خصمه  
نوع من الحق والعدل وحبك الشيء يعمي ويصم والإنسان  
محبول على محبة نفسه فهو لا يرى إلا محاسنها ومبغض  
لخصمه فلا يرى إلا مساوئه وهذا الجهل غالبه مقرون بالهوى  
والظلم فإن الإنسان ظلوم جهول وأكثر ديانات الخلق إنما  
هي عادات أخذوها عن آبائهم وأسلافهم وتقليدهم في التصديق  
والتكذيب والحب والبغض والموالاة والمعاداة كما قال تعالى  
{ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ  
آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ } لقمان 21  
وقال تعالى { يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا  
اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ } {66} وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا  
فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا } {67} الأحزاب 66- 67 وقال تعالى { وَمَا تَفَرَّقُوا  
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ  
إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّي بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ  
لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ } الشورى 14 وأما الثاني فما أكثر من يظن  
أن أهل الدين الحق في الدنيا يكونون أذلاء معذبين بما فيه  
بخلاف من فارقههم إلي طاعة أخري وسبيل آخر ويكذب بوعد الله  
بنصرهم والله سبحانه قد بين بكتابه كلا المقدمتين فقال  
تعالى { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ  
الْأَشْهَادُ } غافر 51 وقال تعالى في كتابه { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا  
لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ } {171} إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ } {172} وَإِنْ جُنَدْنَا  
لَهُمُ الْغَالِبُونَ } {173} } الصفات 171- 173 وقال تعالى في  
كتابه { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنْتُمْ كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ  
قَبْلِهِمْ } المجادلة 5 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ  
أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ } {20} كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ  
عَزِيزٌ } {21} المجادلة 20- 21 وقال تعالى في كتابه { إِنَّمَا

وَلِيُكْمِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ  
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ {55} وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
فَأِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْعَالِبُونَ {56} المائدة 55-56 ودم من يطلب  
النصرة بولاء غير هؤلاء فقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا  
تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ  
مَتَّكُم فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } {51} فَفَرَى الَّذِينَ  
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ  
فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا  
أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ } {52} وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ  
أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأُصْبِحُوا  
خَاسِرِينَ } {53} المائدة 51-53 وقال تعالى في كتابه { بَشِّرِ  
الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا } {138} الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ  
أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلْيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ  
جَمِيعًا } {139} النساء 138-139 وقال تعالى في كتابه  
{ يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ  
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ } المنافقون 8  
وقال تعالى في كتابه { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ  
يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ  
السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْورُ } فاطر 10 وقال  
في كتابه { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ  
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا } الفتح 28 وقال تعالى في  
كتابه { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى  
الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ } {9} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ  
عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ {10} تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ  
وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
تَعْلَمُونَ {11} يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا  
الأنهارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {12}  
وَأخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشْرُ الْمُؤْمِنِينَ } {13}  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ  
فَأَمَّنت طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا  
عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ {14} الصف 9-14 وقال  
تعالى في كتابه { يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ كَرِهَ اللَّهُ مُطَهَّرِكِ  
مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ  
الْقِيَامَةِ } آل عمران 55 وقال تعالى في كتابه { وَلَوْ قَاتَلَكُمُ  
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } {22}  
سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ

تَبْدِيلًا } {23} الفتح 22-23 وقال تعالى في كتابه { هُوَ الَّذِي  
أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ  
{ الْحَشْرِ 2 إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ  
يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } الحشر 4 وقال تعالى  
{ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } آل

عمران 139 وقال تعالى لما قص قصة نوح وهي نصره علي  
قومه في الدنيا فقال تعالى { تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا  
كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ  
{ هود 49 وقال تعالى { وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا  
نَسَأُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرِزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } طه 132 وقال تعالى  
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا

{ آل عمران 118 إلى قوله { وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ  
كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } آل عمران 120 وقال  
تعالى { بَلَىٰ إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ  
رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ } آل عمران 125 وقال

يوسف وقد نصره الله في الدنيا لما دخل عليه إخوته { قَالُوا أَنْتَ  
لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن  
يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 وقال  
تعالى في كتابه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا  
وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

{ الأنفال 29 وقال تعالى { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } {2}

وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ  
اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا {3} الطلاق 2-3  
وقد روي عن أبي ذر عن النبي أنه قال لو عمل الناس كلهم  
بهذه الآية لوسعتهم رواه ابن ماجه وغيره وأخبر أن ما  
يحصل له من مصيبة انتصار العدو وغيرها إنما هو بذنوبهم  
فقال تعالى في يوم أحد {أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ  
مِثْلِيهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} آل عمران 165  
وقال تعالى {إِنَّ الدِّينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ  
الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ} آل عمران 155  
وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو  
عَنْ كَثِيرٍ} الشورى 30 وقال تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ  
اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} النساء 79 وقال تعالى {  
وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ} الشورى 48 وقال تعالى  
{أَوْ يُؤْفِقَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا} الشورى 34 ودم في كتابه من لا يثق  
بوعده لعباده المؤمنين وذكر ما يصيب الرسل والمؤمنين فقال  
تعالى {إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ  
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا} 10  
هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا {11} وَإِذْ يَقُولُ  
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا  
عُرُورًا {12} وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ  
فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا  
هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا {13} وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ  
أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّتْ بِهَا إِلَّا  
يَسِيرًا {14} الاحزاب 10-14 وقال تعالى {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ  
تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ  
وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى  
نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} البقرة 214 وقال تعالى {وَمَا  
أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَلَمْ يَسِيرُوا  
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ

الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْلَمُونَ {109} حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَرَ  
الرُّسُلُ وَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا  
يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ {110} لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ  
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {111}

يوسف 109-111 ولهذا أمر الله رسوله والمؤمنين باتباع ما  
أنزل إليهم وهو طاعته وهو المقدمة الأولى وأمرهم بانتظار  
وعده وهي المقدمة الثانية وأمرنا بالاستغفار والصبر لأنهم لا بد  
أن يحصل لهم تقصير وذنوب فيزيله الاستغفار ولا بد مع انتظار  
الوعد من الصبر فبالاستغفار تتم الطاعة وبالصبر يتم اليقين  
بالوعد إن كان هذا كله يدخل في مسمى الطاعة والإيمان قال  
تعالى {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ  
الْحَاكِمِينَ} يونس 109 وقال تعالى {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ  
فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدَّلَ  
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَاِ الْمُرْسَلِينَ {الأنعام 34} وقال  
تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} هود 49 وأمرهم أيضا  
بالصبر إذا أصابتهم مصيبة بذنوبهم مثل ظهور العدو وكما قال  
تعالى في قصة أحد {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ  
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} {139} إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ  
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ  
شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ {140} وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ {141} آل عمران 139-141 وأيضا فقد  
قص سبحانه في كتابه نصره لرسوله ولعباده المؤمنين على الكفار  
في قصة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وفرعون وغير ذلك  
وقال تعالى {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ  
{يوسف 111} وقال تعالى {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا  
مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ} {النور 34} وهذا يتبين بأصلين  
أحدهما أن حصول النصر وغيره من أنواع النعيم لطائفة أو  
شخص لا ينافي ما يقع في خلال ذلك من قتل بعضهم وجرحه

ومن أنواع الأذى وذلك أن الخلق كلهم يموتون فليس في قتل الشهداء مصيبة زائدة علي ما هو معتاد لبني آدم فمن عد القتل في سبيل الله مصيبة مختصة بالجهاد كان من أجهل الناس بل الفتن التي تكون بين الكفار وتكون بين المختلفين من أهل القبلة ليس مما يختص بالقتال فإن الموت يعرض لبني آدم بأسباب عامة وهي المصائب التي تعرض لبني آدم من مرض بطاعون وغيره ومن جوع وغيره وبأسباب خاصة فالذين يعتادون القتال لا يصيبهم أكثر مما يصيب من لا يقاتل بل الأمر بالعكس كما قد جربه الناس ثم موت الشهيد من أيسر الميتات ولهذا قال سبحانه وتعالى { قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا } {16} قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا } {17} الأحزاب 16-17 فأخبر سبحانه أن الفرار من القتل أو الموت لا ينفع فلا فائدة فيه وأنه لو نفع لم ينفع إلا قليلاً إذ لا بد من الموت وأخبر أن العبد لا يعصمه من الله أحد إن أراد به سوءاً أو أراد به رحمة وليس له من دون الله ولي ولا نصير فأين نفر من أمره وحكمه ولا ملجأ منه إلا إليه قال تعالى { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ } {الذاريات 50} وهذا أمر يعرفه الناس من أهل طاعة الله وأهل معصيته كما قال أبو حازم الحكيم لما يلقي الذي لا يتقي الله من معالجه الخلق أعظم مما يلقاه الذي يتقي الله من معالجه التقوى والله تعالى قد جعل أكمل المؤمنين إيماناً أعظمهم بلاء كما قيل للنبي أي الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمتل فالأمتل يبتلي الرجل علي حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي علي الأرض وليس عليه خطيئة ومن هذا أن الله شرع من عذاب الكفار بعد نزول التوراة بأيدي المؤمنين في الجهاد ما لم يكن قبل ذلك حتى إنه قيل لم ينزل بعد التوراة عذاب عام من السماء للأمم كما قال تعالى { وَوَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا

الْقُرُونِ الْأُولَى بِصَانِرٍ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ يَتَذَكَّرُونَ  
 {القصص 43 فإنه قبل ذلك قد أهلك قوم فرعون وشعيب لوط  
 وعاد وثمود وغيرهم ولم يهلك الكفار بجهد المؤمنين ولما كان  
 موسى أفضل من هؤلاء وكذلك محمد وهما الرسولا المبعوثان  
 بالكتابين العظيمين كما قال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا  
 عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا} {المزمّل 15 وقال تعالى  
 {قَالُوا لَوْلَا آوْتِي مِنَّا مَا آوْتِي مِثْلَ مَا آوْتِي مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا آوْتِي  
 مُوسَىٰ مِن قَبْلُ} {القصص 48 إلى قوله {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ  
 اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ} {القصص 49 وأمر الله هذين  
 الرسولين بالجهاد على الدين وشريعة محمد أكمل فلهذا كان  
 الجهاد في أمته أعظم منه في غيرهم قال تعالى {كُتِبَ  
 عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ  
 وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ  
 } {البقرة 216 وقال تعالى {وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن  
 لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ} {محمد 4 وقال تعالى للمنافقين {وَنَحْنُ  
 نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبِكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا  
 إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ} {التوبة 52 فالجهاد للكفار أصلح من  
 هلاكهم بعذاب سماء من وجوه أحدها أن ذلك أعظم في ثواب  
 المؤمنين وأجرهم وعلو درجاتهم لما يفعلونه من الجهاد في سبيل  
 الله لأن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله الثاني  
 أن ذلك أنفع للكفار أيضا فإنهم قد يؤمنون من الخوف ومن أسر  
 منهم وسيم من الصغار يسلم أيضا وهذا من معنى قوله تعالى  
 {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} {آل عمران 110 قال أبو هريرة  
 وكنتم خير الناس للناس تأتون بهم في الأقياد والسلاسل حتى  
 تدخلوهم الجنة فصارت الأمة بذلك خير أمة أخرجت للناس  
 وأفلح بذلك المقاتلون وهذا هو مقصود الأمر بالمعروف والنهي  
 عن المنكر وهذا من معنى كون محمد ما أرسل إلا رحمة  
 للعالمين فهو رحمة في حق كل أحد بحسبه حتى المكذبين له هو  
 في حقهم رحمة أعظم مما كان غيره ولهذا لما أرسل الله إليه



ملك الجبال وعرض عليه أن يقلب عليهم الأخشبين قال لا استأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له الوجه الثالث أن ذلك أعظم عزة للإيمان وأهله وأكثر لهم فهو يوجب من علو الإيمان وكثرة أهله ما لا يحصل بدون ذلك وأمر المنافقين والفجار بالمعروف ونهيه عن المنكر هو من تمام الجهاد وكذلك إقامة الحدود ومعلوم أن في الجهاد وإقامة الحدود من إتلاف النفوس والأطراف والأموال ما فيه فلو بلغت هذه النفوس النصر بالدعاء ونحوه من غير جهاد كان ذلك من جنس نصر الله للأنبياء المتقدمين من أمهم لما أهلك نفوسهم وأموالهم وأما النصر بالجهاد وإقامة الحدود فذلك من جنس نصر الله لما يختص به رسوله وإن كان محمد وأمه منصورين بالنوعين جميعا لكن يشرع في الجهاد باليد ما لا يشرع في الدعاء وأما الأصل الثاني فإن التنعم إما بالأموال الدنيوية وإما بالأموال الدينية فأما الدنيوية فهي الحسية مثل الأكل والشرب والنكاح واللباس وما يتبع ذلك والنفسية وهي الرياسة والسلطان فأما الأولي فالمؤمن والكافر والمنافق مشتركون في جنسها ثم يعلم أن التنعيم بها ليس هو حقيقة واحدة مستوية في بنى آدم بل هم متفاوتون في قدرها ووصفها تفاوتوا عظيما فإن من الناس من يتنعم بنوع من الأطعمة والأشربة الذي يتأذي بها غيره إما لا اعتياده ببلده وإما لموافقته مزاجه وإما لغير ذلك ومن الناس من يتنعم بنوع من المناكح لا يجربها غيره كمن سكن البلاد الجنوبية فإنه يتنعم بنكاح السمير ومن سكن البلاد الشمالية فإنه يتنعم بنكاح البيض وكذلك اللباس والمسكن فإن أقواما يتنعمون من البرد بما يتأذي به غيرهم وأقواما يتنعمون من المساكن بما يتأذي به غيرهم بحسب العادة والطباع وكذلك الأزمنة فإنه في الشتاء يتنعم الإنسان بالحر وفي الصيف يتنعم بالبرد وأصل ذلك أن التنعم في الدنيا بحسب الحاجة إليها والانتفاع بها فكل ما كانت الحاجة أقوى والمنفعة أكثر كان التنعم واللذة أكمل والله قد أباح للمؤمنين

الطيبات فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم  
المسرفين فيها فإن أولئك إذا أدمنوها وألفوها لا يبقى لهذا عندهم  
كبير لذة مع أنهم قد لا يصبرون عنها وتكثر أمراضهم بسببها  
وأما الدين فجماعه شيئان تصديق الخبر وطاعة الأمر  
ومعلوم أن التنعم بالخبر بحسب شرفه وصدقه والمؤمن معه من  
الخبر الصادق عن الله وعن مخلوقاته ما ليس مع غيره فهو من  
أعظم الناس نعيماً بذلك بخلاف من يكثر في أخبارهم الكذب  
وأما طاعة الأمر فإن من كان ما يؤمر به صلاحاً وعدلاً ونافعاً  
يكون تنعمه به أعظم من تنعم من يؤمر بما ليس بصلاح ولا  
عدل ولا نافع وهذا من الفرق بين الحق والباطل فإن الله  
سبحانه يقول في كتابه { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ  
أَعْمَالَهُمْ } {1} وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ  
عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ  
بَالَهُمْ } {2} ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ  
أَمْثَالَهُمْ } {3} محمد 1-3 وقال { وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ  
بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ  
عِنْدَهُ فُوقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ } النور 39 وتفصيل ذلك أن  
الحق نوعان حق موجود وحق مقصود وكل منهما ملازم للآخر  
فالحق الموجود هو الثابت في نفسه فيكون العلم به حقا والخبر  
عنه حقا والحق المقصود هو النافع الذي إذا قصده الحي انتفع به  
وحصل له النعيم فصل ومما يظهر الأمر ما ابتلي الله به  
عباده في الدنيا من السراء والضراء وقال سبحانه { فَأَمَّا  
الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ } {15}  
وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ } {16} كَلَّا  
} {17} الفجر 15-17 يقول الله سبحانه ليس الأمر كذلك ليس  
إذا ما ابتلاه فأكرمه ونعمه يكون ذلك إكراماً مطلقاً وليس إذا ما  
قدر عليه رزقه يكون ذلك إهانة بل هو ابتلاء في الموضعين  
وهو الاختبار والامتحان فإن شكر الله على الرخاء وصبر على

الشدة كان كل واحد من الحاليين خيرا له كما قال النبي لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وإن لم يشكر ولم يصبر كان كل واحد من الحاليين شرا له<sup>1</sup>

## القيام بالواجبات يحتاج إلى شروط

\*الناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية كما قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {التغابن 11} قال ابن مسعود أو غيره هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم و في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إحرص على ما ينفعك و استعن بالله و لا تعجزن و إن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا و كذا و لكن قل قدر الله و ما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فأمره بالحرص على ما ينفعه و هو طاعة الله و رسوله فليس للعباد أنفع من طاعة الله و رسو له و أمره إذا أصابته مصيبة مقدره أن لا ينظر إلى القدر و لا يتحسر بتقدير لا يفيد و يقول قدر الله و ما شاء فعل و لا يقول لو أني فعلت لكان كذا فيقدر ما لم يقع يتمنى أن لو كان و وقع فإن ذلك إنما يورث حسر و حزنا لا يفيد و التسليم للقدر هو الذي ينفعه كما قال بعضهم الأمر أمران أمر فيه حيلة فلا تعجز عنه و أمر لا حيلة فيه فلا تجزع منه و ما زال أئمة الهدى من الشيوخ و غيرهم يوصون الإنسان بأن يفعل الأمور و يترك المحظور و يصبر على المقدر و إن كانت تلك المصيبة بسبب فعل آدمي فلو أن رجلا أنفق ماله في المعاصي حتى مات و لم يخلف لولده مالا أو ظلم الناس بظلم صاروا لأجله يبغضون أولاده و يحرمونهم ما يعطونه لأمثالهم لكان هذا مصيبة في حق الأولاد حصلت بسبب فعل الأب فإذا قال أحدهم لأبيه أنت فعلت

بنا هذا قيل للإبن هذا كان مقدورا عليكم و أنتم مأمورون بالصبر على ما يصيبكم و الأب عاص الله فيما فعله من الظلم و التبذير ملوم على ذلك لا يرتفع عنه ذم الله و عقابه بالقدر السابق فإن كان الأب قد تاب توبة نصوحا و تاب الله عليه و غفر له لم يجز ذمه و لا لومه بحال لا من جهة حق الله فإن الله قد غفر له و لا من جهة المصيبة التي حصلت لغيره بفعله إذ لم يكن هو ظالما لأولئك فإن تلك كانت مقدرة عليهم و بهذا جاء الكتاب و السنة قال الله تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } {التغابن 11} و قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نُنَبِّئَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } {الحديد 22} و سواء في ذلك المصائب السماوية و المصائب التي تحصل بأفعال الأدميين قال تعالى { وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا } {المزمل 10} **{ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ اتَّأَهُمُ النَّاصِرَاتُ } {الأنعام 34}** و قال في سورة الطور بعد قوله { فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ } {29} { أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ } {30} { قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ } {31} { الطور 29-31} إلى قوله { أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ } {33} { الطور 33} إلى قوله { أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِّن مَّعْرَمٍ مُّتَقَلِّوْنَ } {40} { أَمْ عِنْدَهُمُ الْعَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ } {41} { الطور 40-41} إلى قوله { وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } {48} { الطور 48} <sup>1</sup>

\* و القيام بالواجبات من الدعوة الواجبة و غيرها يحتاج إلى شروط يقام بها كما جاء في الحديث ينبغي لمن أمر بالمعروف و نهى عن المنكر أن يكون فقيها فيما يأمر به فقيها فيما ينهى عنه رفيقا فيما يأمر به رفيقا فيما ينهى عنه حليما فيما يأمر به حليما فيما ينهى عنه فالفقه قبل الأمر ليعرف المعروف و ينكر المنكر و الرفق عند الأمر ليسلك أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود و الحلم بعد الأمر ليصير على أذى المأمور المنهى فإنه كثيرا ما يحصل له الأذى بذلك و لهذا قال تعالى

{وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ  
 {لقمان 17 وقد أمر نبيينا بالصبر في مواضع كثيرة كما قال  
 تعالى في أول المدثر { قُمْ فَأَنْذِرْ } {2} وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ } {3} وَثِيَابَكَ  
 فَطَهِّرْ } {4} وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } {5} وَلَا تَمْنُنِ تَسْتَكْثِرُ } {6} وَلِرَبِّكَ  
 فَاصْبِرْ } {7} المدثر 2-7 وقال تعالى {وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ  
 بِأَعْيُنِنَا } الطور 48 وقال {وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ  
 {المزمّل 10 وقال تعالى {وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا  
 عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا } {الأنعام 34} <sup>1</sup>

### وعد الله الذي وعده رسله من كلماته التي لامبدل لها

\* وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يستعيز و  
 يأمر بالاستعاذة بكلمات الله التامات و في بعض الأحاديث  
 التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وقال تعالى { أَلَا إِنَّ  
 أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {62} الَّذِينَ آمَنُوا  
 وَكَانُوا يَتَّقُونَ } {63} لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا  
 تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } {64} يونس 62-64 و  
 قال تعالى {وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا  
 وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيٍّ  
 الْمُرْسَلِينَ } {الأنعام 34 فأخبر في هذه الآية أيضا أنه لامبدل  
 لكلمات الله عقب قوله { فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ  
 أَتَاهُمْ نَصْرُنَا } {الأنعام 34} و ذلك بيان أن وعد الله الذي

وعده رسله من كلماته التي لامبدل لها لما قال في أولياته  
 { لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ  
 } يونس 64 فانه ذكر أنه لا خوف عليهم و لا هم يحزنون و  
 أن لهم البشرى في الحياة الدنيا و في الآخرة فوعدهم بنفي  
 المخافة و الحزن و بالبشرى في الدارين وقال بعد ذلك { لَا  
 تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } يونس 64 فكان في هذا تحقيق كلام الله الذي  
 هو وعده كما قال { فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولُهُ  
 } إبراهيم 47 وقال { وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ { الروم 6 } وقال المؤمنون { رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ { آل عمران 194 } فإخلاف ميعاده تبديل لكلماته و هو سبحانه لا مبدل لكلماته يبين ذلك قوله تعالى { لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَِّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ {28} مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ {29} } ق 28-29 فأخبر سبحانه أنه قدم إليهم بالوعد وقال { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدِيَّ } ق 29 و هذا يقتضي أنه صادق في وعيده أيضا و ان وعيده لا يبدل وهذا مما احتج به القائلون بأن فساق الملة لا يخرجون من النار و قد تكلمنا عليهم فى غير هذا الموضوع لكن هذه الآية تضعف جواب من يقول إن اخلاف الوعد جائز فان قوله { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدِيَّ } ق 29 بعد قوله { وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ } ق 28 دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعد و الوعيد و تفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر و النهي من غير تبديل شيء منها و قد قال تعالى { سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِّتَأْخُذُواهَا دَرُونا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ {الفتح 15} و الله أعلم<sup>1</sup>

### الإيمان بما وصف الله سبحانه به نفسه

\*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد الموت والايمن بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثل شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون فى أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له

ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قبلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون ومصدقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه { وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } {الأنعام} 34<sup>1</sup>

### قصص المرسلين تسلية وتثبيت

\*وقد اخرجنا في الصحيحين عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسط بردة له في ظل الكعبة فقلنا يا رسول الله لا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب فما يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم قوم تعجلون ومعلوم ان هذا انما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في معرض الثناء على اولئك لصبرهم وثباتهم وليكون ذلك عزة للمؤمنين من هذه الامة وقال الله تعالى {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوَدُوا حَتَّىٰ أَنَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَاِ الْمُرْسَلِينَ} {الأنعام} 34<sup>1</sup>

\*وفي القرآن من قصص المرسلين التي فيها تسلية وتثبيت  
ليتأسى بهم في الصبر على ما كذبوا وأوذوا<sup>1</sup>

## ان الله سبحانه قادر على ما لا يفعله

\* قال تعالى { وَإِنْ كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ  
تَبْتَغِي نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ  
اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ } الانعام 35 اتفق  
المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير كما  
نطق بذلك القرآن أى فى مواضع كثيرة جدا وأن الشيء إسم لما  
يوجد فى الأعيان و لما يتصور فى الأذهان فما قدره الله و علم  
أنه سيكون هو شيء فى التقدير و العلم و الكتاب و أن لم يكن  
شيئا فى الخارج و منه قوله { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ  
كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 و لفظ الشيء فى الآية يتناول هذا و هذا  
فهو على كل شيء ما و جد و كل ماتصوره الذهن موجودا إن  
تصور أن يكون موجودا قدير لا يستثنى من ذلك شيء و لا يزداد  
عليه شيء كما قال تعالى { بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نَسُوْبِي بِنَانَهُ  
{ القيامة 4 و قال { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي  
الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ } المؤمنون 18 قال  
المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا و تهلك  
مواشيكم و تخرب أراضيكم و معلوم أنه لم يذهب به و هذا كقوله  
{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } الواقعة 68 إلى قوله و  
{ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } الواقعة 82 و هذا يدل على أنه  
قادر على ما لا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أجاجا و هو  
لم يفعله و مثل هذا قال تعالى { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى  
الْهُدَىٰ } الانعام 35 و { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا  
{ السجدة 13 } { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ } يونس 99  
{ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاكُمْ } البقرة 253 فإنه أخبر فى غير



موضع أنه لو شاء لفعل أشياء و هو لم يفعلها فلو لم يكن قادرا عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها<sup>1</sup>

\*قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته فإن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وليس كل ما كان قادرا عليه فعله قال تعالى {بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} {القيامة}4 وقال تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} {الأنعام}65 وقد ثبت في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هاتان أهون وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا} {يونس}99 وقد قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} {هود}118 وقال {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْنَتُلُوا} {البقرة}253 ومثل هذا متعدد في القرآن وإذا كان لو شاءه لفعله دل على أنه قادر عليه فإنه لا يمكن فعل غير المقدور وإذا كان كذلك علم أن الفعل لو وجد بمجرد كونه قادرا لوقع كل مقدور بل لا بد مع القدرة من الإرادة<sup>1</sup>

## العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما

### يخالفه

\* قال تعالى {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} {الأنعام}36 وقال تعالى {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} {الأنعام}39 أن المسمع وإن كان أصله نفس السمع الذي يشبه الإدراك لكن اذا كان المسموع طلبا ففائدته وموجبه الاستجابة والقبول واذا كان المسموع خبرا ففائدته التصديق والاعتقاد فصار يدخل مقصوده وفائدته في مسماه نفيا وإثباتا

فيقال فلان يسمع لفلان أى يطيعه فى أمره أو يصدق فى خبره  
وفلان لا يسمع ما يقال له أى لا يصدق الخبر ولا يطيع الأمر  
كما بين الله السمع عن الكفار فى غير موضع كقوله {وَمَثَلُ الَّذِينَ  
كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً} البقرة 171  
وقوله {وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ} الأنبياء 45 وذلك لأن سمع  
الحق يوجب قبوله ايجاب الاحساس الحركة وايجاب علم القلب  
حركة القلب فان الشعور بالملائم يوجب الحركة اليه والشعور  
بالمنافر يوجب النفرة عنه فحيث انتفى موجب ذلك دل على  
إنتفاء مبدئه ولهذا قال تعالى {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ  
وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} الأنعام 36 وقال تعالى {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءِ يُجْعَلْهُ  
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الانعام 39 ولهذا جعل سمع الكفار بمنزلة  
سمع البهائم لأصوات الرعاة أى يسمعون مجرد الأصوات سمع  
الحيوان لا يسمعون ما فيها من تأليف الحروف المتضمنة  
للمعانى السمع الذى لا بد أن يكون بالقلب مع الجسم<sup>1</sup>

\* قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوء  
فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ فى القلب  
يمنتع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر  
خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما  
يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا  
الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال فى مسمى الإيمان  
حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا  
أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك  
من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال  
موتى وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا  
يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهى  
وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون<sup>1</sup>

قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } { الأنعام 37

## الآيات التي يجعلها الله دلالة على صدق الأنبياء هي

### مما ينزله

\* والآيات التي يجعلها الله دلالة على صدق الأنبياء هي مما ينزله كما قال { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } { الأنعام 37 وقال { إِنَّ تَشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ } الشعراء 4 وقال تعالى { فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } البقرة 59<sup>1</sup>

## إن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص

### لبعضها من بعض

\* وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى { وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أُمَّتَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } { الأنعام 38 وقال تعالى { وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ } التكويد 5 وقال تعالى { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ } الشورى 29 وحرف إذا إنما يكون لما يأتي لا محالة والأحاديث في ذلك مشهورة فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض ثم يقول لها كوني ترابا فتصير ترابا فيقول الكافر حينئذ { يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا } { النبأ 40 ومن قال أنها لا تحيا فهو مخطيء في ذلك أقبح خطأ بل هو ضال أو كافر والله أعلم<sup>1</sup>

## جامع الجامع و دليل الدليل دليل

\*فان ما دل كتاب الله على إباحته بعمومه فانه فى كتاب الله لأن قولنا هذا فى كتاب الله يعم ما هو فيه بالخصوص و بالعموم و على هذا معنى قوله تعالى { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتًا لِّكُلِّ شَيْءٍ } النحل 89 و قوله { وَلَكِنْ تَصَدِّقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلٌ لِّكُلِّ شَيْءٍ } يوسف 111 و قوله { مَا فَرَطْنَا فِي **الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** } الأنعام 38 على قول من جعل الكتاب هو القرآن و أما على قول من جعله اللوح المحفوظ فلا يجيء ههنا يدل على ذلك أن الشرط الذي ثبت جوازه بسنة أو إجماع صحيح بالاتفاق فيجب ان يكون فى كتاب الله و قد لا يكون فى كتاب الله بخصوصه لكن فى كتاب الله الأمر باتباع السنة و اتباع سبيل المؤمنين فيكون فى كتاب الله بهذا الاعتبار لأن جامع الجامع جامع و دليل الدليل دليل بهذا الاعتبار<sup>1</sup>

### حياة القلوب وموتها

\*وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته قال تعالى { أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا } الأنعام 122 لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها فى غير موضع كقوله { لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ } يس 70 وقوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } الأنفال 24 ثم قال { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ } الأنفال 24 وقال تعالى { يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ } يونس 31 ومن انواعه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وفى الحديث الصحيح مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحى والميت وفى الصحيح ايضا اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبورا وقد قال تعالى { **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** } الأنعام 39 وذكر سبحانه آية النور

آية الظلمة فقال {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ  
كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ  
دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ  
زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ {النور 35 فهذا  
مثل نور الايمان في قلوب المؤمنين ثم قال {وَالَّذِينَ كَفَرُوا  
أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ  
شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ {39} أَوْ  
كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ  
ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَّمْ  
يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ {40} {النور 39-40 فالأول  
مثل الاعتقادات الفاسدة والأعمال التابعة لها يحسبها صاحبها  
شيئاً ينفعه فاذا جاءها لم يجدها شيئاً ينفعه فوفاه الله حسابه على  
تلك الاعمال و الثاني مثل للجهل البسيط وعدم الايمان  
والعلم فان صاحبها في ظلمات بعضها فوق بعض لا يبصر شيئاً  
فان البصر إنما هو بنور الايمان والعلم قال تعالى {إِنَّ  
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ  
مُبْصِرُونَ {الأعراف 201} <sup>1</sup>

## من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له

\*قال تعالى { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ  
اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { الأنعام 39 أن  
الله رب كل شيء و خالقه و مليكه لارب غيره و لا خالق سواه و  
إنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن لا حول و لا قوة إلا به و لا  
ملجأ منه إلا إليه و أنه على كل شيء قدير فجميع ما في  
السموات و الأرض من الأعيان و صفاتها و حركاتها فهي  
مخلوقة له مقدورة له مصرفة بمشيئته لا يخرج شيء منها عن  
قدرته و ملكه و لا يشركه في شيء من ذلك غيره بل هو سبحانه  
لا إله إلا هو و حده لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على

كل شيء قدير فالعبد فقير الى الله فى كل شيء يحتاج إليه فى كل شيء لا يستغنى عن الله طرفة عين فمن يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له <sup>1</sup>

\*إن كل ما فى الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته و قدرته و ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغني و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقا كأنما يصعد فى السماء و هو يقرب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيغه أزاعه و هو الذى حيب إلى المؤمنين الإيمان و زينه فى قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان أولئك هم الراشدون و هو الذى جعل المسلم مسلما و المصلي مصليا قال الخليل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ } البقرة 128 و قال { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 و قال تعالى { وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 و قال عن آل فرعون { وَاجْعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 و قال تعالى

{ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا } 19 { إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا } 20 { وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } 21 { المعارج 19-21 و قال { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا } هود 37 و قال { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ } هود 38 و الفلك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله { وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } يس 42 و قال { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم و قال تعالى { أَنْعَبُدُونَ مَا تَنْحُتُونَ } 95 { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96 { الصافات 95-96 } فما بمعنى

الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبنى دل على أنه خالق كل صانع و صنعته و قال تعالى { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } الكهف 17 و قال { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و ملكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابغة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما يفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحكم الحاكمين و أرحم الراحمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 و قد خلق الله سبحانه تعالى الأشياء بأسباب كما قال تعالى { وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا } البقرة 164 و قال { فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ } الأعراف 57 و قال تعالى { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ } المائدة 16<sup>1</sup>

### صلاح الخلق في معرفة ربهم

\*قال تعالى { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 39 أن الله سبحانه لما كان هو الأول الذي خلق الكائنات و الآخر الذي إليه تصير الحادثات فهو الأصل الجامع فالعلم به أصل كل علم و جامع و ذكره أصل كل كلام و جامع و العمل له أصل كل عمل و جامع و ليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم و عبادته و إذا حصل لهم ذلك فما سواه إما فضل نافع و إما فضول غير نافعة و أما أمر مضر ثم من العلم به تنتشعب أنواع العلوم و من

عبادته وقصده تنتشعب وجوه المقاصد الصالحة والقلب بعبادته والإستعانة به معتصم مستمسك قد لجأ إلى ركن وثيق واعتصم بالدليل الهادى والبرهان الوثيق فلا يزال إما فى زيادة العلم والإيمان وإما فى السلامة عن الجهل والكفر وبهذا جاءت النصوص الإلهية فى أنه بالإيمان يخرج الناس من الظلمات الى النور وضرب مثل المؤمن وهو المقر بربه علما وعملا بالحق والبصير والسميع والنور والظل وضرب مثل الكافر بالميت والأعمى والأصم والظلمة والحرور وقالوا فى الوسواس الخناس هو الذى اذا ذكر الله خنس واذا غفل عن ذكر الله وسوس فتبين بذلك أن ذكر الله أصل لدفع الوسواس الذى هو مبدأ كل كفر وجهل وفسق وظلم وقال الله تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } الحجر 42 وقال { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } النحل 99 وقال { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } آل عمران 101 ونحو ذلك من النصوص<sup>1</sup>

\* والنصوص الواردة فيها الهدى والشفاء والذى بلغها بلاغا مبينا هو أعلم الخلق بربه وأنصحهم لخلقه وأحسنهم بيانا وأعظمهم بلاغا فلا يمكن أحد أن يعلم ويقول مثل ما علمه الرسول وقاله وكل من من الله عليه ببصيرة فى قلبه تكون معه معرفة بهذا ثم قال تعالى { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } سبأ 6 وقال فى ضدهم { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 39<sup>1</sup>

## من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعا لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال

\* والعمل له أثر فى القلب من نفع وضرر وصلاح قبل أثره فى الخارج فصلاحتها عدل لها وفسادها ظلم لها قال بعض السلف إن للحسنة لنورا فى القلب وقوة فى البدن وضياء فى الوجه وسعة



في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضا في قلوب الخلق وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع كقوله ياسين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وفي الحديث الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثله الحي والميت وفي الصحيح أيضا اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذها قبورا {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكِّم فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {الأنعام 139

\*أن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه أو أنه ترك حسنا مأمورا به أمر إيجاب أو أمر استحباب ليتوب ويفعله فما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعه بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من الهدى من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبع لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح ولهذا قال من قال من السلف كسعید بن جبیر إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا فأخبر النبي أن الصدق يستلزم البر وأن الكذب يستلزم الفجور {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكِّم فِي الظُّلُمَاتِ

مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
{ الأنعام 39<sup>1</sup>

## ما يقوم بالقلب من الشعور يوجب أمورا ظاهرة

\* قال تعالى { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } { الأنعام 39

إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات وقد تكون أيضا عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ولا بد ارتباطا ومناسبة فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورا ظاهرة وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورا وأحوالا وقد بعث الله عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سنته وهي الشريعة والمنهاج الذي شرعه له فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يبين سبيل المغضوب عليهم والضالين وأمر بمخالفتهم في الهدى الظاهر وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمر منها أن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس فإن اللباس لثياب أهل العلم مثلا يجد من نفسه نوع انضمام إليهم واللباس لثياب الجند المقاتلة مثلا يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم ويصير طبعه مقتضيا لذلك إلا أن يمنعه من ذلك مانع ومنها أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين وكلما كان القلب أتم حياة وأعرف بالإسلام الذي هو الإسلام لست أعني مجرد التوسم به ظاهرا أو باطنا بمجرد الاعتقادات

التقليدية من حيث الجملة كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنا أو ظاهرا أتم وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد ومنها أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهرا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكمية هذا إذا لم يكن ذلك الهدى الظاهر إلا مباحا محضا لو تجرد عن مشابهتهم فأما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبة من شعب الكفر فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالهم ومعاصيهم فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له والله أعلم<sup>1</sup>

### لطائف لغوية

1- كل ما سوى الله تعالى يجمع بلفظ التأنيث فيقال الملائكة ويقال لما يعبد من دون الله آلهة قال تعالى {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَنْتَشْهَدُونَ أِنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} الأنعام 19 وقال تعالى {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} {138} {إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَبِاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {139} قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} {140} الأعراف 138-140 هي أوثان وهي مؤنثة قال تعالى {قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} الزمر 38 فالآلهة المعبودة من دون الله كلها بهذه المثابة وهي الأوثان التي تتخذ من دون الله<sup>1</sup>

2- قال تعالى {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرْعُمُونَ} {22} ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا

وَاللّٰهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ {23} انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ  
 وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ {24} {الأنعام 22-24} عامة الأسماء  
 يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق  
 تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن  
 يكون معذبا كقوله {إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ {69} فَهُمْ عَلَىٰ  
 آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ {71}  
 الصافات 69- 71} وقوله {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا  
 وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ  
 وَالْعَنُتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا {68} الأحزاب 67- 68} وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ  
 هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ {طه 123} ثم يقرن بالغي والغضب  
 كما فى قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ {النجم 2} وفى قوله  
 {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ {الفاتحة 7} وقوله {إِنَّ  
 الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ {القمر 47} <sup>1</sup>

3- الضمير يعود تارة إلى لفظ من وتارة الى معناها كقوله  
**{وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ {الأنعام 25}** {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ  
 إِلَيْكَ {يونس 42} {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ  
 أَنْثَىٰ {النساء 124} {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
 فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ  
 {النحل 97} <sup>1</sup>

4- وهو سبحانه يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب وتارة  
 يحذفه كما يحذف جواب لو كثيرا كقوله تعالى {لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ  
 الْيَقِينِ {التكاثر 5} وقوله {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ  
 {الرعد 31} {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ  
 {الأنفال 50} {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ {سبأ 51} {وَلَوْ  
 تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ {الأنعام 27} {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ  
 رَبِّهِمْ {الأنعام 30} ومثل هذا حذفه من أحسن الكلام لأن  
 المراد أنك لو رأيت لرئيت هولا عظيما فليس فى ذكر الجواب  
 زيادة على ما دل المحرم وهو أيضا تنبيه فاذا أقسم به وفيه

الحلال فاذا كان فيه الحرام كان أولى بالتعظيم وكذلك اذا أريد الحول فانه هو السلبي فالمعنى واحد<sup>1</sup>

5- ولفظ الذوق وإن كان قد يظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر كما أن لفظ الإحساس في عرف الاستعمال عام فيما يحس بالحواس الخمس بل وبالباطن وأما في اللغة فأصله الرؤيا كما قال { هَلْ نُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ } مريم98 والمقصود لفظ الذوق قال تعالى { فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ } النحل112 فجعل الخوف والجوع مذوقا وأضاف إليهما اللباس ليشعر أنه لبس الجائع والخائف فشمله وأحاط به إحاطة اللباس باللباس بخلاف من كان الألم لا

يستوعب مشاعره بل يختص ببعض المواضع قال تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } الانعام30 وقال تعالى { ذُوقُوا الْعَذَابَ } آل عمران106 وقال تعالى { ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ } الدخان49 وقال تعالى { يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } القمر48 وقال { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ } الدخان56 وقال تعالى { لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا } {24} { إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا } {25} النبأ24-25 وقال { وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } السجدة21 وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام ديننا وبمحمد نبيا فاستعمل لفظ الذوق في إدراك الملائم والمنافر كثير<sup>1</sup>

6- قال تعالى { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَالِدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } الانعام32 ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضا قائما بالعاقل وعلى هذا دل القرآن في قوله تعالى لعلمك تعقلون وقوله { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

يَعْقُلُونَ بِهَا { الحج46 وقوله { قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ { آل عمران118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل يعقل عقلا وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ { الملك10 وقال تعالى { أَقْلَمُ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا { الحج46 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوما يميز بها الانسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الاسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في الانسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن في العين قوة بها يبصر وفي اللسان قوة بها يذوق وفي الجلد قوة بها يلمس عند جمهور العقلاء<sup>1</sup>

7- قال تعالى { وَإِنْ كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ { الأنعام35 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى إذا أطلق تتناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ { الفاتحة6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ { البقرة2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا { الأعراف43 وانما

هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما فى قوله { وَاجْتَنِبْنَا هُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا اطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا<sup>1</sup>

8- فان نفق يشبهه خرج ومنه نفقت الدابة اذا ماتت ومنه نافقاء اليربوع والنفق فى الأرض قال تعالى { فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ } الأنعام 35<sup>1</sup>

9- قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } الأنعام 37 قدير منزه عن العجز والضعف<sup>1</sup>

10- قال تعالى { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 39 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا اطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَفْوَاهٌ آبَاءُهُمْ ضَالِّينَ } {69} فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } {71} الصافات 69- 71 وقوله { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } {68} الأحزاب 67- 68 وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 ثم يقرن بالغى والغضب كما فى قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 وفى قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ } القمر 147<sup>1</sup>





## الانعام 40-58

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ {41} وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ {42} فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {43} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ {44} فَقَطَّعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {45} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَفُونَ﴾ {46} قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ {47} وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ {48} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ {49} قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ {50} وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ {51} وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ {52} وَكَذَلِكَ فَتَنَّا

بَعْضُهُمْ بَعْضٌ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا  
أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} 53{ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ  
يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ  
الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بَـجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ  
وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} 54{ وَكَذَلِكَ نَفِصِّلُ الْآيَاتِ  
وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ} 55{ قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ  
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ  
إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} 56{ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي  
وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ  
يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} 57{ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا  
تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقَضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
بِالظَّالِمِينَ} 58{

### لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين

\* الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى { **أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** } الأنعام 140<sup>1</sup>

\* لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء 213 وقال تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } المؤمنون 117 وقال تعالى { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } القصص 88 وقال { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ

يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا { الجن 19 } وقال { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا { النساء 117 } ولفظ الصلاة في اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر اولاً لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعاً بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ { البقرة 186 } وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضاً راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتنال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضاً راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا { الأنبياء 90 } وقال تعالى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا { السجدة 16 } ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع<sup>1</sup>

### ذم الله سبحانه حزبين

\*قال الله تعالى { فَكَبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُونَ { 94 } وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ { 95 } قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ { 96 } تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ { 97 } إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ { 98 } وَمَا أَضَلُّنَا إِلَّا

الْمُجْرِمُونَ {99} فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ {100} وَلَا صَدِيقٍ  
 حَمِيمٍ {101} فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {102} الشعراء  
 94-102 وقوله {إِذْ نُسَوِّكُمْ} {98} الشعراء 98 لم  
 يريدوا به أنهم جعلوهم مساوين لله من كل وجه فان هذا لم يقله  
 أحد من بنى آدم ولا نقل عن قوم قط من الكفار أنهم قالوا ان هذا  
 العالم له خالقان متماثلان حتى المجوس القائلين بالأصلين  
 النور والظلمة متفقون على أن النور خير يستحق أن  
 يعبد ويحمد وان الظلمة شريرة تستحق أن تدم وتلعن  
 واختلفوا هل الظلمة محدثة أو قديمة على قولين وبكل حال لم  
 يجعلوها مثل النور من كل وجه وكذلك مشركوا العرب  
 كانوا متفقين على أن أربابهم لم تشارك الله في خلق السموات  
 والأرض بل كانوا مقرين بأن الله وحده خلق السموات والأرض  
 وما بينهما كما أخبر عنهم بذلك في غير آيه كقوله تعالى {  
 وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} {61} اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ  
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {62} وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ  
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ  
 الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} {63} العنكبوت 61-63 وقال  
 تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ  
 الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} {9} الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمُ فِيهَا  
 سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} {10} وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ  
 فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُونَ {11} وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ  
 كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} {12} لِنَسْتَوُوا عَلَى  
 ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ  
 الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} {13} وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا  
 لَمُنْقَلِبُونَ} {14} الزخرف 9-14 وهذه الصفات من كلام الله  
 تعالى ليست من تمام جوابهم وقال تعالى {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ  
 وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا  
 تَذَكَّرُونَ} {85} قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمِ {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ {87} قُلْ مَنْ بِيَدِهِ  
 مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ {89} المؤمنون  
 84-89 وقال تعالى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنتُكُمْ  
 السَّاعَةُ أَعْبَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ  
 فَيَكْثِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا  
 تُشْرِكُونَ {41} {الأنعام 40-41} وكذلك قوله {اللَّهُ خَيْرٌ أَمَا  
 يُشْرِكُونَ {59} {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ  
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا  
 شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي قُوَّةٍ يَعْدِلُونَ {60} {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ  
 قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ  
 حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي قُوَّةٍ يَعْدِلُونَ {61} {النمل 60-61} أى إليه مع الله فعل هذا  
 وهذا استفهام انكار وهم مقرون بأنه لم يفعل هذا اله آخر مع الله  
 ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله اله آخر فقد غلط  
 فانهم كانوا يجعلون مع الله الهة أخرى كما قال تعالى {أَنْتُمْ  
 لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ {الأنعام 19} وقال  
 تعالى {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ  
 شَيْءٍ {هود 101} وقال تعالى عنهم {أَجْعَلِ الْآلِهَةَ آلِهًا  
 وَاحِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ {ص 5} وكانوا معترفين بأن آلهتهم  
 لم تشارك الله فى خلق السموات والأرض ولا خلق شىء بل  
 كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائط كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ  
 دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ  
 اللَّهِ {يونس 18} وقال عن صاحب يس {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي  
 فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {22} {أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْ  
 الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْتُلُونِ {يس 22-  
 23} وقال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى  
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {الأنعام 51-  
 وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي  
 سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا

شَفِيعَ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ {السجدة 4} وقال {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ  
 مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ  
 وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ {22} وَلَا تَتَفَعَّلُ  
 الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ {23} سبأ 22-23 فنفى عما سواه  
 كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط من  
 الملك أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا  
 لمن أذن له الرب كما قال تعالى { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا  
 بِإِذْنِهِ {البقرة 255} وقال تعالى عن الملائكة { وَلَا يَشْفَعُونَ  
 إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى {الأنبياء 28} وقال {وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي  
 السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَن بَعَدَ أَن يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ  
 وَيَرْضَى {النجم 26} فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون  
 هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأما ما أخبر به النبي  
 أنه يكون فأخبر أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة  
 أولاً فإذا سجد وحمد ربه بمحامد يفتحها عليه يقال له أى محمد  
 ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فيقول أى رب  
 أمتى فيجد له حداً فيدخلهم الجنة وكذلك فى الثانية وكذلك فى  
 الثالثة وقال له أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة  
 قال من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه فتلك الشفاعة  
 هى لأهل الاخلاص باذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون الا  
 باذن الله وحقيقته ان الله هو الذى يتفضل على أهل الاخلاص  
 والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذى أذن له أن يشفع  
 ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون  
 والآخرون كما كان فى الدنيا يستسقى لهم ويدعو لهم وتلك  
 شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته واذا كان  
 كذلك فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذى هو شرك لا شفاعة فيه  
 وظلم الناس بعضهم بعضاً لا بد فيه من اعطاء المظلوم حقه لا  
 يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم  
 من الظالم كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ما له  
 من شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالماً مطلقاً بل هو موحد

مع ظلمه لنفسه وهذا انما نفعه في الحقيقة اخلاصه لله فيه صار من أهل الشفاعة ومقصود القرآن بنفى الشفاعة نفى الشرك وهو أن أحدا لا يعبد الا الله ولا يدعو غيره ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لا في شفاعة ولا غيرها فليس له أن يتوكل على أحد في أن يرزقه وان كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة وان كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقا ولهذا أثبت الشفاعة باذنه في مواضع وتلك قد بين الرسول أنها لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص فهي من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد<sup>1</sup>

\*ولما كان الأمر كما أخبر الله به في قوله {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ} النساء 79 أوجب هذا أن لا يطلب العبد الحسنات و الحسنات تدخل فيها كل نعمة إلا من الله و أن يعلم أنها من الله و حده فيستحق الله عليها الشكر الذي لا يستحقه غيره و يعلم أنه لا إله إلا هو كما قال تعالى {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} النحل 53 فهذا يوجب على العبد شكره و عبادته وحده ثم قال {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ} النحل 53 و هذا إخبار عن حالهم و الجوار يتضمن رفع الصوت و الانسان إنما يجار إذا أصابه الضر و أما في حال النعمة فهو ساكن إما شاكرا و إما كفورا {ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ} {53} ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} {54} النحل 53- 54 وهذا المعنى قد ذكره الله في غير موضع يذم من يشرك به بعد كشف البلاء عنه و إسباغ النعماء عليه فيضيف العبد بعد ذلك الانعام الى غيره و يعبد غيره تعالى و يجعل المشكور غيره على النعم كما قال تعالى {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أُذِقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} {33} لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} {34} الروم 33-34 و قال تعالى {قُلْ مَنْ

يُنَجِّبِكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن أَنْجَانَا  
مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ {63} قُلِ اللَّهُ يُنَجِّبِكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ  
كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ {64} {الأنعام 63-64} وقال تعالى {وَإِذَا  
مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ  
مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ  
تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ {الزمر 8} وقوله  
{ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ {الزمر 8} أي نسي الضر الذي كان  
يدعو الله لدفعه عنه كما قال في سورة الأنعام { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ  
وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ {41} {الأنعام 40-41} فذم الله سبحانه  
حزبين حزبا لا يدعونه في الضراء و لا يتوبون إليه و حزبا  
يدعونه و يتضرعون إليه و يتوبون اليه فاذا كشف الضر عنهم  
أعرضوا عنه و أشركوا به ما اتخذوهم من الأنداد من دونه  
فهذا الحزب نوعان كالمعطلة و المشركة حزب إذا نزل بهم  
الضر لم يدعوا الله و لم يتضرعوا إليه و لم يتوبوا إليه كما قال  
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَضَرَّعُونَ {42} فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ  
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {43} {الأنعام 42-43}  
و قال تعالى {وَلَقَدْ أَخَذْنَا هُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا  
يَتَضَرَّعُونَ {المؤمنون 76} و قال تعالى {أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ  
يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ  
{التوبة 126} و قال تعالى {وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ  
الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {السجدة 21} و حزب يتضرعون  
إليه في حال الضراء و يتوبون اليه فاذا كشفها عنهم أعرضوا  
عنه كما قال تعالى {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ  
قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ  
مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {يونس 12} و قال  
تعالى {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ



الشَّرُّ فَدُو دُعَاءِ عَرِيضٍ { فصلت 51 } و قال تعالى { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا { الإسراء 67 } و قال في المشركين ما تقدم { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ } { 53 } ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ { 54 } { النحل 53-54 } والممدوح هو القسم الثالث و هم الذين يدعونه و يتوبون اليه و يثبتون على عبادته و التوبة اليه في حال السراء فيعبده و يطيعونه في السراء و الضراء و هم أهل الصبر و الشكر كما ذكر ذلك عن أنبيائه عليهم السلام فقال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } { 87 } فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } { 88 } { الانبياء 87-88 }<sup>1</sup>

\*والسائل إذا حصل سؤاله برد فإنه لم يكن مراده إلا سؤاله وإذا حصل إعرض عن الله فهذا حال الكفار الذين ذمهم الله في القرآن كقوله { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ } { يونس 12 } وقال تعالى { قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } { 63 } قُلِ اللَّهُ يُنَجِّبِكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ

تُشْرِكُونَ } { 64 } { الأنعام 63-64 } وقال تعالى { وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ } { الزمر 8 } فقوله سبحانه

{ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ } { الزمر 8 } أى نسى ما كان يدعو الله إليه وهو الحاجة التي طلبها فإن دعاءه كان إليها أى توجهه إليها وقصده فهي الغاية التي كان يقصدها وإذا كانت ما مصدرية كان تقديره نسى كونه يدعو الله إلى حاجته كما قال تعالى فى الآية الأخرى { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا

إلى ضُرٍّ مَسَّهُ { يونس 12 } لكن على هذا يبقى الضمير في إليه عائداً على غير مذكور بخلاف ما إذا جعلت بمعنى الذي فإن التقدير نسي حاجته الذي دعاني إليها من قبل فنسي دعاءه الله الذي كان سبب الحاجة وإلى حرف الغاية كما قال تعالى في الآية الأخرى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } { 40 } بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } { 41 } { الأنعام 40-41 } فقد أخبر تعالى أنه يكشف ما يدعون إليه وهي الشدة التي دعوا إليها وأما المؤمن فلا بد بعد قضاء حاجته من عبادة الله وإخلاصه له كما أمره إما قياماً بالواجب فقط فيكون من الأبرار أو بالواجب والمستحب فيكون من المقربين ومن ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنوب وقد يكون ذلك من الشرك الأصغر الذي يبتلى به غالب الخلق إما شركاً في الربوبية وإما شركاً في الألوهية كما مبسوط في موضعه وقد يبتلى في أماكن الجهل وزمانه كثير من الناس بما هو من الشرك الأكبر وهم لا يعلمون فالسائل مقصوده سؤاله وإن حصل له ما هو محبوب للرب من إنابته إليه ومحبته وتوبته فهذا بالعرض وقد يدوم والأغلب أنه لا يدوم إلا أن يكون ذلك المحبوب للرب هو سؤاله مثل أن يسأل الله التوبة والإعانة على ذكره وشكره وحسن عبادته فهنا مطلوبه محبوب للرب ولهذا نم الله من لم يطلب إلا الدنيا في قوله { فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن خَلْقٍ } { البقرة 200 }<sup>1</sup>

## من دعاه موقناً أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه وقد يكون مشركاً وفاسقاً

\* وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } { البقرة 186 } وقد روى أن بعض الصحابة قال يا رسول الله

ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله هذه الآية فأخبر سبحانه أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ثم أمرهم بالاستجابة له وبالإيمان به كما قال بعضهم فليستجيبوا لي إذا دعوتهم وليؤمنوا بي إذا دعوتهم قالوا وبهذين الشيين تحصل إجابة الدعوة بكمال الطاعة لألوهيته وبصحة الإيمان بربوبيته فمن استجاب لربه بامتثال أمره ونهيه حصل مقصوده من الدعاء وأجيب دعائه كما قال تعالى {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ} الشورى 26 أي يستجيب لهم يقال استجاب واستجاب له فمن دعاه موقنا أن يجيب دعوة الداعي إذا دعاه أجابه وقد يكون مشركا وفاسقا فإنه سبحانه هو القائل {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مِّسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} يونس 12 وهو القائل سبحانه {وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَهُ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} الإسراء 67 وهو القائل سبحانه {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} 40 {بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} 41 {الأنعام 40-41} ولكن هؤلاء الذين يستجاب لهم لإقرارهم بربوبيته وأنه يجيب دعاء المضطر إذا دعاه إذا لم يكونوا مخلصين له الدين في عبادته ولا مطيعين له ولرسوله كان ما يعطيهم بدعائهم متاعا في الحياة الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق وقال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا} 18 {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا} 19 {كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا} 20 {الإسراء 18-20} وقد دعا الخليل عليه الصلاة والسلام بالرزق لأهل الإيمان فقال {وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

{ البقرة 126 فقال الله تعالى { وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ { البقرة 126 فليس كل من متعه الله برزق ونصر إما إجابة لدعائه وإما بدون ذلك يكون ممن يحبه الله ويواليه بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر والبر والفاجر وقد يجيب دعاءهم ويعطيهم سؤالهم في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق ومن هذا الباب من قد يدعو دعاء معتديا فيه إما بطلب مالا يصلح أو بالدعاء الذي فيه معصية الله من شرك أو غيره فإذا حصل بعض غرضه ظن أن ذلك دليل على أن عمله صالح بمنزلة من أملى له وأمهه بالمال والبنين فظن أن ذلك مسارعة له في الخيرات قال تعالى { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ { الأنعام 44<sup>1</sup>

\*والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسئلة والإستعانة كما قال تعالى { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ { غافر 14 وذم الذين يدعون الملائكة والأنبياء وغيرهم فقال { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ {41} { الأنعام 40-41<sup>1</sup>

### الشرك نوعان

\*ومن رحمة الله تعالى أن الدعاء المتضمن شركا كدعاء غيره أن يفعل أو دعائه أن يدعو الله ونحو ذلك لا يحصل به غرض صاحبه ولا يورث حصول الغرض شبهة إلا في الأمور الحقيرة فأما الأمور العظيمة كإنزال الغيث عند القحوط وكشف العذاب النازل فلا ينفع فيه هذا الشرك كما قال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ {41} { الانعام 40-41 فكون هذه المطالب العظيمة لا يستجيب فيها إلا هو سبحانه دل على توحيده

وقطع شبهة من أشرك به وعلم بذلك أن ما دون هذا أيضا من الإجابات إنما حصولها منه وحده لا شريك له وإن كانت تجري بأسباب محرمة أو مباحة كما أن خلقه للسموات والأرض والرياح والسحاب وغير ذلك من الأجسام العظيمة دل على وحدانيته وأنه خالق كل شيء وأن ما دون هذا بأن يكون خلقا له أولى إذ هو حاصل عن مخلوقاته العظيمة فخالق السبب التام خالق للمسبب لا محالة وجماع الأمر أن الشرك نوعان شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير إما كما قال سبحانه {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ} سبأ 22 فبين أنهم لا يملكون مثقال ذرة استقلالاً ولا يشركونه في شيء من ذلك ولا يعينونه على ملكه ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عوناً فقد انقطعت علاقته وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو دعاء مسألة كما قال تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} {5} الفاتحة فكما أن إثبات المخلوقات أسباب لا تقدر في توحيد الربوبية ولا تمنع أن الله خالق كل شيء ولا توجب أن يدعي مخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة من شرك أو غيره أسبابا لا يقدر في توحيد الإلهية ولا يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب أن تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذ كان الله يسخط ذلك ويعاقب العبد عليه وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته إذ قد جعل الله الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا إياه وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل الأصيل حتى إنه سبحانه قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله سبحانه {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} البقرة 255<sup>1</sup>

\*فإن الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضر قال تعالى {وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ} يونس 107 وقال تعالى {مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ

رَحْمَةً فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ { فاطر 2  
 وقال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ  
 اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 { بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا  
 تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } 41 { الأنعام 40-41  
 وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ  
 الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } 56 { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى  
 رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنْ  
 عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } 57 { الإسراء 56-57 فبين أن من  
 يدعى من الملائكة والأنبياء وغيرهم لا يملكون كشف الضر  
 عنهم ولا تحويلاً<sup>1</sup>

\* فقد علم المسلمون كلهم أن ما ينزل بالمسلمين من النوازل في  
 الرغبة والرغبة مثل دعائهم عند الاستسقاء لنزول الرزق  
 ودعائهم عند الكسوف والاعتداد لرفع البلاء وأمثال ذلك إنما  
 يدعون في ذلك الله وحده لا شريك له لا يشركون به شيئاً لم يكن  
 للمسلمين قط أن يرجعوا بحوائجهم إلى غير الله عز وجل بل كان  
 المشركون في جاهليتهم يدعونه بلا واسطة فيجيبهم الله أفتراهم  
 بعد التوحيد والإسلام لا يجيب دعاءهم إلا بهذه الواسطة التي ما  
 أنزل الله بها من سلطان قال { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ  
 أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 { بَلْ إِيَّاهُ  
 تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } 41 {  
 الأنعام 40-41 وقال { وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ  
 بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ } 42 { قُلْ لَا إِدْرَاءَ لِي إِذَا جَاءَهُمْ بِأَسْنَا  
 تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ } 43 { الأنعام 42-43<sup>1</sup>

### حكم من إذا أصابته نائبة أو خوف استنجد بشيخه

\* وأما الرجل إذا أصابته نائبة أو خاف شيئاً فاستغاث بشيخه  
 يطلب تثبيت قلبه من ذلك الواقع فهذا من الشرك وهو من جنس  
 دين النصارى فإن الله هو الذي يصيب بالرحمة ويكشف الضر

قال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 40 { بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } 41 { الانعام 40-41 }<sup>1</sup>

### الحكمة من ذكر أنه أخذهم بالعذاب ولم يقل بالذنوب

\* قال تعالى { فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ } غافر 21 فإن أخذه يتضمن أخذهم ليصلوا بعد الموت إلى العذاب ولفظ الهلاك يقتضي هلاكهم في الدنيا وزوال النعمة عنهم فذكر هلاكهم بزوال النعم وذكروا أخذهم بالنقم كما قال { وَوَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ } الأنعام 42 فهذا تعذيب لهم في الدنيا ليتضرعوا إليه وليتوبوا وذكر هنا أنه أخذهم بالعذاب ولم يقل بالذنوب كأنه والله أعلم ضمن ذلك معنى جذبانهم إلينا لينبوا وليتوبوا وإذا قال فأخذهم الله بذنوبهم يكون قد أهلكهم فأخذهم إليه بالهلاك<sup>1</sup>

\* فهنا أخبر أنه بالعذاب الأدنى ما استكانوا وما تضرعوا حتى أخذهم بالإهلاك كما (يبدو هنا فيه نقص الرجوع الى نفس المرجع) وقال { وَوَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ } 42 { فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 43 { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } 44 { فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 45 { الأنعام 42-45 }<sup>1</sup>

### "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة"

\* قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } النساء 79 فبين الله سبحانه أن الحسنه من الله ينعم بها عليهم وأن السيئه أنا تصيبهم بذنوبهم ولهذا قال تعالى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } الأنفال 33 فأخبر أنه لا يعذب مستغفرا لأن الإستغفار يمحو

الذنب الذي هو سبب العذاب فيندفع العذاب كما في سنن أبي داود وابن ماجه عن النبي أنه قال من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقد قال تعالى { أَلَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } {2} وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ } {3} هود 2-3 فبين أن من وحده واستغفره متعه متاعا حسنا إلى أجل مسمى ومن عمل بعد ذلك خيرا زاده من فضله وفي الحديث يقول الشيطان أهلكم الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والإستغفار فلما رأيت ذلك بثنت فيهم الأهواء فهم بذنوب ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولهذا قال تعالى { فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ } الأنعام 42 أي فهلا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا فحقهم عند مجيء البأس التضرع وقال تعالى { وَوَلَقَدْ أَخَذْنَا هُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } المؤمنون 76 قال عمر بن عبد العزيز ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة<sup>1</sup>

\*قال بعض السلف إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفي الحديث عن النبي من أكثر الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقد أخبر الله تعالى أن الحسنات يذهبن السيئات والإستغفار سبب للرزق والنعمة وأن المعاصي سبب للمصائب والشدة فقال تعالى { الرَّ كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } هود 1 إلى قوله { وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ } هود 3 وقال تعالى { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا } نوح 10 إلى قوله { وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } نوح 12 وقال تعالى { وَالْوَالِدَاتُ يُغْفِرْنَ لَكُمْ وَالْوَالِدَاتُ لَكُمْ وَالْوَالِدَاتُ لَكُمْ وَالْوَالِدَاتُ لَكُمْ } نوح 12 إلى قوله { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا } هود 17-16 وقال تعالى { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا } هود 17-16 وقال تعالى { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا } هود 17-16



فَأَخَذْنَا هُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ { الأعراف 96 وقال تعالى { وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ { المائدة 66 وقال تعالى { وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ { الشورى 30 وقال تعالى { وَلَئِن أَدْخَلْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ { هود 9 وقال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ { النساء 79 وقال تعالى { فَأَخَذْنَا هُم بِالْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ { 42 } فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ { 43 } { الأنعام 42-43

وقد أخبر الله تعالى فى كتابه أنه يبتلى عباده بالحسنات والسيئات فالحسنات هي النعم والسيئات هي المصائب ليكون العبد صبارا شكورا وفى الصحيح عن النبي أنه قال والذي نفسى بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له <sup>1</sup>

## قسوة القلوب من ثمرات المعاصي

\* قال تعالى { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَا هُم بِالْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ { 42 } فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ { 43 } فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَا هُم بِغَتَّةٍ فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ { 44 } فَفَطَعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { 45 } { الأنعام 42-45 } وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي وقد وصف الله سبحانه بها اليهود فى غير موضع فقال تعالى { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً

لَأَكْفَرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دُخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ {12} فَبِمَا نَقُضِهِمْ  
مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ  
وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا  
مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ {13} المائدة 12-13  
13 وإن قوما من هذه الأمة ممن ينسب إلى علم أو دين قد

أخذوا من هذه الصفات بنصيب يرى ذلك من له بصيرة فنعوذ بالله  
من كل ما يكرهه الله ورسوله ولهذا كان السلف يحذرون هذا  
فروى البخاري في صحيحه عن أبي الأسود قال بعث أبو موسى  
إلى قراء البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال  
أنتم خيار أهل البصرة وقرأوهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد  
فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم وإنا كنا نقرأ سورة  
نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأنسيتها غير أنني حفظت منها لو  
كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن

آدم إلا التراب وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات  
فأنسيتها غير أنني حفظت منها {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا  
لَا تَفْعَلُونَ} {الصف 2} فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم  
القيامة فحذر أبو موسى القراء أن يطول عليهم الأمد فتقسوا قلوبهم  
ثم لما كان نقض الميثاق يدخل فيه نقض ما عهد الله إليهم من الأمر  
والنهي وتحريف الكلم عن مواضعه وتبديل وتأويل كتاب الله أخبر  
ابن مسعود رضي الله عنه بما يشبه ذلك فروى الأعمش عن  
عمارة بن عمير عن الربيع بن أبي عميلة الفزاري حدثنا عبد الله  
حديثا ما سمعت حديثا هو أحسن منه إلا كتاب الله أو رواية عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بني إسرائيل لما طال عليهم  
الأمد قست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند أنفسهم اشتتهه قلوبهم  
واستحلته أنفسهم وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم  
حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون فقالوا  
اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل فإن تابعوك فاتركوهم وإن  
خالفوك فاقتلوهم ثم قالوا لا بل أرسلوا إلى فلان رجل من علمائهم

فاعرضوا عليه هذا الكتاب فإن تابكم فلن يخالفكم أحد بعده وإن خالفكم فاقتلوه فلن يختلف عليكم بعده أحد فأرسلوا إليه فأخذ ورقة فكتب فيها كتاب الله ثم جعلها في قرن ثم علقها في عنقه ثم لبس عليها الثياب ثم أتاهم فعرضوا عليه الكتاب فقالوا أتؤمن بهذا فأوما إلى صدره فقال أمنت بهذا ومالي لا أومن بهذا يعني الكتاب الذي في القرن فخلوا سبيله وكان له أصحاب يغشونه فلما مات نبشوه فوجدوا القرن ووجدوا فيه الكتاب فقالوا ألا ترون قوله أمنت بهذا ومالي لا أومن بهذا إنما عنى هذا الكتاب فاختلف بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير ملهم أصحاب ذي القرن قال عبد الله وإن من بقي منكم سيرى منكرا وبحسب امرئ يرى منكرا لا يستطيع أن يغيره أن يعلم الله من قلبه أنه له كاره<sup>1</sup>

### البدعة احب الى ابليس من المعصية

\* قال تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} {42} فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {43} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} {44} فَفُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {45} { الأنعام 42-45

قال ائمة الاسلام كسفيان الثوري وغيره ان البدعة احب الى ابليس من المعصية لان البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها ومعنى قولهم ان البدعة لا يتاب منها ان المبتدع الذي يتخذ ديننا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنا فهو لا يتوب ما دام يراه حسنا لان اول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه او بأنه ترك حسنا مأمورا به امر ايجاب او استحباب ليتوب ويفعله فما دام يرى فعله حسنا وهو سيء في نفس الامر فانه لا يتوب ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من اهل البدع والضلال

وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم أورثه  
الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى  
وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} محمد<sup>17</sup>

## "إذا رأيت الله ينعم على العبد مع إقامته على معصيته فإنما هو استدراج يستدرجه به"

\* ما ينعم به الله على بعض الكفار والفساق من الرياسات  
والأموال في الدنيا فإنها إنما تصير نعمة حقيقية إذا لم تضر  
صاحبها في الآخرة ولهذا اختلف أصحابنا وغيرهم من العلماء  
هل ما ينعم به على الكافر نعمة أم ليس بنعمة وإن كان الخلاف  
لفظيا قال الله تعالى {فَلَمَّا نَسَبُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ  
كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ  
{ الأنعام 44 وفي الحديث إذا رأيت الله ينعم على العبد مع  
إقامته على معصيته فإنما هو استدراج يستدرجه به<sup>1</sup>

## الحمد أوسع العلوم الإلهية

\* والحمد مفتاح كل أمر ذي بال من مناجات الرب ومخاطبة  
العباد بعضهم بعضا والشهادة مقرونة بالحمد وبالتكبير فهي في  
الأذان وفي الخطب خاتمة الثناء فتذكر بعد التكبير ثم يخاطب  
الناس بقول المؤذن حي على الصلاة حي على الفلاح وتذكر في  
الخطب ثم يخاطب الناس بقول إما بعد وتذكر في التشهد ثم  
يتخير من الدعاء أعجبه إليه فالحمد والتوحيد مقدم في خطاب  
الخلق للخالق والحمد له الإبتداء فإن الله لما خلق آدم عليه  
السلام أول ما أنطقه بالحمد فإنه عطس وقال الحمد لله رب  
العالمين فقال الله يرحمك ربك وكان أول ما نطق به الحمد وأول  
ما سمع من الله الرحمة وبه إفتتح الله أم القرآن والتشهد هو  
الخاتمة فأول الفاتحة الحمد لله وآخر ما للرب إياك نعبد  
وكذلك التشهد والخطب فيها التشهد بعد الفاتحة فإن يتضمن إلهية  
الرب وهو أن يكون الرب هو المعبود هذا هو الغاية التي ينتهي

إليها اعمال العباد و {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا  
 {الأنبياء 22 لكن قدم الحمد لأن الحمد يكون من الله ويكون  
 من الخلق وهو باق في الجنة {وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ} يونس 10 بخلاف العبادة فإن العبادة إنما تكون في  
 الدنيا بالسجود ونحوه وتوحيده وذكره باق في الجنة يلهمه أهل  
 الجنة كما يلهمهم النفس وهذه الأذكار هي من جنس الأقوال  
 ليست من العبادات العملية كالسجود والقيام والإحرام والرب  
 تعالى يحمده نفسه ولا يعبد نفسه فالحمد أوسع العلوم الإلهية  
 والحمد يفتح به ويختم به فالسنة لمن أكل وشرب أن يحمد الله  
 وفي صحيح مسلم عن النبي أنه قال ك إن الله ليرضى عن  
 العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها  
 وقال تعالى {وَقَضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
 {الزمر 75 وقال تعالى {فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ  
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام 45 وقال {وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ  
 لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} يونس 10<sup>1</sup>

\*و في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح على أثر سماء كانت من  
 الليل قال أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال  
 قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فمن قال مطرنا بفضل  
 الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب و من قال مطرنا  
 بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب و هذا كثير جدا  
 في الكتاب و السنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره و  
 يشركه به قال بعض السلف هو كقوله كانت الريح طيبة و الملاح  
 حاذقا ولهذا قرن الشكر بالتوحيد في الفاتحة و غيرها  
 أولها شكر و أوسطها توحيد و في الخطب المشووعة لا بد فيها من  
 تحميد و توحيد و هذان هما ركن في كل خطاب ثم بعد ذلك يذكر  
 المتكلم من مقصوده ما يناسب من الأمر و النهي و الترغيب و  
 التهيب و غير ذلك وقوله لا إله إلا الله و حده لا شريك  
 له له الملك و له الحمد يتضمن التوحيد و التحميد و كذلك كان

يقول عقب الصلاة لا إله إلا الله و لا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين و لو كره الكافرون و هو سبحانه يفتتح خطابه بالحمد و يختم الأمور بالحمد و أول ما خلق آدم كان أول شيء أنطقه به الحمد فإنه عطس فأنطقه بقوله الحمد لله فقال له يرحمك ربك يا آدم و كان أول ما تكلم به الحمد و أول ما سمعه الرحمة و هو يختم الأمور بالحمد كقوله { وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الزمر 75 { فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 45 { وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } يونس 10 و هو سبحانه { لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } القصص 70 و التوحيد أول الدين و آخره فأول مادعا إليه الرسول صلى الله عليه و سلم شهادة أن لا إله إلا الله و قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدون أن لا إله إلا الله و قال لمعاذ إنك تأتي قوما أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله و ختم الأمر بالتوحيد فقال في الصحيح من رواية مسلم عن عثمان من مات و هو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة و في الحديث الصحيح من رواية مسلم عن أبي هريرة لقنوا موتاكم لا إله إلا الله و في السنن من حديث معاذ من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة و في المسند إني لاعلم كلمة لا يقولها عبد

حين الموت إلا و جد روحه لها روحا و هي الكلمة التي عرضها على عمه عند الموت فهو سبحانه جعل الليل و النهار خليفة لمن أراد أن يذكر أو أراد مشكور فيتذكر الآيات المثبتة للعلم و الإيمان فإذا عرف آلاء الله شكره على آلائه و كلاهما متلازمان فالآيات و الآلاء متلازمان ما كان من الآلاء فهو من الآيات و ما كان من الآيات فهو من الآلاء و كذلك الشكر و التذكر متلازمان فإن الشاكر إنما يشكر بحمده و طاعته و فعل ما أمر به و ذلك إنما يكون بتذكر ما تدل عليه آياته من أسمائه و مادحه و من أمره و نهيه فيثنى عليه بالخير و يطاع في الأمر

هذا هو الشكر و لا بد فيهما من التذكر و التذکر إذا تذكر آياته عرف ما فيها من النعمة و الإحسان فأياته تعم المخلوقات كلها و هي خير و نعم و إحسان فكل ما خلقه سبحانه فهو نعمة على عباده و هو خير و هو سبحانه بيده الخير و الخير بيديه و في دعاء القنوت و ننثي عليك الخير كله و في دعاء الإستفتاح و الخير بيديك و الشر ليس إليك<sup>1</sup>

\*فالمصلي في آخر القيام بعد الركوع يقول ربنا ولك الحمد ملء السماء وملء الأرض الى قوله أهل الثناء والمجد احق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما اعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقوله احق ما قال العبد خبر مبتدأ محذوف أى هذا الكلام احق ما قال العبد فتيبين ان حمد الله و الثناء عليه احق ما قاله العبد و في ضمنه توحيد له اذا قال و لك الحمد أى لك لا لغيرك و قال فى آخره لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت وهذا يقتضى انفراد بالعبادة و المنع فلا يستعان الا به ولا يطلب الا منه ثم قال ولا ينفع ذا الجد منك الجد فبين ان الانسان وان أعطى الملك و الغنى و الرئاسة فهذا لا ينجيه منك انما ينجيه الايمان و التقوى وهذا تحقيق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 فكان هذا الذكر فى آخر القيام لأنه ذكر أول القيام وقوله أحق ما قال العبد يقتضى ان يكون حمد الله احق الاقوال بان يقوله العبد وما كان احق الاقوال كان أفضلها و اوجبها على الانسان ولهذا افترض الله على عباده فى كل صلاة ان يفتتحوها بقولهم { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 و امرهم ايضا ان يفتتحوا كل خطبة بالحمد لله فامرهم ان يكون مقدما على كل كلام سواء كان خطابا للخالق او خطابا للمخلوق ولهذا يقدم النبي الحمد أمام الشفاعة يوم القيامة ولهذا أمرنا بتقديم الثناء على الله فى التشهد قبل الدعاء و قال النبي كل امر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجزم وأول من يدعى الى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله على السراء

والضراء وقوله { الْحَمْدُ لِلَّهِ } الفاتحة 1 حمد مطلق فان  
الحمد اسم جنس والجنس له كمية وكيفية فالثناء كميته وتكبيره  
وتعظيمه كفيته<sup>1</sup>

\*وقال تعالى { فَاقْطِعْ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ } الأنعام 45 فان الله سبحانه اخبر ان له الحمد وانه  
حميد مجيد وان له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم ونحو  
ذلك من انواع المحامد و الحمد نوعان حمد على  
احسانه الى عباده وهو من الشكر وحمد لما يستحقه هو بنفسه من  
نعوت كماله وهذا الحمد لا يكون الا على ما هو في نفسه مستحق  
للحمد وانما يستحق ذلك من هو متصف بصفات الكمال وهي  
امور وجودية فان الامور العدمية المحضة لا حمد فيها ولا خير  
ولا كمال ومعلوم ان كل ما يحمد فانما يحمد على ماله من  
صفات الكمال فكل ما يحمد به الخلق فهو من الخالق والذي منه  
ما يحمد عليه هو أحق بالحمد فثبت انه المستحق للمحامد الكاملة  
وهو احق من كل محمود بالحمد والكمال من كل كامل وهو  
المطلوب<sup>1</sup>

## الله سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين المختلفين

\*قوله تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ  
يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ } الأنعام 47 فإنه سبحانه إذا حكم في  
الأمر المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينتقض ولا يتبدل ولا يتحول بل  
هو سبحانه لا يفوت بين المتماثلين وإذا وقع تغيير فذلك لعدم  
التماثل وهذا القول أشبه بأصول الجمهور القائلين بالحكمة في  
الخلق والأمر وأنه سبحانه يسوي بين المتماثلين ويفرق بين  
المختلفين كما دل القرآن على هذا في مواضع كقوله تعالى  
{ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } القلم 35 ومن هذا الباب صارت  
قصص المتقدمين عبرة لنا ولولا القياس واطراد فعله وسنته لم



يصح الإعتبار بها والإعتبار إنما يكون إذا كان حكم الشيء حكم نظيره كالأمثال المضروبة في القرآن وهي كثيرة<sup>1</sup>

## التوحيد والايمان بالرسل متلازمان

\* أن التوحيد والايمان بالرسل متلازمان وكذلك الايمان باليوم الآخر هو والايمان بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينها في مثل قوله {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 150 ولهذا أخبر ان الذين لا يؤمنون بالآخرة مشركون فقال تعالى {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} الزمر 45 وأخبر عن جميع الأشقياء ان الرسل انذرتهم باليوم الآخر كما قال تعالى {كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} {8} قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ} {9} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} {10} فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} {11} {الملك 8- 111 فأخبر ان الرسل أنذرتهم وانهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ} {الزمر 71 فأخبر عن اهل النار انهم قد جاءتهم الرسالة وانذروا باليوم الآخر وقال تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} {128} وَكَذَٰلِكَ نُؤَلِّيُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} {129} يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّبْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ} {130} الأنعام 128-130 فأخبر عن جميع الجن والانس

ان الرسل بلغتهم رسالة الله وهى آياته وأنهم اندروهم اليوم الآخر  
وكذلك قال { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا {103} الَّذِينَ  
ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا {104} الكهف 103-104 الى قوله  
{ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ {105} الكهف 105  
فأخبر انهم كفروا بآياته وهى رسالته وبلقائه وهو اليوم الآخر  
وقد اخبر ايضا فى غير موضع بأن الرسالة عمت بنى آدم وان  
الرسل جاءوا مبشرين ومنذرين كما قال تعالى { إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ  
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ { فاطر 24  
وقال تعالى { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ  
بَعْدِهِ } النساء 163 الى قوله { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا

حَكِيمًا {165} النساء 165 وقال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ  
الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ  
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ {48} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا  
كَانُوا يَفْسُقُونَ {49} الانعام 48-49 فأخبر ان من آمن بالرسول  
واصلح من الأولين والآخرين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون<sup>1</sup>

\* والرسل هم وسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ رسالاته وامره  
ونهييه ووعده ووعيده كما قال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا  
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ { الأنعام 48 } وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا  
مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ { الكهف 56 } وقال { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ  
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {45} وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا  
مُنِيرًا {46} الاحزاب 45-46 فأخبر انه ارسله شاهدا كما قال {  
لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ  
{ الحج 78 } وقال { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى  
هُوَءَاءِ شَهِيدًا { النساء 41 } وقال { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا  
لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا  
{ البقرة 143 } ولما دفن النبي صلى الله عليه وسلم شهداء احد قال  
اما انا فشهيد على هؤلاء وقوله مبشرا ونذيرا بالوعد والوعيد  
وداعيا الى الله باذنه بالامر والنهى<sup>1</sup>

\* أن الله يرسل الرسل إلى الناس تأمرهم و تنهاهم يرسلهم مبشرين و منذرين كما قال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ } الأنعام 48 يندرون الذين أساؤا عقوبات أعمالهم و يبشرون الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالنعيم المقيم و { أَنْ لَهُمْ أَجْرٌ حَسَنًا } 2 { مَا كَثِيرٌ فِيهِ أَبْدًا } 3 { الكهف 2-3 }<sup>1</sup>

## قرن الصلاح والاصلاح بالايمن

\*قرن الصلاح والاصلاح بالايمن فى مواضع كثيرة كقوله تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } البقرة 82 { فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } الأنعام 48 ومعلوم أن الايمان أفضل الاصلاح وأفضل العمل الصالح كما جاء فى الحديث الصحيح أنه قيل يا رسول الله أى الأعمال أفضل قال ايمان بالله<sup>1</sup>

\*فإن الله أمر بالصلاح ونهى عن الفساد وبعث رسله بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } الأعراف 142 وقال شعيب { إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ } هود 88 وقال تعالى { فَمَنْ آتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } الأعراف 35 وقال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ } 11 { أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ } 12 { البقرة 11-12 }<sup>1</sup>

## ان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان

\*فان الله لم يعلق وعد الجنة الا باسم الايمان لم يعلقه باسم الإسلام مع إيجابه الاسلام واخباره أنه دينه الذى ارتضاه وأنه لا يقبل ديناً غيره ومع هذا فما قال ان الجنة أعدت للمسلمين ولا قال وعد الله المسلمين بالجنة بل انما ذكر ذلك باسم الايمان كقوله { وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } التوبة 72 فهو يعلقها باسم الايمان المطلق أو المقيد

بالعمل الصالح كقوله {فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {الأنعام 48} والآيات في هذا المعنى كثيرة فالوعد بالجنة والرحمة في الآخرة وبالسلامة من العذاب علق باسم الايمان المطلق والمقيد بالعمل الصالح ونحو ذلك وهذا كما تقدم أن المطلق يدخل فيه فعل ما أمر الله به ورسوله ولم يعلق باسم الإسلام فلو كان من اتى من الايمان بما يقدر عليه وعجز عن معرفة تفاصيله قد يسمى مسلماً لا مؤمناً لكان من اهل الجنة وكانت الجنة يستحقها من يسمى مسلماً وان لم يسم مؤمناً وليس الأمر كذلك بل الجنة لم تعلق الا باسم الايمان وهذا أيضاً مما استدل به من قال إنه ليس كل مسلم من المؤمنين الموعودين بالجنة اذ لو كان الأمر كذلك لكان وعد الجنة معلقاً باسم الإسلام كما علق باسم الايمان وكما علق باسم التقوى واسم البر في مثل قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} {المرسلات 41} وقوله {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} {المطففين 22} وباسم أولياء الله كقوله {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {62} {الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} {63} {لَهُمُ النَّبَشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} {64} {يونس 62-64} فلما لم يجر إسم الإسلام هذا المجرى علم أن مسماه ليس ملازماً لمسمى الايمان كما يلزمه اسم البر والتقوى وأولياء الله وأن إسم الإسلام يتناول من هو من أهل الوعيد وان كان الله يثيبه على طاعته مثل أن يكون في قلبه ايمان ونفاق يستحق به العذاب فهذا يعاقبه الله ولا يخلده في النار لأن في قلبه مثقال ذرة أو أكثر من مثقال ذرة من إيمان<sup>1</sup>

### إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى

\* قال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {48} { وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } {49} {الانعام 48-49}

ومعلوم أنه لم يبعث لمجرد الإنذار بل وليبشر من آمن به ولأمرهم بالمعروف ونهيههم عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث وغير ذلك من مقاصد الرسل وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة في قوله {لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} يس 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإنذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصهم لانتفاء إنذار من سواهم<sup>1</sup>

### الحكمة من قوله { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ }

\*فإن انتفاء الخوف علة تقتضى انتفاء ما يخافه ولهذا قال { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 62 لم يقل لا يخافون فهم لا خوف عليهم وان كانوا يخافون الله ونفى عنهم أن يحزنوا لان الحزن انما يكون على ماض فهم لا يحزنون بحال لا فى القبر ولا فى عرصات القيامة بخلاف الخوف فانه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ولا خوف عليهم فى الباطن كما قال تعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {62} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } {63} يونس 62-63<sup>1</sup>

### المتبعون للرسل هم المهتدون

\*فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه وما أعده لأوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التى تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده فالؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محجوبون قال ابن عباس تكفل الله لمن قرأ

القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة  
 وقال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ  
 وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {48} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا  
 بآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } {49} {الأنعام 48-49} <sup>1</sup>

## العلم والقدرة والغنى لا تصلح على وجه الكمال الا لله

### وحده

\*صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة العلم والقدرة والغنى وان  
 شئت ان تقول العلم والقدرة والقدرة إما على الفعل وهو التأثير  
 وإما على الترك وهو الغنى والأول اجود وهذه الثلاثة لا تصلح  
 على وجه الكمال الا لله وحده فانه الذى احاط بكل شىء علماً  
 وهو على كل شىء قدير وهو غنى عن العالمين وقد امر  
 الرسول ان يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ  
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبَعُ  
 إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ } {الأنعام 50} وكذلك قال نوح عليه  
 السلام { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ  
 إِنِّي مَلَكٌ } {هود 31} فهذا أول أولى العزم وأول رسول بعثه الله  
 تعالى إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم اولى العزم  
 كلاهما يتبرأ من ذلك وهذا لأنهم يطالبون الرسول تارة بعلم  
 الغيب كقوله { وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
 } {الأنبياء 38} و { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا  
 عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي } {الأعراف 187} وتارة بالتأثير كقوله { وَقَالُوا  
 لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً } {90} { أَوْ تَكُونَ لَكَ  
 جَنَّةٌ مِّنْ تَحِيلٍ وَعِنَبٌ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلالَهَا فَتَجِيرُ } {91} { أَوْ  
 نُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلِئَالٍ مِنَ السَّمَاءِ  
 فَنُصَبُّ عَلَيْهَا سِقِينَ } {92} { أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ  
 نُؤْمِنَ لِرَفِيقِكَ حَتَّى تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ  
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } {93} {الإسراء 90-93} وتارة يعيبون عليه  
 الحاجة البشرية كقوله { وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ

وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا {7}  
 أَوْ يُقَلِّقُ إِلَيْهِ كَنْزًا أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا {8} {الفرقان 7- 8}

فأمره ان يخبر انه لا يعلم الغيب ولا يملك خزائن الله ولا هو ملك غنى عن الاكل والمال إن هو الا متبع لما اوحى اليه واتباع ما اوحى اليه هو الدين وهو طاعة الله وعبادته علما وعملا بالباطن والظاهر وانما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله تعالى فيعلم منه ما علمه اياه ويقدر منه على ما اقدره الله عليه ويستغنى عما اغناه الله عنه من الامور المخالفة للعادة المطردة او لعادة غالب الناس<sup>1</sup>

أن يقال الخوارق ثلاثة أنواع منها ما هو من جنس الغناء عن الحاجات البشرية ومنها ما هو من جنس العلم الخارج عن قوى البشر ومنها ما هو من جنس المقدرات الخارجة عن قدرة البشر ولهذا قال نوح عليه السلام وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ} {الأنعام 50} فالغناء من جنس الاستغناء عن الأكل والشرب مدة والعلم من جنس الإخبار عن الغيوب والقدرة من جنس الأفعال الشاقة ببذنه والتصرف في العناصر بالاستحالة والزلزلة ونحو ذلك<sup>1</sup>

## من يزعم ان نبي او شخص ما ينطبق علمه على علم الله تعالى فان هذا كفر صريح

\*إذا كان في الزمان رجل هو أفضل أهل الزمان فتسميته بالقطب الغوث الجامع بدعة ما أنزل الله بها من سلطان ولا تكلم بهذا أحد من سلف الأمة وأئمتها وما زال السلف يظنون في بعض الناس أفضل أو من أفضل أهل زمانه ولا يطلقون عليه هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان لا سيما أن من المنتحلين لهذا الإسم من يدعى أن أول الأقطاب هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهما ثم يتسلل الأمر إلى ما دونه إلى بعض مشايخ المتأخرين وهذا لا يصح على مذهب أهل السنة

ولا على مذهب الرافضة فأين ابو بكر وعمر وعثمان وعلى  
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والحسن عند وفاة  
النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قارب سن التمييز  
والإحتلام وقد حكى عن بعض الأكابر من الشيوخ المنتحلين  
لهذا أن القطب الفرد الغوث الجامع ينطبق علمه على علم الله  
تعالى وقدرته على قدرة الله تعالى فيعلم ما يعلمه الله ويقدر على  
ما يقدر عليه الله وزعم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان  
كذلك وإن هذا إنتقل عنه إلى الحسن وتسلسل إلى شيخه فبينت أن  
هذا كفر صريح وجهل قبيح وإن دعوى هذا فى رسول الله صلى  
الله عليه وآله وسلم كفر دع ما سواه وقد قال الله تعالى {قُلْ لَّا  
أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ  
إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ} الأنعام 50 وقال تعالى {قُلْ لَّا أَمْلِكُ  
لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ  
لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} الأعراف 188<sup>1</sup>

\* وهذا قاله نوح عليه السلام أول الرسل {وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي  
خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ} هود 31 وأمر

محمد

آخر الرسل أن يقوله {قُلْ لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا  
أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ  
إِلَيَّ} الأنعام 50 وهذا ونحوه يتضمن اعترافه بأنه عبد الله  
ورسول من الله لا يتعدى حد الرسالة ولا يدعي المشاركة في  
الألوهية<sup>1</sup>

\* قال تعالى {قُلْ لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ  
وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي  
الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} الأنعام 50 فإن الأمر كله  
لله<sup>1</sup>

## دعاء الميت والغائب والاستغاثة به من عبادات الضالين



\*والشيوخ الذين يقتدى بهم يدلون عليه ويرشدون اليه بمنزلة الأئمة في الصلاة يصلون ويصلى الناس خلفهم وبمنزلة الدليل الذى للحاج هو يدلهم على البيت وهو وهم جميعا يحجون إليه ليس لهم من الالهية نصيب بل من جعل لهم شيئاً من ذلك فهو من جنس النصارى المشركين الذين قال الله فى حقهم { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } التوبة 31 وقد قال نوح عليه السلام { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ } هود 31 وهكذا امر الله محمدا ان يقول { قُلْ لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّمَا أَنبِئُ بِمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ } الأنعام 50 فليس لأحد ان يدعو شيخا ميتا أو غائبا بل ولا يدعو ميتا ولا غائبا لا من الأنبياء ولا غيرهم فلا يقول لأحدهم يا سيدى فلان أنا فى حسبك أو فى جوارك ولا يقول بك استغيث وبك استجير ولا يقول إذا عثر يافلان ولا يقول محمد وعلى ولا الست نفيسة ولا سيدى الشيخ احمد ولا الشيخ عدى ولا الشيخ عبدالقادر ولا غير ذلك ولا نحو ذلك مما فيه دعاء الميت والغائب ومسأله والاستغاثة به والاستتصار به بل ذلك من افعال المشركين وعبادات الضالين ومن المعلوم ان سيد الخلق محمد وقد ثبت فى صحيح البخارى ان الناس لما اجذبوا استسقى عمر بالعباس وقال اللهم إنا إذا اجدبنا توصلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل بعم نبينا فاسقنا فيسقون فكانوا فى حياة النبى يتوسلون بدعائه وشفاعته لهم كما يتوسل به الناس يوم القيامة ويستشفعون به إلى ربهم فيأذن الله له فى الشفاعة فيشفع لهم الا ترى الله يقول { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ } {22} { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ

{23} سبأ 22- 23 فبين سبحانه ان المخلوقات كلها ليس لأحد منها شيء في الملك ولا له شريك فيه ولا له ظهير اى معين الله تعالى كما تعاون الملوك وبين ان الشفاعة عنده لا تنفع الا لمن اذن له واذا كان يوم القيامة يجيء الناس إلى آدم ثم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى فيطلبون الشفاعة منهم فلا يشفع لهم احد من هؤلاء الذين هم سادة الخلق حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيأتى ربه فيحمده بمحامد ويسجد له فاذا اذن له فى الشفاعة شفع لهم فهذه حال هؤلاء الذين هم أفضل الخلق فكيف غيرهم فلما مات النبي لم يكونوا يدعون له ولا يستغيثون به ولا يطلبون منه شيئا لا عند قبره ولا بعيدا من قبره بل ولا يصلون عند قبره ولا قبر غيره لكن يصلون ويسلمون عليه ويطيعون امره ويتبعون شريعته ويقومون بما احبه الله تعالى من حق نفسه وحق رسوله وحق عباده المؤمنين فانه قال لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد فقولوا عبدالله ورسوله وقال اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد

1

### الاستقامة في اتباع ما أمر

\* ان الكلمات الجوامع التى فى القرآن تتضمن امثال المأمور به والوعيد على المعصية بتركه مثل قوله تعالى لنبية {فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا} هود 112 وقال {فَلِذَلِكَ فَادُعْ وَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} الشورى 15 وقال {قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {14} قُلْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} {15} الأنعام 14-15 وقال {قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} {11} وَأَمَرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} {12} الزمر 11- 12 وقال {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَّفَكَّرُونَ}

{ الأنعام 50 } وقال { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُكَّمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } يونس 109 وقال { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } الأنعام 153 الى أمثال هذه النصوص التي يوصى فيها باتتباع ما أمر ويبين أن الاستقامة في ذلك وانه لم يأمر الا بذلك وأنه ان ترك ذلك كان عليه العذاب ونحو ذلك مما يبين ان اتتباع الامر أصل عام وان اجتناب المنهى عنه فرع خاص<sup>1</sup>

### الرد على احتجاجهم بان الملائكة افضل

\*وها نحن نذكر ما احتجوا به قوله تعالى لنبيه { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ } الأنعام 50 ومثله هود { وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ } هود 31 فالإحتجاج في هذا من وجوه أحدها أنه قرن استقرار خزائنه وعلم الغيب بنفى القول بأنه ملك وسلبها عن نفسه في نسق واحد فإذا كان حال من يعلم الغيب ويقدر على الخزائن أفضل من حال من لا يكون كذلك وجب أن يكون حال الملك أفضل من حال من ليس بملك وإن كان نبينا كما في الآية وثانيها أنه إنما نفى عن نفسه حالا أعظم من حاله الثابتة ولم ينف حالا دون حاله لأن من اتصف بالأعلى فهو على ما دونه أقدر على أن حال الملك أفضل من حاله أن يكون ملكا وهو المطلوب وثالثها ما ذكر القاضى أنه لولا ما استقر في نفوس المخاطبين من أن الملك أعظم لما حسن مواجعتهم بسلب شيء هو دون مرتبته وهذا الإعتقاد الذي كان في نفوس المخاطبين أمر قرروا عليه ولم ينكره عليهم فثبت أنه حق والجواب من وجوه أحدها أنه نفى أن يكون عالما بالغيب وعنده خزائن الله ونفى أن يكون ملكا لا يأكل ولا يشرب ولا يتمتع واذا نفى ذلك عن نفسه لم يجب ان يكون الملك افضل منه ألا ترى انه لو قال ولا أنا كاتب ولا أنا قارىء لم يدل على ان الكاتب والقارىء أفضل ممن ليس بكاتب ولا قارىء فلم يكن

في الآية حجة وأيضا ما قال القاضي أنهم طلبوا صفات الألوهية وهي العلم والقدرة والغنا وهي ان يكون عالما بكل شيء قديرا على كل شيء غنيا عن كل شيء فسلب عن نفسه صفات الألوهية ولهذا قالوا {مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} الفرقان 7 وقال تعالى محتجا عنه {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ} الفرقان 20 فكانهم أرادوا منه صفة الملائكة أن يكون متلبسا بها فإن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون والبشر لهم أجواف يأكلون ويشربون فكان الأمر الى هذه الصفة وهذا بين ان شاء الله وثانيها أن الآخر اكمل في امر من الامور فنفي عن نفسه حال الملك في ذلك ولم يلزم ان يكون له فضيلة يمتاز بها وقد تقدم مثل هذا فيما ذكر من حال الملك وعظمته وانه ليس للبشر من نوعه مثله ولكن لم لا قلت من غير نوعه للبشر ما هو افضل منه ولهذا اذا سئل الإنسان عما يعجز عنه قد يقول لست بملك وان كان المؤمن افضل من حال الجن والملك من الملوك وثالثها ان أقصى ما فيه تفضيل الملك في تلك الحال ولو سلم ذلك لم ينف أن يكون فيما بعد أفضل من الملك ولهذا تزيد قدرته وعلمه وغناه في الآخرة وهذا كما لو قال الصبي لا اقول اني شيخ ولا اقول اني عالم ومن الممكن ترقيه الى ذلك وأكمل منه<sup>1</sup>

### مدح الله انواع العلم واسبابه وكماله

\* قال تعالى {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} الأنعام 50 قد مدح الله العلم والعقل والفقه وهذا كثير في القرآن يأمر ويمدح التفكير والتدبر والتذكر والنظر والاعتبار والفقه والعلم والعقل والسمع والبصر والنطق ونحو ذلك من انواع العلم واسبابه وكماله ويذم اضداد ذلك<sup>1</sup>

## بعث الرسل ليكون الدين كله لله

\*وقال الله تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} {الأنعام 51} وقال الله تعالى {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} {79} وَلَا يَأْمُرْكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {80} {ال عمران 79-80} والله تعالى بعث الرسل وانزل الكتب ليكون الدين كله لله وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح أنا معشر الأنبياء ديننا واحد فالدين واحد وان تفرقت الشرعة والمنهاج قال الله تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} {الأنبياء 25} <sup>1</sup>

## مقتضيات محبة الله ورسوله

\*فمحبة الله ورسوله وعباده المتقين تقتضى فعل محبوباته وترك مكروهاته والناس يتفاضلون فى هذا تفاضلا عظيما فمن كان اعظم نصيبا من ذلك كان اعظم درجة عند الله واما من احب شخصا لهواه مثل ان يحبه لندنيا يصيبها منه او لراحة يقوم له بها او لمال يتاكله به او بعصية فيه ونحو ذلك من الاشياء فهذه ليست محبة لله بل هذه محبة لهوى النفس وهذه المحبة هى التى توقع اصحابها فى الكفر والفسوق والعصيان وما اكثر من يدعى حب مشائخ الله ولو كان يحبهم الله لاطاع الله الذى احبهم لاجله فان المحبوب لاجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير وكيف يحب شخصا الله من لا يكون محبا لله وكيف يكون محبا لله من يكون معرضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسبيل الله وما أكثر من يحب شيوخا أو ملوكا وغيرهم فيتخذهم اندادا يحبهم كحب الله والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله ظاهرة فاهل الشرك يتخذون اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واهل الايمان يحبون وذلك ان اهل الايمان اصل حبهم هو حب الله ومن احب الله احب من يحبه الله ومن احبه الله احب الله فمحبوب المحبوب محبوب لله يحب الله فمن احب الله احبه الله فيحب من احب الله واما اهل الشرك

فيتخذون اندادا وشفعاء يدعونهم من دون الله قال الله تعالى {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } الأنعام 94 وقال الله تعالى { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ

تَرْجِعُونَ } 22 { أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ } 23 { إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } 24 { إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ } 25 { يس 22-25 } وقال الله تعالى { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَّلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 151

### إذا سألت فاسئلي الله وإذا استعنت فاستعن بالله

\*وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته وإستعانته في القرآن كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فبين بهذا

أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئلي الله وإذا استعنت فاستعني بالله وقال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51 فالولى الذى يتولى أمرك كله والشفيع الذى يكون شافعا فيه أى عوننا فليس للعبد دون الله من ولى يستقل ولا ظهير معين<sup>1</sup>

## الشرك نوعان

\*فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه فإنه أصل الإسلام الذى يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد وقع كثير من الناس فى الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه فى غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة فأقرار المشرك بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقترن به اقراره بأنه لا اله الا الله فلا يستحق العبادة أحد الا هو وأن محمدا رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر فإنه سبحانه أخبر عن المشركين كما تقدم بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتخذونهم شفعا بدون اذن الله قال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51<sup>1</sup>

\*فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالم له خالقان ولا إن الله معه إله يساويه فى صفاته هذا لم يقله أحد من المشركين بل

كانوا يقرون بأن خالق السموات والأرض واحد كما أخبر الله عنهم بقوله {قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} {85} قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} {87} قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} {89}

المؤمنون 84-89 وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقربهم إلى الله زلفى وتشفع لهم كما قال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} {الأنعام 51}

\*ولا قال احد قط من الادميين ان كوكبا من الكواكب او ان الشمس والقمر ابدعت السموات كلها ولا يقول هذا عاقل بل عباد الشمس والقمر والكواكب يعبدونها كما يعبد عباد الاصنام للاصنام وكما يعبد عباد الانبياء والصالحين لهم ولتمثيلهم وكما يعبدون اخرون الملائكة واخرون يعبدون الجن لما يرجون لعبادتها من جلب منفعة او دفع مضرة لا لاعتقادهم انها خلقت العالم بل قد يجعلونها شفعاء ووسائط بينهم وبين رب العالمين كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} {يونس 18} وقال تعالى {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ} {الزمر 3} وقال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ} {الأنعام 51} وقال تعالى {أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ} {الأنعام 70} وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} {السجدة 4} والشفاعة التي اخبرت بها الرسل هي ان يأذن الله للشفيع فيشفع فيكون الامر كله لله كما قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا



بِإِذْنِهِ {البقرة 255} وقال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى  
{ الأنبياء 28 وهذا بخلاف ما اتخذه المشركون من الشفعاء <sup>1</sup>

\* أن الشرك نوعان شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير  
إما كما قال سبحانه { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا  
يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا  
مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ {سبأ 22 فبين أنهم لا يملكون  
مثقال ذرة استقلالاً ولا يشركونه في شيء من ذلك ولا يعينونه  
على ملكه ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عوناً فقد انقطعت  
علاقته وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو  
دعاء مسألة كما قال تعالى { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ {5}  
الفاتحة فكما أن إثبات المخلوقات أسباب لا تقدر في توحيد  
الربوبية ولا تمنع أن الله خالق كل شيء ولا توجب أن يدعي  
مخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة كذلك إثبات بعض الأفعال  
المحرمة من شرك أو غيره أسباباً لا يقدر في توحيد الإلهية ولا  
يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب أن  
تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذ كان الله يسخط ذلك  
ويعاقب العبد عليه وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته  
إذ قد جعل الله الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا إياه  
وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل الأصيل حتى إنه سبحانه  
قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله سبحانه { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ  
يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ  
لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ { الأنعام 151

\* فمن اعتقد أنه لا بد من واسطة في جلب المنافع ودفع المضار  
مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه  
ذلك ويرجون إليه فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به  
المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم  
المنافع ويجتنبون المضار لكن الشفاعة لمن يأذن الله له فيها

حتى قال { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ  
مَنْ دُونَهُ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ } {الأنعام 51}

\* الدين الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه هو عبادة الله  
وحده لا شريك له وإستعانته والتوكل عليه ودعاؤه لجلب المنافع  
ودفع المضار كما قال تعالى { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْحَكِيمِ } {1} إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ  
الَّذِينَ } {2} أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا  
نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ  
يَخْتَلِفُونَ } {3} {الزمر 1-3} وقال تعالى { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ  
مَنْ دُونَهُ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } {56} {أُولَئِكَ  
الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتُغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ  
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } {57}

الاسراء 56-57 قالت طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح  
وعزيرا والملائكة قال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم عبادي  
كما أنتم عبادي ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون  
عذابي كما تخافون عذابي ويتقربون إلي كما تتقربون إلي فإذا  
كان هذا حال من يدعو الأنبياء والملائكة فكيف بمن دونهم  
وقال تعالى { أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي  
أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } {الكهف 102} وقال تعالى  
{ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مَنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي  
السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ  
مَنْ ظَهِيرٍ } {22} { وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } {23}  
سبأ 22- 23 فبين سبحانه أن من دعى من دون الله من جميع  
المخلوقات من الملائكة والبشر وغيرهم أنهم لا يملكون مثقال  
ذرة في ملكه وأنه ليس له شريك في ملكه بل هو سبحانه له الملك  
وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأنه ليس له عون يعاونه كما  
يكون للملك أعوان وظهراء وإن الشفعاء عنده لا يشفعون إلا لمن  
إرتضى فنفى بذلك وجوه الشرك وذلك أن من يدعون من  
دونه إما أن يكون مالكا وإما أن لا يكون مالكا وإذا لم يكن مالكا

فأما أن يكون شريكا وإما أن لا يكون شريكا وإذا لم يكن شريكا  
فأما يكون معاونا وأما أن يكون سائلا فالأقسام الأول الثلاثة  
وهي الملك والشركة والمعاونة منتفية وأما الرابع فلا يكون إلا  
من بعد إذنه كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ  
{البقرة 255} وقال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسِرُوا  
إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَاِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ  
{الأنعام 51} <sup>1</sup>

### الشفاعة نوعان

\* وقال تعالى { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ  
كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } {56} أَوْلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَنْتَعُونَ  
إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ  
عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا } {57} الاسراء 56-57 قال طائفة من  
السلف كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى هؤلاء  
الذين تدعونهم هم عبادى كما أنتم عبادى يرجون رحمتى كما  
ترجون رحمتى ويخافون عذابى كما تخافون عذابى ويتقربون  
الى كما تتقربون الى فهى سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء  
مع اخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون ومع هذا فليس  
لنا أن نطلب ذلك منهم وكذلك الأنبياء والصالحون وان كانوا  
أحياء فى قبورهم وان قدر انهم يدعون للأحياء وان وردت به  
آثار فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك ولم يفعل ذلك أحد من السلف  
لأن ذلك ذريعة الى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى  
بخلاف الطلب من أحدهم فى حياته فانه لا يفضى الى الشرك  
ولأن ما تفعله الملائكة ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو  
بالامر الكونى فلا يؤثر فيه سؤال السائلين بخلاف سؤال أحدهم  
فى حياته فانه يشرع اجابة السائل وبعد الموت انقطع التكليف  
عنهم قال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْسِرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ  
لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَاِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ } {الأنعام 51} وقال  
تعالى { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ

يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ {79} وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {80} آل عمران 79-80 فبين سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا فهو كافر فالشفاعة نوعان أحدهما الشفاعة التي نفاها الله تعالى كالتى أثبتتها المشركون ومن ضاهاهم من جهال هذه الأمة وضلالهم وهى شرك والثانى أن يشفع الشفيع بإذن الله وهذه التى أثبتتها الله تعالى لعباده الصالحين ولهذا كان سيد الشفعاء إذا طلب منه الخلق الشفاعة يوم القيامة يأتى ويسجد قال فأحمد ربى بمحامد يفتحها على لا أحسنها الآن فيقال أى محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فإذا أذن له فى الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع فيه<sup>1</sup>

\*في التوحيد فإن اليهود شبهوا الخالق بال مخلوق فيما يختص بالمخلوق وهو صفات النقص الذي يجب تنزيه الرب عنها والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق فيما يختص بالخالق وهو صفات الكمال التي لا يستحقها إلا الله تبارك تعالى والنصارى يصفون المخلوق بما يتصف به الخالق فيجعلونه رب العالمين خالق كل شيء ومليكه الذي هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون واتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وصوروا تماثيل المخلوقات واتخذوهم شفعاء يشفعون لهم عند الله كما فعل عباد الأوثان كما قال الله تعالى

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} يونس 18 ولهذا قال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ

## لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ { الأنعام 51

والمسلمون وسط يصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل يصفونه بصفات الكمال وينزهونه عن النقائص التي تمتع على الخالق ولا يتصف بها إلا المخلوق فيصفونه بالحياة والعلم والقدرة والرحمة والعدل والإحسان وينزهونه عن الموت والنوم والجهل والعجز والظلم والفناء ويعلمون مع ذلك أنه لا مثل له في شيء من صفات الكمال فلا أحد يعلم كعلمه ولا يقدر كقدرته ولا يرحم كرحمته ولا يسمع كسمعه ولا يبصر كبصره ولا يخلق كخلقه ولا يستوي كاستوائه ولا يأتي كإتيانه ولا ينزل كنزوله<sup>1</sup>

\*فمشركو العرب والنصارى والمبتدعون من المسلمين ونحوهم ممن يقول إن الله فاعل مختار فإن هؤلاء يثبتون شفيعا يشفع إلى الله فيقضي حاجته وجعلوا شفيعهم من جنس الذي شفع عند الملوك فأبطل الله سبحانه وتعالى ذكر ذلك وكفر من أثبت هذه الشفاعة<sup>1</sup>

## الشفاعة المنفية في القرآن

\*وأن كل من دعي من دون الله لا يملك الشفاعة فإن المالك للشيء هو الذي يتصرف فيه بمشيئته وقدرته والرب تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فلا يملك أحد من المخلوقين الشفاعة بحال ولا يقال في هذا إلا بإذنه إنما يقال ذلك في الفعل فيقال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وأما في الملك فلا يمكن أن يكون غيره مالكا لها فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال ولا يتصور أن يكون نبي فمن دونه مالكا لها بل هذا ممتنع كما يمتنع أن يكون خالقا وربا ولهذا لما نفى الشفعاء من دونه نفاهم نفيا مطلقا بغير استثناء وإنما يقع الاستثناء إذا لم يقيدهم بأنهم من دونه كما قال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ { الأنعام 51 وكما قال تعالى { وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيِّ وَلَا شَفِيعٌ { الأنعام 70 } وكما قال تعالى {  
 مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ { السجدة 4  
 فلما قال من دونه نفى الشفاعة مطلقاً وإذ ذكر بإذنه لم يقل من  
 دونه كقوله { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ { البقرة 255  
 وقوله { إِمَّا مِّنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ { يونس 3 } فمن تدبر  
 القرآن تبين له أنه كما قال تعالى { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا  
 مُّتَشَابِهًا مَّثَابِيًّا تَقْسِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ  
 جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ  
 وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ { الزمر 123

فالشفاعة المنفية في القرآن كقوله تعالى { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ  
 الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ  
 فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ { الأعراف 53  
 وأمثال ذلك واحتج بكثير من الخوارج والمعتزلة على منع  
 الشفاعة لأهل الكبائر إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب أو أن  
 يخرج من النار من يدخلها ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب في  
 زيادة الثواب ومذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة  
 والجماعة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر والقول بأنه يخرج من  
 النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان وأيضا فالأحاديث  
 المستفيضة عن النبي في الشفاعة فيها استشفاع أهل الموقف  
 ليقضى بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه وع شفاعة للكفار  
 وأيضا ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنه قال يا  
 رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه يحوطك ويغضب لك  
 قال نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك  
 الأسفل من النار وعن عبد الله بن الحارث قال سعت العباس  
 يقول قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل  
 نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فأخرجته إلى  
 ضحضاح وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول  
 الله ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم  
 القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه

فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل في أن يجعل أهون أهل النار عذابا كما في الصحيح أيضا عن ابن عباس أن رسول الله قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه وعنه قال قال رسول الله إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منها دماغه كما يغلى الرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا وهذا السؤال الثاني يضعف جواب من تأول نفى الشفاعة على الشفاعة للكفار وإن الظالمين هم الكافرون فيقال الشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع الشفيع الى غيره ابتداء فيقبل شفاعته فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع لم يكن مستقلا بالشفاعة بل يكون مطيعا له أى تابعا له في الشفاعة وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسؤول وقد ثبت بنص القرآن في غير آيه أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } طه 109 وقال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذي يبين أن هذه هي الشفاعة المنفية أنه قال { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَّلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولى ولا شفيع وأما نفى الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية

التى بإذنه ليست من دونه كما قال تعالى { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ  
 وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ  
 رَاكِعُونَ } {55} وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ  
 هُمُ الْغَالِبُونَ } {56} المائدة 55-56 وأيضا فقد قال { أَمْ اتَّخَذُوا  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبَهُمْ أُولُو كُنُوفٍ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ  
 { الزمر 43 } أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبَهُمْ أُولُو كُنُوفٍ لَا  
 يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ } {43} قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ  
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } {44} الزمر 43-44 فذم  
 الذين اتخذوا من دون الله شفعا وأخبر أن الله الشفاعة جميعا فعلم  
 أن الشفاعة منتفية عن غيره إذ لا يشفع أحد الا بإذنه وتلك فهي  
 له وقد قال { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا  
 يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَاءَ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ  
 فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ  
 { يونس 18 } يوضح ذلك أنه نفى يؤمذ الخلة بقوله { مَنْ  
 قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ  
 الظَّالِمُونَ } البقرة 254 ومعلوم أنه إنما نفى الخلة المعروفة  
 ونفعها المعروف كما ينفع الصديق الصديق فى الدنيا كما قال {  
 وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ } {17} ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ } {18}  
 يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ } {19} الانفطار  
 17-19 وقال { لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } {15} يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا  
 يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ  
 الْفَهَّارِ } {16} غافر 16 لم ينف أن يكون فى الآخرة خلة نافعة  
 بإذنه فإنه قد قال { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ  
 لَا يَشْعُرُونَ } {66} الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا  
 الْمُتَّقِينَ } {67} يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ  
 تَحْزَنُونَ } {68} الزخرف 66-68 الآيات وقد قال النبى يقول  
 الله تعالى حقت محبتى للمتحابين فى ويقول الله تعالى  
 أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى  
 فتعين أن الأمر كله عائد الى تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع أحد ولا



يضر الا باذن الله وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله ولا يستعان به من دون الله وأنه يوم القيامة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله ويتبرأ كل مدع من دعواه الباطلة فلا يبقى من يدعى لنفسه معه شركا في ربوبيته أو الهيته ولا من يدعى ذلك لغيره بخلاف الدنيا فإنه وإن لم يكن رب ولا اله الا هو فقد اتخذ غيره ربا والها وادعى مدعون وفي الدنيا يشفع الشافع عند غيره وينتفع بشفاعته وإن لم يكن أذن له في الشفاعة ويكون خليله فيعينه ويفتدى نفسه من الشر فقد ينتفع بالنفوس والأموال في الدنيا والنفوس ينتفع بها تارة بالإستقلال وتارة بالإعانة وهى الشفاعة والأموال بالفداء فنفى الله هذه الأقسام الثلاثة قال تعالى {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} البقرة 48 وقال {لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ} البقرة 254 كما قال {لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا} لقمان 33 فهذا هذا والله أعلم وعاد ما نفاه الله من الشفاعة الى تحقيق أصلى الإيمان وهى الإيمان بالله وباليوم الآخر التوحيد والمعاد كما قرن بينهما فى مواضع كثيرة كقوله {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} البقرة 8 وقوله {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} البقرة 156 وقوله {مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفَافًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} لقمان 28 وقوله {وَكُنْتُمْ أََمْوَآتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} البقرة 28 وأمثال ذلك<sup>1</sup>

\*ان الله سبحانه وتعالى نفى الشفاعة التى يثبتها أهل الشرك ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع اليه شفاعة شافع لحاجته اليه رغبة ورهبة وكما يعامل المخلوق المخلوق بالمعاوضة فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعاء من

الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورون تماثيلهم فيستشفعون بها ويقولون هؤلاء خواص الله فنحن نتوسل الى الله بدعائهم وعبادتهم ليشفَعوا لنا كما يتوسل الى الملوك بخواصهم لكونهم أقرب الى الملوك من غيرهم فيشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج الى إجابة شفاعته رغبة ورهبة **فأنكر الله هذه الشفاعة فقال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ عَلَّاهُمْ يَتَّقُونَ} الأنعام 51** وقال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} {18} يونس 18 فهذه الشفاعة التي أثبتها المشركون للملائكة والأنبياء والصالحين حتى صوروا تماثيلهم وقالوا استشفاعنا بتماثيلهم استشفاع بهم وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا نحن نستشفع بهم بعد مماتهم ليشفَعوا لنا الى الله وصوروا تماثيلهم فعبدوهم كذلك وهذه الشفاعة أبطلها الله ورسوله وذم المشركين عليها وكفرهم بها قال الله تعالى عن قوم نوح {وَقَالُوا لَا تَدْرِنَ آلِهَتَكُمُ وَلَا تَدْرِنَ وِدَاً وَلَا سُوعَاً وَلَا يُعْوِثُ وَيَعُوقُ وَنَسْراً} {23} وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً} {24} نوح 23-24 قال بن عباس وغيره هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم وهذا وهذا مشهور في كتب التفسير والحديث وغيرها كالبخاري وغيره وهذه أبطلها النبي وحسم مادتها وسد ذريعتها حتى لعن من إتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها وإن كان المصلى فيها لا يستشفع بهم ونهى عن الصلاة الى القبور وأرسل على بن أبي طالب فأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً الا سواه ولا تماثلاً إلا طمسه ومحاه ولعن المصورين وعن أبي الهياج الأسدي قال لى على بن أبي طالب لا أبعثك على ما بعثنى رسول الله ألا تدع تماثلاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وفى لفظ ولا صورة إلا طمستها أخرجه مسلم<sup>1</sup>

## الشفاعة التي نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك

\*وقال تعالى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} {41} {الأنعام 40-41 وكذلك قوله {لِلَّهِ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ} {59} {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} {60} {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ {61} {النمل 61-61} أى إله مع الله فعل هذا وهذا استفهام انكار وهم مقرون بأنه لم يفعل هذا اله آخر مع الله ومن قال من المفسرين ان المراد هل مع الله اله آخر فقد غلط فانهم كانوا يجعلون مع الله الهة أخرى كما قال تعالى {أَنْتُمْ لَنْتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ} {الأنعام 19} وقال تعالى {فَمَا أُغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ} {هود 101} وقال تعالى عنهم {أَجَعَلَ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَاجِدًا إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} {ص 5} وكانوا معترفين بأن آلهتهم لم تشارك الله فى خلق السموات والأرض ولا خلق شىء بل كانوا يتخذونهم شفعاء ووسائط كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} {يونس 18} وقال عن صاحب يس {وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} {22} {أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً إِنْ يُرِدِنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ} {يس 22-23} وقال تعالى {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} {الأنعام 51} وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} {السجدة 4} وقال {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا

فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٍ {22} وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ {23} سبأ 22-23 فنفي عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسط من الملك أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال تعالى عن الملائكة { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى } الأنبياء 28 وقال { وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26 فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن وأما ما أخبر به النبي أنه يكون فأخبر أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً فإذا سجد وحمد ربه بمحامد يفتحها عليه يقال له أي محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع فيقول أي رب أمتي فيجد له حداً فيدخلهم الجنة وكذلك في الثانية وكذلك في الثالثة وقال له أبو هريرة من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة قال من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه فتلك الشفاعة هي لأهل الإخلاص باذن الله ليست لمن أشرك بالله ولا تكون إلا باذن الله وحقيقته أن الله هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يرغب به الأولون والآخرون كما كان في الدنيا يستسقى لهم ويدعو لهم وتلك شفاعة منه لهم فكان الله يجيب دعاءه وشفاعته وإذا كان كذلك فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذي هو شرك لا شفاعة فيه وظلم الناس بعضهم بعضاً لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالماً مطلقاً بل هو موحد مع ظلمه لنفسه وهذا إنما نفعه في الحقيقة إخلاصه لله فيه صار من أهل الشفاعة ومقصود

القرآن بنفى الشفاعة نفى الشرك وهو أن أحدا لا يعبد الا الله ولا يدعو غيره ولا يسأل غيره ولا يتوكل على غيره لا فى شفاعة ولا غيرها فليس له أن يتوكل على أحد فى أن يرزقه وان كان الله يأتيه برزقه بأسباب كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله فى أن يغفر له ويرحمه فى الآخرة وان كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها فالشفاعة التى نفاها القرآن مطلقا ما كان فيها شرك وتلك منتفية مطلقا ولهذا أثبت الشفاعة باذنه فى مواضع وتلك قد بين الرسول أنها لا تكون الا لأهل التوحيد والاخلاص فهى من التوحيد ومستحقها أهل التوحيد<sup>1</sup>

### لا يتقدم أحد عند الله بسultanه وماله ولا بذله وفقره

\*كان سعد وابن مسعود وصهيب وبلال وغيرهم من المستضعفين وطلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم طردهم فنهاه الله عن ذلك وأنزل { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَنْطَرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } {52} وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } {53} الأنعام 52-53 وقوله { وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } {الكهف 28} وقال فى المستضعفين من المؤمنين { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ } {29} وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يِنْعَمَزُونَ } {30} وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ } {31} وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ } {32} وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ } {33} فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ } {34} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ } {35} المطففين 29-34 وقال { زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } {البقرة 212}

وقال {وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تُسْتَكْبِرُونَ} {48} أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَفْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ} {49} الأعراف 48-49 وقال {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِّنَ الْأَسْرَارِ} {62} أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ} {63} ص 62 63 وقال عن قوم نوح {قَالُوا أَنْوَمِنَ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ} الشعراء 111 وقال تعالى {فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشْرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ} {هود 27} وقال عن قوم صالح {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ} {75} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} {76} الأعراف 75-76 وفي الصحيحين أن هرقل سأل أبا سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أشرف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم قال بل ضعفاؤهم قال هم أتباع الرسل<sup>1</sup>

\* وأما قوله {وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} {الكهف 28} فهي عامة فيمن تناوله هذا الوصف مثل الذين يصلون الفجر والعصر في جماعة فانهم يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وأمر الله نبيه بالصبر مع عباده الصالحين الذين يريدون وجهه والالتفات عيناه عنهم تريد زينة الحياة الدنيا وهذه الآية في الكهف وهي سورة مكية وكذلك الآية التي في سورة الأنعام {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} {الأنعام 52} وقد روى ان هاتين الآيتين نزلتا في المؤمنين المستضعفين لما طلب المتكبرون ان يبعدهم النبي عنه فنهاه الله عن طرد من يريد وجهه الله وان كان مستضعفا ثم امره بالصبر معهم وكان ذلك قبل الهجرة الى المدينة لكن هي متناولة

لكل من كان بهذا الوصف والمقصود بذلك ان يكون مع المؤمنين المتقين الذين هم أولياء الله وان كانوا فقراء ضعفاء ولا يتقدم أحد عند الله بسلطانه وماله ولا بذله وفقره وإنما يتقدم عنده بالايمان والعمل الصالح فنهى الله نبيه ان يطيع أهل الرياسة والمال الذين يريدون إبعاد من كان ضعيفا أو فقيرا وامره ان لا يطرد من كان منهم يريد وجهه وان يصبر نفسه معهم فى الجماعة التى امر فيها بالاجتماع بهم كصلاة الفجر والعصر ولا يطيع امر الغافلين عن ذكر الله المتبعين لأهوائهم<sup>1</sup>

\*كان النبى وخلفاؤه يعدلون بين المسلمين غنيهم وفقيرهم فى امورهم ولما طلب بعض الأغنياء من النبى ابعاد الفقراء نهاه الله عن ذلك وأثنى عليهم بأنهم يريدون وجهه فقال **{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ}** {الأنعام 52 الآية وقال **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ}** {الكهف 28 ولما طلب بعض الفقراء من النبى مالا يصلح له نهاه عن ذلك وقال يا أبا ذر انى اراك ضعيفا وانى احب لك ما احب لنفسى لاتأمرن على اثنين و لا تولين مال يتيم<sup>1</sup>

## الارادة هى الفارقة بين اهل الجنة واهل النار

\* فإن الحى لا بد له من ارادة فلا يمكن حيا أن لا تكون له ارادة فإن الإرادة التى يحبها الله ورسوله ويأمر بها أمر إيجاب أو أمر إستحباب لا يدعها إلا كافر أو فاسق أو عاص إن كانت واجبة وإن كانت مستحبة كان تاركها تاركا لما هو خير له والله تعالى وصف الأنبياء والصديقين بهذه الإرادة فقال تعالى **{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}** {الأنعام 52<sup>1</sup>

\* واما كون الانسان مريدا لما امر به او كارها له فهذا لا تلتفت اليه الشرائع بل ولا امر عاقل بل الانسان مامورا بمخالفة هواه و الارادة هى الفارقة بين اهل الجنة واهل النار كما قال تعالى **{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ**

لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا {18} وَمَنْ  
 أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ  
 مَشْكُورًا {19} الإسراء 18-19

وقال تعالى {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي  
 الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا} القصص 83 وقال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ  
 الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ  
 {هود 15 الاية وقال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ  
 بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الأنعام 52<sup>1</sup>

\* أن سبيل الله يحمد فيه الزهد فيما زهد الله فيه من فضول الدنيا  
 فتحمد فيه الرغبة والارادة لما حمد الله ارادته والرغبة فيه ولهذا  
 كان أساس الطريق الارادة كما قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ  
 يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الأنعام 52<sup>1</sup>

### الصلاة والدعاء فيها إرادة وجه الله

\* فإن الصلاة فيها إرادة وجه الله كما قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ  
 الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} الأنعام 52  
 أى يصلون صلاة الفجر والعصر والداعى يقصد ربه ويريده  
 فتكون القلوب فى هذه الأشياء مريدة لربها محبة له<sup>1</sup>

\* وقد فسر هذا الدعاء بصلاتى الفجر والعصر ولما أخبر أنهم  
 يريدون وجهه بهاتين الصلاتين<sup>1</sup>

### الزهد الشرعى و الرغبة الشرعية

\* الزهد خلاف الرغبة يقال فلان زاهد فى كذا وفلان  
 راغب فيه و الرغبة هى من جنس الإرادة فالزهد فى  
 الشىء إنتفاء الإرادة له أما مع وجود كراهته وإما مع عدم  
 الإرادة والكراهة بحيث لا يكون لا مريدا له ولا كارها له وكل  
 من لم يرغب فى الشىء ويريده فهو زاهد فيه وكما أن سبيل  
 الله يحمد فيه الزهد فيما زهد الله فيه من فضول الدنيا فتحمد فيه  
 الرغبة والإرادة لما حمد الله إرادته والرغبة فيه ولهذا كان أساس



الطريق الإرادة كما قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} {الأنعام 52} وقال تعالى {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} {الإسراء 19} ونظائره متعددة

كما رغب في الزهد وذم ضده في قوله {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّهَا نُوفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ} {15} {وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ} {16} {هود 15-16} وقال تعالى {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} {1} التكاثر 1 السورة وقال تعالى {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا} {19} {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} {20} {الفجر 19} وقال {إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} {6} {وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ} {7} {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} {8} {العاديات 6-8} وقال تعالى {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} {الحديد 20} الآية وهذا باب واسع وإنما المقصود هنا تمييز الزهد الشرعي من غيره وهو الزهد المحمود وتميز الرغبة الشرعية من غيرها وهي الرغبة المحمودة فإنه كثيرا ما يشتبه الزهد بالكسل والعجز والبطالة عن الأوامر الشرعية وكثيرا ما تشبه الرغبة الشرعية بالحرص والطمع والعمل الذي ضل سعي صاحبه <sup>1</sup>

### سميت الصلاة دعاء

\*و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} {غافر 60} فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} {الأنعام 52} <sup>1</sup>

\* قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} {الأنعام 52} لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} {المؤمنون 117} وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} {القصص 88} وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} {الجن 19} وقال {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} {النساء 117} ولفظ الصلاة في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر اولا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} {البقرة 186} وكل سائل راغب وراهب فهو عابد للمسئول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} {الأنبياء 90} وقال تعالى {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ

الْمُضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا {السجدة 16} ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع<sup>1</sup>

\* والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسئلة والإستعانة كما قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ {الأنعام 52}

### اسم الوجه مذکور فی تقرير ألوهيته

\*قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ {الأنعام 52} اسم الوجه فى الكتاب والسنة إنما يذكر فى سياق العبادة له والعمل له والتوجه إليه فهو مذکور فى تقرير ألوهيته وعبادته وطاعته لا فى تقرير وحدانية كونه خالقاً ورباً وذلك المعنى هو العلة الغائية وهذا هو العلة الفاعلية والعلة الغائية هى المقصودة التى هى أعلى وأشرف بل هى علة فاعلية للعلة الفاعلية ولهذا قدمت فى مثل قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ {الفاتحة 5} وفى مثل قوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ {هود 123}

### لا يذكر الكفار حجة صحيحة

\*وما أجمع عليه طوائف بنى آدم السليمة الفطرة وجماهير النظار فإن الإنسان قد يعرف أن الحق مع غيره ومع هذا يجحد ذلك لحسده إياه أو لطلب علوه عليه أو لهوى النفس ويحمله ذلك الهوى على أن يعتدى عليه ويرد ما يقول بكل طريق وهو فى قلبه يعلم أن الحق معه وعامة من كذب الرسل علموا أن الحق معهم وأنهم صادقون لكن إما لحسدهم وإما لإرادتهم العلو والرياسة وإما لحبهم دينهم الذى كانوا عليه وما يحصل لهم به من الأغراض كأموال ورياسة وصدقة أقوام وغير ذلك فيرون فى اتباع الرسل ترك الأهواء المحبوبة إليهم أو حصول أمور

مكروهة إليهم فيكذبونهم ويعادونهم فيكونون من أكفر الناس كإبليس وفرعون مع علمهم بأنهم على الباطل والرسول على الحق ولهذا لا يذكر الكفار حجة صحيحة تقدر في صدق الرسل إنما يعتمدون على مخالفة أهوائهم كقولهم لنوح { أَنْوْمُنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ } الشعراء 111 ومعلوم أن إتباع الأذلين له لا يقدر في صدقه لكن كرهوا مشاركة أولئك كما طلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم إبعاد الضعفاء كسعد بن أبي وقاص وإبن مسعود وخباب بن الارت وعمار بن ياسر وبلال ونحوهم وكان ذلك بمكة قبل أن يكون في الصحابة أهل الصفة فأنزل الله تبارك وتعالى { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } {52} وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } {53} الأنعام 52-53 وهذه الأمور وأمثالها ليست حججا تقدر في صدق الرسل بل تبين أنها تخالف إرادتهم وأهوائهم وعاداتهم فذلك لم يتبعوهم وهؤلاء كلهم كفار بل أبو طالب وغيره كانوا يحبون النبي ويحبون علو كلمته وليس عندهم حسد له وكانوا يعلمون صدقه ولكن كانوا يعلمون أن في متابعتهم فراق دين آبائهم وذم قریش لهم فما احتملت نفوسهم ترك تلك العادة وإحتمال هذا الذم فلم يتركوا الإيمان لعدم العلم بصدق الإيمان به بل لهوى النفس فكيف يقال إن كل كافر إنما كفر لعدم علمه بالله<sup>1</sup>

## لو كان العمل لا يقبل إلا ممن لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من الفواحش

\* ((فيه نقص في البداية الرجوع الى نفس المرجع) فالكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم من قتل وغصب وقذف وكذلك الذمي إذا أسلم قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه فلو كان العمل لا يقبل إلا ممن لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من

الفواحش والمظالم بل يكون مع إسلامه مخلدا وقد كان الناس مسلمين على عهد رسول الله ولهم ذنوب معروفة وعليهم تبعات فيقبل إسلامهم ويتوبون إلى الله سبحانه من التبعات كما ثبت في الصحيح أن المغيرة بن شعبة لما أسلم وكان قد رافق قوما في الجاهلية فغدر بهم وأخذ أموالهم وجاء فأسلم فلما جاء عروة بن مسعود عام الحديبية والمغيرة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف دفعه المغيرة بالسيف فقال من هذا فقالوا ابن أختك المغيرة فقال يا غدر ألسنت أسعي في غدرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبله وأما المال فلست منه في شيء وقد قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} {الأنعام 52} وقالوا لنوح { أَنْوْمٍ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ } {111} قَالَ وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {112} إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ {113} الشعراء 111-113 ولا نعرف من المسلمين جاءه ذمي يسلم فقال له لا يصح إسلامك حتى لا يكون عليك ذنب وكذلك سائر أعمال البر من الصلاة والزكاة<sup>1</sup>

### من تكون لبيان الجنس

\*ومن تكون لبيان الجنس فلا يقتضي أن يكون قد بقي من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس كما في قوله تعالى { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ } الحج 30 فإنه لا يقتضى أن يكون من الأوثان ما ليس برجس وإذا قلت ثوب من حرير فهو كقولك ثوب حرير وكذلك قولك باب من حديد كقولك باب حديد وذلك لا يقتضى أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه وإن كان الذي يتصوره كليا فإن الجنس الكلي هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه وإن لم يكن مشتركا فيه في الوجود ولما قال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم { وَمَنْ يَفْنَأْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ

وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً  
 كَرِيماً {الأحزاب 31} لم يمنع أن يكون كل منهن تقنت لله  
 ورسوله وتعمل صالحاً ولما قال تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ  
 يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ  
 مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ  
 رَحِيمٌ {الأنعام 54} لم يمنع هذا أن يكون كل منهم متصفا بهذه  
 الصفة و يجوز أن يقال إنهم لو عملوا سوءاً بجهالة ثم تابوا من  
 بعده وأصلحوا لم يغفر إلا لبعضهم ولهذا تدخل من هذه في  
 النفي لتحقيق نفي الجنس كما في قوله تعالى {وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِّنْ  
 عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ} {الطور 21} وقوله { وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ } { آل  
 عمران 62} وقوله {فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ  
 {الحاقة 47} ولهذا إذا دخلت في النفي تحقيقاً أو تقديراً أفادت نفي  
 الجنس قطعاً فالتحقيق ما ذكر والتقدير كقوله تعالى { وَمَا مِنْ  
 إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ } { آل عمران 62} وقوله {لَا رَيْبَ فِيهِ} {البقرة 2} ونحو  
 ذلك<sup>1</sup>

## { بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

### 1

\*أن سائر أهل السنة الذين يقرون بالقدر ليس فيهم من يقول إن  
 الله تعالى ليس بعدل ولا من يقول إنه ليس بحكيم ولا فيهم من  
 يقول إنه يجوز أن يترك واجبا ولا أن يفعل قبيحا فليس في  
 المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام الذي أطلقه ومن أطلقه كان  
 كافرا مباح الدم باتفاق المسلمين ولكن هذه مسألة القدر  
 والنزاع فيها معروف بين المسلمين فأما نفاة القدر كالمعتزلة  
 ونحوهم فقولهم هو الذي ذهب إليه متأخرو الإمامية وأما  
 المثبتون للقدر وهو جمهور الأمة وأئمتها كالصحابية والتابعين  
 لهم بإحسان وأهل البيت وغيرهم فهؤلاء تنازعوا في تفسير عدل  
 الله وحكمته والظلم الذي يجب تنزيهه عنه وفي تعليل أفعاله  
 وأحكامه ونحو ذلك فقالت طائفة إن الظلم ممتنع منه غير

مقدور وهو محال لذاته كالجمع بين النقيضين وإن كل ممكن  
مقدور فليس هو ظلما وهؤلاء هم الذين قصدوا الرد عليهم  
وهؤلاء يقولون إنه لو عذب المطيعين ونعم العصاة لم يكن ظالما  
وقالوا الظلم التصرف فيما ليس له والله تعالى له كل شيء أو هو  
مخالفة الأمر والله لا أمر له وهذا قول كثير من أهل الكلام  
المتبئين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعة  
وقال طائفة بل الظلم مقدور ممكن والله تعالى منزه لا يفعله لعدله  
ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئا والمدح  
إنما يكون بترك المقدور عليه لا بترك الممتنع قالوا وقد قال  
تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا  
وَلَا هَضْمًا } طه 112 قالوا الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره  
والهضم أن يهضم حسناته وقال تعالى { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى  
نَقَصْنَا عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ } 100 { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ  
لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ } 101 { هود 100 -  
101 فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلكهم بل أهلكهم بذنوبهم وقال  
تعالى { وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا  
يُظَلَمُونَ } الزمر 69 فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط ظلم  
والله منزه عنه وقال تعالى { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ  
الْقِيَامَةِ فَلَا تُظَلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْقَالِ حَبَّةٍ مِّنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا  
وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ } الأنبياء 47

أي لا تنقص من حسناتها ولا تعاقب بغير سيئاتها فدل على أن  
ذلك ظلم ينزه الله عنه وقال تعالى { قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيََّ  
وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعْدِ } 28 { مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ  
لِّلْعَبِيدِ } 29 { ق 28- 29 وإنما نزه نفسه عن أمر يقدر عليه لا  
عن الممتنع لنفسه ومثل هذا في القرآن في غير موضع مما  
يبين أن الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء  
بينهم بغير العدل ظلم ينزه الله عنه وأنه لا يحمل على أحد ذنب  
غيره وقال تعالى { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ

{ الأنعام 164 فإن ذلك ينزه الله عنه بل لكل نفس ما كسبت  
وعليها ما اكتسبت وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أن الله تعالى يقول يا عبادي إني حرمت الظلم على  
نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا فقد حرم على نفسه الظلم  
كما كتب على نفسه الرحمة في قوله { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ  
الرَّحْمَةَ } الأنعام 54 وفي الحديث الصحيح لما قضى الله الخلق  
كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت  
غضبي والأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا  
يكون إلا مقدوراً له سبحانه فالممتنع لنفسه لا يكتبه على نفسه ولا  
يحرمه على نفسه وهذا القول قول أكثر أهل السنة والمثبتين  
للقدر من أهل الحديث والتفسير والفقه والكلام والتصوف من  
أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم وعلى هذا القول فهؤلاء هم  
القائلون بعدل الله تعالى وإحسانه دون من يقول من القدرية إن  
من فعل كبيرة حبط إيمانه فإن هذا نوع من الظلم الذي نزه الله  
سبحانه نفسه عنه وهو القائل { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا  
يَرَهُ } {7} { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } {8} الزلزلة 7-8 وأما  
من اعتقد أن منته على المؤمنين بالهداية دون الكافرين ظلم منه  
فهذا جهل لوجهين أحدهما أن هذا تفضل منه كما قال تعالى  
{ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ  
الحجرات 17 وكما قالت الأنبياء { قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ  
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ  
إبراهيم 11 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا  
أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ  
الأنعام 53 فتخصيص هذا بالإيمان كتخصيص هذا بمزيد علم  
وقوة وصحة وجمال ومال قال تعالى { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ  
نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ  
بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا } الزخرف 32 وإذا  
خص أحد الشخصين بقوة وطبيعة تقضي غداء صالحاً خصه بما  
يناسب ذلك من الصحة والعافية وإذا لم يعط الآخر ذلك نقص



عنه وحصل له ضعف ومرض والظلم وضع الشيء في غير موضعه فهو لا يضع العقوبة إلا في المحل الذي يستحقها لا يضعها على محسن أبداً وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يمينه والقسط بيده الأخرى يقبض ويبسط فبين أنه سبحانه يحسن ويعدل ولا يخرج فعله عن العدل والإحسان ولهذا قيل كل نعمة منه فضل وكل نعمة منه عدل ولهذا يخبر أنه تعالى يعاقب الناس بذنوبهم وأن إنعامه عليهم إحسان منه كما في الحديث الصحيح الإلهي يقول الله تعالى يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وقد قال تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} النساء 79 أي ما أصابك من نعم تحبها كالنصر والرزق فالله أنعم بذلك عليك وما أصابك من نقم تكرها فبذنوبك وخطاياك فالحسنات والسيئات هنا أراد بها النعم والمصائب<sup>1</sup>

## الله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر

\*وما قالته القدرية فهو بناء على أصلهم الفاسد وهو أن إقدار الله المؤمن والكافر والبر والفاجر سواء فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع بإعانة حصل بها الإيمان بل يقولون إن إعانته للمطيع والعاصي سواء ولكن هذا بنفسه رجح الطاعة وهذا بنفسه رجح المعصية كالوالد الذي أعطى كل واحد من ابنيه سيفاً فهذا جاهد به في سبيل الله وهذا قطع به الطريق أو أعطاهما مالا فهذا أنفق في سبيل الله وهذا أنفق في سبيل الشيطان وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر فإنهم متفقون على

أن الله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر وأنه أعانه على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر كما قال تعالى { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 فبين أنه حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم فالقدرية تقول هذا التحبيب والتزيين عام في كل الخلق أو هو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمنين ولهذا قال { أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 والكفار ليسوا راشدين وقال تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125 وقال { أَوْ مَنْ كَانَ مَبِينًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 122 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } الأنعام 153

\* إن نعم الله على عباده تتضمن نفعهم والإحسان إليهم وذلك نوعان أحدهما أن يدفع بذلك مضرتهم ويزيل حاجتهم وفاقتهم مثل رزقهم الذي لولا هو لماتوا جوعاً ونصرهم الذي لولا هو لأهلكهم عدوهم ومثل هداهم الذي لولا هو لضلوا ضلالاً يضرهم في آخرتهم وهذا النوع من النعمة لا بد لهم منه وإن فقدوه حصل لهم ضرر إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما ولهذا كان في سورة النحل وهي سورة النعم في أولها أصول النعم وفي أثنائها كمال النعم والنوع الثاني النعم التي تحصل بها من كمال النعم وعلو الدرجة ما لا يحصل بدونها كما أنهم في الآخرة نوعان أبرار أصحاب يمين ومقربون سابقون ومن خرج عن هذين كان من أصحاب الجحيم وإذا كانت النعمة نوعين فالخلق كانوا محتاجين إلى إرسال محمد من هذين الوجهين وحصل بإرساله هذان النوعان من النعمة فإن الناس بدونهم كانوا جهالاً ضالين أميين وأهل الكتاب منهم ولم يكن قد بقي من

أهل الكتاب أتباع المسيح من هو قائم بالدين الذي يوجب السعادة عند الله في الآخرة بل كانوا قد بدلوا وغيروا وأيضا فلو قدر أنهم لم يبدلوا شيئا ففي إرساله من كمال النعم وتواصلها وعلو الدرجات في السعادة ما لم يكن حاصلا بالكتاب الأول فكان إرساله أعظم نعمة أنعم الله بها على أهل الأرض من نوعي النعيم ومن استقرأ أحوال العالم تبين له أن الله لم ينعم على أهل الأرض نعمة أعظم من إنعامه بإرساله وإن الذين ردوا رسالته هم من قال الله فيهم { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْيَوَارِ { إبراهيم 28 ولهذا وصف بالشكر من قبل هذه النعمة فقال تعالى { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ { الأنعام 153

\* وهو سبحانه مع غناه عن العالمين خلقهم و أرسل إليهم رسولا يبين لهم ما يسعدهم و ما يشقيهم ثم أنه هدى عباده المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فمن عليهم بالإيمان و العمل الصالح فخلقه بفضله و إرساله الرسول بفضله و هدايته لهم بفضله و جميع ما ينالون به الخيرات من قواهم و غير قواهم هي بفضله فكذلك الثواب و الجزاء هو بفضله و إن كان أوجب ذلك على نفسه كما حرم على نفسه الظلم و وعد بذلك كما قال { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ { الأنعام 54 و قال تعالى { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ { الروم 47 فهو و اقع لامحالة و اجب بحكم إيجابه و وعده لأن الخلق لا يوجبون على الله شيئا أو يحرمون عليه شيئا بل هم أعجز من ذلك و أقل من ذلك و كل نعمة منه فضل و كل نقمة منه عدل كما في الحديث المتقدم إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم ثم أوفيكم إياها فمن و جد خيرا فليحمد الله و من و جد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه و في الحديث الصحيح سيد الإستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني و أنا عبدك و أنا على عهدك و وعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي و

أبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من ليلته دخل الجنة ف قوله أبوء لك بنعمتك على و أبوء بذنبي إعراف بإنعام الرب و ذنب العبد كما قال بعض السلف أنى أصبح بين نعمة تنزل من الله علي و بين ذنب يصعد مني إلى الله فأريد أن أحدث للنعمة شكرا و للذنب إستغفارا<sup>1</sup>

\* قال تعالى {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } 52 { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ } 53 { الأنعام 52- 53 } وهو لا يمنع من ذلك ما يستحقه العبد أصلا ولا يمنع الثواب الا اذا منع سببه وهو العمل الصالح فأما مع وجود السبب وهو العمل الصالح فإنه من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضمًا { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } طه 112 وهو سبحانه المعطي المانع لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع لكن من على الانسان بالايمان والعمل الصالح ثم لم يمنعه موجب ذلك اصلا بل يعطيه من الثواب والقرب مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وحيث منعه ذلك فلا يبقى سببه وهو العمل الصالح ولا ريب انه يهدي من يشاء ويضل من يشاء لكن ذلك كله حكمة منه وعدل فمنعه للأسباب التي هي الاعمال الصالحة من حكمته وعدله واما المسببات بعد وجود اسبابها فلا يمنعه بحال الا اذا لم تكن اسبابا صالحة اما لفساد في العمل واما السبب يعارض موجبه ومقتضاه فيكون لعدم المقتضى او لوجود المانع واذا كان منعه وعقوبته من عدم الايمان والعمل الصالح ابتداء حكمة منه وعدل فله الحمد في الحاليين وهو المحمود على كل حال كل عطاء منه فضل وكل عقوبة منه عدل<sup>1</sup>

## { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }

\*الأمور العامة التي يفعلها الله عز وجل تكون لحكمة عامة و  
رحمة عامة كإرسال محمد صلى الله عليه و سلم فإنه كما قال  
تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } الأنبياء 107 فإن  
إرساله كان من أعظم النعمة على الخلق و فية أعظم حكمة  
للخالق و رحمة منه لعباده كما قال تعالى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ  
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ  
مُّبِينٍ } آل عمران 164 و قال تعالى { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ  
بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ  
بِالشَّاكِرِينَ } الأنعام 53 و قال { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ  
خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ  
يَقْلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَإِنَّ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } آل  
عمران 144 و قال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ  
كُفْرًا } إبراهيم 28 قالوا هو محمد صلى الله عليه و سلم  
فإذا قال قائل فقد تضرر برسالته طائفة من الناس كالذين كذبوه  
من المشركين و أهل الكتاب كان عن هذا جوابان أحدهما  
أنه نفعهم بحسب المكان فإنه أضعف شرهم الذي كانوا يفعلونه  
لولا الرسالة بإظهار الحجج و الآيات التي زلزلت ما فى قلوبهم  
و بالجهاد و الجزية التي أخافتهم و أدلتهم حتى قل شرهم و من  
قتله منهم مات قبل أن يطول عمره فى الكفر فيعظم كفره فكان  
ذلك تقليلاً لشره و الرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتحصيل  
المصالح و تكميلها و تعطيل المفساد و تقليلها بحسب الإمكان  
و الجواب الثاني أن ما حصل من الضرر أمر مغمور فى  
جنب ما حصل من النفع كالمطر الذي عم نفعه إذا خرب به  
بعض البيوت أو إحتبس به بعض المسافرين و المكتسبين  
كالقصارين و نحوهم و ما كان نفعه و مصلحته عامه كان خيراً  
مقصوداً و رحمة محبوبة و إن تضرر به بعض الناس و هذا

الجواب أجاب به طوائف من المسلمين و أهل الكلام و الفقه و غيرهم من الحنفية و الحنبلية و غيرهم و من الكرامية و الصوفية و هو جواب كثير من المتفلسفة<sup>1</sup>

## الناس لهم في أفعال الله ثلاثة أقوال

\*إنا فرضنا إنا نعلم بالعقل حسن بعض الأفعال وقبحها لكن العقل لا يقول إن الخالق كالمخلوق حتى يكون ما جعله حسنا لهذا أو قبيحا له جعله حسنا للآخر أو قبيحا له كما يفعل مثل ذلك القدرية لما بين الرب والعبد من الفروق الكثيرة وإن فرضنا أن حسن الأفعال وقبحها لا يعلم إلا بالشرع فالشرع قد دل على أن الله قد نزه نفسه عن أفعال وأحكام فلا يجوز أن يفعلها تارة بخبره مثنيا على نفسه بأنه لا يفعلها وتارة بخبره أنه حرمها على نفسه هذا يبين المسألة الثانية فنقول الناس لهم في أفعال الله باعتبار ما يصلح منه ويجوز وما لا يجوز منه ثلاثة أقوال طرفان ووسط فالطرف الواحد طرف القدرية وهم الذين حجروا عليه أن يفعل إلا ما ظنوا بعقلهم أنه الجائز له حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجوز فأوجبوا عليه بعقلهم أمورا كثيرة وحرموا عليه بعقلهم أمورا كثيرة لا بمعنى أن العقل أمر له وناه فإن هذا لا يقوله عاقل بل بمعنى أن تلك الأفعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن أدخلوا في ذلك المنكرات ما بنوه على بدعتهم في التكذيب بالقدر وتوابع ذلك والطرف الثاني طرف الغلاة في الرد عليهم وهم الذين قالوا لا ينزه الرب عن فعل من الأفعال ولا نعلم وجه إمتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لا يفعله المطابق لعلمه بأنه لا يفعله وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر به من أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال الله تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ عَلَيَّ نَفْسِيهِ الرَّحْمَةَ} الأنعام 54 وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه

كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي  
 ولم يعلم هؤلاء أن الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله  
 وتركه إذ العلم يطابق المعلوم فعلمه بأنه يفعل هذا وانه لا يفعل  
 هذا ليس فيه تعرض لأنه كتب هذا على نفسه وحرّم هذا على  
 نفسه كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم  
 يكن في هذا بيان لكونه محموداً ممدوحاً على فعل هذا وترك هذا  
 ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضى لهذا والمانع من هذا فإن الخبر  
 المحض كاشف عن المخبر عنه ليس فيه بيان ما يدعو إلى الفعل  
 ولا إلى الترك بخلاف قوله { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ  
 { الأنعام 12 } وحرّم على نفسه الظلم فإن التحريم مانع من  
 الفعل وكتابه على نفسه داعية إلى الفعل وهذا بين واضح إذ ليس  
 المراد بذلك مجرد كتابته انه يفعل وهو كتابة التقدير كما قد ثبت  
 في الصحيح انه قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات  
 والأرض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء فإنه قال  
 { كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ { الأنعام 12 } ولو أريد كتابة التقدير  
 لكان قد كتب على نفسه الغضب كما كتب على نفسه الرحمة إذ  
 كان المراد مجرد الخبر عما سيكون ولكان قد حرم على نفسه  
 كل ما لم يفعله من الإحسان كما حرم الظلم وكما أن الفرق  
 ثابت في حقنا بين قوله { كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ  
 { البقرة 178 } وبين قوله { وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ  
 { القمر 52 } وقوله { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي  
 أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا { الحديد 22 } وقوله  
 فيبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله  
 وعمله وشقى أو سعيد فهكذا الفرق أيضاً ثابت في حق الله  
 ونظير ما ذكره من كتابته على نفسه كما تقدم قوله تعالى  
 { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ { الروم 47 } وقول النبي في  
 الحديث الصحيح يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله  
 ورسوله اعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً  
 أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله اعلم

قال حقهم عليه ألا يعذبهم ومنه قوله في غير حديث كان  
حقا على الله أن يفعل به كذا فهذا الحق الذي عليه هو أحقه  
على نفسه بقوله ونظير تحريمه على نفسه وإيجابه على نفسه  
ما اخبر به من قسمه ليفعلن وكلمته السابقة كقوله {وَأَوَّلًا كَلِمَةً  
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ} طه 129 وقوله {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ} السجدة 13  
و {لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} إبراهيم 13 {فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ  
دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ  
وَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} آل عمران 195  
{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} الأعراف 6  
ونحو ذلك من صيغ القسم المتضمنة معنى الإيجاب والمعنى  
بخلاف القسم المتضمن للخبر المحض ولهذا قال الفقهاء اليمين  
إما أن توجب حقا أو منعا أو تصديقا أو تكديبا وإذا كان معقولا  
فى الإنسان أنه يكون أمرا مأمورا كقوله {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ  
بِالسُّوءِ} يوسف 53 وقوله {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى  
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} النازعات 40 مع أن العبد له أمر وناه فوقه  
والرب الذى ليس فوقه أحد لأن يتصور أن يكون هو الأمر  
الكاتب على نفسه الرحمة والناهى المحرم على نفسه الظلم أولى  
واحرى وكتابته على نفسه ذلك تستلزم إرادته لذلك ومحبته له  
ورضاه بذلك وتحريمه الظلم على نفسه يستلزم بغضه لذلك  
وكراهته له وإرادته ومحبته للفعل توجب وقوعه منه وبغضه له  
وكراهته لأن يفعله يمنع وقوعه منه فأما ما يحبه ويبغضه من  
أفعال عباده فذلك نوع آخر ففرق بين فعله هو وبين ما هو مفعول  
مخلوق له وليس فى مخلوقه ما هو ظلم منه وإن كان بالنسبة إلى  
فاعله الذى هو الإنسان هو ظلم كما ان أفعال الإنسان هى بالنسبة  
إليه تكون سرقة وزنا وصلاة وصوما والله تعالى خالقها بمشيئته  
وليست بالنسبة إليه كذلك إذ هذه الأحكام هى للفاعل الذى قام به  
هذا الفعل كما أن الصفات هى صفات للموصوف الذى قامت به  
لا للخالق الذى خلقها وجعلها صفات والله تعالى خلق كل صانع  
وصنعتة كما جاء فى الحديث وهو خالق كل موصوف وصفته



ثم صفات المخلوقات ليست صفاته له كالألوان والطعوم والروائح لعدم قيام ذلك به وكذلك حركات المخلوقات ليست حركات له ولا أفعالا له بهذا الاعتبار لكونها مفعولات هو خلقها وبهذا الفرق تزول شبهة كثيرة والأمر الذي كتبه على نفسه يستحق عليه الحمد والثناء وهو مقدس عن ترك هذا الذي لو ترك لكان تركه نقصا وكذلك الأمر الذي حرمه على نفسه يستحق الحمد والثناء على تركه وهو مقدس عن فعله الذي لو كان لأوجب نقصا وهذا كله بين والله الحمد عند الذين اوتوا العلم والإيمان وهو أيضا مستقر في قلوب عموم المؤمنين ولكن القدرية شبهوا على الناس بشبههم فقابلهم من قابلهم بنوع من الباطل كالكلام الذي كان السلف والأئمة يذمون به وذلك أن المعتزلة قالوا قد حصل الإتفاق على أن الله ليس بظالم كما دل عليه الكتاب والسنة والظالم من فعل الظلم كما أن العادل من فعل العدل هذا هو المعروف عند الناس من مسمى هذا الإسم سمعا وعقلا قالوا ولو كان الله خالقا لأفعال العباد التي هي الظلم لكان ظالما فعارضهم هؤلاء بان قالوا ليس الظالم من فعل الظلم بل الظالم من قام به الظلم وقال بعضهم الظالم من إكتسب الظلم وكان منهيا عنه وقال بعضهم الظالم من فعل محرما عليه أو ما نهى عنه ومنهم من قال من فعل الظلم لنفسه وهؤلاء يعنون أن يكون الناهى له والمحرم عليه غيره الذي يجب عليه طاعته ولهذا كان تصور الظلم منه ممتنعا عندهم لذاته كإمتناع أن يكون فوفا أمر له وناه ويمتنع عند الطائفتين أن يعود إلى الرب من أفعاله حكم لنفسه وهؤلاء لم يمكنهم أن ينازعوا أولئك في ان العادل من فعل العدل بل سلموا لك لهم وأن نازعهم بعض الناس منازعة عنادية والذي يكشف تلبيس المعتزلة أن يقال لهم الظالم والعادل الذي يعرفه الناس وأن كان فاعلا للظلم والعدل فذلك يأتيه أيضا ولا يعرف الناس من يسمى ظالما ولم يقم به الفعل الذي به صار ظالما بل لا يعرفون ظالما إلا من قام به الفعل الذي فعله وبه صار ظالما وإن كان فعله متعلقا بغيره وله

مفعول منفصل عنه لكن لا يعرفون الظالم إلا بأن يكون قد قام به ذلك فكونكم أخذتم في حد الظالم أنه من فعل الظلم وعنيتم بذلك من فعله في غيره فهذا تلبيس وإفساد للشرع والعقل واللغة كما فعلتم في مسمى المتكلم حيث قلتم هو من فعل الكلام ولو في غيره وجعلتم من أحدث كلاما منفصلا عنه قائما بغيره متكلمًا وإن لم يقم به هو كلام أصلا وهذا من أعظم البيهتان والقرمطة والسفسطة ولهذا الزمهم السلف أن يكون ما أحدثه من الكلام في الجمادات وكذلك أيضا ما خلقه في الحيوانات ولا يفرق حينئذ بين نطق وانطق وإنما قالت الجلود { أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ } فصلت 21 ولم تقل نطق الله بذلك ولهذا قال من قال من السلف كسليمان بن داود الهاشمي وغيره ما معناه أنه على هذا يكون الكلام الذي خلق في فرعون حتى قال { أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى } النازعات 24 كاللحام الذي خلق في الشجرة حتى قالت { إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } طه 14 فأما أن يكون فرعون محقا أو تكون الشجرة كفرعون وإلى هذا المعنى ينحو الإتحادية من الجهمية وينشدون وكل كلام في وجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه وهذا يستوعب أنواع الكفر ولهذا كان من الأمر البين للخاصة والعامة ان من قال المتكلم لا يقوم به كلاما أصلا فإن حقيقة قوله أنه ليس بمتكلم إذ ليس المتكلم إلا هذا ولهذا كان أولوهم يقولون ليس بمتكلم ثم قالوا هو متكلم بطريق المجاز وذلك لما استقر في الفطر أن المتكلم لا بد أن يقوم به كلام وإن كان مع ذلك فاعلا له كما يقوم بالإنسان كلامه وهو كاسب له أما إن يجعل مجرد أحداث الكلام في غيره كلاما له فهذا هو الباطل وهكذا القول في الظلم فهب أن الظالم من فعل الظلم فليس هو من فعله في غيره ولم يقم به فعل أصلا بل لا بد ان يكون قد قام به فعل وإن كان متعديا إلى غيره فهذا جواب ثم يقال لهم الظلم فيه نسبة وإضافة فهو ظلم من الظالم بمعنى أنه عدوان وبغى منه وهو ظلم للمظلوم بمعنى أنه بغى وإعتداء عليه وإما من لم يكن متعددا عليه به ولا هو منه عدوان على غيره فهو في حقه ليس

بظلم لا منه ولا له والله سبحانه إذا خلق أفعال العباد فذلك من جنس خلقه لصفاتهم فهم الموصفون بذلك فهو سبحانه إذا جعل بعض الأشياء أسود وبعضها أبيض أو طويلا أو قصيرا أو متحركا أو ساكنا أو عالما أو جاهلا أو قادرا أو عاجزا أو حيا أو ميتا أو مؤمنا أو كافرا أو سعيدا أو شقيا أو ظالما أو مظلوما كان ذلك المخلوق هو الموصوف بانه الأبيض والأسود والطويل والقصير والحى والميت والظالم والمظلوم ونحو ذلك والله سبحانه لا يوصف بشيء من ذلك وإنما أحداثه للفعل الذى هو ظلم من شخص وظلم لآخر بمنزلة أحداثه الأكل والشرب الذى هو أكل من شخص واكل الآخر وليس هو بذلك أكلا ولا مأكولا ونظائر هذا كثيرة وإن كان فى خلق افعال العباد لأزمها ومتعديها حكم بالغة كما له حكمة بالغة فى خلق صفاتهم وسائر المخلوقات لكن ليس هذا موضع تفصيل ذلك وقد ظهر بهذين الوجهين تدليس القدرية وأما تلك الحدود التى عورضوا بها فهى دعاو ومخالفة أيضا للمعلوم من الشرع واللغة والعقل أو مشتملة على نوع من الإجمال فإن قول القائل الظالم من قام به الظلم يقتضى أنه لا بد أن يقوم به لكن يقال له وإن لم يكن فاعلا له أمرا له لا بد أن يكون فاعلا له مع ذلك فإن أراد الأول كان إقتصاره على تفسير الظالم بمن قام به الظلم كإقتصار أولئك على تفسير الظالم فى فعل الظلم والذى يعرفه الناس عامهم وخاصهم ان الظالم فاعل للظلم وظلمه فعل قائم به وكل من الفريقين جحد بعض الحق وأما قولهم من فعل محرما عليه او منهيا عنه ونحو ذلك فالإطلاق صحيح لكن يقال قد دل الكتاب والسنة على أن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة وكان حقا عليه نصر المؤمنين وكان حقا عليه أن يجزى المطيعين وانه حرم الظلم على نفسه فهو سبحانه الذى حرم بنفسه على نفسه الظلم كما أنه هو الذى كتب بنفسه على نفسه الرحمة لا يمكن ان يكون غيره محرما عليه أو موجبا عليه فضلا عن أن يعلم ذلك بعقل او غيره وإذا كان كذلك فهذا الظلم الذى حرمه على نفسه هو ظلم بلا

ريب وهو أمر ممكن مقدور عليه وهو سبحانه يتركه مع قدرته عليه بمشيئته وإختياره لأنه عادل ليس بظالم كما يترك عقوبة الأنبياء والمؤمنين وكما يترك أن يحمل البريء ذنوب المعتدين

1

\* وقال طائفة بل هو أوجب على نفسه وحرّم على نفسه كما نطق بذلك الكتاب والسنة في مثل قوله تعالى { **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** } { **الأنعام 54** } وقوله { **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** } { **الروم 47** } وقوله في الحديث الإلهي الصحيح يا عبادي أي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً وأما أن العباد يوجبون عليه ويحرمون عليه فممتنع عند أهل السنة كلهم ومن قال إنه أوجب على نفسه أو حرّم على نفسه فهذا الوجوب والتحرّم يعلم عندهم بالسمع وهل يعلم بالعقل على قولين لأهل السنة 1

\* قول الجمهور إن الله عليم حكيم رحيم قائم بالقسط وإنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة وكما يشهد به الاعتبار حسا وعقلا وذلك واقع منه بحكمته ورحمته وبحكم أنه كتب على نفسه الرحمة وحرّم على نفسه الظلم لا بأن الخلق يوجبون عليه ويحرمون ولا بأنه يشبه المخلوق فيما يجب ويحرم بل كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل وليس لمخلوق عليه حق إلا ما أحقه هو على نفسه المقدسة كقوله { **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** } { **الأنعام 54** } وقوله { **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** } { **الروم 47** } وذلك بحكم وعده وصدقه في خبره وهذا متفق عليه بين المسلمين وبحكم كتابه على نفسه وحكمته ورحمته وهذا فيه تفصيل ونزاع مذكور في غير هذا الموضع 1

\*تظاهرت النصوص بأن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة والقدر تضمن علمه بما سيكون ومشيئته لوجود ما قدره و علم أن سيخلقه و القول

قد يكون خبرا و قد يكون فيه معنى الطلب الحض و المنع بالقسم و إما لكتابته على نفسه كقوله { **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** { الأنعام 54 } و قوله { **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** { الروم 47 } و قوله يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا { و أما قوله { **وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** { الزمر 71 } فهذا مختص بالكفار و هو الوعيد المتضمن الجزاء على الأعمال كما قال تعالى لإبليس { **لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ** } ص 85 و قوله { **وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى** } طه 129 أي إن عذابهم له أجل مسمى إما يوم القيامة و إما في الدنيا كيوم بدر و إما عقب الموت و قد ذكر في الآية الأقوال الثلاثة فلولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لكان العذاب لزاما أي لازما لهم فإن المقتضي له قائم تام و هو كفرهم<sup>1</sup>

## للمخلوق على الله حق وهو الذي أوجبه على نفسه بحكمته

\*فمن الناس من يقول للمخلوق على الخالق حق يعلم بالعقل و قاس المخلوق على الخالق كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة و غيرهم و من الناس من يقول لا حق للمخلوق على الخالق بحال لكن يعلم ما يفعله بحكم و عدله و خبره كما يقول ذلك من يقوله من أتباع جهم و الأشعري و غيرهما ممن ينتسب الى السنة و منهم من يقول بل كتب الله على نفسه الرحمة و أوجب على نفسه حقا لعباده المؤمنين كما حرم الظلم على نفسه لم يوجب ذلك مخلوق عليه و لا يقاس بمخلوقاته بل هو بحكم رحمته و حكمته و عدله كتب على نفسه الرحمة و حرم على نفسه الظلم كما قال في الحديث الصحيح الإلهي يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا { وقال تعالى { **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** { الأنعام 54 } وقال تعالى { **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** { الروم 47 } و في الصحيحين عن معاذ عن

النبى أنه قال يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً يا معاذ أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله أعلم قال حقهم عليه أن لا يعذبهم فعلى هذا القول لأنبيائه وعباده الصالحين عليه سبحانه حق أوجبه على نفسه مع إخباره وعلى الثانى يستحقون ما أخبر بوقوعه وإن لم يكن ثم سبب يقتضيه فمن قال ليس للمخلوق على الخالق حق يسأل به كما روى أن الله تعالى قال لداود وأى حق لأبائك على فهو صحيح إذا أريد بذلك أنه ليس للمخلوق عليه حق بالقياس والإعتبار على خلقه كما يجب للمخلوق على المخلوق وهذا كما يظنه جهال العباد من أن لهم على الله سبحانه حقاً بعبادتهم وذلك أن النفوس الجاهلية تتخيل أن الإنسان بعبادته وعلمه يصير له على الله حق من جنس ما يصير للمخلوق على المخلوق كالذين يخدمون ملوكهم وملاكهم فيجلبون لهم منفعة ويدفعون عنهم مضرة ويبقى أحدهم يتقاضى العوض والمجازاة على ذلك ويقول له عند جفاء أو إعراض يراه منه ألم أفعل كذا يمن عليه بما يفعله معه وإن لم يقله بلسانه كان ذلك فى نفسه وتخييل مثل هذا فى حق الله تعالى من جهل الإنسان وظلمه ولهذا بين سبحانه أن عمل الإنسان يعود نفعه عليه وأن الله غنى عن الخلق كما فى قوله تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} الجاثية 15 ومن قال بل للمخلوق على الله حق فهو صحيح إذا أراد به الحق الذى أخبر الله بوقوعه فإن الله صادق لا يخلف الميعاد وهو الذى أوجبه على نفسه بحكمته وفضله ورحمته<sup>1</sup>

\*وقد اتفق العلماء على وجوب ما يجب بوعد الله الصادق وتنازعا هل يوجب الله بنفسه على نفسه ويحرم بنفسه على نفسه على قولين ومن جوز ذلك احتج بقوله سبحانه { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 54 وبقوله فى الحديث

القدسي الصحيح إني حرمت الظلم على نفسي الخ والكلام على  
هذا مبسوط في موضع آخر وأما الإيجاب عليه سبحانه  
وتعالى والتحريم بالقياس على خلقه فهذا قول القدرية وهو قول  
مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول وأهل السنة  
متفقون على أنه سبحانه خالق كل شيء وربهم ومليكه وأنه ما شاء  
كان وما شاء لم يكن وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً ولهذا كان  
من قال من أهل السنة بالوجوب قال إنه كتب على نفسه الرحمة  
وحرّم الظلم على نفسه لا أن العبد نفسه مستحق على الله شيئاً  
كما يكون للمخلوق على المخلوق فإن الله هو المنعم على العباد  
بكل خير فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل وهو الميسر  
لهم الإيمان والعمل الصالح ومن توهم من القدرية والمعتزلة  
ونحوهم أنهم يستحقون عليه من جنس ما يستحقه الأجير على  
المستأجر فهو جاهل في ذلك وإذا كان كذلك لم تكن الوسيلة  
إليه إلا بما من به من فضله وإحسانه والحق الذي لعباده هو من  
فضله وإحسانه ليس من باب المعاوضة ولا من باب ما أوجبه  
غيره عليه فإنه سبحانه يتعالى عن ذلك وإذا سئل بما جعله  
سبباً للمطلوب من التقوى والأعمال الصالحة التي وعد أصحابها  
بكرامته وأنه يجعل لهم مخرجا ويرزقهم من حيث لا يحتسبون  
فيستجيب دعاءهم ومن أدعية عباده الصالحين ومن شفاعة نبي  
الوجهة عنده فهذا سؤال وتسبب بما جعله هو سبباً وأما إذا  
سئل بشيء ليس هو سبباً للمطلوب فيما أن يكون إقساماً به عليه  
فلا يقسم على الله بمخلوق وإما أن يكون سؤالاً بما لا يقتضي  
المطلوب فيكون عديم الفائدة فالأنبياء والمؤمنون لهم حق  
على الله بوعده الصادق لهم وبكلماته التامة ورحمته لهم أن  
ينصرهم ولا يخذلهم وأن يمنعمهم ولا يعذبهم وهم وجهاء عنده  
يقبل من شفاعتهم ودعائهم ما لا يقبله من دعاء غيرهم فإذا  
قال الداعي أسألك بحق فلان وفلان لم يدع ربه وهو لم يسأله  
باتباعه لذلك الشخص ومحبتة وطاعته بل بنفس ذاته وما جعله له  
ربه من الكرامة فهو لم يسأله بسبب يوجب المطلوب وحينئذ

فيقال أما نفس التوسل والتوجه إلى الله ورسوله بالأعمال الصالحة التي أمر بها كدعاء الثلاثة الذين أوا إلى الغار بأعمالهم الصالحة وبدعاء الأنبياء والصالحين وشفاعتهم فهذا مما لا نزاع فيه بل هو من الوسيلة التي أمر الله بها في قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} المائدة 35 وقوله سبحانه {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} الإسراء 57 فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو طلب ما يتوسل به أي يتوصل ويتقرب به إليه سبحانه سواء كان على وجه العبادة والطاعة وامتثال الأمر أو كان على وجه السؤال له والاستعاذة به رغبة إليه في جلب المنافع ودفع المضار ولفظ الدعاء في القرآن يتناول هذا وهذا هو الدعاء بمعنى العبادة والدعاء بمعنى المسألة وإن كان كل منهما يستلزم الآخر لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجاته وتفريج كربته فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع وإن كان ذلك من العبادة والطاعة ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب من الرزق والنصر والعافية مطلقاً ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله عز وجل ومعونته ومحبته والتنعيم بذكره ودعائه ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدراً عنده من تلك الحاجة التي همته وهذا من رحمة الله بعباده يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية وقد يفعل العبد ابتداء ما أمر به لأجل العبادة لله والطاعة له ولما عنده من محبته والإنابة إليه وخشيته وامتثال أمره وإن كان ذلك يتضمن حصول الرزق والنصر والعافية وقد قال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أهل السنن أبو داود وغيره الدعاء هو العبادة ثم قرأ قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 وقد فسر هذا الحديث مع



القرآن بكلا النوعين قيل ادعوني أي اعبدوني وأطيعوا أمري  
استجب دعاءكم وقيل سلوني أعطكم وكلا النوعين حق<sup>1</sup>

## كل من عصى الله فهو جاهل

\*وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالما علما نافعا بأن فعل هذا يضره ضررا راجحا لم يفعله فإن هذا خاصية العاقل ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضررا راجحا كالسقوط من مكان عال أو في نهر يغرقه أو المرور بجانب حائط مائل أو دخول نار متأججة أو رمي ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه ومن لم يعلم أن هذا يضره كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد يفعل ذلك ومن أقدم على ما يضره مع علمه من الضرر عليه فلظنه أن منفعته راجحة فأما أن يجزم بضرر مرجوح أو يظن أن الخير راجح فلا بد من رجحان الخير إما في الظن وإما في المظنون كالذي يركب البحر ويسافر الأسفار البعيدة للربح فإنه لو جزم بأنه يغرق أو يخسر لما سافر لكنه يترجح عنده السلامة والربح وإن كان مخطئا في هذا الظن وكذلك الذنوب إذا جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يسرق وكذلك الزاني إذا جزم بأنه يرجم لم يزن والشارب يختلف حاله فقد يقدم على جلد أربع وثمانين ويديم الشرم مع ذلك ولهذا كان الصحيح أن عقوبة الشارب غير محددة بل يجوز أن تنتهي إلى القتل إذا لم ينته إلا بذلك كما جاءت بذلك الأحاديث كما هو مذكور في غير هذا الموضع وكذلك العقوبات متى جزم طالب الذنب بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله بل إما أن لا يكون جازما بتحريمه أو يكون غير جازم بعقوبته بل يرجو العفو بحسنات أو توبة أو

بعفو الله أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر تحريما ولا وعيدا  
 فيبقى غافلا غير مستحضر للتحريم والغفلة من أضداد العلم  
 فالغفلة والشهوة أصل الشر قال تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ  
 يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ  
 تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ  
 هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} الكهف 28 والهوى وحده لا يستقل بفعل  
 السيئات إلا مع الجهل وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعاً أن ذلك  
 يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع فإن الله تعالى  
 جعل في النفس حبا لما ينفعها وبغضا لما يضرها فلا تفعل ما  
 تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً بل متى فعلته كان لضعف  
 العقل ولهذا يوصف هذا بأنه عاقل وذو نهى وذو حجة  
 ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان لا من مجرد النفس فإن  
 الشيطان يزين لها السيئات ويأمرها بها ويذكر لها ما فيها من  
 المحاسن التي هي منافع لا مضار كما فعل إبليس بآدم وحواء  
 فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل وعدم العلم بكونها  
 تضرهم ضرراً راجحاً أو ظن أنها تنفعهم نفعاً راجحاً ولهذا قال  
 الصحابة رضي الله عنهم كل من عصى الله فهو جاهل قال تعالى  
 {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى  
 نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ  
 وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} الأنعام 54 ولهذا يسمى حال فعل  
 السيئات الجاهلية فإنه يصاحبها حال من حال جاهلية وعن  
 قتادة قال أجمع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم على أن كل  
 من عصى ربه فهو في جهالة عمداً كان أو لم يكن وكل من  
 عصى الله فهو جاهل وكذلك قال التابعون ومن بعدهم قال  
 مجاهد من عمل ذنباً من شيخ أو شاب فهو بجهالة وقال من  
 عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال أيضاً هو  
 إعطاء الجهل العمد وقال مجاهد أيضاً من عمل سوءاً خطأ أو  
 إثمياً عمداً فهو جاهل حتى ينزع منه رواهن ابن أبي حاتم ثم قال  
 وروى عن قتادة وعمر بن مرة والثوري ونحو ذلك ذلك

خطأ أو عمدا وروى عن مجاهد و الضحاك قال لا ليس من جهالته أن لا يعلم حلالا و لا حراما و لكن من جهالته حين دخل فيه و قال عكرمة الدنيا كلها جهالة و عن الحسن البصري أنه سئل عنها فقال هم قوم لم يعلموا مالهم مما عليهم قيل له أرأيت لو كانوا قد علموا قال فليخرجوا منها فانها جهالة قلت و مما يبين ذلك قوله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } فاطر 28 و كل من خشيه و أطاعه و ترك معصيته فهو عالم كما قال تعالى { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخْرَةَ وَيَزُجُّو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } الزمر 9 و قال رجل للشعبي أيها العالم فقال إنما العالم من يخشى الله و قوله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } فاطر 28 يقتضي أن كل من خشى الله فهو عالم فإنه لا يخشاه إلا عالم رضي الله عنه و يقتضي أيضا أن العالم من يخشى الله كما قال السلف قال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار جهلا<sup>1</sup>

\* فليس مجرد العلم موجبا لحب المعلوم إن لم يكن في النفس قوة أخرى تلائم المعلوم وهذه القوة موجودة في النفس و كل من القوتين تقوي بالأخر فالعلم يقوي العمل والعمل يقوي العلم فمن عرف الله و قلبه سليم أحبه و كلما ازداد له معرفة ازداد حبه له و كلما ازداد حبه له ازداد ذكره له و معرفته بأسمائه وصفاته فإن قوة الحب توجب كثرة ذكر المحبوب كما أن البغض يوجب الاعراض عن ذكر المبغض فمن عادى الله و رسوله وحاد الله و رسوله كان ذلك مقتضيا لإعراضه عن ذكر الله و رسوله بالخير و عن ذكر ما يوجب المحبة فيضعف علمه به حتى قد ينساه كما قال تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } الحشر 19

وقال تعالى { وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } الكهف 28 وقد يحصل مع ذلك تصديق

وعلم مع بغض ومعاداة لكن تصديق ضعيف وعلم ضعيف ولكن لولا البغض والمعاداة لأوجب ذلك من محبة الله ورسوله ما يصير به مؤمنا فمن شرط الإيمان وجود العلم التام ولهذا كان الصواب أن الجهل ببعض أسماء الله وصفاته لا يكون صاحبه كافرا إذا كان مقرا بما جاء به الرسول ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله على وجه يقتضي كفره إذا لم يعلمه كحديث الذي أمر أهله بتحريقه ثم تدريته بل العلماء بالله يتفاضلون في العلم به ولهذا يوصف من لم يعمل بعلمه بالجهل وعدم العلم قال تعالى { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ } النساء 17 قال أبو العالية سألت أصحاب محمد عن هذه الآية فقالوا لي كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ومنه قول ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالإغترار بالله جهلا وقيل للشعبي أيها العالم فقال العالم من يخشى الله وقد قال تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } فاطر 28 وقال أبو حيان التميمي العلماء ثلاثة عالم بالله وبأمر الله وعالم بالله ليس عالما بأمر الله وعالم بأمر الله ليس عالما بالله فالعالم بالله الذي يخشاه والعالم بأمر الله الذي يعلم حدوده وفرائضه وقد قال تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } فاطر 28 وهذا يدل على أن كل من خشي الله فهو عالم وهو حق ولا يدل على أن كل عالم يخشاه لكن لما كان العلم به موجبا للخشية عند عدم المعارض كان عدمه دليلا على ضعف الأصل إذ لو قوى لدفع المعارض وهكذا لفظ العقل يراد به الغريزة التي بها يعلم ويراد بها أنواع من العلم ويراد به العمل بموجب ذلك العلم وكذلك لفظ الجهل يعبر به عن عدم العلم ويعبر به عن عدم العمل بموجب العلم كما قال النبي إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فإن امرؤ شاتمته أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم والجهل هنا هو الكلام الباطل بمنزلة الجهل المركب ومنه قول الشاعر ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ومن هذا سميت

الجاهلية جاهلية وهي متضمنة لعدم العلم أو لعدم العمل به  
ومنه قول النبي لأبي ذر إنك أمرؤ فيك جاهلية لما ساب  
رجلا وعيره بأمه وقد قال تعالى {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي  
قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ} الفتح 26 فإن الغضب والحمية  
تحمل المرء على فعل ما يضره وترك ما ينفعه وهذا من الجهل  
الذي هو عمل بخلاف العلم حتى يقدم المرء على فعل ما يعلم أنه  
يضره وترك ما يعلم أنه ينفعه لما في نفسه من البغض والمعاداة  
لأشخاص وأفعال وهو في هذه الحال ليس عديم العلم والتصديق  
بالكلية لكنه لما في نفسه من بغض وحسد غلب موجب ذلك  
لموجب العلم فدل على ضعف العلم لعدم موجبه ومقتضاه ولكن  
ذلك الموجب والنتيجة لا توجد عنه وحده بل عنه وعمما في النفس  
من حب ما ينفعها وبغض ما يضرها فإذا حصل لها مرض  
ففسدت به أحبت ما يضرها وأبغضت ما ينفعها فتصير النفس  
كالمريض الذي يتناول ما يضره لشهوة نفسه له مع علمه أنه  
يضره قلت هذا معنى ما روي عن النبي أن الله يحب  
البصر النافذ عند ورود الشبهات ويحب العقل الكامل عند حلول  
الشهوات رواه البيهقي مرسلا وقد قال تعالى {وَإِذْ كُنَّا عِبَادًا  
لِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} ص 45  
فوصفهم بالقوة في العمل والبصيرة في العلم وأصل القوة قوة  
القلب الموجبة لمحبة الخير وبغض الشر فإن المؤمن قوته في  
قلبه وضعفه في جسمه والمنافق قوته في جسمه وضعفه في قلبه  
فالإيمان لا بد فيه من هذين الأصلين التصديق بالحق والمحبة له  
فهذا أصل القول وهذا أصل العمل<sup>1</sup>

\* قال تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ  
كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ  
تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} الانعام 54 والأمر التي  
حرمها الله ورسوله من الشرك والسحر والقتل والزنا وشهادة  
الزور وشرب الخمر وغير ذلك من المحرمات قد يكون للنفس  
فيها حظ مما تعده منفعة أو دفع مضره ولولا ذلك ما أقدمت

النفوس على المحرمات التي لا خير فيها بحال وإنما يوقع النفوس في المحرمات الجهل أو الحاجة فأما العالم بقبح الشيء والنهي عنه فكيف يفعله والذين يفعلون هذه الأمور جميعها قد يكون عندهم جهل بما فيه من الفساد وقد تكون بهم حاجة إليها مثل الشهوة إليها وقد يكون فيها من الضرر أعظم مما فيها من اللذة ولا يعلمون ذلك لجهلهم أو تغلبهم أهواؤهم حتى يفعلوها والهوى غالباً يجعل صاحبه كأنه لا يعلم من الحق شيئاً فإن حبك

للشيء يعمى ويصم ولهذا كان العالم يخشى الله قال تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {الأنعام 54} وقال أبو العالية سألت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله عز وجل {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} {النساء 17} الآية فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب وليس هذا موضع البسط لبيان ما في المنهيات من المفساد الغالبة وما في المأمورات من المصالح الغالبة بل يكفي المؤمن أن يعلم أن ما أمر الله به فهو لمصلحة محضة أو غالبية وما نهى الله عنه فهو مفسدة محضة أو غالبية وإن الله لا يأمر العباد بما أمرهم به لحاجته إليهم ولا نهاهم عما نهاهم بخلافه عليهم بل أمرهم بما فيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم ولهذا وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه {يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} {الأعراف 157} <sup>1</sup>

## التائب يتوب مما تركه من حقوق الله تعالى ومما فعله

### من السيئات

\*وقد قال سبحانه {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً

بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ { الأنعام 54  
وقال { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ  
يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا  
{ النساء 17 وقال { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ  
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ  
{ النحل 119 فهذا وان كان قال الصحابة والتابعون ان كل عاص  
فهو جاهل كما قد بسط في موضع آخر فهو متناول لمن يكون  
علم التحريم أيضا فدل على انه يكون عاملا سوءا وان كان لم  
يسمع الخطاب المبين المنهى عنه وانه يتوب من ذلك فيغفر الله  
له ويرحمه وان كان لا يستحق العقاب إلا بعد بلوغ الخطاب  
وقيام الحجة وإذا كانت التوبة والاستغفار تكون من ترك  
الواجبات وتكون مما لم يكن علم انه ذنب تبين كثرة ما يدخل في  
التوبة والاستغفار فان كثيرا من الناس إذا ذكرت التوبة  
والاستغفار يستشعر قبائح قد فعلها فعلم بالعلم العام أنها قبيحة  
كالفاحشة والظلم الظاهر فأما ما قد يتخذ دينا فلا يعلم أنه ذنب إلا  
من علم أنه باطل كدين المشركين وأهل الكتاب المبدل فانه مما  
تجب التوبة والاستغفار منه وأهله يحسبون أنهم على هدى  
وكذلك البدع كلها ولهذا قال طائفة من السلف منهم  
الثورى البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب  
منها والبدعة لا يتاب منها وهذا معنى ما روى عن طائفة أنهم  
قالوا إن الله حجر التوبة على كل صاحب بدعة بمعنى أنه لا  
يتوب منها لأنه يحسب انه على هدى ولو تاب لتاب عليه كما  
يتوب على الكافر ومن قال إنه لا يقبل توبة مبتدع مطلقا فقد غلط  
غلطا منكرا ومن قال ما اذن الله لصاحب بدعة فى توبة فمعناه ما  
دام مبتدعا يراها حسنة لا يتوب منها فأما إذا أراه الله أنها قبيحة  
فانه يتوب منها كما يرى الكافر أنه على ضلال والا فمعلوم أن  
كثيرا ممن كان على بدعة تبين له ضلالها وتاب الله عليه منها  
وهؤلاء لا يحصيهم إلا الله و الخوارج لما أرسل اليهم  
ابن عباس فناظرهم ورجع منهم نصفهم أو نحوه وتابوا وتاب

منهم آخرون على يد عمر بن عبد العزيز وغيره ومنهم من سمع العلم فتاب وهذا كثير فهذا القسم الذي لا يعلم فاعلوه قبحه قسم كثير من أهل القبلة وهو في غيرهم عام وكذلك ما يترك الإنسان من واجبات لا يعلم وجوبها كثيرة جدا ثم إذا علم ما كان قد تركه من الحسنات من التوحيد والايمان وما كان مأمورا بالتوبة منه والاستغفار مما كان سيئة والتائب يتوب مما تركه وضيعه وفرط فيه من حقوق الله تعالى كما يتوب مما فعله من السيئات وان كان قد فعل هذا وترك هذا قبل الرسالة فبالرسالة يستحق العقاب على ترك هذا وفعل هذا والا فكونه كان فاعلا للسيئات المذمومة وتاركا للحسنات التي يذم تاركها كان تائبا قبل ذلك كما تقدم وذكرنا القولين قول من نفى الذم والعقاب وقول من أثبت الذم والعقاب فان قيل إذا لم يكن معاقبا عليها فلا معنى لقبحها قيل بل فيه معنيان أحدهما أنه سبب للعقاب لكن هو متوقف على الشرط وهو الحجة قال تعالى { وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا } آل عمران 103 فلولا انقاذه لسقطوا ومن كان واقفا على شفير فهلك فهلاكه موقوف على سقوطه بخلاف ما اذا بان وبعد عن ذلك فقد بعد عن الهلاك فأصحابها كانوا قريبين إلى الهلاك والعذاب الثاني أنهم مذمومون منقوصون معيبون فدرجتهم منخفضة بذلك ولا بد ولو قدر أنهم لم يعذبوا لا يستحقون ما يستحقه السليم من ذلك من كرامته ايضا وثوابه فهذه عقوبة بحرمان خير وهي احد نوعي العقوبة وهذا وان كان حاصل لكل من ترك مستحبا فانه يفوته خيره ففرق بين ما يفوته ما لم يحصل له وبين ما ينقص ما عنده وهذا كلام عام فيما لم يعاقب عليه من الذنوب وأما من لم يرسل اليه رسول في الدنيا فقد رويت آثار أنهم يرسل اليهم رسول في عرصات القيامة كما قد بسط في مواضع<sup>1</sup>

\*وجميع ما يتوب العبد منه سواء كان فعلا أو تركا قد لا يكون كان عالما بأنه ينبغي التوبة منه وقد يكون كان عالما بذلك فإن الإنسان كثيرا ما يكون غير عالم بوجوب الشيء أو قبحه ثم يتبين له فيما



بعد وجوبه أو قبحه وقد يكون عالماً بوجوبه أو قبحه ويتركه أو يفعله لضعف المقتضى لفعل الواجب أو قوة المقتضى لفعل القبيح لكن هذا لا يكاد يقع إلا مع ضعف العلم بوجوبه وقبحه وإلا فإذا كمل العلم استلزم الإرادة الجازمة في الطرفين وقال تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ {الأنعام: 54} والمؤمن لا يزال يخرج

من الظلمات إلى النور ويزداد هدى فيتجدد له من العلم والإيمان ما لم يكن قبل ذلك فيتوب مما تركه وفعله والتوبة تصقل القلب وتجليه مما عرض له من رين الذنوب ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر لم يجعل أجر العاجز على إصابة الصواب مع اجتهاده كأجر القادر عليه كما جعل للمريض والمسافر مثل ثواب الصحيح المقيم كما جعل للمعذور من القاعدين عن الجهاد الذي تمت رغبته بمنزلة المجاهد فإن الأصل هو القلب والبدن تابع فالمستويان في عمل القلب إذا فعل كل منهما بقدر بدنه متمثالان بخلاف المتفاضلين في عمل القلب علمه وإرادته وما يتبع ذلك فإنهما لا يتمثالان ولهذا يعاقب العبد على ما تركه من الإيمان بقلبه وإن قيل إن ذلك تكليف ما لا يطاق ولا يعاقب على ما عجز عنه بدنه باتفاق المسلمين فهو يعاقب على ترك ما أمر بإرادته وفعله وإن كانت نفسه لا تريده ولا تحبه وليس هو معاقباً على ترك ما عجز عنه بدنه كجهاد المقعد والأعمى ونحوهما ونفسه إنما لا تعلم الحق الذي بعث الله به رسوله ولا تريده لتفريطه وتعديه إذ آيات ذلك الحق ظاهره وهو محبوب وقد خلق الله كل مولود على الفطرة التي تتضمن القوة على معرفة

هذا الحق وعلى محبته ولكن غير فطرته بما يقلده عن غيره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه كل مولود يولد على الفطرة فأبوه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء وإذا كان قد خلق

على الصحة والسلامة فهو يستحق العقوبة على ما غيره من خلق الله بتفريطه وعدوانه لاتباعه الظن وما تهوى الأنفس<sup>1</sup>

## التوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله

\*فالتوبة قد يكون من تمامها عمل صالح يعمله فيبتلى بعد التوبة لينظر دوام طاعته قال الله تعالى {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} آل عمران 89 في التائب من الردة وقال في كاتم العلم {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا قَوْلُكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} البقرة 160 وقال {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} الأنعام 54 وقال في القذف {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} النور 5 وقال {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} 70 {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا} 71 {الفرقان 70-71} وقال {وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} طه 82 و لما تاب كعب بن مالك و صاحبه أمر رسول اله صلى الله عليه و سلم المسلمين بهجرهم حتى نساهم ثمانين ليلة و قال النبي صلى الله عليه و سلم في الغامدية لما رجمها لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له و هل و جدت أفضل من أن جادت بنفسها لله و قد أخبر الله عن توبته على بنى إسرائيل حيث قال لهم موسى {يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارئِكُمْ} البقرة 54 و إذا كان الله تعالى قد يبتلى العبد من الحسنات و السيئات و السراء و الضراء بما يحصل معه شكره و صبره أم كفره و جزعه و طاعته أم معصيته فالتائب أحق بالإبتلاء فآدم أهبط إلى الأرض إبتلاء له و وفقه الله في هبوطه لطاعته فكان حاله بعد الهبوط خيرا من حاله قبل الهبوط<sup>1</sup>

## اعتقاد أهل السنة لا ينفون عنه ما وصف به نفسه

\*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} {الأنعام 54} <sup>1</sup>

\*وقال الإمام أبو عبدالله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه اعتقاد التوحيد باثبات الاسماء والصفات إلى أن قال فأول ما نبتدىء به ما أوردنا هذه المسألة من أجلها ذكر أسماء الله عز وجل في كتابه وما بين صلى الله عليه وسلم من

صفاته فى سنته وما وصف به عز وجل مما سنذكر قول القائلين بذلك مما لا يجوز لنا فى ذلك أن نرده الى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك ومما قد امرنا بالإستسلام له الى أن قال ثم ان الله تعرف الينا بعد اثبات الوجدانية والاقرار بالالوهية ان ذكر تعالى فى كتابه بعد التحقيق بما بدأ من اسمائه وصفاته وأكد عليه السلام بقوله فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله لا إله الا الله الى أن قال بآثبات نفسه بالتفصيل من المجمل فقال لموسى عليه السلام {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} طه 41 وقال { وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ } آل عمران 28 ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح عليه السلام فقال { تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ } المائدة 116 وقال عز وجل { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } الأنعام 54 وأكد عليه السلام صحة اثبات ذلك فى سنته فقال يقول الله عز وجل من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسه وقال كتب كتابا بيده على نفسه ان رحمتى غلبت غضبى وقال سبحان الله رضى نفسه وقال فى محاجة آدم لموسى أنت الذى اصطفاك الله واصطنعك لنفسه فقد صرح بظاهر قوله أنه اثبت لنفسه نفسا واثبت له الرسول ذلك فعلى من صدق الله ورسوله اعتقاد ما أخبر به عن نفسه ويكون ذلك مبينا على ظاهر قوله { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } الشورى 11 ثم قال فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه عليه السلام بنقل العدل عن العدل حتى يتصل به وان مما قضى الله علينا فى كتابه ووصف به نفسه ووردت السنة بصحة ذلك ان قال {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} النور 35 ثم قال عقيب ذلك { نُورٌ عَلَى نُورٍ } النور 35 وبذلك دعاه صلى الله عليه وسلم أنت نور السموات والأرض ثم ذكر حديث أبى موسى حجابة النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وقال سبحات وجهه جلاله ونوره نقله عن الخليل وأبى عبيد وقال قال عبدالله بن مسعود نور السموات نور وجهه<sup>1</sup>

## الله سبحانه أحكم كتابه ثم فصله وبينه لعباده

\* ان الله علم الانسان البيان كما قال تعالى { الرَّحْمَنُ } {1} { عَلَّمَ الْقُرْآنَ } {2} { خَلَقَ الْإِنْسَانَ } {3} { عَلَّمَهُ الْبَيَانَ } {4} { الرحمن 1-4 } وقال تعالى { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا } { البقرة 31 } وقال { عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } { العلق 5 } والبيان بيان القلب واللسان كما أن العمى والبكم يكون في القلب واللسان كما قال تعالى { صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } { البقرة 18 } وقال { صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } { البقرة 171 } وقال النبي هلا سألوا إذا لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال وفي الاثر العي عي القلب لا عي اللسان أو قال شر العي عي القلب وكان مسعود يقول إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه وتبين الأشياء للقلب ضد اشتباهم عليه كما قال الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات الحديث وقد قرىء قوله { وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } { الأنعام 55 } بالرفع والنصب أي ولتتبين أنت سبيلهم فالانسان يستبين الأشياء وهم يقولون قد بان الشيء وبينته وتبين الشيء وتبينته واستبان الشيء واستبينته كل هذا يستعمل لازما ومتعديا ومنه قوله تعالى { إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا } { الحجرات 6 } هو هنا معتد ومنه قوله { بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ } { النساء 19 } أي متبينة فهنا هو لازم والبيان كالكلام يكون مصدر بان الشيء بيانا ويكون اسم مصدر لبين كالكلام والسلام لسلم وبين فيكون البيان بمعنى تبين الشيء ويكون بمعنى بينت الشيء أي اوضحته وهذا هو الغالب عليه<sup>1</sup>

\*وقوله تعالى { كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ } هود 1 فقد فصله بعد أحكامه بخلاف من تكلم بكلام لم يحكمه وقد يكون في الكلام المحكم ما لم يبينه لغيره فهو سبحانه أحكم كتابه ثم فصله وبينه لعباده كما قال { وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ } الأنعام 55 وقال { وَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } الأعراف 52 فهو سبحانه بينه وأنزله على عباده بعلم ليس كمن يتكلم بلا علم<sup>1</sup>

### لفظ الدعاء يتناول معنيين

\*و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى { قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُمْ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } الأنعام 56<sup>1</sup>

\* لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء 213 وقال تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } المؤمنون 117 وقال تعالى { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } القصص 88 وقال { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } الجن 19 وقال { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا } النساء 117 ولفظ الصلاة في اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر اولاً لفظ الدعاء ثم ذكر

السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر  
السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد  
ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص  
على العام وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ  
أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } البقرة 186 وكل سائل راغب  
راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب  
يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد  
الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه  
يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ  
السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الامر وان لم  
يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر  
اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده  
ويرهب من فواته قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي  
الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } الانبياء 90 وقال تعالى  
{ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا  
} السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء  
مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع <sup>1</sup>

\* والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة  
والإستعانة كما قال تعالى { فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ  
كَرِهَ الْكَافِرُونَ } غافر 14 ودم الذين يدعون الملائكة والأنبياء  
وغيرهم فقال { قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ  
قُلْ لَأَتَّبِعَ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ  
} الأنعام 156<sup>1</sup>

العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما  
يخالفه

\* {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} {الأنعام 56} قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهي وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون<sup>1</sup>

### {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ}

\*والهوى مصدر هوى يهوى هوى ونفس المهوي يسمى هوى ما يهوى فاتباعه كاتباع السبيل كما قال تعالى { قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } {الأنعام 56} وكما في لفظ الشهوة فاتباع الهوى يراد به نفس مسمى المصدر أي اتباع ارادته ومحبته التي هي هواه واتباع الارادة هو فعل ما تهواه النفس كقوله تعالى { وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ } لقمان 15 وقوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } {الأنعام 153} وقال {اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } الأعراف 3 فلفظ الاتباع يكون للأمر النهي وللأمر والنهي وللمأمور به والمنهي عنه وهو الصراط المستقيم كذلك يكون للهوى أمر ونهي وهو أمر النفس ونهيا كما قال تعالى ان النفس لأماراة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم ولكن



ما يأمر به من الأفعال المذمومة فأحدها مستلزم للآخر فاتباع الأمر هو فعل المأمور واتباع أمر النفس هو فعل ما تهواه فعلى هذه يعلم أن اتباع الشهوات واتباع الأهواء هو اتباع شهوة النفس وهواها وذلك يفعل ما تستهيه وتهواه بل قد يقال هذا هو الذي يتعين في لفظ اتباع الشهوات والأهواء لأن الذي يشتهي ويهوى إنما يصير موجودا بعد أن يشتهي ويهوى وإنما يذم الانسان اذا فعل ما يشتهي ويهوى عند وجود فهو حينئذ قد فعل ولا ينهى عنه بعد وجوده ولا يقال لصاحبه لا تتبع هواك وأيضا فالفعل المراد المشتهى الذي يهواه الانسان هو تابع لشهوته وهواه فليست الشهوة والهوى تابعة له فاتباع الشهوات هو اتباع شهوة النفس واذا جعلت الشهوة بمعنى المشتهى كان مع مخالفة الأصل يحتاج الى أن يجعل في الخارج ما يشتهي والانسان يتبعه كالمرأة المطلوبة أو الطعام المطلوب وإن سميت المرأة شهوة والطعام أيضا كما في قوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي أي بترك شهوته وهو إنما يترك ما يشتهي كما يترك الطعام لا أنه يدع طعامه بترك الشهوة الموجودة في نفسه فإن تلك مخلوقة فيه مجبول عليها وإنما يثاب اذا ترك ما تطلبه تلك الشهوة و حقيقة الأمر أنهما متلازمان فمن اتبع نفس شهوته القائمة بنفسه اتبع ما يشتهي وكذلك من اتبع الهوى القائم بنفسه اتبع ما يهواه فإن ذلك من آثار الارادة واتباع الارادة هو امتثال أمرها وفعل ما تطلبه كالمأمور الذي يتبع أمر أميره ولا بد أن يتصور مراده الذي يهواه ويشتهي في نفسه ويتخيله قبل فعله فيبقى ذلك المثال كالإمام مع المأموم يتبعه حيث كان وفعله في الظاهر تبع لاتباع الباطن فتبقى صورة المراد المطلوب المشتهى التي في النفس هي المحركة للانسان الأمرة له ولهذا يقال العلة الغائية علة فاعلية فإن الانسان للعلة الغائية بهذا التصور والارادة صار فاعلا للنفعل وهذه الصورة المرادة المتصورة في النفس هي التي جعلت الفاعل فاعلا فيكون الانسان متبعا لها

والشيطان يمدّه في الغي فهو يقوي تلك الصورة ويقوي أثرها  
 ويزين للناس اتباعها وتلك الصورة تتناول صورة العين  
 المطلوبة كالمحبوب من الصور والطعام والشراب وتتناول نفس  
 الفعل الذي هو المباشرة لذلك المطلوب المحبوب والشيطان  
 والنفس تحب ذلك وكلما تصور ذلك المحبوب في نفسه أراد  
 وجوده في الخارج فإن أول الفكر آخر العمل وأول البغية آخر  
 الدرك ولهذا يبقى الإنسان عند شهوته وهواه أسيرا لذلك مقهورا  
 تحت سلطان الهوى أعظم من قهر كل قاهر فإن هذا القاهر  
 الهوائي القاهر للعبد هو صفة قائمة بنفسه لا يمكنه مفارقتها البتة  
 والصورة الذهنية تطلبها النفس فإن المحبوب تطلب النفس أن  
 تدركه وتمثله لها في نفسها فو متبع للارادة وإن كانت الذهنية  
 والتزين من الزين والمراد التصور في نفسه والمشتهى الموجود  
 في الخارج له محركان التصور والمشتهى هذا يحركه تحريك  
 طلب وأمر وهذا يأمره أن يتبع طلبه وأمره فاتباع الشهوات  
 والأهواء يتناول هذا كله بخلاف كل قاهر ينفصل عن الإنسان  
 فإنه يمكنه مفارقتها مع بقاء نفسه على حالها وهذا انما يفارقه  
 بتغير صفة نفسه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث  
 مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وثلاث  
 منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنا  
 وكلمة الحق في الغضب والرضا وقوله في الحديث هوى متبع  
 فيه دليل على أن المتبع هو ما قام في النفس كقوله في الشح  
 المطاع وجعل الشح مطاعا لأنه هو الأمر وجعل الهوى متبعا  
 لأن المتبع قد يكون اماما يقتدى به ولا يكون أمرا<sup>1</sup>

### { إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي }

\*قال تعالى { قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا  
 تَسْتَعِجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ  
 الْفَاصِلِينَ } الانعام 57 البينة من البيان و البينة هي السبيل  
 البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق

فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله { أَوْلَم تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى } طه 133 أي بيان ما فيها أو يبين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول بينة كما قال { حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } 1 { رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ } 2 { البينة 1- 2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بينة ونور من ربه<sup>1</sup>

\* ان الله علم الانسان البيان كما قال تعالى { الرَّحْمَنُ } 1 { عَلَّمَ الْقُرْآنَ } 2 { خَلَقَ الْإِنْسَانَ } 3 { عَلَّمَهُ الْبَيَانَ } 4 { الرحمن 1- 4 وقال تعالى { وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا } البقرة 31 وقال { عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } العلق 5 والبيان بيان القلب واللسان كما أن العمى والبكم يكون في القلب واللسان كما قال تعالى { صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } البقرة 18 وقال { صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } البقرة 171 وقال النبي هلا سألوا إذا لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال وفي الاثر العي عي القلب لا عي اللسان أو قال شر العي عي القلب وكان مسعود يقول إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطبائه وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطبائه وتبين الأشياء للقلب ضد اشتباهم عليه كما قال الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات الحديث وقد قرىء قوله { وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } الأنعام 55 بالرفع والنصب أي ولتنتبين انت سبيلهم فالانسان يستبين الأشياء وهم يقولون قد بان الشيء وبينته وتبين الشيء وتبينته واستبان الشيء واستتبنته كل هذا يستعمل لازما ومتعديا ومنه قوله تعالى { إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا } الحجرات 6 هو هنا معتد ومنه قوله { بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ } النساء 19 أي متبينة فهنا هو لازم والبيان كالكلام يكون مصدر بان الشيء بيانا ويكون اسم مصدر لبين كالكلام والسلام لسلم وبين فيكون البيان بمعنى تبين الشيء ويكون بمعنى بينت الشيء أي اوضحته وهذا هو الغالب عليه ومنه قوله ان من

البيان لسحرا والمقصود ببيان الكلام حصول البيان لقلب المستمع حتى يتبين له الشيء ويستبين كما قال تعالى { هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ } آل عمران 138 الآية ومع هذا فالذي لا يستبين له كما قال تعالى { قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ } فصلت 44 وقال { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } النحل 44 وقال { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ } إبراهيم 4 وقال { وَمَا عَلَيَّ الرَّسُولُ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النور 54 وقال { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ } التوبة 115 وقال { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } النساء 176 وقال **{ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي } الأنعام 57** الآية وقال { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ } هود 17 وقال { وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } البقرة 99 وقال { يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } النور 61 فأما الأشياء المعلومة التي ليس في زيادة وصفها إلا كثرة كلام وتفهيق وتشدق وتكبر والافصاح بذكر الأشياء التي يستقبح ذكرها فهذا مما ينهى عنه كما جاء في الحديث أن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها وفي الحديث الحياء والعي شعبتان من الايمان والبداء والبيان شعبتان من النفاق ولهذا قال إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته منته من فقهه وفي حديث سعد لما سمع ابنه أو لما وجد ابنه يدعو وهو يقول اللهم أني اسألك الجنة ونعيمها وبهجتها وكذا وكذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها واغلالها وكذا وكذا قال يا بني اني سمعت رسول الله يقول سيكون قوم يعتدون في الدعاء فايك ان تكون منهم إنك إن أعطيت الجنة اعطيتها وما فيها من الخير وان اعذت من النار أعذت منها وما فيها من الشر<sup>1</sup>

\* وقوله { أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ } هود 17 كما تقدم هو كقوله **{ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي } الأنعام 57** وقوله

{ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } محمد 14 وقوله { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ } الزمر 22 وقوله { أَوْلَيْكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } البقرة 5 فإن هذا النوع يبين أن المؤمن على أمر من الله فاجتمع في هذا اللفظ حرف الاستعلاء وحرف من لإبتداء الغاية وما يستعمل فيه حرف ابتداء الغاية فيقال هو من الله على نوعين فإنه أما أن يكون من الصفات التي لا تقوم بنفسها ولا بمخلوق فهذا يكون صفة له وما كان عينا قائمة بنفسها أو بمخلوق فهي مخلوقة فالأول كقوله { وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي } السجدة 13 وقوله { يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ } الأنعام 114 كما قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدا وإليه يعود والنوع الثاني كقوله { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } الجاثية 13 وقوله { وَمَا بِكُمْ مِّن نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ } النحل 53 و { مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } النساء 79 وكما يقال إلهام الخير وإيحاؤه من الله وإلهام الشر وإيحاؤه من الشيطان والوسوسة من الشيطان فهذا نوعان تارة باعتبار السبب وتارة باعتبار العاقبة والغاية فالحسنات هي النعم والسيئات هي المصائب كلها من عند الله لكن تلك الحسنات أنعم الله بها على العبد فهي منه إحسانا وتفضلا وهذه عقوبة ذنب من نفس العبد فهي من نفسه باعتبار أن عمله السيء كان سببها وهي عقوبة له لأن النفس أرادت تلك الذنوب ووسوست بها وتارة يقال باعتبار حسنات العمل وسيئاته وما يلقى في القلب من التصورات والإرادات فيقال للحق هو من الله ألهمه العبد ويقال للباطل أنه من الشيطان وسوس به ومن النفس أيضا لأنها أرادته كما قال عمر وابن عمر وابن مسعود فيما قالوه بإجتهداهم إن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمننا ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه وهذا لفظ ابن مسعود في حديث بروع بنت واشق قال إن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان لأنه حكم بحكم فإن كان موقفا لحكم الله

فهو من الله لأنه موافق لعلمه وحكمه فهو منه بإعتبار أنه سبحانه  
ألهمه عبده لم يحصل بتوسيط الشيطان والنفس وإن كان خطأ  
فالشيطان وسوس به والنفس أرادته ووسوست به وأن كان ذلك  
مخلوقا فيه والله خلقه فيه لكن الله لم يحكم به وأن لم يكن ما وقع  
لي من إلهام الملك كما قال ابن مسعود أن للملك بقلب ابن آدم لمة  
وللشيطان لمة فلمة الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة  
الشيطان إيعاد بالشر وتكذيب بالحق فالتصديق من باب الخبر  
والإيعاد بالخير والشر من باب الطلب والارادة قال تعالى  
{ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ  
وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } البقرة 268 فإن ما يلقيه الله فى قلوب  
المؤمنين من الالهامات الصادقة العادلة هي من وحي الله وكذلك  
ما يريهم إياه فى المنام قال عبادة بن الصامت رؤيا المؤمن كلام  
يكلم به الرب عبده فى منامه وقال عمر اقتربوا من أفواه  
المطيعين واسمعوا منهم ما يقولون فإنهم يتجلى لهم أمور صادقة  
وقد قال تعالى { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي  
وَبِرَسُولِي } المائدة 111 { وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ } القصص 7  
{ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَّبِّئَهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا } يوسف 15 وذلك الهدى  
المختص وإن كان قد سماه إلهاما كما سماه هدى كما فى قوله  
{ وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ } فصلت 17  
وكذلك قد قيل فى قوله { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } البلد 10 أي بيناه له  
طريق الخير والشر وهو هدى البيان العام المشترك وقيل هدينا  
المؤمن لطريق الخير والكافر لطريق الشر فعلى هذا يكون قد  
جعل الفجور هدى كما جعل أولئك البيان إلهاما وكذلك قوله  
{ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } الإنسان 3 قيل هو  
الهدى المشترك وهو أنه بين له الطريق التى يجب سلوكها  
والطريق التى لا يجب سلوكها وقيل بل هدى كلا من الطائفتين  
إلى ما سلكه من السبيل إما شاكرا وإما كفورا لكن تسمية  
هذا هدى قد يعتذر عنه بأنه هدى مقيد لا مطلق كما قال  
{ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } الانشقاق 24 وكما قال { يُؤْمِنُونَ }

بِالْحَبِيبِ وَالطَّاعُوتِ { النساء 51 وأنه { يَقُولُ الْحَقَّ { الأحزاب 4  
و { يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ { النحل 90 فهو موافق لقوله وأمره لعلمه  
وحكمه كما أن القرآن وسائر كلامه كذلك وباعتبار أنه أنعم على  
العبد بواسطة جنده بالملائكة ويقال لصد هذا وهو الخطأ هذا  
من الشيطان والنفس لأن الله لا يقوله ولا يأمر به ولأنه إنما ينكته  
في قلب الإنسان الشيطان ونفسه تقبله من الشيطان فإنه يزين لها  
الشيء فتطيعه فيه وليس كل ما كان من الشيطان يعاقب عليه  
العبد ولكن يفوته به نوع من الحسنات كالنسيان فإنه من الشيطان  
والاحتلام من الشيطان والنعاس عند الذكر والصلاة من الشيطان  
والصعق عند الذكر من الشيطان ولا إثم على العبد فيما غلب  
عليه إذا لم يكن ذلك بقصد منه أو بذنب فقوله { إِنِّي عَلَى  
بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي { الأنعام 57 وشبهها مما تقدم ذكره من هذا الباب  
وكذلك قوله { ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ  
آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِّن رَّبِّهِمْ { محمد 3 فإن المؤمنين على  
تصديق ما أخبر الله به وفعل ما أمر الله ابتداءً وتبليغاً كالقرآن وقد  
قال أن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فهي تنزل  
في قلوب المؤمنين من نوره وهداه وهذه حسنات دينية وعلوم  
دينية حق نافعة في الدنيا والآخرة وهو الإيمان الذي هو أفضل  
المنعم وهو أفضل النعم<sup>1</sup>

\* وقوله تعالى { أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ  
{ هو د 17 وهذا يعم جميع من هو على بينة من ربه ويتلوه شاهد  
منه فالبينة العلم النافع والشاهد الذي يتلوه العمل الصالح وذلك  
يتناول الرسول ومن اتبعه إلى يوم القيامة فإن الرسول على بينة  
من ربه ومتبعيه على بينة من ربه وقال في حق الرسول  
{ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي { الأنعام 57 وقال في حق  
المؤمنين { أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ  
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ { محمد 14 فذكر هذا بعد أن ذكر الصنفين في  
أول السورة فقال { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ  
أَعْمَالَهُمْ { 1 } وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ

عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ  
 بِالْهَمِّ {2} ذَلِكَ بَأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا  
 اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ {3} محمد 1-3 الآيات إلى قوله {أَفَمَنْ  
 كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ  
 {محمد 14 وقال أبو الدرداء لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم  
 ويتركوا ما جاءتهم به أنبياءهم من البينات والهدى<sup>1</sup>

## الفرق بين أمره الديني وخلقه الكوني

\* إن الله سبحانه قد فرق بالقرآن وبالإيمان بين أمره الديني وخلقه  
 الكوني فإن الله سبحانه خالق كل شيء ورب كل شيء ومليكه  
 سواء في ذلك الذوات وصفاتها وأفعالها وما شاء الله كان وما لم  
 يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته شيء ولا يكون شيء الا  
 بمشيئته وقد فرق الله في كتابه بين القسمين بين من قام بكلماته  
 الكونيات وبين من اتبع كلماته الدينيات وذلك في أمره وإرادته  
 وقضائه وحكمه وإذنه وبعثه وارساله فقال في الحكم الديني  
 {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ  
 {المائدة 50 وقال في الحكم الكوني {فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ  
 يَأْتَنِّي لِئَ لَا يَأْتِيَ اللَّهُ بِأُمَّةٍ وَلَا يَجُودَ بِقُرْبَىٰ وَلَا يَلْمِزُ أَهْلًا  
 وَلَا يَلْمِزُ أَهْلًا وَلَا يَلْمِزُ أَهْلًا وَلَا يَلْمِزُ أَهْلًا وَلَا يَلْمِزُ أَهْلًا وَلَا يَلْمِزُ أَهْلًا  
 وبهذا الجمع والتفريق تزول الشبهة في مسألة الأمر الشرعي هل  
 هو مستلزم للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم  
 للإرادة الكونية القدرية وإن كان مستلزما للإرادة الدينية الشرعية  
 وقد يجمع الحكمين مثل ما في قوله {إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ  
 {الأنعام 57<sup>1</sup>

## الله سبحانه يحكم ويشهد ويفتي ويقص ويبشر ويهدي بكلامه

\* إن الله أخبر بشهادته لرسوله في غير موضع وسمى ما أنزله  
 شهادة منه في قوله { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ  
 {البقرة 140 فدل على أن كلام الله الذي أنزله وأخبر فيه بما أخبر



شهادة منه وهو سبحانه يحكم ويشهد ويفتى ويقص ويبشر ويهدى بكلامه ويصف كلامه بأنه يحكم ويفتى ويقص ويهدى ويبشر وينذر كما قال { قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُمْ فِيهِنَّ { النساء 127 } قُلِ اللَّهُ يُفْتِكُمْ فِي الْكَلَالَةِ { النساء 176 } وقال { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ { النمل 76 } وقال { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ { يوسف 3 } وقال { قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْصُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ { الأنعام 57 } وقال { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ { الإسراء 9 } وكذلك سمى الرسول هاديا فقال { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { الشورى 52 } كما سماه بشيرا ونذيرا وسمى القرآن بشيرا ونذيرا فكذاك لما كان هو يشهد للرسول وكان والمؤمنين بكلامه الذي أنزله وكان كلامه شهادة منه كان كلامه شاهدا منه كما كان يحكم ويفتى ويقص ويبشر وينذر<sup>1</sup>

{ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ { الأنعام 58 }

### لطائف لغوية

\*قال تعالى { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ { الأنعام 52 } لفظ الدعاء والدعوة فى القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ { الشعراء 213 } وقال تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ { المؤمنون 117 } وقال تعالى { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ { القصص 88 } وقال { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا { الجن 19 } وقال { إِنَّ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا { النساء 117 }

ولفظ الصلاة فى اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفى الصحيحين عن النبى انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعونى فأستجيب له من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له فذكر اولاً لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعاً بعد ذكر الداعى الذى يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسئول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذى يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتنال الامر وان لم يكن فى ذلك صيغ سؤال والعابد الذى يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يريد فى حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } الانبياء 90 وقال تعالى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع<sup>1</sup>

\*و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى { أَعْبُدِ اللَّهَ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } الأنعام 40 و قال تعالى { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } الأنعام 152

\*فإن لفظ كل شيء يعم في كل موضع بحسب ما سيقته له كما في قوله { بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } البقرة 29 { عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } البقرة 20 وقوله { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } الزمر 62 و { تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ } الأحقاف 25 { وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ } النمل 23 و { فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 44 { وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ } الذاريات 49<sup>1</sup>

\* وقال تعالى { فَفُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 45 ان أصناف العالمين يراد به جميع اصناف الخلق كما في قوله تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2<sup>1</sup>

\* قال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {48} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } {49} الانعام 48-49  
ومعلوم أنه لم يبعث لمجرد الإنذار بل وليبشر من آمن به ولأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث وغير ذلك من مقاصد الرسل وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة في قوله { لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْذَرْنَا آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ } يس 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإنذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصهم لانتفاء إنذار من سواهم<sup>1</sup>

\* قال تعالى { وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {48} وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } {49} الانعام 48-49  
فإن انتفاء الخوف علة تقتضى انتفاء ما يخافه ولهذا قال { وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 62 لم يقل لا يخافون فهم لا خوف عليهم وان كانوا يخافون الله ونفى عنهم أن يحزنوا لان

الحزن انما يكون على ماض فهم لا يحزنون بحال لا فى القبر ولا فى عرصات القيامة بخلاف الخوف فانه قد يحصل لهم قبل دخول الجنة ولا خوف عليهم فى الباطن كما قال تعالى {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {62} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} {63} يونس 62- 63<sup>1</sup>

\*قال تعالى {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنَّا تَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ} {الأنعام 50} التسوية جعل الشيبين سواء كما قال {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ} {فاطر 19} <sup>1</sup>

\*قوله تعالى {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} {الأنعام 51} اللام لام التعليل (لامات كي) <sup>1</sup>

\*ومن تكون لبيان الجنس فلا يقتضى أن يكون قد بقى من المجرور بها شيء خارج عن ذلك الجنس كما فى قوله تعالى { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ } {الحج 30} فانه لا يقتضى أن يكون من الأوثان ما ليس برجس وإذا قلت ثوب من حرير فهو كقولك ثوب حرير وكذلك قولك باب من حديد كقولك باب حديد وذلك لا يقتضى أن يكون هناك حرير وحديد غير المضاف إليه وإن كان الذي يتصوره كلياً فإن الجنس الكلي هو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه وإن لم يكن مشتركاً فيه فى الوجود ولما قال لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم {وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحاً نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْدَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً} {الأحزاب 31} لم يمنع أن يكون كل منهن تقنت لله ورسوله وتعمل صالحاً ولما قال تعالى {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بَـجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {الأنعام 54} لم يمنع هذا أن يكون كل منهم متصفاً بهذه الصفة و يجوز أن يقال إنهم لو عملوا سوءاً بجهالة ثم تابوا من

بعده وأصلحوا لم يغفر إلا لبعضهم ولهذا تدخل من هذه في  
 النفي لتحقيق نفي الجنس كما في قوله تعالى { وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِّنْ  
 عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ } {الطور 21} وقوله { وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ } {آل  
 عمران 62} وقوله { فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ  
 } {الحاقة 47} ولهذا إذا دخلت في النفي تحقيقاً أو تقديراً أفادت نفي  
 الجنس قطعاً فالتحقيق ما ذكره والتقدير كقوله تعالى { وَمَا مِنْ  
 إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ } {آل عمران 62} وقوله { لَا رَيْبَ فِيهِ } {البقرة 2} ونحو  
 ذلك<sup>1</sup>

\* في قوله تعالى { أَيْعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا  
 أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ } {المؤمنون 35} طال الفصل بين أن وإسمها  
 وخبرها فأعاد أن لتقع على الخبر لتأكيد به ونظير هذا  
 قوله تعالى { أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ  
 جَهَنَّمَ } {التوبة 63} لما طال الكلام أعاد أن هذا قول الزجاج  
 وطائفة وأحسن من هذا أن يقال كل واحدة من هاتين الجملتين  
 شرطية مركبة من جملتين جزائيتين فأكدت الجملة الشرطية  
 بأن على حد تأكيدها في قول الشاعر إن من يدخل الكنيسة  
 يوماً يلق فيها جاذراً وظباءً ثم أكدت الجملة الجزائية  
 ب أن إذ هي المقصودة على حد تأكيدها في قوله تعالى  
 { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ  
 الْمُصْلِحِينَ } {الأعراف 170} ونظير الجمع بين تأكيد الجملة  
 الكبرى المركبة من الشرط والجزاء وتأكيد جملة الجزاء قوله  
 تعالى { إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ  
 } {يوسف 90} فلا يقال في هذا إن أعيدت لطول الكلام  
 ونظيره قوله تعالى { إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا  
 يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى } {طه 74} ونظيره { **أَنَّهُ مَن عَمَلٍ مِنْكُمْ  
 سُوْءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**  
**{ الأنعام 54}** فهما تأكيدان مقصودان لمعنيين مختلفين ألا ترى  
 تأكيد قوله غفور رحيم ب إن غير تأكيد من عمل

سوءاً بجهالة فإنه غفور رحيم له ب أن وهذا ظاهر  
لإخفاء به وهو كثير في القرآن وكلام العرب<sup>1</sup>

\* قال تعالى { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ { الأنعام 54  
ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة<sup>1</sup>

\*يراد بنفس الشيء ذاته وعينه كما يقال رأيت زيدا نفسه وقد  
قال تعالى { تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ  
{ المائدة 116 وقال { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ  
{ الأنعام 54 وقال تعالى { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ { آل  
عمران 28 وفي الحديث الصحيح انه قال لأم المؤمنين لقد  
قلت بعدك اربع كلمات لو وزن بما قلتيه لوزنتهن سبحان الله عدد  
خلقه سبحان الله زنة عرشه سبحان الله رضا نفسه سبحان الله  
مداد كلماته وفي الحديث الصحيح الالهي عن النبي صلى الله  
عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه  
حين يذكرني ان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في  
ملا ذكرته في ملا خير منهم فهذه المواضع المراد المراد  
فيها بلفظ النفس عند جمهور العلماء الله نفسه التي هي ذاته  
المتصفة بصفاته ليس المراد بها ذاتا منفكة عن الصفات ولا  
المراد بها صفة للذات وطائفة من الناس يجعلونها من باب  
الصفات كما يظن طائفة انها الذات المجردة عن الصفات وكلا  
القولين خطأ<sup>1</sup>

\* تقول طائفة جاهلية وشاعر جاهلي وذلك نسبة إلى الجهل  
الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم فإن من لم يعلم الحق فهو  
جاهل جهلا بسيطا فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلا مركبا فإن  
قال خلاف الحق عالما بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضا كما  
قال تعالى { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً { الفرقان 63  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث  
ولا يفسق ولا يجهل ومن هذا قول بعض الشعراء ألا لا

يجهلن أحد علينا فجهل فوق جهل الجاهلينا وهذا كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق كما قال سبحانه { **أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ** { **الأنعام54** قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءاً فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلاً بهذا الاعتبار<sup>1</sup>

\* ان الله علم الانسان البيان كما قال تعالى { الرَّحْمَنُ } {1} { **عَلَّمَ** **الْقُرْآنَ** } {2} { **خَلَقَ الْإِنْسَانَ** } {3} { **عَلَّمَهُ الْبَيَانَ** } {4} { الرحمن 1-4 } وقال تعالى { **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا** } {البقرة 31} وقال { **عَلَّمَ** **الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** } {العلق 5} والبيان بيان القلب واللسان كما أن العمى والبكم يكون في القلب واللسان كما قال تعالى { **صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** } {البقرة 18} وقال { **صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** } {البقرة 171} وقال النبي هلا سألو إذا لم يعلموا إنما شفاء العي السؤال وفي الاثر العي عي القلب لا عي اللسان أو قال شر العي عي القلب وكان مسعود يقول إنكم في زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه وسيأتي عليكم زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه وتبين الأشياء للقلب ضد اشتباهم عليه كما قال الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات الحديث وقد قرىء قوله { **وَكَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ وَلِنَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ** } {الأنعام 55} بالرفع والنصب أي ولتتبين أنت سبيلهم فالانسان يستبين الأشياء وهم يقولون قد بان الشيء وبينته وتبين الشيء وتبينته واستبان الشيء واستبينته كل هذا يستعمل لازماً ومتعدياً ومنه قوله تعالى { **إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَاءٍ فَتَبَيَّنُوا** } {الحجرات 6} هو هنا معتد ومنه قوله { **بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ** } {النساء 19} أي متبينة فهنا هو لازم والبيان كالكلام يكون مصدر بان الشيء بيانا ويكون اسم مصدر لبين كالكلام والسلام

لسلم وبين فيكون البيان بمعنى تبين الشيء ويكون بمعنى بينت الشيء أي اوضحته وهذا هو الغالب عليه<sup>1</sup>

\* قال تعالى { قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَأَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } الانعام 56  
عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى إذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما في قوله { وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما في قوله { شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَنَبَاهُ وَهَدَاهُ } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ } 69 { فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } 70 { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } 71 { الصافات 69- 71 وقوله { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } 67 { رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } 68 { الأحزاب 67- 68 وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 ثم يقرن بالغي والغضب كما في قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 وفي قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ } القمر<sup>1</sup> 47



\*و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى { قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ } الأنعام 56<sup>1</sup>

\*قال تعالى { قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ يَفْصُلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ } الأنعام 57 البينة من البيان و البينة هي السبيل البينة وهي الطريق البينة الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله { أَوَلَمْ تَأْتِيهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ } طه 133 أي بيان ما فيها أو يبين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول بينة كما قال { حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } 1 { رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ } 2 { البينة 1 - 2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بينة ونور من ربه<sup>1</sup>



## الأنعام 59-73

وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي  
ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ  
مُبِينٍ {59} وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم  
بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ  
ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {60} وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ  
وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ  
رُسُلْنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ {61} ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ  
الْحَقِّ الْأَلَهُ الْحَكْمَ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ {62} قُلْ مَنْ  
يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً  
لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ {63} قُلِ اللَّهُ  
يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلَّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ {64} قُلْ هُوَ  
الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ  
أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ  
كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ {65} وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ  
وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ {66} لَكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ  
وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ {67} وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي  
آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا  
يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ  
الظَّالِمِينَ {68} وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ  
شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ {69} وَذُرِّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا  
دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ  
نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ أَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ  
تَعَدَّلَ كُلٌّ عَدَلٌ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا

كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا  
يَكْفُرُونَ {70} قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا  
يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ  
الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ  
الْهُدَىٰ انْتَنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لَّنَسْلَمَ لِرَبِّ  
الْعَالَمِينَ {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ  
تُحْشَرُونَ {72} وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ  
يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ  
الْخَبِيرُ {73}

### كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق

\*وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره  
والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين  
فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله تعالى عليم بما الخلق عاملون  
بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وأبداً وعلم جميع أحوالهم  
من الطاعات والمعاصي والأرزاق والأجال ثم كتب الله في اللوح  
المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ما  
أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم  
يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت  
الصحف كما قال تعالى {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ  
وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ  
فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ  
{الأنعام59} وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع  
جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء وإذا خلق  
جسد الجنين قبل خلق الروح فيه بعث إليه ملكا فيؤمر بأربع

كلمات فيقال له اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك (فيه نقص هنا الرجوع الى نفس المرجع)<sup>1</sup>

\*و التوحيد فى العبادات المتضمن للإيمان بالشرع والقدر جميعا فنقول لا بد من الإيمان بخلق الله وأمره فيجب الإيمان بأن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه وأنه على كل شيء قدير وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله وقد علم ما سيكون قبل أن يكون وقدر المقادير وكتبها حيث شاء كما قال تعالى { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج 70 وفى الصحيح عن النبى أنه قال إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ويجب الإيمان بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له كما خلق الجن والإنس لعبادته وبذلك أرسل رسله وأنزل كتبه<sup>1</sup>

\*قال تعالى { إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ } القمر 49 وهو سبحانه يعلم قبل أن يخلق الأشياء كل ما سيكون وهو يخلق بمشيئته فهو يعلمه ويريده وعلمه وإرادته قائم بنفسه وقد يتكلم به ويخبر به كما فى قوله { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ } { 171 } { إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ } { 172 } { وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } { 173 } الصافات 171-173 وهو سبحانه كتب ما يقدره فيما يكتبه فيه كما قال { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج 70 قال ابن عباس إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون ثم قال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ثم أنزل تصديق ذلك فى قوله { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج 70<sup>1</sup>

**من الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل**

\*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكييفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه {وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} الأنعام<sup>1</sup>59

### الله عز وجل على العرش في السماء

\*وقال الحافظ أبو بكر البيهقي باب القول في الاستواء قال الله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} طه5 { ثُمَّ

اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ { الأعراف 54 } **{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**  
**{ الأنعام 61 }** { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ } النحل 50 { إِلَيْهِ  
يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } فاطر 10 { أَمِنْتُمْ  
مِّنْ فِي السَّمَاءِ } الملك 16 و اراد من فوق السماء كما قال {  
وَأَصْلَبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ } طه 71 بمعنى على جذوع النخل  
وقال { فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ } التوبة 2 اى على الارض وكل ما  
علا فهو سماء والعرش أعلى السموات فمعنى الآية أمنتكم من  
على العرش كما صرح به فى سائر الآيات قال وفيما كتبنا من  
الآيات دلالة على ابطال قول من زعم من الجهمية ان الله بذاته  
فى كل مكان وقوله { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ } الحديد 4 انما  
اراد بعلمه لا بذاته<sup>1</sup>

\*وقال أبو عبدالله محمد بن أبى زمنين الامام المشهور من  
أئمة المالكية فى كتابه الذى صنفه فى أصول السنة قال  
ومن قول أهل السنة أن الله ينزل الى سماء الدنيا ويؤمنون بذلك  
من غير أن يحدوا فيه حدا وذكر الحديث من طريق مالك وغيره  
الى أن قال وأخبرنى وهب عن ابن وضاح عن الزهرى عن ابن  
عباد قال ومن أدركت من المشائخ مالك وسفيان وفضيل بن  
عياض وعيسى بن المبارك ووكيع كانوا يقولون ان النزول حق  
قال ابن وضاح وسألت يوسف بن عدى عن النزول قال نعم  
أومن به ولا أحد فيه حدا وسألت عنه ابن معين فقال نعم أقر به  
ولا أحد فيه حدا قال محمد وهذا الحديث يبين أن الله عز  
وجل على العرش فى السماء دون الأرض وهو ايضا بين فى  
كتاب الله وفى غير حديث عن رسول الله قال تعالى  
{ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } السجدة 5  
وقال تعالى { أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا  
هِيَ تَمُورُ } 16 { أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا  
فَسْتَغْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ } 17 { الملك 16-17 } وقال تعالى { إِلَيْهِ  
يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ } فاطر 10 وقال  
**{ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } الأنعام 61** وقال تعالى { يَا

عَيْسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ { آل عمران 55 وقال { بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ { النساء 158 وذكر من طريق مالك قول النبي للجارية أين الله قالت فى السماء قال من أنا قالت أنت رسول الله قال فاعتقها قال والأحاديث مثل هذا كثيرة جدا فسبحان من علمه بما فى السماء كعلمه بما فى الأرض لا اله الا هو العلى العظيم<sup>1</sup>

### الحفظة الموكلين بنى آدم

\*قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {60} وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ {61} الأنعام 60- 61 ذكر الله الحفظة الموكلين بنى آدم الذين يحفظونهم ويكتبون أعمالهم فى مواضع من كتابه<sup>1</sup>

\*والملائكة تنزل إلى الأرض ثم تصعد إلى السماء كما تواترت بذلك النصوص وقد أنزلها الله يوم بدر ويوم حنين ويوم الخندق لنصر رسوله والمؤمنين كما قال تعالى { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ { الأنفال 9<sup>1</sup>

### "إن أمسكت نفسى فارحمها وان أرسلتها فاحفظها "

\*قال تعالى { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ { الزمر 42 وهذا بيان لكون النفس تقبض وقت الموت ثم منها ما يمسك فلا يرسل الى بدنه وهو الذى قضى عليه الموت ومنها ما يرسل الى أجل مسمى وهذا إنما يكون فى شيء يقوم بنفسه لا فى عرض قائم



بغيره فهو بيان لوجود النفس المفارقة بالموت والأحاديث الصحيحة توافق هذا كقول النبي باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه فإن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وقال لما ناموا عن صلاة الصبح أن الله قبض أرواحنا حيث شاء وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } {60} وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ } {61} ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ } {62} الأنعام 60 -

62 فهذا توف لها بالنوم إلى أجل الموت الذي ترجع فيه إلى الله وأخبار أن الملائكة تتوفاها بالموت ثم يردون إلى الله والبدن وما يقوم به من الأعراض لا يبرد إنما يرد الروح وهو مثل قوله في يونس { ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ } الأنعام 62 وقال تعالى { إِنَّ إِلِيَّ رَجْعُكَ الرَّجْعَى } العلق 8 وقال تعالى { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ } {27} ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً } {28} فَادْخُلِي فِي عِبَادِي } {29} وَادْخُلِي جَنَّتِي } {30} الفجر 27-30 وقال تعالى { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } السجدة 11 وتوفى الملك إنما يكون لما هو موجود قائم بنفسه والا فالعرض القائم بغيره لا يتوفى فالحياة القائمة بالبدن لا تتوفى بل نزول وتعدم كما تعدم حركته وإدراكه وقال تعالى في المؤمنين { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ } {99} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ

يُبْعَثُونَ } {100} المؤمنون 99-100 فقله { ارْجِعُونَ } المؤمنون 99 طلب لرجع النفس الى البدن كما قال في الواقعة { فَأُولَآءِ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ } {86} تُرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } {87} الواقعة 86-87 وهو يبين أن النفس موجودة تفارق البدن بالموت قال تعالى { إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ

وَرَأَيْهِمْ بَرَزَ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {100} {المؤمنون 100} آخره  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه  
وسلم<sup>1</sup>

## أن الله تعالى قد أضاف كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته

\* فإن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله كما قال تعالى  
{ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا } فاطر 1 وكما قال { وَالْمُرْسَلَاتِ  
عُرْفًا } المرسلات 1 فالملائكة رسل الله في تنفيذ أمره الكوني  
الذي يدبر به السموات والأرض كما قال تعالى { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ  
أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } الأنعام 61 وكما قال  
{ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْفِبُونَ } الزخرف 80 وأمره الديني الذي  
تنزل به الملائكة فإنه قال { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ  
النَّاسِ } الحج 75 وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله ومن  
المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والإرادات  
والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال ووصفهم في القرآن  
بالتسبيح والعبادة لله أكثر من أن يذكر هنا قال تعالى { وَحَتَّىٰ إِذَا  
جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ } الأنعام 61<sup>1</sup>  
\*فإن النبي قال إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله  
إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها  
وعظامها ثم قال يا رب أنكر أو أنتى فيقضي ربك ما شاء ويكتب  
الملك ثم يقول يا رب أجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم  
يقول يا رب رزقه فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج  
الملك بالصحيفة في يده فلا يزداد على أمر ولا ينقص رواه مسلم  
من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري وقد يقال من هذا قوله في  
الزبور في زمور الخليفة ترسل روحك فيخلقون وفي المزمور  
أيضا هو قال فكانوا وأمر فخلقوا فقد يضاف الخلق إلى الملك  
ومن هذا الباب قوله تعالى { أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ

الطَّيْرَ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ  
وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي  
بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ { آل عمران 49  
فأخبره أنه يخلق من الطين كهيئة الطير طيرا بإذن الله وكذلك  
الملك يخلق النطفة في الرحم بإذن الله وهو سبحانه يخلق  
بواسطة الملائكة فإن الملائكة رسل الله في الخلق فجاز أن  
يضاف الفعل إلى الوسائط تارة وإلى الرب أخرى وهذا موجود  
في الكتب الإلهية في غير موضع كما في القرآن { اللَّهُ يَتَوَفَّى  
الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى  
عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } الزمر 42 فإنه سبحانه يتوفاها برسله كما قال  
في موضع آخر { وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ  
حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ  
{ الأنعام 61 وفي موضع ثالث { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ  
الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } السجدة 11 فإنه يتوفاها  
برسله الذين مقدمهم ملك الموت <sup>1</sup>

\*وأما على قول جمهور أهل السنة الذين يقولون إنها مفعولة  
للرب لا فعل له إذا فعله ما قام به والفعل عندهم غير المفعول  
فيقولون إنها مفعولة للرب لا فعل له وإنها فعل للعبد كما  
يقولون في قدرة العبد إنها قدرة للعبد مقدورة للرب لا أنها نفس  
قدرة الرب وكذلك إرادة العبد هي إرادة للعبد مرادة للرب  
وكذلك سائر صفات العبد هي صفات له وهي مفعولة للرب  
مخلوقة له ليست بصفات له ومما يبين ذلك أن الله تعالى قد  
أضاف كثيرا من الحوادث إليه وأضافه إلى بعض مخلوقاته إما  
أن يضيف عينه أو نظيره كقوله تعالى { اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ  
حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا  
الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى } الزمر 42 وقال تعالى  
{ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ } { الأنعام 60  
مع قوله تعالى { قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ

{السجدة 11 وقوله { تَوَفَّنَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ } {الأنعام 61  
وكذلك قوله تعالى في الريح {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا  
{الأحقاف 25 وقال {وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا  
كَانُوا يَعْرِشُونَ } {الأعراف 137<sup>1</sup>

## إن الخلق كلهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أي طريق سلخوا

\* فإن الخلق كلهم مصيرهم ومرجعهم إلى الله على أي طريق  
سلخوا كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا  
فَمُلَاقِيهِ } {الانشقاق 6 {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ } {الغاشية 25 أي إلينا  
مرجعهم وقال { أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ } {36}  
{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى } {37} {أَلَا تَرَىٰ وَاذِرَةً وَزِرًّا أُخْرِى } {38} {وَأَنَّ  
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } {39} {وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى } {40} {ثُمَّ  
يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى } {41} {وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَى } {42} {النجم  
36-42 وقال {وَأَمَّا نُرِينَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا  
مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ } {يونس 46 فأى سبيل  
سلخوا العبد فالى الله مرجعه ومنتهاه لا بد له من لقاء الله }  
{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى  
{النجم 31<sup>1</sup>

\* وقال تعالى { وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَآ  
كَانُوا يُفْتَرُونَ } {يونس 30 كما قال فى الانعام {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ  
عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّنَهُ  
رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ } {الأنعام 61 وقال {ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ } {محمد 3  
ودخل عثمان أو غيره على ابن مسعود وهو مريض فقال كيف  
تجدك قال أجدنى مردودا الى الله مولاي الحق قال تعالى {يَوْمَ  
تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ } {24} {يَوْمَئِذٍ يُوقِفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ  
الْحَقُّ الْمُبِينُ } {النور 24-25 وقد اقرؤا بوجوده فى الدنيا لكن فى

ذلك اليوم يعلمون أنه الحق المبين دون ما سواه ولهذا قال { هُوَ الْحَقُّ } النور 25 بصيغة الحصر فانه يومئذ لا يبقى أحد يدعى فيه الالهية ولا أحد يشرك بربه احدا<sup>1</sup>

### كل سائل راغب راهب

\*و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى { قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } الأنعام 63<sup>1</sup>

\*لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء 213 وقال تعالى { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } المؤمنون 117 وقال تعالى { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } القصص 88 وقال { وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا } الجن 19 وقال { إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا } النساء 117 ولفظ الصلاة في اللغة أصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء

لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر اولا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانَ { البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب في حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } { الأنبياء 90 وقال تعالى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } { السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع <sup>1</sup> والدعاء لله وحده سواء كان دعاء العبادة أو دعاء المسألة والإستعانة<sup>1</sup>

### السنة في الدعاء كله المخافتة

\* قال تعالى { قُلْ مَنْ يُجِيبُكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ } { الأنعام 63 السنة في الدعاء كله المخافتة إلا أن يكون هناك سبب يشرع له الجهر قال تعالى { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } { الأعراف 55 وقال تعالى عن زكريا { إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا } { مريم 3 بل السنة في الذكر كله ذلك كما قال تعالى { وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ } { الأعراف 205 وفي الصحيحين أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا معه في سفر فجعلوا يرفعون أصواتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون

أصم ولا غائبا وإنما تدعون سميعا قريبا أن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وهذا الذي ذكرناه في الصلاة عليه والدعاء مما إتفق عليه العلماء فكلهم يأمرون العبد إذا دعا أن يصلى على النبي كما يدعو لا يرفع صوته بالصلاة عليه أكثر من الدعاء سواء كان في صلاة كالصلاة التامة وصلاة الجنزة أو كان خارج الصلاة حتى عقيب التلبية فإنه يرفع صوته بالتلبية ثم عقيب ذلك يصلى على النبي ويدعو سرا وكذلك بين تكبيرات العيد إذا ذكر الله وصلى على النبي فإنه وإن جهر بالتكبير لا يجهر بذلك<sup>1</sup>

\*أن رفع الأصوات في الذكر المشروع لا يجوز إلا حيث جاءت به السنة كالأذان والتلبية ونحو ذلك فالسنة للذاكرين والداعين ألا يرفعوا أصواتهم رفعا شديدا كما ثبت في الصحيح عن أبي موسى أنه قال كنا مع رسول الله ص فكنا إذا علونا على شرف كبرنا فارتفعت أصواتنا فقال يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته وقد قال تعالى {قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لِّئِنْ أَنْجَاكُمْ مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} {الأنعام 63} وفي هذه الآثار عن سلف الأمة وأئمتها ما ليس هذا موضعه كما قال الحسن البصري رفع الصوت بالدعاء بدعة وكذلك نص عليه أحمد ابن حنبل وغيره وقال قيس بن عباد وهو من كبار التابعين من أصحاب على عليه السلام روى عنه الحسن البصري قال كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر وعند الجنائز وعند القتال<sup>1</sup>

من ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنوب

\*والسائل إذا حصل سؤاله برد فإنه لم يكن مراده إلا سؤاله وإذا حصل إعرض عن الله فهذا حال الكفار الذين ذمهم الله في القرآن كقوله {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ} {يونس 12} وقال تعالى {قُلْ مَنْ يُنَجِّبِكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} {63} قُلِ اللَّهُ يُنَجِّبِكُمْ مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ

**تُشْرِكُونَ} {64} {الأنعام 63-64}** وقال تعالى {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانُ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّلَّذِي لَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِكًا قُلْ لِمَ تَدْعُونَ شُرَكَاءَكُمُ لِلدَّعْوَانِ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} {يونس 12} فقولته سبحانه

{ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ } {الزمر 8} أى نسى ما كان يدعو الله إليه وهو الحاجة التى طلبها فإن دعاءه كان إليها أى توجهه إليها وقصده فهمى الغاية التى كان يقصدها وإذا كانت ما مصدرية كان تقديره نسى كونه يدعو الله إلى حاجته كما قال

تعالى فى الآية الأخرى { فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ } {يونس 12} لكن على هذا يبقى الضمير فى إليه عائدا على غير المذكور بخلاف ما إذا جعلت بمعنى الذى فان التقدير نسي حاجته الذى دعاني إليها من قبل فنسى دعاءه الله

الذى كان سبب الحاجة وإلى حرف الغاية كما قال تعالى فى الآية الأخرى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغْبِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } {40} { بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ } {41} {الأنعام 40-41}

فقد أخبر تعالى أنه يكشف ما يدعون إليه وهى الشدة التى دعوا إليها وأما المؤمن فلا بد بعد قضاء حاجته من عبادة الله

وإخلاصه له كما أمره إما قياما بالواجب فقط فيكون من الأبرار أو بالواجب والمستحب فيكون من المقربين ومن ترك بعض ما أمر به بعد قضاء حاجته فهو من أهل الذنوب وقد يكون ذلك من الشرك الأصغر الذى يبتهل به غالب الخلق إما شركا فى الربوبية



وإما شركا في الألوهية كما مبسوط في موضعه وقد يبتلَى في أماكن الجهل وزمانه كثير من الناس بما هو من الشرك الأكبر وهم لا يعلمون فالسائل مقصوده سؤاله وإن حصل له ما هو محبوب الرب من إنابته إليه ومحبته وتوبته فهذا بالعرض وقد يدوم والأغلب أنه لا يدوم إلا أن يكون ذلك المحبوب للرب هو سؤاله مثل أن يسأل الله التوبة والإعانة على ذكره وشكره وحسن عبادته فهنا مطلوبه محبوب للرب ولهذا ذم الله من لم يطلب إلا الدنيا في قوله { فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ } البقرة 200<sup>1</sup>

### يذم الله من يشرك به بعد كشف البلاء عنه

\*ولما كان الأمر كما أخبر الله به في قوله { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } النساء 79 أوجب هذا أن لا يطلب العبد الحسنات و الحسنات تدخل فيها كل نعمة إلا من الله و أن يعلم أنها من الله و حده فيستحق الله عليها الشكر الذي لا يستحقه غيره و يعلم أنه لا إله إلا هو كما قال تعالى { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } النحل 53 فهذا يوجب على العبد شكره و عبادته وحده ثم قال { ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ } النحل 53 و هذا إخبار عن حالهم و الجوار يتضمن رفع الصوت و الانسان إنما يجار إذا أصابه الضر و أما في حال النعمة فهو ساكن إما شاكرا و إما كفورا { ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجَارُونَ } {53} ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } {54} النحل 53- 54 و هذا المعنى قد ذكره الله في غير موضع يذم من يشرك به بعد كشف البلاء عنه و إسباغ النعماء عليه فيضيف العبد بعد ذلك الانعام الى غيره و يعبد غيره تعالى و يجعل المشكور غيره على النعم كما قال تعالى { وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } {33} لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } {34} الروم 33-34 و قال تعالى { قُلْ مَنْ

يُنَجِّبِكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِن أَنْجَانَا  
مِنْ هَذِهِ لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ {63} قُلِ اللَّهُ يُنَجِّبِكُمْ مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ  
كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ {64} {الأنعام 63-64} وقال تعالى {وَإِذَا  
مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرْبٌ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ  
مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ  
تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ {الزمر 8} وقوله  
{ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ {الزمر 8} أي نسي الضر الذي كان  
يدعو الله لدفعه عنه كما قال في سورة الأنعام { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ  
آتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ {40} بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ  
وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ {41} {الأنعام 40-41} فذم الله سبحانه  
حزبين حزبا لا يدعونه في الضراء و لا يتوبون إليه و حزبا  
يدعونه و يتضرعون إليه و يتوبون اليه فاذا كشف الضر عنهم  
أعرضوا عنه و أشركوا به ما اتخذوهم من الأنداد من دونه  
فهذا الحزب نوعان كالمعطلة و المشركة حزب إذا نزل بهم  
الضر لم يدعوا الله و لم يتضرعوا إليه و لم يتوبوا إليه كما قال  
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَا هُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ  
يَتَضَرَّعُونَ {42} فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ  
قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {43} {الأنعام 42-43}  
و قال تعالى {وَلَقَدْ أَخَذْنَا هُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا  
يَتَضَرَّعُونَ {المؤمنون 76} و قال تعالى {أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ  
يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ  
{التوبة 126} و قال تعالى {وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ  
الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {السجدة 21} و حزب يتضرعون  
اليه في حال الضراء و يتوبون اليه فاذا كشفها عنهم أعرضوا  
عنه كما قال تعالى {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ  
قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ  
مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {يونس 12} و قال  
تعالى {وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ

الشَّرُّ فَدُو دُعَاءِ عَرِيضٍ { فصلت 51 و قال تعالى { وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُم إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا { الإسراء 67 و قال في المشركين ماتقدم { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ قَالَئِهِ تَجَارُونَ { 53 } ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ { 54 } النحل 53- 54 و الممدوح هو القسم الثالث و هم الذين يدعون و يتوبون اليه و يثبتون على عبادته و التوبة اليه في حال السراء فيعبده و يطيعونه في السراء و الضراء و هم أهل الصبر و الشكر كما ذكر ذلك عن أنبيائه عليهم السلام فقال تعالى { وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ { 87 } فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ { 88 } الانبياء 87- 88 <sup>1</sup>

**\*قال الامام احمد (التأكد ان هذا القول منسوب اليه غير واضح )**  
 أنه سبحانه عدل لا يظلم و عدله إحسان إلى خلقه فكلما خلقه فهو إحسان إلى عباده و لهذا كان مستحقا للحمد على كل حال و لهذا ذكر في سورة النجم أنواعا من مقدوراته ثم قال { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى { النجم 55 فدل على أن هذه الأنعم مثل إهلاك الأمم المكذبة للرسول فإن في ذلك من الدلالة على قدرته و حكمته و نعمته على المؤمنين و نصره للرسول و تحقيق ما جاؤا به و أن السعادة في متابعتهم و الشقاوة في مخالفتهم ما هو من أعظم النعم و كذلك ما ذكره في سورة الرحمن و كل مخلوق هو من آلائه من و جوه منها أنه يستدل به عليه و على توحيده و قدرته و غير ذلك و أنه يحصل به الإيمان و العلم و ذكر الرب و هذه النعمة أفضل ما أنعم الله به على عباده في الدنيا و كل مخلوق يعين عليها و يدل عليها هذا مع ما في المخلوقات من المنافع لعباده غير الاستدلال بها فإنه سبحانه يقول { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ { الرحمن 13 لما يذكر ما يذكره من الآية و قال { فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى { النجم 55 و الآلاء هي النعم و النعم كلها من

آياته الدالة على نفسه المقدسة و وحدانيته و نعوته و معاني  
أسمائيه فهي آلاء آيات و كل ما كان من آلائه فهو من آياته و هذا  
ظاهر و كذلك كل ما كان من آياته فهو من آلائه فإنه يتضمن  
التعريف و الهداية و الدلالة على الرب تعالى و قدرته و حكمته  
و رحمته و دينه و الهدى أفضل النعم و أيضا ففيها نعم  
و منافع لعباده غير الإستدلال كما في خلق الشمس و القمر و  
السحاب و المطر و الحيوان و النبات فإن هذه كلها من آياته و  
فيها نعم عظيمة على عباده غير الإستدلال فهي توجب الشكر لما  
فيها من النعم و توجب التذكر لما فيها من الدلالة قال تعالى  
{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خُلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ  
شُكُورًا } الفرقان 62 و قال { تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ  
ق 8 } فإن العبد يدعو إلى عبادة الله داعي الشكر و داعي العلم  
فإنه يشهد نعم الله عليه و ذلك داع إلى شكرها و قد جبلت النفوس  
على حب من أحسن إليها و الله تعالى هو المنعم المحسن الذي ما  
بالعباد من نعمة فمنه و حده كما في الحديث من قال إذا أصبح  
اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك و حدك  
لاشريك لك فقد أدى شكر ذلك اليوم و من قال ذلك إذا أمسى فقد  
أدى شكر تلك الليلة رواه أبو حاتم و ابن حبان في صحيحه  
من حديث ابن عباس و في حديث آخر من قال الحمد لله ربي  
لا أشرك به شيئا أشهد أن لا إله إلا الله و قد ذم سبحانه  
من كفر بعد إيمانه كما قال { قُلۢ مَن يَنۢجِبۡكُم مِّنۢ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ } الأنعام 63 الآية فهذا في كشف الضر و في النعم قال  
{ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } الواقعة 82 أى شكرتم و شكر  
ما رزقكم الله و نصيبكم تجعلونه تكذيبا و هو الأستسقاء بالأنواء  
كما ثبت في حديث ابن عباس الصحيح قال مطر الناس على عهد  
رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال صلى الله عليه و سلم  
أصبح من الناس شاكر و منهم كافر قالوا هذه رحمة الله و قال  
بعضهم لقد صدق نوء كذا و كذا قال فنزلت هذه الآية { فَلَا  
أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ } الواقعة 75 حتى بلغ { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ

أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ { الواقعة 82 رواه مسلم وفي صحيح مسلم  
 أيضا عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما  
 أنزل من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين  
 ينزل الله الغيث فيقول الكوكب كذا وكذا وفي لفظ له بكوكب  
 كذا وكذا وفي الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني قال  
 صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح على أثر  
 سماء كانت من الليل قال أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله و  
 رسوله أعلم قال قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فمن قال  
 مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ومن  
 قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب و هذا  
 كثير جدا في الكتاب و السنة يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى  
 غيره و يشركه به قال بعض السلف هو كقوله كانت الريح طيبة  
 و الملاح حاذقا ولهذا قرن الشكر بالتوحيد في  
 الفاتحة و غيرها أولها شكر و أوسطها توحيد و في الخطب  
 المشوعة لا بد فيها من تحميد و توحيد و هذان هما ركن في كل  
 خطاب ثم بعد ذلك يذكر المتكلم من مقصوده ما يناسب من الأمر  
 و النهي و الترغيب و الترهيب و غير ذلك <sup>1</sup>

### أن الله على كل شيء قدير سواء شاءه أو لم يشأه

\*اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء  
 قدير كما نطق بذلك القرآن أى فى مواضع كثيرة جدا وأن الشئ  
 إسم لما يو جد فى الأعيان و لما يتصور فى الأذهان فما قدره الله  
 و علم أنه سيكون هو شئ فى التقدير و العلم و الكتاب و أن لم  
 يكن شيئا فى الخارج و منه قوله { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ  
 يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 و لفظ الشئ فى الآية يتناول هذا  
 و هذا فهو على كل شئ ما و جد و كل ماتصوره الذهن موجودا  
 إن تصور أن يكون موجودا قدير لا يستثنى من ذلك شئ و لا  
 يزداد عليه شئ كما قال تعالى { بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ  
 } القيامة 4 و قال { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا

مَنْ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ { الأنعام 65 } و قد ثبت في الصحيحين أنها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه و سلم أعوذ بوجهك فلما نزل { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُبْذِقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } { الأنعام 65 } الآية قال هاتان أهون فهو قادر على الأولتين و إن لم يفعلهما و قال { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ } { المؤمنون 18 } قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا و تهلك مواشيكم و تخرب أراضيكم و معلوم أنه لم يذهب به و هذا كقوله { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } { الواقعة 68 } إلى قوله و { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ } { الواقعة 82 } و هذا يدل على أنه قادر على ما لا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أجاجا و هو لم يفعله و مثل هذا { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } { السجدة 13 } { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ } { يونس 99 } { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاكُمْ } { البقرة 253 } فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء و هو لم يفعلها فلو لم يكن قادرا عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها<sup>1</sup>

\* أهل السنة المثبتين للقدر إذا قالوا هو قادر على كل مقدور فإنهم يقولون إن الله قادر على كل ما يمكن أن يكون مقدورا لأي قادر كان فما من أمر ممكن في نفسه إلا والله قادر عليه لا يتصور عندهم أن يقدر العباد على ما لم يقدر الله عليه وهذا معنى قوله تعالى { إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } { فصلت 39 } فأما الممتنع لنفسه فإنه ليس بشيء عند عامة العقلاء وإنما تنازعوا في المعدوم الممكن هل هو شيء أم لا فأما الممتنع فلم يقل أحد إنه شيء ثابت في الخارج فإن الممتنع هو ما لا يمكن وجوده في الخارج مثل كون الشيء موجودا معدوما فإن هذا ممتنع لذاته لا يعقل ثبوته في الخارج وكذلك كون الشيء أسود كله أبيض كله وكون الجسم الواحد بعينه في الوقت الواحد في مكانين والممتنع يقال على الممتنع لنفسه مثل هذه الأمور وعلى الممتنع لغيره مثل ما علم الله تعالى أنه لا يكون وأخبر أنه لا يكون وكتب

انه لا يكون فهذا لا يكون وقد يقال إنه يمتنع أن يكون لأنه لو كان للزم أن يكون علم الله بخلاف معلومه وخبره بخلاف مخبره لكن هذا هو ممكن في نفسه والله قادر عليه كما قال {بَلَى قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} {القيامة} 4 وقال تعالى {وَأَنَا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ} {المؤمنون} 18 وقال تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} {الأنعام} 65 وقد ثبت في الصحيح عن النبي انه لما نزل قوله تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ} {الأنعام} 65 قال أعوذ بوجهك { أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} {الأنعام} 65 قال أعوذ بوجهك { أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} {الأنعام} 65 قال هاتان أهون قالوا فهو يقدر الله عليهما وهو لا يشاء أن يفعلهما بل قد أجاز الله هذه الأمة على لسان نبيها ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم او يهلكهم بسنة عامة

ومن ذلك قوله تعالى { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} {3} بَلَى قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} {4} {القيامة} 3-4 فإله قادر على ذلك وهو لا يشاؤه وقوله {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} {السجدة} 13 وأمثال ذلك مما أخبر الله تعالى أنه لو شاء لفعله فإن هذه الأمور التي أخبر الله أنه لو شاء لفعلها تستلزم أنها ممكنة مقدورة له<sup>1</sup>

\*قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته فإن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وليس كل ما كان قادرا عليه فعله قال تعالى {بَلَى قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} {القيامة} 4 وقال تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} {الأنعام} 65 وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا} {يونس} 99 وقد قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً}

وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ { هود 118 وقال { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا آفَتَنَّاوُا { البقرة 253 و أمثال هذه الآيات تبين أنه لو شاء أن يفعل أموراً لم تكن لفعلها و هذا يدل على أنه قادر على ما علم أنه لا يكون فإنه لو لا قدرته عليه لكان إذا شاء لايفعله فإنه لايمكن فعله إلا بالقدرة عليه فلما أخبر و هو الصادق في خبره أنه لو شاء لفعله علم أنه قادر عليه و إن علم سبحانه أنه لا يكون و علم أيضا أن خلاف المعلوم قد يكون مقدورا و إذا قيل هو ممتنع فهو من باب الممتنع لعدم مشيئة الرب له لا لكونه ممتنعا في نفسه و لا لكونه معجوزا عنه <sup>1</sup>

\* فالذي لايقع من مقدورات الرب التي لو شاء لفعلها و هو يعلم أنه لايفعلها فلا يجوز أن يقال أنه غير قادر عليها كما قاله بعض غلاة أهل البدع <sup>1</sup>

\* و المنازعون النفاة كذلك منهم من ينفي الصفات مطلقا فهذا يكون الكلام معه في الصفات مطلقا لا يختص بالصفات الاختيارية و منهم من يثبت الصفات ويقول لا يقوم بذاته شيء بمشيئته و قدرته فيقول انه لا يتكلم بمشيئته و اختياره ويقول لا يرضى و يسخط و يحب و يبغض و يختار بمشيئته و قدرته و يقول انه لا يفعل فعلا هو الخلق يخلق به المخلوق و لا يقدر عنده على فعل يقوم بذاته بل مقدوره لا يكون الا منفصلا منه لهذا موضع تنازع فيه النفاة فقيل لا يكون مقدوره الا باننا عنه كما يقوله الجهمية و الكلابية و المعتزلة و قيل لا يكون مقدوره الا ما يقوم بذاته كما يقوله السالمية و الكرامية و الصحيح ان كليهما مقدور له اما الفعل فمثل قوله تعالى { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ { الأنعام 65 الى امثال ذلك مما يبين انه يقدر على الافعال كالاحياء و البعث و نحو ذلك و اما القدرة على الاعيان ففي الصحيح عن ابي مسعود قال كنت اضرب غلاما لي فرأني النبي فقال اعلم ابا



مسعود الله اقدر عليك منك على هذا فقوله الله اقدر عليك  
منك على هذا دليل على ان القدرة تتعلق بالاعيان المنفصلة  
قدرة الرب و قدرة العبد ومن الناس من يقول كلاهما  
يتعلق بالفعل كالكرامية ومنهم من يقول قدرة الرب تتعلق  
بالمنفصل واما قدرة العبد فلا تتعلق الا بفعل في محلها  
كالاشرعية و النصوص تدل على ان كلا القدرتين  
تتعلق بالمتصل والمنفصل فان الله تعالى اخبر ان العبد يقدر على  
افعاله كقوله {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} {التغابن 16} وقوله  
{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ  
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} {النساء 25} فدل على ان  
منا من يستطع ذلك ومنا من لم يستطع وقال النبي يا  
معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع  
فعلية بالصوم فانه له وجاء اخرجاه في الصحيحين وقوله  
ان استطعت ان تعمل بالرضا مع اليقين فافعل وقوله في  
الحديث الذي في الصحيح اذا أمرتكم بامر فاتوا منه ما  
استطعتم وقد اخبر أنه قادر على عبده وهؤلاء الذين  
يقولون لا تقوم به<sup>1</sup>

\*أيضا تنازعهم في الأمور به الذي علم الله أنه لا يكون أو أخبر  
مع ذلك أنه لا يكون فمن الناس من يقول إن هذا غير مقدور عليه  
كما أن غالبية القدرية يمنعون أن يتقدم علم الله وخبره وكتابه بأنه لا  
يكون وذلك لاتفاق الفريقين على أن خلاف المعلوم لا يكون ممكنا  
ولا مقدورا عليه وقد خالفهم في ذلك جمهور الناس وقالوا هذا  
منقوض عليهم بقدرة الله تعالى فإنه أخبر بقدرته على أشياء مع أنه  
لا يفعلها كقوله {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ  
فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ  
بَعْضٍ} {الأنعام 65}

\*ومذهب المسلمين أن الله على كل شيء قدير سواء شاءه أو لم  
يشأه<sup>1</sup>

## الله سبحانه يهدد بالقدرة لكون المقدر يقترب بها

\* ذكر سبحانه أنه خلق الانسان فى كبد { أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ } البلد 5 ولن لنفى المستقبل يقول أحسب أن لن يقدر عليه فى المستقبل أحد ولهذا كان ذلك الخائف من ربه الذى أمر أهله بأحراقه وذرايته يعلم أن الجزاء متعلق بالقدرة فقال لئن قدر الله على ليعذبنى عذابا ما عذبه أحدا من العالمين وهو سبحانه يهدد بالقدرة لكون المقدر يقترب بها كما يهدد بالعلم لكون الجزاء يقع معه كما فى قوله تعالى { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ } { الأنعام 65 } فقال النبى صلى الله عليه وسلم لما نزلت أعوذ بوجهك أعوذ بوجهك { أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } { الأنعام 65 } فقال هاتان أهون وذلك لأنه تكلم فى ذكر القدرة ونوع المقدر كما يقول القائل أين تهرب منى أنا اقدر أن أمسك<sup>1</sup>

## إذا انقطع عن الناس نور النبوة و قعوا فى ظلمة الفتن

\* فاذا انقطع عن الناس نور النبوة و قعوا فى ظلمة الفتن و حدثت البدع و الفجور و وقع الشر بينهم وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي بسنة عامة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها فلن يزال الهرج إلى يوم القيامة و البأس مشتق من البؤس قال الله تعالى { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } { الأنعام 65 } وفي الصحيحين عن جابر قال لما نزل { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ } قال النبى صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك { أَوْ مِنْ

**تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** } قال أعود بوجهك { **أَوْ يَلْبِسُكُمْ شَيْعاً وَيُذِيقُ**  
**بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** } قال هاتان أهون أو أيسر فدل على أنه  
لا بد أن يلبسهم شيعاً و يذيق بعضهم بأس بعض مع براءة  
الرسول في هذه الحال و هم فيها في جاهلية و لهذا قال  
الزهري و قعت الفتنة و أصحاب رسول الله صلى الله عليه و  
سلم متوافرون فأجمعوا على أن كل دم أو مال أو فرج أصيب  
بتأويل القرآن فهو هدر انزلوهم منزلة الجاهلية و قد روى مالك  
بإسناده الثابت عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول ترك  
الناس العمل بهذه الآية تعنى قوله تعالى { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } الحجرات 9 فإن المسلمين لما  
اقتتلوا كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى فلما لم  
يعمل بذلك صارت فتنة و جاهلية وهكذا مسائل النزاع  
التي تنازع فيها الأمة في الأصول و الفروع اذا لم ترد إلى الله و  
الرسول لم يتبين فيها الحق بل يصير فيها المتنازعون على غير  
بينة من أمرهم فإن رحمهم الله أقر بعضهم بعضاً و لم يبع  
بعضهم على بعض كما كان الصحابة في خلافة عمر و عثمان  
يتنازعون في بعض مسائل الإجتهد فيقر بعضهم بعضاً و لا  
يعتدى عليه و ان لم يرحموا و قع بينهم الاختلاف المذموم فبغى  
بعضهم على بعض إما بالقول مثل تكفيره و تفسيقه و إما بالفعل  
مثل حبسه و ضربه و قتله و هذه حال أهل البدع و الظلم  
كالخوارج و أمثالهم يظلمون الأمة و يعتدون عليهم اذا نازعوه  
في بعض مسائل الدين و كذلك سائر أهل الأهواء فانه يبتدعون  
بدعة و يكفرون من خالفهم فيها كما تفعل الرافضة و المعتزلة و  
الجهمية و غيرهم و الذين امتحنوا الناس بخلق القرآن كانوا من  
هؤلاء إبتدعوا بدعة و كفروا من خالفهم فيها و استحلوا منع حقه  
و عقوبته فالناس اذا خفي عليهم بعض ما بعث الله به  
الرسول صلى الله عليه و سلم إما عادلون و اما ظالمون فالعادل  
فيهم الذي يعمل بما و صل اليه من آثار الأنبياء و لا يظلم غيره  
و الظالم الذي يعتدي على غيره و هؤلاء ظالمون مع علمهم

بأنهم يظلمون كما قال تعالى { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ } آل عمران 19 و الا فلو سلكوا ما علموه من العدل أقر بعضهم بعضا كالمقلدين لأئمة الفقه الذين يعرفون من أنفسهم أنهم عاجزون عن معرفة حكم الله و رسوله في تلك المسائل فجعلوا أئمتهم نوابا عن الرسول و قالوا هذه غاية ما قدرنا عليه فالعادل منهم لا يظلم الآخر و لا يعتدى عليه بقول و لا فعل مثل أن يدعى أن قول متبوعه هو الصحيح بلا حجة يبيدها و يذم من يخالفه مع أنه معذور<sup>1</sup>

### تنفى الفتنة بالإستغفار

\* في قوله تعالى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } الأنفال 33 والكلام عليها من وجهين أحدهما فى الاستغفار الدافع للعذاب والثانى فى العذاب المدفوع بالإستغفار أما الأول فإن العذاب إنما يكون على الذنوب والإستغفار يوجب مغفرة الذنوب التى هي سبب العذاب فيندفع العذاب كما قال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا مِّنْ قَوْمِهِ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اسْمِعُوا لِمَا يَدْعُوكُمْ إِلَىٰ حَسَنَاتٍ لَّكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّكُمْ بِلِقَاءِ اللَّهِ لَاحِقُونَ } 11-10 نوح 11-10 الآية وقال تعالى { اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ

عَلَيْكُمْ مَّدْرَارًا وَيَزِدُّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ {هود52} وذلك أنه قد قال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} {الشورى30} وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ النِّفَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} {آل عمران155} وقال تعالى {أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلِيهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} {آل عمران165} وقال تعالى {وَإِنْ تُصَبِّهُمُ سَيِّئَةٌ يَمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيهِمْ} {الشورى48} وقال تعالى {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ} {النساء79} وأما العذاب المدفوع فهو يعم العذاب السماوي ويعم ما يكون من العباد وذلك أن الجميع قد سماه الله عذابا كما قال تعالى في النوع الثاني {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} {البقرة49} وقال تعالى {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمُ} {التوبة14} وكذلك {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبِكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا} {التوبة52} إذ التقدير بعذاب من عنده أو بعذاب بأيدينا كما قال تعالى {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمُ} {التوبة14} وعلى هذا فيكون العذاب بفعل العباد ومن ذلك قوله تعالى {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ} {النور2} إلى قوله {وَلْيَسْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} {النور2} وقوله تعالى {فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} {النساء25} ومن ذلك أنه يقال في بلال ونحوه كانوا من المعذبين في الأرض ويقال إن أبا بكر اشترى سبعة من المعذبين في الله وقال السفر قطعة من العذاب وإذا كان كذلك فقوله تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} {الأنعام65} مع ما قد ثبت في الصحيحين عن جابر عن النبي أنه لما نزل قوله {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ} {الأنعام65} قال

أعوذ بوجهك { **أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** } { **الأنعام65** } قال أعوذ بوجهك { **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** } قال هاتان أهون يقتضى أن لبسنا شيعا وإذاقة بعضنا بأس بعض هو من العذاب الذي يندفع الإستغفار كما قال { **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** } { **الأنفال25** } وإنما تنفى الفتنة بالإستغفار من الذنوب والعمل الصالح وقوله تعالى { **إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ** } { **التوبة39** } قد يكون العذاب من عنده وقد يكون بأيدي العباد فإذا ترك الناس الجهاد فى سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع بينهم العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد فى سبيل الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم وإذا لم ينفروا فى سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيعا ويذيق بعضهم بأس بعض وكذلك قوله { **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** } { **السجدة21** } يدخل فى العذاب الأدنى ما يكون بأيدي العباد كما قد فسر بوقعة بدر بعض ما وعد الله به المشركين من العذاب <sup>1</sup>

## كل خير فى غير هذه الأمة فهو فيها أعظم و كل شر فيها فهو فى غيرها أعظم

\*قال النبى صلى الله عليه و سلم فى الحديث الصحيح سألت ربي لأمتى ثلاثا فأعطاني اثنتين و منعى و احدة سألته ان لا يهلك أمتى بسنة عامة فاعطانيها و سألته ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فيجتاحهم فاعطانيها و سألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها و قال يامحمد انى إذا قضيت قضاء لم يرد و كذلك فى الصحيحين لما نزل قوله تعالى { **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ فَوْقِكُمْ** } { **الأنعام65** } قال النبى صلى الله عليه و سلم اعوذ بوجهك { **أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** } { **الأنعام65** } قال أعوذ بوجهك { **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** }

{ الأنعام 65 } قال هاتان أهون و هذا لأنه لا بد أن تقع الذنوب من هذه الأمة و لا بد أن يختلفوا فان هذا من لوازم الطبع البشري لا يمكن أن يكون بنو آدم إلا كذلك ولهذا لم يكن ما وقع فيها من الاختلاف و القتال و الذنوب دليلاً على نقصها بل هي أفضل الأمم و هذا الواقع بينهم من لوازم البشرية و هو في غيرها أكثر و أعظم و خير غيرها أقل و الخير فيها أكثر و الشر فيها أقل فكل خير في غيرها فهو فيها أعظم و كل شر فيها فهو في غيرها أعظم<sup>1</sup>

### " لكل خبر يخبر به الله وقت ومكان يقع فيه "

\* فالرسول صلى الله عليه و سلم يحيط بعلم ما أنزل الله عليه و إن كان تأويله لم يأت بعد و في الحديث عن النبي صلى الله عليه و سلم لما نزل قوله { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ } الأنعام 65 الآية قال إنها كائنة و لم يأت تأويلها بعد قال تعالى { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ } {66} { لَكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } {67} الاتعام 66-67 قال بعضهم موضع قرار و حقيقة و منتهى ينتهي إليه فيبين حقه من باطله و صدقه من كذبه و قال مقاتل لكل خبر يخبر به الله وقت و مكان يقع فيه من غير خلف و لا تأخير و قال ابن السائب لكل قول و فعل حقيقة ما كان منه في الدنيا فستعرفونه و ما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم و سوف تعلمون و قال الحسن لكل عمل جزاء فمن عمل عملاً من الخير جوزي به في الجنة و من عمل عمل سوء جوزي به في النار و سوف تعلمون و معنى قول الحسن أن الأعمال قد وقع عليها الوعد و الوعيد فالوعد و الوعيد عليها هو النبا الذي له المستقر فيبين المعنى و لم يرد أن نفس الجزاء هو نفس النبا و عن السدي قال { لَكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ } الأنعام 67 أي ميعاد و عدتكموه فسيأتاكم حتى تعرفونه و عن عطاء { لَكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ } الأنعام 67 تؤخر عقوبته ليعمل ذنبه فإذا عمل ذنبه عاقبه أي لا يعاقب بالوعد

حتى يفعل الذنب الذي توعدده عليه ومنه قول كثير من السلف في آيات هذه ذهب تأويلها وهذه لم يأت تأويلها مثل ما روى أبو الأشهب عن الحسن و الربيع عن أبي العالية أن هذه الآية قرئت على ابن مسعود { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ } المائدة 105 الآية فقال ابن مسعود ليس هذا بزمانها قولوها ما قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم ثم قال إن القرآن نزل حيث نزل فمنه أي قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن ومنه أي وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه و سلم ومنه أي وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه و سلم بيسير و منه أي يقع تأويلهن بعد اليوم و منه أي يقع تأويلهن في آخر الزمان ومنه أي يقع تأويلهن يوم القيامة ما ذكر من الحساب و الجنة و النار فما دامت قلوبكم و أهواؤكم و احدة ولم تلبسوا شيئا ولم يذق بعضكم بأس بعض فأمروا و انهوا فإذا اختلفت القلوب و الأهواء و ألبستم شيئا و ذاق بعضكم بأس بعض فأمرؤ و نفسه فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية فابن مسعود رضي الله عنه قد ذكر في هذا الكلام تأويل الأمر و تأويل الخبر فهذه الآية عليكم أنفسكم من باب الأمر و ما ذكر من الحساب و القيامة من باب الخبر و قد تبين أن تأويل الخبر هو وجود المخبر به و تأويل الأمر هو فعل المأمور به فالآية التي مضى تأويلها قبل نزولها هي من باب الخبر يقع الشيء فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول و تكذبيهم له و هي وإن مضى تأويلها فهي عبرة ومعناها ثابت في نظيرها ومن هذا قول ابن مسعود خمس قد مضين ومنه قوله تعالى { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } القمر 1<sup>1</sup>

\* قال بعض السلف في قوله { لَكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ } الأنعام 67 قال حقيقة فانه ان كان خبرا فالى الحقيقة المخبر بها يؤول ويرجع والا لم تكن له حقيقة ولا مأل ولا مرجع بل كان كذبا وان كان طلبا فالى الحقيقة المطلوبة يؤول ويرجع وان لم يكن مقصوده موجودا ولا حاصلًا ومتى كان الخبر وعدا أو وعيدا فالى الحقيقة المطلوبة المنتظرة يؤول كما روى عن النبي



أنه تلا هذه الآية {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا} {الأنعام 65} قال انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد وعن عبدالله قال خمس قد مضين البطشة واللزام والدخان والقمر والروم<sup>1</sup>

\*فالنبي صلى الله عليه وسلم عالم بالتأويل وإن كان التأويل لم يقع بعد وإن كان لا يعرف متى لا يقع فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله في القرآن من الوعد والوعيد وإن كنا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور في قوله سبحانه وتعالى {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ} {الأعراف 53} الآية وقال تعالى {لِكُلِّ نَبَأٍ مَّسْنُورٌ} {الأنعام 67} فنحن نعلم مستقر نباء الله وهو الحقيق التي أخبر الله بها ولا نعلم متى يكون وقد لا نعلم كيفيتها وقدرها وسواء في هذا تأويل المحكم والمتشابه كما قال الله تعالى

{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} {الأنعام 65} قال النبي صلى الله عليه وسلم انها كائنة ولم يأت تأويلها بعد فقد عرف تأويلها وهو وقوع الاختلاف والفتن وإن لم يعرف متى يقع وقد لا يعرف صفته ولا حقيقته فإذا وقع عرف العارف أن هذا هو التأويل الذي دلت عليه الآية وغيره قد لا يعرف ذلك أو ينساه بعد ما كان عرفه فلا يعرف أن هذا تأويل القرآن فإنه لما نزل قوله تعالى {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} {الأنفال 25} قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها وإذا نحن المعنيون بها {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} {الأنفال 25}<sup>1</sup>

### القرآن هو شرف لمن آمن به

\*وقد أنزل الله عليه في غير موضع أمر جميع الخلق بعبادته كقوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {21} سورة البقرة الآية 21 وقريش هم

قومه الذين كذبه جمهورهم أولا كما قال تعالى { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ  
 وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ } الأنعام 66<sup>1</sup>

\*في كفاية الله له أعداءه وعصمته له من الناس وهذا فيه آية  
 لنبوته من وجوه منها أن ذلك تصديق لقوله تعالى { فاصدغ بما  
 تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } {94} { إِنَّا كَفَيْنَاكَ  
 الْمُسْتَهْزِئِينَ } {95} { الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ  
 يَعْلَمُونَ } {96} { الحجر 94-96 فهذا إخبار الله بأنه يكفيه  
 المشركين المستهزئين وأخبر أنه يكفيه أهل الكتاب بقوله {  
 قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ  
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ  
 النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ  
 مُسْلِمُونَ } {136} { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا  
 فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } {137}  
 البقرة 136-137 فأخبره الله أنه يكفيه هؤلاء الشاقيين له من أهل  
 الكتاب وأخبره أنه يعصمه من جميع الناس بقوله تعالى { يَا  
 أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ  
 رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ  
 {المائدة 67} فهذا خبر عام بأن الله يعصمه من جميع الناس فكل  
 من هذه الأخبار الثلاثة العامة قد وقع كما أخبر وفي هذا عدة  
 آيات منها أنه كفاه أعداءه بأنواع عجيبة خارجة عن العادة  
 المعروفة ومنها أنه نصره مع كثرة أعدائه وقوتهم وغلبيتهم وأنه  
 كان وحده جاهرا بمعاداتهم وسب آبائهم وشتم ألتهم وتسفيه  
 أحلامهم والطعن في دينهم وهذا من الأمور الخارقة للعادة  
 والمستهزئون كانوا من أعظم سادات قريش وعظماء العرب  
 وكان أهل مكة أهل الحرم أعز الناس وأشرفهم يعظمهم جميع  
 الأمم أما العرب فكانوا يدينون لهم وأما غيرهم من الأمم فكانوا  
 يعظمونهم به لا سيما من حين ما جرى لأهل الفيل ما جرى كما  
 كانت الأمم تعظم بني إسرائيل لما ظهر فيهم من الآيات ما ظهر  
 وهؤلاء بنو إسرائيل ابن خليل الله وهؤلاء بنو إسحاق ابن خليل

الله وكلاهما ممن وعد الله إبراهيم في التوراة فيهم بما وعده من إنعام الله عليه النعمة التي لم ينعم الله بها على غيرهم فكان أهل مكة معظمين لأنهم جيران البيت ولأنهم أشرف بني إسماعيل فإن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى هاشم من قريش واصطفى محمدا من بني هاشم وكان قد عاداه أشراف هؤلاء كما عادى المسيح أشراف بني إسرائيل وبدل هؤلاء وهؤلاء نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وكفى الله رسوله المسيح من عاداه منهم ولم ينفعهم نسبهم ولا فضل مدينتهم وكذلك كفى الله محمدا من عاداه وانتقم منهم ولم ينفعهم أنسابهم ولا فضل مدينتهم فإن الله إنما يثبت بالإيمان والتقوى لا بالبلد والنسب وقال تعالى { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ } 66 { لَكُلِّ نَبِيًّا مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } 67 { الأنعام 66-67 } وقد سمي أهل العلم بعض من كفاه الله إياه من المستهزئين وكانوا معروفين مشهورين عند الصحابة بالرياسة والعظمة في الدنيا فذكروهم ليعرف هذا الأمر العظيم الذي أكرم الله نبيه به ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قيل نعم قال واللات والعزى لئن رأيتك يفعل ذلك لأطأن على رقبتك فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبه ويتقي بيديه فقيل له مالك قال إن بيني وبينه لخذقا من نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاخطفتك الملائكة عضوا عضوا<sup>1</sup>

\*فإن القرآن هو شرف لمن آمن به من قومه وغيرهم وليس شرفا لجميع قومه بل من كذب به منهم كان أحق بالذم كما قال تعالى { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ } الأنعام 66<sup>1</sup>

## القاعد المستمع من غير إنكار بمنزلة الفاعل

\*قال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } {68} وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } {69} {الأنعام 68-69} وقال تعالى { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ } {النساء 140} فجعل القاعد المستمع من غير إنكار بمنزلة الفاعل ولهذا يقال المستمع شريك المغتاب وفي الأثر من شهد المعصية وكرهاها كان كمن غاب عنها ومن غاب عنها ورضيها كان كمن شهدها فإذا شهدها لحاجة أو لإكراه أنكرها بقلبه لقوله النبي صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان فلو كان الرجل مارا فسمع القرآن من غير أن يستمع إليه لم يؤجر على ذلك وإنما يؤجر على الإستماع الذى يقصد كما قال تعالى { وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } {الأعراف 204} وقال لموسى { فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى } طه 13<sup>1</sup>

\*وقد قال النبي من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر وقد رفع إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قوم يشربون الخمر فأمر بضربهم فقبل له أن فيهم صائما فقال ابدؤا به ثم قال أما سمعت قوله تعالى { وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ } {النساء 140} فاستدل عمر بالآية لأن الله تعالى جعل حاضر المنكر مثل فاعله بل إذا كان من دعا إلى دعوة العرس لا تجاب دعوته إذا اشتملت على منكر حتى يدعه مع أن إجابة الدعوة حق فكيف بشهود المنكر من غير حق يقتضي ذلك<sup>1</sup>

## ما خالف الشرع والدين فإنه يكون من النفس والشيطان

\* قال صلى الله عليه وسلم إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به  
أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به وهو نوعان خبر وإنشاء  
فالخبر إما عن ماضٍ وإما عن مستقبل فالماضي يذكره به و  
المستقبل يحدثه بأن يفعل هو أمورا أو أن أمورا ستكون بقدر الله  
أو فعل غيره فهذه الأمانى و المواعيد الكاذبة و الإنشاء امر و  
نهي و إباحة و الشيطان تارة يحدث و سواس الشر و تارة  
ينسى الخير و كان ذلك بما يشغله به من حديث النفس قال تعالى  
في النسيان { وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ  
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } الأنعام 68 و قال فتى موسى { فَأَنى نَسِيتُ  
الْحُوتَ وَمَا أَنَسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أذْكَرَهُ } الكهف 63 و قال  
تعالى { فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ } يوسف 42 و ثبت في  
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أذن  
المؤذن أدبر الشيطان و له ضراط حتى لا يسمع التأذين فإذا  
قضى التأذين أقبل فإذا ثوب بالصلاة أدبر فإذا قضى التثويب أقبل  
حتى يخطر بين المرء و نفسه فيقول أذكر كذا أذكر كذا لما لم  
يذكر حتى يظل الرجل لم يدر كم صلى فالشيطان ذكره بأمر  
ماضية حدث بها نفسه مما كانت فى نفسه من أفعاله و من غير  
أفعاله فبتلك الأمور نسي المصلي كم صلى و لم يدر كم صلى  
فإن النسيان أزال ما فى النفس من الذكر و شغلها بأمر آخر حتى  
نسي الأول و أما إخباره بما يكون فى المستقبل من  
المواعيد و الأمانى فكقوله { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ  
اللَّهَ وَعَدَّكُمْ وَعَدَّ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ  
سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلْمُونِي وَلَوْلَا  
أَنْفُسُكُمْ } إبراهيم 22 و فى هذه الآية أمره و وعده و قال  
تعالى { وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا  
مُّبِينًا } { 119 } يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا

عُرُوراً {120} أَوْلَيْكَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا  
مَحِيصاً {121} النساء 119-121<sup>1</sup>

\*كان الصحابة إذا تكلموا في مسألة باجتهادهم قال أحدهم أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأً فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه كما قال أبو بكر رضي الله عنه في الكلاله وكما قال ابن مسعود في المفوضة إذا مات عنها زوجها وكلاهما أصاب فيما قاله برأيه لكن قال الحق فإن القول إذا كان صواباً فهو مما جاء به الرسول عن الله فهو من الله وإن كان خطأً فالله لم يبعث الرسول بخطأ فهو من نفسه ومن الشيطان لا من الله ورسوله والمقصود بالإضافة إليه بالإضافة إليه من جهة إلهيته من جهة الأمر والشرع والنهي وأنه يحبه ويرضاه ويثيب فاعله عليه وأما من جهة الخلق فكل الأشياء منه والناس لم يسألوا الصحابة عما من الله خلقاً وتقديراً فقد علموا أن كل ما وقع فمناه والعرب كانت في جاهليتها تقر بالقضاء والقدر قال ابن قتيبة وغيره ما زالت العرب في جاهليتها وإسلامها مقر بالقدر وقد قال عنتره يا عبل أين من المنية مهرب إن كان ربي في السماء قضاها وإنما كان سؤال الناس عما من الله من جهة أمره ودينه وشرعه الذي يرضاه ويحبه ويثيب أهله وقد علم الصحابة أن ما خالف الشرع والدين فإنه يكون من النفس والشيطان وإن كان بقضاء الله وقدره وإن كان يعفى عن صاحبه كما يعفى عن النسيان والخطأ ونسيان الخير يكون من الشيطان كما قال تعالى { وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } {الأنعام 68} وقال فتى موسى صلى الله عليه وسلم { وَمَا أَنْسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ } {الكهف 63} وقال { فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ } {يوسف 42} ولما نام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الوادي عن الصلاة قال هذا واد حضرنا فيه الشيطان وقال إن الشيطان أتى بلالا فجعل يهديه كما يهدي الصبي حتى نام فإنه كان وكل بلالا أن يكلاً لهم الصبح مع قوله ليس في النوم تقريط وقال إن الله قبض أرواحنا

وقال له بلال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وقال من نام عن صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ومع قوله تعالى عن المؤمنين { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } البقرة 286 قال تعالى قد فعلت وكذلك الخطأ في الاجتهاد من النفس والشيطان وإن كان مغفورا لصاحبه وكذلك الإحتلام في المنام من الشيطان وفي الصحيحين عنه أنه قال الرؤيا ثلاثة رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه في اليقظة فيراه في المنام فالنائم يرى في منامه ما يكون من الشيطان وهو كما قال صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يحتلم وأعذرهم النائم ولهذا لم يكن لشيء من أقواله التي تسمع منه في المنام حكم باتفاق العلماء فلو طلق أو أعتق أو تبرع أو غير ذلك في منامه كان لغوا بخلاف الصبي المميز فإن أقواله قد تعتبر إما بإذن الولي وإما بغير إذنه في مواضع بالنص وفي مواضع بالإجماع<sup>1</sup>

### الخائضون في آيات الله بالباطل

\*أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر باستماع كل قول بإجماع المسلمين بل من القول ما يحرم استماعه ومنه ما يكره كما قال النبي ص من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة وقد قال تعالى { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } {68} وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } {69} سورة الأنعام 68 69 فقد أمر سبحانه بالإعراض عن كلام الخائضين في آياته ونهى عن القعود معهم<sup>1</sup>

\*قال الامام مالك بن انس والله قد فطر العباد عربهم وعجمهم على أنهم اذا دعوا الله توجهت قلوبهم الى العلو ولا يقصدونه

تحت أرجلهم ولهذا قال بعض العارفين ما قال عارف قط يا  
الله الا وجد في قلبه قبل أن يتحرك لسانه معنى يطلب العلو لا  
يلتفت يمينا ولا يسرة وذكر من بعد كلام طويل الحديث كل  
من مولود يولد على الفطرة ولأهل الحلول والتعطيل في هذا  
الباب شبهات يعارضون بها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله  
عليه وسلم وما أجمع سلف الأمة وأئمتها وما فطر الله عليه  
عباده وما دلت عليه الدلائل العقلية الصحيحة فان هذه الادلة كلها  
متفقة على أن الله فوق مخلوقاته عال عليها قد فطر الله على ذلك  
العجائز والصبيان والاعراب في الكتاب كما فطرهم على  
الاقرار بالخالق تعالى وقد قال في الحديث الصحيح  
كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو  
يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من  
جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرؤوا ان شئتم { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي  
فَطَّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } الروم 30  
وهذا معنى قول عمر بن عبدالعزيز عليك بدين الاعراب  
والصبيان في الكتاب و عليك بما فطرهم الله عليه فان الله فطر  
عباده على الحق والرسول بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا  
بتحويل الفطرة وتغييرها واما اعداء الرسل كالجهمية  
الفرعونية ونحوهم فيريدون أن يغيروا فطرة الله ويوردون على  
الناس شبهات بكلمات مشتبهات لا يفهم كثير من الناس  
مقصودهم بها ولا يحسن ان يجيبهم وأصل ضلالتهم تكلمهم  
بكلمات مجملة لا أصل لها في كتابه ولا سنة رسوله ولا قالها  
أحد من أئمة المسلمين كلفظ التحيز والجسم والجهة ونحو ذلك  
فمن كان عارفا بحل شبهاتهم بينها ومن لم يكن عارفا بذلك  
فليعرض عن كلامهم ولا يقبل الا ما جاء به الكتاب والسنة كما  
قال { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى  
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ  
الدُّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } الأنعام 68 ومن يتكلم في الله



واسمائهِ وصفاته بما يخالف الكتاب والسنة فهو من الخائضين  
فى آيات الله بالباطل<sup>1</sup>

## الهجر الشرعى نوعان

\*الهجر الشرعى نوعان أحدهما بمعنى الترك للمنكرات و  
الثانى بمعنى العقوبة عليها فالأول هو المذكور فى قوله  
تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فى آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى  
يَخُوضُوا فى حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ  
الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} الأنعام 68 وقوله تعالى {وَقَدْ  
نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ  
بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فى حَدِيثِ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ  
إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فى جَهَنَّمَ جَمِيعاً} النساء 140  
فهذا يراد به أنه لا يشهد المنكرات لغير حاجة مثل قوم يشربون  
الخمير يجلس عندهم وقوم دعوا الى وليمة فيها خمر وزمر لا  
يجيب دعوتهم وأمثال ذلك بخلاف من حضر عندهم للانكار  
عليهم او حضر بغير اختياره ولهذا يقال حاضر المنكر كفاعله  
وفى الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على  
مائدة يشرب عليها الخمر وهذا الهجر من جنس هجر الانسان  
نفسه عن فعل المنكرات كما قال المهاجر من هجر ما نهى الله  
عنه النوع الثانى الهجر على وجه التاديب وهو هجر من  
يظهر المنكرات يهجر حتى يتوب منها كما هجر النبى صلى الله  
عليه وسلم والمسلمون الثلاثة الذين خلفوا حتى أنزل الله توبتهم  
حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر ولم يهجر  
من أظهر الخير وان كان منافقا فهنا الهجر هو بمنزلة التعزير<sup>1</sup>

1

---

<sup>1</sup> مجمع الفتاوى ج: 28 ص: 211-213

\*فان الهجرة نوع من أنواع التعزير والعقوبة نوع من أنواع الهجرة التي هي ترك السيئات فان النبي صلى الله عليه وسلم قال المهاجر من هجر السيئات وقال من هجر ما نهى الله عنه فهذا هجرة التقوى وفي هجرة التعزير والجهاد هجرة الثلاثة الذين خلفوا وأمر المسلمين بهجرهم حتى تيب عليهم فالهجرة تارة تكون من نوع التقوى إذا كانت هجرا للسيئات كما قال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} {68} وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} {69} الأنعام 68 - 69 فبين سبحانه ان المتقين خلاف الظالمين وان المأمورين بهجران مجالس الخوض في آيات الله هم المتقون وتارة تكون من نوع الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود وهو عقوبة من اعتدى وكان ظالما وعقوبة الظالم وتعزيره مشروط بالقدرة فلهذا اختلف حكم الشرع في نوعي الهجرتين بين القادر والعاجز وبين قلة نوع الظالم المبتدع وكثرته وقوته وضعفه كما يختلف الحكم بذلك في سائر أنواع الظلم من الكفر والفسوق والعصيان فإن كلما حرمه الله فهو ظلم اما في حق الله فقط واما في حق عباده واما فيهما وما امر به من هجر الترك والانتهاز وهجر العقوبة والتعزير إنما هو إذا لم يكن فيه مصلحة دينية راجحة على فعله والا فاذا كان في السيئة حسنة راجحة لم تكن سيئة واذا كان في العقوبة مفسدة راجحة على الجريمة لم تكن حسنة بل تكون سيئة وان كانت مكافئة لم تكن حسنة ولا سيئة فالهجران قد يكون مقصوده ترك سيئة البدعة التي هي ظلم وذنوب وأثم وفساد وقد يكون يكون مقصوده فعل حسنة الجهاد البدعة والنهي عن المنكر وعقوبة الظالمين لينزجروا ويرتدعوا وليقوى الايمان والعمل الصالح عند اهله فان عقوبة الظالم تمنع الظالم النفوس عن ظلمه وتحضها على فعل ضد ظلمه من الايمان والسنة ونحو ذلك فاذا لم يكن في

هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء احد بل بطلان كثير من الحسنات  
المأمور بها لم تكن هجرة مأمورا بها كما ذكره أحمد عن أهل  
خراسان اذ ذاك انهم لم يكونوا يقوون بالجهمية فاذا عجزوا عن  
أظهار العداوة لهم سقط الأمر بفعل هذه الحسنة وكان مداراتهم  
فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف ولعله ان يكون فيه تأليف  
الفاجر القوى وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة فلو ترك  
رواية الحديث عنهم لاندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة  
فيهم فاذا تعذر اقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك الا  
بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب كان  
تحصيل مصلحة الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيرا من  
العكس ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل وكثير من  
أجوبة الامام أحمد وغيره من الأئمة خرج على سؤال سائل قد  
علم المسئول حاله أو خرج خطابا لمعين قد علم حاله فيكون  
بمنزلة قضايا الأعيان الصادرة عن الرسول إنما يثبت حكمها في  
نظيرها فان أقواما جعلوا ذلك عاما فاستعملوا من الهجر  
والأنكار ما لم يؤمروا به فلا يجب ولا يستحب وربما تركوا به  
واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات وآخرون أعرضوا عن  
ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية بل  
تركوها ترك المعرض لا ترك المنتهى الكاره أو وقعوا فيها وقد  
يتكونها ترك المنتهى الكاره ولا ينهون عنها غيرهم ولا  
يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها فيكونون قد  
ضيعوا من النهى عن المنكر ما أمروا به إيجابا أو إستحبابا فهم  
بين فعل المنكر أو ترك النهى عنه وذلك فعل مأنهوا عنه وترك  
ما أمروا به فهذا هذا ودين الله وسط بين الغالى فيه والجافى عنه  
والله سبحانه أعلم<sup>1</sup>

### الخلوة والعزلة والانفراد المشروع

\*فأما الخلوة والعزلة والانفراد المشروع فهو ما كان مأمورا به  
امر ايجاب او استحباب فالاول كاعتزال الامور

المحرمة ومجانبتها كما قال تعالى {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} {الأنعام68} ومنه قوله تعالى عن الخليل {فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا} {مريم49} وقوله عن اهل الكهف {وَإِذِ اعْتَرَلْنَاهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ} {الكهف16} فان اولئك لم يكونوا فى مكان فيه جمعة ولا جماعة ولا من يأمر بشرع نبي فلهذا أووا الى الكهف وقد قال موسى {وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُونِ} {الدخان21} واما اعتزال الناس في فضول المباحات وما لا ينفع وذلك بالزهد فيه فهو مستحب وقد قال طاووس نعم صومعة الرجل بيته يكف فيه بصره وسمعه واذا اراد الانسان تحقيق علم او عمل فتخلى فى بعض الاماكن مع محافظة على الجمعة والجماعة فهذا حق كما فى الصحيحين ان النبي سئل اى الناس افضل قال رجل اخذ بعنان فرسه فى سبيل الله كلما سمع هيعة طار اليها يتتبع الموت مظانه ورجل معتزل فى شعب من الشعاب يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويدع الناس الامن خير وقولة يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة دليل على ان له مالا يزكيه وهو ساكن مع ناس يؤذن بينهم وتقام الصلاة فيهم فقد قال صلوات الله عليه ما من ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة جماعة وقد استحوذ عليهم الشيطان وقال عليكم بالجماعة فانما ياخذ الذئب القاصية من الغنم<sup>1</sup>

### **"إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله"**

\*وتوحيد الله وإخلاص الدين له فى عبادته وإستعانته فى القرآن كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين

والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له وقول النبي إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهي أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله وقال تعالى {وَدَّرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِعِبَاءٍ وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ} الأنعام 70 فالولى الذى يتولى أمرك كله والشفيع الذى يكون شافعا فيه أى عوننا فليس للعبد دون الله من ولى يستقل ولا ظهير معين<sup>1</sup>

### صلاح القلب فى العدل وفساده فى الظلم

\*العدل هو الاعتدال والاعتدال هو صلاح القلب كما ان الظلم فساده ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالما لنفسه والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه بل ظلمها فصلاح القلب فى العدل وفساده فى الظلم واذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم كذلك إذا عدل فهو العادل والمعدول عليه فمنه العمل وعليه تعود ثمره العمل من خير وشر قال تعالى {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 والعمل له اثر فى القلب من نفع وضر وصلاح قبل اثره فى الخارج فصلاحتها عدل لها وفسادها ظلم لها قال تعالى {مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا

{ الجاثية 15 وقال تعالى { إِنَّ أَحْسَنَتْكُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا } الإسراء 7 قال بعض السلف ان للحسنة لنورا فى القلب وقوة فى البدن وضياء فى الوجه وسعة فى الرزق ومحبة فى قلوب الخلق وان للسيئة لظلمة فى

القلب وسوادا فى الوجه ووهنا فى البدن ونقصا فى الرزق وبغضا فى قلوب الخلق وقال تعالى { كُلُّ أَمْرٍ إِيمًا كَسَبَ رَهِيْنٌ } الطور 21 وقال تعالى { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ } المدثر 38 وقال { وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلْ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَأَيُّوْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا } الأنعام 70 و تبسل أى ترتهن وتحبس وتؤسر كما ان الجسد إذا صح من مرضه قيل قد اعتدل مزاجه والمرض انما هو باخراج المزاج مع أن الاعتدال المحض السالم من الأخلاط لا سبيل اليه لكن الأمثل فالأمثل فهكذا صحة القلب وصلاحه فى العدل ومرضه من الزيف والظلم والانحراف والعدل المحض فى كل شئ متعذر علما وعملا ولكن الامثل فالأمثل ولهذا يقال هذا أمثل ويقال للطريقة السلفية الطريقة المثلى وقال تعالى { وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ } النساء 129<sup>1</sup>

### الله الشفاعة جميعا

\* فالشفاعة المنفية فى القرآن كقوله تعالى { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } الأعراف 53 وأمثال ذلك واحتج بكثير من الخوارج والمعتزلة على منع الشفاعة لأهل الكبائر إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب أو أن يخرج من النار من يدخلها ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب فى زيادة الثواب ومذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر والقول بأنه يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان

وأيضاً فالأحاديث المستفيضة عن النبي في الشفاعة فيها استشفاع  
 أهل الموقف ليقضى بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه وع  
 شفاعة للكفار وأيضاً ففي الصحيح عن العباس بن عبد المطلب  
 أنه قال يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه يحوطك  
 ويغضب لك قال نعم هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان  
 في الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله بن الحارث قال  
 سعت العباس يقول قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك  
 وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار  
 فأخرجته إلى ضحضاح وعن أبي سعيد الخدري رضى الله  
 عنه أن رسول الله ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه  
 شفاعتى يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه  
 يغلى منه دماغه فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في  
 بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل في أن يجعل أهون أهل  
 النار عذاباً كما في الصحيح أيضاً عن ابن عباس أن رسول الله  
 قال أهون أهل النار عذاباً أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى  
 منهما دماغه وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذاباً منتعل بنعلين من  
 نار يغلى دماغه من حرارة نعليه وعن النعمان بن بشير قال  
 سمعت رسول الله يقول إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة  
 لرجل يوضع في أحمض قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه  
 وعنه قال قال رسول الله إن أهون أهل النار عذاباً من له نعلان  
 وشراكان من نار يغلى منها دماغه كما يغلى الرجل ما يرى أن  
 أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهونهم عذاباً وهذا السؤال الثانى  
 يضعف جواب من تأول نفى الشفاعة على الشفاعة للكفار وإن  
 الظالمين هم الكافرون فيقال الشفاعة المنفية هي الشفاعة  
 المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع الشفيع إلى  
 غيره ابتداءً فيقبل شفاعته فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع لم  
 يكن مستقلاً بالشفاعة بل يكون مطيعاً له أى تابعاً له في الشفاعة  
 وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسؤل وقد

ثبت بنص القرآن في غير آية أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما قال تعالى { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال { يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } طه 109 وقال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذي يبين أن هذه هي الشفاعة المنفية أنه قال { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وأما نفى الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية التي بإذنه ليست من دونه كما قال تعالى { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } 55 { وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } 56 { المائدة 55-56 } وأيضا فقد قال { أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبًا أُولَئِكَ كَانُوا لَآ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ } الزمر 43 { أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُوبًا أُولَئِكَ كَانُوا لَآ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ } 43 { قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } 44 { الزمر 43-44 } فذم الذين اتخذوا من دون الله شفعا وأخبر أن لله الشفاعة جميعا فعلم أن الشفاعة منتفية عن غيره إذ لا يشفع أحد إلا بإذنه وتلك فهي له وقد قال { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ } يونس 18 يوضح ذلك أنه نفى يومئذ الخلة بقوله { مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةً وَلَا شَفَاعَةً وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } البقرة 254 ومعلوم أنه إنما نفى الخلة المعروفة ونفعها المعروف كما ينفع الصديق الصديق في الدنيا كما قال { وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ } 17 { ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ



مَا يَوْمُ الدِّينِ {18} يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ  
لِلَّهِ {19} الانفطار 17-19 وقال {لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} {15}  
يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ  
الْوَّاحِدِ الْفَهَّارِ {16} غافر 16 لم ينف أن يكون في الآخرة  
خلة نافعة بإذنه فإنه قد قال { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ  
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } {66} الأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ  
إِلَّا الْمُتَّقِينَ {67} يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ  
تَحْزَنُونَ {68} الزخرف 66-68 الآيات وقد قال النبي يقول  
الله تعالى حقت محبتي للمتحابين في ويقول الله تعالى  
أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي  
فتعين أن الأمر كله عائد الى تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع أحد ولا  
يضر الا بإذن الله وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله ولا يستعان  
به من دون الله وأنه يوم القيامة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله  
للله ويتبرأ كل مدع من دعواه الباطلة فلا يبقى من يدعى لنفسه  
معه شركا في ربوبيته أو الهيته ولا من يدعى ذلك لغيره بخلاف  
الدنيا فإنه وإن لم يكن رب ولا اله الا هو فقد اتخذ غيره ربا والهيا  
وادعى مدعون وفي الدنيا يشفع الشافع عند غيره وينتفع بشفاعته  
وإن لم يكن أذن له في الشفاعة ويكون خليله فيعينه ويفتدى نفسه  
من الشر فقد ينتفع بالنفوس والأموال في الدنيا والنفوس ينتفع بها  
تارة بالإستقلال وتارة بالإعانة وهي الشفاعة والأموال بالفداء  
فنفى الله هذه الأقسام الثلاثة قال تعالى {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ  
شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} البقرة 48 وقال  
{لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ} البقرة 254 كما قال {لَا  
يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئاً} أ  
{لقمان 33} فهذا هذا والله أعلم وعاد ما نفاه الله من الشفاعة  
الى تحقيق أصلى الإيمان وهي الإيمان بالله وباليوم الآخر  
التوحيد والمعاد كما قرن بينهما في مواضع كثيرة كقوله  
{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ} البقرة 8 وقوله  
{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}

{ البقرة 156 وقوله { مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَنَسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } لقمان 28 وقوله { وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } البقرة 28 وأمثال ذلك<sup>1</sup>

\* وأن كل من دعي من دون الله لا يملك الشفاعة فإن المالك للشيء هو الذي يتصرف فيه بمشيئته وقدرته والرب تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه فلا يملك أحد من المخلوقين الشفاعة بحال ولا يقال في هذا إلا بإذنه إنما يقال ذلك في الفعل فيقال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وأما في الملك فلا يمكن أن يكون غيره مالكا لها فلا يملك مخلوق الشفاعة بحال ولا يتصور أن يكون نبي فمن دونه مالكا لها بل هذا ممتنع كما يمتنع أن يكون خالقا وربما ولهذا لما نفى الشفعاء من دونه نفاهم نفيا مطلقا بغير استثناء وإنما يقع الاستثناء إذا لم يقيدهم بأنهم من دونه كما قال تعالى { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَاِلَىٰ وَلَا شَفِيعٌ لَهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وكما قال تعالى { وَذَكَرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَاِلَىٰ وَلَا شَفِيعٌ } الأنعام 70 وكما قال تعالى { مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَاِلَىٰ وَلَا شَفِيعٌ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 فلما قال من دونه نفى الشفاعة مطلقا وإذ ذكر بإذنه لم يقل من دونه كقوله { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقوله { إِمَّا مِّنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ } يونس 3 فمن تدبر القرآن تبين له أنه كما قال تعالى { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } الزمر<sup>1</sup> 23

### الشرك نوعان

\* أن الشرك نوعان شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير إما كما قال سبحانه { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا

مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٍ {سبأ22} فبين أنهم لا يملكون  
 مثقال ذرة استقلالاً ولا يشركونه في شيء من ذلك ولا يعينونه  
 على ملكه ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عوناً فقد انقطعت  
 علاقته وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو  
 دعاء مسألة كما قال تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} {5}  
 الفاتحة فكما أن إثبات المخلوقات أسباب لا تقدر في توحيد  
 الربوبية ولا تمنع أن الله خالق كل شيء ولا توجب أن يدعي  
 مخلوق دعاء عبادة أو دعاء استغاثة كذلك إثبات بعض الأفعال  
 المحرمة من شرك أو غيره أسباباً لا يقدر في توحيد الإلهية ولا  
 يمنع أن يكون الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب أن  
 تستعمل الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذ كان الله يسخط ذلك  
 ويعاقب العبد عليه وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته  
 إذ قد جعل الله الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا إياه  
 وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل الأصيل حتى إنه سبحانه  
 قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله سبحانه {وَدَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا  
 دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْوَاً وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا  
 كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ {الأنعام170}

\*فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالم له خالقان ولا إن  
 الله معه إله يساويه في صفاته هذا لم يقله أحد من المشركين بل  
 كانوا يقولون بأن خالق السموات والأرض واحد كما أخبر الله  
 عنهم بقوله {قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {84}  
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} {85} قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ  
 وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} {87} قُلْ  
 مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ} {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} {89}  
 المؤمنون84-89 وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقربهم إلى الله  
 زلفى وتشفع لهم كما قال تعالى {وَدَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً  
 وَلَهْوَاً وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ  
 لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ {الأنعام170}

\*ولا قال احد قط من الادميين ان كوكبا من الكواكب او ان الشمس والقمر ابدعت السموات كلها ولا يقول هذا عاقل بل عباد الشمس والقمر والكواكب يعبدونها كما يعبد عباد الاصنام للاصنام وكما يعبد عباد الانبياء والصالحين لهم ولتماثيلهم وكما يعبدون اخرون الملائكة واخرون يعبدون الجن لما يرجون عبادتها من جلب منفعة او دفع مضرة لا لا اعتقادهم انها خلقت العالم بل قد يجعلونها شفعاء ووسائط بينهم وبين رب العالمين كما قال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } يونس18 وقال تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر3 وقال تعالى { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ } الأنعام51 وقال تعالى { **أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ** } الأنعام70 وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة4 والشفاعة التي اخبرت بها الرسل هي ان يأذن الله للشفيع فيشفع فيكون الامر كله لله كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة255 وقال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ } الأنبياء28 وهذا بخلاف ما اتخذه المشركون من الشفعاء<sup>1</sup>

### الشفاعة نوعان

\* وقال تعالى { وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَهَوًّا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعِدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَأُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } الأنعام70 وقال تعالى { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا } {56} أُولَئِكَ

الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ  
رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا {57}

الاسراء 56-57 قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون  
الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادى  
كما أنتم عبادى يرجون رحمتى كما ترجون رحمتى ويخافون  
عذابى كما تخافون عذابى ويتقربون الى كما تتقربون الى فنهى  
سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء مع اخباره لنا أن الملائكة  
يدعون لنا ويستغفرون ومع هذا فليس لنا أن نطلب ذلك منهم  
وكذلك الأنبياء والصالحون وان كانوا أحياء فى قبورهم وان قدر  
انهم يدعون للأحياء وان وردت به آثار فليس لأحد أن يطلب  
منهم ذلك ولم يفعل ذلك أحد من السلف لأن ذلك ذريعة الى  
الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى بخلاف الطلب من أحدهم  
فى حياته فانه لا يفضى الى الشرك ولأن ما تفعله الملائكة  
ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو بالامر الكونى فلا  
يؤثر فيه سؤال السائلين بخلاف سؤال أحدهم فى حياته فانه  
يشرع اجابة السائل وبعد الموت انقطع التكليف عنهم وقال  
تعالى { مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ  
يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا  
كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ {79} وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ  
تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ  
مُسْلِمُونَ {80} آل عمران 79-80 فبين سبحانه أن من اتخذ  
الملائكة والنبيين أربابا فهو كافر فالشفاعة نوعان أحدهما  
الشفاعة التى نفاها الله تعالى كالتى أثبتها المشركون ومن  
ضاهاهم من جهال هذه الأمة وضلالهم وهى شرك والثانى  
أن يشفع الشفيع بإذن الله وهذه التى أثبتها الله تعالى لعباده  
الصالحين ولهذا كان سيد الشفعاء إذا طلب منه الخلق الشفاعة  
يوم القيامة يأتى ويسجد قال فأحمد ربي بمحامد يفتحها على لا  
أحسنها الآن فيقال أى محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه

واشفع تشفع فاذا أذن له فى الشفاعة شفع لمن أراد الله أن يشفع فيه<sup>1</sup>

## إثبات الشفاعة لأهل الكبائر

\* وقال تعالى { وَدَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدِلَ كُلُّ عَدْلٍ لَأَيُّوْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } الأنعام 70 فالشفاعة المنفية فى القرآن كقوله تعالى { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ } الأعراف 53 وأمثال ذلك واحتج بكثير من الخوارج والمعتزلة على منع الشفاعة لأهل الكبائر إذ منعوا أن يشفع لمن يستحق العذاب أو أن يخرج من النار من يدخلها ولم ينفوا الشفاعة لأهل الثواب فى زيادة الثواب ومذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر والقول بأنه يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان وأيضا فالأحاديث المستفيضة عن النبى فى الشفاعة فيها استشفاع أهل الموقف ليقضى بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه وع شفاعة للكفار وأيضا فى الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنه قال يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه يحوطك ويغضب لك قال نعم هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله بن الحارث قال سعت العباس يقول قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من نار فأخرجته الى ضحضاح وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه فهذا نص صحيح صريح لشفاعته فى

بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل في أن يجعل أهون أهل  
 النار عذابا كما في الصحيح أيضا عن ابن عباس أن رسول الله  
 قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى  
 منهما دماغه وعن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من  
 نار يغلى دماغه من حرارة نعليه وعن النعمان بن بشير قال  
 سمعت رسول الله يقول إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة  
 لرجل يوضع في أحمض قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه  
 وعنه قال قال رسول الله إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان  
 وشراكان من نار يغلى منها دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن  
 أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا وهذا السؤال الثانى  
 يضعف جواب من تأول نفى الشفاعة على الشفاعة للكفار وإن  
 الظالمين هم الكافرون فيقال الشفاعة المنفية هي الشفاعة  
 المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع الشفيع الى  
 غيره ابتداء فيقبل شفاعته فأما إذا أذن له في أن يشفع فنشفع لم  
 يكن مستقلا بالشفاعة بل يكون مطيعا له أى تابعا له فى الشفاعة  
 وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسؤل وقد  
 ثبت بنص القرآن فى غير آية أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما  
 قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255  
 وقال { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ  
 قَوْلًا } طه 109 وقال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى  
 } الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذي يبين أن هذه هي الشفاعة  
 المنفية أنه قال { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ  
 لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَّلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وقال  
 تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ  
 أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ  
 أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولى  
 ولا شفيع وأما نفى الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت  
 بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية التى بإذنه ليست من دونه

كما قال تعالى { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } {55} وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } {56} المائدة 55-56 وأيضا فقد قال { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ } الزمر 43 { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُ أَوْلُو كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ } {43} قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } {44} الزمر 43-44 فذم الذين اتخذوا من دون الله شفعا وأخبر أن الله الشفاعة جميعا فعلم أن الشفاعة منتفية عن غيره إذ لا يشفع أحد الا بإذنه وتلك فهي له وقد قال { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } يونس 18 يوضح ذلك أنه نفي يؤمذ الخلة بقوله { مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } البقرة 254 ومعلوم أنه إنما نفي الخلة المعروفة ونفعها المعروف كما ينفع الصديق الصديق في الدنيا كما قال { وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ } {17} ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ } {18} يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ } {19} الانفطار 17-19 وقال { لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } {15} يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ } {16} غافر 16 لم ينف أن يكون في الآخرة خلة نافعة بإذنه فإنه قد قال { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } {66} الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } {67} يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ } {68} الزخرف 66-68 الآيات وقد قال النبي يقول الله تعالى حقت محبتي للمتحابين في ويقول الله تعالى أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي فتعين أن الأمر كله عائد الى تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع أحد ولا يضر الا بإذن الله وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله ولا يستعان



به من دون الله وأنه يوم القيامة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله ويتبرأ كل مدع من دعواه الباطلة فلا يبقى من يدعى لنفسه معه شركا في ربوبيته أو الهيته ولا من يدعى ذلك لغيره بخلاف الدنيا فإنه وإن لم يكن رب ولا اله الا هو فقد اتخذ غيره ربا والهيا وادعى مدعون وفي الدنيا يشفع الشافع عند غيره وينتفع بشفاعته وإن لم يكن أذن له في الشفاعة ويكون خليله فيعينه ويفتدى نفسه من الشر فقد ينتفع بالنفوس والأموال في الدنيا والنفوس ينتفع بها تارة بالإستقلال وتارة بالإعانة وهى الشفاعة والأموال بالفداء فنفى الله هذه الأقسام الثلاثة قال تعالى {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} البقرة 48 وقال {لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ} البقرة 254 كما قال {لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئاً} لقمان 33 فهذا هذا والله أعلم وعاد ما نفاه الله من الشفاعة الى تحقيق أصلى الإيمان وهى الإيمان بالله وباليوم الآخر التوحيد والمعاد كما قرن بينهما فى مواضع كثيرة كقوله {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} البقرة 8 وقوله {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} البقرة 156 وقوله {مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعَثْنَاكُمْ إِلَّا كَفَافًا وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} لقمان 28 وقوله {وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} البقرة 28 وأمثال ذلك<sup>1</sup>

## الدعاء

\*و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة و قوله تعالى {قُلْ أَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ} الأنعام 71<sup>1</sup>

## الحيرة من جنس الجهل والضلال

\* ان الله قد ذم الحيرة في القرآن في قوله {قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَلَا يَنْفَعُنَا اللَّهُ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} الأنعام 71-72 فالحيرة من جنس الجهل والضلال<sup>1</sup>

\* ومن المعلوم أن الله لا يحب الجهل ولا الشك ولا الحيرة ولا الضلال وانما يحب الدين والعلم واليقين وقد ذم الحيرة بقوله تعالى {قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرُدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} الأنعام 71-72 وقد أمرنا الله تعالى ان نقول { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {7} { الفاتحة وفي صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضى الله عنها ان النبي كان اذا قام من الليل يصلى يقول اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم فهو يسأل ربه ان يهديه لما اختلف فيه من الحق وقد قال الله تعالى له { وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } طه 114<sup>1</sup>

\* وهذا حال المنافقين المرتدين فإن الضلال والحيرة مما ذمه الله في القرآن قال الله تعالى في القرآن {قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَلَا يَنْفَعُنَا اللَّهُ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}

{ الأنعام 71 } وهكذا يريد هؤلاء (يقصد بعض الملحدين مثل ابن عربي) الضالون المتحIRON أن يفعلوا بالمؤمنين يريدون أن يدعوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وهي المخلوقات والأوثان والأصنام وكل ما عبد من دون الله ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم يردونهم عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ويصيروا حائرين ضالين كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا وقال تعالى { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } { الأنعام 110 } قوله يعمهن أى يحارون وقال تعالى { وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } { التوبة 45 } وقال تعالى { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {7} { الفاتحة 6-7 } فأمر أن نسأله هداية الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين وهؤلاء يذمون الصراط المستقيم ويمدحون طريق أهل الضلال والحيرة مخالفة لكتب الله ورسله ولما فطر الله عليه عباده من العقول والألباب<sup>1</sup>

\* قال عبدالعزيز بن عبدالله بن أبى سلمة الماجشون الامام نظير مالك فى كلامه المشهور الذى رد فيه على الجهمية ومن خالفها ومن أول كلامه قال اعرف رحمك الله غناك عن تكلف صفة ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها اذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف هل تستدل بذلك على شىء من طاعته أو تزجر به عن شىء من معصيته فاما الذى جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقا وتكلفا { اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ } { الأنعام 71 } فصار يستدل بزعمه على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال لا بد أن كان له كذا من أن يكون له كذا فعمى عن البين بالخفى فجحد ما سمي الرب من نفسه بصمت الرب عما لم يسم منها فلم يزل يملى له الشيطان حتى جحد قول الله تعالى { وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ

نَاصِرَةٌ {22} إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ {23} القيامة 22-23 فقال لا يراه أحد يوم القيامة فجدد والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أوليائه يوم القيامة من النظر الى وجهه ونصرته اياهم {فِي مَفْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكَ مُقْتَدِرٍ} القمر 55 وقد قضى انهم لا يموتون فهم بالنظر اليه ينضرون وهذا كله كلام ابن الماجشون الامام فتدبره وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية موافقا لغيره من الأئمة وكيف أنكر على من نفى الصفات بأنه يلزمهم من اثباتها كذا وكذا كما تقوله الجهمية أنه يلزم ان يكون جسما أو عرضا فيكون محدثا<sup>1</sup>

### دين الله هو اسلام الوجه لله والاحسان

\*والاسلام يجمع معنيين احدهما الاستسلام والانقياد فلا يكون متكبرا والثاني الاخلاص والاسلام يستعمل لازما معدي بحرف اللام مثل ما ذكر في هذه الايات **قُلْ أُنذِرُ مَنِ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرُدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتَبَاهُ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ فَمَا لَهُ هُدًى وَهُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {71}** وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {72} الانعام 71-72<sup>1</sup>

\*أن دين الله الذي أنزل به كتبه وبعث به رسله ما تقدم من إرادة الله وحده بالعمل الصالح وهذا هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد غيره قال تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران 85 وقال تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {18} إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ {19} آل عمران 18-19 والاسلام يجمع معنيين أحدهما الاستسلام والانقياد فلا يكون متكبرا والثاني الاخلاص من قوله تعالى {وَرَجُلًا سَلَمًا لَّرَجُلٍ} الزمر 29 فلا يكون مشركا وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين كما قال تعالى {وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةٍ

إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي  
 الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ {130} إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ  
 لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {131} وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ  
 اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ {132} البقرة  
 130-132 وقال تعالى { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
 دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {161} قُلْ إِنْ  
 صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لَا  
 شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ {163} الاتعام 161-  
 163 والاسلام يستعمل لا زما معدى بحرف اللام مثل ما ذكر في  
 هذه الآيات ومثل قوله تعالى { وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِنْ  
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } الزمر 54 ومثل قوله  
 تعالى { قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44 ومثل قوله { أَفَغَيَّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ  
 وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ  
 يُرْجَعُونَ } آل عمران 83 ومثل قوله { قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا  
 لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرُدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي  
 اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى  
 الْهُدَى انْتَبِهْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ  
 {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ {72} الْأَنْعَامُ 71-72 ويستعمل  
 متعديا مقرونا بالاحسان كقوله تعالى { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا  
 مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ {111} بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ  
 رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 111-112  
 وقوله { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ  
 مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النساء 125 فقد انكر  
 أن يكون دين أحسن من هذا الدين وهو اسلام الوجه لله مع  
 الاحسان وأخبر ان كل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره  
 عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يخزنون أثبتت هذه الكلمة  
 الجامعة والقضية العامة ردا لم زعم من زعمه أن لا يدخل الجنة

الامتهود او منتصر وهذا الوصفان وهما اسلام الوجه لله والاحسان هما الاصلان المتقدمان وهما كون العمل خالصا لله صوابا موافقا للسنة والشريعة وذلك ان اسلام الوجه لله هو متضمن للقصد ونيه الله<sup>1</sup>

## الصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال

\* إن الصلاة تعم الصلاة المفروضة والتطوع وقد يدخل فيها كل ذكر الله إما لفظاً وإما معنى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق وقال معاذ بن جبل مدارس العلم التسبيح<sup>1</sup>

\* قال تعالى {وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} الأنعام 71-72

جعل الله الاسلام مبينا على أركان خمسة ومن آكدها الصلاة وهي خمسة فروض وقرن معها الزكاة فمن أكد العبادات الصلاة وتليها الزكاة ففي الصلاة عبادته وفي الزكاة الاحسان الى خلقه فكرر فرض الصلاة في القرآن في غير آيه ولم يذكرها إلا قرن معها الزكاة من ذلك قوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} {البقرة 43} وقال {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَآخَرًا فَآخَرًا فِي الدِّينِ} {التوبة 11} وقال {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ} {البينة 5}

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رواه مسلم من حديث عمر أن جبريل سأل النبي عن الاسلام فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وعنه قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا من دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ولما بعث معاذ الى اليمن قال له إنك تقدم على

قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوك لذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وجاء ذكر الصلاة في القرآن مجملاً فبينه الرسول وان بيانه أيضاً من الوحي لأنه سبحانه أنزل عليه الكتاب والحكمة قال حسان بن عطية كان جبريل ينزل على النبي بالسنة يعلمه إياها كما يعلمه القرآن<sup>1</sup>

\* فالصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال و تبيين ذلك من وجوه نذكر بعضها مما انتزعه الإمام احمد و غيره منها أنها مقرونة بالتصديق بقوله {فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى} {31} وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} {32} القيامة 31 و قوله و {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} {الأنعام 92} و قوله تعالى {وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} {الأنعام 71-72}<sup>1</sup>

\* وعماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة وهي أول ما أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وآخر ما يفقد من الدين فإذا ذهب ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهب سقط الدين قال النبي رأس

الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذرورة سنامه الجهاد في سبيل الله وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فإنها قوام الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فإنه سبحانه يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة<sup>1</sup>

## بيان ما أمر الله به ورسوله من إقام الصلاة وإتمامها والطمأنينة

\*قال تعالى {وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} {الأنعام 71-72}

في بيان ما أمر الله به ورسوله من إقام الصلاة وإتمامها والطمأنينة فيها قال الله تعالى في غير موضع من كتابه {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ} {البقرة 43} وقال تعالى {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} {البقرة 238} وسيأتى بيان الدلالة في هذه الآيات وقد أخرج البخارى ومسلم في الصحيحين وأخرج أصحاب السنن أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وأصحاب المسانيد كمسند أحمد وغير ذلك من اصول الإسلام عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله دخل المسجد فدخل رجل ثم جاء فسلم على النبى فرد رسول الله عليه السلام وقال إرجع فصل فإنك لم تصل فرجع الرجل فصلى كما كان يصلى ثم سلم عليه فقال رسول الله وعليك السلام ثم قال إرجع فصل فإنك لم تصل حتى فعل ذلك ثلاث مرات فقال الرجل والذى بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمنى قال إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم إركع حتى تطمئن راکعاً ثم إرفع حتى تعتدل قائماً ثم إسجد حتى تطمئن ساجداً ثم إجلس حتى تطمئن جالساً ثم إفعل ذلك فى صلاتك كلها وفى رواية للبخارى إذا قمت إلى الصلاة فإسبغ الوضوء ثم إستقبل القبلة فكبر وإقرأ بما تيسر من القرآن ثم إركع حتى تطمئن راکعاً ثم إرفع رأسك حتى



تعتدل قائماً ثم إسجد حتى تطمئن ساجداً ثم إرفع حتى تستوى وتطمئن جالساً ثم إسجد حتى تطمئن ساجداً ثم إرفع حتى تستوى قائماً ثم إفعل ذلك فى صلاتك كلها وفى رواية له ثم إركع حتى تطمئن راکعاً ثم إرفع حتى تستوى قائماً وباقیه مثله وفى رواية وإذا فعلت هذا فقد تمت صلاتك وما انتقصت من هذا فإنما إنتقصته من صلاتك وعن رفاعه بن رافع رضى الله عنه أن رجلاً دخل المسجد فذكر الحديث وقال فيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم إنه لا تتم صلاة لأحد من الناس حتى يتوضأ فيضع الوضوء مواضعه ثم يكبر ويحمد الله عز وجل ويثنى عليه ويقرأ بما شاء من القرآن ثم يقول الله أكبر ثم يركع حتى يطمئن راکعاً ثم يقول الله أكبر ثم يرفع رأسه حتى يستوى قائماً ثم يسجد حتى يطمئن ساجداً ثم يقول الله أكبر ثم يرفع رأسه حتى يستوى قاعداً ثم يقول الله أكبر ثم يسجد حتى تطمئن مفاصله ثم يرفع رأسه فيكبر فإذا فعل ذلك فقد تمت صلاته وفى رواية إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمر الله عز وجل فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح برأسه ورجليه إلى الكعبين ثم يكبر الله ويحمده ثم يقرأ من القرآن ما أذن له وتيسر وذكر نحو اللفظ الأول وقال ثم يكبر فيسجد فيمكن وجهه وربما قال جبهته من الأرض حتى تطمئن مفاصله وتسترخى ثم يكبر فيستوى قاعداً على مقعدته ويقوم صلبه فوصف الصلاة هكذا أربع ركعات حتى فرغ ثم قال لا تتم صلاة لأحدكم حتى يفعل ذلك رواه أهل السنن أبوداود والنسائي وابن ماجه والترمذى وقال حديث حسن والروايتان لفظ أبى داود وفى رواية ثالثة له قال إذا قمت فتوجهت إلى القبلة فكبر ثم إقرأ بأمر القرآن وبما شاء الله أن تقرأ فإذا ركعت فضع راحتك على ركبتيك وإمدد ظهرك وقال إذا سجدت فمكّن لسجودك فإذا رفعت فإقعدي على فخذك اليسرى وفى رواية أخرى قال إذا أنت قمت فى صلاتك فكبر الله عز وجل ثم إقرأ ما تيسر عليك من القرآن وقال فيه فإذا جلست فى وسط الصلاة فإطمئن

وافتترش فخذك اليسرى ثم تسهد ثم غذا قمت فمثل ذلك حتى تفرغ من صلاتك وفي رواية أخرى قال فتوضا كما أمر الله ثم تشهد فأتهم ثم كبير فإن كان معك قرآن فأقرأ به وإلا فأحمد الله عز وجل وكبره وهله وقال فيه وإن إنتقصت منه شيئاً إنتقصت من صلاتك فالنبي أمر ذلك المسيء في صلاته بأن يعيد الصلاة وأمر الله ورسوله إذا أطلق كان مقتضاه الوجوب وأمره إذا قام إلى الصلاة بالطمأنينة كما أمره بالركوع والسجود وأمره المطلق على الإيجاب وأيضاً قال له فإنك لم تصل فنفي أن يكون عمله الأول صلاة والعمل لا يكون منفياً إلا إذا إنتفى شيء من واجباته فأما إذا فعل كما أوجبه الله عز وجل فإنه لا يصح نفيه لإنتفاء شيء من المستحبات التي ليست بواجبة وأما ما يقوله بعض الناس إن هذا نفي للكمال كقوله لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد فيقال له نعم هو لنفي الكمال لكن لنفي كمال الواجبات أو لنفي كمال المستحبات فأما الأول فحق وأما الثاني فباطل لا يوجد مثل ذلك في كلام الله عز وجل ولا في كلام رسوله قط وليس بحق فإن الشيء إذا كملت واجباته فكيف يصح نفيه وأيضاً فلو جاز لجاز نفي صلاة عامة الأولين والآخرين لأن كمال المستحبات من أندر الأمور وعلى هذا فما جاء من نفي الأعمال في الكتاب والسنة وإنما هو لإنتفاء بعض واجباته كقوله تعالى {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} وقوله تعالى {وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} {النور 47} وقوله تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} {الحجرات 15} الآية وقوله {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ} {النور 62} الآية ونظائر ذلك كثيرة ومن ذلك قوله لا إيمان لمن لا أمانه له و لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب و لا صلاة إلا بوضوء<sup>1</sup>

\*أن الله سبحانه وتعالى أمر في كتابه بإقامة الصلاة وذم المصلين الساهين عنها المضيعين لها فقال تعالى في غير موضع {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} البقرة 43 وإقامتها تتضمن إتمامها بحسب الإمكان كما سيأتى في حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال أقيموا الركوع والسجود فإنى أراكم من بعدى ظهري وفي رواية أتموا الركوع والسجود فإن الله تعالى قال {فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا} النساء 103 والموقوت قد فسره السلف بالمفروض وفسروه بماله وقت المفروض هو المقدر المحدد فإن التوقيت والتقدير والتحديد والفرض ألفاظ متقاربة وذلك وجب أن الصلاة مقدره محددة موقوتة وذلك فى زمانها وأفعالها وكما أن زمانها محدود فأفعالها أولى أن تكون محدودة موقوتة وهو يتناول تقدير عددها بأن جعله خمسا وجعل بعضها أربعا فى الحضر وإثنتين فى السفر وبعضها ثلاثا وبعضها إثنتين فى الحضر والسفر وتقدير عملها أيضا ولذا يجوز عند العذر الجمع المتضمن لنوع من التقديم والتأخير فى الزمان كما يجوز أيضا القصر من عددها ومن صفتها بحسب ما جاءت به الشريعة وذلك أيضا مقدر عند العذر كما هو مقدر عند غير العذر ولهذا فليس للجامع بين الصلاتين أن يؤخر صلاة النهار إلى الليل أو صلاة الليل إلى النهار وصلاتى النهار الظهر والعصر وصلاتى الليل المغرب والعشاء وكذلك اصحاب الأعدار الذين ينقصون من عددها وصفتها وهو موقون محدود ولا بد أن تكون الأفعال محدودة الإبتداء والإنتهاء فالقيام محدود بالإنتصاب بحيث لو خرج عن حد المنتصب إلى حد المنحى الراكع بإختياره لم يكن قد أتى بحد القيام ومن المعلوم أن ذكر القيام الذى هو القراءة أفضل من ذكر الركوع والسجود ولكن نفس عمل الركوع والسجود أفضل من عمل القيام ولهذا كان عبادة بنفسه ولم يصح فى شرعنا إلا الله بوجه من الوجوه وغير ذلك من الأدلة المذكورة فى غير هذا الموضوع وإذا كان كذلك فمن المعلوم أن هذه الأفعال مقدره

محدودة بقدر التمكن منها فالساجد عليه أن يصل إلى الأرض وهو غاية التمكن ليس له غاية دون ذلك إلا لعذر وهو من حين نحناؤه أخذ في السجود سواء سجد من قيام أو من قعود فينبغي أن يكون ابتداء السجود مقدرًا بذلك بحيث يسجد من قيام أو قعود لا يكون سجوده من إنحاء فإن ذلك يمنع كونه مقدرًا محدودًا بحسب الإمكان ومتى وجب ذلك وجب الاعتدال في الركوع وبين السجدين وأيضًا ففي ذلك إتمام الركوع والسجود وأيضًا فأفعال الصلاة إذا كانت مقدرة وجب أن يكون لها قدر وذلك هو الطمأنينة فإن من نقر نقر الغراب لم يكن لفعله قدر أصلاً فإن قدر الشيء ومقداره فيه زيادة على أصل وجوده ولهذا يقال للشيء الدائم ليس له قدر فإن القدر لا يكون لأدنى حركة بل لحركة ذات إمتداد وأيضًا فإن الله عز وجل أمرنا بإقامتها والإقامة أن تجعل قائمة والشيء القائم هو المستقيم المعتدل فلا بد أن تكون أفعال الصلاة مستقرة معتدلة وذلك إنما يكون بثبوت أبعاضها وإستقرارها وهذا يتضمن الطمأنينة فإن من نقر نقر الغراب لم يقم السجود ولا يتم سجوده إذا لم يثبت ولم يستقر وكذلك الراكع يبين ذلك ما جاء في الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ سوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة وأخرجاه من حديث عبدالعزیز بن صهيب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أتموا الصفوف فإنى أراكم من خلف ظهرى وفى لفظ أقيموا الصفوف وروى البخارى من حديث حميد عن أنس قال أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقيموا صفوفكم وتراصوا فإنى أراكم من وراء ظهرى وكان أحدنا يلصق منكبه بمنكب صاحبه وبدنه ببذنه فإذا كان تقويم الصف وتعديله من تمامها وإقامتها بحيث لو خرجوا عن الإستواء والإعتدال بالكلية حتى يكون رأس هذا عند النصف الأسفل من هذا لم يكونوا مصطفين ولكنوا يؤمرون بالإعادة وهم بذلك أولى من الذى صلى خلف

الصف وحده فأمره النبي أن يعيد صلاته فكيف بتقويم أفعالها وتعديلها بحيث لا يقيم صلته في الركوع والسجود ويدل على ذلك وهو دليل مستقل في المسألة ما أخرجاه في الصحيحين عن شعبة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبي قال أقيموا الركوع والسجود فوالله إنى لأراكم من بعدى وفي رواية من بعد ظهرى إذا ركعتم وسجدتم وفي رواية للبخارى عن همام عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أنه سمع النبي يقول أتموا الركوع والسجود فالذى نفسى بيده انى لأراكم من بعد ظهرى إذا ما ركعتم وإذا ما سجدتم ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائى وابن أبى عروبة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه أن نبي الله قال أتموا الركوع والسجود ولفظ ابن أبى عروبة أقيموا الركوع والسجود فإنى أراكم وذكره فهذا يبين أن إقامة الركوع والسجود توجب إتمامها كما فى اللفظ الآخر وأيضا فأمره لهم بإقامة الركوع والسجود يتضمن السكون فيهما إذ من المعلوم أنهم كانوا يأتون بالإنحاء فى الجملة بل الأمر بالإقامة يقتضى أيضا الاعتدال فيهما وإتمام طرفيهما وفى هذا رد على من زعم أنه لا يجب الرفع فيهما وذلك أن هذا أمر للمؤمنين خلفه ومن المعلوم أنه لم يكن يمكنهم الإنصراف قبله وأيضا فقوله تعالى {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَفُؤُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} البقرة 238 أمر بالقنوت فى القيام لله والقنوت دوام الطاعة لله عز وجل سواء كان فى حال الإنتصاب أو فى حال السجود<sup>1</sup>

### حكم من ترك واجبا من واجبات الصلاة

\*قال تعالى {وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوا وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} الأنعام 71-72  
كان جمهور العلماء على أن من ترك واجبا من واجبات الصلاة عمدا فعليه إعادة الصلاة ما دام يمكن فعلها وهو إعادتها فى

الوقت هذا مذهب مالك والشافعي وأحمد لكن مالك وأحمد يقولان قد يجب فيها ما يسقط بالسهو ويكون سجود السهو عوضا عنه وسجود السهو واجب عندهما وأما الشافعي فيقول كل ما وجب بطلت الصلاة بتركه عمدا أو سهوا وسجود السهو عنده ليس بواجب فإن ما صحت الصلاة مع السهو عنه لم يكن واجبا ولا مبطلا والأكثرون يوجبون سجود السهو كمالك وأبي حنيفة وأحمد ويقولون قد أمر به النبي صلى الله عليه وسلم والأمر يقتضي الإيجاب ويقولون الزيادة في الصلاة لو فعلها عمدا بطلت الصلاة بالإتفاق مثل أن يزيد ركعة خامسة عمدا أو يسلم عمدا قبل إكمال الصلاة ثم إذا فعله سهوا سجد للسهو بالسنة والإجماع فهذا سجود لما تصح الصلاة مع سهوة دون عمدته وكذلك ما نقصه منها فإن السجود يكون للزيادة تارة وللنقص أخرى كسجود النبي صلى الله عليه وسلم لما ترك التشهد الأول ولو فعل ذلك أحد عمدا بطلت صلاته عند مالك وأحمد وأما أبو حنيفة فيوجب في الصلاة ما لا تبطل بتركه لا عمدا ولا سهوا ويقول هو مسيء بتركه كالطمأنينة وقراءة الفاتحة وهذا مما نازعه فيه الأكثرون وقالوا من ترك الواجب عمدا فعليه الإعادة الممكنة لأنه لم يفعل ما أمر به وهو قادر على فعله فلا يسقط عنه وقد أخرجنا في الصحيحين حديث المسيء في صلاته لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فصل فإنك لم تصل وأمره بالصلاة التي فيها طمأنينة فدل هذا الحديث الصحيح على أن من ترك الواجب لم يكن ما فعله صلاة بل يؤمر بالصلاة والشارع صلى الله عليه وسلم لا ينفي الإسم إلا لانتفاء بعض واجباته فقولته فإنك لم تصل لأنه ترك بعض واجباتها ولم تكن صلاته تامة

مقامة الإقامة المأمور بها في قوله تعالى { فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ } النساء 103 فقد أمر بإتمامها ولهذا لما أمر بإتمام الحج والعمرة بقوله { وَاتَّمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ } البقرة 196 أُلزم الشارع فيهما فعل جميع الواجبات فإذا ترك بعضها فلا بد من الجبران فعلم أنه إن لم يأت بالمأمور به تاما التمام الواجب

وإلا فعليه ما يمكن من إعادة أو جبران وكذلك أمر الذي رآه يصلي خلف الصف وحده أن يعيد وقال لا صلاة لفظ خلف الصف وقد صححه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن حزم وغيرهم من علماء الحديث فإن قيل ففي حديث المسيء الذي رواه أهل السنن من حديث رفاعة بن رافع أنه جعل ما تركه من ذلك يؤاخذ بتركه فقط ويحسب له ما فعل ولا يكون كمن لم يصل قيل وكذلك نقول من فعلها وترك بعض واجباتها لم يكن بمنزلة من لم يأت بشيء منها بل يثاب على ما فعل ويعاقب على ما ترك وإنما يؤمر بالإعادة لدفع عقوبة ما ترك وترك الواجب سبب للعقاب فإذا كان يعاقب على ترك البعض لزمه أن يفعلها فإن كان له جبران أو أمكن فعله وحده وإلا فعله مع غيره فإنه لا يمكن فعله مفردا فإن قيل فإذا لم يكن فعله مفردا طاعة لم يثب عليه أو لا قيل هو أولى فعله ولم يكن يعلم أنه لا يجوز أو كان ساهيا كالذي يصلي بلا وضوء أو يسهوا عن القراءة والسجود المفروض فيثاب على ما فعل ولا يعاقب بنسيانه وخطئه لكن يؤمر بالإعادة لأنه لم يفعل ما أمر به أو لا كالنائم إذا استيقظ في الوقت فإنه يؤمر بالصلاة لأنها واجبة عليه في وقتها إذا أمكن وإلا صلاها أي وقت استيقظ فإنه حينئذ يؤمر بها وأما إذا أمر بالإعادة فقد علم أنه لا يجوز فعل ذلك مفردا فلا يؤمر به مفردا فإن قيل فلو تعمد أن يفعلها مع ترك الواجبات التي يعلم وجوبها قيل هذا مستحق للعقاب فإنه عاص بهذا الفعل وهذا قد يكون إثمه كإثم التارك وإن قدر أن هذا قد يثاب فإنه لا يثاب عليه ثواب من فعله مع غيره كما أمر به بل أكثر ما يقال إن له عليه ثوابا بحسبه لكن الذي يعرف أنه إذا لم يكن يعرف أن هذا واجب أو منهي عنه فإنه يثاب على ما فعله قال الله تعالى { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } 7 { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } 8 { الزلزلة 7-8 } والقرآن وذكر الله ودعاؤه خير وإلا فالمسلم لا يصلى إلى غير قبلة أو بغير وضوء أو ركوع أو سجود ومن فعل ذلك كان مستحقا للذم والعقاب ومع هذا فقد

يمكن إذا فعل ذلك مع اعترافه بأنه مذنب لا على طريق  
الإستهانة والإستهزاء والإستخفاف بل على طريق الكسل أن  
يثاب على ما فعله كمن ترك واجبات الحج المجبورة بدم لكن لا  
يكون ثوابه كما إذا فعل ذلك مع غيره على الوجه المأمور به <sup>1</sup>

## الشارع لم ينقل الاسماء ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا مطلقة

\*قال تعالى {وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {71} وَأَنْ أَقِيمُوا  
الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} {72} {الأنعام 71-72}

وبسبب الكلام في مسألة الايمان تنازع الناس هل في اللغة  
أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسماها في اللغة أو أنها باقية في  
الشرع على ما كانت عليه في اللغة لكن الشارع زاد في أحكامها  
لا في معنى الاسماء وهكذا قالوا في إسم الصلاة و  
الزكاة و الصيام و الحج إنها باقية في كلام  
الشارع على معناها اللغوي لكن زاد في أحكامها ومقصودهم ان  
الايمان هو مجرد التصديق وذلك يحصل بالقلب واللسان وذهبت  
طائفة ثالثة الى أن الشارع تصرف فيها تصرف أهل العرف  
فهي بالنسبة الى اللغة مجاز وبالنسبة الى عرف الشارع حقيقة  
والتحقيق أن الشارع لم ينقلها ولم يغيرها ولكن استعملها مقيدة لا  
مطلقة كما يستعمل نظائرها ولفظ الايمان أمر به مقيدا  
بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وكذلك لفظ الإسلام  
بالإستسلام لله رب العالمين وقد بين الرسول تلك الخصائص  
والاسم دل عليها فلا يقال أنها منقولة ولا أنه زيد في الحكم دون  
الاسم بل الاسم انما استعمل على وجه يختص بمراد الشارع لم  
يستعمل مطلقا وهو إنما قال {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} بعد أن عرفهم



الصلاة المأمور بها فكان التعريف منصرفا الى الصلاة التي يعرفونها لم يرد لفظ الصلاة وهم لا يعرفون معناه ولهذا كل من قال في لفظ الصلاة أنه عام للمعنى اللغوي أو أنه مجمل لتردده بين المعنى اللغوي والشرعي ونحو ذلك فأقوالهم ضعيفة فان هذا اللفظ انما ورد خبرا أو أمرا فالخبر كقوله { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى {9} عَبْدًا إِذَا صَلَّى {10} } العلق 9-10 وسورة اقرأ من أول ما نزل من القرآن وكان بعض الكفار أما أبو جهل أو غيره قد نهى النبي عن الصلاة وقال لئن رأيتك يصلي لأطأن عنقه فلما رآه ساجدا رأى من الهول ما أوجب نكوصه على عقبه فإذا قيل { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى {9} عَبْدًا إِذَا صَلَّى {10} } العلق 9-10 فقد علمت تلك الصلاة الواقعة بلا إجمال في اللفظ ولا عموم ثم أنه لما فرضت الصلوات الخمس ليلة المعراج أقام النبي لهم الصلوات بمواقيتها صبيحة ذلك اليوم وكان جبرائيل يؤم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون يأتون بالنبي فإذا قيل لهم { أَقِيمُوا الصَّلَاةَ } عرفوا أنها تلك الصلاة وقيل أنه قبل ذلك كانت له صلاتان طرفى النهار فكانت أيضا معروفة فلم يخاطبوا بإسم من هذه الأسماء الا ومسماه معلوم عندهم فلا اجمال في ذلك ولا يتناول كل ما يسمى حجا ودعاء وصوما فإن هذا انما يكون اذا كان اللفظ مطلقا وذلك لم يرد<sup>1</sup>

### الله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها ويرضاها

\*و الله تعالى يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن لكن المدح فى هذا الكلام معناه أنه مطلق المشيئة لا معوق له إذا أراد شيئا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم إرحمني إن شئت و لكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له فبين صلى الله عليه و سلم أنه لا يفعل إلا بمشيئته ليس له مكره حتى يقال له إفعل إن شئت و لا يفعل إن لم يشأ فهو سبحانه إذا أراد شيئا كان قادرا عليه لا يمنعه منه مانع لا يعنى بذلك أنه يفعل لمجرد مشيئة ليس

معها حكمة بل يفعل عندهم ما و جود فعله و عدمه بالنسبة إليه سواء من كل و جه فإن هذا ليس بمدح بل المعقول من هذا أنه صفة ذم فمن فعل لمجرد إرادته الفعل من غير حكمة لفعله و لا تضمن غاية مجردة كان إن لا يفعل خير له و قد ذم الله سبحانه في كتابه من نسبه إلى هذا فقال تعالى و {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} ص27 و قال تعالى {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} {115} فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} {116} المؤمنون 115-116 قال المفسرون العبث أن يعمل عملاً لا لحكمة و هو جنس من اللعب و قال {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} {16} لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ} {17} الانبياء 16-17 و قال {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} {القيامة} 36 قال المفسرون و أهل اللغة السدى المهمل الذي لا يؤمر و لا ينهى كالذي يترك الإبل سدى مهملة و قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ} {الأنعام} 73 و قال تعالى {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ} {85} إِنْ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِيمُ} {86} الحجر 85- 86 و قد بين سبحانه الفرق بين ما أمر به و ما نهى عنه و بين من يحمده و يكرمه من أوليائه و من يذمه و يعاقبه من أعدائه و أنهم مختلفون لا يجوز التسوية بينهما و جعل خلاف ذلك من المنكر الذي لا مساغ له فقال تعالى {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ} {35} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} {36} القلم 35- 36 و قال {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} ص28 و قال تعالى {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} {الجاثية} 21 فبين أن هذا الحكم سيء في نفسه ليس الحكم به مساويا للحكم بالتفاضل ثم

قال {وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} الجاثية 22 فأخبر أنه خلق الخلق ليجزى كل نفس بما كسبت و أنه لا يظلم أحدا فينقص من حسناته شيئا بل كما قال { وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } الكهف 49 وقد نزه نفسه في غير موضع من القرآن أن يظلم أحدا من خلقه فلا يؤتية أجره أو يحمل عليه ذنب غيره فقال تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } طه 112 و قال تعالى { لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَِّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ {28} مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيِّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ {29} ق 28- 29 و قال تعالى { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ {100} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَشَابَهُ } {101} } هود 100- 101 و في الحديث الصحيح الإلهي يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما فلا تظالموا <sup>1</sup>

\* أن الله سبحانه حكيم رحيم و قد أخبر أنه لم يخلق المخلوقات إلا بحكمته كما قال في قوله تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا } ص 27 و قال تعالى { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } {190} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } {191} آل عمران 190-191 و قال تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ } {16} لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ آتَاتِنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ } {17} الانبياء 16-17 و قال و هذا يبين أن معنى قوله في سائر الآيات بالحق هو لهذا المعنى الذي يتضمن حكمته كما قال { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ } {الأنعام 73} و قوله { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلِ } الحجر 85

والمراد هنا أنه سبحانه بين أنه إنما خلق المخلوقات لحكمته و هذا معنى قوله **بالحق** و قد ذم من ظن أنه خلق ذلك باطلا و عبثا فقال { **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** } المؤمنون 115 و قال { **أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى** } القيامة 36 و قال { **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ** } 190 { **الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** } آل عمران 190- 191 فلا بد من جزاء العباد على أعمالهم فلهذا قيل { **فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ** } الحجر 85 و لله سبحانه في كل ما يخلقه حكمة يحبها و يرضاها و هو سبحانه أحسن كل شيء خلقه و أتقن كل ما صنع فما وقع من الشر الموجود في المخلوقات فقد و وجد لأجل تلك الحكمة المطلوبة المحبوبة المرضية فهو من الله حسن جميل و هو سبحانه محمود عليه و له الحمد على كل حال و إن كان شرا بالنسبة إلى بعض الأشخاص<sup>1</sup>

### الأمر الكوني

قال تعالى { **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ** } الأنعام 73 فيقال الأمر الكوني يكون موجودا قبل وجود المكون لا يسمعه العبد وليس امتثاله مقدورا له بل الرب هو الذى يخلق ما كونه بمشيئته وقدرته والله تعالى ليس له شريك فى الخلق والتكوين و العبد وإن كان فاعلا بمشيئته وقدرته والله خالق كل ذلك فتكوين الله للعبد ليس هو أمرا لعبد موجود فى الخارج يمكنه الامتثال وكذلك ما خلقه من أحواله وأعماله خلقه بمشيئته وقدرته و { **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** } يس 82 فكل ما كان من المكونات فهو داخل فى هذا الامر و أكل آدم من الشجرة وغير ذلك من الحوادث داخل تحت هذا كدخول آدم فنفس أكل آدم هو الداخل تحت هذا الأمر كما دخل آدم فقول القائل انه قال لأدم فى الباطن

كل مثل قوله انه قال للكافر اكفر وللفاسق افسق والله لا يأمر بالفحشاء ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر ولا يوجد منه خطاب باطن ولا ظاهر للكفار والفساق والعصاة بفعل الكفر والفسوق والعصيان وان كان ذلك واقعا بمشيئته وقدرته وخلقه وأمره الكونى فالأمر الكونى ليس هو أمرا للعبد أن يفعل ذلك الأمر بل هو أمر تكوين لذلك الفعل فى العبد أو أمر تكوين لكون العبد على ذلك الحال فهو سبحانه الذى خلق الإنسان هلو عا { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً {21} المعارج 19-21 وهو الذى جعل المسلمين مسلمين كما قال الخليل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ } البقرة 128 فهو سبحانه جعل العباد على الأحوال التى خلقهم عليها وأمره لهم بذلك أمر تكوين بمعنى أنه قال لهم كونوا كذلك فيكونون كذلك كما قال للجماد كن فيكون فأمر التكوين لا فرق فيه بين الجماد والحيوان وهو لا يفتقر الى علم المأمور ولا إرادته ولا قدرته لكن العبد قد يعلم ما جرى به القدر فى أحواله كما يعلم ما جرى به القدر فى أحوال غيره وليس فى ذلك علم منه بأن الله أمره فى الباطن بخلاف ما أمره فى الظاهر بل أمره بالطاعة باطنا وظاهرا ونهاه عن المعصية باطنا وظاهرا وقد ما يكون فيه من طاعة ومعصية باطنا وظاهرا وخلق العبد وجميع أعماله باطنا وظاهرا وكون ذلك بقوله كن باطنا وظاهرا وليس فى القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا يحتج به والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض فإن القدر ان كان حجة وعذرا لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه اذا ظلم فى نفسه وماله وعرضه وحرمته أن لا ينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه وهذا أمر ممتنع فى الطبيعة لا يمكن أحد أن يفعله فهو ممتنع طبعا محرم شرعا ولو كان القدر حجة وعذرا لم يكن ابليس ملوما ولا معاقبا ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار ولا كان جهاد الكفار

جائزا ولا اقامة الحدود جائزا ولا قطع السارق ولا جلد الزاني  
ولا رجمه ولا قتل القاتل ولا عقوبة معتد بوجه من الوجوه  
ولما كان الإحتجاج بالقدر باطلا في فطر الخلق وعقولهم لم  
تذهب اليه أمة من الأمم ولا هو مذهب أحد من العقلاء الذين  
يطردون قولهم فإنه لا يستقيم عليه مصلحة أحد لا في دنياه ولا  
آخرته ولا يمكن اثنان أن يتعاشرا ساعة واحدة إن لم يكن أحدهما  
ملتزما مع الآخر نوعا من الشرع فالشرع نور الله في أرضه  
وعدله بين عبادہ لكن الشرائع تتنوع فتارة تكون منزلة من عند  
الله كما جاءت به الرسل وتارة لا تكون كذلك ثم المنزلة تارة  
تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم وتارة لا تغير ولا  
تبدل وتارة يدخل النسخ في بعضها وتارة لا يدخل وأما القدر  
فانه لا يحتج به أحد إلا عند اتباع هواه فاذا فعل فعلا محرما  
بمجرد هواه وذوقه ووجدته من غير أن يكون له علم بحسن الفعل  
ومصلحته استند الى القدر كما قال المشركون { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا  
أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } {148} الانعام 148 قال  
الله تعالى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ  
عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا  
تَخْرُصُونَ } {148} قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ  
أَجْمَعِينَ } {149} الانعام 148-149 فبين أنهم ليس عندهم علم  
بما كانوا عليه من الدين وانما يتبعون الظن<sup>1</sup>

### الله كلمات كثيرة

\*قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ  
كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ } {الأنعام 73} قالوا فالكلام القديم هو الحروف  
والأصوات ومنهم من قال الحروف دون الأصوات فهي قديمة  
أزلية بأعيانها لا نقول بوجود شيء بعد شيء وأنه ما زال يقول يا  
آدم يا نوح يا موسى من الأزل إلى الأبد ولا يزال يقول ذلك وقال  
هؤلاء باقتران الحروف بعضها ببعض في الأزل وأن الياء والسين  
موجودتان معا في الأزل والترتيب بينهما إنما هو ترتيب في ذاتهما

أو في ظهورهما لا في وجودهما وهذا قول طائفة من أهل الكلام والحديث والفقه حكاه الأشعري في المقالات عن طائفة قالته وقد وافقهم عليه طائفة من الفقهاء من أصحاب مالك وأحمد والشافعي وغيرهم فأنكر الجمهور هذا القول وقالوا هذا مخالف لصريح المعقول والمنقول فإن الله تعالى يقول {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 وإذا ظرف لما يستقبل من الزمان وأن تخلص الفعل المضارع للاستقبال والمؤقت بظرف معين لا يكون قديماً أزلياً<sup>1</sup>

\* فإنه على قول الجمهور الذين يجعلون لله كلمات كثيرة إما كلمات لا نهاية لها ولم تزل وإما كلمات لها ابتداء وإذا كان له كلمات كثيرة فالمسيح ليس هو الكلمات التي لا نهاية لها وليس هو كلمات كثيرة بل إنما خلق بكلمة من كلمات الله كما في الكتب الإلهية القرآن والتوراة إنه يخلق الأشياء بكلماته قال تعالى {مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} مريم 35 وقد أخبر الله في القرآن بخلقه للأشياء بكلماته في غير موضع بقوله {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} الأنعام 73 وفي التوراة ليكون يوم الأحد ليكون كذا ليكون كذا<sup>1</sup>

### ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

\* فالرب تعالى إذا لم يحدث شيئاً إلا بقدرته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس 82 فلا بد أن يريد الفعل قبل أن يفعله ولا بد أن يكون الفعل قبل المفعول وإن كانت الإرادة والفعل موجودين عند وجود المفعول كما يقول أهل السنة إن القدرة لا بد أن تكون مع الفعل<sup>1</sup>

\*فهذا يقتضي أنه إذا أراد شيئاً فإنما أمره أن يقول له كن فيكون  
وقوله إذا أراد فافتضى هذا انه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له  
كن<sup>1</sup>

### { عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ }

\*قال تعالى {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ  
{ النمل 65 وهو سبحانه قال {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ { النمل 65 ولم يقل  
ما فإنه لما اجتمع ما يعقل وما لا يعقل غلب ما يعقل وعبر  
عنه ب من لتكون أبلغ فانهم مع كونهم من أهل العلم  
والمعرفة لا يعلم أحد منهم الغيب إلا الله وهذا هو الغيب  
المطلق عن جميع المخلوقين الذي قال فيه {عَالَمُ الْغَيْبِ  
فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا { الجن 26 والغيب المقيد ما عمله  
بعض المخلوقات من الملائكة أو الجن أو الانس وشهدوه فانما  
هو غيب عن غاب عنه ليس هو غيباً عن شهده والناس كلهم  
قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا فيكون غيباً مقيداً أي غيباً عن  
غاب عنه من المخلوقين لا عما شهده ليس غيباً مطلقاً غاب عن  
المخلوقين قاطبة وقوله {عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ { الأنعام 73  
أي عالم ما غاب عن العباد مطلقاً ومعينا وما شهدوه فهو سبحانه  
يعلم ذلك كله<sup>1</sup>

### لطائف لغوية

- 1- قال تعالى {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّنْ  
فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعاً وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ  
بَعْضٍ { الأنعام 65 قدير منزه عن العجز والضعف<sup>1</sup>
- 2- أن لفظ مع في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة  
والاقتران ولا تدل على أن الأول مختلط بالثاني في عامة موارد  
الإستعمال كقوله تعالى {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ  
{ الفتح 29 لم يرد أن ذواتهم مختلطة بذاته وقوله {وَأَمَّا



يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَتَّعِدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ  
 { الأنعام 68 }<sup>1</sup>

3- وقوله { وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 69 اللام لام التعليل (لامات كي)<sup>1</sup>

4- قال تعالى { وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلٌّ دَلِيلًا يُوْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ } الأنعام 70 الدين هو التعاهد والتعاقد وإذا كان

كذلك فالأمور التي يحتاجون إليها يحتاجون أن يوجبوها علي أنفسهم والأمور التي تضرهم يحتاجون أن يحرموها علي نفوسهم وذلك دينهم وذلك لا يكون إلا باتفاقهم علي ذلك وهو التعاهد والتعاقد ولهذا جاء في الحديث لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له فهذا هو من الدين المشترك بين جميع بني آدم من التزام واجبات ومحرمات وهو الوفاء والعهد وهذا قد يكون باطلا فاسدا إذا كان فيه مضرة لهم راحة علي منفعتهم وقد يكون دين حق إذا كانت منفعة خاصة أو راحة

كما قال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } {1} لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } {2} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } {3} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ } {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } {5} لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } {6} الكافرون 1-6

وقال تعالى { مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ } يوسف 76 وقال تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } التوبة 29 الدين الحق هو طاعة الله وعبادته<sup>1</sup>

5- قال تعالى { وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلٌّ دَلِيلًا يُوْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا } الأنعام 70 أن الكسب هو الفعل الذي يعود علي فاعله بنفع أو ضرر كما قال تعالى { لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ { البقرة 286 فبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما أنه ينتفع بذلك<sup>1</sup>

6- قال تعالى {وَدَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلَّ عَدَلٍ لَأُبُوْخَذَ مِنْهَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا { الأنعام 70 و تبسل أى ترتهن وتحبس وتؤسر<sup>1</sup>

7- العدل هو الاعتدال والاعتدال هو صلاح القلب كما ان الظلم فساده ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظلما لنفسه والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه بل ظلمها فصلاح القلب فى العدل وفساده فى الظلم واذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم كذلك إذا عدل فهو العادل والمعدول عليه فمنه العمل و عليه تعود ثمره العمل من خير وشر قال تعالى { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 وقال {وَدَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلَّ عَدَلٍ لَأُبُوْخَذَ مِنْهَا أَوْلِيَاكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا { الأنعام 70 و تبسل أى ترتهن وتحبس وتؤسر كما ان الجسد إذا صح من مرضه قيل قد اعتدل مزاجه والمرض انما هو باخراج المزاج مع أن الاعتدال المحض السالم من الأخلاط لا سبيل اليه لكن الأمثل فالأمثل والعدل المحض فى كل شئ متعذر علما وعملا ولكن الامثل فالأمثل ولهذا يقال هذا أمثل ويقال للطريقة السلفية الطريقة المثلى وقال تعالى {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ { النساء 129<sup>1</sup>

8- و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ { غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و

بالعبادة و قوله تعالى { قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ } الأنعام 71<sup>1</sup>

9- قال تعالى { قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ } الأنعام 71 فالحيرة من جنس الجهل والضللال<sup>1</sup>

10- والاسلام يجمع معنيين احدهما الاستسلام والانقياد فلا يكون متكبرا والثاني الاخلاص والاسلام يستعمل لازما معدي بحرف اللام مثل ما ذكر في هذه الايات { قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } 71 { وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } 72 { الانعام 71- 72 }<sup>1</sup>

11- قال تعالى { قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 71 ان اصناف العالمين يراد به جميع اصناف الخلق كما في قوله تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة<sup>12</sup>

12- قال تعالى { قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 71 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا اطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدَىٰ لِّلْمُتَّقِينَ }

{ البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما في قوله { وَاجْتَنِبُواهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما في قوله { شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتِنَابًا وَهَذَا } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَنِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا<sup>1</sup>

13- إن الصلاة تعم الصلاة المفروضة والتطوع وقد يدخل فيها كل ذكر الله إما لفظاً وإما معنى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق وقال معاذ بن جبل مدارس العلم التسبيح<sup>1</sup>

14 - { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } الأنعام 73 حكيم منزه عن السفه<sup>1</sup>



## الانعام 74-90

{ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَأَيْتَ أَتَتَّخِذُ آبَاءَنَا آلِهَةً إِنِّي  
أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {74} وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ  
مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ {75}  
فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ  
لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي  
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ  
الضَّالِّينَ {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي  
هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا  
تُشْرِكُونَ {78} إِنِّي وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ {79} وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ  
قَالَ أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ  
بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا  
تَتَذَكَّرُونَ {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ  
أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ  
أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ  
يَلْبَسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ {82}  
وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ  
نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {83} وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ  
وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمَنْ ذُرِّيَّتِهِ  
دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ  
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {84} وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى  
وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ {85} وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ  
وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ {86} وَمَنْ  
آبَاؤُهُمْ وَذُرِّيَّاتُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى

صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {87} ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ  
عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {88}  
أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا  
هُؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ {89}  
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهْدَاهُمْ اِقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ  
أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ {90}

### إبراهيم دعا إلى الفطرة

\* قال تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَ أَنْتَ تَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {74} وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ {75} فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُجِبُ الْآفِلِينَ {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ {78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ {79} الانعام 74-79 الأفل هو المغيب والاحتجاب ليس هو الإمكان ولا الحركة وإبراهيم الخليل لم يحتج بذلك على حدوث الكواكب ولا على إثبات الصانع وإنما احتج بالأفول على بطلان عبادتها فإن قومه كانوا مشركين يعبدون الكواكب ويدعونها من دون الله لم يكونوا يقولون إنها هي التي خلقت السموات والأرض فإن هذا لا يقوله عاقل ولهذا قال { يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } الأنعام 78 وقال { قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } {75} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } {77} الشعراء 75-77 وقد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضوع<sup>1</sup>

\* لما ابتدعت الجهمية القول بنفى الصفات في آخر الدولة الأموية ويقال إن أول من ابتدع ذلك هو الجعد بن درهم معلم

مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وكان هذا الجعد من حران وكان فيها أئمة الصابئة والفلاسفة والفارابي كان قد أخذ الفلسفة عن متى ثم دخل إلى حران فأخذ ما أخذه منها عن أولئك الصابئة الذين كانوا بحران وكانوا يعبدون الهياكل العلوية وبينون هيكل العلة الأولى هيكل العقل الأول هيكل النفس الكلية هيكل زحل هيكل المشتري هيكل المريخ هيكل الشمس هيكل الزهرة هيكل عطارد هيكل القمر ويتقربون بما هو معروف عندهم من أنواع العبادات والقرابين والبخورات وغير ذلك وهؤلاء هم أعداء إبراهيم الخليل الذي دعاهم إلى عبادة الله وحده وكان مولده عند أكثر الناس إما بالعراق أو بحران كما في التوراة ولهذا ناظرهم في عبادة الكواكب والأصنام وحكى الله عنه أنه لما رأى كوكبا { قَالَ هَذَا رَبِّي } الانعام 76 إلى قوله { لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ } الانعام 76 إلى قوله { فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } {78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {79} الأنعام 78- 79 الآيات وقد ظن طائفة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم أن مراده بقوله هذا ربي أن هذا خالق العالم وأنه استدل بالأقول وهو الحركة والانتقال على عدم ربوبيته وزعموا أن هذه الحجة هي الدالة على حدوث الأجسام وحدث العالم

وهذا غلط من وجوه أحدها أن هذا القول لم يقله أحد من العقلاء لا قوم إبراهيم ولا غيرهم ولا توهم أحدهم أن كوكبا أو القمر أو الشمس خلق هذا العالم وإنما كان قوم إبراهيم مشركين يعبدون هذه الكواكب زاعمين أن في ذلك جلب منفعة أو دفع مضرة على طريقة الكلدانيين والكشدينيين وغيرهم من المشركين أهل الهند وغيرهم وعلى طريقة هؤلاء صنّف الكتاب الذي صنّفه أبو عبدالله بن الخطيب الرازي في السحر والطلسمات ودعوة الكواكب وهذا دين المشركين من الهند والخطأ والنبط والكلدانيين والكشدينيين وغير هؤلاء ولهذا



قال الخليل **{ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } الأنعام 78** و **{**  
**قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } 75** **{ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } 76**  
**فَأِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } 77** { الشعراء 75- 77 وأمثال  
ذلك وأيضاً فالأفول في لغة العرب هو المغيب والاحتجاب  
ليس هو الحركة والانتقال وأيضاً فلو كان احتجابه بالحركة  
والانتقال لم ينتظر إلى أن يغيب بل كان نفس الحركة التي  
يشاهدها من حين تطلع إلى أن تغيب هي الأفول وأيضاً  
فحركتها بعد المغيب والاحتجاب غير مشهودة ولا معلومة  
وأيضاً فلو كان قوله هذا ربي أي هذا رب العالمين لكانت  
قصة إبراهيم عليه السلام حجة عليهم لأنه حينئذ لم تكن الحركة  
عنده مانعة من كونه رب العالمين وإنما المانع هو الأفول  
ولما حرف هؤلاء لفظ الأفول سلك ابن سينا هذا المسلك في  
إشاراتة فجعل الأفول هو الإمكان وجعل كل ممكن أفلا وأن  
الأفول هوى في حظيرة الإمكان وهذا يستلزم أن يكون ما سوى  
الله أفلا ومعلوم أن هذا من أعظم الإفتراء على اللغة والقرآن  
ومن أعظم القرمطة ولو كان كل ممكن أفلا لم يصح قوله **{ فَلَمَّا**  
**جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ**  
**الْأَفْلِينَ } الأنعام 76** فإن قوله **{ فَلَمَّا أَفَلَ } الأنعام 76** يقتضى  
حدوث الأفول له وعلى قول هؤلاء المفترين على اللغة والقرآن  
الأفول لازم له لم يزل ولا يزال أفلا ولو كان مراد إبراهيم  
بالأفول الإمكان والإمكان حاصل في الشمس والقمر والكوكب  
في كل وقت لم يكن به حاجة إلى أن ينتظر أفولها وأيضاً  
فجعل القديم الأزلي الواجب بغيره أزلا وأبداً ممكناً قول انفراد به  
ابن سينا ومن تابعه وهو قول مخالف لجمهور العقلاء من سلفهم  
وخلفهم<sup>1</sup>

\* واولئك زعموا ان قول ابراهيم **{ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ } الأنعام 76**  
المراد به المتحركين لان الحركة حادثه والحادث لا يقوم الا  
بحدث فهي سمة الحدوث فاستدل بالحدوث على حدوث  
المتحرك والمعنى لا احب المحدثين الذين تقوم بهم الحوادث

فقال هؤلاء (الرازي) بل الافول الذي هو الحركة دليل على ان المتحرك ممكن وان كان قديما ازليا قالوا و الافول هوى في حظيرة الامكان وقوله لا احب الافلين أي الممكنين وان كان الممكن قديما وكان قديما المتكلمين يمثلون الدليل العقلي بقولهم كل متغير محدث والعالم متغير فهو محدث فجاء الرازي في محصله فجعل يمثل ذلك بقوله كل متغير ممكن والعالم متغير فهو ممكن و ابراهيم صلى الله عليه وسلم لم يرد هذا ولا هذا كما قد بسط في غير هذا الموضوع وبين ان كل واحد من الاستدلال بالحركة على الحدوث او الامكان دليل باطل كما يقول ذلك اكثر العقلاء من اتباع الانبياء واهل الكلام واساطين الفلاسفة ولكن كان قومه يعبدون الكواكب مع اعترافهم بوجود رب العالمين وكانوا مشركين يتخذ احدهم له كوكبا يعبده ويطلب حوائجه منه كما تقدم الاشارة اليه ولهذا قال الخليل عليه السلام { أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } {75} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } {77} الشعراء 75-77 وقال تعالى ايضا { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ } { الممتحنة 4 فأمر سبحانه بالتأسي بابراهيم والذين معه في قولهم لقومهم { إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } { الممتحنة 4 وكذلك ذكر الله عنه في سورة الصافات انه قال لقومه { فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } الصافات 87 وقال لهم { أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْنِتُونَ } {95} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } {96} الصافات 95-96 فالقوم لم يكونوا جاحدين لرب العالمين ولا كان قوله { هَذَا رَبِّي } الانعام 76 هذا الذي هو خلق السموات والارض على أي وجه قاله سواء قاله الزاما لقومه او تقديرا او غير ذلك ولا قال احد قط من الادميين ان كوكبا من الكواكب او ان الشمس والقمر ابدعت

السموات كلها ولا يقول هذا عاقل بل عباد الشمس والقمر  
 والكواكب يعبدونها كما يعبد عباد الاصنام للاصنام وكما يعبد  
 عباد الانبياء والصالحين لهم ولتمائيلهم وكما يعبدون اخرون  
 الملائكة واخرون يعبدون الجن لما يرجون بعبادتها من جلب  
 منفعة او دفع مضرة لا لاعتقادهم انها خلقت العالم بل قد  
 يجعلونها شفعاء ووسائط بينهم وبين رب العالمين كما قال تعالى  
 { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ  
 شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي  
 الْأَرْضِ } { يونس 18 وقال تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ  
 أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } { الزمر 3 ولا يقول  
 هذا عاقل بل عباد الشمس والقمر والكواكب يعبدونها كما يعبد  
 عباد الاصنام للاصنام وكما يعبد عباد الانبياء والصالحين لهم  
 ولتمائيلهم وكما يعبدون اخرون الملائكة واخرون يعبدون الجن  
 لما يرجون بعبادتها من جلب منفعة او دفع مضرة لا لاعتقادهم  
 انها خلقت العالم بل قد يجعلونها شفعاء ووسائط بينهم وبين  
 رب العالمين كما قال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا  
 يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَنْبِئُونَ  
 اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } { يونس 18 وقال  
 تعالى { وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا  
 إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } { الزمر 3 وقال تعالى { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ  
 أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ  
 } { الأنعام 51 الانعام وقال تعالى { أَنْ يُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ  
 لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ } { الأنعام 70 وقال تعالى { اللَّهُ  
 الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ  
 عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ  
 } { السجدة 4 والشفاعة التي اخبرت بها الرسل هي ان يأذن الله  
 للشفيع فيشفع فيكون الامر كله لله كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي  
 يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } { البقرة 255 وقال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ  
 ارْتَضَىٰ } { الأنبياء 28 وهذا بخلاف ما اتخذه المشركون من

الشفعاء واما الفلاسفة القائلون بقدم العالم فالشفاعة عندهم ان يفيض على المستشفع من الشفيع ما يقصده من غير قصد الشفيع ولا سؤال منه كما ينعكس شعاع الشمس من المرآة على الحائط وقد ذكر ذلك ابن سينا ومن تلقى عنه كصاحب الكتب المضمون بها على غير اهلها ومن اخذ عنه وهذا الشرك اعظم من شرك مشركي العرب والنصارى ونحوهم فان اولئك كانوا يقولون صانع العلم فاعل مختار وان الشافع يسأله ويدعوه لكن يثبتون شفاعة بغير اذنه وشفاعة لما ليس له شفاعة ويعبدون الشافع ويسألونه من دون الله ويصورون على تمثاله صورة يعبدونها وكانت الشياطين تدخل في تلك الاصنام وتكلمهم وتترا أي للسدنة احيانا كما يوجد نظير ذلك في هذا الزمان مواضع كثيرة<sup>1</sup>

\*ان ابراهيم ناظر المشركين بعبادة من لا يوصف بصفات الكمال فقال لأبيه { يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً } {مريم} 42 وقال لأبيه وقومه { مَا تَعْبُدُونَ } {70} قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ {71} قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ {72} أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ {73} قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ {74} قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ {75} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ {77} الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ {78} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ {79} وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ {80} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ {81} الشعراء 70-81 إلى آخر الكلام وقال {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {الأنعام} 79 وقال { إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ } {26} {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } {27} {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يُرْجَعُونَ } {28} {الزخرف} 26-28 فإبراهيم دعا إلى الفطرة وهو عبادة الله وحده لا شريك له وهو الإسلام العام و الإقرار بصفات الكمال لله و الرد على من عبد من سلبها فلما عابهم بعبادة من لا علم له و لا يسمع و لا يبصر قال { رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي

الأَرْضَ وَلَا فِي السَّمَاءِ {38} الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبِيرِ  
 إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ {39} ابراهيم 38-39  
 و لما عابهم بعبادة من لا يغنى شيئا فلا ينفع و لا يضر قال {  
 الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ {78} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ {79}  
 وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ {80} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ {81}  
 وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ {82} الشعراء 78-82  
 82 فإن الإنسان يحتاج إلى جلب المنفعة لقلبه و جسمه و دفع  
 المضرة عن ذلك و هو أمر الدين و الدنيا فمنفعة الدين الهدى

و مضرته الذنوب و دفع المضرة المغفرة و لهذا جمع بين  
 التوحيد و الإستغفار في مواضع متعددة و منفعة الجسد  
 الطعام و الشراب و مضرته المرض و دفع المضرة الشفاء  
 و أخبر أن ربه يحيي و يميت و أنه فطر السموات و الأرض و  
 إحياءه فوق كماله بأنه حي و أنه فطر السموات و الأرض  
 يفتضي إمساكها و قيامها الذي هو فوق كماله بأنه قائم بنفسه  
 حيث قال عن النجوم { لا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ } {الأنعام 76} فإن الأفل  
 هو الذى يغيب تارة و يظهر تارة فليس هو قائما على عبده فى  
 كل وقت و الذين يعبدون ما سوى الله من الكواكب و نحوها و  
 يتخذونها أوثانا يكونون فى وقت البروغ طالبين سائلين و فى  
 وقت الأفول لا يحصل مقصودهم و لا مرادهم فلا يجتلبون منفعة  
 و لا يدفعون مضرة و لا ينتفعون إذ ذاك بعبادة فبين ما فى الآلهة  
 التى تعبد من دون الله من النقص و بين ما لربه فاطر السموات و  
 الأرض من الكمال بأنه الخالق الفاطر العليم السميع البصير  
 الهادى الرازق المحيي المميت و سمي ربه بالأسماء الحسنى  
 الدالة على نعوت كماله فقال { يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ  
 وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } البقرة 129 و قال {  
 فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ابراهيم 36  
 و قال { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا } مريم 47 فوصف  
 ربه بالحكمة و الرحمة المناسب لمعنى الخلة كما قال { إِنَّهُ كَانَ  
 بِي حَفِيًّا } مريم 47<sup>1</sup>

## حقيقة الحنيفية

\*وقد قررنا في مواضع من القواعد الكبار أنه لا يجوز أن يكون غير الله محبوبا مرادا لذاته كما لا يجوز أن يكون غير الله موجودا بذاته بل لا رب إلا الله ولا إله غيره والإله هو المعبود الذي يستحق أن يحب لذاته ويعظم لذاته كمال المحبة والتعظيم وكل مولود يولد على الفطرة فإنه سبحانه فطر القلوب على أنه ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه إلا الله وحده وإن كل ما أحبه المحبوب من مطعوم وملبوس ومنظور وملموس يجد من نفسه وإن قلبه يطلب شيئا سواه ويحب أمرا غيره يتأله ويصمد إليه ويطمئن إليه ويرى ما يشبهه من هذه الاجناس ولهذا قال الله تعالى في كتابه الرعد ألا بذكر الله تطمئن القلوب وفي الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله قال إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة اقرءوا إن شئتم الروم { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ } الروم 30 وأيضا فكل ما فطرت القلوب على محبته من نعوت الكمال فالله هو المستحق له على الكمال وكل ما في غيره من محبوب فهو منه سبحانه وتعالى فهو المستحق لأن يحب على الحقيقة والكمال وإنكار محبة العبد لربه هو في الحقيقة إنكار لكونه إليها معبودا كما أن إنكار محبته لعبده يستلزم إنكار مشيئته وهو يستلزم إنكار كونه ربا خالقا فصار إنكارها مستلزما لإنكار كونه رب العالمين وكونه إله العالمين وهذا هو قول أهل التعطيل والجحود ولهذا اتفقت الأمتان قبلنا على ما عندهم من مآثور وحكم عن موسى وعيسى أن أعظم الوصايا أن تحب الله

بكل قلبك وعقلك وقصدك وهذا هو حقيقة الحنيفية ملة إبراهيم التي هي اصل شريعة التوراة والإنجيل والقرآن وإنكار ذلك هو مأخوذ من مقال الصابئين أعداء إبراهيم الخليل ومن وافقهم على ذلك من متفلسف أو متكلم أو متفقه أخذه عن هؤلاء وظهر ذلك في القرامطة الباطنية من الاسماعيلية ولهذا قال الخليل إمام الحنفاء قَالَ { قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَقْلِينَ } {الأنعام76} <sup>1</sup>

\* الحب أصل كل عمل والتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان وإذا كان الحب أصل كل عمل من حق وباطل وهو أصل الأعمال الدينية وغيرها وأصل الأعمال الدينية حب الله ورسوله كما ان اصل الأقوال الدينية تصديق الله ورسوله فالتصديق بالمحبة هو أصل الإيمان وهو قول وعمل كما قد بين في غير هذا الموضوع ومعلوم أن قوة المحبة لكل محبوب يتفاوت الناس فيها تفاوتاً عظيماً ويتفاوت حال الشخص الواحد في محبة الشيء الواحد بحيث يقوي الحب تارة ويضعف تارة بل قد يتبدل أقوى الحب بأقوى البغض وبالعكس قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ } {المتحنة1} إلى قوله { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ } {المتحنة4}

وإبراهيم هو إمام الحنفاء الذين يحبهم الله ويحبونه وهو خليل الله وقال تعالى { أفرأيتم مآ كنتم تعبدون } {75} أنتم وآبائكم الأقدمون } {76} فإنهم عدو لي إلا رب العالمين } {77}

الشعراء75-77 وقال تعالى أيضا { لَا أُحِبُّ الْأَقْلِينَ

{ الأنعام76} وقال بعد ذلك { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {الأنعام79}

وقد قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } {البقرة165} ولا ريب أن محبة المؤمنين لربهم أعظم المحبات وكذلك محبة الله لهم هي

محبة عظيمة جدا كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي قال يقول الله تعالى من عادي لي وليا فقد ابرزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولنن سألني لأعطينه ولنن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وكره مساءته ولا بد له منه وقد تأول الجهمية ومن اتبعهم من أهل الكلام محبة الله لعبده علي أنها الإحسان إليه فتكون من الأفعال وطائفة أخرى من الصفاتية قالوا هي إرادة الإحسان وربما قال كلا من القولين بعض المنتسبين إلي السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم وسلف الأمة وأئمة السنة علي إقرار المحبة علي ما هي عليه وكذلك محبة العبد لربه يفسرها كثير من هؤلاء بأنها إرادة العبادة له وإرادة التقرب إليه لا يثبتون أن العبد يحب الله وسلف الأمة وأئمة السنة ومشايخ المعرفة وعامة أهل الإيمان متفقون علي خلاف قول هؤلاء المعطلة لأصل الدين بل هم متفقون علي أنه لا يكون شيء من أنواع المحبة أعظم من محبة العبد ربه كما قال تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 وقال تعالى { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } المائدة 54<sup>1</sup>

### أصل العبادة هي المحبة

\* أصل العبادة المحبة والشرك فيها أصل الشرك ومما يبين ذلك أن أصل العبادة هي المحبة وأن الشرك فيها أصل الشرك كما ذكره الله في قصة إمام الحنفاء إبراهيم الخليل حيث قال { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ } الأنعام 76 وقال في القمر { لئن لم يهدني ربِّي لأكوننَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } الأنعام 77 فلما أفلت الشمس



قال { يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } {78} { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ  
لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنْ

الْمُشْرِكِينَ } {79} { الأنعام 78-79 } ولهذا تبرأ إبراهيم من  
المشركين وممن أشركوا بالله { قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } {75}  
أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } {76} { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبُّ  
الْعَالَمِينَ } {77} { الشعراء 75-77 } وقال تعالى { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ  
حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا  
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ  
أَبَدًا حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ } {المتحنة 4} ومما يوضح ذلك أنه  
قال تعالى { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ  
انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } {البقرة 193} وقال تعالى  
{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ  
اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } {الأنفال 39} فأمر بالجهاد حتى لا تكون  
فتنة وحتى يكون الدين كله لله فجعل المقصود عدم كون الفتنة  
ووجود كون الدين كله لله وناقض بينهما فكون الفتنة ينافي كون  
الدين لله وكون الدين لله ينافي كون الفتنة والفتنة قد فسرت  
بالشرك فما حصلت به فتنة القلوب ففيه شرك وهو ينافي كون  
الدين كله لله الفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات  
والفتنة جنس تحته أنواع من الشبهات والشهوات وفتنة الذين  
يتخذون من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله من أعظم الفتن  
ومنه فتنة أصحاب العجل كما قال تعالى { قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ  
مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ } {طه 85} قال موسى { إِنْ هِيَ إِلَّا  
فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ } {الأعراف 155}  
وقال تعالى { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } {البقرة 93}  
قيل لسفيان بن عيينة إن أهل الأهواء يحبون ما ابتدعوه من  
أهوائهم حبا شديدا فقال أنسيت قوله تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ  
مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } {البقرة 93} أو كلاما  
هذا معناه وكل ما أحب لغير الله فقد يحصل به من الفتنة ما يمنع  
أن يكون الدين لله وعشق الصور من أعظم الفتن وقد قال

تعالى { أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ } { الأنفال 28 } ولهذا قال سبحانه وتعالى { قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا } { التوبة 24 }<sup>1</sup>

\* ذلك أنه علم بالاضطرار أن الرسل كانوا يجعلون ما عبده المشركون غير الله ويجعلون عبده عابدا لغير الله مشركا بالله عادلا به جاعلا له ندا فانهم دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهذا هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله وهو الاسلام العام الذي لا يقبل الله من الاولين والآخرين غيره ولا يغفر لمن تركه بعد بلاغ الرسالة كما قال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } { النساء 48 } وهو الفارق بين أهل الجنة وأهل النار والسعداء والأشقياء كما قال النبي من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله وجبت له الجنة وقال إنى لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحا وهى رأس الدين قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الا الله وأنى رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وفضائل هذه الكلمة وحقائقها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون وهى حقيقة الأمر كله كما قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } { الأنبياء 25 } فأخبر سبحانه أنه يوحى الى كل رسول بنفى الالهية عما سواه وإثباتها له وحده وقال تعالى أيضا عن امام الخلائق خليل الرحمن أنه لما رأى كوكبا { قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ } {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إني بريء مما تشركون } {78} { الانعام 76-78 }

78 فهذا الخليل الذى جعله الله امام الأئمة الذين يهتدون بأمره من الانبياء والمرسلين بعده وسائر المؤمنين قال { يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } {78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {79} الأنعام 78-79<sup>1</sup>

### المخلوق ليس بالاله فى نفسه لكن عباده جعله الها

\*و اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا ولم يبيع ربا سوى الله ولم يتخذ ربا سواه كما قال تعالى { قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبُغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 164 وقال تعالى { أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } الأنعام 14 وقال { وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } آل عمران 80 وهو أيضا فى نفسه هو الاله الحق لا اله غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده من لم يجعل معه الها آخر ولا اتخذ الها غيره قال تعالى { فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ } الشعراء 213 وقال تعالى { لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا } الإسراء 22 وقال ابراهيم لأبيه آزر { أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } الأنعام 74 فالمخلوق ليس بالاله فى نفسه لكن عباده اتخذها وجعله الها وسماه الها وذلك كله باطل لا ينفع صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا وقاضيا كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يؤم ولا يفتى ولا يقضى وغير الله لا يصلح ان يتخذ الها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا ينفع ذا الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع خولا يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال كل من سوى الله اما أنه لا يسمع دعاء الداعى أو يسمع ولكن لا يستجيب له فإن غير الله لا يستقل بفعل شىء ألبتة وقد قال تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ

وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٍ {22} وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ {23} سبأ 22- 23 فغير الله لا مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء بل قد يكون له شفاعاة ان كان من الملائكة والانبياء والصالحين ولكن لا تنفع الشفاعاة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع أن يشفع وان يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون الشفاعاة البتة فلا يصلح من سواه لان يكون الها معبودا كما لا يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير<sup>1</sup>

## الذين يجمعون بين السحر وعبادة الكواكب من أعظم أنواع الشرك

\* فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعو لها بأنواع الأدعية والتعزيماات ويلبس لها من اللباس والخواتم ما يظن مناسبته لها ويتحرى الأوقات والأمكنة والأبخرة المناسبة لها في زعمه وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام وصنف فيه بعض المشهورين كتابا سماه السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم على مذهب المشركين من الهند والصابئين والمشركين من العرب وغيرهم مثل طمطم الهندي وملكوشا البابلي وابن وحشية وأبي معشر البلخي وثابت بن قرة وأمثالهم ممن دخل في الشرك وأمن بالجبت والطاغوت وهم منتسبون إلى أهل الإسلام كما قال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيْلًا {51} أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيْرًا {52} النساء 51-52} وقد قال غير واحد من السلف الجبت السحر والطاغوت الأوثان وبعضهم قال الشيطان وكلاهما حق وهؤلاء يجمعون بين الجبت الذي هو السحر والشرك الذي هو عبادة الطاغوت

كما يجمعون بين السحر وعبادة الكواكب وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام بل ودين جميع الرسل أنه شرك محرم بل هذا من أعظم أنواع الشرك الذي بعثت الرسل بالنهاي عنه ومخاطبة إبراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه لقومه كانت في نحو هذا الشرك وكذلك قوله تعالى { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } {75} فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ } {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } {78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {79} وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } {82} وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } {83} الانعام 75- 83

فإن إبراهيم عليه السلام سلك هذه السبيل لأن قومه كانوا يتخذون الكواكب أربابا يدعونها ويسألونها ولم يكونوا هم ولا أحد من العقلاء يعتقد أن كواكبها من الكواكب خلق السموات والأرض وإنما كانوا يدعونها من دون الله على مذهب هؤلاء المشركين ولهذا قال الخليل عليه السلام { أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } {75} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } {77} الشعراء 75-77 وقال الخليل أيضا { إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ } {26} إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } {27} الزخرف 26-27 والخليل صلوات الله عليه أنكر شركهم بعبادة الكواكب العلوية وشركهم بعبادة الأوثان التي هي تماثيل وطلاسم لتلك

الكواكب أو هي تماثيل لمن مات من الأنبياء والصالحين وغيرهم وكسر الأصنام كما قال تعالى عنه { فَجَعَلَهُمْ جُدَادًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ } {58} الانبياء 58 والمقصود هنا أن الشرك بعبادة الكواكب وقع كثيرا وكذلك الشرك بالمقبورين من دعائهم والتضرع إليهم والرغبة إليهم ونحو ذلك<sup>1</sup>

### كان ابراهيم موقنا

\*كان ابراهيم موقنا ليس عنده شك يقدح في يقينه ولهذا لما قال له ربه { أَوْلَمْ تَأْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيْطْمَئِنَّ قَلْبِي } البقرة 260 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ } { الأنعام 75 }<sup>1</sup>

### الإخلاص ينفي اسباب دخول النار

\*إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه فهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل وانزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه وهذا حقيقة قول لا إله إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل وجميع الرسل افتتحو دعوتهم بهذا الأصل صالح هود وشعيب هود عليهم السلام وغيرهم كل يقول اعبدوا الله ما لكم من إله غيره لا سيما أفضل الرسل اللذين اتخذ الله كلاهما خليلا إبراهيم ومحمدا عليهما السلام فإن هذا الأصل بينه الله بهما وأيدهما فيه ونشره بهما فهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص لله وهي البراءة من كل معبود إلا من الخالق الذي فطرنا وقال تعالى { فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } {78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {79} إلى قوله { لَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ

أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ  
بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الأنعام 77-81<sup>1</sup>

\*والشيء قد يحب من وجه دون وجه وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله وحده ولا تصلح الإلهية إلا له و{لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} الأنبياء 22 والإلهية المذكورة في كتاب الله هي العبادة والتأله ومن لوازم ذلك أن يكون هو الرب الخالق وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام أن الألوهية هي نفس الربوبية وأن ما ذكر في القرآن من نفي إله آخر والأمثال المضروبة البينة فالمقصود به نفي رب يشركه في خلق العالم كما هو عادتهم في كتب الكلام فهذا قصور وتقصير منهم في فهم القرآن وما فيه من الحجج والأمثال أتوا فيه من جهة أن مبلغ علمهم هو ما سلكوه من الطريقة الكلامية فاعتقدوا أن المقصودين واحد وليس كذلك بل القرآن ينفي أن يعبد غير الله أو أن يتخذها إلهاً فيحبه ويخضع له محبة الإله وخضوعه كما بينت ذلك عامة آيات القرآن مثل قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً} البقرة 165 ولهذا قال الخليل {لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} الأنعام 76 ومن المعلوم أن كل حي فله إرادة وعمل بحسبه وكل متحرك فأصل حركته المحبة والإرادة ولا صلاح للموجودات إلا أن يكون كمال محبتها وحركتها لله تعالى كما لا وجود لها إلا أن يبدعها الله<sup>1</sup>

\*قال تعالى {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا} 43 {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} 44 {الفرقان 43-44} فمن جعل ما يألوه هو ما يهواه فقد اتخذ الهه هواه أي جعل معبوده هو ما يهواه وهذا حال المشركين الذين يعبد احدهم ما يستحسنه فهم يتخذون اندادا من دون الله يحبونهم كحب الله ولهذا قال الخليل {لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} الأنعام 76 فإن قومه لم يكونوا منكرين للصانع ولكن كان احدهم يعبد ما يستحسنه ويظنه نافعا كالشمس والقمر

والكواكب والخليل بين ان الأفل يغيب عن عابده وتحجبه عنه الحواجب فلا يرى عابده ولا يسمع كلامه ولا يعلم حاله ولا ينفعه ولا يضره بسبب ولا غيره فأى وجه لعبادة من يأفل وكلما حقق العبد الاخلاص فى قول لا اله الا الله خرج من قلبه تأله ما يهواه وتصرف عنه المعاصى والذنوب كما قال تعالى { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ } يوسف 24 فعلى صرف السوء والفحشاء عنه بأنه من عباد الله المخلصين وهؤلاء هم الذين قال فيهم { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ } الحجر 42 وقال الشيطان { قَالَ فِعْرَتُكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ } {83} ص 82-83 وقد ثبت فى الصحيح عن النبى انه قال من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه حرمه الله على النار فإن الاخلاص ينفى اسباب دخول النار فمن دخل النار من القائلين لا اله الا الله لم يحقق اخلاصها المحرم له على النار بل كان فى قلبه نوع من الشرك الذى اوقعه فيما ادخله النار والشرك فى هذه الأمة اخفى من دبيب النمل ولهذا كان العبد مأمورا فى كل صلاة ان يقول { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه فى ذلك فلا تزال النفس تلتفت الى غير الله اما خوفا منه واما رجاء له فلا يزال العبد مفتقرا الى تخليص توحيديه من شوائب الشرك وفى الحديث الذى رواه ابن ابي عاصم وغيره عن النبى انه قال يقول الشيطان اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رأيت ذلك بنتت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يستغفرون لأنهم يحسبون انهم يحسنون صنعا<sup>1</sup>

\*قال الخليل { لا أحبُّ الأفلين } الأنعام 76 فإن الكواكب فى حال أفولها قد إنقطع أثرها عنا بالكلية فلم تبق شبهة يستند إليها المتعلق بها والرب الذي يدعى ويسأل ويرجى ويتوكل عليه لا بد أن يكون قيوما يقيم العبد فى جميع الأوقات والأحوال كما قال { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ } الفرقان 58 وقال { اللَّهُ لَا



إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ { البقرة 255 فهذا وغيره من أنواع  
النظر والإعتبار يوجب أن العبد لا يرجو إلا الله ولا يتوكل إلا  
عليه<sup>1</sup>

\*فليس في الكائنات ما يسكن العبد اليه ويطمئن به ويتنعم  
بالتوجه اليه الا الله سبحانه ومن عبد غير الله وإن أحبه وحصل  
له به مودة في الحياة الدنيا ونوع من اللذة فهو مفسدة لصاحبه  
أعظم من مفسدة التذاذ أكل الطعام المسموم {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ  
إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ { الأنبياء 22  
فإن قوامهما بأن تأله الاله الحق فلو كان فيهما آلهة غير الله لم  
يكن إلها حقا إذ الله لا سمي له ولا مثل له فكانت تفسد لإنتفاء ما  
به صلاحها هذا من جهة الإلهية وأما من جهة الربوبية  
فشئ آخر كما نقررره في موضعه واعلم أن فقر العبد الى  
الله أن يعبد الله لا يشرك به شيئا ليس له نظير فيقاس به لكن يشبهه  
من بعض الوجوه حاجة الجسد الى الطعام والشراب وبينهما  
فروق كثيرة فإن حقيقة العبد قلبه وروحه وهى لا صلاح لها  
إلا باللهها الله الذى لا إله إلا هو فلا تطمئن فى الدنيا إلا بذكره  
وهى كادحة اليه كدحا فملاقيته ولا بد لها من لقائه ولا صلاح لها  
إلا بلقائه ولو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله فلا يدوم  
ذلك بل ينتقل من نوع الى نوع ومن شخص الى شخص ويتنعم  
بهذا فى وقت وفى بعض الأحوال وتارة أخرى يكون ذلك الذى  
يتنعم به والتذ غير منعم له ولا ملتذ له بل قد يؤذيه إتصاله به  
ووجوده عنده ويضره ذلك وأما الهه فلا بد له منه فى كل حال  
وكل وقت وأينما كان فهو معه ولهذا قال امامنا إبراهيم  
الخليل صلى الله عليه وسلم { لا أحبُّ الآفلين { الأنعام 76  
وكان أعظم آية فى القرآن الكريم {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ  
الْقَيُّومُ { البقرة 255<sup>1</sup>

\*فإن الحى لابد له من ارادة فلا يمكن حيا أن لا تكون له ارادة  
فإن الإرادة التى يحبها الله ورسوله ويأمر بها أمر إيجاب أو أمر  
إستحباب لا يدعها إلا كافر أو فاسق أو عاص إن كانت واجبة  
وإن كانت مستحبة كان تاركها تاركا لما هو خير له والله  
تعالى وصف الأنبياء والصديقين بهذه الإرادة فقال تعالى  
{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ  
{الأنعام 52 وقال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ  
{الذاريات 56 ولا عبادة إلا بإرادة الله ولما أمر به وقال تعالى  
{وَمَا أَمُرُوا إِلَّا لِیَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ {البينة 5  
وإخلاص الدين له هو إرادته وحده بالعبادة وقال تعالى {قُلْ إِنْ  
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ {آل عمران 31 وكل محب  
فهو مرید وقال الخليل عليه السلام { لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ  
{الأنعام 76 ثم قال {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ {الأنعام 79 ومثل هذا كثير فى القرآن يأمر الله بإرادته  
وإرادة ما يأمر به وينهى عن إرادة غيره وأرادة ما نهى عنه وقد  
قال النبى إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن  
كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن  
كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما  
هاجر إليه فهما إرادتان إرادة يحبها الله ويرضاها  
وارادة لا يحبها الله ولا يرضاها بل أما نهى عنها وإما لم يأمر  
بها ولا ينهى عنها<sup>1</sup>

### تعليق النجاة والفلاح فى الآخرة بالتوحيد

\*التوحيد الذى جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله  
الأولين والآخرين من الرسل قال تعالى {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا  
مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ  
{الزخرف 45 وقال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنْ  
اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ  
عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ {النحل 36 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ { الأنبياء 25

وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم آعبدوا الله مالكم من إله غيره وهذا أول دعوة الرسل وآخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضا من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه وحقيقته إخلاص الدين كله لله والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء وهو أن تثبت الإلهية الحق في قلبك وتنفي الإلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات فنقول لا إله إلا الله فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقته أن تنفي عبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشيتها عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبموالاته عن موالاته ما سواه وبسؤاله عن سؤال ما سواه وبالاستعاذه به عن الاستعاذه بما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه وبالإنابة إليه عن الإنابة إلى ما سواه وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قام يصلي من الليل وقد روي أنه كان يقوله بعد التكبير اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليت توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت

وقال تعالى { قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ } الأنعام 14 وقال { أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } الأنعام 114 وقال { أَغْيَرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } {64} وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {65} بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } {66} الزمر 64-66 وقال تعالى { 160 } قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبِرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {161} قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {162} لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } {163} قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْتَغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا

عَلَيْهَا } {164} الأنعام 161-164 وهذا التوحيد كثير في القرآن وهو أول الدين وآخره وباطن الدين وظاهره وذروة سنام هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل ثم للخليين محمد وإبراهيم صلى الله عليهما وسلم تسليما فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه أنه قال إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا وأفضل الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم إبراهيم فإنه قد ثبت في الصحيح عنه أنه قال عن خير البرية إنه إبراهيم وهو الإمام الذي جعله الله إماما وجعله أمة والأمة القدوة الذي يقتدى به فإنه حقق هذا التوحيد وهو الحنيفية ملته قال تعالى

{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } {4} رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } {5} لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ } {6}

المتحنة 4-6 وقال تعالى { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ } {26} إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي } {27}

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {28} الزخرف 26-28  
 وقال عن إبراهيم أنه قال { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي  
 فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {79}  
 وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا  
 تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا  
 تَتَذَكَّرُونَ {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ  
 بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ  
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ  
 الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ {82} وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ  
 نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {83} الأنعام 78-83  
 وقال {74} قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ {75} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ  
 الْأَقْدَمُونَ {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ {77} الشعراء  
 75-77 والخليل هو الذي تخللت محبة خليله قلبه فلم يكن فيه  
 مسلك لغيره كما قيل قد تخللت مسلك الروحي مني وبذا  
 سمي الخليل خليلاً وقد قيل إنه مأخوذ من الخليل وهو الفقير  
 مشتق من الخلة بالفتح كما قيل وإن أناه خليل يوم مسغبة يقول  
 لا غائب مالي ولا حرم والصواب أنه من الأول وهو مستلزم  
 للثاني فإن كمال حبه لله هو محبة عبودية وافتقار ليست كمحبة  
 الرب لعبده فإنها محبة استغناء وإحسان ولهذا قال تعالى  
 {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ  
 يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدَّلِّ وَكَبِّرُهُ تَكْبِيرًا } الإسراء 111 فالرب لا  
 يوالي عبده من ذل كما يوالي المخلوق لغيره بل يواليه إحساناً  
 إليه والولي من الولاية والولاية ضد العداوة وأصل الولاية الحب  
 وأصل العداوة البغض وإذا قيل هو مأخوذ من الولي وهو القرب  
 فهذا جزء معناه فإن الولي يقرب إلى وليه والعدو يبعد عن عدوه  
 ولما كانت الخلة تستلزم كمال المحبة واستيعاب القلب لم يصلح  
 للنبي صلى الله عليه وسلم أن يخال مخلوقاً بل قال لو كنت متخذاً  
 من أهل الأرض خليلاً لا اتخذت أباً بكر خليلاً ولكن صاحبكم

خليل الله<sup>1</sup>

## الرد على الذين ينكرون صفات الله تعالى الاختيارية

\* ومن عجائب الأمور أن كثيرا من الجهمية نفاة الصفات والأفعال ومن اتبعهم على نفى الأفعال يستدلون على ذلك بقصة الخليل صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك بشرا المريسي وكثير من المعتزلة ومن أخذ ذلك عنهم أو عمن أخذ ذلك عنهم كأبي الوفاء بن عقيل وأبي حامد والرازي وغيرهم وذكروا في كتبهم أن هذه الطريقة هي طريقة إبراهيم الخليل عليه صلوات الله وسلامه وهو قوله { لا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ } { الأنعام 76 } قالوا فاستدل بالأفول الذي هو الحركة والانتقال على حدوث ما قام به ذلك كالكوكب والقمر والشمس وظن هؤلاء أن قول إبراهيم عليه السلام { هَذَا رَبِّي } { الأنعام 76 } أراد به هذا خالق السماوات والأرض القديم الأزلي وأنه استدل على حدوثه بالحركة وهذا خطأ من وجوه أحدها أن قول الخليل هذا ربي سواء قاله على سبيل التقدير لتقريب قومه أو على سبيل الاستدلال والترقي أو غير ذلك ليس المراد به هذا رب العالمين القديم الأزلي الواجب الوجود بنفسه ولا كان قومه يقولون إن الكواكب أو القمر أو الشمس رب العالمين الأزلي الواجب الوجود بنفسه ولا قال هذا أحد من أهل المقالات المعروفة التي ذكرها الناس لا من مقالات أهل التعطيل والشرك الذين يعبدون الشمس والقمر والكواكب ولا من مقالات غيرهم بل قوم إبراهيم صلى الله عليه وسلم كانوا يتخذونها أربابا يدعونها ويتقربون إليها بالبناء عليها والدعوة لها والسجود والقرابين وغير ذلك وهو دين المشركين الذين صنف الرازي كتابه على طريقتهم وسماه السر المكتوم في دعوة الكواكب والنجوم والسحر والطلاسم والعزائم وهذا دين المشركين من الصابئين كالكشدانيين والكنعانيين واليونانيين وأرسطو وأمثاله من أهل هذا الدين وكلامه معروف في السحر الطبيعي والسحر الروحاني والكتب المعروفة بذخيرة الإسكندر بن فيلبس الذي يؤرخون به وكان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وكانت

اليونان مشركين يعبدون الأوثان كما كان قوم إبراهيم مشركين يعبدون الأوثان ولهذا قال الخليل { إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ } {26} الأ الذي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } {27} الزخرف 26-27 وقال { أفرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } {75} أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } {76} فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } {77} الشعراء 75-77 وأمثال ذلك مما يبين تبرؤهم مما يعبدونه غير الله وهؤلاء القوم عامتهم من نفاة صفات الله وأفعاله القائمة به كما هو مذهب الفلاسفة المشائين فإنهم يقولون إنه ليس له صفة ثبوتية بل صفاته إما سلبية وإما إضافية وهو مذهب القرامطة الباطنية القائلين بدعوة الكواكب والشمس والقمر والسجود لها كما كان على ذلك من كان عليه من بني عبيد ملوك القاهرة وأمثالهم فالشرك الذي نهى عنه الخليل وعادى أهله عليه كان أصحابه هم أئمة هؤلاء النفاة للصفات والأفعال وأول من أظهر هذا النفي في الإسلام الجعد بن درهم معلم مروان بن محمد قال الإمام أحمد وكان يقال إنه من أهل حران وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات وكان بحران أئمة هؤلاء الصابئة الفلاسفة بقايا أهل هذا الدين أهل الشرك ونفى الصفات والأفعال ولهم مصنفات في دعوة الكواكب كما صنفه ثابت بن قرة وأمثاله من الصابئة الفلاسفة أهل حران وكما صنفه أبو معشر البلخي وأمثاله وكان لهم بها هيكل العلة الأولى وهيكل العقل الفعال وهيكل النفس الكلية وهيكل زحل وهيكل المشتري وهيكل المريخ وهيكل الشمس وهيكل الزهرة وهيكل عطارد وهيكل القمر وقد بسط هذا في غير هذا الموضع الوجه الثاني أنه لو كان المراد بقوله هذا ربي أنه رب العالمين لكانت قصة الخليل حجة على نقيض مطلوبهم لأن الكوكب والقمر والشمس ما زال متحركا من حين بزوغه إلى عند أفوله وغروبه وهو جسم متحرك متحيز صغير فلو كان مراده هذا للزم أن يقال إن إبراهيم لم يجعل الحركة والانتقال مانعة من كون المتحرك المنتقل رب العالمين بل ولا كونه صغيرا بقدر الكوكب والشمس والقمر وهذا مع كونه لا يظنه عاقل ممن هو دون إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه فإن جوزوه

عليه كان حجة عليهم لا لهم الوجه الثالث أن الأفل هو المغيب والإحتجاب ليس هو مجرد الحركة والإنتقال ولا يقول أحد لا من أهل اللغة ولا من أهل التفسير إن الشمس والقمر في حال مسيرهما في السماء إنهما أفلان ولا يقول للكواكب لمريئة في السماء في حال ظهورها وجريانها إنها أفلة ولا يقول عاقل لكل من مشى وسافر وسار وطار إنه آفل الوجه الرابع أن هذا القول الذي قالوه لم يقله أحد من علماء السلف أهل التفسير ولا من أهل اللغة بل هو من التفسيرات المبتدعة في الإسلام كما ذكر ذلك عثمان بن سعيد الدارمي وغيره من علماء السنة وبينوا أن هذا من التفسير المبتدع وبسبب هذا الإبتداع أخذ ابن سينا وأمثاله لفظ الأفل بمعنى الإمكان كما قال في إشارته قال قوم إن هذا الشيء المحسوس موجود لذاته واجب لنفسه لكن إذا تذكرت ما قيل في شرط واجب الوجود لم تجد هذا المحسوس واجبا وتلوت قوله تعالى { لا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ } الأنعام 76 فإن الهوى في حظيرة الإمكان أقول ما فهذا قوله ومن المعلوم بالضرورة من لغة العرب أنهم لا يسمعون كل مخلوق موجود أفلا ولا كل موجود بغيره أفلا ولا كل موجود يجب وجوده بغيره لا بنفسه أفلا ولا ما كان من هذه المعاني التي يعنيها هؤلاء بلفظ الإمكان بل هذا أعظم افتراء على القرآن واللغة من تسمية كل متحرك أفلا ولو كان الخليل أراد بقوله { لا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ } الأنعام 76 هذا المعنى لم ينتظر مغيب الكوكب والشمس والقمر ففساد قول هؤلاء المتفلسفة في الإستدلال بالآية أظهر من فساد قول أولئك وأعجب من هذا قول من قال في تفسيره إن هذا قول المحققين واستعارته لفظ الهوى والحظيرة لا يوجب تبديل اللغة المعروفة في معنى الأفل فإن وضع هو لنفسه وضعا آخر فليس له أن يتلو عليه كتاب الله تعالى فيبدله أو يحرفه وقد ابتدعت القرامطة الباطنية تفسيراً آخر كما ذكره أبو حامد في بعض مصنفاته كمشكاة الأنوار وغيرها أن الكواكب والشمس والقمر هي النفس والعقل الفعال والعقل الأول ونحو ذلك وشبهتهم في ذلك أن إبراهيم صلى الله



عليه وسلم أجل من أن يقول لمثل هذه الكواكب إنه رب العالمين بخلاف ما ادعوه من النفس ومن العقل الفعال الذي يزعمون أنه رب كل ما تحت فلك القمر والعقل الأول الذي يزعمون أنه مبدع العالم كله وقول هؤلاء وإن كان معلوم الفساد بالضرورة من دين الإسلام فابتداع أولئك طرق مثل هؤلاء على هذا الإلحاد ومن المعلوم بالإضطرار من لغة العرب أن هذه المعاني ليست هي المفهوم من لفظ الكوكب والقمر والشمس وأيضا فلو قدر أن ذلك يسمى كوكبا وقمرًا وشمسا بنوع من التجوز فهذا غاية أن يسوغ للإنسان أن يستعمل اللفظ في ذلك لكنه لا يمكنه أن يدعى أن أهل اللغة التي نزل بها القرآن كانوا يريدون هذا بهذا والقرآن نزل بلغة الذين خاطبهم الرسول صلى الله عليه وسلم فليس لأحد أن يستعمل ألفاظه في معان بنوع من التشبيه والإستعارة ثم يحمل كلام من تقدمه على هذا الوضع الذي أحدثه هو وأيضا فإنه قال تعالى **{ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا { الأنعام 76** فذكره منكرا لأن الكواكب كثيرة ثم قال **{ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ { الأنعام 77** **{ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ { الأنعام 78** بصيغة التعريف لكي يبين أن المراد القمر المعروف والشمس المعروفة وهذا صريح بأن الكواكب متعددة وأن المراد واحد منها وأن الشمس والقمر هما هذه المعروفان وأيضا فإنه قال **{ لا أحب الأفلين { الأنعام 76** والأقول هو المغيب والإحتجاب فإن أريد بذلك المغيب عن الأبصار الظاهرة فما يدعونه من العقل والنفس لا يزال محتجبا عن الأبصار لا يرى بحال بل وكذلك واجب الوجود عندهم لا يرى بالأبصار بحال بل تمتنع رؤيته بالأبصار عندهم وإن أراد المغيب عن بصائر القلوب فهذا أمر نسبي إضافي فيمكن أن تكون تارة حاضرة في القلب وتارة غائبة عنه كما يمكن مثل ذلك في واجب الوجود فالأقول أمر يعود إلى حال العارف بها لا يكسبها صفة نقص ولا كمال ولا فرق في ذلك بينها وبين غيرها وأيضا فالعقول عندهم عشرة والنفوس تسعة بعدد الأفلاك فلو ذكر القمر والشمس فقط لكانت شبهتهم أقوى حيث يقولون نور

القمر مستفاد من نور الشمس كما أن النفس متولدة عن العقل مع ما في ذلك لو ذكروه من الفساد أما مع ذكر كوكب من الكواكب فقولهم هذا من أظهر الأقوال للقرامطة الباطنية فسادا لما في ذلك من عدم الشبه والمناسبة التي تسوغ في اللغة إرادة مثل هذا <sup>1</sup>

\* قال الرازي الحجة الثالثة قصة الخليل عليه الصلاة والسلام { لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ } { الأنعام 76 } والأقول عبارة عن التغير وهذا يدل على ان المتغير لا يكون لها أصلا والجواب من وجوه أحدها أنا لا نسلم أن الأفول هو التغير ولم يذكر على ذلك حجة بل لم يذكر الا مجرد الدعوى الثاني أن هذا خلاف اجماع أهل اللغة والتفسير بل هو خلاف ما علم بالاضطرار من الدين والنقل المتواتر للغة والتفسير فان الأفول هو المغيب يقال أفلت الشمس تأفل وتأفل أفولا اذا غابت ولم يقل أحد قط أنه هو التغير ولا أن الشمس اذا تغير لونها يقال أنها أفلت ولا اذا كانت متحركة فى السماء يقال أنها أفلت ولا أن الريح اذا هبت يقال أنها أفلت ولا أن الماء اذا جرى يقال أنه أفل ولا أن الشجر اذا تحرك يقال أنه أفل ولا أن الأدميين اذا تكلموا أو مشوا وعملوا أعمالهم يقال أنهم أفلوا بل ولا قال أحد قط ان من مرض أو اصفر وجهه أو احمر يقال أنه أفل فهذا القول من أعظم الأقوال افتراء على الله وعلى خليل الله وعلى كلام الله عز وجل وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم المبلغ عن الله وعلى أمة محمد جميعا وعلى جميع أهل اللغة وعلى جميع من يعرف معانى القرآن الثالث ان قصة الخليل عليه السلام حجة عليكم فانه لما رأى كوكبا وتحرك الى الغروب فقد تحرك ولم يجعله أفلا ولما رأى القمر بازغا رآه متحركا ولم يجعله أفلا فلما رأى الشمس بازغة علم أنها متحركة ولم يجعلها أفلة ولما تحركت الى ان غابت والقمر الى ان غاب لم يجعله أفلا الرابع قوله ان الأفول عبارة عن التغير ان أراد بالتغير الاستحالة فالشمس والقمر والكواكب لم تستحل بالمغيب وان أراد به التحرك فهو لا يزال

متحركا وقوله { فَلَمَّا أَفَلَّ } { الأنعام76 } دل على أنه يأفل تارة  
ولا يأفل أخرى فان { لَمَّا } { الأنعام76 } ظرف يقيد هذا الفعل  
بزمان هذا الفعل والمعنى أنه حين أفل { قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ }  
{ الأنعام76 } فانما قال ذلك حين أفوله وقوله { فَلَمَّا أَفَلَّ }  
{ الأنعام76 } دل على حدوث الأفول وتجدده والحركة لازمة له  
فليس الأفول هو الحركة ولفظ التغيير والتحريك مجمل ان أريد به  
التحريك أو حلول الحوادث فليس هو معنى التغيير فى اللغة وليس  
الأفول هو التحريك ولا التحريك هو التغيير بل الأفول أخص من  
التحريك والتغيير أخص من التحريك وبين التغيير والأفول  
عموم وخصوص فقد يكون الشيء متغيرا غير أفل وقد يكون  
أفلا غير متغير وقد يكون متحركا غير متغير ومتحركا غير أفل  
وان كان التغيير أخص من التحريك على أحد الاصطلاحين فان  
لفظ الحركة قد يراد بها الحركة المكانية وهذه لا تستلزم التغيير  
وقد يراد به أعم من ذلك كالحركة فى الكيف والكم مثل حركة  
النبات بالنمو وحركة نفس الانسان بالمحبة والرضا والغضب  
والذكر فهذه الحركة قد يعبر عنها بالتغيير وقد يراد بالتغيير  
فى بعض المواضع الاستحالة فى الجملة الاحتجاج بلفظ  
التغيير ان كان سمعيا فالأفول ليس هو التغيير وان كان عقليا فان  
أريد بالتغيير الذى يمتنع على الرب محل النزاع لم يحتج به وان  
أريد به مواقع الاجماع فلا منازعة فيه وأفسد من هذا قول  
من يقول الأفول هو الامكان كما قاله ابن سينا ان الهوى فى  
حضية الامكان أفول بوجه ما فانه يلزم على هذا أن يكون كل  
ما سوى الله أفلا ولا يزال أفلا فان كل ما سواه ممكن ولا يزال  
ممكنا ويكون الأفول وصفا لازما لكل ما سوى الله كما أن كونه  
ممكنا وفقير الى الله وصف لازم له وحينئذ فتكون الشمس والقمر  
والكواكب لم تنزل ولا تزال أفلة وجميع ما فى السموات والأرض  
لا يزال أفلا فكيف يصح قوله مع ذلك فلما أفل قال لا أحب  
الآفيلين وعلى كلام هؤلاء المحرفين لكلام الله تعالى وكلام  
خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم عن مواضعه هو أفل

قبل أن يبرز ومن حين بزغ والى أن غاب وكذلك جميع ما يرى وما لا يرى في العالم آفل والقرآن بين أنه لما رآها بازغة قال **{ هَذَا رَبِّي { الأنعام 76** فلما آفلت بعد ذلك قال **{ قَالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ { الأنعام 76** والله أعلم<sup>1</sup>

\*قال تعالى **{ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ { الأنعام 76** الأفول هو التغييب والاحتجاب باتفاق أهل اللغة والتفسير وهو من الأمور الظاهرة في اللغة وسواء أريد بالأفول ذهاب ضوء القمر والكواكب بطولوع الشمس أو أريد به سقوطه من جانب المغرب فانه اذا طلعت الشمس يقال انها غابت الكواكب واحتجبت وان كانت موجودة في السماء ولكن طمس ضوء الشمس نورها وهذا مما ينحل به الاشكال الوارد على الآية في طلوع الشمس بعد افول القمر و ابراهيم عليه السلام لم يقل **{ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ { الأنعام 76** لما رأى الكوكب يتحرك والقمر والشمس بل انما قال ذلك حين غاب واحتجب وان ابراهيم لم يكن قوله **{ هَذَا رَبِّي { الأنعام 76** أنه رب العالمين ولا أعتقد أحد من بنى آدم ان كوكبا من الكواكب خلق السموات والارض وكذلك الشمس والقمر ولا كان المشركون قوم ابراهيم يعتقدون ذلك بل كانوا مشركين بالله يعبدون الكواكب ويدعونها ويبنون لها الهياكل ويعبدون فيها أصنامهم وهو دين الكلدانيين والكشديانيين والصابئين المشركين لا الصابئين الحنفاء وهم الذين صنف صاحب السر المكتوم في السحر ومخاطبة النجوم كتابه على دينهم وهذا دين كان كثير من أهل الارض عليه بالشام والجزيرة والعراق وغير ذلك وكانوا قبل ظهور دين المسيح عليه السلام وكان جامع دمشق وجامع حران وغيرهما موضع بعض هياكلهم هذا هيكل المشتري وهذا هيكل الزهرة وكانوا يصلون الى القطب الشمالى وبدمشق محاريب قديمة الى الشمال والفلاسفة اليونانيون كانوا من جنس هؤلاء المشركين يعبدون الكواكب والاصنام ويصنعون السحر وكذلك أهل مصر وغيرهم وجمهور المشركين كانوا مقرين برب العالمين والمنكر له قليل

مثل فرعون ونحوه وقوم ابراهيم كانوا مقرين بالصانع ولهذا  
قال لهم ابراهيم الخليل { أفرأيتم مآ كُنتُمْ تَعْبُدُونَ } 75 { أَنْتُمْ  
وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } 76 { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ

الْعَالَمِينَ } 77 { الشعراء 75-77 فعادي كل ما يعبدونه الا رب  
العالمين وقال تعالى { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ  
وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا  
بِاللَّهِ وَحَدَهُ الْإِقْوَلُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ  
اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ  
{ الممتحنة4 وقال الخليل عليه السلام { أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ  
{ 95 } وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96 { الصافات 95-96 وقال

تعالى فى سورة الانعام { فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا  
تُشْرِكُونَ } 78 { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ  
حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 79 { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي  
اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا  
وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } 80 { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا  
أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا  
فَإَيُّ الْقَرِيبِينَ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 81 { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ  
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } 82 { الانعام  
78-82 قال الله تعالى { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ  
نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } 83 { الانعام 83<sup>1</sup>

\* قالوا حلول الحوادث به أقول والخليل قد قال { لا أُحِبُّ  
الْأَفْلِينَ } { الأنعام 76 } و الأفل هو المتحرك الذى تقوم به  
الحوادث فيكون الخليل قد نفى المحبة عنم تقوم به  
الحوادث فلا يكون الها واذا قال المنازع أنا أريد بكونه تغير أنه  
تكلم بمشيئته وقدرته وأنه يحب منا الطاعة ويفرح بتوبة التائب  
ويأتى يوم القيامة قيل فهب انك سميت هذا تغيرا فلم قلت أن هذا  
ممتنع فهذا محل النزاع كما قال الرازى فالمقدم هو الثانى فقد  
ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الله يوصف بالغيرة وهى

مشتقة من التغير فقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لا أحد أغير من الله أن يزنى عبده أو تزنى أمته وقال أيضا لا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك بعث الرسل وأنزل الكتب ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقال أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير منى والجواب أن قصة الخليل حجة عليهم لا لهم وهم المخالفون لابراهيم ولنبينا ولغيرهما من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك أن الله تعالى قال { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ } {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } {78} إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {79} الانعام 76- 79 فقد أخبر الله فى كتابه أنه من حين بزغ الكوكب والقمر والشمس والى حين افولها لم يقل الخليل لا أحب البازعين ولا المتحركين ولا المتحولين ولا أحب من تقوم به الحركات ولا الحوادث ولا قال شيئا مما يقوله النفاة حين أفل الكوكب والشمس والقمر و الأفول باتفاق اهل اللغة والتفسير هو الغيب والاحتجاب بل هذا معلوم بالاضطرار من لغة العرب التى نزل بها القرآن وهو المراد باتفاق العلماء فلم يقل ابراهيم { لا أَحِبُّ الْآفَلِينَ } {الأنعام 76} الا حين أفل وغاب عن الانصار فلم يبق مرثيا ولا مشهودا فحينئذ قال { لا أَحِبُّ الْآفَلِينَ } {الأنعام 76} وهذا يقتضى أن كونه متحركا منتقلا تقوم به الحوادث بل كونه جسما متحيزا تقوم به الحوادث لم يكن دليلا عند ابراهيم على نفي محبته فان كان ابراهيم انما استدل بالأفول على انه ليس رب العالمين كما زعموا لزم من ذلك أن يكون ما يقوم به الافول من كونه متحركا منتقلا تحله الحوادث بل ومن كونه

جسما متحيزا لم يكن دليلا عند ابراهيم على أنه ليس برب العالمين وحينذ فيلزم أن تكون لا على تعيين مطلوبهم وهكذا أهل البدع لا يكادون يحتجون بحجة سمعية ولا عقلية الا وهى عند التأمل حجة عليهم لا لهم ولكن ابراهيم عليه السلام لم يقصد بقوله **{ هَذَا رَبِّي } الأنعام76** أنه رب العالمين ولا كان أحد من قومه يقولون انه رب العالمين من تجويز ذلك عليهم بل كانوا مشركين مقرين بالصانع وكانوا يتخذون الكواكب والشمس والقمر أربابا يدعونها من دون الله ويبنون لها الهياكل وقد صنفت فى مثل مذهبيهم كتب مثل كتاب السر المكتوم فى السحر ومخاطبة النجوم وغيره من الكتب ولهذا قال الخليل **{ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } 75** أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ **{ 76 }** فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ **{ 77 }** الشعراء 75-77 وقال تعالى **{ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ }** الممتحنة4 ولهذا قال الخليل فى تمام الكلام **{ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } 78** **{ إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 79** الأنعام78-79 بين أنه انما يعبد وحده فله يوجه وجهه اذا توجه قصده اليه يتبع قصده وجهه فالوجه توجه حيث توجه القلب فصار قلبه وقصده ووجهه متوجها الى الله تعالى ولهذا قال وما أنا من المشركين لم يذكر أنه أقر بوجود الصانع فان هذا كان معلوما عند قومه لم يكونوا ينازعونه فى وجود فاطر السموات والأرض وانما كان النزاع فى عبادة غير الله واتخاذها ربا فكانوا يعبدون الكواكب السماوية ويتخذون لها اصناما ارضية وهذا النوع الثانى من الشرك فان الشرك فى قوم كان أصله من عبادة الصالحين أهل القبور ثم صوروا تماثيلهم فكان شركهم بأهل الأرض اذ كان الشيطان انما يضل الناس بحسب الامكان فكان ترتيبه أولا الشرك بالصالحين أيسر عليه ثم قوم ابراهيم انتقلوا الى

الشرك بالسماويات بالكواكب وصنعوا لها الأصنام بحسب ما رأوه من طبائعها يصنعون لكل كوكب طعاما وخاتما وبخورا وأموا لا تناسبه وهذا كان قد اشتهر على عهد ابراهيم امام الحنفاء ولهذا قال الخليل { مَاذَا تَعْبُدُونَ } {85} أَفَكَا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ } {86} فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } {87} الصافات 85-87 وقال لهم { قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُونَ } {95} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } {96} الصافات 95-96 وقصة ابراهيم قد ذكرت في غير موضع من القرآن مع قومه انما فيها نهيمهم عن الشرك خلاف قصة موسى مع فرعون فانها ظاهرة في أن فرعون كان مظهرا الانكار للخالق وجوده وقد ذكر الله عن ابراهيم أنه حاج الذي حاجه في ربه في قوله { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } البقرة 258 فهذا قد يقال أنه كان جاحدا للصانع ومع هذا فالقصة ليست صريحة في ذلك بل يدعو الانسان الى عبادة نفسه وان كان لا يصرح بانكار الخالق مثل انكار فرعون بكل حال فقصة ابراهيم الى أن تكون حجة عليهم اقرب منها الى أن تكون حجة لهم وهذا بين والله الحمد بل ما ذكره الله عن ابراهيم يدل على أنه كان يثبت ما ينفونه عن الله فان ابراهيم قال { إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ } ابراهيم 39 والمراد به أنه يستجيب الدعاء كما يقول المصلى سمع الله لمن حمده وانما يسمع الدعاء ويستجيبه بعد وجوده لا قبل وجوده كما قال تعالى { قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } المجادلة 1 فهي تجادل وتشتكى حال سمع الله تحاورهما وهذا يدل على أن سمعه كرؤيته المذكورة في قوله { وَقَلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } التوبة 105 وقال { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ



{يونس14 فهذه رؤية مستقلة ونظر مستقل وقد تقدم أن  
المعدوم لا يرى ولا يسمع منفصلا عن الرائي السامع باتفاق  
العقلاء فاذا وجدت الأقوال والأعمال سمعها ورآها و  
الرؤية و السمع أمر وجودى لا بد له من موصوف  
يتصف به فاذا كان هو الذى رآها وسمعها امتنع أن يكون غيره  
هو المتصف بهذا السمع وهذه الرؤية وأن تكون قائمة بغيره  
فتعين قيام هذا السمع وهذه الرؤية به بعد أن خلقت الأعمال  
والأقوال وهذا مطعن لا حيلة فيه وقد بسط الكلام على هذه  
المسألة وما قال فيها عامة الطوائف فى غير هذا الموضوع  
وحكى ألفاظ الناس بحيث يتيقن الانسان أن النافى ليس معه  
حجة لا سمعية ولا عقلية وأن الأدلة العقلية الصريحة موافقة  
لمذهب السلف وأهل الحديث وعلى ذلك يدل الكتاب والسنة مع  
الكتب المتقدمة التوراة والانجيل والزبور فقد اتفق عليها  
نصوص الأنبياء وأقوال السلف وأئمة العلماء ودلت عليها  
صرائح المعقولات فالمخالف فيها كالمخالف فى أمثالها ممن ليس  
معه حجة لا سمعية ولا عقلية بل هو شبيه بالذين قالوا { وَقَالُوا  
لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } الملك10 قال  
الله تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا  
أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ  
الَّتِي فِي الصُّدُورِ } الحج46 ولكن هذه المسألة و مسألة  
الزيارة وغيرهما حدث المتأخرين فيها شبه وأنا  
وغيرى كنا على مذهب الآباء فى ذلك نقول فى  
الأصلين بقول أهل البدع فلما تبين لنا ما جاء به الرسول دار  
الامر بين أن نتبع ما أنزل الله أو نتبع ما وجدنا عليه آباءنا فكان  
الواجب هو اتباع الرسول وأن لا نكون ممن قيل فيه { وَإِذَا  
قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ  
كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ } البقرة170 { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ  
اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا } لقمان21  
وقد قال تعالى { قَالَ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ

آباءكم { الزخرف 24 } وقال تعالى { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ  
 حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي  
 وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ } {14} { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا  
 لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ  
 سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ  
 تَعْمَلُونَ } {15} لقمان 14-15 فالواجب اتباع الكتاب المنزل والنبى  
 المرسل وسبيل من أناب الى الله فاتبعنا الكتاب والسنة  
 كالمهاجرين والأنصار دون ما خالف ذلك من دين الآباء وغير  
 الآباء والله يهدينا وسائر اخواننا الى الصراط المستقيم صراط  
 الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين  
 وحسن أولئك رفيقا والله سبحانه أنزل القرآن وهدى به الخلق  
 واخرجهم به من الظلمات الى النور وام القرآن هى فاتحة الكتاب  
 قال النبى فى الحديث الصحيح يقول الله قسمت الصلاة  
 بينى وبين عبدى نصفين فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما  
 سأل فاذا قال العبد { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {2} الفاتحة 2  
 قال الله اثنى على عبدى فاذا قال { مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ } {4} الفاتحة  
 قال الله مجدنى عبدى فاذا قال { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
 نَسْتَعِينُ } {5} الفاتحة قال الله هذه بينى وبين عبدى ولعبدى ما  
 سأل فاذا قال { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ  
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {7} الفاتحة  
 قال هؤلاء لعبدى ولعبدى ما سأل فهذه السورة فيها لله  
 الحمد فله الحمد فى الدنيا والآخرة وفيها للعبد السؤال وفيها  
 العبادة لله وحده وللعبد الاستعانة فحق الرب حمده وعبادته وحده  
 وهذا حمد الرب وتوحيده يدور عليهما جميع الدين و  
 مسألة الصفات الاختيارية هى من تمام حمده فمن لم يقر بها  
 لم يمكنه الاقرار بأن الله محمود البتة ولا أنه رب العالمين فان  
 الحمد ضد الذم والحمد هو الاخبار بمحاسن المحمود مع المحبة  
 له والذم هو الاخبار بمساوى المذموم مع البغض له وجماع  
 المساوى فعل الشر كما أن جماع المحاسن فعل الخير فاذا

كان يفعل الخير بمشيئته وقدرته استحق الحمد فمن لم يكن له فعل اختياري يقوم به بل ولا يقدر على ذلك لا يكون خالقا ولا ربا للعالمين<sup>1</sup>

## اخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه

\*ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وفي الصحيحين عن النبي انه قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وهذا مما يبين من الكلام على المحبة فنقول محبة الله بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الايمان وأكبر اصوله وأجل قواعده بل هي اصل كل عمل من اعمال الايمان والدين وكما ان التصديق به اصل كل قول من أقوال الايمان والدين فان كل حركة في الوجود انما تصدر عن محبة إما عن محبة محمودة أو عن محبة مذمومة كما قد بسطنا ذلك في قاعدة المحبة من القواعد الكبار فجميع الاعمال الايمانية الدينية لا تصدر الا عن المحبة المحمودة وأصل المحبة المحمودة هي محبة الله سبحانه وتعالى إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملا صالحا بل جميع الاعمال الايمانية الدينية لا تصدر إلا عن محبة الله فان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما اريد به وجهه كما ثبت في الصحيح عن النبي انه قال يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا فأشرك فيه غيري فانا منه برئ وهو كله للذي أشرك وثبت في الصحيح في حديث الثلاثة الذين هم اول من تسعر بهم النار القارئ المرأى والمجاهد المرأى والمتصدق المرأى بل اخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والأخرين من الرسل وأنزل به جميع الكتب واتفق عليه أئمة اهل الايمان وهذا هو خلاصة

الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذى تدور عليه رحاه  
وقال تعالى فيما قصه من قصة آدم وابليس انه قال { فَبِعِزَّتِكَ  
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } {82} {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ} {83} ص82  
83- وقال تعالى {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ  
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} {الحجر42} وقال {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى  
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} {99} {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ  
يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} {100} {النحل99-100} فبين ان  
سلطان الشيطان واغواؤه انما هو لغير المخلصين ولهذا قال فى  
قصة يوسف { كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ  
عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ } يوسف24

واتباع الشيطان هم اصحاب النار كما قال تعالى {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ  
مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص85 وقد قال سبحانه {إِنَّ  
اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} {النساء48}  
وهذه الآية فى حق من لم يتب ولهذا خصص الشرك وقيده ما  
سواه بالمشيئة فأخبر انه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه ومادونه  
يغفره لمن يشاء واما قوله {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً  
{الزمر53} فتلك فى حق التائبين ولهذا عم واطلق وسياق الآية  
يبين ذلك مع سبب نزولها وقد اخبر سبحانه ان الأولين  
والآخرين انما امروا بذلك فى غير موضع كالسورة التى قرأها  
النبي على ابى لما امره الله تعالى ان يقرأ عليه قراءة إبلاغ  
وإسماع بخصوصه فقال { وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا  
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ } {4} { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ  
لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ } {5} {البينة4-5} الآية وهذا حقيقة قول لا اله  
إلا الله وبذلك بعث جميع الرسل قال الله تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ  
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ  
{الأنبياء25} وقال { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا  
أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } {الزخرف45} وقال تعالى  
{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ

{ النحل 36 } وجميع الرسل افنتحوا دعوتهم بهذا الاصل كما  
قال نوح عليه السلام { اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ  
{ الأعراف 59 } وكذلك هود وصالح وشعيب عليهم السلام  
وغيرهم كل يقول { اَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ }  
لاسيما افضل الرسل الذين اتخذ الله كلاهما خليلا ابراهيم ومحمدا  
عليهما السلام فان هذا الاصل بينه الله بهما وأيدهما فيه ونشره  
بهما فابراهيم هو الامام الذي قال الله فيه { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ  
إِمَامًا } البقرة 124 وفي ذريته جعل النبوة والكتاب والرسل  
فأهل هذه النبوة والرسالة هم من آله الذين بارك الله عليهم قال  
سبحانه { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا  
تَعْبُدُونَ } {26} { إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } {27} { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً  
بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } {28} { الزخرف 26-28 } فهذه  
الكلمة هي كلمة الاخلاص لله وهي البراءة من كل معبود الا من  
الخالق الذي فطرنا كما قال صاحب يس { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي  
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } {22} { أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ  
الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ } {23} { إِنِّي  
إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } {24} { إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ } {25} { يس  
22-25 } وقال تعالى في قصته بعد ان ذكر ما يبين ضلال من  
اتخذ بعض الكواكب ربا يعبده من دون الله قال { فَلَمَّا رَأَى  
الشَّمْسُ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي  
بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } {78} { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {79} { وَحَاجَّهُ  
قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ  
إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا  
تَتَذَكَّرُونَ } {80} { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ  
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {81} { الأنعام 78-81 } وقال ابراهيم الخليل عليه  
السلام { أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } {75} { أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ  
الْأَقْدَمُونَ } {76} { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } {77} { الَّذِي خَلَقَنِي

فَهُوَ يَهْدِينِ {78} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ {79} وَإِذَا مَرَضْتُ  
 فَهُوَ يَشْفِينِ {80} وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ {81} وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ  
 يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ {82} الشعراء 75- 82 وقال تعالى  
 {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ  
 إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا  
 وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ} الممتحنة4

1

\*ولن يستغنى القلب عن جميع المخلوقات الا بأن يكون الله هو  
 مولاه الذي لا يعبد إلا اياه ولا يستعين الا به ولا يتوكل الا عليه  
 ولا يفرح الا بما يحبه ويرضاه ولا يكره الا ما يبغضه الرب  
 ويكرهه ولا يوالي الا من والاه الله ولا يعادى الا من عاداه الله  
 ولا يحب إلا الله ولا يبغض شيئاً الا الله ولا يعطى الا الله ولا يمنع  
 الا الله فكلما قوى اخلاص دينه الله كملت عبوديته واستغناؤه عن  
 المخلوقات وبكمال عبوديته الله يبرئه من الكبر والشرك

والشرك غالب على النصرارى والكبر غالب على اليهودى قال  
 تعالى فى النصرارى {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ  
 اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا  
 هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} التوبة31 وقال فى اليهودى {أَفَكُلَّمَا  
 جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا  
 تَتَقَلَّبُونَ} البقرة87 وقال تعالى {سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ  
 يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا  
 وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ  
 يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا} الأعراف146 ولما كان الكبر مستلزماً للشرك

والشرك ضد الاسلام وهو الذنب الذى لا يغفره الله {إِنَّ اللَّهَ لَا  
 يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ  
 فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} النساء48 وقال {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ  
 بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا  
 بَعِيدًا} النساء116 كان الانبياء جميعهم مبعوثين بدين الاسلام  
 فهو الدين الذى لا يقبل الله غيره لا من الاولين ولا من الآخرين

قال في حق ابراهيم { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ اِبْرَاهِيمَ اِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَاِنَّهُ فِي الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ } {130} اِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اَسْلِمْ قَالَ اَسْلَمْتُ لِرَبِّ

العالمين {131} البقرة 130-131 الى قوله { فَلَا تَمُوْنَنَّ اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ } البقرة 132 وقال { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْاِسْلَامِ دِيْنًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ } آل عمران 85 وقال تعالى { اَفَغَيْرَ دِيْنِ اللّٰهِ يَبْتَغُوْنَ وَلَهُ اَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ طَوْعًا وَّكَرْهًا } آل عمران 83 فذكر اسلام الكائنات طوعا وكرها لان المخلوقات جميعها متعبدة له التبعيد العام سواء اقر المقر بذلك او انكره وهم مدينون مدبرون فهم مسلمون له طوعا وكرها ليس لاحد من المخلوقات خروج عما شاءه وقدره ولا حول ولا قوة الا به وهو رب العالمين ومليكمهم يصرفهم كيف يشاء وهو خالقهم كلهم وبارئهم ومصورهم وكل من سواه فهو مربوب مصنوع ومفطور فقير محتاج معبد مقهور وهو الواحد القهار الخالق البارئ المصور وهو ان كان قد خلق ما خلقه بأسباب فهو خالق السبب والمقدر له وهو مفترق اليه كافتقار هذا وليس في المخلوقات سبب مستقل بفعل ولا دفع ضرر بل كل ما هو سبب فهو محتاج الى سبب اخر يعاونه والى ما يدفع عنه الضد الذي يعارضه ويمانعه وهو سبحانه وحده الغنى عن كل ما سواه ليس له شريك يعاونه ولا ضد يناوئه ويعارضه قال تعالى وقال تعالى { قُلْ اَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ اَرَادَنِيَ اللّٰهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ اَوْ اَرَادَنِيْ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللّٰهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُوْنَ } الزمر 38 وقال تعالى { وَاِنْ يَّمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ اِلَّا هُوَ وَاِنْ يَّمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ } الأنعام 17 وقال تعالى عن الخليل { يَا قَوْمِ اِنِّيْ بَرِيْءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ } {78} اِنِّيْ وَجْهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِيْ فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ حَنِيفًا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ } {79} وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ اَتُحَاجُّوْنِيْ فِي اللّٰهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا اَخَافُ مَا تُشْرِكُوْنَ بِهِ اِلَّا اَنْ يَشَاءَ رَبِّيْ شَيْئًا وَسِعَ رَبِّيْ كُلَّ

شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا  
تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ  
الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ  
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ {82}

الانعام 78-82 وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله

عنه ان هذه الاية لما نزلت شق ذلك على اصحاب النبي  
وقالوا يا رسول الله ايننا لم يلبس ايماننا بظلم فقال انما هو الشرك  
الم تسمعوا الى قول العبد الصالح { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ  
{ لقمان 13 و ابراهيم الخليل امام الحنفاء المخلصين حيث بعث  
وقد طبق الارض دين المشركين قال الله تعالى { وَإِذْ ابْتَلَى  
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ  
ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ { البقرة 124 فبين ان عهده  
بالامامة لا يتناول الظالم فلم يأمر الله سبحانه ان يكون الظالم  
اماما واعظم الظلم الشرك وقال تعالى { إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا  
لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ { النحل 120 و الامة هو  
معلم الخير الذي يؤتم به كما ان القدوة الذي يقتدى به  
والله تعالى جعل فى ذريته النبوة والكتاب وانما بعث الانبياء بعده  
بملته والله تعالى جعل فى ذريته النبوة والكتاب وانما بعث  
الانبياء بعده بملته قال تعالى { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ  
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ { النحل 123 وقال تعالى  
{ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ { آل عمران 68 وقال تعالى { مَا كَانَ  
إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ { آل عمران 67 وقال تعالى { وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ  
نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
{ 135 } قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ  
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى  
وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ  
مُسْلِمُونَ { 136 } البقرة 135-136 وقد ثبت فى الصحيح عن



النبي ان ابراهيم خير البرية فهو افضل الانبياء بعد النبي وهو خليل الله تعالى وقد ثبت في الصحيح عن النبي من غير وجه انه قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وقال لو كنت متخذا من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله يعنى نفسه وقال لا ييقين فى المسجد خوخة الاسدت الا خوخة ابى بكر وقال ان من كان قبلكم يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى انهاكم عن ذلك وكل هذا فى الصحيح وفيه انه قال ذلك قبل موته بايام وذلك من تمام رسالته فان فى ذلك تحقيق تمام مخالته لله التى اصلها محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لله خلافا للجهمية وفى ذلك تحقيق توحيد الله ان لا يعبدوا الا اياه ورد على اشباه المشركين وفيه رد على الرافضة الذين يبخسون الصديق حقه وهم اعظم المنتسبين الى القبلة اشراكا بالبشر و الخلة هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب فانهم يقولون قلب متيم اذا كان متعبدا للمحبوب والمتيم المتعبد وتيم الله عبده وهذا على الكمال حصل لابراهيم ومحمد ولهذا لم يكن له ان اهل الارض خليل اذ الخلة لاتحتمل الشركة فانه كما قيل فى المعنى

قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمي الخليل خليلا بخلاف اصل الحب فانه قد قال فى الحديث الصحيح فى الحسن واسامة اللهم انى احبهما فأحبهما واحب من يحبهما وسأله عمرو بن العاص اي الناس احب اليك قال عائشة قال فمن الرجال قال ابوها وقال لعلي رضي الله عنه لا عطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وامثال ذلك كثير وقد اخبر تعالى انه يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب المقسطين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وقال { فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ } المائدة 54 فقد اخبر بمحبته

لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له حتى قال والذين آمنوا أشد حبا لله واما الخلة فخاصة وقول بعض الناس ان محمدا حبيب الله وابراهيم خليل الله وظنه ان المحبة فوق الخلة قول ضعيف فان محمدا ايضا خليل الله كما ثبت ذلك في الاحاديث الصحيحة المستفيضة وما يروى ان العباس يحشر بين حبيب و خليل وامثال ذلك فاحاديث موضوعة لا تصلح ان يعتمد عليها<sup>1</sup>

## "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان"

\*أن ما يحصل للإنسان من الحسنات التي يعملها كلها أمور وجودية أنعم الله بها عليه وحصلت بمشيئة الله ورحمته وحكمته وقدرته وخلقه ليس في الحسنات أمر عدمي غير مضاف إلى الله بل كلها أمر وجودي وكل موجود وحادث فالله هو الذي يحدثه وذلك أن الحسنات إما فعل مأمور به أو ترك منهي عنه والترك أمر وجودي فترك الإنسان لما نهى عنه ومعرفته بأنه ذنب قبيح وبأنه سبب للعذاب وبغضه وكراهته له ومنع نفسه منه إذا هويته واشتهيته وطلبته كل هذه أمور وجودية كما أن معرفته بأن الحسنات كالعدل والصدق حسنة وفعله لها أمور وجودية ولهذا إنما يثاب الإنسان على فعل الحسنات إذا فعلها محبا لها بنية وقصد فعلها ابتغاء وجه ربه وطاعة لله ولرسوله ويثاب على ترك السيئات إذا تركها بالكراهة لها والامتناع منها قال تعالى { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 و قال تعالى { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ {41} } النازعات 40-41 و قال تعالى { إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ } العنكبوت 45 وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله أحب

إليه مما سواهما و من كان يحب المرء لا يحبه إلا الله و من كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذا أنقذه الله منه كما يكره أن يلقي في النار وفي السنن عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه و سلم أوثق عرى الايمان الحب في الله و البغض في الله وفيها عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه و سلم من أحب لله و أبغض لله و أعطى الله و منع الله فقد استكمل الايمان وفي الصحيح عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه و سلم قال من رأي منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه و ذلك أضعف الايمان وفي الصحيح من حديث ابن مسعود رضي الله عنه لما ذكر الخوف قال من جاهدكم بيده فهو مؤمن و من جاهدكم بلسانه فهو مؤمن و من جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل و قد قال تعالى { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْتَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } الممتحنة 4 وقال على لسان الخليل { إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ } 26 { إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ } 27 الزخرف 26-27 و { قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } 75 { أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } 76 { فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } 77 الشعراء 75-77 و قال { فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } 78 { إِنِّي وَجْهَتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 79 { الأنعام 78-79 وهذا البغض و العداوة و البراءة مما يعبد من دون الله و من عابديه هي أمور موجودة في القلب و على اللسان و الجوارح كما أن حب الله و موالاته و موالاته أوليائه أمور موجودة في القلب و على اللسان و الجوارح و هي تحقيق قول لا إله إلا الله و هو إثبات تأليه القلب لله حبا خالصا و ذلا

صادقا و منع تأليهه لغير الله وبغض ذلك وكرهته فلا يعبد الا الله  
ويحب أن يعبده ويبغض عبادة غيره و يحب التوكل عليه و  
خشيته و دعاءه و يبغض التوكل على غيره و خشيته و دعاءه  
فهذه كلها أمور موجودة فى القلب وهى الحسنات التى يثيب الله  
عليها و أما مجرد عدم السيئات من غير أن يعرف أنها سيئة و  
لا يكرهها بل لا يفعلها لكونها لم تخطر بباله أو تخطر كما تخطر  
الجمادات التى لا يحبها و لا يبغضها فهذا لا يثاب على عدم ما  
يفعله من السيئات و لكن لا يعاقب أيضا على فعلها فكأنه لم  
يفعلها فهذا تكون السيئات فى حقه بمنزلتها فى حق الطفل و  
المجنون و البهيمة لا ثواب و لا عقاب و لكن إذا قامت عليه  
الحجة بعلمه تحريمها فان لم يعتقد تحريمها و يكرهها و الا  
عوقب على ترك الايمان بتحريمها<sup>1</sup>

### إقامة الوجه ضد ازاغته وامالته وهو الصراط المستقيم

\*وأما قول بعض الفقهاء ان الوجه مشتق من المواجهة فلا دليل  
عليه بل قد عارضه من قال هو مشتق من الواجهة وكلاهما  
ضعيف وإنما المواجهة مشتق من الوجه كما أن المشافهة مشتق  
من الشفة والمناظرة بمعنى المقابلة مشتقة من النظر والمعانية  
من العين و أما اشتقاق الوجه الذى هو المتوجه من الوجه  
الذى هو التوجه فهذا اشبه لأن توجهه هو فعله المختص به الذى  
لا يفتقر فيه الى غيره بخلاف المواجهة فإنها تستدعى اثنين  
والانسان هو حارث همام وهمه هو توجهه وإنما يتوجه بهذا  
العضو الى أى شيء أراده وتوجه اليه و من هذا الباب قوله  
تعالى {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ  
{البقرة 112} وقوله تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ  
لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} النساء 125 وقول  
الخليل ونبينا والمؤمنين فى الصلاة { **وَجَّهْتُمْ وَجْهِي لِلَّذِي**  
**فَطَّرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } الأنعام 79  
وقوله تعالى {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ

مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ  
 { الأعراف 29 قال الزجاج في قوله { وَجَّهْتُ وَجْهِيَ  
 { الأنعام 79 } أى جعلت قصدى بعبادتى وتوحيدي لله رب  
 العالمين وكذلك قوله { وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ } الأعراف 29 فان  
 الوجوه التى هى المقاصد والنيات التى هى عمل القلب وهى  
 أصل الدين تارة تقام وتارة تزاع كما قال النبى ما من قلب  
 من قلوب العباد الا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن ان شاء  
 أن يقيمه أقامه وان شاء أن يزيغه أزاعه فإقامة الوجه ضد  
 ازاعته وامالته وهو الصراط المستقيم فإذا قوم قصده وسدده  
 ولم ينحرف يمينا ولا شمالا كان قصده لله رب العالمين كما قال  
 لا شرقية ولا غربية يقول كثير من أهل العلم أن الوجه فى مثل  
 قوله { وَجَّهْتُ وَجْهِيَ } الأنعام 79 هو الوجه الظاهر<sup>1</sup>

\*وتبين أن الله وذكر توجيهه الوجه له فى قوله { إِنِّي وَجَّهْتُ  
 وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
 { الأنعام 79 } لان الوجه إنما يتوجه الى حيث توجه القلب  
 والقلب هو الملك فاذا توجه الوجه نحو جهة كان القلب متوجها  
 اليها ولا يمكن الوجه أن يتوجه بدون القلب فكان إسلام الوجه  
 وإقامته وتوجيهه مستلزما لإسلام القلب وإقامته وتوجيهه وذلك  
 يستلزم اسلام كله لله وتوجيهه كله لله وإقامة كله لله وبسط الكلام  
 على ما يناسب ذلك<sup>1</sup>

\*وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة الا فى محبة الله والتقرب اليه  
 بما يحبه ولا تمكن محبته الا بالاعراض عن كل محبوب سواه  
 وهذا حقيقة لا إله إلا الله وهى ملة ابراهيم الخليل عليه السلام  
 وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين وكان  
 النبى يقول لأصحابه قولوا أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة  
 الاخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا ابراهيم حنيفا مسلما وما  
 كان من المشركين والحنيف للسلف فيه ثلاث  
 عبارات قال محمد ابن كعب مستقيما وقال عطاء مخلصا وقال

آخرون متبعاً فهو مستقيم القلب الى الله دون ما سواه قال الله تعالى { فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ } فصلت 6 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا } الأحقاف 13 قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فلم يلتفتوا عنه يمينه ولا يسرة فلم يلتفتوا بقلوبهم الى ما سواه لا بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالسؤال ولا بالتوكل عليه بل لا يحبون الا الله ولا يحبون معه أندادا ولا يحبون الا اياه لا لطلب منفعة ولا لدفع مضرة ولا يخافون غيره كائنا من كان ولا يسألون غيره ولا يتسرفون بقلوبهم الى غيره<sup>1</sup>

### الباطن هو الأصل والظاهر هو الكمال والشعار

\*قال تعالى { وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } 111 { بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } 112 { البقرة 111-112 } وقوله { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النساء 125 فقد انكر أن يكون دين أحسن من هذا الدين وهو اسلام الوجه لله مع الاحسان وأخبر ان كل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يخزنون أثبتت هذه الكلمة الجامعة والقضية العامة ردا لم زعم من زعمه أن لا يدخل الجنة الا متهود او متنصر وهذان الوصفان وهما اسلام الوجه لله والاحسان هما الأصلان المتقدمان وهما كون العمل خالصا لله صوابا موافقا للسنة والشريعة وذلك ان اسلام الوجه لله هو متضمن للقصد ونية الله كما قال بعضهم استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل وقد استعمل هنا أربعة ألفاظ إسلام الوجه واقامة الوجه كقوله تعالى { وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ } الأعراف 29 وقوله { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا } الروم 30 وتوجيه الوجه

كقول الخليل {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {الأنعام 79} وكذلك كان النبي يقول في دعاء الاستفتاح في صلاته وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم مما يقول اذا أوى الى فراشه اللهم اسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك فالوجه يتناول المتوجه اليه ويتناول المتوجه نحوه كما يقال أى وجه تريد أى أى وجهة وناحية تقصد وذلك أنهما متلازمان فحيث توجه الإنسان توجه وجهه ووجهه مستلزم لتوجهه وهذا فى باطنه وظاهره جميعا فهذه أربعة أمور والباطن هو الأصل والظاهر هو الكمال والشعار فاذا توجه قلبه الى شئ تبعه وجهه الظاهر فاذا كان العبد قصده ومراده وتوجهه الى الله فهذا اصلاح ارادته وقصده فاذا كان مع ذلك محسنا فقد اجتمع أن يكون عمله صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وهو قول عمر رضى الله عنه اللهم اجعل عملى كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا والعمل الصالح هو الإحسان وهو فعل الحسنات وهو ما أمر الله به والذى أمر الله به هو الذى شرعه الله وهو الموافق لسنة الله وسنة رسوله فقد أخبر الله تعالى انه من أخلص قصده لله وكان محسنا فى عمله فانه مستحق للثواب سالم من العقاب ولهذا كان أئمة السلف يجمعون هذين الأصلين كقول الفضيل ابن عياض فى قوله تعالى {لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} {هود 7} قال أخلصه وأصوبه فقيل يا أبا على ما اخلصه وأصوبه فقال ان العمل اذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل واذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة وقد روى ابن شاهين واللالكائى عن سعيد بن جبير قال لا يقبل قول وعمل الا بنية ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة ورويا عن الحسن البصرى مثله ولفظه لا يصلح مكان يقبل وهذا فيه رد على المرجئة الذين يجعلون

مجرد القول كافيا فأخبر أنه لا بد من قول وعمل اذ الايمان قول وعمل لا بد من هذين كما قد بسطناه في غير هذا الموضع وبيننا أن مجرد تصديق القلب واللسان مع البغض والاستكبار لا يكون ايمانا باتفاق المؤمنين حتى يفترن بالتصديق عمل وأصل العمل عمل القلب وهو الحب والتعظيم المنفى للبغض ولاستكبار ثم قالوا ولا يقبل قول وعمل الا بنية وهذا ظاهر فان القول والعمل اذا لم يكن خالصا لله تعالى لم يقبله الله تعالى ثم قالوا ولا يقبل قول وعمل ونية الا بموافقة السنة وهي الشريعة وهي ما أمر الله به ورسوله لأن القول والعمل والنية الذي لا يكون مسنونا مشروعا قد أمر الله به يكون بدعة ليس مما يحبه الله فلا يقبله الله ولا يصلح مثل أعمال المشركين وأهل الكتاب ولفظ السنة في كلام السلف يتناول السنة في العبادات وفي الإعتقادات وان كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات وهذا كقول ابن مسعود وأبي بن كعب وابي بن كعب وابي الدرداء رضى الله عنهم اقتصاد في سنة خير من اجتهاد من اجتهاد في بدعة وأمثال ذلك والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله الطاهرين وأصحابه أجمعين <sup>1</sup>

### امام الحنفاء

\* عم الارض دين الصائبة والمشركين لما كانت النماردة والفراعنة ملوك الارض شرقا وغربا فبعث الله تعالى امام الحنفاء واساس الملة الخالصة والكلمة الباقية ابراهيم خليل الرحمن فدعا الخلق من الشرك الى الاخلاص ونهاهم عن عبادة الكواكب والاصنام وقال { اِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 79 وقال لقومه { اَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ } {75} اَنْتُمْ وَاٰبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ } {76} فَاِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي اِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ } {77} الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ } {78} وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ } {79} وَاِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ } {80} وَالَّذِي يُمَيِّتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ } {81} وَالَّذِي أَطْمَعُ اَنْ



يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ {82} الشعراء 75-82 وقال ابراهيم عليه السلام ومن معه لقومهم { إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ } الممتحنة<sup>14</sup>

\* إن أهل الملل منفقون على أن الرسل جميعهم نهوا عن عبادة الأصنام وكفروا من يفعل ذلك وأن المؤمن لا يكون مؤمناً حتى يتبرأ من عبادة الأصنام وكل معبود سوى الله وقال الخليل وهو إمام الحنفاء الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب واتفق أهل الملل على تعظيمه لقوله { **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } الأنعام 79 والحنيف المستقيم الى ربه دون ما سواه<sup>1</sup>

\* أن المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله إلها آخر مساوياً له في الصفات والأفعال بل ولا كانوا يقولون إن الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم ولا أن الأصنام تخلق شيئاً من العالم ومن ظن أن قوم إبراهيم الخليل كانوا يعتقدون أن النجم أو الشمس أو القمر رب العالمين أو أن الخليل عليه السلام لما قال هذا ربي أراد به رب العالمين فقد غلط غلطاً بيناً بل قوم إبراهيم كانوا مقرين بالصانع وكانوا يشركون بعبادته كأمثالهم من المشركين فأخبر تعالى عن الخليل أنه عدو لكل ما يعبدونه إلا لرب العالمين كما قال تعالى { **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** } الأنعام 79 ولم يقل من المعطلين فإن قومه كانوا يشركون ولم يكونوا معطلين كفرعون اللعين فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدلوا به وجعلوا له أندادا في العبادة والمحبة والدعاء<sup>1</sup>

### لله تبارك وتعالى حق لا يشركه فيه أحد

\* ومن تحقيق التوحيد ان يعلم أن الله تعالى أثبت له حقاً لا يشركه فيه مخلوق كالعبادة والتوكل والخوف والخشية والتقوى

وتوحيد الله وإخلاص الدين له فى عبادته وإستعانته فى القرآن كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبى صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إني لأعلم كلمة لا يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحا وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له وقول النبى إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فبين بهذا أن النية عمل القلب وهى أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ولهذا أنكرنا على الشيخ يحيى الصرصرى ما يقوله فى قصائده فى مدح الرسول من الإستغاثة به مثل قوله بك أستغيث وأستعين وأستجد ونحو ذلك وكذلك ما يفعله كثير من الناس من استنجد الصالحين والمتشبهين بهم والإستعانة بهم أحياء وأمواتا فإني أنكرت ذلك فى مجالس عامة وخاصة وبينت للناس التوحيد ونفع الله بذلك ما شاء الله من الخاصة والعامة وهو دين الإسلام العام الذى بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} {الأنبياء 25} وقال النبى لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله<sup>1</sup>

\* والله تبارك وتعالى حق لا يشركه فيه أحد لا الأنبياء ولا غيرهم وللأنبياء حق وللمؤمنين حق وللبعضهم على بعض حق فحقه

تبارك وتعالى أن يعبدوه لا يشركوا به كما تقدم في حديث معاذ ومن عبادته تعالى أن يخلصوا له الدين ويتكلموا عليه ويرغبوا إليه ولا يجعلوا لله ندا لا في محبته ولا خشيته ولا دعائه ولا الإستعانة به كما في الصحيحين أنه قال من مات وهو يدعو ندا من دون الله دخل النار وسئل أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك وقيل له ما شاء الله وشئت فقال أ جعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده وقال تعالى { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } البقرة 22 ولهذا لما كان المشركون يخوفون ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه قال تعالى { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } {82} الأنعام 80-82

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } {82} الأنعام 82 شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال لهم النبي إنما ذاك الشرك كما قال العبد الصالح { يَا بَنِيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان 13<sup>1</sup>

## من كان في قلبه رياسة لمخلوق فيه من عبوديته

### بحسب ذلك

\* والعبد اذا انعم الله عليه بالتوحيد فشهد ان لا اله الا الله مخلصاً من قلبه والاله هو المعبود الذى يستحق غاية الحب والعبودية بالأجلال والاكرام والخوف والرجاء يفنى القلب بحب الله تعالى عن حب ما سواه ودعائه والتوكل عليه وسؤاله عما سواه

وبطاعته عن طاعة ما سواه حلاه الله بالأمن والسرور والحبور  
والرحمة للخلق والجهاد في سبيل الله فهو يجاهد ويرحم له  
الصبر والرحمة قال الله تعالى { وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا  
بِالْمَرْحَمَةِ } البلد 17 وكلما قوى التوحيد في قلب العبد قوى  
إيمانه وطمأنينته وتوكله ويقينه والخوف الذي يحصل في

قلوب الناس هو الشرك الذي في قلوبهم قال الله تعالى  
{ سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ { آل  
عمران 151 وكما قال الله جل جلاله في قصة الخليل

عليه السلام { أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا  
تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا  
تَتَذَكَّرُونَ } 80 { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ  
بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } 81 { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ  
الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } 82 { الأنعام 80-82 وفي الحديث

الصحيح تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد  
الخميسة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش  
فمن كان في قلبه رياسة لمخلوق ففيه من عبوديته بحسب ذلك  
فلما خوفوا خليله بما يعبدونه ويشركون به الشرك الأكبر  
كالعبادة قال الخليل { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ  
أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ  
بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } الأنعام 81 يقول ان تطيعوا غير الله  
وتعبدون غيره وتكلمون في دينه مالم ينزل به سلطانا فأى  
الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون أى تشركون بالله ولا  
تخافونه وتخوفونى انا بغير الله فمن ذا الذى يستحق الامن الى  
قوله { أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } الأنعام 82 أى  
هؤلاء الموحدون المخلصون ولهذا قال الامام احمد لبعض الناس  
لو صححت لم تخف أحدا<sup>1</sup>

\*المشركون يخشون ألهم ويرجونها ولهذا لما قالوا لهود عليه  
السلام { إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ

وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {54} مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي  
جَمِيعاً ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ {55} إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا  
مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {56}

هود 54-55 ولما حاجوا إبراهيم عليه السلام قال لهم {  
أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ  
رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ {80} وَكَيْفَ  
أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ  
عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81}  
الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ  
مُهْتَدُونَ {82} الاتعام 80-82<sup>1</sup>

\*فإن هؤلاء المشركين الشرك الأكبر والأصغر يخوفون  
المخلصين بشفعائهم فيقال لهم نحن لا نخاف هؤلاء الشفعاء الذين  
لكم فإنهم خلق من خلق الله لا يضررون إلا بعد مشيئة الله {وإن  
يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ  
لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ  
{يونس 107 فمن مسه الله بضر فلا كاشف له إلا هو ومن أصابه  
برحمة فلا راد لفضله وكيف نخاف هؤلاء المخلوقين الذين  
جعلتموهم شفعاء وأنتم لا تخافون الله وأنتم قد أحدثتم في دينه من  
الشرك ما لم ينزل به وحياً من السماء فأبي الفريقين أحق بالأمن  
من كان لا يخاف إلا الله ولم يبتدع في دينه شركاً أم من ابتدع في  
دينه شركاً بغير إذنه بل من آمن ولم يخلط إيمانه بشرك فهوؤلاء  
هم الذين لهم الأمن وهم مهتدون وهذه الحجة المستقيمة التي  
يرفع الله بها وبأمثالها أهل العلم درجات<sup>1</sup>

\* ذكر الله عن إمامنا إبراهيم خليل الله أنه قال لمناظريه من  
المشركين الظالمين { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ  
أَنْكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ  
بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ  
أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ {82} الاتعام 81-82 وفي

الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي فسر الظلم بالشرك وقال ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح { إن الشرك لظلم عظيم } فأنكر أن نخاف ما أشركوهم بالله من جميع المخلوقات العلويات والسفليات وعدم خوفهم من إشراكهم بالله شريكا لم ينزل الله به سلطانا وبين أن القسم الذى لم يشرك هو الآمن المهتدى وهذه آية عظيمة تنفع المؤمن الحنيف فى مواضع فإن الإشراك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل دع جليله وهو شرك فى العبادة والتأله وشرك فى الطاعة والانقياد وشرك فى الإيمان والقبول فالغالية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية والفقراء والعمامة يشركون بدعاء غير الله تارة وبنوع من عبادته أخرى وبهما جميعا تارة ومن أشرك هذا الشرك أشرك فى الطاعة<sup>1</sup>

### إن الإشراك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل

\* ذكر الله عن إمامنا ابراهيم خليل الله أنه قال لمناظريه من المشركين الظالمين { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } {82} الأنعام 81-82 وفى الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود أن النبي فسر الظلم بالشرك وقال ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان 13 فأنكر أن نخاف ما أشركوهم بالله من جميع المخلوقات العلويات والسفليات وعدم خوفهم من إشراكهم بالله شريكا لم ينزل الله به سلطانا وبين أن القسم الذى لم يشرك هو الآمن المهتدى وهذه آية عظيمة تنفع المؤمن الحنيف فى مواضع فإن الإشراك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النمل دع جليله وهو شرك فى العبادة والتأله وشرك فى الطاعة والانقياد وشرك فى الإيمان والقبول فالغالية من النصارى والرافضة وضلال الصوفية والفقراء والعمامة يشركون بدعاء غير الله تارة

وبنوع من عبادته أخرى وبهما جميعا تارة ومن أشرك هذا  
الشرك أشرك في الطاعة وكثير من المتفهمة وأجناد الملوك  
وأتباع القضاة والعامّة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة وقد  
قال النبي صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم لما قرأ { اتَّخَذُوا  
أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا  
أُمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ  
{ التوبة 31 } فقال يارسول الله ما عبدوهم فقال ما عبدوهم  
ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرّموا عليهم الحلال  
فأطاعوهم فتجد أحد المنحرفين يجعل الواجب ما أوجبه  
متبوعه والحرام ما حرّمه والحلال ما حلّه والدين ما شرعه إما  
دينا وإما دنيا وإما دنيا ودينا ثم يخوف من إمتنع من هذا الشرك  
وهو لا يخاف أنه أشرك به شيئا فى طاعته بغير سلطان من الله  
وبهذا يخرج من أوجب الله طاعته من رسول وأمير وعالم ووالد  
وشيوخ وغير ذلك وأما الشرك الثالث فكثير من أتباع المتكلمة  
والمفلسفة بل وبعض المتفهمة والمتصوفة بل وبعض أتباع  
الملوك والقضاة يقبل قول متبوعه فيما يخبر به من الإعتقادات  
الخبرية ومن تصحيح بعض المقالات وإفساد بعضها ومدح  
بعضها وبعض القائلين وذم بعض بلا سلطان من الله ويخاف ما  
أشركه فى الإيمان والقبول ولا يخاف إشراكه بالله شخصا فى  
الإيمان به وقبول قوله بغير سلطان من الله وبهذا يخرج من  
شرع الله تصديقه من المرسلين والعلماء المبلغين والشهداء  
الصادقين وغير ذلك فباب الطاعة والتصديق ينقسم الى مشروع  
فى حق البشر وغير مشروع وأما العبادة والإستعانة والتأله  
فلا حق فيها للبشر بحال فإنه كما قال القائل ما وضعت يدي فى  
قصعة أحد إلا ذللت له ولا ريب أن من نصرك ورزقك كان له  
سلطان عليك فالموءمن يريد أن ألا يكون عليه سلطان إلا الله  
ولرسوله ولمن أطاع الله ورسوله وقبول مال الناس فيه  
سلطان لهم عليه فإذا قصد دفع هذا السلطان وهذا القهر عن نفسه  
كان حسنا محمودا يصح له دينه بذلك وإن قصد الترفع عليهم

والترأس والمرأاة بالحال الأولى كان مذموما وقد يقصد بترك  
 الأخذ غنا نفسه عنهم ويترك أموالهم لهم فهذه أربع مقاصد  
 صالحة غنى نفسه وعزتها حتى لا تفقر الى الخلق ولا تذلل لهم  
 وسلامة ما لهم ودينهم عليهم حتى لا تنقص عليهم أموالهم فلا  
 يذهبها عنهم ولا يوقعهم بأخذها منهم فيما يكره لهم من الاستيلاء  
 عليه ففى ذلك نفعة له أن لا يذل ولا يفقر إليهم ومنفعة لهم أن  
 يبقى لهم ما لهم ودينهم وقد يكون فى ذلك منفعة بتأليف قلوبهم  
 بإبقاء أموالهم لهم حتى يقبلوا منه ويتألفون بالعتاء لهم فكذلك فى  
 إبقاء أموالهم لهم وقد يكون فى ذلك أيضا حفظ دينهم فإنهم إذا  
 قبل منهم المال قد يطعمون هم أيضا فى أنواع من المعاصى  
 ويتركون أنواعا من الطاعات فلا يقبلون الأمر بالمعروف  
 والنهى عن المنكر وفى ذلك منافع ومقاصد أخر صالحة وأما  
 إذا كان الأخذ يفضى الى طمع فيه حتى يستعان به فى معصية أو  
 يمنع من طاعة فتلك مفسد أخر وهى كثيرة ترجع الى ذله وفقره  
 لهم فإنهم لا يتمكنون من منعه من طاعة الا إذا كان ذليلا أو فقيرا  
 إليهم ولا يتمكنون هم من استعماله فى المعصية إلا مع ذله أو  
 فقره فإن العطاء يحتاج الى جزاء ومقابلة فإذا لم تحصل مكافأة  
 دنيوية من مال أو نفع لم يبق إلا ما ينتظر من المنفعة الصادرة  
 منه إليهم وللرد وجوه مكرهة مذمومة منها الرد مرأاة بالتشبه  
 بمن يرد غنى وعزة ورحمة للناس فى دينهم ودنياهم ومنها  
 التكبر عليهم والإستعلاء حتى يستعبدهم ويستعلى عليهم بذلك  
 فهذا مذموم أيضا ومنها البخل عليهم فإنه إذا أخذ منهم احتاج أن  
 ينفعمهم ويقضى حوائجهم فقد يترك الأخذ بخلا عليهم بالمنافع  
 ومنها الكسل عن الإحسان إليهم فهذه أربع مقاصد فاسدة فى الرد  
 للعتاء الكبر والرياء والبخل والكسل فالحاصل أنه قد يترك  
 قبول المال لجلب المنفعة لنفسه أو لدفع المضرة عنها أو لجلب  
 المنفعة للناس أو دفع المضرة عنهم فإن فى ترك أخذه غنى نفسه  
 وعزها وهو منفعة لها وسلامة دينه ودنياه مما يترتب على  
 القبول من أنواع المفسد وفيه نفع الناس بإبقاء أموالهم ودينهم لهم



ودفع الضرر المتولد عليهم إذا بذلوا بذلاً قد يضرهم وقد يتركه لمضرة الناس أو لترك منفعتهم فهذا مذموم كما تقدم وقد يكون في الترك أيضاً مضرة نفسه أو ترك منفعتها إما بأن يكون محتاجاً إليه فيضره تركه أو يكون في أخذه وصرفه منفعة له في الدين والدنيا فيتركها من غير معارض مقاوم فهذا فصلنا هذه المسألة فإنها مسألة عظيمة وبازائها مسألة القبول أيضاً وفيها التفصيل لكن الأغلب أن ترك الأخذ كان أجود من القبول ولهذا يعظم الناس هذا الجنس أكثر وإذا صح الأخذ كان أفضل أعنى الأخذ والصرف إلى الناس<sup>1</sup>

\* جهال العوام المبتدعين المضاهين للمشركين والنصارى فإنهم يجعلون من قال الحق في المخلوق سباً له شاتماً وهم يسبون الله ويشتمونه ويؤذونه ولا يخافون من سب الخالق وشتمه وأشرك به ما يخافونه من قول الحق في حق المخلوق كما قال الخليل لهم { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } {82} الانعام 81-82 وكما قال تعالى عن

المشركين { وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ } { الأنبياء 36 } فلا يغضبون من ذكر الرحمن بالباطل كما

يغضبون من ذكر آلهتهم بالحق وقال تعالى { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ لَقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } {171} لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ } {172} النساء 171-172 وقد ذكر أهل التفسير أن

النصارى نصارى نجران لما قدموا على النبي قالوا يا محمد لم تذكر صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال وأي شيء أقول

له هو عبدالله قالوا بل هو الله فقال إنه ليس بعار عليه أن يكون عبدا لله فقالوا بلى فأنزل الله هذه الآية وفي الصحيحين عن النبي قال ما أحد اصبر على أذى يسمعه من الله يجعلون له ولدا وشريكا وهو يعافيههم ويرزقهم وفي الصحيحين أيضا أنه قال يقول الله شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك فأما شتمه إياي فقولته إني إتخذت ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد وأما تكذيبه إياي فقولته لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون على من إعادته وكان معاذ بن جبل يقول عن النصارى لا ترحمواهم فلقد سبوا الله مسبة ما سبه إياها أحد من البشر فهؤلاء ينتقصون الخالق ويأنفون أن يذكر المخلوق بما يستحقه ويجعلون ذلك تنقيصا له وإنما هو إعطاؤه حقه وخفض له عن درجة الإلهية التي لا يستحقها إلا الله وهذه حال من أشبههم من بعض الوجوه ومنها ظنه أن كل ما كان قرابة جاز التوسل إليه بكل وسيلة<sup>1</sup>

### أصل العدل

\*قال تعالى { أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ } الأعراف 29 أمر مع القسط بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وهذا أصل الدين وضده هو الذنب الذي لا يغفر قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } النساء 48 وهو الدين الذي أمر الله به جميع الرسل وأرسلهم به إلى جميع الأمم قال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } الأنبياء 25 وقال تعالى { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ } الزخرف 45 وقال تعالى { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ } النحل 36 وقال تعالى { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا

وَصَيَّنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا  
 فِيهِ { الشورى 13 } وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ  
 الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ { 51 } وَإِنَّ هَذِهِ  
 أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ { 52 } {المؤمنون 51- 52} ولهذا  
 ترجم البخارى فى صحيحه باب ما جاء فى أن دين الأنبياء  
 واحد وذكر الحديث الصحيح فى ذلك وهو الإسلام العام الذى  
 إتفق عليه جميع النبيين قال نوح عليه السلام { وَأَمِرْتُ أَنْ  
 أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يونس 72 وقال تعالى فى قصة إبراهيم  
 { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ { 131 } وَوَصَّى  
 بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا  
 تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ { 132 } {البقرة 131- 132} {وَقَالَ مُوسَى  
 يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس 84  
 وقال تعالى { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا  
 مُسْلِمُونَ } آل عمران 52 وقال فى قصة بلقيس { رَبِّ إِنِّي  
 ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44  
 وقال { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ  
 أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ { المائدة 44 } وهذا  
 التوحيد الذى هو اصل الدين هو أعظم العدل وضده وهو الشرك  
 أعظم الظلم كما أخرجاه فى الصحيحين عن عبدالله بن مسعود  
 قال لما أنزلت هذه الآية { **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ  
 بِظُلْمٍ { الأنعام 82** } شق ذلك على أصحاب النبى وقالوا أينما لم  
 يظلم نفسه فقال ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح إن الشرك  
 لظلم عظيم وفى الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا  
 رسول الله أى الذنب أعظم قال إن تجعل لله ندا وهو خلقك  
 قلت ثم أى قال ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت  
 ثم أى قال أن تزانى بحليلة جارك فأنزل الله تصديق ذلك  
 { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ  
 اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً { الفرقان 68  
 الآية } وقد جاء عن غير واحد من السلف وروى مرفوعاً

الظلم ثلاثة دواوين فديوان لا يغفر الله منه شيئاً وديوان لا يترك الله منه شيئاً وديوان لا يعبأ الله به شيئاً فأما الديوان الذى لا يغفر الله منه شيئاً فهو الشرك فإن الله لا يغفر أن يشرك به وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئاً فهو ظلم العباد بعضهم بعضاً فإن الله لا بد أن ينصف المظلوم من الظالم وأما الديوان الذى لا يعبأ الله به شيئاً فهو ظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه أى مغفرة هذا الضرب ممكنة بدون رضى الخلق فإن شاء عذب وهذا الظالم لنفسه وإن شاء غفر له<sup>1</sup>

### الامن هو لمن لم يخط ايمانه بشرك

\*أن الضر لا يكتشفه الا الله كما قال تعالى {وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ} {يونس 107} والذنوب سبب للضر والاستغفار يزيل اسبابه كما قال تعالى {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} {الأنفال 33} فاخبر انه سبحانه لا يعذب مستغفرا وفى الحديث من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} {الشورى 30}

فقوله {إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} {الأنبياء 87} اعتراف بالذنب وهو استغفار فان هذا الاعتراف متضمن طلب المغفرة وقوله {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ س} {الأنبياء 87} تحقيق لتوحيد الالهية فإن الخير لا موجب له إلا مشيئة الله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن والمعوق له من العبد هو ذنوبه وما كان خارجا عن قدرة العبد فهو من الله وإن كانت أفعال العباد بقدر الله تعالى لكن الله جعل فعل المأمور وترك المحذور سببا للنجاة والسعادة فشهادة التوحيد تفتح باب الخير والاستغفار من الذنوب يغلق باب الشر ولهذا ينبغي للعبد أن لا يعلق رجاءه إلا بالله ولا يخاف من الله أن يظلمه فإن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون بل

يخاف أن يجزيه بذنوبه وهذا معنى ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال لا يرجون عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه وفي الحديث المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه دخل على مريض فقال كيف تجدك فقال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال ما اجتماعا في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف فالرجاء ينبغي أن يتعلق بالله ولا يتعلق بمخلوق ولا بقوة العبد ولا عمله فإن تعليق الرجاء بغير الله إشراك وإن كان الله قد جعل لها أسبابا فالسبب لا يستقل بنفسه بل لا بد له من معاون ولا بد أن يمنع المعارض المعوق له لا يحصل ويبقى إلا بمشيئة الله تعالى ولهذا قيل الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع ولهذا قال الله تعالى { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ } {7} وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ } {8} الشرح 7- 8 فأمر بأن تكون الرغبة إليه وحده وقال { وَعَلَىٰ اللَّهِ فَنَوَكُلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } المائدة 23 فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو ملكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه فإنه مشرك { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا حَرَّمَ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ } الحج 31 وكذلك المشرك يخاف المخلوقين ويرجوهم فيحصل له رعب كما قال تعالى { سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا } آل عمران 151 والخالص من الشرك يحصل له الأمن قال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا } **وَأَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ** { الأنعام 82 } وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الظلم هنا بالشرك ففي الصحيح عن ابن مسعود أن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما هذا الشرك ألم

تسمعوا إلى قول العبد الصالح { إِنَّ الشَّرْكَ أَظْلَمُ عَظِيمٌ  
 لقمان 13 وقال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ  
 أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ  
 ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ  
 {165} إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ  
 وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ {166} وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا  
 فَنَنْبِرُوا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ  
 عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ {167} البقرة 165-167 وقال  
 تعالى { قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ  
 عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا {56} أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ  
 الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ  
 رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا {57} الإسراء 56-57 ولهذا يذكر الله  
 الأسباب ويأمر بأن لا يعتمد عليها ولا يرجى إلا الله قال تعالى  
 لما أنزل الملائكة { وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ  
 بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ { آل عمران 126  
 وقال { إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي  
 يَنْصُرْكُمْ مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ { آل عمران 160

1

\*قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو  
 جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن  
 يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من  
 غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك  
 أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا  
 تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم  
 يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل  
 مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا  
 يسمي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما وبكما  
 وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون

ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهي وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون<sup>1</sup>

## الظلم ثلاثة أنواع

\* قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن يحيى حدثنا الحجاج بن المنهال عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب كان إذ أدخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه فدخل ذات يوم فقرأ فأتى على هذه الآية **{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الأنعام 82** إلى آخر الآية فإنتعل وأخذ رداءه ثم أتى الى أبي بن كعب فقال يا أبا المنذر أتيت قبل على هذه الآية **{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } الأنعام 82** وقد نرى أنا نظلم ونفعل فقال يا أمير المؤمنين ان هذا ليس بذلك يقول الله **{ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان 13** انما ذلك الشرك قال محمد بن نصر وكذلك الفسق فسقان فسق ينقل عن الملة وفسق لا ينقل عن الملة فيسمى الكافر فاسقا والفاسق من المسلمين فاسقا ذكر الله إبليس فقال **{ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ } الكهف 50** وكان ذلك الفسق منه كفرا وقال الله تعالى **{ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ } السجدة 20** يريد الكفار دل على ذلك قوله **{ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } السجدة 20** وسمى الفاسق من المسلمين فاسقا ولم يخرج من الاسلام قال الله تعالى **{ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } النور 4** وقال تعالى **{ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ } البقرة 197** فقالت العلماء في تفسير الفسوق ها هنا هي المعاصي قالوا فلما كان الظلم ظلمين والفسق فسقين كذلك الكفر كفران أحدهما ينقل عن الملة والآخر لا ينقل عن الملة وكذلك الشرك شركان شرك في التوحيد ينقل عن الملة وشرك في العمل لا ينقل عن

الملة وهو الرياء قال تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ  
عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } {الكهف110 يريد بذلك  
المراءاة بالأعمال الصالحة وقال النبي الطيرة شرك<sup>1</sup>

\*وأنبأنا وكيع عن سفيان عن معمر عن ابن طاووس عن ابيه  
قال قلت لابن عباس { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
{المائدة44 فهو كافر قال هو به كفر وليس كمن كفر بالله  
واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله حدثنا محمد بن يحيى  
حدثنا عبدالرزاق عن سفيان عن رجل عن طاووس عن ابن  
عباس قال كفر لا ينقل عن الملة حدثنا اسحاق انبأنا وكيع  
عن سفيان عن سعيد المكي عن طاووس قال ليس بكفر ينقل عن  
الملة حدثنا إسحاق أنبأنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن  
عطاء قال كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق قال  
محمد بن نصر قالوا وقد صدق عطاء قد يسمى الكافر ظالما  
ويسمى العاصي من المسلمين ظالما فظلم ينقل عن ملة الاسلام  
وظلم لا ينقل قال الله تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ  
{الأنعام82 وقال { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان13 وذكر  
حديث ابن مسعود المتفق عليه قال لما نزلت { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ  
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ } {الأنعام82 شق ذلك أصحاب النبي وقالوا  
أينا لم يظلم نفسه قال رسول الله ليس بذلك ألم تسمعوا الى قول  
العبد الصالح { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان13 إنما هو  
الشرك<sup>1</sup>

\*فالظلم ثلاثة أنواع فالظلم الذى هو شرك لا شفاعه فيه وظلم  
الناس بعضهم بعضا لابد فيه من اعطاء المظلوم حقه لا يسقط  
حق المظلوم لا بشفاعه ولا غيرها ولكن قد يعطى المظلوم من  
الظالم كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة فالظالم المطلق ما له من  
شفيع مطاع وأما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد مع  
ظلمه لنفسه وهذا انما نفعه فى الحقيقة اخلاصه لله فيه صار من  
أهل الشفاعه وأما الظلم المقيد فقد يختص بظلم



الانسان نفسه وظلم الناس بعضهم بعضا كقول آدم عليه السلام  
وحواء { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا } الأعراف 23 وقول موسى  
{ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي } القصص 16 وقوله تعالى  
{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاَسْتَغْفَرُوا  
لذُنُوبِهِمْ } آل عمران 135 لكن قول آدم وموسى إخبار عن واقع  
لا عموم فيه وذلك قد عرف والله الحمد أنه ليس كفرا واما قوله  
{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ } آل عمران 135  
فهو نكرة فى سياق الشرط يعم كل ما فيه ظلم الانسان نفسه وهو  
اذا أشرك ثم تاب تاب الله عليه وقد تقدم ان ظلم الانسان لنفسه  
يدخل فيه كل ذنب كبير أو صغير مع الاطلاق وقال تعالى { ثُمَّ  
أُورِثْنَا الْكِتَابَ الَّذِيْنَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ  
{ فاطر 32 فهذا ظلم لنفسه مقرون بغيره فلا يدخل فيه الشرك  
الأكبر وفي الصحيحين عن ابن مسعود أنه لما أنزلت هذه  
الآية { **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** } الأنعام 82 شق  
ذلك على أصحاب النبي وقالوا أينما لم يظلم نفسه فقال النبي  
انما هو الشرك ألم تسمعوا الى قول العبد الصالح { **إِنَّ الشَّرْكَ  
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** } لقمان 13 والذين شق ذلك عليهم ظنوا أن الظلم  
المشروط هو ظلم العبد نفسه وأنه لا يكون الأمن والاهتداء الا  
لمن يظلم نفسه فشق ذلك عليهم فبين النبي لهم ما دلهم  
على أن الشرك ظلم فى كتاب الله تعالى وحينئذ فلا يحصل الأمن  
والاهتداء الا لمن لم يلبس ايمانه بهذا الظلم ومن لم يلبس ايمانه  
به كان من أهل الأمن والاهتداء كما كان من أهل الاصطفاء فى  
قوله { **ثُمَّ أُورِثْنَا الْكِتَابَ الَّذِيْنَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** } فاطر 32 الى  
قوله { **جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا** } 33 { فاطر 33 } وهذا لا ينفى أن  
يؤاخذ أحدهم بظلم نفسه اذا لم يتب كما قال تعالى { **فَمَنْ يَعْمَلْ  
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** } 7 { **وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** } 8 {  
الزلزلة 7-8 وقال تعالى { **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**  
{ النساء 123 وقد سأل أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم  
عن ذلك فقال يا رسول الله وأينما لم يعمل سوءا فقال يا أبا بكر

ألسن تنصب ألسن آزن ألسن تصيبك الأواء فذلك ما آزون به فبين أن المؤمن الذى اذا تاب آل آبى بسينائه فى الدنيا بالمصائب التى تصيبه كما فى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال مثل المؤمن كمثل الآمة من الزرع تفينها الرياح تقومها تارة وتمليها أخرى ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انآعافها مرة واحدة وفى الصحيحين عنه أنه قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا هم ولا آزن ولا غم ولا أذى حتى الشوكة يشاكها الا كقر الله بها من آطياه وفى آديث سعد بن أبى وقاص قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على آسب دينه فان كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه وان كان فى دينه رقة آفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشى على الأرض وليس عليه آطية رواه أحمد والترمذى وغيرهما وقال المرض آطة يحط الآطايا عن صاحبه كما تحط الشجرة اليابسة ورقها والأآديث فى هذا الباب كثيرة فمن سلم من آجناس الظلم الآلثة كان له الأمن الآم والآهتداء الآم ومن لم يسلم من ظلمه نفسه كان له الأمن والآهتداء مطلقا بمعنى أنه لا بء أن يآل الآنة كما وعد بذلك فى الآية الأخرى وقد هءاه الى الصراط المسآقيم الذى تكون عاقبته فيه الى الآنة ويآصل له من نقص الأمن والآهتداء بآسب ما نقص من ايمانه بظلمه نفسه وليس مراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله انما هو الشرك ان من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن الآم والآهتداء الآم فان آآديثه الآثيرة مع نصوص القرآن آبين أن أهل الكبائر معرضون للآوف لم يآصل لهم الامن الآم ولا الآهتداء الآم الذى يكونون به مهآدين الى الصراط المسآقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النببين والصديقين والشهداء والصالحين من غير عذاب يآصل لهم بل معهم أصل الآهتداء الى هذا الصراط ومعهم أصل نعمة الله عليهم ولا بء لهم من

دخول الجنة وقول النبي صلى الله عليه وسلم انما هو الشرك ان اراد به الشرك الأكبر فمقصوده ان من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد الى ذلك وان كان مراده جنس الشرك فيقال ظلم العبد نفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر وحب ما يبغضه الله حتى يكون يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ونحو ذلك فهذا صاحبه قد فاتته من الأمن والاهتداء بحسبه ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار<sup>1</sup>

### الصحابة كانوا إذا عرض لأحدهم شبهة في آية أو حديث سأل عن ذلك

\*أن الصحابة كانوا إذا عرض لأحدهم شبهة في آية أو حديث سأل عن ذلك كما سأله عمر فقال ألم تكن تحدثنا أنا نأتى البيت و نطوف به و سأله أيضا عمر ما بالنا نقصر الصلاة و قد أمنا و لما نزل قوله { **وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ** } { الأنعام 82 } شق عليهم و قالوا أينما لم يظلم نفسه حتى بين لهم و لما نزل قوله { **وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ** } { البقرة 284 } شق عليهم حتى بين لهم الحكمة في ذلك و لما قال النبي صلى الله عليه و سلم من نوقش الحساب عذب قالت عائشة ألم يقل الله { **فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَاباً يَسِيرًا** } { الانشقاق 8 } قال إنما ذلك العرض قالوا و الدليل على ما قلناه إجماع السلف فإنهم فسروا جميع القرآن و قال مجاهد عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته الى خاتمته أقفه عند كل آية و أسأله عنها و تلقوا ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم كما قال أبو عبدالرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئونا القرآن عثمان بن عفان و عبدالله بن مسعود و غيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه و سلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم و العمل قالوا فتعلمنا القرآن و العلم و العمل جميعا<sup>1</sup>

## ذكر أقوال الكفار وحججهم وجوابها بأحسن الحجج وأكملها

\* ما في القرآن من ذكر أقوال الكفار وحججهم وجوابها فهذا كثير جدا فإنه يجادلهم تارة في التوحيد وتارة في النبوات وتارة في المعاد وتارة في الشرائع بأحسن الحجج وأكملها كما أخبر الله تبارك وتعالى عن أولي العزم من الرسل بمجادلة الكفار فقال تعالى عن الخليل { وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } {80} وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } {82} وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } {83} سورة الأنعام الآيات 80 83<sup>1</sup>

### { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا }

\* والسلطان هو الوحي المنزل من عند الله كما ذكر ذلك في غير موضع كقوله { أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَبَّرُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ } الروم 35 وقوله { مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ } الأعراف 71 وقال ابن عباس كل سلطان في القرآن فهو الحجة ذكره البخاري في صحيحه<sup>1</sup>

\* و كما قال تعالى { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } الأنعام 81 وإذا كان كذلك ففي هذا بيان أنه لا يجوز لأحد أن يعارض كتاب الله بغير كتاب فمن عارض كتاب الله وجادل فيه بما يسميه معقولات وبراهين وأقيسة أو ما يسميه مكاشفات ومواجيد وأذواق من غير أن يأتي على ما يقوله بكتاب منزل فقد جادل في آيات الله بغير سلطان هذه حال الكفار

الذين قال فيهم { مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ } غافر 4 فهذه حال من يجادل في آيات الله مطلقا ومن المعلوم أن الذي يجادل في جميع آيات الله لا يجادل بسُلطان<sup>1</sup>

## تعليق دخول الجنة بالإيمان

\* والإسلام المطلق المجرد فليس في كتاب الله تعليق دخول الجنة به كما في كتاب الله تعليق دخول الجنة بالإيمان المطلق المجرد كقوله { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ } الحديد 21 وقال { وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ } يونس 2 وقد وصف الخليل ومن اتبعه بالإيمان كقوله { فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ } العنكبوت 26 ووصفه بذلك فقال { فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {81} الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ } {82} وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ } {83} الْأَنْعَامِ 81-83 ووصفه بأعلى طبقات الإيمان وهو أفضل البرية بعد محمد والخليل انما دعا بالرزق للمؤمنين خاصة فقال { وَارزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } البقرة 126<sup>1</sup>

{ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }

{

\* قال الخليل عليه السلام في مناظرته للمشركين لما حاجوه وخوفوه ألهتهم { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } الْأَنْعَامِ 81 قال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ } الْأَنْعَامِ 82 وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه

الآية {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} {الأنعام 82} شق ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله اينا لم يظلم نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو الشرك الم تسمعوا قول العبد الصالح { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } لقمان 13 قال تعالى {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ} {الأنعام 83} قال زيد بن اسلم وغيره بالعلم<sup>1</sup>

\*وقوله تعالى { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ } {المجادلة 11} خص سبحانه رفعه بالأقدار والدرجات الذين أوتوا العلم والإيمان وهم الذين إستشهد بهم في قوله تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ} {آل عمران 18} وأخبر أنهم هم الذين يرون ما أنزل إلى الرسول هو الحق بقوله تعالى {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ} {سبأ 6} فدل على أن تعلم الحجة والقيام بها يرفع درجات من يرفعها كما قال تعالى {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ} {الأنعام 83} وقال

تعالى { نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ } {يوسف 76} قال زيد بن أسلم بالعلم فرفع الدرجات والأقدار على قدر معاملة القلوب بالعلم والإيمان فكم ممن يختم القرآن في اليوم مرة أو مرتين وآخر لا ينام الليل وآخر لا يفطر وغيرهم أقل عبادة منهم وأرفع قدرا في قلوب الأمة فهذا كرز بن وبرة وكهمس وابن طارق يختمون القرآن في الشهر تسعين مرة وحال ابن المسيب وابن سيرين والحسن وغيرهم في القلوب أرفع وكذلك ترى كثيرا ممن لبس الصوف ويهجر الشهوات ويتقشف وغيره ممن لا يدانيه في ذلك من أهل العلم والإيمان أعظم في القلوب وأحلى عند النفوس وما ذاك إلا لقوة المعاملة الباطنة وصفائها وخلوصها من شهوات النفوس وأكدار البشرية وطهارتها من القلوب التي تكدر معاملة أولئك وإنما نالوا ذلك بقوة يقينهم بما جاء به الرسول وكمال تصديقه في قلوبهم ووده ومحبته وأن يكون الدين كله لله فإن أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء

به الرسول وإبتهاجها وسرورها كما قال تعالى { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ  
 الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ } {الرعد 36} وقال تعالى { قُلْ  
 بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا } {يونس 58} الآية بفضل الله  
 ورحمته القرآن والإيمان من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به  
 ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه ووضع الفرح في غير موضعه  
 فإذا استقر في القلب وتمكن فيه العلم بكفايته لعبده ورحمته له  
 وحلمه عنده وبره به وإحسانه إليه على الدوام أوجب له الفرح  
 والسرور أعظم من فرح كل محب بكل محبوب سواه فلا يزال  
 مترقياً في درجات العلو والإرتفاع بحسب رقيه في هذه المعارف  
 هذا في باب معرفة الأسماء والصفات وأما في باب فهم  
 القرآن فهو دائم التفكير في معانيه والتدبر لألفاظه وإستغنائه  
 بمعاني القرآن وحكمه عن غيره من كلام الناس وإذا سمع شيئاً  
 من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن فإن شهد له  
 بالتزكية قبله وإلا رده وإن لم يشهد له بقبول ولا رد وقفه وهمته  
 عاكفة على مراد ربه من كلامه ولا يجعل همته فيما حجب  
 به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن إما بالوسوسة في  
 خروج حروفه وترقيقها وتفخيمها وإمالتها والنطق بالمد الطويل  
 والقصير والمتوسط وغير ذلك فإن هذا حائل للقلوب قاطع لها  
 عن فهم مراد الرب من كلامه وكذلك شغل النطق بـ أنذرتهم  
 وضم الميم من عليهم ووصلها بالواو وكسر الهاء أو ضمها  
 ونحو ذلك وكذلك مراعاة النغم وتحسين الصوت وكذلك تتبع  
 وجوه الإعراب واستخراج التأويلات المستكرهة التي هي  
 بالألغاز والأحاجي أشبه منها بالبيان وكذلك صرف الذهن إلى  
 حكاية أقوال الناس ونتائج أفكارهم وكذلك تأويل القرآن على  
 قول من قلد دينه أو مذهبه فهو يتعسف بكل طريق حتى يجعل  
 القرآن تبعاً لمذهبه وتقوية لقول إمامه كل محجوبون بما لديهم  
 عن فهم مراد الله من كلامه في كثير من ذلك أو أكثره وكذلك  
 يظن من لم يقدر القرآن حق قدره أنه غير كاف في معرفة  
 التوحيد والأسماء والصفات وما يجب لله وينزه عنه بل الكافي

فى ذلك عقول الحيارى والمتهوكين الذين كل منهم قد خالف صريح القرآن مخالفة ظاهرة وهؤلاء أغلظ الناس حجابا عن فهم كتاب الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم<sup>1</sup>

### ذكر الله أنه يرفع درجات من يشاء

\*قال تعالى {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} الأنعام 83 وقال تعالى {كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} يوسف 76 ذكر الله أنه يرفع درجات من يشاء فى قصة مناظرة إبراهيم و فى قصة احتيال يوسف و لهذا قال السلف بالعلم فان سياق الآيات يدل عليه فقصة إبراهيم فى العلم بالحجة و المناظرة لدفع ضرر الخصم عن الدين و قصة يوسف فى العلم بالسياسة و التدبير لتحصل منفعة المطلوب فالأول علم بما يدفع المضار فى الدين و الثانى علم بما يجلب المنافع أو يقال الأول هو العلم الذى يدفع المضرة عن الدين و يجلب منفعته و الثانى علم بما يدفع المضرة عن الدنيا و يجلب منفعتها أو يقال قصة إبراهيم فى علم الأقوال النافعة عند الحاجة إليها و قصة يوسف فى علم الأفعال النافعة عند الحاجة إليها فالحاجة جلب المنفعة و دفع المضرة قد تكون إلى القول و قد تكون ولهذا كان المقصرون عن علم الحجج و الدلالات و علم السياسة و الامارات مقهورين مع هذين الصنفين تارة بالاحتياج إليهم إذا هجم عدو يفسد الدين بالجدل او الدنيا بالظلم و تارة بالاحتياج إليهم اذا هجم على أنفسهم من أنفسهم ذلك و تارة بالاحتياج إليهم لتخليص بعضهم من شر بعض فى الدين و الدنيا و تارة يعيشون فى ظلمهم فى مكان ليس فيه مبتدع يستطيل عليهم ولا وال يظلمهم و ما ذاك إلا لوجود علماء الحجج الدامغة لأهل البدع و السياسة الدافعة للظلم و لهذا قيل صنفان إذا صلحوا صلح الناس العلماء و الأمراء و كما أن المنفعة فيهما فالمضرة منهما فان البدع و الظلم لا تكون إلا فيهما أهل الرياسة



العلمية و أهل الرياسة القدرية و لهذا قال طائفة من السلف كالثوري و ابن عيينة و غيرهما ما معناه أن من نجا من فتنة البدع و فتنة السلطان فقد نجا من الشر كله و قد بسطت القول في هذا في الصراط المستقيم عند قوله { فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } التوبة 69<sup>1</sup>

\* فإذا أريد بالخطأ الاثم فليس المجتهد بمخطيء بل كل مجتهد مصيب مطيع لله فاعل ما أمره الله به و إذا أريد به عدم العلم بالحق في نفس الأمر فالمصيب واحد وله أجران كما في المجتهدين في جهة الكعبة إذا صلوا إلى أربع جهات فالذي أصاب الكعبة واحد وله أجران لاجتهاده وعمله كان أكمل من غيره والمؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن الضعيف ومن زاده الله علما وعملا زاده أجرا بما زاده من العلم والعمل قال تعالى { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ } الأنعام 83 قال مالك عن زيد بن أسلم بالعلم وكذلك قال في قصة يوسف { مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } يوسف 76<sup>1</sup>

### المكذبون للرسول دائما حجتهم داخضة متناقضة

\* فالمكذبون للرسول دائما حجتهم داخضة متناقضة فهم في قول مختلف يؤفك عنه من أفك قال الله تعالى { وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جُنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } الفرقان 33 و قال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا } الفرقان 31 و قال تعالى { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } الأنعام 83 فحجة المشركين في شركهم بالله و جعلهم له و لذا و في دفع أمره و نهيه بالقدر داخضة<sup>1</sup>

## الأنبياء دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له

\* فالأنبياء دعوا إلى عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى لما ذكرهم { ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {88} أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُوَ لَاءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ } {89} أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ {90} الانعام 88-90<sup>1</sup>

## تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط

\* قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ } {84} وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ } {85} وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ } {86} وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } {87} ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {88} أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هُوَ لَاءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ } {89} أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } {90} الانعام 84-90

فإن تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط بل قد يعلق بشرط ممتنع لبيان حكمه فأخبر أنهم لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون مع انتفاء الشرك عنهم بل مع امتناعه لأنهم قد ماتوا لأن الأنبياء معصومون من الشرك به<sup>1</sup>

## ابراهيم أبو الانبياء

\* وابراهيم هو خير البرية وهو أبو أكثرهم إذ ليس هو أب نوح ولوط لكن لوط من أتباعه وأيوب من ذريته بدليل قوله في سورة الانعام { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ

قَبْلَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ  
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ { الأنعام 84 }<sup>1</sup>

\*قال تعالى { وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا  
مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى  
وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ { الأنعام 84 } انه ذكر هبة  
اسحاق وهبة يعقوب لابراهيم<sup>1</sup>

### الأنبياء أفضل الخلق وهم أصحاب الدرجات العلى

\*و الذي عليه جمهور سلف الأمة وأئمتها وكثير من النظار أن  
الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس والله أعلم حيث يجعل  
رسالاته فالنبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره وفي عقله  
ودينه واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته كما قال تعالى

{ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرْبِيِّينَ  
عَظِيمٍ {31} } أَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ {32}

الزخرف 31- 32 وقال تعالى { مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ { البقرة 105

وقال تعالى لما ذكر الأنبياء بقوله { وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ

وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {84}

وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ {85}

وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ

الْعَالَمِينَ {86} } وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ

وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {87} } الأنعام 84- 87 فأخبر أنه

اجتباهم وهداهم والأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين وبعدهم

الصديقون والشهداء والصالحون فلولا وجوب كونهم من

المقربين الذين هم فوق أصحاب اليمين لكان الصديقون أفضل

منهم أو من بعضهم والله تعالى قد جعل خلقه ثلاثة أصناف فقال

تعالى في تقسيمهم في الآخرة { وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً {7} } فَأَصْحَابُ

الْمَيْمَنَةَ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ {8} وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ  
 الْمَشْأَمَةِ {9} وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ {10} أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ {11}  
 فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {12} الواقعة 7- 12 وقال في تقسيمهم عند  
 الموت { فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ {88} فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ  
 نَعِيمٍ {89} وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {90} فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ  
 أَصْحَابِ الْيَمِينِ {91} وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ {92}  
 فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ {93} وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ {94} الواقعة 88- 94  
 وكذلك ذكر في سورة الإنسان والمطففين هذه الأصناف الثلاثة  
 والأنبياء أفضل الخلق وهم أصحاب الدرجات العلى في الآخرة  
 فيمتنع أن يكون النبي من الفجار بل ولا يكون من عموم أصحاب  
 اليمين بل من أفضل السابقين المقربين فإنهم أفضل من عموم  
 الصديقين والشهداء والصالحين وإن كان النبي أيضا يوصف بأنه  
 صديق وصالح وقد يكون شهيدا لكن ذلك أمر يختص بهم لا  
 يشركهم فيه من ليس بنبي كما قال عن الخليل { وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي  
 الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } العنكبوت 27 وقال يوسف  
 { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } يوسف 101 فهذا مما  
 يوجب تنزيه الأنبياء أن يكونوا من الفجار والفساق وعلى هذا  
 إجماع سلف الأمة وجماهيرها وأما من جوز أن يكون غير  
 النبي أفضل منه فهو من أقوال بعض ملاحدة المتأخرين من غلاة  
 الشيعة والصوفية والمتفلسفة ونحوهم وما يحكى عن الفضلية  
 من الخوارج أنهم جوزوا الكفر على النبي فهذا بطريق اللزام  
 لهم لأن كل معصية عندهم كفر وقد جوزوا المعاصي على النبي  
 وهذا يقتضى فساد قولهم بأن كل معصية كفر<sup>1</sup>

### الله خالق أفعال العباد

\*ففي القرآن من ذكر تفصيل أفعال العباد التي بقلوبهم  
 وجوارحهم وأنه هو تبارك وتعالى يحدث من ذلك ما يطول  
 وصفه كقوله تعالى { فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ  
 { الأعراف 30 وقوله تعالى { فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا

فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
{البقرة 213 وقوله } وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَرَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ  
{الحجرات 7 ومعلوم أنه لم يرد بذلك الهداية المشتركة بين المؤمن والكافر مثل إرسال الرسل والتمكين من الفعل وإزاحة العلة بل أراد ما يختص به المؤمن كما دل عليه القرآن في مثل قوله تعالى { وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
{الأنعام 87 وقوله } وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ {117} وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {118} الصافات 117- 118  
ومنه قولنا في الصلاة {5} اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ {7} الفاتحة 6- 7 فإن الهداية المشتركة حاصلة لا تحتاج أن تسأل وإنما تسأل الهداية التي خص بها المهتدين ومن تأول ذلك بمعنى زيادة الهدى والتنبيت وقال كان ذلك جزاء كان متناقضا فإنه يقال هذا المطلوب إن لم يكن حاصلا باختيار العبد لم يثب عليه فإنه إنما يثاب على ما فعله باختياره وإن كان باختياره فقد ثبت أن الله يحدث الفعل الذي يختاره العبد وهذا مذهب أهل السنة وكذلك ما أخبر الله في القرآن من إضلال وهدى ونحو ذلك فإنهم قد يتأولون ذلك بأنه جزاء على ما تقدم وعامة تأويلاتهم مما يعلم بالاضطرار أن الله ورسوله لم يردها بكلامه مع أن هذا الاجزاء مما يثاب الفاعل عليه وإن جوزوا أن الله يثيب العبد على ما ينعم به على العبد من فعله الاختياري جاز أن ينعم عليه ابتداء باختياره الطاعة وإن لم يجز عندهم الثواب والعقاب على ما يجعل العبد فاعلا له بطل أن يريد هدى أو ضلالة يثاب عليها أو يعاقب عليها وامتنع أن يكون ما أخبر أنه فعله من جعل الأغلال في أعناقهم وجعله من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ونحو ذلك هو مما يعاقبون عليه وقد قال تعالى {إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ} النحل 37 فأخبر أنه من أضله الله لا يهتدي وفي الجملة ففي القرآن من

الآيات المبينة أن الله خالق أفعال العباد وأنه هو الذي يقلب قلوب العباد فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وأنه هو المنعم بالهدى على من أنعم عليه ما يتعذر استقصاؤه في هذه المواضع وكذلك فيه ما يبين عموم خلقه لكل شيء كقوله { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } الرعد 16 وغير ذلك وفيه ما يبين أنه فعال لما يريد وفيه ما يبين أنه لو شاء لهدى الناس جميعا وأمثال ذلك مما يطول وصفه<sup>1</sup>

\* إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته وقدرته و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغني و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقا كأنما يصعد فى السماء و هو يقلب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء أن يزيغه أزاعه و هو الذى حبيب إلى المؤمنين الإيمان و زينه فى قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان أولئك هم الراشدون وهو الذى جعل المسلم مسلما و المصلي مصليا قال الخليل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ } البقرة 128 و قال { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 و قال تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 و قال عن آل فرعون { وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 و قال تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا } 19 { إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا } 20 { وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } 21 { المعارج 19-21 و قال { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا } وَوَحَيْنًا } هود 37 و قال { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ } هود 38 و الفلك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله { وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } يس 42 و قال { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا

وَأَشْعَارَهَا أَتَانًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ { النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم وقال تعالى { أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ {95} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ {96} الصافات 95-96 فما بمعنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبنى دل على أنه خالق كل صانع و صنعته و قال تعالى { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا { الكهف 17 و قال { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا { الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابغة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما يفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحكم الحاكمين و أرحم الراحمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى { وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ { النمل 88 و قد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا { البقرة 164 و قال { فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ { الأعراف 57 و قال تعالى { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ { المائدة 16<sup>1</sup>

### إن الله لم يجعل شيئاً يحبط جميع الحسنات إلا الكفر

\*قال النبي صلى الله عليه وسلم غيرة الله ان يأتي المؤمن ما حرم عليه و اعظم الذنوب ان تجعل لله ندا و هو خالقك و تجعل معه الها

آخر والشرك منه جليل ومنه دقيق فالمقتصدون قاموا بواجب التوحيد والسابقون المقربون قاموا بمستحبه مع واجبه ولا شيء احب الى الله من التوحيد ولا شيء ابغض اليه من الشرك ولهذا كان الشرك غير مغفور بل هو اعظم الظلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن مثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تارة تميلها وتعديلها اخرى ومثل المنافق كمثّل شجرة الارز لا تزال ثابتة على اصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة<sup>1</sup>

\* وإن الله لم يجعل شيئاً يحبط جميع الحسنات إلا الكفر كما أنه لم يجعل شيئاً يحبط جميع السيئات إلا التوبة و المعتزلة مع الخوارج يجعلون الكبائر محبطة لجميع الحسنات حتى الإيمان قال الله تعالى { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة 217 فعلق الحبوط بالموت على الكفر وقد ثبت أن هذا ليس بكافر والمعلق بشرط يعدم عنه عدمه وقال تعالى { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ } المائدة 5

وقال تعالى لما ذكر الأنبياء { وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 87 { ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } 88 { الأنعام 87-88 } وقال { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الزمر 65 مطابق لقوله تعالى { إِنْ لِلَّهِ لَأَيُّغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ } النساء 48 فإن الإشراك إذا لم يغفر وأنه موجب للخلود في النار لزم من ذلك

حبوط حسنات صاحبه ولما ذكر سائر الذنوب غير الكفر لم يعلق بها حبوط جميع الأعمال وقوله { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد 28 لأن ذلك كفر وقوله تعالى { لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } الحجرات 2 لأن ذلك قد يتضمن فيقتضي الحبوط وصاحبه لا يدري كراهية أن يحبط أو خشية أن يحبط فنهاهم عن ذلك لأنه



يفضي إلى الكفر المقتضى للحبوط ولا ريب أن المعصية قد تكون سببا للكفر كما قال بعض السلف المعاصي بريد الكفر فينهاي عنها خشية أن تفضي إلى الكفر المحبط كما قال تعالى { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ } {النور 63} وهي الكفر { أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } {النور 63} وإبليس خالف أمر الله فصار كافرا وغيره أصابه عذاب أليم وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بقوله تعالى { إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } {المائدة 27} قالوا فصاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل الله منه عملا فلا يكون له حسنة وأعظم الحسنات الإيمان فلا يكون معه إيمان فيستحق الخلود في النار وقد أجابتهم المرجئة بأن المراد بالمتقين من يتقى الكفر فقالوا لهم إسم المتقين في القرآن يتناول المستحقين للثواب كقوله تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } {54} { فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ } {55} {القمر 54-55} وأيضا فابنا آدم حين قربا قربانا لم يكن المقرب المردود قربانه حينئذ كافرا وإنما كفر بعد ذلك إذ لو كان كافرا لم يتقرب وأيضا فما زال السلف يخافون من هذه الآية ولو أريد بها من يتقى الكفر لم يخافوا وأيضا فإطلاق لفظ المتقين والمراد به من ليس بكافر لا أصل له في خطاب الشارع فلا يجوز حمله عليه والجواب الصحيح أن المراد من إتقى الله في ذلك العمل كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا } {هود 7} قال أخلصه وأصوبه قيل يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة فمن عمل لغير الله كأهل الرياء لم يقبل منه ذلك كما في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري فأنا بريء منه وهو كله للذي أشركه وقال في الحديث الصحيح لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول وقال لا يقبل الله صلاة حائض

إلا بخمار وقال في الحديث الصحيح من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد أي فهو مردود غير مقبول فمن إتقى الكفر وعمل عملا ليس عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه وإن صلي بغير وضوء لم يقبل منه لأنه ليس متقيا في ذلك العمل وإن كان متقيا للشرك وقد قال تعالى { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ } المؤمنون 60 وفي حديث عائشة عن النبي أنها قالت يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف أن يعذب قال لا يا إبنة الصديق ولكنه الرجل يصلى ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور وهذا أظهر الوجوه في إستثناء من إستثنى منهم في الإيمان وفي أعمال الإيمان كقول أحدهم أنا مؤمن إن شاء الله وصليت إن شاء الله لخوف أن لا يكون أتى بالواجب على الوجه المأمور به لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق لا يجوز أن يراد بالآية إن الله لا يقبل العمل إلا ممن يتقى الذنوب كلها لأن الكافر والفاسق حين يريد أن يتوب ليس متقيا فإن كان قبول العمل مشروطا بكون الفاعل حين فعله لا ذنب له إمتنع قبول التوبة بخلاف ما إذا اشترط التقوى في العمل فإن التائب حين يتوب يأتي بالتوبة الواجبة وهو حين شروعه في التوبة منتقل من الشر إلى الخير لم يخلص من الذنب بل هو متق في حال تخلصه منه و أيضا فلو أتى الإنسان بأعمال البر وهو مصر على كبيرة ثم تاب لوجب أن تسقط سيئاته بالتوبة وتقبل منه تلك الحسنات وهو حين أتى بها كان فاسقا و أيضا فالكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم من قتل وغصب وقذف وكذلك الذمي إذا أسلم قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه فلو كان العمل لا يقبل إلا ممن لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من الفواحش والمظالم بل يكون مع إسلامه مخلدا وقد كان الناس مسلمين على عهد رسول الله ولهم ذنوب معروفة وعليهم تبعات فيقبل إسلامهم ويتوبون

إلى الله سبحانه من التبعات كما ثبت في الصحيح أن المغيرة بن شعبة لما أسلم وكان قد رافق قوما في الجاهلية فغدر بهم وأخذ أموالهم وجاء فأسلم فلما جاء عروة بن مسعود عام الحديبية والمغيرة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف دفعه المغيرة بالسيف فقال من هذا فقالوا ابن أختك المغيرة فقال يا غدر ألسنت أسعي في غدرتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فأقبله وأما المال فلست منه في شيء وقد قال تعالى { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ } الأنعام 52 وقالوا لنوح { أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ } {111} قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {112} إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ } {113} الشعراء 111-113 ولا نعرف من المسلمين جاءه ذمي يسلم فقال له لا يصح إسلامك حتى لا يكون عليك ذنب وكذلك سائر أعمال البر من الصلاة والزكاة<sup>1</sup>

\*وما قد يفضي الى حبوط العمل يجب تركه غاية الجواب والعمل يحبط بالكفر قاله سبحانه { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ } البقرة 217 وقال تعالى { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ } المائدة 5 وقال { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 88 وقال { لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ } الزمر 65 وقال { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد 9 وقال { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد 28 كما ان الكفر اذا قارنه عمل لم يقبل لقوله تعالى { إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } المائدة 27 وقوله { الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ } محمد 1 وقوله { وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ } التوبة 54 وهذا ظاهر ولا تحبط الاعمال بغير الكفر لان من مات على الايمان فانه لا بد من ان يدخل الجنة ويخرج من النار

ان دخلها ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط ولان الاعمال  
 انما يحبطها ما ينافيها ولا ينافي الاعمال مطلقا الا الكفر وهذا  
 معروف من اصول اهل السنه نعم قد يبطل بعض الاعمال  
 بوجود ما يفسده كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا  
 صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى } البقرة 264 ولهذا لم يحبط الله الاعمال  
 في كتابه الا بالكفر<sup>1</sup>

## الرد على الذين يقولون إن الكبيرة تحبط الحسنات حتى الإيمان

\*فالذنوب إنما تقع إذا كانت النفس غير ممثلة لما أمرت به ومع  
 إمتثال الأمور لا تفعل المحظور فإنهما ضدان قال تعالى {  
 كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ  
 } يوسف 24 الآية وقال { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ  
 } الحجر 42 فعباد الله مخلصون لا يغويهم الشيطان و الغي  
 خلاف الرشده وهو إتباع الهوى فمن مالت نفسه الى محرم فليأت  
 بعبادة الله كما أمر الله مخلصا له الدين فإن ذلك يصرف عنه  
 السوء الفحشاء خشية ومحبة والعبادة له وحده وهذا يمنع من  
 السيئات فإذا كان تائبا فإن كان ناقصا فوقع السيئات من  
 صاحبه كان ماحيا لها بعد الوقوع فهو كالتريق الذى يدفع أثر  
 السم ويرفعه بعض حصوله وكالغذاء من الطعام والشراب  
 وكالإستمتاع من بالحلال الذى يمنع النفس عن طلب الحرام فإذا  
 حصل له طلب إزالته وكالعلم الذى يمنع من الشك ويرفعه بعد  
 وقوعه وكالطب الذى يحفظ الصحة ويدفع المرض وكذلك كما  
 فى القلب من الإيمان يحفظ بأشباهاة مما يقوم به وإذا حصل  
 منه مرض من الشبهات والشهوات وأزيل بهذه ولا يحصل  
 المرض إلا لنقص أسباب الصحة كذلك القلب لا يمرض إلا  
 لنقص إيمانه وكذلك الإيمان والكفر متضادان فكل ضدین  
 فأحدهما يمنع الآخر تارة ويرفعه أخرى كالسواد والبياض حصل  
 موضعه ويرفعه إذا كان حاصلا كذلك الحسنات والسيئات

والأحباط والمعتزلة إن الكبيرة تحبط الحسنات حتى الإيمان وإن من مات عليها لم يكن الجبائي وإبنة بالموازنة لكن قالوا من رجحت سيئاته خلد في النار والموازنة بلا تخليد قول الأحباط ما أجمع عليه وهو حبوط الحسنات كلها بالكفر كما قال { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ } البقرة 217 الآية وقوله { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ } المائدة 5

وقال { **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } الأنعام 88 وقال { لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ } الزمر 65 الآية وما إدعته المعتزلة مخالف لأقوال السلف فإنه سبحانه ذكر حد الزاني وغيره ولم يجعلهم كفارا حابطي الأعمال ولا أمر بقتلهم كما أمر بقتل المرتدين والمنافقون لم يكونوا يظهرن كفرهم والنبى أمر بالصلاة على الغال وعلى قاتل نفسه ولو كانوا كفارا ومنافقين لم تجز الصلاة عليهم فعلم أنهم لم يحبط إيمانهم كله وقال عن شرب الخمر لا تلغنة فإنه يحب الله ورسوله وكذلك الحب من أعظم شعب الإيمان فعل أن إدمانه لا يذهب الشعب كلها وثبت من وجوه كثيرة يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان ولو حبط لم يكن فى قلوبهم شىء منه وقال تعالى { تَمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ } فاطر 32 الآية فجعل من المصطفين فإذا كانت السيئات لا تحبط جميع الحسنات فهل تحبط بقدرها وهل يحبط بعض الحسنات بذنب دون الكفر فيه قولان للمنتسبين الى السنة منهم من ينكره ومنهم من يثبتته كما دلت عليه النصوص مثل قوله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى } البقرة 264 الآية دل على أن هذه السيئة تبطل الصدقة ضرب مثله بالمرأى وقالت عائشة أبلغى زيدا أن جهاده بطل الحديث وأما قوله { **أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ** } الحجرات 2 وحديث صلاة العصر فى ذلك نزاع فقال تعالى { **وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ** } محمد 33 قال الحسن بالمعاصى والكبائر وعن

عطاء بالشرك والنفاق وعن ابن السائب بالرياء والسمعة وعن مقاتل بالمن وذلك أن قوما منوا بإسلامهم فما ذكر عن الحسن يدل على أن المعاصي والكبائر تحبط الأعمال فإن قيل لم يرد إلا إبطالها بالكفر قيل ذلك منهي عنه في نفسه وموجب للخلود الدائم فالنهي عنه لا يعبر عنه بهذا بل يذكره على وجه التغليظ كقوله { مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ } المائدة 54 ونحوها والله سبحانه في هذه وفي آية المن سماها إبطالا ولم يسمه إحباطا ولهذا ذكر بعدها الكفر بقوله { إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } محمد 34 الآية فإن قيل المراد إذا دخلتم فيها فأتموها وبها إحتج من قال يلزم التطوع بالشروع فيه قيل لو قدر أن الآية تدل على أنه منهي عن إبطال بعض العمل فإبطاله كله أولى بدخوله فيها فكيف وذلك قبل فراغه لا يسمى صلاة ولا صوما ثم يقال الإبطال يوجد قبل الفراغ أو بعده وما ذكره أمر بالإتمام والإبطال هو إبطال الثواب ولا نسلم أن من لم يتم العبادة يبطل جميع ثوابه بل يقال إنه يثاب على من فعل من ذلك وفي الصحيح حديث المفلس الذي يأتي بحسنات أمثال الجبال<sup>1</sup>

### الردة عن الإسلام

\*وأما الردة عن الإسلام بأن يصير الرجل كافرا مشركا أو كتابيا فإنه إذا مات على ذلك حبط عمله باتفاق العلماء كما نطق بذلك القرآن في غير موضع كقوله { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قَبِمْتَ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } البقرة 217 وقوله { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } المائدة 5 وقوله { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 88 وقوله { لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين } الزمر 65 ولكن تنازعا فيما إذا إرتد ثم عاد إلى الإسلام هل تحبط الأعمال التي عملها قبل الردة

أم لا تحبط إلا إذا مات مرتدا على قولين مشهورين هما قولان في مذهب الإمام أحمد والحبوط مذهب أبي حنيفة والوقوف مذهب الشافعي وتنازع الناس أيضا في المرتد هل يقال كان له إيمان صحيح يحبط بالردة أم يقال بل بالردة تبيننا أن إيمانه كان فاسدا وأن الإيمان الصحيح لا يزول ألبتة على قولين لطوائف الناس وعلى ذلك يبني قول المستثنى أنا مؤمن إن شاء الله هل يعود الإستثناء إلى كمال الإيمان أو يعود إلى الموافاة في المال والله أعلم<sup>1</sup>

\*اتفق الأئمة على ان من كان مؤمنا ثم ارتد فإنه لا يحكم بأن إيمانه الاول كان فاسدا بمنزلة من افسد الصلاة والصيام والحج قبل الاكمال وانما يقال كما قال الله تعالى { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ } المائدة5 وقال { لئن أشركت ليحبطن عملك } الزمر65 وقال { **وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } الأنعام88 ولو كان فاسدا في نفسه لوجب الحكم بفساد انكحته المتقدمة وتحريم ذبائحه وبطلان إرثه المتقدم وبطلان عباداته جميعها حتى لو كان قد حج عن غيره كان حجه باطلا ولو صلى مدة بقوم ثم ارتد كان عليهم ان يعيدوا صلاتهم خلفه ولو شهد أو حكم ثم ارتد لوجب أن تفسد شهادته وحكمه ونحو ذلك وكذلك أيضا الكافر اذا تاب من كفره لو كان محبوبا لله ولها له في حال كفره لوجب ان يقضى بعدم احكام ذلك الكفر وهذا كله خلاف ما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع والكلام في هذه المسألة نظير الكلام في الارزاق والآجال وهي أيضا مبنية على قاعدة الصفات الفعلية وهي قاعدة كبيرة<sup>1</sup>

\*و أما الكافر المرتد فالمشهور أنه يلزمه قضاء ما تركه قبل الردة من صلاة و زكاة و صوم و لا يلزمه قضاء ما تركه في زمن الردة و هذا هو المنصوص عنه في مواضع مفرقا بين ما تركه قبل الردة و بعدها و حكي ابن شاقلا رواية أنه لا يلزمه شيء من ذلك بناء على أن الردة تحبط العمل لقوله تعالى {

لَيْنِ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ { الزمر 65 و قوله { وَمَنْ يَكْفُرْ  
بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ { المائدة 5 و قوله { وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ  
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ { الأنعام 88 و قوله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ  
ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ } محمد 25 إلى  
قوله تعالى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ  
فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ } محمد 28 و لأن الكفر الطارئ يهدم ما كان  
قبله من الصالحات كما إن الإيمان الطارئ يهدم ما كان قبله من  
السيئات و القضاء إنما يراد به جبر ما حصل به من الخلل في  
العمل فإذا حبط الجميع فلا معنى لجبره مع ظاهر قوله تعالى  
{ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ  
مَضَتَّ سُنَّةُ الْأُولَئِينَ { الأنفال 38 و عنه رواية أخرى أنه يلزمه  
قضاء الجميع أما قبل الردة فلوجوبه عليه و أما ما بعد الردة  
فلأنه التزم حكم الإسلام فلا يقبل منه الرجوع عنه كالمسلم إذا  
تركها عامدا و لهذا يضمن ما اتلفه في حال الردة من دية أو مال  
على المنصوص و لهذا لا يقر على دينه بغير جزية و لا فرق  
فإذا لم يقر على الاعتقاد لم يقر على موجبيه و هو الترك فيكون  
مطالباً بالفعل في الدنيا و لأن الدليل يقتضي وجوبها على كل  
حال و إنما عفي للكافر الأصلي عن القضاء لأن مدة الترك  
تطول غالباً و قد كان على دين يعتقد صحته و لم يعتقد بطلانه و  
هو مع ذلك مقر عليه يجوز إن يهادن و يؤمن و أن يسترق و  
يعقد له الجزية إن كان من أهل ذلك بخلاف المرتد و وجه  
المشهور أن ما تركه قبل الردة قد وجب في ذمته و استقر فلا  
يسقط بعد ذلك بفعله لو كان مباحاً فكيف يسقط بالمحرم و لأنه  
ترك صلاة يخاطب بفعلها ابتداء فخطب بقضائها كالنائم و  
الناسي و أولى و لأن تخلل المسقط بين زمن الوجوب و القضاء  
لا يسقط الواجب كما لو ترك الصلاة ثم حصل جنون أو حيض  
ثم حصل العقل و الطهارة فإنه يجب القضاء و أما حبوط  
عمله بالردة فقد منع ذلك بعض أصحابنا و قالوا الآيات فيمن  
مات على الردة بدليل قوله تعالى { وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ



فَيَمُتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ {البقرة 217} و الإطلاق في الآيات البواقي لا يمنع ذلك  
لأن كل عقوبة مرتبة على كفر فإنها مشروطة بالموت عليه  
فان قيل التقييد في هذه الآية بالموت على الكفر إنما كان لأنه  
مرتب على شيئين و هو حبوط العمل و الخلود في النار و  
الخلود إنما يستحقه الكافر و تلك الآيات إنما ذكر فيها الحبوط  
فقط فعلم إن مجرد الردة كافية قلنا قوله { وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ  
فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } المائدة 5 و قوله  
تعالى { لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين  
{ الزمر 65 لا يكون إلا لمن مات مرتدا لأن الخاسرين الذين  
خسروا أنفسهم و أهلهم يوم القيامة و هذا ليس لمن مات على  
عمل صالح لأنه إذا عاد إلى الإسلام فقد غفر له الإرتداد الماضي  
لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له و إذا زال الذنب زالت  
عقوباته و موجباته و حبوط العمل من موجباته يبين هذا أنه لو  
كان فعل في حال الردة ما تقتضيه الردة من شتم أو سب أو شرك  
لم يبق عليه إذا اسلم و لأن الكافر الحربي لو تقرب إلى الله بأشياء  
ثم ختم له بالإسلام لكانت محسوبة له بدليل ما روى حكيم ابن  
حزام قال قلت يا رسول الله أرأيت أموراً كنت أتحدث بها في  
الجاهلية من صلاة و عتاقة و صلة هل فيها من اجر فقال رسول  
الله صلى الله عليه و سلم أسلمت على ما سلف لك من خير متفق  
عليه فإذا كان الكفر المقارن للعمل لا يحبط إلا بشرط الموت  
عليه فانه لا يحبط الكفر الطارئ إلا بشرط الموت أخرى و أولى  
لأن بقاء الشيء أولى من ابتدائه و حدوثه و الدفع اسهل من  
الرفع و لهذا قالوا الردة و الإحرام و العدة تمنع ابتداء النكاح دون  
دوامه كيف و تلك الأعمال حين عملت عملت لله سبحانه و قد  
غفر الله ما كان بعدها من الكفر بالتوبة منه و من أصحابنا  
من قال يحبط العمل مطلقاً لكن قال الإحباط هو إحباط الثواب لا  
إبطال العمل في نفسه بدليل أنه لا ينقض ما قبل الردة من الأمور  
المشروطة بالإسلام كالحكم و الولاية و الإرث و الإمامة و الذبح

فلا تبطل صلاة من صلى خلفهم و لا يحرم ما ذبحه قبل الردة  
 ولا يلزم من بطلان ثوابه مما فعله سقوط الواجب الذي لم يفعله  
 فان الردة تناسب التشديد لا التخفيف ثم نقول فعل المكتوبة له  
 فائدتان إحداهما أنه يقتضي الثواب و الثانية أنه يمنع العقاب  
 الواجب بتقدير الترك فإذا ارتد ذهبت فائدة واحدة و هي الثواب و  
 بقيت الأخرى و هي منع العذاب على الترك بحيث لا يعذب من  
 فعل و يحبط عمله على نفس ما فعله من الخير و إنما يعذب على  
 الكفر المحبط كما يعذب من لم يفعل و هذا الخلل يتعين جبره و  
 إلا عوقب على الترك و هذا معنى ما يجيء في كثير من الأعمال  
 الواجبة أنها غير مقبولة أي لا ثواب فيها و إن أبرأت الذمة  
 بحيث لولا الفعل لكان مكفا و لولا السبب المانع من القبول لكان  
 فيها ثواب و لهذا قلنا إذا أتى قبل الردة ما يوجب الحد من زنى أو  
 سرقة و غيرهما فإنه يقام عليه الحد بعد الإسلام الثاني نص عليه  
 بخلاف من أقيم عليه الحد قبل الردة فإنه لا يقام عليه الحد ثانية  
 فلو فرضنا إن لا فائدة أصلا فيما فعله قبل الردة فإنما ذلك فيما  
 يفعله دون ما يوجب عليه و لم يفعله فإنه الآن قادر على فعله  
 على وجه يبرئه فيجب عليه كما يجب عليه قضاء الحقوق التي  
 كانت واجبة قبل الردة و يثاب على قضائها و إن كان قد بطلت  
 فائدة ما قضاها قبل الردة و أما ما قبل الإسلام فإنه لم يخاطب  
 به ابتداء و إنما يخاطب أولا بالإسلام فلا يجب قضاؤه كالكافر  
 الأصلي فان الموجب للسقوط في أحدهما موجود في الآخر و قد  
 ارتد جماعة في زمن النبي صلى الله عليه و سلم و أبي بكر و  
 مكث منهم طائفة على الردة برهة من الدهر و لم ينقل أن أحدا  
 منهم أمر بالقضاء و لأن الترك هنا كان في ضمن الاعتقاد فلما  
 غفر له الاعتقاد غفر له ما في ضمنه و لأن إيجاب القضاء هنا قد  
 يكون فيه تنفير عن الإسلام لا سيما إذا كثرت أعوام الردة و  
 كانت الأموال كثيرة فإنه قد يعجز عن القضاء فيصر على الكفر  
 فرارا من القضاء فأما ما فعله قبل الردة فلا يجب عليه  
 قضاؤه بحال لأن الذمة برئت منه حتى الحج في إحدى الروايتين

و عنه إيجاب قضاء الحج فمن أصحابنا من علل ذلك بأن العمل الماضي حبط بالردة فيجب عليه ما يجب على الكافر الأصلي فعلى هذا يجب إعادة ما صلى إذا أسلم و وقته باق و هذه طريقة ابن شاقلا و أبي الخطاب و غيرهما و قال القاضي و الأمدي و أكثر أصحابه مثل الشريف أبي جعفر يجب إعادة الحج مع القول بأن العمل لم يحبط لأن هذا إسلام جديد و الإسلام مبني على خمس فلا بد فيه من جميع المباني بخلاف ما تكرر وجوبه من الصلاة و الزكاة و الصوم و لأن الإحتساب له بذلك الحج لا يمنع أن يجب عليه حج ثان بالإسلام كالكافر الحربي لو حج ثم أسلم لزمه حج ثان مع أن ذلك الحج محسوب له و كذلك العبد و الصبي لو حجا قبل الوجوب كتب لهما ثوابه ثم يلزمهما بالوجوب حج ثان و إذا أسلم لزمه قضاء ما تركه بعد الإسلام و إن لم يعلم وجوبه<sup>1</sup>

### لم يثن الله على أحد في القرآن بنسبه

\*لم يثن الله على أحد في القرآن بنسبه أصلا لا على ولد نبي ولا على أبي نبي وإنما أثنى على الناس بإيمانهم وأعمالهم وإذا ذكر صنفا وأثنى عليهم فلما فيهم من الإيمان والعمل لا لمجرد النسب ولما ذكر الأنبياء ذكرهم في الأنعام وهم ثمانية عشر قال {وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 87 فبهذا حصلت الفضيلة باجتباؤه سبحانه وتعالى وهدايته إياهم إلى صراط مستقيم لا بنفس القرابة وقد يوجب النسب حقوقا ويوجب لأجله حقوقا ويعلق فيه أحكاما من الإيجاب والتحرير والإباحة لكن الثواب والعقاب والوعد والوعيد على الأعمال لا على الأنساب ولما قال تعالى {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} آل عمران 33 وقال {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا} النساء 54 كان هذا مدحا لهذا المعدن الشريف لما فيهم من

الإيمان والعمل الصالح ومن لم يتصف بذلك منهم لم يدخل في المدح كما في قوله تعالى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} الحديد 26 وقال تعالى {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} الصافات 113<sup>1</sup>

## الإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله

\* قال تعالى {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} الأنعام 84 والإحسان ضد الإساءة وهو فعل الحسن سواء كان لازماً لصاحبه أو متعدياً إلى الغير<sup>1</sup>

\* وأما الإحسان فقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قد قيل أن الإحسان هو الإخلاص والتحقيق أن الإحسان يتناول الإخلاص وغيره والإحسان يجمع كمال الإخلاص لله ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله قال تعالى {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 112 وقال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} النساء 125 فذكر إحسان الدين أولاً ثم ذكر الإحسان ثانياً<sup>1</sup>

## الصالح هو الذي استوت سريرته وعلانيته

\* قال تعالى {وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} {84} {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ} {85} الأنعام 84-85 وكذلك لفظ الصالح والشهيد والصديق يذكر

مفردا فيتناول النبيين قال تعالى فى حق الخليل { وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ  
فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ } العنكبوت 27 وقال  
{ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ  
النحل 122 وقال الخليل { رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي  
بِالصَّالِحِينَ } الشعراء 83 وقال يوسف { تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي  
بِالصَّالِحِينَ } يوسف 101 وقال سليمان { وَأَدْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ  
فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } النمل 19 وقال النبي صلى الله عليه  
وسلم فى الحديث الصحيح المتفق على صحته لما كانوا  
يقولون فى آخر صلاتهم السلام على الله قبل عباده السلام على  
فلان فقال لنا رسول الله ذات يوم ان الله هو السلام فاذا  
قعد أحدكم فى الصلاة فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات  
السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى  
عباد الله الصالحين فاذا قالها أصابت كل عبد صالح لله فى السماء  
والأرض الحديث وقد يذكر الصالح مع غيره كقوله  
تعالى { فَأَوْلِيكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ  
وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } النساء 69  
قال الزجاج وغيره الصالح القائم بحقوق الله وحقوق عباده ولفظ  
الصالح خلاف الفاسد فاذا أطلق فهو الذى أصلح جميع امره  
فلم يكن فيه شىء من الفساد فاستوت سريرته وعلانيته وأقواله  
وأعماله على ما يرضى ربه وهذا يتناول النبيين ومن دونهم<sup>1</sup>

### الاسلام دين جميع المرسلين

\*فى توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملى دون  
الشرعى وما فى ذلك من اقرار ونسخ وجريان ذلك فى اهل  
الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار قال الله تعالى { وَإِذْ ابْتَلَى  
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا  
{ البقرة 124 فهذا نص فى انه امام الناس كلهم وقال { إِنَّ  
إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً } النحل 120 وهو القدوة الذى يؤتم به وهو معلم  
الخير وقال تعالى فى آل عمران { شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ  
 الْحَكِيمُ {18} إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا  
 الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ {19} آل عمران 18-  
 19- فاخبر ان الدين عند الله الاسلام وان الذين اختلفوا من اهل  
 الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم  
 العلم وفيه بيان ان الدين واحد لا اختلاف فيه وقال تعالى  
 {قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَهُ إِبْرَاهِيمَ  
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ {161} قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي  
 وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} الأنعام 161- 162 هذا  
 بعد ان ذكر الانبياء فقال { **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ**  
**{ الأنعام 90** وهذا فى القرآن مذكور فى مواضع كثيرة  
 وكذلك فى الأحاديث الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخارى فقال  
 باب ما جاء فى أن دين الأنبياء واحد وذكر الحديث المتفق  
 عليه عن أبى هريرة عن النبى قال انا معاشر الأنبياء اخوة  
 لعلات ومثل صفته فى التوراة لن أقبضه حتى أقيم به الملة  
 العوجاء فافتح به أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلغا ولهذا وحد  
 الصراط والسبيل فى مثل قوله تعالى { **اهدِنَا الصِّرَاطَ**  
**المُسْتَقِيمَ {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ**  
**وَلَا الضَّالِّينَ {7} الفاتحة 6-7** والاسلام دين جميع المرسلين<sup>1</sup>  
 \*والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين قد امرنا أن نؤمن  
 بما أتوه وأن نفتدى بهم وبهداهم قال تعالى { **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا**  
**أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**  
**وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا**  
**نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ {البقرة 136** وقال تعالى  
 { **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ { الأنعام 90** ومحمد خاتم  
 النبيين لا نبى بعده وقد نسخ بشره ما نسخه من شرع غيره فلم  
 يبق طريق إلى الله إلا بإتباع محمد صلى الله عليه وسلم فما أمر  
 به من العبادات أمر إيجاب أو إستحباب فهو مشروع وكذلك  
 ما رغب فيه وذكر ثوابه وفضله ولا يجوز أن يقال أن هذا

مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعى ولا يجوز أن يثبت شريعة بحديث ضعيف لكن إذا ثبت أن العمل مستحب بدليل شرعى وروى له فضائل بأسانيد ضعيفة جاز أن تروى إذا لم يعلم أنها كذب وذلك أن مقادير الثواب غير معلومة فإذا روى فى مقدار الثواب حديث لا يعرف أنه كذب لم يجر أن يكذب به وهذا هو الذى كان الإمام أحمد بن حنبل وغيره يرخصون فيه وفى روايات أحاديث الفضائل واما أن يثبتوا أن هذا عمل مستحب مشروع بحديث ضعيف فحاشا لله كما أنهم إذا عرفوا أن الحديث كذب فإنهم لم يكونوا يستحلون روايته إلا أن يبينوا أنه كذب لقول النبى فى الحديث الصحيح من روى عنى حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين وما فعله النبى على وجه التعبد فهو عبادة يشرع التأسى به فيه فإذا خصص زمان أو مكان بعبادة كان تخصيصه بتلك العبادة سنة كتخصيصه العشر الأواخر بالإعتكاف فيها وتخصيصه مقام إبراهيم بالصلاة فيه فالتأسى به أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذى فعل لأنه فعل<sup>1</sup>

### {أَوْلِيكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ اقْتَدِهْ }

\*قال تعالى {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} النساء 26 أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يبين لنا ويهدينا سنن الذين من قبلنا قال فيهم {أَوْلِيكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ اقْتَدِهْ} {الأنعام 90} وهم الذين امرنا ان نسأله الهداية لسبيلهم فى قوله {اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} {7} {الفاحة 6-7} فهو يحب لنا ويأمرنا ان نتبع صراط هؤلاء وهو سبيل من أناب إليه<sup>1</sup>

\*قال تعالى {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} {النور 34} وهو ما ذكره من أحوال الامم الماضية التى يعتبر بها ويقاس عليها أحوال الامم المستقبلية كما قال {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ} {يوسف 111} فمن كان من أهل الايمان قيس بهم وعلم أن الله

يسعده في الدنيا والآخرة ومن كان من أهل الكفر قيس بهم وعلم أن الله يشقيه في الدنيا والآخرة كما قال في حق هؤلاء { أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ } القمر 43 وقد قال { قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ } آل عمران 137 وقال في حق المؤمنين { وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ } النور 55 وقال { وَذَا النُّورِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } 87 { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ } 88 { الْأَنْبِيَاءُ 87- 88 } وقال في قصة أيوب { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ } الأنبياء 84 { رَحْمَةً مِّنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ } ص 43 وقال { **أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ } الأنعام 90<sup>1</sup>**

### { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ }

\*فإن القرآن هو شرف لمن آمن به من قومه وغيرهم وليس شرفاً لجميع قومه بل من كذب به منهم كان أحق بالذم كما قال تعالى { وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ } الأنعام 66 بخلاف كونه تذكرة وذكرى فإنه تذكرة لهم ولغيرهم كما قال تعالى { **أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنَّ هُوَ إِلَّا ذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ } الأنعام 90** فعم العالمين جميعهم<sup>1</sup>

### تعليم القرآن والعلم بغير أجره فهو أفضل الأعمال

\*الرسول صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى هدى ورحمة للعالمين فإنه كما أرسله بالعلم والهدى والبراهين العقلية والسمعية فإنه أرسله بالإحسان إلى الناس والرحمة لهم بلا عوض



و بالصبر على أذاهم و إحتماله فبعثه بالعلم و الكرم و الحلم عليهم  
هاد كريم محسن حلیم صفوح قال تعالى { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 52 { صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } 53 { الشورى 52-53 و قال  
تعالى { الرِّيبَاتُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى  
النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } إبراهيم 1 و قال  
تعالى { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا  
الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ  
عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الشورى 52 و نظائره  
كثيرة و قال { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } الفرقان 57 و  
قال { قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ  
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } سبأ 47 و قال { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا  
{ الأنعام 90 فهو يعلم و يهدي و يصلح القلوب و يدلها على  
صلاحها فى الدنيا و الآخرة بلا عوض و هذا نعت الرسل  
كلهم كل يقول { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ } الشعراء 109 و لهذا  
قال صاحب يس { يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ } 20 { اتَّبِعُوا مَنْ لَا  
يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ } 21 { يس 21 و هذه سبيل من اتبعه  
كما قال { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ  
اتَّبَعَنِي } يوسف 108<sup>1</sup>

\*قال تعالى { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ  
عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } الأنعام 90 أما تعليم القرآن  
و العلم بغير أجره فهو أفضل الأعمال و أحبها إلى الله و هذا مما  
يعلم بالإضطرار من دين الإسلام ليس هذا مما يخفى على أحد  
ممن نشأ بديار الإسلام و الصحابة و التابعون و تابعوا التابعين  
و غيرهم من العلماء المشهورين عند الأمة بالقرآن و الحديث  
و الفقه إنما كانوا يعلمون بغير أجره و لم يكن فيهم من يعلم بأجرة  
أصلاً فإن العلماء ورثة الأنبياء و إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً  
ولا درهما و إنما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر  
و الأنبياء صلوات الله عليهم إنما كانوا يعلمون العلم بغير أجره

كما قال نوح عليه السلام { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } الشعراء 109 وكذلك قال هود وصالح وشعيب ولوط وغيرهم وكذلك قال خاتم الرسل { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } ص 86 وقال { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } الفرقان 57 وتعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك بغير أجره لم يتنازع العلماء في أنه عمل صالح فضلا عن أن يكون جائزا بل هو من فروض الكفاية فإن تعليم العلم الذي بينه فرض على الكفاية كما قال النبي في الحديث الصحيح بلغوا عني ولو آية وقال ليبلى شاهد الغائب<sup>1</sup>

### لطائف لغوية

- 1- قال تعالى { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } الانعام 74 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا اطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَقْبُوا أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ } {69} فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } {71} الصافات 69-71 وقوله { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُتُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } {68} الأحزاب 67-68 وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 ثم يقرن بالغى والغضب كما في قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } {النجم 2} وفي قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ } القمر 47<sup>1</sup>
- 2- قال تعالى { فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ } {76} فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ } {77} فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ

فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ {78} الانعام 76-  
78 الأفلول هو المغيب والاحتجاب ليس هو الإمكان ولا  
الحركة<sup>1</sup>

3- قال الله تعالى {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ} {الأنعام 76} أي إستولى  
عليه فغطاه و ستره<sup>1</sup>

4- و إضمار الاستفهام إذا دل عليه الكلام لا يقتضى جواز  
إضماره فى الخبر المخصوص من غير دلالة فان هذا يناقض  
المقصود و يستلزم أن كل من اراد أن ينفي ما أخبر الله به يقدر  
أن ينفيه بأن يقدر فى خبره استفهاما و يجعله استفهام إنكار و  
هذا من جهة العربية نظير ما زعمه بعضهم فى قول إبراهيم  
عليه السلام {هَذَا رَبِّي} {الأنعام 78} أهذا ربي قال ابن  
الانباري هذا القول شاذ لأن حرف الاستفهام لا يضم إذا كان  
فارقا بين الاخبار و الاستخبار و هؤلاء استشهدوا بقوله  
أفان مت فهم الخالدون و هذا لا حجة فيه لأنه قد تقدم  
الاستفهام فى أول الجملة فى الجملة الشرطية و ما جعلنا لبشر  
من قبلك الخلد فلم يحتج إلى ذكره ثانية بل ذكره يفسد الكلام و  
مثله قوله أفان مات او قتل { أفان مات أو قتل انقلبتم على  
أعقابكم } آل عمران 144 و قوله { أفكلما جاءكم رسولٌ  
بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم } البقرة 87 و قوله { أوكلما  
عاهدوا عهداً نبذوه فريقاً منهم } البقرة 100 و هذا من فصيح  
الكلام و بليغه<sup>1</sup>

5- قال تعالى {فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَّ قَالَ  
لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} {الأنعام 77} عامة  
الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى  
إذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعا  
فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ  
المُسْتَقِيمَ } {الفاتحة 6} والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا  
وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } {البقرة 2} والمراد به أنهم يعلمون

ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة  
{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن  
ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما  
بالاجتناب كما فى قوله { وَاجْتَنِبْنَا هُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتِنَابًا  
وَهَذَا } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ  
مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ  
رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان  
ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق  
يدخل فيه هذا وهذا ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من  
ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا  
كقوله { إِنَّهُمْ أَقْبَوُا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ } {69} فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ  
يُهْرَعُونَ } {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } {71} الصافات 69  
-71 وقوله { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا  
السَّبِيلَا } {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنَا  
كَبِيرًا } {68} الأحزاب 67-68 وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا  
يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 ثم يقرن بالغي والغضب كما فى  
قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 وفى قوله { غَيْرِ  
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ  
فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ } القمر 147

6- قال تعالى { إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 79 والحنيف  
المستقيم الى ربه دون ما سواه<sup>1</sup>

7- قال تعالى { وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُكُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ  
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } الانعام 81 والسلطان هو الحجة المنزلة من عند الله

8- قال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } الأنعام 82 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقيد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما في قوله { وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما في قوله { شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتِنَابًا وَهَذَا } النحل 121 { اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا<sup>1</sup>

9- الحجة هي ما يحتج به الخصم وإن كان باطلا فليس من شرط لفظ الحجة أن تكون حقا بل إذا كانت حقا سميت بينة وبرهانا ودليلا وقال في الحق { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } الأنعام 83 وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعا من النار<sup>1</sup>

10- أن الله سمي نفسه وصفاته بأسماء وسمى بعض عبادته وصفات عبادته بأسماء هي في حقهم نظير تلك الأسماء في حقه سبحانه وتعالى فسمى نفسه عليما كقوله { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ

**عَلِيمٍ {الأنعام 83}** وسمى بعض عباده عليما كقوله {قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ {الحجر 53} مع العلم بأنه ليس العليم كالعليم<sup>1</sup>

11- قال تعالى {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نِّسَاءِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {الأنعام 83} عليم منزه عن الجهل<sup>1</sup>

12- قال تعالى {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {الأنعام 88} فما أنزله يسمى هدى الله وروح الله ووحى الله ونور الله ونحو ذلك<sup>1</sup>

13- قال تعالى {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {84} {وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ {85} {وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ {86} {وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ {87} {ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ {88} {أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هُوَ لَاءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ {89} {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ {90} {الأنعام

90-84

فإن تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط بل قد يعلق بشرط ممتنع لبيان حكمه فأخبر أنهم لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون مع انتفاء الشرك عنهم بل مع امتناعه لأنهم قد ماتوا لأن الأنبياء معصومون من الشرك به<sup>1</sup>

14- عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى إذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله {اهْدِنَا

الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ { الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ { البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا { الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما في قوله { وَاجْتَنِبْنَا هُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ { الأنعام 87 وكما في قوله { شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتِنَاهُ وَهَذَا { النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ { الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ { التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا<sup>1</sup>

15- قال تعالى { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ اَقْتَدِهْ { الأنعام 90 هاء السكت كالهاء من كتابيه وحسابيه واقتده وماليه وسلطانيه<sup>1</sup>





## الأنعام 91-117

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} {91} وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} {92} وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} {93} وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ} {94} إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} {95} فَالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} {96} وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} {97} وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} {98} وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا

مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِمَّنَّ النَّخْلُ مِنْ ثَلَاثِهَا  
قُنُودًا دَانِيَةً وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَّانَ  
مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ  
إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {99} وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ  
الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ  
وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ {100} بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى  
يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {101} ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ  
كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ {102} لَا  
تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ  
الْخَبِيرُ {103} قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ  
فَلَِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ {104}  
وَكَذَٰلِكَ نَصْرَفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ  
يَعْلَمُونَ {105} اتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ {106} وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا  
وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ {107}  
وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدُوًّا  
بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَّرْجِعُهُمْ  
فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {108} وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ  
أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ  
اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ {109} وَنَقَلَبْ  
أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي  
طُغْيَانِهِم بِعَمَهُونَ {110} وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ  
وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا  
لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ {111}  
وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي

بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا  
فَعَلُوهُ قَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}{112} وَلَتَصْنَعِيَ إِلَيْهِ أَفْنَدَةً  
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ  
مُقْتَرِفُونَ}{113} أَفْغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
إِلَيْكُمْ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ  
مَنْزَلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}{114}  
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ  
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}{115} وَإِن تَطَعْ أَكْثَرَ مِن فِى الْأَرْضِ  
يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا  
يَخْرُصُونَ}{116} إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ  
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}{117}

### أن الله لم ينزل كتاباً أهدى من التوراة والقرآن

\*محمد صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام هما اللذان جاء  
بكتاب فيه الحلال والحرام كما قال تعالى {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ  
عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ} القصص 49 وقال تعالى {وَمَنْ  
قَبْلَهُ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً} هود 17 وقال تعالى {أُولَٰئِكَ  
الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا  
ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ} 90 {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ  
نُورًا وَهَدَىٰ لِلنَّاسِ جَعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا  
وَاعْلَمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ  
يَلْعَبُونَ} 91 {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ  
وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} 92 {الأنعام 90-92} وقالت الجن  
لما سمعت القرآن {إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أَنْزَلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا

لَمَّا بَيَّنَّ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ {الأحقاف 30  
 قوله {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ} الأحقاف 10 و قول النجاشي إن هذا  
 و الذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة و قيل في  
 موسى {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} النساء 164 صاحب الكتاب و  
 الكلام و قال ورقة بن نوفل ان هذا و الذي جاء به موسى  
 ليخرجان من مشكاة واحدة و كذلك قال النجاشي فالقرآن  
 و التوراة هما كتابان جاءا من عند الله لم يأت من عنده كتاب  
 أهدى منهما كل منهما أصل مستقل و الذي فيهما دين واحد و كل  
 منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى و الأمر بعبادته وحده لا  
 شريك له ففيه التوحيد قولا و عملا كما في سورتي الاخلاص  
 قل يا أيها الكافرون و قل هو الله احد و أما الزبور  
 فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة و انما في الزبور ثناء على  
 الله و دعاء و أمر و نهى بدينه و طاعته و عبادته مطلقا و اما  
 المسيح فانه قال {وَلَا جِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} آل  
 عمران 50 فاحل لهم بعض المحرمات و هو في الاكثر متبع  
 لشريعة التوراة و لهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ  
 التوراة و يتبع ما فيها اذ كان الانجيل تبعا لها و أما القرآن فانه  
 مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على  
 جميع ما في الكتب من المحاسن و على زيادات كثيرة لا توجد في  
 الكتب فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب

ومهيما عليه يقرر ما فيها من الحق و يبطل ما حرف منها و ينسخ  
 ما نسخه الله فيقرر الدين الحق و هو جمهور ما فيها و يبطل الدين  
 المبدل الذي لم يكن فيها و القليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل  
 جدا بالنسبة الى المحكم المقرر<sup>1</sup>

\*قال تعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ  
 بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا  
 وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيَسْتَكْبِرُونَ } الأحقاف 17 و علمتكم ما

لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ  
يَلْعَبُونَ {91} وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ  
وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {92} الأنعام 91-92 فهذا وما  
أشبهه مما فيه إقتران التوراة بالقرآن وتخصيصها بالذكر بيبين ما  
ذكره من أن التوراة هي الأصل والإنجيل تبع لها في كثير من  
الأحكام وإن كان مغايرا لبعضها فهذا يذكر الإنجيل مع  
التوراة والقرآن في مثل قوله {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا  
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ} {3} مِنْ قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ  
وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ {4} آل عمران 3-4 وقال { وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي  
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ } التوبة 111 فيذكر الثلاثة تارة ويذكر  
القرآن مع التوراة وحدها تارة لسر وهو أن الإنجيل من  
وجه أصل ومن وجه تبع بخلاف القرآن مع التوراة فإنه أصل  
من كل وجه بل هو مهيم على ما بين يديه من الكتاب وإن كان  
موافقا للتوراة في أصول الدين وكتبه من الشرائع والله أعلم<sup>1</sup>

\* فالتوراة أعظم من الإنجيل وقد بين الله أنه لم ينزل كتابا أهدي  
من التوراة والقرآن وايضا فإن الله تعالى إنما يخص بالذكر من  
الكتب المتقدمة التوراة دون غيرها فهي التي يقرنها بالقرآن  
كقوله تعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ  
بَشْرًا مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا  
وَهَدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا  
لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ  
{ الأنعام 91 } وقد وصف التوراة بأن فيها نورا وهدي للناس<sup>1</sup>

\* ومعلوم أن موسى أخبر بما أخبر به قبل أن يبعث محمد وقيل  
أن يبعث المسيح ومعلوم ايضا لكل من كان عالما بحال  
محمد أنه نشأ بين قوم أميين لا يقرءون كتابا ولا يعلمون علوم  
الانبياء وأنه لم يكن عندهم من يعلم ما في التوراة والانجيل ونبوة  
الأنبياء وقد أخبر محمد من توحيد الله وصفاته وأسمائه

وملائكته وعرشه وكرسيه وأنبيائه ورسله وأخبارهم وأخبار  
مكذبيهم بنظير ما يوجد في كتب الأنبياء من التوراة وغيرهما  
فمن تدبر التوراة والقرآن علم أنهما جميعا يخرجان من مشكاة  
واحدة كما ذكر ذلك النجاشي وكما قال ورقة بن نوفل هذا هو  
الناموس الذي كان يأتي موسى ولهذا قرن الله تعالى بين  
التوراة والقرآن في مثل هذا قال تعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ  
إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي  
جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ { الأنعام 91 الى قوله } وَهَذَا  
كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ { 92 } الانعام 92 فهذه  
الطريقة كل من علم ما جاء به موسى والنبليون قبله وبعده وما  
جاء به محمد علم علما يقينا أنهم كلهم مخبرون عن الله صادقون  
في الأخبار وأنه يمتنع والعياذ بالله خلاف الصدق من خطأ  
وكذب<sup>1</sup>

### الاقتصار على الاسم المفرد لا أصل له

\* وشهادة ان الله رب كل شيء ومليكة وخالقه وانه هو الله لا اله  
الا هو وهذا هو الشهود الصحيح المستقيم وذلك واجب في علم  
القلب وشهادته وذكره ومعرفته في حال القلب وعبادته وقصده  
وارادته ومحبته ومولاته وطاعته وذلك تحقيق شهادة ان  
لا اله الا الله فانه ينفي عن قلبه الوهية ما سوى الحق ويثبت  
في قلبه الوهية الحق فيكون نافيا لألوهية كل شيء من المخلوقات  
مثبتا لألوهية رب العالمين رب الأرض والسماوات وذلك يتضمن  
اجتماع القلب على الله وعلى مفارقة ما سواه فيكون مفردا في  
علمه وقصده في شهادته وارادته في معرفته ومحبته بين الخالق  
والمخلوق بحيث يكون عالما بالله تعالى ذاكرا له عارفا به وهو  
مع ذلك عالم بمباينته لخالقه وانفراده عنهم وتوحده دونهم ويكون  
محبا لله معظما له عابدا له راجيا له خائفا منه مواليا فيه معاديا  
فيه مستعينا به متوكلا عليه ممتنعا عن عبادة غيره والتوكل عليه  
والاستعانة به والخوف منه والرجاء له والموالاتة فيه والمعاداة

فيه والطاعة لأمره وامثال ذلك مما هو من خصائص الهية الله سبحانه وتعالى وقراره بألوهية الله تعالى دون ما سواه يتضمن قراره بربوبيته وهو انه رب كل شيء وملكية وخالقة ومدبرة فحينئذ يكون موحدا لله ويبين ذلك ان افضل الذكر لا اله الا الله كما رواه الترمذى وابن ابي الدنيا وغيرهما مرفوعا الى النبي انه قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله وفي الموطأ وغيره عن طلحة بن عبد الله بن كثير ان النبي قال افضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضممر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله { قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ } الأنعام 91 من أبين غلط هؤلاء فإن الاسم هو المذكور في الأمر بجواب الاستفهام وهو قوله { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ } الأنعام 91 أي الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فالاسم مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك تقول من جاره فيقول زيد وأما الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعطي القلب بنفسه معرفة مفيدة ولا حالا نافعا وإنما يعطيه تصورا مطلقا لا يحكم عليه بنفي ولا إثبات فإن لم يقترن به من معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه وإلا لم يكن فيه فائدة والشريعة إنما تشرع من الأذكار ما يفيد بنفسه لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره وقد وقع بعض من واطب على هذا الذكر في فنون من الإلحاد وأنواع من الاتحاد كما قد بسط في غير هذا الوضع وما يذكر عن بعض الشيوخ من أنه قال أخاف أن أموت بين النفي والإثبات حال لا يقتدى

فيها بصاحبها فإن في ذلك من الغلط ما لا خفاء به إذ لو مات  
 العبد في هذه الحال لم يمت إلا على ما قصده ونواه إذ الأعمال  
 بالنيات وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتلقين الميت  
 لا إله إلا الله وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل  
 الجنة ولو كان ما ذكره محذورا لم يلحق الميت كلمة يخاف أن  
 يموت في أثنائها موتا غير محمود بل كان يلحق ما اختاره من  
 ذكر الاسم المفرد والذكر بالاسم المضمرة المفرد أبعد عن السنة  
 وأدخل في البدعة وأقرب إلى إضلال الشيطان فإن من قال يا  
 هو يا هو أو هو هو ونحو ذلك لم يكن الضمير عائدا إلا إلى ما  
 يصوره قلبه والقلب قد يهتدي وقد يضل وقد صنف صاحب  
 الفصوص كتابا سماه كتاب الهو وزعم بعضهم أن قوله  
 { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } آل عمران 7 معناه وما يعلم تأويل هذا  
 الاسم الذي هو الهو وقيل هذا وإن كان مما اتفق المسلمون بل  
 العقلاء على أنه من أبين الباطل فقد يظن ذلك من يظنه من  
 هؤلاء حتى قلت مرة لبعض من قال شيئا من ذلك لو كان هذا  
 كما قلته لكتبت وما يعلم تأويل هو منفصلة ثم كثيرا ما يذكر  
 بعض الشيوخ أنه يحتج على قول القائل الله بقوله { قُلِ اللَّهُ تَمَّ  
 ذَرُهُمْ } الأنعام 91 ويظن أن الله أمر نبيه بأن يقول الاسم المفرد  
 وهذا غلط باتفاق أهل العلم فإن قوله { قُلِ اللَّهُ } الأنعام 91 معناه  
 الله الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وهو جواب لقوله  
 { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ  
 قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ  
 تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُنْبِئُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ  
 وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ } الأنعام 91 أي الله الذي أنزل الكتاب الذي  
 جاء به موسى رد بذلك قول من قال ما أنزل الله على بشر من  
 شيء فقال { مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى } الأنعام 91  
 ثم قال { قُلِ اللَّهُ } الأنعام 91 أنزله { ثُمَّ ذَرَهُمْ } الأنعام 91  
 هؤلاء المكذبين { فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ } الأنعام 91 ومما يبين ما  
 تقدم ما ذكره سيبويه وغيره من أئمة النحو أن العرب يحكون



بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولاً فالقول لا يحكى به  
 إلا كلام تام أو جملة اسمية أو فعلية ولهذا يكسرون إن إذا جاءت  
 بعد القول فالقول لا يحكى به اسم و الله تعالى لا يأمر أحدا بذكر  
 اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المجرد  
 لا يفيد الإيمان باتفاق أهل الإسلام ولا يؤمر به في شيء من  
 العبادات ولا في شيء من المخاطبات ونظير من اقتصر على  
 الاسم المفرد ما يذكر أن بعض الأعراب مر بمؤذن يقول أشهد  
 أن محمدا رسول الله بالنصب فقال ماذا يقول هذا هذا الاسم فأين  
 الخبر عنه الذي يتم به الكلام وما في القرآن من قوله {وَأذْكُرِ  
 اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} المزمّل 8 وقوله {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ  
 الْأَعْلَى} الأعلى 1 وقوله {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} 14 {وَذَكَرَ اسْمَ  
 رَبِّهِ فَصَلَّى} 15 {الأعلى 14-15} وقوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ  
 الْعَظِيمِ} الواقعة 96 ونحو ذلك لا يقتضي ذكره مفردا بل في  
 السنن أنه لما نزل قوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ  
 } الواقعة 74 قال اجعلوه في ركوعكم ولما نزل قوله  
 {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 قال اجعلوه في سجودكم  
 فشرع لهم أن يقولوا في الركوع سبحان ربي العظيم وفي  
 السجود سبحان ربي الأعلى وفي الصحيح أنه كان يقول  
 في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي  
 الأعلى وهذا هو معنى قوله اجعلوها في ركوعكم و سجودكم  
 باتفاق المسلمين فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو  
 ذلك هو بالكلام التام المفيد كما في الصحيح عنه صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من  
 القرآن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله و الله أكبر وفي  
 الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كلمتان خفيفتان  
 على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله  
 وبحمده سبحان الله العظيم وفي الصحيحين عنه صلى الله  
 عليه وسلم أنه قال من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله  
 وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير

كتب الله له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل قال مثل ما قال أو زاد عليه ومن قال في يومه مائة مرة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وفي الموطأ وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفي سنن ابن ماجه وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله ومثل هذه الأحاديث كثيرة في أنواع ما يقال من الذكر والدعاء وكذلك ما في القرآن من قوله تعالى { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 121 وقوله { فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } المائدة 4 إنما هو قوله بسم الله وهذا جملة تامة إما اسمية على أظهر قول النحاة أو فعلية والتقدير ذبحي باسم الله أو اذبح باسم الله وكذلك قول القارئ بسم الله الرحمن الرحيم فتقديره قراءتي بسم الله أو اقرأ بسم الله ومن الناس من يضم في مثل هذا ابتدائي بسم الله أو ابتدأت بسم الله والأول أحسن لأن الفعل كله مفعول بسم الله ليس مجرد ابتدائه كما أظهر المضمرة في قوله { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } العلق 1 وفي قوله { بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا } هود 41 وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى ومن لم يكن ذبح فليذبح بسم الله ومن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لربيبه عمر بن أبي سلمة سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك فالمراد أن يقول بسم الله ليس المراد أن يذكر الاسم مجردا وكذلك قوله في الحديث الصحيح لعدي بن حاتم إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وأمثال ذلك كثير وكذلك ما شرع

للمسلمين في صلاتهم وأذانهم وحجهم وأعيادهم من ذكر الله تعالى إنما هو بالجملة التامة كقول المؤذن الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله وقول المصلي الله أكبر سبحان ربي العظيم سبحان ربي الأعلى سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد التحيات لله وقول الملبي لبنيك اللهم لبنيك وأمثال ذلك فجميع ما شرعه الله من الذكر إنما هو كلام تام لا اسم مفرد ولا مظهر ولا مضمرة وهذا هو الذي يسمى في اللغة كلمة كقوله كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقوله أفضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبنيك ألا كل شيء ما خلا الله باطل ومنه قوله تعالى { كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ } الكهف 5 الآية وقوله { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } الأنعام 115 وأمثال ذلك مما استعمل فيه لفظ الكلمة في الكتاب والسنة بل وسائر كلام العرب وإنما يراد به الجملة التامة كما كانوا يستعملون الحرف في الاسم فيقولون هذا حرف غريب أي لفظ الاسم غريب وقسم سيبويه الكلام إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم وفعل وكل من هذه الأقسام يسمى حرفاً لكن خاصة الثالث أنه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وسمى حروف الهجاء باسم الحرف وهي أسماء ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فأعرب به فله بكل حرف عشر حسنات أما إنني لا أقول { الم } البقرة 1 حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف وقد سأل الخليل أصحابه عن النطق بحرف الزاي من زيد فقالوا زاي فقال جئتم بالاسم وإنما الحرف ز ثم إن النحاة اصطالحوا على أن هذا المسمى في اللغة بالحرف يسمى كلمة وأن لفظ الحرف يخص لما جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل كحروف الجر ونحوها وأما ألفاظ حروف الهجاء فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ وتارة باسم ذلك الحرف ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتاده أنه هكذا في لغة

العرب ومنهم من يجعل لفظ الكلمة في اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا وبين الجملة ولا يعرف في صريح اللغة من لفظ الكلمة إلا الجملة التامة والمقصود هنا أن المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر والقرب إلى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية وأما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرا أو مضمرا فلا أصل له فضلا عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة إلى أنواع من البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات أحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضع<sup>1</sup>

\* أن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان كلاما تاما مفيدا مثل لا إله إلا الله ومثل الله أكبر ومثل سبحانه الله والحمد لله ومثل لا حول ولا قوة إلا بالله ومثل تبارك اسم ربك تبارك الذى بيده الملك سبح لله ما فى السموات والأرض تبارك الذى نزل الفرقان فأما الاسم المفرد مظهرا مثل الله الله أو مضمرا مثل هو هو فهذا ليس بمشروع فى كتاب ولا سنة ولا هو مأتور أيضا عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقندى بهم وإنما لهج به قوم من ضلال المتأخرين وربما إتبعوا فيه حال شيخ مغلوب فيه مثلما يروى عن الشبلى أنه كان يقول الله الله فقيل له لم تقول لا إله إلا الله فقال أخاف أن أموت بين النفى والإثبات وهذه من زلات الشبلى التى تغفر له لصدق إيمانه وقوة وجدته وغلبة الحال عليه فإنه كان ربما يجن ويذهب به إلى المارستان ويحلق لحيته وله أشياء من هذا النمط التى لا يجوز الإقتداء به فيها وإن كان معذورا أو مأجورا فإن العبد لو أراد أن يقول لا إله إلا الله ومات قبل كمالها لم لم يضره ذلك شيئا إذ الأعمال بالنيات بل يكتب بل يكتب له ما نواه وربما غلا

بعضهم فى ذلك حتى يجعلوا ذكر الإسم المفرد للخاصة وذكر  
الكلمة التامة للعامة وربما قال بعضهم لا إله إلا الله  
للمؤمنين و الله للعارفين و هو للمحققين وربما  
إقتصر أحدهم فى خلوته أو فى جماعته على الله الله الله أو  
على هو أو ياهو أو لا هو إلا هو وربما ذكر  
بعض المصنفين فى الطريق تعظيم ذلك وإستدل عليه تارة بوجد  
وتارة برأى وتارة بنقل مكذوب كما يروى بعضهم أن النبى  
صلى الله عليه وسلم لقن على بن أبى طالب أن يقول الله الله  
الله فقالها النبى ثلاثا ثم أمر عليا فقالها ثلاثا وهذا حديث  
موضوع بإتفاق أهل العلم بالحديث وإنما كان تلقين النبى للذكر  
المأثور عنه ورأس الذكر لا إله إلا الله وهى الكلمة التى  
عرضها على عمه أبى طالب حين الموت و وقال يا عم قل لا  
إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله وقال أنى لأعلم كلمة  
لا يقولها عبد عند الموت إلا وجد روحه لها روحا وقال من  
كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من مات  
وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة وقال أمرت أن أقاتل  
الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا  
فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على  
الله والأحاديث كثيرة فى هذا المعنى وقد كتبت فيما تقدم  
من القواعد بعض ما يتعلق بهاتين الكلمتين  
العظيمتين الجامعتين الفارقتين شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن  
محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما  
فأما ذكر الإسم المفرد فلم يشرع بحال وليس فى الأدلة  
الشرعية ما يدل على إستحبابه وأما ما يتوهمه طائفة من  
غالطى المتعبددين فى قوله تعالى { قُلِ اللَّهُ تَمَّ ذَرَهُمْ } { الأنعام 91  
ويتوهمون أن المراد قول هذا الإسم فخطأ واضح ولو تدبروا ما  
قبل هذا تبين مراد الآية فإنه سبحانه قال { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ  
قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ  
الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسٍ تُبْدُونَهَا

وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ

الله { الأنعام 91 } أى قل الله أنزل الكتاب الذى جاء به موسى فهذا كلام تام وجملة إسمية مركبة من مبتدأ وخبر حذف الخبر منها لدلالة السؤال على الجواب وهذا قياس مطرد فى مثل هذا فى كلام العرب كقوله { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ أَفَرَأَيْتُمْ } الزمر 38 الآية وقوله { أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمٍ } النمل 60 وكذلك ما بعدها وقوله { قُلِ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } { 86 } سَيَقُولُونَ لِلَّهِ { 87 } المؤمنون 86-87 على قراءة أبى عمرو وتقول فى الكلام من جاء فتقول زيد ومن أكرمت فتقول زيدا وبمن مررت فتقول بزید فيذكرون الإسم الذى هو جواب من ويحذفون المتصل به لأنه قد ذكر فى السؤال مرة فيكرهون تكريره من غير فائدة بيان لما فى ذلك من التطويل والتكرير واغرب من هذا ما قاله لى مرة شخص من هؤلاء الغالطين فى قوله { وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ } آل عمران 7 قال المعنى وما يعلم تأويل هو أى إسم هو الذى يقال فيه هو هو وصنف ابن عربى كتابا فى الهو فقلت له وأنا إذ ذاك صغير جدا لو كان كما تقول لكتبت فى المصحف مفصولة تأويل هو ولم تكتب مفصولة وهذا الكلام الذى قاله هذا معلوم الفساد بالإضطرار وإنما كثير من غالطى المتصوفة لهم مثل هذه التأويلات الباطلة فى الكتاب والسنة وقد يكون المعنى الذى يعنونه صحيحا لكن لا يدل عليه الكلام وليس هو مراد المتكلم وقد لا يكون صحيحا فيقع الغلط تارة فى الحكم و تارة فى الدليل كقوله بعضهم { أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى } { 7 } العلق 7 أى أن رأى ربه إستغنى والمعنى أنه ليطغى أن رأى نفسه إستغنى وكقول بعضهم فإن لم تكن تراه يعنى فإن فنيت عنك رأيت ربك وليس هذا معنى الحديث فإنه لو أريد هذا ل قيل فإن لم تكن تراه وقد قيل تراه ثم كيف

يصنع بجواب الشرط وهو قوله فإنه يراك ثم أنه على قولهم الباطل تكون كان تامة فالتقدير فإن لم تكن أى لم تقع ولم تحصل وهذا تقدير محال فإن العبد كائن موجود ليس بمعدوم ولو أريد فناؤه عن هواه أو فناء شهوده للأغيار لم يعبر بنفى كونه فإن هذا محال ومتى كان المعنى صحيحا والدلالة ليست مرادة فقد يسمى ذلك إشارة وقد اودع الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى حقائق التفسير من هذا قطعة وليس المقصود الآن الكلام فى هذا فإنه باب آخر وإنما الغرض بيان حكم ذكر الإسم وحده من غير كلام تام وقد ظهر بالأدلة الشرعية أنه غير مستحب وكذلك بالأدلة العقلية الذوقية فإن الإسم وحده لا يعطى إيماناً ولا كفراً ولا هدى ولا ضلالاً ولا علماً ولا جهلاً وقد يذكر الذاكر إسم نبي من الأنبياء أو فرعون من الفراعنة أو صنم من الأصنام ولا يتعلق بمجرد إسمه حكم إلا أن يقرب به ما يدل على نفي أو إثبات أو حب أو بغض وقد يذكر الموجود والمعدوم ولهذا إتفق أهل العلم بلغة العرب وسائر اللغات على أن الإسم وحده لا يحسن السكوت عليه ولا هو جملة تامة ولا كلاماً مفيداً ولهذا سمع بعض العرب مؤذناً يقول أشهد أن محمداً رسول الله قال فعل ماذا فإنه لما نصب الإسم صار صفة والصفة من تمام الإسم الموصوف فطلب بصحة طبعه الخبر المفيد ولكن المؤذن قصد الخبر ولحن ولو كرر الإنسان إسم الله ألف ألف مرة لم يصر بذلك مؤمناً ولم يستحق ثواب الله ولا جنته فإن الكفار من جميع الأمم يذكرون الإسم مفرداً سواء اقروا به وبوحدانيته أم لا حتى أنه لما أمرنا بذكر إسمه كقوله { فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } المائدة 4 وقوله { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 121 وقوله { سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } الأعلى 1 وقوله { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } الواقعة 74 ونحو ذلك كان ذكر إسمه بكلام تام مثل أن يقول بسم الله أو يقول سبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم ونحو ذلك ولم يشرع ذكر الإسم المجرد قط ولا يحصل بذلك إمتثال أمر ولا حل

صيد ولا ذبيحة ولا غير ذلك فإن قيل فالذاكر أو السامع للإسم المجرّد قد يحصل له وجد محبة وتعظيم لله ونحو ذلك قلت نعم ويثاب على ذلك الوجد المشروع والحال الإيماني لا لأن مجرد الإسم مستحب وإذا سمع ذلك حرك ساكن القلب وقد يتحرك الساكن بسماع ذكر محرّم أو مكروه حتى قد يسمع المسلم من يشرك بالله أو يسبه فيثور في قلبه حال وجد ومحبة لله بقوة نفرتة وبغضه لما سمعه وقد قال الصحابة للنبي أن أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يحترق حتى يصير حممة أو يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به قال أو قد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان وفي رواية قال الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة فالشيطان لما كذف في قلوبهم وسوسة مذمومة تحرك الإيمان الذي في قلوبهم بالكرهه لذلك والإستعظام له فكان ذلك صريح الإيمان ولا يقتضى ذلك أن يكون السبب الذي هو الوسوسة مأمورا به والعبد أيضا قد يدعو داع إلى الكفر أو المعصية فيستعصم ويمتنع ويورثه ذلك إيمانا وتقوى وليس السبب مأمورا به وقد قال تعالى { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } {173} فأنقلبوا بنعمة من الله وفضل {174} آل عمران 173-174 الآية فهذا الإيمان الزائد والتوكل كان سبب تخويفهم بالعدو وليس ذلك مشروعا بل العبد يفعل ذنبا فيورثه ذلك توبة يحبه الله بها ولا يكون الذنب مأمورا به وهذا باب واسع جدا ففرق بين أن يكون نفس السبب موجبا للخير ومقتضيا وبين أن لا يكون وإنما نشأ الخير من المحل فالمأمور به من الكلمات الطيبات والأعمال الصالحات هي موجبة للخير والرحمة والثواب وإذا إقترن بها قوة إيمان العبد وما يجده من حلاوة الإيمان وتذوقه من طعمه تضاعف الخير والرحمة والبركة وما ليس مأمورا به أما من فعل العبد محرمة ومكروهه ومباحه وأما من فعل غيره معه من الإنس والجن وإما من الحوادث السمائية التي يصيبه بها الرب إذا صادفت منه إيمانا



ويقيننا فحركت ذلك الإيمان واليقين وإزداد العبد بذلك إيماناً  
لم يكن ذلك مما يوجب أن تحب تلك الأسباب أو تحمد أو يؤمر  
بها إذا لم يكن كذلك فإنها ليست مقتضية لذلك الخير وإنما  
مقتضاها تحريك الساكن وطال ما جرت إلى شر وضرر  
ويشبهه هذا الباب ذكر الحب المطلق والشوق المطلق والوجل  
المطلق وما يتضمن ذلك من نظم ونثر فإن هذا من المجمل أيضاً  
يشارك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر فلذلك لم يشرعها الله  
ورسوله ولم يأمر بها فإن الله إنما يأمر بالخير والعمل الصالح  
والبر وذلك ليس من هذا الباب فإن شعر المحبين مشترك بين  
محب الإيمان ومحب الأوثان ومحب النسوان ومحب المردان  
ومحب الأوطان ومحب الأخدان فثبت بما ذكرناه أن ذكر  
الإسم المجرد ليس مستحباً فضلاً عن أن يكون هو ذكر الخاصة  
وأبعد من ذلك ذكر الإسم المضمّر وهو هو فإن هذا  
بنفسه لا يدل على معين وإنما هو بحسب ما يفسر من مذكور أو  
معلوم فيبقى معناه بحسب قصد المتكلم ونيته ولهذا قد يذكر به  
من يعتقد أن الحق الوجود المطلق وقد يقول لا هو إلا هو  
ويسرى قلبه في وحدة الوجود ومذهب فرعون  
والإسماعيلية وزنادقة هؤلاء المتصوفة المتأخرين بحيث يكون  
قوله هو كقوله وجوده وقد يعنى بقوله لا هو إلا  
هو أى أنه هو الوجود وأنه ما ثم خلق أصلاً وان الرب والعبد  
والحق والخلق شىء واحد كما بينته من مذهب الإتحادية  
في غير هذا الموضع ومن أسباب هذه الإعتقادات والأحوال  
الفاصلة الخروج عن الشريعة والمنهاج الذى بعث به الرسول إلينا  
صلى الله عليه وسلم فإن البدع هى مبادئ الكفر ومطازن الكفر  
كما أن السنن المشروعة هى مظاهر الإيمان ومقوية للإيمان فإنه  
يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية كما أخبر الله عن زيادته فى مثل  
قوله { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ  
فَرَادَهُمْ إِيمَانًا } {173} ال عمران 173 وقوله أَيْكُم زَادَتْهُ هَذِهِ  
إِيمَانًا { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ

لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } الفتح 4 وغير ذلك فإن قيل إذا لم يكن هذا الذكر مشروعاً فهل هو مكروه قلت أما في حق المغلوب فلا يوصف بكراهة فإنه قد يعرض للقلب أحوال يتعسر عليه فيها نطق اللسان مع إمتلاء القلب بأحوال الإيمان وربما تيسر عليه ذكر الإسم المجرد دون الكلمة التامة وهؤلاء يأتون على ما في قلوبهم من أحوال الإيمان وما قدروا عليه من نطق اللسان فإن الناس في الذكر أربع طبقات أحداها الذكر بالقلب واللسان وهو المأمور به الثاني الذكر بالقلب فقط فإن كان مع عجز اللسان فحسن وإن كان مع قدرته فترك للأفضل الثالث الذكر باللسان فقط وهو كون لسانه رطباً بذكر الله وفيه حكاية التي لم تجد الملائكة فيه خيراً إلا حركه لسانه بذكر الله ويقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفاته الرابع عدم الأمرين وهو حال الخاسرين وأما مع تيسر الكلمة التامة فالإقتصار على مجرد الإسم مكرراً بدعة والأصل في البدع الكراهة وما نقل عن أبي يزيد و النورى و الشبلى وغيرهم من ذكر الإسم المجرد فمحمول على أنهم مغلوبون فإن أحوالهم تشهد بذلك مع أن المشائخ الذين هم أصح من هؤلاء وأكمل لم يذكروا إلا الكلمة التامة وعند التنازع يجب الرد إلى الله والرسول وليس فعل غير الرسول حجة على الإطلاق والله أعلم<sup>1</sup>

### اسلوب القرآن في مجادلته

\* إذا جادل القرآن يسأل ويستفهم عن المقدمات البينة البرهانية التي لا يمكن أحد ان يجدهما لتقرير المخاطب بالحق ولا اعترافه بانكار الباطل كما في مثل قوله { أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ } الطور 35 وقوله { أَفَعَبِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ } ق 15 { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ } يس 81 وقوله { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى

{36} أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيِّ يُمْنِي {37} ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ فَخَلَقَ  
 فَسَوَى {38} فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى {39} أَلَيْسَ ذَلِكَ  
 بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى {40} الْقِيَامَةَ 36-40 وقوله {  
 أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ {58} أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ {59}  
 الواقعة 58-59 وقوله { وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوْلَمْ تَأْتِهِم  
 بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ طه 133 وقوله { أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا  
 أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ { العنكبوت 51 وقوله { أَوْلَمْ  
 يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ { الشعراء 197 وقوله {  
 أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ {8} وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ {9} وَهَدَيْنَاهُ

النَّجْدَيْنِ {10} البلد 8-10 إلى أمثال ذلك مما يخاطبهم باستفهام  
 التقرير المتضمن اقرارهم واعترافهم بالمقدمات البرهانية التي  
 تدل على المطلوب فهو من أحسن جدل بالبرهان فان الجدل انما  
 يشترط فيه أن يسلم الخصم المقدمات وان لم تكن بينة معروفة  
 فاذا كانت بينة معروفة كانت برهانية والقرآن لا يحتج في  
 مجادلته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هي الطريقة الجدلية  
 عند اهل المنطق وغيرهم بل بالقضايا والمقدمات التي تسلمها  
 الناس وهي برهانية وان كان بعضهم يسلمها وبعضهم ينازع فيها  
 ذكر الدليل على صحتها كقوله { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا  
 مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ  
 مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيَخْفُونَ  
 كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي  
 خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ { الأنعام 91

فان الخطاب لما كان مع من يقر بنبوة موسى من أهل الكتاب  
 ومع من ينكرها من المشركين ذكر ذلك بقوله { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ  
 الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ { الأنعام 91 وقد بين البراهين الدالة  
 على صدق موسى في غير موضع وعلى قراءة من قرأ  
 يبدونها كابن كثير وابي عمرو جعلوا الخطاب مع المشركين  
 وجعلوا قوله { وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا { الأنعام 91 احتجاجا  
 على المشركين بما جاء به محمد فالحجة على اولئك نبوة موسى

وعلى هؤلاء نبوة محمد ولكل منهما من البراهين ما قد بعضه في غير موضع وعلى قراءة الأكثرين بالتاء هو خطاب لأهل الكتاب وقوله **{عَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا {الأنعام 91}** بيان لما جاءت به الأنبياء مما انكروه فعلمهم الأنبياء ما لم يقبلوه ولم يعلموه فاستدل بما عرفوه من أخبار الأنبياء وما لم يعرفوه وقد قص سبحانه قصة موسى وأظهر براهين موسى وآياته التي هي من أظهر البراهين والادلة حتى اعترف بها السحرة الذين جمعهم فرعون وناهيك بذلك فلما أظهر الله حق موسى وأتى بالآيات التي علم بالاضطرار أنها من الله وابتلعت عصاه الحبال التي أتى بها السحرة بعد ان جاءوا بسحر عظيم وسحروا أعين الناس واسترهبوا الناس ثم لما ظهر الحق وانقلبوا صاغرين قالوا **{أَمَّا رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى { طه 70}** فقال لهم فرعون **{أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى {71}** قالوا لن نؤثرَكَ على ما جاءنا من البَيِّنَاتِ {72} طه 71-72 من الدلائل البينات اليقينية القطعية وعلى الذي فطرنا وهو خالقنا وربنا الذي لا بد لنا منه لن نؤثرَكَ على هذه الدلائل اليقينية وعلى خالق البرية **{فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {72}** إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {73} طه 72-73 وقد ذكر الله هذه القصة في عدة مواضع من القرآن يبين في كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعا غير النوع الآخر كما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر وليس في هذا تكرار بل فيه تنويع الآيات مثل أسماء النبي إذا قيل محمد وأحمد والحاشر والعاقب والمقفى ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة في كل اسم دلالة على معنى ليس في الاسم الآخر وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك القرآن إذا قيل فيه قرآن وفرقان وبيان وهدى وبصائر وشفاء ونور

ورحمة وروح فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر وكذلك أسماء الرب تعالى إذا قيل الملك القدوس السلام المؤمن المهيم العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذى فى الاسم الآخر فالذات واحدة والصفات متعددة فهذا فى الاسماء المفردة وكذلك فى الجمل التامة يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر وان كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتهما متعددة فى كل جملة من الجمل معنى ليس فى الجمل الآخر وليس فى القرآن تكرار أصلا وأما ما ذكره بعض الناس من انه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة وكان الحكمة فيه ان وفود العرب كانت ترد على رسول الله فيقرئهم المسلمون شيئا من القرآن فيكون ذلك كافيا وكان يبعث الى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة لوقعت قصة موسى الى قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى قوم فأراد الله أن يشهر هذه القصص فى أطراف الأرض وأن يلقيها إلى كل سمع فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره وأبو الفرج اقتصر على هذا الجواب فى قوله مثنى لما قيل لم تثبت وبسط هذا له موضع آخر فان التثنية هي التنويع والتجنيس وهي استيفاء الأقسام ولهذا يقول من يقول من السلف الأقسام والأمثال<sup>1</sup>

### {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}

\*والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب بان يكون هو المعبود وحده لا شريك له وانما يعبد بما أمر به على ألسن رسله وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه فى كتابه وما وصفه به رسله ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل والذين ينكرون بعض ذلك ما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه

حق عبادته والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} الأنعام 91 فى ثلاث مواضع ليثبت عظمتة فى نفسه وما يستحقه من الصفات وليثبت وحدانيته وأنه لا يستحق العبادة الا هو وليثبت ما أنزله على رسله فقال فى الزمر {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} الزمر 67 الآية وقال فى الحج {ضَعَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} {73} مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ {74} الحج 73-74 وقال فى الانعام {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ} الأنعام 91

وفى المواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار فدل ذلك على أنه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} الحج 78 وقال {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ} آل عمران 102 والمصدر هنا مضاف الى المفعول والفاعل مراد أى حق جهاده الذى أمركم به وحق تقاته التى أمركم بها واقدروه قدره الذى بينه لكم وأمركم به فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر وأما ما يخرج عن طاقة البشر فذلك لا يذم أحد على تركه قالت عائشة فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو ودلت الآية على أن له قدرا عظيما لا سيما قوله {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} الزمر 67 وفى تفسير ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال من آمن بأن الله على كل شىء قدير فقد قدر الله حق قدره وقد ثبت فى الصحيحين من حديث ابن مسعود أن النبى قرأ هذه الآية لما ذكر له بعض اليهود أن الله يحمل السموات على أصبع والارضين على اصبع والجبال على أصبع والشجر والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع فضحك رسول الله تعجبا وتصديقا لقول الحبر وقرأ هذه الآية وعن ابن عباس قال مر يهودى بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ما تقول اذا وضع الله السماء على ذه

والأرض على ذه والجبال والماء على ذه وسائر الخلق على ذه  
فأنزل الله تعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً  
قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } الزمر 67 رواه  
الإمام أحمد والترمذى من حديث أبي الضحى عن ابن عباس  
وقال غريب حسن صحيح وهذا يقتضى أن عظمته أعظم مما  
وصف ذلك الحبر فان الذى فى الآية أبلغ كما فى الصحيحين عن  
أبى هريرة عن النبى قال يقبض الله الأرض يوم القيامة  
ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض وفى  
الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة يوم يأخذهن بيده اليمنى  
ثم يقول أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون ورواه مسلم  
أبسط من هذا وذكر فيه أنه يأخذ الأرض بيده الأخرى وقد  
روى ابن أبى حاتم حدثنا أبى ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن  
عبدالله عن جعفر عن سعيد بن جبير قال تكلمت اليهود فى صفة  
الرب تبارك وتعالى فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على  
نبيه { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ  
} الزمر 67 فجعل صفته التى وصفوه بها شركا وقال حدثنا  
أبى ثنا ابو نعيم ثنا الحكم يعنى أبا معاذ عن الحسن قال عمدت  
اليهود فنظروا فى خلق السموات والأرض والملائكة فلما فرغوا  
أخذوا يقدرونه فأنزل الله تعالى على نبيه { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ  
قَدْرِهِ } الزمر 67 وهذا يدل على أنه أعظم مما وصفوه وأنهم لم  
يقدروه حق قدره وقوله { عَمَّا يُشْرِكُونَ } الزمر 67 فكل  
من جعل مخلوقا مثلا للخالق فى شىء من الأشياء فأحبه مثل ما  
يحب الخالق أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق فهو مشرك  
سوى بين الله وبين المخلوق فى شىء من الأشياء فعدل بربه  
والرب تعالى لا كفؤ له ولا سمى له ولا مثل له ومن  
جعله مثل المعدوم والممتنع فهو شر من هؤلاء فانه معطل ممثل  
والمعطل شر من المشرك والله ثنى قصة فرعون فى

القرآن في غير موضع لاحتياج الناس الى الاعتبار بها فانه حصل له من الملك ودعوى الربوبية والالهية والعلو ما لم يحصل مثله لأحد من المعطلين وكانت عاقبته الى ما ذكر الله تعالى وليس لله صفة يماثله فيها غيره فلهذا لم يجز أن يستعمل في حقه قياس التمثيل ولا قياس الشمول الذي تستوى أفراده فان ذلك شرك اذ سوى فيه بالمخلوق بل قياس الأولى فانه سبحانه { وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى } الروم 27 فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتنزيه عن صفات النقص وقد بسطت هذه الأمور في غير هذا الموضع<sup>1</sup>

\* وفي السنن عن عوف بن مالك الأشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ قال ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم يسجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بأل عمران ثم قرأ سورة رواه أبو داود والنسائي والترمذي في الشمائل فقال في هذا الحديث سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة وهذه الأربعة نوزع الرب فيها كما قال أين الملوك أين الجبارون أين المتكبرون وقال عز وجل العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما عذبتة ونفاته الصفات ما قدروا الله حق قدره فإنه عندهم لا يمسك شيئاً ولا يقبضه ولا يطويه بل كل ذلك ممتنع عليه ولا يقدر على شيء من ذلك وهم أيضاً في الحقيقة يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء لوجهين أحدهما أن الإنزال إنما يكون من علو الله تعالى عندهم ليس في العلو فلم ينزل منه شيء وقد قال تعالى { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } الأنعام 114 { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } الأحقاف 2 إلى غير ذلك وقولهم أنه خلقه في مخلوق ونزل منه باطل لأنه قال { أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ } الأنعام 114 ولم



يجيء هذا في غير القرآن و الحديد ذكر أنه أنزله مطلقا و لم يقل منه و هو منزل من الجبال و المطر أنزل من السماء و المراد أنه أنزله من السحاب و هو المزن كما ذكر ذلك في قوله {أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ} الواقعة 69 و الثانى أنه لو كان من مخلوق لكان صفة له و كلاما له فإن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل و لأن الله لا يتصف بالمخلوقات و لو إتصف بذلك لا يتصف بأنه مصوت إذا خلق الأصوات و متحرك إذا خلق الحركات فى غيره إلى غير ذلك إلى أن قال فقد تبين أن الجهمية ما قدروا الله حق قدره وأنهم داخلون فى هذه الآية و أنهم لم يثبتوا قدرته لا على فعل و لا على الكلام بمشيئته و لا على نزوله و على إنزاله منه شيئا فهم من أبعد الناس عن التصديق بقدره الله و أنه إلى كل شيء قدير و إذا لم يكن قديرا لم يكن قويا و يلزمهم أنه لم يخلق شيئا فيلزمهم الدخول فى قوله ضعف الطالب و المطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز فهم ينفون حقيقة قدرته فى الأزل و حقيقة قولهم أنه صار قادرا بعد أن لم يكن و القدرة التى يثبتونها لاحقيقة لها و هذا أصل مهم من تصوره عرف حقيقة الأقوال الباطلة و ما يلزمها من اللوازم و عرف الحق الذى دل عليه صحيح المنقول و صريح المعقول لاسيما فى هذه الأصول التى هي أصول كل الأصول والضالون فيها لما ضيعوا الأصول حرموا الوصول و قد تبين أنه كلما تحققت الحقائق و أعطى النظر و الإستدلال حقه من التمام كان ما دل عليه القرآن هو الحق و هو الموافق للمعقول الصريح الذى لم يشتبهه بغيره مما يسمى معقولا و هو مشتبه مختلط كما قال مجاهد فى قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} الأنعام 159 قال هم أهل البدع و الشبهات فهم فى أمور مبتدعة فى الشرع مشتبهة فى العقل والصواب هو ما كان موافقا للشرع مبينا فى العقل فإن الله سبحانه أخبر أن القرآن منزل منه و أنه تنزيل منه و أنه كلامه و أنه قوله و أنه كفر من قال أنه قول البشر و أخبر أنه قول

رسول كريم من الملائكة و رسول كريم من البشر و الرسول  
يتضمن المرسل فيبين أن كلا من الرسولين بلغه لم يحدث هو منه  
شيئا و أخبر أنه جعله قرآنا عربيا<sup>1</sup>

## أن العالم العلوى والسفلى بالنسبة الى الخالق سبحانه وتعالى فى غاية الصغر

\* أعلم أن الأرض قد اتفقوا على أنها كرية الشكل وهى  
فى الماء المحيط بأكثرها اذ اليابس السدس وزيادة بقليل والماء  
أيضا مقبب من كل جانب للأرض والماء الذى فوقها بينه وبين  
السماء كما بيننا وبينها مما يلى رؤوسنا وليس تحت وجه  
الأرض الا وسطها ونهاية التحت المركز فلا يكون لنا جهة بينة  
الا جهتان العلو والسفل وانما تختلف الجهات باختلاف الانسان  
فعلو الأرض وجهها من كل جانب وأسفلها ما تحت وجهها  
ونهاية المركز هو الذى يسمى محط الأثقال فمن وجه الأرض  
والماء من كل وجهة الى المركز يكون هبوطا ومنه الى وجهها  
صعودا وإذا كانت سماء الدنيا فوق الأرض محيطة بها  
فالثانية كرية وكذا الباقي والكرسى فوق الافلاك كلها والعرش  
فوق الكرسى ونسبة الأفلاك وما فيها بالنسبة الى الكرسى كحلقة  
فى قلاة والجملة بالنسبة الى العرش كحلقة فى فلاة والأفلاك  
مستديرة بالكتاب والسنة والاجماع فان لفظ الفلك يدل  
على الاستدارة ومنه قوله تعالى { وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }  
{يس 40} قال ابن عباس فى فلكة كفلكة المغزل ومنه قولهم تفلك  
ثدى الجارية اذا استدار وأهل الهيئة والحساب متفقون على ذلك  
وأما العرش فانه مقبب لما روى فى السنن لابي داود عن  
جبير بن مطعم قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
أعرابى فقال يا رسول الله جهدت الانفس وجاع العيال وذكر  
الحديث الى أن قال رسول الله ان الله على عرشه وان

عرشه على سمواته وأرضه كهكذا وقال بأصبعه مثل القبة ولم يثبت أنه فلك مستدير مطلقاً بل ثبت أنه فوق الأفلاك وان له قوائم كما جاء في الصحيحين عن أبي سعيد قال جاء رجل من اليهود الى رسول الله ﷺ قد لطم وجهه فقال يا محمد أن رجلاً من أصحابك لطم وجهي فقال النبي ﷺ ادعوه فدعوه فقال لم لطمت وجهه فقال يا رسول الله انى مررت بالسوق وهو يقول والذي اصطفى موسى على البشر فقلت يا خبيث وعلى محمد فأخذتني غصبة فلطمته فقال النبي ﷺ لا تخيروا بين الأنبياء فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور وفى علوه قوله اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وأعلىها وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة فقد تبين بهذه الأحاديث أنه أعلا المخلوقات وسقفها وأنه مقبب وان له قوائم وعلى كل تقدير فهو فوق سوا كان محيطاً بالأفلاك أو غير ذلك فيجب أن يعلم أن العالم العلوى والسفلى بالنسبة الى الخالق سبحانه وتعالى فى غاية الصغر لقوله تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} الأنعام 91

### الإيمان الذي يهبه الله لعبده سماه نورا

\* قال تعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} الانعام 91 وأما قول القائل هل تكون صفة الإيمان نورا يوقعه الله فى قلب العبد ويعرف العبد عند وقوعه فى قلبه الحق من الباطل فيقال له قد قال الله تعالى {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} النور 35 قال أبي بن كعب وغيره مثل نوره فى قلب المؤمن الى قوله {وَمَنْ

لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ { النور 40 وقال تعالى  
 { أَوْ مَنْ كَانَ مُبْتَلًى فَاُحْبِبْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ  
 كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ { الأنعام 122 فالإيمان الذي يهبه الله  
 لعبده سماه نورا وسمى الوحي النازل من السماء الذي به يحصل  
 الإيمان { نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا { الشورى 52  
 وقال تعالى { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا  
 النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ { الأعراف 157 وأمثال ذلك ولا ريب أن  
 المؤمن يفرق بين الحق والباطل بل يفرق بين أعظم الحق لكن لا  
 يمكن أن يقال بأن كل من له إيمان يفرق بمجرد ما أعطيه من  
 الإيمان بين كل حق وكل باطل<sup>1</sup>

### الناس في النبوة على درجات

\* فإن الناس في النبوة على درجات منهم من يحتاج إلى أن يعلم  
 جنس النبوة فيصدق بجنس الرسل من البشر لا يكذب بالجنس  
 كما كذب بذلك من كذب من قوم نوح و عاد وثمود وغيرهم ولهذا  
 يقول تعالى { كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ { الشعراء 123 لأن تكذيبهم لم  
 يكن لشخص واحد بل كانوا مكذبين لجنس الرسل وهؤلاء  
 يخاطبهم الله في السور المكية كقوله تعالى { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ  
 قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ  
 الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ { الأنعام 91 فاحتج  
 بإنزال كتاب موسى لما تواتر في خبره من الآيات الباهرات  
 الدالة على صدقه والإنجيل تبع للتوراة في الكتاب للتوراه ثم قال  
 { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ { الأنعام 92  
 لما قام من الآيات الدالة على نزوله ولهذا يذكر سبحانه في السور  
 المكية من تثبيت أمر الرسل وآياتهم وبراهينهم وحسن عاقبتهم  
 ومن ضلال مخالفيهم وجهلهم وغيرهم وخذلانهم وسوء عاقبتهم ما  
 فيه عبرة ومن الناس من يقر بالرسول في الجملة لكن لا يؤمن بما  
 يجب من حقيقة إرسالهم كالملاحدة وأهل البدع الذين يعظمون  
 الأنبياء مع اعتقادهم في الباطن ما يناقض بعض ما جاءوا به

لشبهات انعقدت في قلوبهم ظنوها علوما عقلية وهي مناقضة لما  
أخبرت به الرسل فيحتاجون إلى ان يوفقوا بينهما وهؤلاء  
يشبهون الذين قال الله فيهم ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا  
بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَيْنَا  
أَلَمْ نَكُفِّرْ بِهِ وَنُمَكِّنْ لَهُمْ حَقْبًا أَلَمْ يَسْمَعُوا كَلِمَ رَسُولٍ مِمَّا يَخْلُقُونَ  
فِيهِمْ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ } 60 { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى  
الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } 61 { فَكَيْفَ إِذَا  
أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا  
أِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } 62 { أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ  
فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمْهُمْ وَقَالَ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } 63 {  
النساء 60- 63<sup>2</sup>

\* ولما أراد سبحانه تقرير جنس ما جاء به محمد قال { وَمَا  
قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ  
مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ  
قَرَاطِيسَ يُثْبِتُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا  
آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ } 91 { وَهَذَا كِتَابٌ  
أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا  
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ  
يُحَافِظُونَ } 92 { الانعام 91-92 فهو سبحانه يثبت وجود جنس  
الانبياء ابتداء كما في السور المكية حيث يثبت وجود هذا الجنس  
وسعادة من اتبعه وشقاء من خالفه ثم نبوة عين هذا النبي تكون  
ظاهرة لأن الذي جاء به أكمل مما جاء به جميع الانبياء فمن أقر  
بجنس الانبياء كان إقراره بنبوة محمد في غاية الظهور أبين مما  
أقر أن في الدنيا نحاة وأطباء وفقهاء فإذا رأى نحو سيبويه وطب  
أبقراط وفقه الأئمة الاربعة ونحوهم كان إقراره بذلك من أبين  
الامور ولهذا كان من نازع من اهل الكتاب في نبوة محمد إما أن

<sup>22</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 518

يكون لجهله بما جاء به وهو الغالب على عامتهم أو لعناده وهو حال طلاب الرياسة بالدين منهم والعرب عرفوا ما جاء به محمد فلما أقرأوا بجنس الانبياء لم يبق عندهم في محمد شك وجميع ما يذكره الله تعالى في القرآن من قصص الانبياء يدل على نبوة محمد بطريق الاولى إذ كانوا من جنس واحد ونبوته أكمل فينبغي معرفة هذا فإنه أصل عظيم ولهذا جميع مشركي العرب آمنوا به فلم يحتج أحد منهم أن تؤخذ منه جزية فإنهم لما عرفوا نبوته وأنه لا بد من متابعتة أو متابعة اليهود والنصارى عرفوا أن متابعتة أولى ومن كان من أهل الكتاب بعضهم آمن به وبعضهم لم يؤمن جهلا وعنادا وهؤلاء كان عندهم كتاب ظنوا استغناءهم به فلم يستقرئوا أخبار محمد وما جاء به خالين من الهوى بخلاف من لم يكن له كتاب فإنه نظر في الأمرين نظر خال من الهوى فعرف فضل ما جاء به محمد على ما جاء به غيره ولهذا لا تكاد توجد أمة لا كتاب لها يعرض عليها دين المسلمين واليهود والنصارى إلا رجحت دين المسلمين كما يجري لأنواع الامم التي لا كتاب لها فأهل الكتاب مقرون بالجنس منازعون في العين والمتفلسفة من اليونان والهند منازعون في وجود كمال الجنس وإن أقرأوا ببعض صفات الانبياء فإنما أقرأوا منها بما لا يختص بالانبياء بل هو مشترك بينهم وبين غيرهم فلم يؤمن هؤلاء بالانبياء البتة هذا هو الذي يجب القطع به ولهذا يذكرون معهم ذكر الجنس الخارج عن أتباعهم فيقال قالت الانبياء والفلاسفة واتفقت الانبياء والفلاسفة كما يقال المسلمون واليهود والنصارى **وقال أيضا رضي الله عنه**<sup>3</sup>

## أصل الإسلام هو الإيمان بالوحدانية والرسالة

<sup>3</sup>النبوات ج: 1 ص: 27

\* الإختلاف فى تنزيله بين المؤمنين والكافرين فإن المؤمنين يؤمنون بما أنزل والكافرون كفروا بالكتاب وبما ارسل الله به رسله { الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِ رُسُلْنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } غافر 70 فالمؤمنون بجنس الكتاب والرسل من المسلمين واليهود والنصارى والصابئين يؤمنون بذلك والكافرون بجنس الكتاب والرسل من المشركين والمجوس والصابئين يكفرون بذلك وذلك أن الله أرسل الرسل إلى الناس لتبلغهم كلام الله الذي أنزله إليهم فمن آمن بالرسل آمن بما بلغوه عن الله ومن كذب بالرسل كذب بذلك فالإيمان بكلام الله داخل فى الإيمان برسالة الله إلى عباده والكفر بذلك هو الكفر بهذا فتدبر هذا الأصل فإنه فرقان هذا الاشتباه ولهذا كان من يكفر بالرسل تارة يكفر بأن الله له كلام أنزله على بشر كما أنه قد يكفر برب العالمين مثل فرعون وقومه قال الله تعالى { أَكَاَنَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ } يونس 2 الآية وقال { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ } الأنعام 91 إلى آخر الكلام<sup>4</sup>

\*فهذا أصل عظيم على المسلم أن يعرفه فإنه أصل الإسلام الذى يتميز به أهل الإيمان من أهل الكفر وهو الإيمان بالوحدانية والرسالة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد وقع كثير من الناس فى الإخلال بحقيقة هذين الأصلين أو أحدهما مع ظنه أنه فى غاية التحقيق والتوحيد والعلم والمعرفة فإقرار المشرك بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله ان لم يقترن به اقراره بأنه لا اله الا الله فلا يستحق العبادة أحد الا هو وأن محمدا رسول الله فيجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر فإنه سبحانه أخبر عن المشركين كما تقدم

بأنهم أثبتوا وسائط بينهم وبين الله يدعونهم ويتخذونهم شفعاء بدون اذن الله قال تعالى {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } الأنعام<sup>594</sup>

## رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه

### الجهاد في سبيل الله

\*قال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ } الأنعام<sup>92</sup> وعماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة وهي أول ما أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه العبد من عمله وآخر ما يفقد من الدين فإذا ذهب ذهب الدين كله وهي عمود الدين فمتى ذهب سقط الدين قال النبي رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فإنها قوام الدين وعماده وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق



جميع العبادات فإنه سبحانه يخصها بالذكر تارة ويقرنها بالزكاة  
تارة وبالصبر تارة وبالنسك تارة<sup>6</sup>

\*فالصلاة لها شأن انفردت به على سائر الأعمال و تبيين ذلك من  
وجوه نذكر بعضها مما انتزعه الإمام احمد و غيره منها أنها  
مقرونة بالتصديق بقوله {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى {31} وَلَكِنْ  
كَذَّبَ وَتَوَلَّى {32} القيامة 31 و قوله و {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ {الأنعام 92 و  
قوله تعالى {وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {71} وَأَنْ أُقِيمُوا  
الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ {72} الأنعام 71-72<sup>7</sup>

### من الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه من غير تحريف ولا تعطيل

\*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة  
والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد  
الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الإيمان  
بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى  
الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا  
تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو  
السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا  
يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا  
يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمى له  
ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه  
أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قبلا وأحسن حديثا من خلقه ثم  
رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا  
يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ

<sup>6</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 430

<sup>7</sup>شرح العمدة ج: 4 ص: 91

عَمَّا يَصِفُونَ {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما  
 وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه  
 من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى  
 به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما  
 جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله  
 عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في  
 هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل  
 ثلث القرآن وقوله سبحانه {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ  
 {الأنعام 92<sup>8</sup>

### إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى

\* قال تعالى {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
 وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} الانعام 92 ومعلوم أن فيه حكمة  
 أخرى مثل تبشير من آمن به والأمر والنهي وإنذار غير هؤلاء  
 من العرب وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز  
 وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له  
 حكمة أخرى لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك  
 الموضوع من مناسبته وهذا كالمناسبة في قوله {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ  
 آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} يس 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين  
 وأحقهم بالإنذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصهم  
 لانتهاء إنذار من سواهم<sup>9</sup>

{ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ }

<sup>8</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 18

<sup>9</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 434

\* فذكر الله انزل الكتابين الذين لم ينزل من عند الله كتابا هدى منهما التوراة والقرآن كما جمع بينهما في قوله { فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ } القصص 48 وكذلك الجن لما استعمت القرآن { قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ } الأحقاف 30 الآية وقال تعالى { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَنْ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } الأحقاف 10 ولهذا قال النجاشي لما سمع القرآن ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم ذكر تعالى حال الكذاب والمنتبىء فقال { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } الأنعام 93 فجمع في هذا بين من أضاف ما يفتريه إلى الله وبين من يزعم أنه يوحى إليه ولا يعين من أوحاه فان الذى يدعى الوحى لا يخرج عن هذين القسمين ويدخل فى القسم الثانى من يرى عينيه فى المنام مالا تريا ومن يقول القى فى قلبى والهمت ونحو ذلك إذا كان كاذبا ويدخل فى القسم الأول من يقول قال الله لى أو أمرنى الله أو وافقنى أو قال لى ونحو ذلك بخيالات أو الهامات يجدها فى نفسه ولا يعلم أنها من عند الله بل قد يعلم انها من الشياطين مثل مسيلمة الكذاب ونحوه ثم قال تعالى { وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } الأنعام 93 فهذه حال من زعم ان البشر يمكنهم أن يأتوا بمثل كلام الله او ان هذا الكلام كلام البشر بفضيلة وقوة من صاحبه فإذا اجتهد المرء أمكن أن يأتى بمثله وهذا يعم من قال انه يمكن معارضة القرآن كابن أبى سرح فى حال رده وطائفة متفرقين من الناس ويعم المتفلسفة الصابئة المنافقين والكافرين ممن يزعم أن رسالة الأنبياء كلام فاض عليهم قد فيض على غيرهم مثله فيكون قد أنزل مثل ما أنزل الله فى دعوى الرسل لأن القائل

سأنزل مثل ما أنزل الله قد يقوله غير معتقد أن الله أنزل شيئاً وقد  
يقوله معتقداً أن الله أنزل شيئاً<sup>10</sup>

\*فتقريب النبوات من القرآن أعظم من أن يشرح في هذا المقام إذ  
ذلك هو عماد الدين وأصل الدعوة النبوية وينبوع كل خير وجماع  
كل هدي وأما حال المخبر عنه فإن النبي والرسول يخبر عن الله  
تعالى بأنه أرسله ولا أعظم فرية ممن يكذب على الله جل وعز كما  
قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ  
وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ {الانعام 93  
ذكر هذا بعد قوله {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا  
وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ  
تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ {91}  
وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ  
وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ  
يُحَافِظُونَ {92} وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ  
إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ {93}  
الانعام 91-92 فنقض سبحانه دعوى الجاحد النافي للنبوة بقوله  
{ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ } الانعام 91 وذلك  
الكتاب ظهر فيه من الآيات والبيانات وأتبعه كل الأنبياء والمؤمنين  
وحصل فيه ما لم يحصل في غيره فكانت البراهين والدلائل على  
صدقه أكثر وأظهر من أن تذكر بخلاف الإنجيل وغيره وأيضاً  
فإنه أصل والإنجيل تبع له إلا فيما أحله المسيح ولهذا كانت قصة  
موسى هي أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن وهي أكبر  
من غيرها وتبسط أكثر من غيرها قال عبد الله بن مسعود كان  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عامة نهاره يحدثنا عن بني  
إسرائيل ولما قرر الصدق بين حال الكذابين بأنهم ثلاثة أصناف إذ

<sup>10</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 26 و الجواب الصحيح ج: 2 ص: 281

لا يخلو الكذاب من أن يضيف الكذب إلى الله تعالى ويقول إنه أنزله أو يحذف فاعله ولا يضيفه إلى أحد أ أن يقول إنه هو الذي وضعه معارضا فقال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } الانعام 93 وأما المخبر عنه فإنه الله تعالى ولا ريب أنه يعلم من أمور الرب سبحانه بما نصبه من الأدلة المعاينة الحسية التي يعقل بها نفسها وبالأمثال المضروبة وهي الأقيسة العقلية ما يمتنع معه خفاء كذب الكاذب بل يمتنع معه خفاء صدق الصادق فالدجال مثلا قد علم بوجوه متعددة ضرورية إنه ليس هو الله وإنه كافر مفتر وإذا كانت دعواه معلوما كذبها ضرورة لم يكن ما يأتي به من الشبهات مصدقا لها إذ العصمة الضرورية لا تقدر فيها الطرق النظرية فإن الضروريات أصل النظريات فلو قدح بها فيها لزم إبطال الأصل بالفرع فيبطلان جميعا فإنه يظهر أيضا من عجزه ما ينفي دعواه وكذلك من أباح الفواحش والمظالم والشرك والكذب مدعيا للنبوة يعلم بالاضطرار كذبه للعلم الضروري بأن الله سبحانه لا يأمر بهذا سواء قيل أن الفعل يعلم به حسن الأفعال وقبحها أو لا يعلم به فليس كلما أمكن في العقل وقوعه وكان الله قادرا عليه يشك في وقوعه بل نحن نعلم بالضرورة أن البحار لم تقلب دما وإن الجبال لم تتقلب يواقيت وأمثال ذلك من المعادن وإن لم يسند ذلك إلى دليل معين وإن كنا عالمين بأن الله تعالى قادر على قلب ذلك لكن العلم بالوقوع وعدمه شيء والعلم بإمكان ذلك من قدرة الله سبحانه شيء وكل ذي فطرة سليمة يعلم بالاضطرار أن الله تعالى لا يأمر عباده بالكذب والظلم والشرك والفواحش وأمثال ذلك مما قد يأتي به كثير من الكذابين بل يعلم بفطرته السليمة ما يناسب حال الربوبية<sup>11</sup>

<sup>11</sup>العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 195

\* فأحسن الحديث وأصدق كتاب الله خبره أصدق الخبر وبيانه  
أوضح البيان وأمره أحكم الأمر { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ  
يُؤْمِنُونَ } الجاثية 6 وكل من اتبع كلاماً أو حديثاً مما يقال أنه  
يلهمه صاحبه ويوحى إليه أو أنه ينشئه ويحدثه مما يعارض به  
القرآن فهو من أعظم الظالمين ظلماً ولهذا لما ذكر الله  
سبحانه قول الذين ما قدروا الله حق قدره حيث أنكروا الإنزال  
على البشر ذكر المتشبهين به المدعين لمماثلته من الأقسام الثلاثة  
فإن المماثل له إما أن يقول أن الله أوحى إلي أو يقول أوحى إلي  
وألقى إلي وقيل لي ولا يسمى القائل أو يضيف ذلك إلى نفسه  
ويذكر أنه هو المنشيء له ووجه الحصر أنه إما أن يحذف  
الفاعل أو يذكره وإذا ذكره فإما أن يجعله من قول الله أو من قول  
نفسه فإنه إذا جعله من كلام الشياطين لم يقبل منه وما جعله من  
كلام الملائكة فهو داخل فيما يضيفه إلى الله وفيما حذف فاعله  
فقال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ  
إِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
{ الأنعام 93 وتدبر كيف جعل الأولين في حيز الذي جعله  
وحيا من الله ولم يسم الموحى فإنهما من جنس واحد في إدعاء  
جنس الإنباء وجعل الآخر في حيز الذي ادعى أن يأتي بمثله  
ولهذا قال { مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً } { الأنعام 93 } ثم قال  
{ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } { الأنعام 93 } فالمفتري للكذب  
والقائل أوحى إلي ولم يوح إليه شيء من جملة الاسم الأول وقد  
قرن به الاسم الآخر فهو لاء الثلاثة المدعون لشبه النبوة وقد تقدم  
قبلهم المكذب للنبوة فهذا يعم جميع أصول الكفر التي هي  
تكذيب الرسل أو مضاهاتهم كمسيلمة الكذاب وأمثاله وهذه  
هي أصول البدع التي نردها نحن في هذا المقام لأن المخالف

للسنة يرد بعض ما جاء به الرسول أو يعارض قول الرسول بما يجعله نظيراً له من رأى أو كشف أو نحو ذلك<sup>12</sup>

## من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار

\*كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين قال تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ } الأنعام 93 ومن كان كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال إن الله يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلقه ثم قرأ { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } هود 102 وقال أيضاً في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقومها تارة وتمليها أخرى ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعافها مرة واحدة فالكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعاً ويزول سريعاً كدولة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبتلون كثيراً ليمحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويظهر أمرهم شيئاً فشيئاً كالزرع قال تعالى { مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ

<sup>12</sup> مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 86-87

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا  
{الفتح 29} ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه  
الأمر وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله  
والمتنبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل  
النبي الصادق ودلائل المتنبئ الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي  
والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع<sup>13</sup>

\*وقال محمد بن اسحاق في رواية ابن بكير عنه قال ابو عبيدة  
بن محمد بن عمار بن ياسر وعبد الله بن ابي بكر بن حزم ان  
رسول الله حين دخل مكة وفرق جيوشه امرهم ان لا يقتلوا احدا  
الا من قاتلهم الا نفرا قد سماهم رسول الله وقال اقتلوهم وان  
وجدتموهم تحت استار الكعبة عبد الله بن خطل وعبد الله بن سعد  
ابن ابي سرح وانما امر بابن ابي سرح لانه كان قد اسلم فكان  
يكتب لرسول الله الوحي فرجع مشركا ولحق بمكة فكان يقول لهم  
اني لاصرفه كيف شئت انه ليامرني ان اكتب له الشيء فاقول له  
او كذا او كذا فيقول نعم وذلك ان رسول الله كان يقول عليم حكيم  
فيقول او اكتب عزيز حكيم فيقول له رسول الله نعم كلاهما سواء  
قال ابن اسحاق حدثني شرحبيل بن سعد ان فيه نزلت {وَمَنْ  
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ  
شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ {الأنعام 93} فلما دخل  
رسول الله مكة فر الى عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاة  
فغيبه عنده حتى اطمان اهل مكة فاتى رسول الله فاستامن له  
فصمت رسول الله طويلا وهو واقف عليه ثم قال نعم فانصرف  
به فلما ولى قال رسول الله ما صمت الا رجاء ان يقوم اليه  
بعضكم فيقتله فقال رجل من الانصار يا رسول الله الا اومات الي  
فاقتله فقال رسول الله ان النبي لا يقتل بالاشارة وقال ابن

<sup>13</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 423-424



اسحاق في رواية ابراهيم بن سعد عنه حدثني بعض علمائنا ان ابن ابي سرح رجع الى قریش فقال والله لو اشاء لقلت كما يقول محمد وجئت بمثل ما ياتي به انه ليقول الشيء واصرفه الى شيء فيقول اصبت ففيه انزل الله تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ } { الأنعام 93 } فلذلك امر رسول الله بقتله وذكر الواقدي عن اشيائه قالوا وكان عبد الله بن سعد بن ابي سرح يكتب لرسول الله فربما املي عليه رسول الله سميع عليم فيكتب عليم حكيم فيقراه لرسول الله فيقول كذا قال الله فافتتن وقال ما يدري محمد ما يقول اني لاكتب له ما شئت هذا الذي كتبت يوحى الي كما يوحى الي محمد وخرج هاربا من المدينة الى مكة مرتدا فاهدر رسول الله دمه يوم الفتح فلما كان يومئذ جاء ابن ابي سرح الى عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاعة فقال يا اخي اني والله اخترتك فاحبسني هاهنا واذهب الى محمد فكلمه في فان محمدا ان راني ضرب الذي فيه عيناى ان جرمني اعظم الجرم وقد جئت تائبا فقال عثمان بل اذهب معي قال عبد الله والله لئن راني ليضربن عنقي ولا ينظرني قد اهدر دمي واصحابه يطلبوني في كل موضع فقال عثمان انطلق معي فلا يقتلك ان شاء الله فلم يرع رسول الله الا بعثمان اخذا بيد عبد الله بن سعد ابن ابي سرح واقفين بين يديه فاقبل عثمان على رسول الله فقال يا رسول الله امه كانت تحملني وتمشي به وترضعني وتفطمه وكانت تلطفني وتتركه فهبه لي فاعرض عنه رسول الله وجعل عثمان كلما اعرض عنه النبي بوجهه استقبله فيعيد عليه هذا الكلام وانما اعرض النبي ارادة ان يقوم رجل فيضرب عنقه لانه لم يؤمنه فلما رأى ان لايقوم احد وعثمان قد اكب على رسول الله يقبل راسه وهو يقول يا رسول الله بايعه فذاك ابي وامى فقال النبي نعم ثم التفت الى اصحابه فقال ما منعكم ان يقوم رجل منكم الى هذا الكلب فيقتله او قال الفاسق فقال عباد بن بشر الا او مات الي يا رسول الله فوالذي بعثك بالحق اني لاتبع طرفك من كل ناحية

رجاء ان تشير الي فاضرب عنقه ويقال قال هذا ابو اليسر ويقال  
 عمر بن الخطاب فقال رسول الله اني لا اقتل بالاشارة وقائل  
 يقول ان النبي قال يومئذ ان النبي لا تكون له خائنة الاعين  
 فبايعه رسول الله فجعل يفر من رسول الله كلما راه فقال عثمان  
 لرسول الله بابي وامي لو ترى ابن ام عبد الله يفر منك كلما راك  
 فتبسم رسول الله فقال الم ابايعه واومنه قال بلى يا رسول الله  
 ولكنه يتذكر عظيم جرمه في الاسلام فقال النبي الاسلام  
 يجب ما كان قبله فرجع عثمان الى ابن ابي سرح فاخبره فكان  
 ياتي فيسلم على النبي مع الناس فوجه الدلالة ان عبد الله بن  
 سعد بن ابي سرح افترى على النبي انه كان يتم له الوحي  
 ويكتب له ما يريد فيوافقه عليه وانه يصرفه حيث شاء ويغير ما  
 امره به من الوحي فيقره على ذلك وزعم انه سينزل مثل ما انزل  
 الله اذ كان قد اوحى اليه في زعمه كما اوحى الى رسول الله وهذا  
 الطعن على رسول الله وعلى كتابه والافتراء عليه بما يوجب  
 الريب في نبوته قدر زائد على مجرد الكفر به والردة في الدين  
 وهو من انواع السب وكذلك لما افترى عليه كاتب اخر مثل  
 هذه الفرية قصمه الله وعاقبه عقوبة خارجه عن العادة ليتبين لكل  
 احد افتراؤه اذ كان مثل هذا يوجب في القلوب المريضة ريبا بان  
 يقول القائل كاتبه اعلم الناس بباطنه وبحقيقة امره وقد اخبر عنه  
 بما اخبر فمن نصر الله لرسوله ان اظهر فيه اية يبين بها انه  
 مفتر فروى البخاري في صحيحه عن عبد العزيز بن صهيب  
 عن انس قال كان رجلا نصرانيا فاسلم وقرأ البقرة وال عمران  
 وكان يكتب للنبي فعاد نصرانيا فكان يقول لا يدري محمد الا ما  
 كتبت له فاماته الله فدفنوه فاصبح وقد لفظته الارض فقالوا هذا  
 فعل محمد واصحابه نبشوا عن صاحبنا فالقوة فحفروا له  
 واعمقوا في الارض ما استطاعوا فاصبح وقد لفظته الارض  
 فعلموا انه ليس من الناس فالقوه ورواه مسلم من حديث  
 سليمان بن المغيرة عن ثابت عن انس قال كان منا رجل من بني  
 النجار قد قرأ البقرة وال عمران وكان يكتب للنبي فالنطلق هاربا

حتى لحق باهل الكتاب قال فعرفوه قالوا هذا قد كان يكتب لمحمد فاعجبوا به فما لبث ان قصم الله عنقه فيهم فحفروا له فواروه فاصبحت الارض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له فواروه فاصبحت الارض قد نبذته على وجهها ثم عادوا فحفروا له فواروه فاصبحت الارض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذا فهذا الملعون الذي افترى على النبي انه ما كان يدري الا ما كتب له قصمه الله وفضحه بان اخرجه من القبر بعد ان دفن مرارا وهذا امر خارج عن العادة يدل كل احد على ان هذا عقوبة لما قاله وانه كان كاذبا اذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا وان هذا الجرم اعظم من مجرد الارتداد اذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا وان الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه وسبه ومظهر لدينه ولكذب الكاذب اذا لم يمكن الناس ان يقيموا عليه الحد ونظير هذا ما حدثناه اعداد من المسلمين العدول اهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الاصفر في زماننا قالوا كنا نحن نحصر الحصن او المدينة الشهر او اكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نياس منه حتى اذا تعرض اهله لسب رسول الله والوقية في عرضه تعجلنا فتحة وتسير ولم يكذ يتاخر الا يوما او يومين او نحو ذلك ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة قالوا حتى ان كنا لنتبأشر بتعجيل الفتح اذا سمعناهم يقعون فيه مع امتلاء القلوب غيظا عليهم بما قالوا فيه وهكذا حدثني بعض اصحابنا الثقات ان المسلمين من اهل المغرب حالهم مع النصارى كذلك ومن سنة الله ان يعذب اعداءه تارة بعذاب من عنده وتارة بايدي عباده المؤمنين فكذلك لما تمكن النبي من ابن ابي سرح اهدر دمه لما طعن في النبوة وافترى عليه الكذب مع انه قد امن جميع اهل مكة الذين قاتلوه وحاربوه اشد المحاربة ومع ان السنة في المرتد انه لا يقتل حتى يستتاب اما وجوبا او استحبابا وسنذكر ان شاء الله ان جماعة ارتدوا

على عهد النبي ثم دعوا الى التوبة وعرضت عليهم حتى تابوا  
وقبلت توبتهم وفي ذلك دليل على ان جرم الطاعن على  
رسول الساب له اعظم من جرم المرتد ثم ان اباحة النبي دمه  
بعد مجيئه تائبا مسلما وقوله هلا قتلتموه ثم عفوه عنه بعد ذلك  
دليل على ان النبي كان له ان يقتله وان يعفو عنه ويعصم دمه  
وهو دليل على ان له ان يقتل من سبه وان تاب وعاد الى الاسلام  
يوضح ذلك اشياء منها انه قد روي عن عكرمة ان ابن ابي  
سرح رجع الى الاسلام قبل فتح مكة وكذلك ذكر آخرون ان ابن  
ابي سرح رجع الى الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبي بها وقد  
تقدم عنه انه قال لعثمان قبل ان يقدم به على النبي ان جرمني  
اعظم الجرم وقد جننت تائبا وتوبة المرتد اسلامه ثم انه جاء  
الى النبي بعد الفتح وهذوء الناس وبعد ما تاب فاراد النبي من  
المسلمين ان يقتلوه حينئذ وتربص زمانا ينتظر فيه قتله ويظن ان  
بعضهم سيقتله وهذا اوضح دليل على جواز قتله بعد اسلامه  
وكذلك لما قال له عثمان انه يفر منك كلما راك قال الم ابايعه  
واومنه قال بلى ولكنه يتذكر عظيم جرمه في الاسلام فقال  
الاسلام يجب ما قبله فبين النبي ان خوف القتل سقط بالبيعة  
والامان وان الاثم زال بالاسلام فعلم ان الساب اذا عاد الى  
الاسلام جب الاسلام اثم السب وبقي قتله جائزا حتى يوجد اسقاط  
القتل ممن يملكه ان كان ممكنا وسياتي ان شاء الله تعالى ذكر  
هذا في موضعه فان غرضنا هنا ان نبين ان مجرد الطعن على  
رسول الله والوقية فيه يوجب القتل في الحال التي لا يقتل فيه  
لمجرد الردة واذا كان ذلك موجبا للقتل استوى فيه المسلم والذمي  
لان كل ما يوجب القتل سوى الردة يستوي فيه المسلم والذمي  
وفي كتمان الصحابة لابن ابي سرح ولاحدى القينتين دليل على  
النبي لم يوجب قتلهم وانما اباحه مع جواز عفوه عنهم وفي ذلك  
دليل على انه كان مخيرا بين القتل والعفو وهذا يؤيد ان القتل  
كان لحق النبي واعلم ان افتراء ابن ابي سرح والكاتب الاخر  
النصراني على رسول الله بانه كان يتعلم منهما افتراء ظاهر

وكذلك قوله اني لاصرفه كيف شئت انه ليامرني ان اكتب له الشيء فاقول له او كذا او كذا فيقول نعم فرية ظاهرة فان النبي كان لا يكتبه الا ما انزله الله ولا يامر به ان يكتب قرانا الا ما اوحاه الله اليه ولا ينصرف له كيف شاء بل يتصرف كما يشاء الله وكذلك قوله اني لاكتب له ماشئت هذا الذي كتبت يوحى الي كما يوحى الى محمد وان محمدا اذا كان يتعلم مني فاني سانزل مثل ما انزل الله فرية ظاهرة فان النبي لم يكن يكتبه ما شاء ولا كان يوحى اليه شيء وكذلك قول النصراني ما يدري محمد الا ما كتبت له من هذا القبيل وعلى هذا الافتراء حاق به العذاب واستوجب العقاب ثم اختلف اهل العلم هل كان النبي اقره على ان يكتب شيئا غير ما ابتداه النبي باكتابه وهل قال له شيئا على قولين احدهما ان النصراني وابن ابي سرح افتريا على رسول الله ذلك كله وانه لم يصدر منه قول فيه اقرار على كتابة غير ما قاله اصلا وانما لما زين لهما الشيطان الردة افتريا عليه لينفرا عنه الناس ويكون قبول ذلك منهما متوجها لانهما فارقاه بعد خبرة وذلك انه لم يخبر احد انه سمع النبي يقول له هذا الذي قلته او كتبتة صواب وانما هو حال الردة اخبر انه قال له ذلك وهو اذ ذاك كافر عدو يفترى على الله ما هو اعظم من ذلك يبين ذلك ان الذي في الصحيح ان النصراني كان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له نعم ربما كان هو يكتب غير ما يقوله النبي ويغيره ويزيده وينقصه فظن ان عمدة النبي على كتابته مع ما فيها من التبديل ولم يدرك ان كتاب الله ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم وانه لا يغسله الماء وان الله حافظ له وان الله يقريء نبيه فلا ينسى الا ما شاء الله مما يريد رفعه ونسخ تلاوته وان جبريل كان يعارضه النبي بالقران كل عام وان النبي اذا انزلت عليه الاية اقرها لعدد من المسلمين يتواتر نقل الاية بهم واكثر من ذكر هذه القصة من المفسرين ذكر انه كان يملي عليه سميعا عليما فيكتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيفا واشباه ذلك ولم يذكر ان النبي قال له شيئا قالوا واذا

كان الرجل قد علم انه من اهل الفرية والكذب حتى اظهر الله كذبه اية بينة والروايات الصحيحة المشهورة لم تتضمن الا انه قال عن النبي ما قال او انه كتب ما شاء فقط علم ان النبي لم يقل له شيئا قالوا وما روي في بعض الروايات ان النبي قال فهو منقطع او معلل ولعل قائله قاله بناء على ان الكاتب هو الذي قال ذلك ومثل هذا قد يلتبس الامر فيه حتى يشتبه ما قاله النبي وما قيل انه قاله وعلى هذا القول فلا سؤال اصلا القول الثاني ان النبي قال له شيئا فروى الامام احمد وغيره من حديث حماد بن سلمة انا ثابت عن انس ان رجلا كان يكتب لرسول الله فاذا املي عليه سميعا عليما يقول كتبت سميعا بصيرا قال دعه واذا املي عليه عليما حكيمًا كتب عليما حليما قال حماد نحو ذا قال وكان قد قرأ البقرة وال عمران وكان من قراهما قد قرأ قرانا كثيرا فذهب فتنصر وقال لقد كنت اكتب لمحمد ما شئت فيقول دعه فمات فدفن فنبذته الارض مرتين او ثلاثا قال ابو طلحة فلقد رايته منبواً فوق الارض ورواه الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حميد عن انس ان رجلا كان يكتب لرسول الله وقد قرأ البقرة وال عمران وكان الرجل اذا قرأ البقرة وال عمران جد فينا يعني عظم فكان النبي يملي عليه غفورا رحيمًا فيكتب عليما حكيمًا فيقول له النبي اكتب كذا وكذا اكتب كيف شئت ويملي عليه عليما حكيمًا فيكتب سميعا بصيرا فيقول اكتب كيف شئت فارتد ذلك الرجل عن الاسلام فلحق بالمشركين وقال انا اعلمكم بمحمد ان كنت لاكتب ما شئت فمات ذلك الرجل فقال رسول الله ان الارض لا تقبله قال انس فحدثني ابو طلحة انه اتى الارض التي مات فيها ذلك الرجل فوجده منبواً قال ابو طلحة ما شان هذا الرجل قالوا قدمناه مرارا فلم تقبله الارض فهذا اسناد صحيح وقد قال من ذهب الى القول الاول علل البزار حديث ثابت عن انس وقال رواه عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قالوا ثم ان انسا لم يذكر انه سمع النبي او شاهده يقول ذلك ولعله حكى ما سمع وفي هذا

الكلام تكلف ظاهر والذي ذكرناه في حديث ابن اسحاق والواقدي وغيرهما يوافق ظاهر هذه الرواية وكذلك ذكر طائفة من اهل التفسير وقد جاءت اثار فيها بيان صفة الحال على هذا القول ففي حديث ابن اسحاق وذلك ان رسول الله كان يقول عليم حكيم فيقول او اكتب عزيز حكيم فيقول له رسول الله نعم كلاهما سواء وفي الرواية الاخرى وذلك ان رسول الله كان يملي عليه فيقول عزيز حكيم او حكيم عليم فكان يكتبها على احد الحرفين فيقول كل صواب ففي هذا بيان لان كلا الحرفين كان قد نزل وان النبي كان يقرأهما ويقول له اكتب كيف شئت من هذين الحرفين فكل صواب وقد جاء مصرحا عن النبي انه قال انزل القرآن على سبعة احرف كلها شاف كاف ان قلت عزيز حكيم او غفور رحيم فهو كذلك ما لم يختم اية رحمه بعذاب او اية عذاب برحمة وفي حرف جماعة من الصحابة {إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} المائدة 118 والاحاديث في ذلك منتشرة تدل على ان من الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن ان تختم الاية الواحدة بعدة اسماء من اسماء الله على سبيل البدل يخير القارئ في القراءة بايها شاء وكان النبي يخيره ان يكتب ما شاء من تلك الحروف وربما قراها النبي بحرف من الحروف فيقول او اكتب كذا وكذا لكثرة ما سمع النبي يخير بين الحرفين فيقول له النبي نعم كلاهما سواء لان الاية نزلت بالحرفين وربما كتب هو احد الحرفين ثم قراه على النبي فاقره عليه لانه قد نزل كذلك ايضا وختم الاية بمثل سميع عليم و عليم حكيم و غفور رحيم او بمثل سميع بصير او عليم حكيم او عليم حلیم كثير في القرآن وكان نزول الاية على عدة من هذه الحروف امرا معتادا ثم ان الله نسخ بعض تلك الحروف لما كان جبريل يعارض النبي بالقران في كل رمضان وكانت العرضة الاخيرة في حرف زيد بن ثابت الذي يقرأ الناس به اليوم وهو الذي جمع عثمان والصحابة رضي الله عنهم اجمعين عليه الناس ولهذا ذكر ابن عباس هذه القصة في

الناسخ والمنسوخ وكذلك ذكرها الامام احمد في كتابه الناسخ والمنسوخ لتضمنها نسخ بعض الحروف وروي فيها وجه اخر رواه الامام احمد في الناسخ والمنسوخ حدثنا مسكين بن بكير ثنا معان قال وسمعت ابا خلف يقول كان ابن ابي سرح كتب للنبي القران فكان ربما سال النبي عن خواتم الاي تعملون و تفعلون ونحو ذا فيقول له النبي اكتب اي ذلك شئت قال فيوفقه الله للصواب من ذلك فاتي اهل مكة مرتدا فقالوا يا ابن ابي سرح كيف كنت تكتب لابن ابي كبشة القران قال اكتبه كيف شئت قال فانزل الله في ذلك { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ } الأنعام 93 الاية كلها قال النبي يوم فتح مكة من اخذ ابن ابي سرح فليضرب عنقه حيثما وجد وان كان متعلقا باستار الكعبة ففي هذا الاثر انه كان يسال النبي عن حرفين جائزين فيقول له اكتب اي ذلك شئت فيوفقه الله للصواب فيكتب احب الحرفين الى الله ان كان كلاهما منزلا او يكتب ما انزل الله فقط ان لم يكن الاخر منزلا وكان هذا التخيير من النبي اما توسعه ان كان الله قد انزلهما او ثقته بحفظ الله وعلما منه بانه لا يكتب الا ما انزل وليس هذا ينكر في كتاب تولى الله حفظه وضمن انه لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه وذكر بعضهم وجها ثالثا وهو انه ربما كان يسمع النبي يمله الاية حتى لم يبق منها الا كلمة او كلمتان فيستدل على بما قراء منها على باقيها كما يفعله الفطن الذكي فيكتبه ثم يقراه على النبي فيقول كذلك

انزلت كما اتفق مثل ذلك لعمر في قوله { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } المؤمنون 14 وقد روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس مثل هذا في هذه القصة وان كان هذا الاسناد ليس بثقة قال عن ابن ابي سرح انه كان تكلم بالاسلام وكان يكتب لرسول الله في بعض الاحايين فاذا املي عليه عزيز حكيم كتب غفور رحيم فيقول رسول الله هذا وذاك سواء فلما نزلت { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ } المؤمنون 12 املاها



عليه فلما انتهى الى قوله خلقا اخر عجب عبد الله بن سعد فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله كذا انزلت علي فاكتبها فشك حينئذ وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الي كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فنزلت هذه الاية ومما ضعفت به هذه الرواية ان المشهور ان الذي تكلم بهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن الناس من قال قولاً اخر قال الذي ثبت في رواية انس انه كان يعرض على النبي ما كتبه بعدما كتبه فيملي عليه سميعاً عليماً فيقول كتبت سميعاً بصيراً فيقول دعه او اكتب كيف شئت وكذلك في حديث الواقدي انه كان يقول كذاك الله ويقره قالوا وكان النبي به حاجة الى من يكتب لقلة الكتاب في الصحابة وعدم حضور الكتاب منهم في وقت الحاجة اليهم فان العرب كان الغالب عليهم الامية حتى ان كان الجو العظيم يطلب فيه كاتب فلا يوجد فكان احدهم اذا اراد كتابة وثيقة او كتاب وجد مشقة حتى يصل له كاتب فاذا اتفق للنبي من يكتب له انتهز الفرصة في كتابته فاذا زاد كاتب او نقص تركه لحرصه على كتابة ما يملى ولايامره بتغيير ذلك خوفاً من ضجره وان يقطع الكتابة قبل اتمامها ثقة منه بان تلك الكلمة او الكلمتين تستدرك فيما بعد باللقاء الى من يتلقنها منه او بكتابتها تعويلاً على المحفوظ عنده وفي قلبه كما قال الله تعالى {سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى} {6} اِلَّا مَا شَاءَ اللّٰهُ اِنَّهٗ يَعْلمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} {7} الأعلى 6- 7 والاشبه والله اعلم هو الوجه الاول وان هذا كان فيما انزل القرآن فيه على حروف عدة فان القول المرضي عند علماء السلف الذي يدل عليه عامة الأحاديث وقراءات الصحابة ان المصحف الذي جمع عثمان الناس عليه هو احد الحروف السبعة وهو العرصة الاخيرة وان الحروف

السته خارجه عن هذا المصحف فان الحروف السبعة كانت  
مختلفة الكلم مع ان المعنى غير مختلف ولا متضاد<sup>14</sup>

\* {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ  
إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ  
فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ  
تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ  
آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } {الأنعام 93} وقد روى مسلم في أوائل الصحيح

من وجهين عن مسلم بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول قال رسول  
الله يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث ما  
لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم  
وهذا كما يدخل فيه من يحدث عن غيره فالذي يقول إنه يحدث عن  
قلبه عن ربه أو أنه يأخذ عن الله بلا واسطة وأنه يأخذ من حيث  
يأخذ الملك الذي يوحى به إلى الرسول وأنه يحدث بمقتضى

الأقيسة القطعية أولى فإن هذا يدعي ما هو عنده أعلى وإن كان له  
نصيب من قوله تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ  
قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ  
} {الأنعام 93} وقد سأل بعضهم مالكا عن بعض من كان بالعراق من  
هؤلاء المبطلين فقال كلمة أو كلاما فيه هؤلاء الدجاللة قال ما  
سمعت جمع دجاللة إلا من مالك وأصل الدجل التغطية  
والتمويه والتلبيس ومعلوم أن أتباع مسيلمة<sup>15</sup>

\* فإن كان مدعي النبوة كاذبا {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى  
اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيْهِ شَيْءٌ } {الأنعام 93} وهذا  
من شر الناس وأكذبهم وأظلمهم وأفجرهم ومملكه شر من ملك  
الظالم الذي لم يدع نبوة ك بختنصر وسنجاريب<sup>16</sup>

<sup>14</sup> الصارم المسلول ج: 2 ص: 223-249

<sup>15</sup> بغية المرتاد ج: 1 ص: 484-485

<sup>16</sup> الجواب الصحيح ج: 5 ص: 225

## لا معصوم إلا الأنبياء

\*فإذا كان الذين استخرجوا ذكره من كتب أهل الكتاب والذين سمعوا خبره من علماء أهل الكتاب إنما يذكرون نعته فيها بالمدح والثناء علم بذلك أن الأنبياء المتقدمين ذكروه بالمدح والثناء ولم يذكروه بدم ولا عيب وكل من ادعى النبوة ومدحه الأنبياء وأثنوا عليه لم يكن إلا صادقاً في دعوى النبوة إذ يمتنع أن الأنبياء يثنون على من يكذب في دعوى النبوة {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} الأنعام 93 وهذا مما يبين أنه لا بد أن يكون الأنبياء ذكروه وأخبروا به وأنهم لم يذكروه إلا بالثناء والمدح لا بالذم والعيب وذلك مع دعوى النبوة لا يكون إلا إذا كان صادقاً في دعوى النبوة فتبين أنهم بشروا بنبوته وهو المطلوب<sup>17</sup>

\*فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكون نبياً فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي وإذا كان الأمر كذلك فمعلوم بالتواتر أن محمداً ذكر أنه رسول كإبراهيم وموسى وعيسى بل أخبر أنه سيد ولد آدم وأن آدم فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة وأنه لما أسرى به وعرج إلى ربه علا على الأنبياء كلهم على إبراهيم وموسى وهرون ويحيى وعيسى وغيرهم وأخبر أنه لا نبي بعده وأن أمته هم الآخرون في الخلق السابقون يوم القيامة وأن الكتاب الذي أنزل إليه أحسن الحديث وأنه مهيم على ما بين يديه من الكتب مع تصديقه لذلك وحينئذ فإن كان عالماً بصدق نفسه فهو نبي رسول ومن قال هذا القول وهو يعلم أنه كاذب فهو من أظلم الناس وأفجرهم {وَمَنْ

<sup>17</sup>الجواب الصحيح ج: 5 ص: 191-192

أَظْلَمَ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ {الأنعام 189}

\*و إذا ادعى شخص أن الله أرسله وهو لم يرسله بهذا الكتاب كله فهذا كذاب لا يحتج بشيء من كلامه ولا يكون مثل هذا عدلاً فضلاً عن أن يكون حكيماً بل هو من الذين افتروا على الله كذباً {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ {الأنعام 193}

### أساس الطريق الى الله

\*أن المشايخ العارفين اتفقوا على ان أساس الطريق الى الله هو الصدق والاخلاص كما جمع الله بينهما في قوله { وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ } {30} حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ {31} الحج 30-31 ونصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة دال على ذلك في مواضع كقوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } التوبة 119 وقوله تعالى { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ } {32} وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } {33} الزمر 32-33 وقال تعالى لما بين الفرق بين النبي والكاهن والساحر { وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {192} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } {193} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } {194} بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ } {195} وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ } {196} الشعراء 192-196 الى قوله { هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ } {221} تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ } {222} يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتَرُ هُمْ كَاذِبُونَ } {223} الشعراء 221-223 وقال تعالى

18 الجواب الصحيح ج: 6 ص: 50

19 الجواب الصحيح ج: 3 ص: 504

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ {الأنعام 93} وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا {النساء 135} 20

\*ودلائل صدق النبي الصادق وكذب المتنبى الكذاب كثيرة جدا فإن من ادعى النبوة وكان صادقا فهو من أفضل خلق الله وأكملهم في العلم والدين فإنه لا أحد أفضل من رسل الله وأنبيائه صلوات الله عليهم وسلامه وإن كان بعضهم أفضل من بعض كما قال تعالى {وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا {55} سورة الإسراء الآية 55 وان كان المدعي للنبوة كاذبا فهو من أكفر خلق الله وشرهم كما قال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ {93} سورة الأنعام الآية 93 فالكذب أصل للشر وأعظمه الكذب على الله عز وجل والصدق أصل للخير وأعظمه الصدق على الله تبارك وتعالى وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار

ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا

21

\*فمن قال إن الله أمره بذلك وفعله ولم يكن الله أمره بذلك كان كاذب مفتريا ظالما {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ} {الأنعام 93} وكان مع كونه ظالما مفتريا من أعظم المريرين علوا في الأرض وفسادا<sup>22</sup>

### القرآن قد بين النعيم والعذاب في البرزخ

\*والملائكة تنزل إلى الأرض ثم تصعد إلى السماء كما تواترت بذلك النصوص وقد أنزلها الله يوم بدر ويوم حنين ويوم الخندق لنصر رسوله والمؤمنين كما قال تعالى {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ} {الأنفال 9} 23

\*أن الذين أنكروا عذاب القبر والبرزخ مطلقا زعموا أنه لم يدل على ذلك القرآن وهو غلط بل القرآن قد بين في غير موضع بقاء النفس بعد فراق البدن وبين النعيم والعذاب في البرزخ وهو سبحانه تعالى في السورة الواحدة يذكر القيامة الكبرى وأن الناس يكونون أزواجا ثلاثة كما قال تعالى (إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ {1} لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كاذِبَةٌ {2} خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ {3} إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا {4} وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا {5} فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَتًا {6} وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً {7} الواقعة 1-7 ثم إنه في آخرها القيامة الصغرى بالموت وأنهم ثلاثة أصناف بعد الموت فقال {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ {83} وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ {84} وَنَحْنُ أَقْرَبُ

<sup>21</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 127

<sup>22</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 206

<sup>23</sup>منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 536

إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ {85} تُبْصِرُونَ {85} فَأَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ  
غَيْرَ مَدِينِينَ {86} تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ {87} فَأَمَّا إِنْ كَانَ  
مِنَ الْمُقْرَبِينَ {88} فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجِنَّةٌ نَعِيمٌ {89} وَأَمَّا إِنْ كَانَ  
مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {90} فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ {91}  
وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ الضَّالِّينَ {92} فَنَزْلٌ مِّنْ حَمِيمٍ {93}  
وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ {94} إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ {95} فَسَبِّحْ بِاسْمِ  
رَبِّكَ الْعَظِيمِ {96} الواقعة 83-96 فهذا فيه أن النفس تبلغ  
الحلوقم وأنهم لا يمكنهم رجوعها وبين حال المقربين وأصحاب  
اليمين والمكذبين حينئذ وفي سورة القيامة ذكر أيضا  
القيامتين فقال ( لَا أُقْسِمُ بِبِئْسَ الْيَوْمِ الْقِيَامَةِ {1} القيامة 1 ثم قال {  
وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ {2} القيامة 2 وهي نفس الإنسان  
وقد قيل إن النفس تكون لوامة وغير لوامة وليس كذلك بل نفس  
كل إنسان لوامة فإنه ليس بشر إلا يلوم نفسه ويندم إما في الدنيا  
وأما في الآخرة فهذا إثبات النفس ثم ذكر معاد البدن فقال {  
أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ {3} بَلَى قَادِرِينَ عَلَيَّ أَنْ  
نُصَوِّيَ بَنَانَهُ {4} بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ {5} يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ  
الْقِيَامَةِ {6} القيامة 3-6 ووصف حال القيامة إلى قوله {  
تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ {25} القيامة 25 ثم ذكر الموت  
فقال { كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ {26} القيامة 26 وهذا إثبات  
للنفس وأنها تبلغ التراقي كما قال هناك { بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ  
{ الواقعة 83 والتراقي متصلة بالحلقوم ثم قال { وَقِيلَ مَنْ  
رَاقٍ {27} القيامة 27 يرقىها وقيل من صاعد يصعد بها إلى  
الله والاول أظهر لان هذا قبل الموت فإنه قال { وَظَنَّ أَنَّهُ  
الْفِرَاقُ {28} القيامة 28 فدل على أنهم يرجونه ويطلبون له  
راقيا يرقيه وأيضا فصعدوا لا يفتقر إلى طلب من يرقى بها فإن  
الله ملائكة يفعلون ما يؤمرون والرقية أعظم الأدوية فإنها دواء  
روحاني ولهذا قال النبي في صفة المتوكلين لا يسترقون والمراد  
أنه يخاف الموت ويرجو الحياة بالراقي ولهذا قال { وَظَنَّ أَنَّهُ  
الْفِرَاقُ {28} القيامة 28 ثم قال { وَالتَّتَفَّتِ السَّاقُ

بِالسَّاقِ {29} إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ {30} القيامة 29-30  
فدل على نفس موجودة قائمة بنفسها تساق إلى ربها والعرض  
القائم بغيره لا يساق ولا بدن الميت فهذا نص في إثبات نفس  
تفارق البدن تساق إلى ربها كما نطقت بذلك الأحاديث  
المستفيضة في قبض روح المؤمن وروح الكافر ثم ذكر بعد  
هذا صفة الكافر بقوله مع هذا الوعيد الذي قدمه { فَلَا صَدَقَ  
وَلَا صَلَّى } {31} القيامة 31 وليس المراد أن كل نفس من هذه  
النفوس كذلك وكذلك سورة ق هي في ذكر وعيد  
القيامة ومع هذا قال فيها { وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا  
كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } ق19 ثم قال بعد ذلك { وَنُفِخَ فِي الصُّورِ  
ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ } ق20 فذكر القيامتين الصغرى والكبرى  
وقوله { وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ } ق19 أي جاءت بما  
بعد الموت من ثواب وعقاب وهو الحق الذي أخبرت به الرسل  
ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت فإن هذا مشهور لم  
ينازع فيه ولم يقل أحد إن الموت باطل حتى يقال جاءت بالحق  
وقوله { ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ } ق19 فلإنسان وإن كره  
الموت فهو يعلم أنه تلاقية ملائكته وهذا كقوله { وَاعْبُدْ رَبَّكَ  
حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ } الحجر 99 واليقين ما بعد الموت كما قال  
النبي أما عثمان بن مظعون فقد جاءه اليقين من ربه وإلا  
فنفس الموت مجرد عما بعده أمر مشهور لم ينازع فيه احد حتى  
يسمى يقينا وذكر عذاب القيامة والبرزخ معا في غير موضع  
ذكره في قصة آل فرعون فقال وحاق بآل فرعون سوء  
العذاب { وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } {45} النَّارُ يُعْرَضُونَ  
عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ  
الْعَذَابِ {46} غافر 45-46 وقال في قصة قوم نوح { مِمَّا  
خَطَبَيْنَاهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا  
} نوح 25 مع إخبار نوح لهم بالقيامة في قوله { وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ  
الْأَرْضِ نَبَاتًا } {17} ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا {18}  
نوح 17-18 وقد ذكرنا في غير موضع أن الرسل قبل محمد



أندروا بالقيامة الكبرى تكذيباً لمن نفى ذلك من المتفلسفة وقال  
 عن المنافقين { سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ  
 {التوبة 101} قال غير واحد من العلماء المرة الأولى في الدنيا  
 والثانية في البرزخ ثم يردون الى عذاب عظيم في الآخرة  
 وقال تعالى في الأنعام { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ  
 الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ  
 عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ  
 تَسْتَكْبِرُونَ {93} وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ  
 وَتَرْكَبْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ {94} الأنعام 93- 94 وهذه  
 صفة حال الموت وقوله

{ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ } الانعام 93 دل على وجود النفس التي  
 تخرج من البدن وقوله { الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ } الانعام  
 93 دل على وقوع الجزاء عقب الموت<sup>24</sup>

\*وأما ما أخبرت به الرسل من الغيب فليس هو معقولا مجردا  
 في النفس ولا هو موجود في الخارج لا يحس به بحال بل هو  
 مما يحس به كما أخبرت بالملائكة والجن وغير ذلك وكل ذلك  
 مما يجوز رؤيته والإحساس به وكذلك ما أخبرت به من  
 الجنة والنار هو مما يحس به وكذلك الرب تبارك وتعالى وتقدس  
 وتعظم تجوز رؤيته بل يرى بالأبصار في الآخرة في عرصات  
 القيامة وفي الجنة كما تواترت بذلك النصوص عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من الصحابة  
 والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين ولهذا فرقت الرسل  
 بين هذا وذاك فإن هذا شهادة أي مشهود لنا محسوس الآن وذاك  
 غيب أي غائب عنا الآن لا نشهده وهذا فرق إضافي باعتبار  
 حالنا في شهوده الآن وعدم شهوده فإذا صار الغيب شهادة

<sup>24</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 264-271

وشهدنا ما كانت الرسل أخبرت به وكان غيبا عنا وقال  
 تعالى { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ  
 وَلَمْ يُوْح إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ  
 الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا  
 أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ  
 الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ } الأنعام 93 وقال { وَلَقَدْ  
 جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ  
 ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ  
 لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } الأنعام 94<sup>25</sup>

### الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله

\*فمحبة الله ورسوله وعباده المتقين تقتضى فعل محبوباته وترك  
 مكروهاته والناس يتفاضلون فى هذا تفاضلا عظيما فمن كان  
 اعظم نصيبا من ذلك كان أعظم درجة عند الله واما من احب  
 شخصا لهواه مثل ان يحبه لدنيا يصيبها منه او لحاجة يقوم له بها  
 او لمال يتاكله به او بعصبية فيه ونحو ذلك من الاشياء فهذه  
 ليست محبة لله بل هذه محبة لهوى النفس وهذه المحبة هى التى  
 توقع اصحابها فى الكفر والفسوق والعصيان وما اكثر من  
 يدعى حب مشائخ الله ولو كان يحبهم الله لاطاع الله الذى احبهم  
 لاجله فان المحبوب لاجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك  
 الغير وكيف يحب شخصا لله من لا يكون محبا لله وكيف يكون  
 محبا لله من يكون معرضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وسبيل الله وما أكثر من يحب شيوخا أو ملوكا وغيرهم فيتخذهم  
 اندادا يحبهم كحب الله والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله  
 ظاهرة فاهل الشرك يتخذون اندادا يحبونهم كحب الله والذين  
 امنوا اشد حبا لله واهل الايمان يحبون وذلك ان اهل الايمان  
 اصل حبهم هو حب الله ومن احب الله احب من يحبه الله ومن

<sup>25</sup>الصفدية ج: 2 ص: 286

احبه الله احب الله فمحبوب المحبوب محبوب الله يحب الله فمن  
احب الله احبه الله فيحب من احب الله واما اهل الشرك  
فيتخذون اندادا وشفعاء يدعونهم من دون الله قال الله تعالى  
{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ  
وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ  
شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } الأنعام 94  
وقال الله تعالى { وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ  
تُرْجَعُونَ } {22} أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرَدِّنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا  
تُغْنِي عَنِّي شُفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ {23} إِنْي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ  
مُّبِينٍ {24} إِنْي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ {25} يس 22-25 <sup>26</sup>

### ان الأمر يومئذ لله

\*فان الأمر يومئذ لله هو {يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ  
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ } الانفطار 19 وكما قال تعالى {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى  
كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى  
مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ  
وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } الأنعام 94 <sup>27</sup>

\*كقوله تعالى { لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا } {94} وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ فَرْدًا {95} مريم 94-95 فذكر أنه يأتي منفردا <sup>28</sup>

### الشفاعة المنفية في القرآن

\*ان الله سبحانه وتعالى نفى الشفاعة التي يثبتها أهل الشرك  
ومن شابههم من أهل البدع من أهل الكتاب والمسلمين الذين  
يظنون أن للخلق عند الله من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه كما

<sup>26</sup>مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 317

<sup>27</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 101

<sup>28</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 44

يشفع الناس بعضهم عند بعض فيقبل المشفوع اليه شفاعه شافع  
لحاجته اليه رغبة ورهبة وكما يعامل المخلوق المخلوق  
بالمعاوضة فالمشركون كانوا يتخذون من دون الله شفعا من  
الملائكة والأنبياء والصالحين ويصورون تماثيلهم فيستشفعون  
بها ويقولون هؤلاء خواص الله فنحن نتوسل الى الله بدعائهم  
وعبادتهم ليشفعا لنا كما يتوسل الى الملوك بخواصهم لكونهم  
أقرب الى الملوك من غيرهم فيشفعون عند الملوك بغير إذن  
الملوك وقد يشفع أحدهم عند الملك فيما لا يختاره فيحتاج الى  
إجابة شفاعته رغبة ورهبة **فأنكر الله هذه الشفاعه فقال تعالى**  
**{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ**  
**وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ**  
**شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ {الأنعام 94}**  
وقال تعالى { وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَّا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ  
وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي  
السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ {18}  
يونس 18 فهذه الشفاعه التي أثبتها المشركون للملائكة  
والأنبياء والصالحين حتى صوروا تماثيلهم وقالوا استشفاعنا  
بتماثيلهم استشفاع بهم وكذلك قصدوا قبورهم وقالوا نحن نستشفع  
بهم بعد مماتهم ليشفعا لنا الى الله وصوروا تماثيلهم فعبدوهم  
كذلك وهذه الشفاعه أبطلها الله ورسوله ودم المشركين عليها  
وكفرهم بها قال الله تعالى عن قوم نوح {وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ إِلَهَتَكُمْ  
وَلَا تَدْرُنَّ وِدًّا وَلَا سُوعَاءً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا {23} وَقَدْ  
أَضَلُّوا كَثِيرًا {24} نوح 23-24 قال ابن عباس وغيره  
هؤلاء قوم صالحون كانوا في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على  
قبورهم ثم صوروا تماثيلهم فعبدوهم وهذا مشهور في كتب  
التفسير والحديث وغيرها كالبخارى وغيره وهذه أبطلها النبي  
وحسم مادتها وسد ذريعتها حتى لعن من إتخذ قبور الأنبياء  
والصالحين مساجد يصلى فيها وإن كان المصلى فيها لا يستشفع  
بهم ونهى عن الصلاة الى القبور وأرسل على بن أبى طالب

فأمره أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه ولا تمثالاً إلا طمسه ومحاه  
ولعن المصورين وعن أبي الهياج الأسدي قال لى على بن أبي  
طالب لأبعثك على ما بعثنى رسول الله ألا تدع تمثالاً إلا  
طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته وفى لفظ ولا صورة إلا  
طمستها أخرجه مسلم<sup>29</sup>

\* فالشفاعة المنفية فى القرآن كقوله تعالى { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ  
يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ  
شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا  
نَعْمَلُ } الأعراف 53 وأمثال ذلك واحتج بكثير من الخوارج  
والمعتزلة على منع الشفاعة لأهل الكبائر إذ منعوا أن يشفع لمن  
يستحق العذاب أو أن يخرج من النار من يدخلها ولم ينفوا  
الشفاعة لأهل الثواب فى زيادة الثواب ومذهب سلف الأمة  
وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر  
والقول بأنه يخرج من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان  
وأيضاً فالأحاديث المستفيضة عن النبى فى الشفاعة فيها استشفاع  
أهل الموقف ليقضى بينهم وفيهم المؤمن والكافر وهذا فيه وع  
شفاعة للكفار وأيضاً فى الصحيح عن العباس بن عبد المطلب  
أنه قال يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه يحوطك  
ويغضب لك قال نعم هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان  
فى الدرك الأسفل من النار وعن عبد الله بن الحارث قال  
سعت العباس يقول قلت يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك  
وينصرك فهل نفعه ذلك قال نعم وجدته فى غمرات من نار  
فأخرجته الى ضحضاح وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله  
عنه أن رسول الله ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه  
شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من النار يبلغ كعبيه

<sup>29</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 149-151

يغلى منه دماغه فهذا نص صحيح صريح لشفاعته في بعض الكفار أن يخفف عنه العذاب بل في أن يجعل أهون أهل النار عذابا كما في الصحيح أيضا عن ابن عباس أن رسول الله قال أهون أهل النار عذابا أبو طالب وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أدنى أهل النار عذابا منتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه وعنه قال قال رسول الله إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منها دماغه كما يغلى المرجل ما يرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا وهذا السؤال الثاني يضعف جواب من تأول نفى الشفاعة على الشفاعة للكفار وإن الظالمين هم الكافرون فيقال الشفاعة المنفية هي الشفاعة المعروفة عند الناس عند الإطلاق وهي أن يشفع الشفيع الى غيره ابتداء فيقبل شفاعته فأما إذا أذن له في أن يشفع فشفع لم يكن مستقلا بالشفاعة بل يكون مطيعا له أى تابعا له فى الشفاعة وتكون شفاعته مقبولة ويكون الأمر كله للأمر المسؤل وقد ثبت بنص القرآن فى غير آية أن أحدا لا يشفع عنده إلا بإذنه كما قال تعالى { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقال { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } طه 109 وقال { وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } الأنبياء 28 وأمثال ذلك والذي يبين أن هذه هي الشفاعة المنفية أنه قال { وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مَن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } الأنعام 51 وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } السجدة 4 فأخبر أنه ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع وأما نفى الشفاعة بدون إذنه فإن الشفاعة إذا كانت

بإذنه لم تكن من دونه كما أن الولاية التي بإذنه ليست من دونه  
كما قال تعالى { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ  
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ } {55} وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } {56} المائدة 55-  
56 وأيضا فقد قال { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُ أَوْلُوا  
كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ } الزمر 43 { أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ  
اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلُ أَوْلُوا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ } {43} قُلْ لِلَّهِ  
الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } {44}  
الزمر 43-44 فذم الذين اتخذوا من دون الله شفعا وأخبر أن  
الله الشفاعة جميعا فعلم أن الشفاعة منتفية عن غيره إذ لا يشفع  
أحد الا بإذنه وتلك فهي له وقد قال { وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ  
أَنْتَبِتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } يونس 18 يوضح ذلك أنه نفى يؤمئذ  
الخلعة بقوله { مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةَ وَلَا  
شَفَاعَةَ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ } البقرة 254 ومعلوم أنه إنما  
نفى الخلعة المعروفة ونفعها المعروف كما ينفع الصديق الصديق  
في الدنيا كما قال { وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ } {17} ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ  
مَا يَوْمُ الدِّينِ } {18} يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ  
لِلَّهِ } {19} الانفطار 17-19 وقال { لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } {15}  
يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ  
الْوَّاحِدِ الْقَهَّارِ } {16} غافر 16 لم ينف أن يكون في الآخرة  
خلعة نافعة بإذنه فإنه قد قال { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ  
بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } {66} الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ  
إِلَّا الْمُتَّقِينَ } {67} يَا عِبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ  
تَحْزَنُونَ } {68} الزخرف 66-68 الآيات وقد قال النبي يقول  
الله تعالى حقت محبتي للمتحابين في ويقول الله تعالى  
أين المتحابون بجلالي اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي  
فتعين أن الأمر كله عائد الى تحقيق التوحيد وأنه لا ينفع أحد ولا

يضر الا باذن الله وأنه لا يجوز أن يعبد أحد غير الله ولا يستعان به من دون الله وأنه يوم القيامة يظهر لجميع الخلق أن الأمر كله لله ويتبرأ كل مدع من دعواه الباطلة فلا يبقى من يدعى لنفسه معه شركا في ربوبيته أو الهيته ولا من يدعى ذلك لغيره بخلاف الدنيا فإنه وإن لم يكن رب ولا اله الا هو فقد اتخذ غيره ربا والها وادعى مدعون وفي الدنيا يشفع الشافع عند غيره وينتفع بشفاعته وإن لم يكن أذن له في الشفاعة ويكون خليله فيعينه ويفتدى نفسه من الشر فقد ينتفع بالنفوس والأموال في الدنيا والنفوس ينتفع بها تارة بالإستقلال وتارة بالإعانة وهي الشفاعة والأموال بالفداء فنفى الله هذه الأقسام الثلاثة قال تعالى {لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ} البقرة 48 وقال {لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ} البقرة 254 كما قال {لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنِ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا} لقمان 33 فهذا هذا والله أعلم وعاد ما نفاه الله من الشفاعة الى تحقيق أصلى الإيمان وهي الإيمان بالله وباليوم الآخر التوحيد والمعاد كما قرن بينهما في مواضع كثيرة كقوله {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} البقرة 8 وقوله {الَّذِينَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} البقرة 156 وقوله {مَا خَلَفْتُمْ وَلَا بَعْتُمْ إِلَّا كَفْسًا وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} لقمان 28 وقوله {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} البقرة 28 وأمثال ذلك<sup>30</sup>

### الشرك وسائر البدع مبناها على الكذب

\*والله سبحانه يقرن في كتابه بين الشرك والكذب كما يقرن بين الصدق والإخلاص ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عدلت شهادة الزور بالإشراك بالله مرتين ثم قرأ قول الله تعالى {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ

<sup>30</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 116-120



الرُّورِ {30} حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ {31} الحج 30-31  
 وقال تعالى {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ  
 مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ  
 أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ  
 {الأنعام 94} والشرك وسائر البدع مبناها على الكذب والافتراء  
 ولهذا فإن كل من كان عن التوحيد والسنة أبعد كان إلى الشرك  
 والابتداع والافتراء أقرب كالرافضة الذين هم أكذب طوائف أهل  
 الأهواء وأعظمهم شركا فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم  
 ولا أبعد عن التوحيد حتى إنهم يخربون مساجد الله التي يذكر  
 فيها اسمه فيعطلونها عن الجمعات والجماعات ويعمرون  
 المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن  
 اتخاذها والله سبحانه في كتابه إنما أمر بعمارة المساجد لا  
 المشاهد<sup>31</sup>

### الشرك أن تجعل لغيره شركا أو نصيبا في عبادتك وتوكلك وإستعانتك

\*وتوحيد الله وإخلاص الدين له في عبادته وإستعانته في القرآن  
 كثير جدا بل هو قلب الإيمان وأول الإسلام وآخره كما قال النبي  
 صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا  
 إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال إني لأعلم كلمة لا  
 يقولها عند الموت أحد إلا وجد روحه لها روحا وقال من  
 كان آخر كلامه لا إله إلا الله وجبت له الجنة وهو قلب الدين  
 والإيمان وسائر الأعمال كالجوارح له وقول النبي إنما  
 الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرى ما نوى فمن كانت هجرته الى  
 الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا  
 يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فبين بهذا  
 أن النية عمل القلب وهى أصل العمل وإخلاص الدين لله وعبادة

<sup>31</sup>اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 391

الله وحده ومتابعة الرسول فيما جاء به هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وهو دين الإسلام العام الذي بعث الله به جميع الرسل كما قال تعالى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل 36 وقال النبي لمعاذ بن جبل يا معاذ أتدرى ما حق الله على عباده قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن لا يعذبهم وقال لابن عباس إذا سألت فاسئل الله وإذا استعنت فاستعن بالله {أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونَ} يس 23 فالعبادة والإستعانة وما يدخل فى ذلك من الدعاء والإستغاثة والخشية والرجاء والإنابة والتوكل والتوبة والإستغفار كل هذا لله وحده لا شريك له فالعبادة متعلقة بألوهيته والإستعانة متعلقة بربوبيته والله رب العالمين لا إله إلا هو ولا رب لنا غيره لا ملك ولا نبي ولا غيره بل أكبر الكبار الإشراك بالله وأن تجعل له ندا وهو خلقك والشرك أن تجعل لغيره شركا أو نصيبا فى عبادتك وتوكلك وإستعانتك كما قال من قال { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } الزمر 3 وكما قال تعالى { وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شَفَعَاءَ كُفَّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } الأنعام 94

32

\*فإن المشركين لم يكن أحد منهم يقول إن العالم له خالقان ولا إن الله معه إله يساويه فى صفاته هذا لم يقله أحد من المشركين بل كانوا يقولون بأن خالق السموات والأرض واحد كما أخبر الله عنهم بقوله { قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } {85} قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ

<sup>32</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 74

وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ {87} قُلْ  
 مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ {89}  
 المؤمنون 84-89 وكانوا يتخذون آلهتهم وسائط تقربهم إلى الله  
 زلفى وتشفع لهم كما قال تعالى {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا  
 خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى  
 مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ  
 وَصَلَ عَنكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ {الأنعام 94} 33

\*أن الشرك نوعان شرك في ربوبيته بأن يجعل لغيره معه تدبير  
 إما كما قال سبحانه {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا  
 يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا  
 مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ {سبأ 22} فبين أنهم لا يملكون  
 مثقال ذرة استقلالاً ولا يشركونه في شيء من ذلك ولا يعينونه  
 على ملكه ومن لم يكن مالكا ولا شريكا ولا عوناً فقد انقطعت  
 علاقته وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره دعاء عبادة أو  
 دعاء مسألة كما قال تعالى {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة  
 فكما أن إثبات المخلوقات أسباب لا تقدر في توحيد الربوبية ولا  
 تمنع أن الله خالق كل شيء ولا توجب أن يدعي مخلوق دعاء  
 عبادة أو دعاء استغاثة كذلك إثبات بعض الأفعال المحرمة من  
 شرك أو غيره أسبابا لا يقدر في توحيد الإلهية ولا يمنع أن يكون  
 الله هو الذي يستحق الدين الخالص ولا يوجب أن تستعمل  
 الكلمات والأفعال التي فيها شرك إذ كان الله يسخط ذلك ويعاقب  
 العبد عليه وتكون مضرة ذلك على العبد أكثر من منفعته إذ قد  
 جعل الله الخير كله في أنا لا نعبد إلا إياه ولا نستعين إلا إياه  
 وعامة آيات القرآن تثبت هذا الأصل الأصيل حتى إنه سبحانه  
 قطع أثر الشفاعة بدون إذنه كقوله سبحانه {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى

<sup>33</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 443

كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى  
 مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ  
 وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ { الأنعام 94 } وسورة الأنعام  
 سورة عظيمة مشتملة على أصول الإيمان والتوحيد<sup>34</sup>

### حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها

\* أن الجسد إذا صح من مرضه قيل قد اعتدل مزاجه والمرض  
 إنما هو انحراف المزاج مع أن الاعتدال المحض السالم من  
 الأخلاط لا سبيل إليه ولكن الأمثل فالأمتل فهكذا صحة القلب  
 وصلاحه في العدل ومرضه من الزيغ والظلم والانحراف  
 وأعظم القسط عبادة الله وحده لا شريك له ثم العدل على الناس  
 في حقوقهم ثم العدل على النفس و الظلم ثلاثة أنواع والظلم كله  
 من أمراض القلوب والعدل صحتها وصلاحها قال أحمد بن حنبل  
 لبعض الناس لو صححت لم تخف أحدا أي خوفك من المخلوق  
 هو من مرض فيك كمرض الشرك والذنوب وأصل صلاح القلب  
 هو حياته واستنارته لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها  
 وظلمتها في غير موضع قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى  
 يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَالِي  
 تُوَفِّكُونَ } الأنعام 95 ومن أنواعه أن يخرج المؤمن من الكافر  
 والكافر من المؤمن وفي الحديث الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه  
 والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت وفي الصحيح  
 أيضا اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذها قبورا<sup>35</sup>

### القدرة التي تبهر العقول

\* وهذا هو القدرة التي تبهر العقول وهو أن يقلب حقائق  
 الموجودات فيحيل الأول ويفنيه ويلاشيه ويحدث شيئا آخر كما

<sup>34</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 357

<sup>35</sup> أمراض القلوب ج: 1 ص: 8

قال { إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ  
وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } الأنعام 95  
ويخرج الشجرة الحية والسنبلة الحية من النواة والحببة الميتة  
ويخرج النواة الميتة والحببة الميتة من لشجرة والسنبلة الحية كما  
يخرج الانسان الحي من النطفة الميتة والنطفة الميتة من الانسان  
الحي<sup>36</sup>

### انكار بعض الناس ان يكون شىء من حركات الكواكب وغيرها من الاسباب فهو أيضا قول بلا علم

\* (هنا فيه نقص في البداية) قال تعالى { فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ  
اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ  
} الأنعام 96 وأما انكار بعض الناس ان يكون شىء من حركات  
الكواكب وغيرها من الاسباب فهو أيضا قول بلا علم وليس له  
في ذلك دليل من الأدلة الشرعية و لا غيرها فان النصوص تدل  
على خلاف ذلك كما في الحديث الذى فى السنن عن عائشة  
رضى الله عنها ان النبى نظر الى القمر فقال يا عائشة  
تعوذى بالله من شر هذا فهذا الغاسق اذا وقب وكما تقدم فى  
حديث الكسوف حيث اخبر ان الله يخوف بهما عباده  
وقد تبين أن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم لا يخسفان  
لموت احد ولا لحياته اى لا يكون الكسوف معللا بالموت فهو  
نفى العلة الفاعلة كما فى الحديث الآخر الذى فى صحيح مسلم  
عن ابن عباس عن رجال من الانصار انهم كانوا عند النبى اذ  
رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون لهذا فى الجاهلية  
فقالوا كنا نقول ولد الليلة عظيم او مات عظيم فقال انه لا  
يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن الله اذا قضى بالأمر سبح

<sup>36</sup>النبوات ج: 1 ص: 63

حملة العرش وذكر الحديث فى مسترق السمع ففى النبى أن يكون الرمى بها لأجل انه قد ولد عظيم او مات عظيم بل لأجل الشياطين المسترقين السمع فى كلا الحديثين من ان موت الناس وحياتهم لا يكون سببا لكسوف الشمس والقمر ولا الرمى بالنجم وإن كان موت بعض الناس قد يقتضى حدوث أمر فى السموات كما ثبت فى الصحاح ان العرش عرش الرحمن اهتز لموت سعد ابن معاذ واما كون الكسوف او غيره قد يكون سببا لحادث فى الأرض من عذاب يقتضى موتا او غيره فهذا قد اثبتته الحديث نفسه وما أخبر به النبى لا ينافى لكون الكسوف له وقت محدود يكون فيه حيث لا يكون كسوف الشمس الا فى اخر الشهر ليلة السرار ولا يكون خسوف القمر الا فى وسط الشهر وليالى الابدان ومن ادعى خلاف ذلك من المتفقهة او العامة فلعدم علمه بالحساب ولهذا يمكن المعرفة بما مضى من الكسوف وما يستقبل كما يمكن المعرفة بما مضى من الأهلة وما يستقبل إذ كل ذلك بحساب كما قال تعالى { **وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا** } الأنعام 96 وقال تعالى { **الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ** } الرحمن 5 وقال تعالى { **هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ** } يونس 5 وقال { **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** } البقرة 189 ومن هنا صار بعض العامة اذا رأى المنجم قد اصاب فى خبره عن الكسوف المستقبل يظن ان خبره عن الحوادث من هذا النوع فان هذا جهل اذ الخبر الأول بمنزلة اخباره بان الهلال يطلع اما ليلة الثلاثين واما ليلة إحدى وثلاثين فان هذا امر اجرى الله به العادة لا يخرم ابدا وبمنزلة خبره ان الشمس تغرب آخر النهار وأمثال ذلك فمن عرف منزلة الشمس والقمر ومجاريهما علم ذلك وان كان ذلك علما قليل المنفعة <sup>37</sup>

<sup>37</sup>مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 183

## أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع

\* قال تعالى { فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } الأنعام 96 وقد أخبر سبحانه بخلقه الزمان في غير موضع كقوله { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ } الأنعام 1 وقوله { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33 وقوله { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا } الفرقان 62 وقوله { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ } آل عمران 190<sup>38</sup>

\* قوله تعالى { وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا } الأنعام 96 وقوله { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } الرحمن 5 فقد قيل هو من الحساب وقيل بحسبان كحسبان الرحا وهو دوران الفلك فان هذا مما لا خلاف فيه بل قد دل الكتاب والسنة وأجمع علماء الامة على مثل ما عليه اهل المعرفة من اهل الحساب من ان الافلاك مستديرة لا مسطحة<sup>39</sup>

\* الخسوف والكسوف لهما أوقات مقدرة كما لطلوع الهلال وقت مقدر وذلك ما أجرى الله عادته بالليل والنهار والشتاء والصيف وسائر ما يتبع جريان الشمس والقمر وذلك من آيات الله تعالى كما قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } الأنبياء 33 وقال تعالى { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ } يونس 5 وقال تعالى { الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ } الرحمن 5 وقال تعالى { فَالِقَ الْإِصْبَاحِ }

<sup>38</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 345

<sup>39</sup>مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 143

**وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {الأنعام 96} تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِبَتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ {البقرة 189} وقال تعالى {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ {التوبة 36} وقال تعالى وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلَمُونَ {37} وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {38} وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ {39} لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ {40} يس 37-40} وكما أن العادة التي أجزاها الله تعالى أن الهلال لا يستهل الا ليلة ثلاثين من الشهر أو ليلة احدى وثلاثين وان الشهر لا يكون الا ثلاثين أو تسعة وعشرين فمن ظن أن الشهر يكون أكثر من ذلك أو أقل فهو غلط فكذلك أجرى الله العادة أن الشمس لا تكسف الا وقت الاستسرار وأن القمر لا يخسف الا وقت الابدار ووقت إيداره هي الليالي البيض التي يستحب صيام أيامها ليلة الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فالقمر لا يخسف الا في هذه الليالي والهلال يستسر آخر الشهر اما ليلة واما ليلتين كما يستسر ليلة تسع وعشرين وثلاثين والشمس لا تكسف الا وقت استساراه وللشمس والقمر ليالي معتادة من عرفها عرف الكسوف والخسوف كما أن من علم كم مضى من الشهر يعلم أن الهلال يطلع في الليلة الفلانية أو التي قبلها لكن العلم بالعادة في الهلال علم عام يشترك فيه جميع الناس وأما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف فانما يعرفه من يعرف حساب جريانهما وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب ولا من باب ما يخبر به من الأحكام التي يكون كذبه فيها أعظم من صدقه فإن ذلك قول بلا علم ثابت وبناء على غير أصل صحيح وفي سنن أبي داود عن النبي انه قال من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد وفي صحيح مسلم عن**



النبي انه قال من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم يقبل الله صلاته أربعين يوماً والكهان أعلم بما يقولونه من المنجمين في الأحكام ومع هذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن اتيانهم و مسألتهم فكيف بالمنجم وقد بسطنا هذا في غير هذا الموضوع عن هذا الجواب<sup>40</sup>

## الحكمة من اعتبار الشهر والعام الهلالي دون الشمسي

\* قوله {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} يونس 5 وقوله {وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} الأنعام 96 وقوله {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} الرحمن 5 وقوله {وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} يس 39 وقوله {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} البقرة 189 دليل على توقيت ما فيها من التوقيت من التوقيت للسنين والحساب فقوله {لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} يونس 5 أن علق بقوله {وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ} يونس 5 كان الحكم مختصاً بالقمر وإن اعيد إلى أول الكلام تعلق بهما ويشهد للأول قوله في الأهلة فإنه موافق لذلك ولأن كون الشمس ضياءً والقمر نورا لا يوجب علم عدد السنين والحساب بخلاف تقدير القمر منازل فإنه هو الذي يقتضى علم عدد السنين والحساب ولم يذكر انتقال الشمس في البروج ويؤيد ذلك قوله {إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ} التوبة 36 الآية فإنه نص على أن السنة هلالية وقوله {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ} البقرة 197 يؤيد ذلك لكن يدل على الآخر قوله {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} الإسراء 12 وهذا والله أعلم لمعنى تظهر به حكمة ما في الكتاب وما جاءت به الشريعة من

اعتبار الشهر والعام الهلالي دون الشمسي ان كل ما حد من الشهر والعام ينقسم في اصطلاح الأمم إلى عددي وطبيعي فأما الشهر الهلالي فهو طبيعي وسنته عددية وأما الشهر الشمسي فعددي وسنته طبيعة فأما جعل شهرنا هلاليا فحكمته ظاهرة لأنه طبيعي وإنما علق بالهلال دون الإجتماع لأنه أمر مضبوط بالحس لا يدخله خلل ولا يفتقر إلى حساب بخلاف الإجتماع فإنه أمر خفي يفتقر إلى حساب وبخلاف الشهر الشمسي لو ضبط وأما السنة الشمسية فإنها وإن كانت طبيعية فهي من جنس الإجتماع ليس أمرا ظاهرا للحس بل يفتقر إلى حساب سير الشمس في المنازل وإنما الذي يدركه الحس تقريبا ذلك فإن انقضاء الشتاء ودخول الفصل الذي تسميه العرب الصيف ويسميه غيرها الربيع أمر ظاهر بخلاف محاذاة الشمس لجزء من أجزاء الفلك يسمى برج كذا أو محاذاتها لاحدى نقطتى الرأس أو الذنب فإنه يفتقر إلى حساب ولما كانت البروج اثني عشر فمتى تكرر الهلالي اثني عشر فقد انتقل فيها كلها فصار ذلك سنة كاملة تعلقت به أحكام ديننا من المؤقتات شرعا أو شرطا إما بأصل الشرع كالصيام والحج وإما بسبب من العبد كالعدة ومدة الإيلاء وصوم الكفارة والنذر وإما بالشرط كالأجل في الدين والخيار والإيمان وغير ذلك<sup>41</sup>

### {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ }

\*قال الله تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ } الأنعام 97 وقال تعالى { وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } النحل 16 وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق في رواية عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون في بركم وبحركم ثم امسكوا رواه حرب و عن علي رضي الله عنه قال ايها الناس

<sup>41</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 58-60

اياكم و تعلم النجوم الا ما تهتدون بها في ظلمات البر و البحر  
رواه أبو حفص و لذلك استحسنا احمد معرفة منازل القمر و ان  
يتعلم بها كم مضى من الليل و كم بقي و ذكر أنه تعلمها من اهل  
مكة<sup>42</sup>

{ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا  
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } الانعام 98

### الرد على أقوال الفلاسفة

\* لما صار كثير من أهل النظر كالرازي وأمثاله ليس عندهم إلا  
قول الجهمية والقدرية والفلاسفة تجدهم في تفسير القرآن وفي  
سائر كتبهم يذكرون أقوالا كثيرة متعددة كلها باطلة لا يذكرون  
الحق مثل تفسيره للهلال وقد قال تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ  
هِيَ مَوَاقِبَتٌ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ } البقرة 189 فذكر قول أهل الحساب  
فيه وجعله من أقوال الفلاسفة وذكر قول الجهمية الذين يقولون  
إن القادر المختار يحدث فيه الضوء بلا سبب أصلا ولا لحكمة  
وكذلك إذا تكلم في المطر يذكر قول أولئك الذين يجعلونه حاصلًا  
عن مجرد البخار المتصاعد والمنعقد في الجو وقول من يقول إنه  
أحدثه الفاعل المختار بلا سبب ويذكر قول من يقول إنه نزل من  
الأفلاك وقد يرجح هذا القول في تفسيره ويجزم بفساده في  
موضع آخر وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين  
لهم بإحسان ولا أئمة المسلمين بل سائر أهل العلم من المسلمين  
من السلف والخلف يقولون إن المطر نزل من السحاب ولفظ  
السماء في اللغة والقرآن اسم لكل ما علا فهو اسم جنس للعالي لا  
يتعين في شيء إلا بما يضاف إلى ذلك وقد قال { فَلْيَمْدُدْ  
بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ } الحج 15 وقال { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ

<sup>42</sup> شرح العمدة ج: 4 ص: 552

مَاءَ {الأنعام 99} وقال {أَأْمِنْتُمْ مِّنَ السَّمَاءِ} الملك 16 والمراد بالجميع العلو ثم يتعين هنا بالسقف ونحوه وهنا بالسحاب وهناك بما فوق العالم كله فقوله { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } الأنعام 99 أي من العلو مع قطع النظر عن جسم معين لكن قد صرح في موضع آخر بنزوله من السحاب كما قي قوله { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } {68} { أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ } {69} الواقعة 68-69 والمزن السحاب وقوله { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ } النور 43 والودق المطر وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنثِيرُ سَحَابًا فَيُبْسِطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ } الروم 48 فأخبر سبحانه أنه يبسط السحاب في السماء وهذا مما يبين أنه لم يرد بالسماء هنا الأفلاك فإن السحاب لا يبسط في الأفلاك بل الناس يشاهدون السحاب يبسط في الجو وقد يكون الرجل في موضع عال إما على جبل أو على غيره والسحاب يبسط أسفل منه وينزل منه المطر والشمس فوقه والرازي لا يثبت على قول واحد بل هو دائما ينصر هنا قولاً وهناك ما يناقضه لأسباب تقتضي ذلك وكثير من الناس يفهمون من القرآن ما لا يدل عليه وهو معنى فاسد ويجعلون ذلك يعارض العقل وقد بينا في مصنف مفرد درء تعارض العقل والنقل وذكرنا فيه عامة ما يذكرون من العقليات في معارضة الكتاب والسنة وبيننا أن التعارض لا يقع إلا إذا كان ما سمي معقولا فاسدا وهذا هو الغالب على كلام أهل البدع أو أن يكون ما أضيف إلى الشرع ليس منه إما حديث موضوع وإما فهم فاسد من نص لا يدل عليه وإما نقل إجماع باطل ومن هذا كثير من الناس ذم الأحكام النجومية ولا ريب أنها مذمومة بالشرع مع العقل وأن الخطأ فيها أضعاف الصواب وأن من اعتمد عليها في تصرفاته وأعرض عما أمر الله به ورسوله خسر الدنيا والآخرة لكن قد يردونها على طريقة الجهمية ونحوهم بأن يدعوا أنه لا أثر لشيء من

العلويات في السفليات أصلاً إما على طريقة الجهمية لكن تلك لا تنفي العادات الإقترانية وإن لم تثبت سبباً ومسبباً وحكمة وإما بناء على نفي العادة في ذلك ثم قد ينازعون في استدارة الأفلاك ويدعون شكلاً آخر وقد بينا في جواب المسائل التي سئلت عنها في ذلك أن الأفلاك مستديرة عند علماء المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان كما ثبت ذلك عنهم بالأسانيد المذكورة في موضعها بل قد نقل إجماع المسلمين على ذلك غير واحد من علماء المسلمين الذين هم من أخبر الناس بالمنقولات كأبي الحسين بن المنادى أحد أكابر الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد وله نحو أربعمئة مصنف وأبي محمد بن حزم الأندلسي وأبي الفرج بن الجوزي وقد دل ذلك على الكتاب والسنة كما قد بسط في الإحاطة وغيرها وكذلك المطر معروف عند السلف والخلف بأن الله تعالى يخلقه من الهواء ومن البخار المتصاعد لكن خلقه للمطر من هذا كخلق الإنسان من نطفة وخلقه للشجر والزرع من الحب والنوى فهذا معرفة بالمادة التي خلق منها ونفس المادة لا توجب ما خلق منها باتفاق العقلاء بل لا بد مما به يخلق تلك الصورة على ذلك الوجه وهذا هو الدليل على القادر المختر الحكيم الذي يخلق المطر على قدر معلوم وقت الحاجة إليه والبلد الجرز يسوق إليه الماء من حيث أمطر كما قال { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ } السجدة 27 فالأرض الجرز لا تمطر ما يكفيها كأرض مصر لو أمطرت المطر المعتاد لم يكفها فإنها أرض إبليز وإن أمطرت كثيراً مثل مطر شهر خربت المساكن فكان من حكمة الباري ورحمته أن أمطر مطراً أرضاً بعيدة ثم ساق ذلك الماء إلى أرض مصر فهذه الآيات يستدل بها على علم الخالق وقدرته ومشينته وحكمته وإثبات المادة التي خلق منها المطر والشجر والإنسان والحيوان مما يدل على حكمته ونحن لا نعرف شيئاً قط خلق إلا من مادة ولا أخبر الله في كتابه بمخلوق إلا من مادة

وكذلك كون كسوف الشمس وغيره سببا لبعض الحوادث هو مما دلت عليه النصوص الصحيحة ففي الصحاح من غير وجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله عز وجل يخوف الله بهما عباده فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة وقد ثبت عنه في الصحاح أنه صلى صلاة الكسوف بركوع زائد في كل ركعة وأنه طولها تطويلا لم يطوله في شيء من صلوات الجماعات وأمر عند الكسوف بالصلاة والذكر والدعاء والعتاقة والصدقة والإستغفار وقوله يخوف الله بهما عباده كقوله تعالى { وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } الإسراء 59 ولهذا كانت الصلوات مشروعة عند الآيات عموما مثل تناثر الكواكب والزلزلة وغير ذلك والتخويف إنما يكون بما هو سبب للشر المخوف كالزلزلة والرياح العاصف وإلا فما وجوده كعدمه لا يحصل به تخويف فعلم أن الكسوف سبب للشر ثم قد يكون عنه شر ثم القول فيه كالقول في سائر الأسباب هل هو سبب كما عليه جمهور الأمة أو هو مجرد اقتران عادة كما يقوله الجهمية وهو صلى الله عليه وسلم أخبر عند أسباب الشر بما يدفعها من العبادات التي تقوي ما انعقد سببه من الخير وتدفع أو تضعف ما انعقد سببه من الشر كما قال إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض<sup>43</sup>

### الله سبحانه خلق الأسباب والمسببات

\*ومن قال أن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسبابا أو أن وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد إقتران عادي كإقتران الدليل بالمدلول فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل ولم يجعل في

<sup>43</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 440-446

العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا فى القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ولا فى النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها وهؤلاء ينكرون ما فى الأجسام المطبوعة من الطبايع والغرائز قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس فى إبطال الأسباب والقوى والطبايع فأضحكوا العقلاء على عقولهم ثم أن هؤلاء لا ينبغى للإنسان أن يقول أنه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبعته عنده ورويت عنده فإن الله يخلق الشبع والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المقترنات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فإن الله تعالى يقول { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَاهُ لِيَلِدَ مِنِّي مَاءً فَأَنْزَلْنَاهُ فِيهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 الآية وقال تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ } البقرة 164 وقال تعالى { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ } التوبة 14 وقال { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْأُسْتَنْبِينَ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا } التوبة 52 وقال { وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ } ق 9 وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 99 وقال تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا } فاطر 27 وقال تعالى { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ } 10 { يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ } 11 { النحل 10-11 وقال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا } البقرة 26 إلى قوله { يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا } البقرة 26 وقال { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ } 15 { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ } 16 { المائدة 15-16 ومثل هذا فى القرآن كثير وكذلك فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم كقوله لا يموتن أحد

منكم إلا آذنتموني به حتى أصلي عليه فإن الله جعل بصلاتي عليه بركة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم إن هذه القبور مملوءة على أهلها ظلمة وإن الله جاعل بصلاتي عليهم نورا ومثل هذا كثير ونظير هؤلاء الذين أبطلوا الأسباب المقدرية في خلق الله من أبطل الأسباب المشروعة في أمر الله كالذين يظنون أن ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدرًا حصل بدون ذلك وإن لم يكن مقدرًا لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا للنبي أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا تعملوا فكل ميسر لما خلق له وفي السنن أنه قيل يا رسول الله أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقى وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئًا فقال هي من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الإلتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا تغيير في وجه العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سببًا لهذا فإذا قال القائل إن كان هذا مقدرًا حصل بدون السبب وإلا لم يحصل جوابه أنه مقدر بالسبب وليس مقدرًا بدون السبب كما قال النبي إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال أكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح قال فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون



بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فبين أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمله و يختم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمله و يختم له به كما قال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالخواتيم و ذلك لأن جميع الحسنات تحبب بالردة و جميع السيئات تغفر بالتوبة و نظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى و أحدث عمدا قبل كمال الصلاة بطل عمله و بالجملة فالذي عليه سلف الأمة و أئمتها ما بعث الله به رسله و أنزل كتبه فيؤمنون بخلق الله و أمره بقدره و شرعه بحكمه الكوني و حكمه الدينى و إرادته الكونية و الدينية كما قال فى الآية الأ و لى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125 و قال نوح عليه السلام { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ } هود 34 و قال تعالى فى الإرادة الدينية { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } البقرة 185 و قال { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } النساء 26 و قال { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ } المائدة 6 و هم مع إقرارهم بأن الله خالق كل شيء و ربه و مليكه و أنه خلق الأشياء بقدرته و مشيئته يقر و ن بأنه لا إله إلا هو لا يستحق العبادة غيره و يطيعونه و يطيعون رسله و يحبونه و يرجونه و يخشونه و يتكلمون عليه و ينيبون اليه و يوالون أولياءه و يعادون أعداءه و يقرون بحبته لما أمر به و لعباده المؤمنين و رضاه بذلك و بغضه لما أنهى عنه و للكافرين و سخطه لذلك و مقتله له و يقر و ن بما إستفاض عن النبی صلى الله عليه و سلم من أن الله أشد فرحا بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه و شرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة فلما إستيقظ إذا بدابته عليها طعامه و شرابه فالله أشد فرحا بت و بة عبده من هذا براحلته فه و إلهم الذي يعبدونه و

ربهم الذي يسألونه كما قال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ } {2} الفاتحة 2 إلى قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
 نَسْتَعِينُ } {5} الفاتحة 5 فهو المعبود المستعان والعبادة تجمع كمال  
 الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب  
 محبوبه 44

### { سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ }

\*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة  
 والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد  
 الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الايمان  
 بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى  
 الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا  
 تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو  
 السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا  
 يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا  
 يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له  
 ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه  
 أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه ثم  
 رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا  
 يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ  
 عَمَّا يُصِفُونَ } {180} { وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ } {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ } {182} الصافات 180- 182 فسيح نفسه عما  
 وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه  
 من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى  
 به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما  
 جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله  
 عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في

44 مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 137-141 و مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 80

هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل  
ثلث القرآن حيث يقول ( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ  
يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {4} الإخلاص 1-4<sup>45</sup>

\* وأصل دين المسلمين أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه في  
كتبه وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير  
تكبير ولا تمثيل بل يثبتون له تعالى ما أثبتته لنفسه ويفنون عنه  
ما نفاه عن نفسه ويتبعون في ذلك أقوال رسله ويجتنبون ما  
خالف أقوال الرسل كما قال تعالى

**{ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا**

**يَصِفُونَ { الأنعام 100** أي عما يصفه الكفار المخالفون للرسل

وقال تعالى { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ {180}

وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {182}

الصافات 181-182 { وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ {181} الصافات

181 لسلامة ما قالوه من النقص والعيب { وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ {182} الصافات 182 فالرسل وصفوا الله بصفات

الكمال ونزهوه عن النقائص المناقضة للكمال ونزهوه عن أن

يكون له مثل في شيء من صفات الكمال وأثبتوا له صفات

الكمال على وجه التفصيل ونفوا عنه التمثيل فأتوا بإثبات مفصل

ونفي مجمل فمن نفى عنه ما أثبتته لنفسه من الصفات كان

معطلا ومن جعلها مثل صفات المخلوقين كان ممثلا والمعطل

يعبد عدما والممثل يعبد صنما وقد قال تعالى { لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ { الشورى 11 وهو رد على الممثلة {

وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ { الشورى 11 وهو رد على المعطلة

46

\* فذكر نفسه بأنه الخالق ولم يصف قط شيئا من المخلوقات بهذا  
لا ملكا ولا نبيا ووصف نفسه بأنه رب العالمين وبأنه مالك يوم

<sup>45</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 7

<sup>46</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 405-406

الدين وأنه له الملك وله الحمد وأنه الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم ونحو ذلك من خصائص الربوبية ولم يصف شيئاً من مخلوقاته لا ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا بشيء من الخصائص التي يختص بها التي وصف بها نفسه سبحانه وتعالى<sup>47</sup>

### تقرير أصول الدين من مسائل التوحيد والصفات

\*ان أصول الدين إما أن تكون مسائل يجب إعتقادها قولاً أو قولاً وعملاً كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد أو دلائل هذه المسائل أما القسم الأول فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعدر إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين وبينه للناس وهو من أعظم ما أقام الله الحجة على عباده فيه بالرسول الذين بينوه وبلغوه وكتاب الله الذي نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه والحكمة التي هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي نقلوها أيضاً عن الرسول مشتملة من ذلك على غاية المراد وتمام الواجب والمستحب والحمد لله الذ بعث إلينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا الذي أنزل الكتاب تفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين { مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } يوسف 111 وإنما يظن عدم اشتمال الكتاب والحكمة على بيان ذلك من كان ناقصا في عقله وسمعه

<sup>47</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 45

ومن له نصيب من قول أهل الكتاب الذين قالوا {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ  
أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك 10 وإن كان ذلك  
كثيرا في كثير من المتفلسفة والمتكلمة وجهال أهل الحديث  
والمتفهمة والمتصوفة وأما القسم الثاني وهو دلائل هذه المسائل  
الأصولية فإنه وإن كان يظن طوائف من المتكلمين والمتفلسفة أن  
الشرع إنما يدل بطريق الخبر الصادق فدلالته موقوفة على العلم  
بصدق المخبر ويجعلون ما يبني عليه صدق المخبر معقولات  
محضة فقد غلطوا في ذلك غلطا عظيما بل ضلوا ضلالا مبينا  
في ظنهم أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد  
بل الأمر ما عليه سلف الأمة وأئمتها أهل العلم والإيمان من أن  
الله سبحانه وتعالى بين من الأدلة العقلية التي يحتاج إليها في  
العلم بذلك ما لا يقدر أحد من هؤلاء وقدره ونهاية ما يذكرونه  
جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه وذلك كالأمثال المضروبة  
التي يذكرها الله تعالى في كتابه التي قال فيها {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا  
لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} الروم 58 فإن الأمثال  
المضروبة وهي الأقيسة العقلية سواء كانت قياس شمول أو قياس  
تمثيل ويدخل في ذلك ما يسمونه براهين وهو القياس الشمولي  
المؤلف من المقدمات اليقينية وإن كان لفظ البرهان في اللغة أعم  
من ذلك كما سمى الله آيتي موسى برهانين ومما يوضح هذا أن  
العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيل يستوي في  
الأصل و الفرع ولا بقياس شمولي تستوي أفراده فإن الله سبحانه  
وتعالى ليس كمثله شيء فلا يجوز أن يمثل بغيره ولا يجوز أن  
يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها ولهذا لما سلك  
طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب  
الإلهية لم يصلوا بها إلى يقين بل تناقضت أدلتهم وغلب عليهم  
بعد التناهي الحيرة والاضطراب لما يرونه من فساد أدلتهم أو  
تكافئها ولكن يستعمل في ذلك قياس الأولى سواء كان تمثيلا أو  
شمولا كما قال تعالى { وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى } النحل 60 مثل أن  
نعلم أن كل كمال ثبت للممكن أو المحدث فالواجب القديم أولى به

وكل كمال ثبت للمخلوق المربوب المعلول المدبر فإنما استفاده من خالقه وربّه ومدبره فهو أحق به منه وأن كل نقص وعيب وجب نفيه عن شيء مامن أنواع المخلوقات والمحدثات والممكنات فإنه يجب نفيه عن الرب تبارك وتعالى بطريق الأولى وأنه أحق بالأمور الوجودية من كل موجود والأمور العدمية الممكن بها أحق ونحو ذلك ومثل هذه الطرق هي التي كان يستعملها السلف والأئمة في مثل هذه المطالب كما استعمل نحوها الإمام أحمد ومن قبله وبعده من أئمة أهل الإسلام وبمثل ذلك جاء القرآن في تقرير أصول الدين من مسائل التوحيد والصفات ونحو ذلك مثال ذلك ما استعمله سبحانه في تنزيهه وتقديسه عما أضافوه إليه من الولادة سواء سموها حسية أو عقلية كما تزعمه الفلاسفة الصابئون من تولد العقول العشرة والنفوس الفلكية التسعة التي هم مضطربون فيها هل هي جواهر أو أعراض وقد يجعلون العقول بمنزلة الذكور والنفوس بمنزلة الأنثى ويجعلون ذلك آباءهم وأمهاتهم وآلهتهم وأربابهم القريبة وعلمهم بالنفوس أظهر لوجود الحركة الدورية الدالة على الحركة الإرادية الدالة على النفس المحركة وذلك شبيه بقول مشركي العرب وغيرهم الذين جعلوا له بنين وبنات قال تعالى **{ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ } الأنعام 100** وقال تعالى **{ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ } {151}** وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ **{152}** الصافات 151- 152 وكانوا يقولون الملائكة بنات الله كما يزعم هؤلاء أن النفوس هي الملائكة وهي متولدة عن الله فقال تعالى **{ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ } {57}** وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ **{58}** يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ **{59}** لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ **{60}** النحل 57-60 إلى قوله **{ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ**

الْكَذِبَ أَنْ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنْتُمْ مُفْرَطُونَ {62}

النحل 62 وقال تعالى { وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ } {15} أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ {16} وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ {17} أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ {18} وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ {19} الزخرف 15-19

19 وقال تعالى { أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ {19} النجم 19 إلى قوله { أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ {21} تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ {22} النجم 21-22 أي جائزة وغير ذلك في القرآن بين سبحانه أن الرب الخالق أولى بأن ينزهه عن الأمور الناقصة منكم فكيف تجعلون له ما تكرهون أن يكون لكم تستخفون من إضافته إليكم مع أنه واقع لا محالة ولا تنزعونه عن ذلك وتنفونه عنه وهو أحق بنفي المكروهات المنقصات منكم <sup>48</sup>

### ثبوت صفات الكمال لله دون ما سواه

\* فلا بد للعبد أن يثبت لله ما يجب اثباته له من صفات الكمال وينفى عنه ما يجب نفيه عنه مما يصاد هذه الحال ولا بد له في أحكامه من ان يثبت خلقه وأمره فيؤمن بخلقه المتضمن كمال قدرته وعموم مشيئته ويثبت أمره المتضمن بيان ما يحبه ويرضاه من القول والعمل ويؤمن بشرعه وقدره إيماناً خالياً من الزلل وهذا يتضمن التوحيد في عبادته وحده لا شريك له وهو التوحيد في القصد والإرادة والعمل والأول يتضمن التوحيد في العلم والقول كما دل على ذلك سورة قل هو الله احد ودل على الآخر سورة قل يأيها الكافرون وهما سورتا الإخلاص وبهما كان النبي يقرأ بعد الفاتحة في ركعتي الفجر وركعتي الطواف وغير ذلك فأما الأول وهو

<sup>48</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 449

التوحيد في الصفات فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله نفيًا وإثباتًا فيثبت لله ما اثبتته لنفسه وينفي عنه ما نفاه عن نفسه وقد علم ان طريقة سلف الامة وأنتها إثبات ما اثبتته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه مع اثبات ما اثبتته من الصفات من غير الحاد لا في أسمائه ولا في آياته فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى {وَاللَّهُ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الأعراف 180 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} فصلت 40 فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات اثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل كما قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الشورى 11 ففي قوله {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} الشورى 11 رد للتشبيه والتمثيل وقوله { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} الشورى 11 رد للإلحاد والتعطيل والله سبحانه بعث رسله باثبات مفصل ونفي مجمل فأثبتوا الله الصفات على وجه التفصيل ونفوا عنه ما لا يصلح له من التشبيه والتمثيل كما قال تعالى { فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} مريم 65 قال اهل اللغة هل تعلم له سميا أى نظيرا يستحق مثل اسمه ويقال مساميا يساميه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} مريم 65 مثيلا أو شبيها وقال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ} {100} بديع



السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ  
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {101} الأنعام 100-101<sup>49</sup>

\* فقد تضمن العلو الذي ينعت به نفسه في كتابه أنه متعال عما لا يليق به من الشركاء و الأولاد فليس كمثلته شيء و هذا يقتضى ثبوت صفات الكمال له دون ما سواه و أنه لا يماثله غيره في شيء من صفات الكمال بل هو متعال عن أن يماثله شيء و تضمن أنه عال على كل ما سواه قاهر له قادر عليه نافذة مشيئته فيه و أنه عال على الجميع فوق عرشه فهذه ثلاثة أمور في إسمه العلى و إثبات علوه على ما سواه و قدرته عليه و قهره يقتضى ربوبيته له و خلقه له و ذلك يستلزم ثبوت الكمال و علوه عن الأمثال يقتضى أنه لا مثل له في صفات الكمال و هذا و هذا يقتضى جميع ما يوصف به في الإثبات و النفي ففي الإثبات يوصف بصفات الكمال و فى النفي ينزه عن النقص المناقض للكمال و ينزه عن أن يكون له مثل فى صفات الكمال كما قد دلت على هذا و هذا سورة الإخلاص {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} الإخلاص 1-2 و تعالیه عن الشركاء يقتضى إختصاصه بالإلهية و أنه لا يستحق العبادة إلا هو وحده كما قال {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا {الإسراء 42} أي و إن كانوا كما يقولون يشفعون عنده بغير إذنه و يقربونكم إليه بغير إذنه فهو الرب و الإله دونهم و كانوا يبتغون إليه سبيلا بالعبادة له و التقرب إليه و الأمر بتسبيحه يقتضى أيضا تنزيهه عن كل عيب و سوء و إثبات صفات الكمال له فإن التسبيح يقتضى التنزيه و التعظيم و التعظيم يستلزم إثبات المحامد التى يحمد عليها فيقتضى ذلك تنزيهه و تحميده و تكبيره و توحيده<sup>50</sup>

<sup>49</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 4-5

<sup>50</sup>مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 124-126

## نزه الله تعالى نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد

\* أن ما نزه الله نفسه و نفاه عنه بقوله {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ  
 {الإخلاص}3 و يقوله { أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكَهْمَ  
 لَيَقُولُونَ } {151} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } {152} {الصفات-151-  
 152 وقوله {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ  
 وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ  
 } {100} {بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ  
 صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } {101} {الأنعام-100-  
 101 يعم جميع الأنواع التي تذكر في هذا الباب عن بعض  
 الأمم كما أن نفاه من إتخاذ الولد يعم أيضا جميع أنواع الإتحادات  
 الإصطفائية كما قال تعالى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ  
 اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ  
 لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا  
 بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ } {المائدة-18} قال السدي قالوا إن الله أوحى  
 إلي إسرائيل إن و لك بكرى من الولد فأدخلهم النار فيكونون  
 فيها أربعين يوما حتى تطهرهم و تأكل خطاياهم ثم ينادي مناد  
 أخرجوا كل مختون من بنى إسرائيل و قد قال تعالى  
 {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ } {المؤمنون-91} وقال  
 {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ  
 يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدَّلِّ وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا } {الإسراء-111} وقال  
 { تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } {1}  
 {الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك  
 في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً } {2} {الفرقان-1-2} وقال  
 { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ } {26} {لَا  
 يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ } {27} {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا  
 خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ حَشِيَّتِهِ

مُشْفِقُونَ {28} وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكِ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ  
 كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {29} الانبياء 26-29 وقال {  
 وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ  
 فَارْهَبُونَ {51} وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا  
 أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ {52} النحل 51-52 إلى قوله {وَيَجْعَلُونَ لِمَا  
 لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا} النحل 56 إلى قوله {وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ  
 سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} النحل 57 وقال {وَلَا تَجْعَلْ مَعَ  
 اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا} {39} أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ  
 بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا {40}  
 وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا {41}  
 قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ  
 سَبِيلًا {42} الاسراء 39-42 وقال {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ  
 الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبُنُونَ} {149} أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ  
 شَاهِدُونَ} {150} أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ {151} وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ  
 لَكَاذِبُونَ} {152} أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ} {153} مَا لَكُمْ كَيْفَ  
 تَحْكُمُونَ} {154} أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} {155} أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ  
 مُّبِينٌ} {156} فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {157} وَجَعَلُوا بَيْنَهُ  
 وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ} {158}  
 سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ} {159} إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} {160}  
 فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ} {161} مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ} {162} إِلَّا مَنْ هُوَ  
 صَالٍ الْجَحِيمِ} {163} الصافات 150-163 وقال {أَفَرَأَيْتُمْ  
 اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ} {19} وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ} {20} أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ  
 الْأُنثَىٰ} {21} تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ} {22} إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ  
 سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا  
 الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ} {23}  
 النجم 20-23 إلى قوله {إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُؤُونَ  
 الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ} النجم 27 وقال تعالى {وَجَعَلُوا  
 لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا} الزخرف 15 قال بعض المفسرين  
 {جُزْءًا} الزخرف 15 أي نصيبا و بعضا و قال بعضهم جعلوا

لله نصيبا من الولد و عن قتادة و مقاتل عدلا و كلا القولين  
 صحيح فإنهم يجعلون له و لدا و الولد يشبه أباه و لهذا قال  
 { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا  
 وَهُوَ كَظِيمٌ } الزخرف 17 أي البنات كما قال في الآية الأخرى  
 { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ } النحل 58 فقد جعلوها للرحمن مثلا  
 و جعلوا له من عباده جزءا فإن الولد جزء من الوالد كما تقدم قال  
 صلى الله عليه و سلم إنما فاطمة بضعة منى و قوله  
**{ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ  
 عِلْمٍ } الأنعام 100** قال الكلبي نزلت في الزنادقة قالوا إن  
 الله و إبليس شريكان فانه خالق النور و الناس و الدواب و الأنعام  
 و إبليس خالق الظلمة و السباع و الحيات و العقارب و  
 أما قوله { وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا } الصافات 158 فقيل  
 هو قولهم الملائكة بنات الله و سمى الملائكة جنا لإجتناهم عن  
 الأبصار و هو قول مجاهد و قتادة و قيل قالوا لحي من الملائكة  
 يقال لهم الجن و منهم إبليس و هم بنات الله و قال الكلبي قالوا  
 لعنهم الله بل تزوج من الجن فخرج بينهما الملائكة و  
 قوله **{ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام 100** قال  
 بعض المفسرين كالثعلبي و هم كفار العرب قالوا الملائكة و  
 الأصنام بنات الله و اليهود قالوا عزيز ابن الله و النصاري قالوا  
 المسيح ابن الله فصل وأما الذين كانوا يقولون من العرب أن  
 الملائكة بنات الله و ما نقل عنهم من أنه صاهر الجن فولدت له  
 الملائكة فقد نفاه الله عنه بإمتناع صاحبة و بإمتناع أن يكون منه  
 جزء فإنه صمد و قوله **{ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ } الأنعام 101** و  
 هذا كما تقدم من أن الولادة لا تكون إلا من أصلين سواء فى ذلك  
 تولد الأعيان التى تسمى الجواهر و تولد الأعراض و الصفات  
 بل و لا يكون تولد الأعيان إلا بإنفصال جزء من الوالد فإذا إمتنع  
 أن يكون له صاحبة إمتنع أن يكون له و لد و قد علموا كلهم أن لا  
 صاحبة له و لا من الملائكة و لا من الجن و لا من الإنس فلم يقل  
 أحد منهم أن له صاحبة فلهذا إحتج بذلك عليهم و ما حكى عن

بعض كفار العرب أنه صاهر الجن فهذا فيه نظر و ذلك إن كان قد قيل فهو مما يعلم إنتفاؤه من و جوه كثيرة وكذلك ما قالتها النصراري من أن المسيح ابن الله و ما قاله طائفة من اليهود أن العزيز ابن الله فإنه قد نفاه سبحانه بهذا و بهذا<sup>51</sup>

## ذكر ثلاث أدلة على نفي ما زعموه من خرق البنين والبنات له

\*وكل من قال إن الله ولدا لزمه أن يكون له صاحبة بأي وجه فسر الولادة وأن يكون له ولد حادثا ولهذا قال تعالى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ} {100} بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {101} ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} {102} الانعام 100-102

فاستفهم تعالى استفهام إنكار ليبين امتناع أن يكون له ولد إذ لم تكن له صاحبة فإن الولد لا يكون إلا من أصلين وهذا مما ينبغي أن يتفطن له فإن جعل ما يلزم الشيء الواحد متولدا عنه لا يعرف لا سيما صفاته القائمة به اللازمة له كعلمه وحياته لا سيما الصفات القديمة الأزلية اللازمة لذات رب العالمين الذي لم يزل ولا يزال موصوفا بها فإن صفات العبد اللازمة له كحياته وقدرته ونحو ذلك ليست متولدة عنه عند جميع العقلاء ولا يقول عاقل يعقل ما يقول إن لون السماء وقدرها متولد عنها ولا إن قدر الشمس وضوءها القائم بها اللازم لها متولد عنها ولا

---

<sup>51</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 268-272 و النبوات ج: 1 ص: 19 و الصفدية ج: 1 ص: 215

يقول أحد إن حرارة النار وضوءها القائم بها متولد عنها وإنما يقال إن قيل فيما ليس بقائم بها بل قائم بغيرها أو فيما هو حادث بعد أن لم يكن كالشعاع القائم بالأرض والحيطان وهذا ليس بقائم بها بل قائم بغيرها هو حادث متولد عن أصليين لا عن أصل واحد فأما صفات المخلوق القائمة به اللازمة له فلا يقول أحد من العقلاء إنها متولدة عنه والنصارى يزعمون أن كلمة الله التي يفسرونها بعلمه أو حكمته وروح القدس التي يفسرونها بحياته وقدرته هي صفة له قديمة أزلية لم يزل ولا يزال موصوفا بها ويقولون مع ذلك إن الكلمة هي مولودة منه فيجعلون علمه القديم الأزلي متولدا عنه ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة عنه وقد أصابوا في أنهم لم يجعلوا حياته متولدة عنه لكن ظهر بذلك بعض مناقضاتهم وضلالهم فإنه أنواع كثيرة فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته يقال إنها ابنه وولده ومتولد عنه ونحو ذلك فتكون حياته أيضا ابنه وولده ومتولدا عنه وإن لم يكن كذلك فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ولا متولدا عنه وأبلغ من ذلك أن روح القدس المنفصلة عنه القائمة بالأنبياء والصديقين لا يقولون إنها ولده ولا إنها متولدة عنه بل يخصون ذلك بالكلمة فلا ينقلون عن أحد من الأنبياء أنه سمى شيئا من صفات الله ابنا ولا ولدا ولا قال إن علم الله أو كلامه أو حكمته ولده أو ابنه أو هو متولد عنه فعلم أن القوم في غاية التناقض في المعاني والألفاظ وأنهم مخالفون للكتب الإلهية كلها ولما فطر الله عليه عباده من المعقولات التي يسمونها نواميس عقلية ومخالفون لجميع لغات آدميين وهذا مما يظهر به فساد تمثيلهم فإنهم قالوا تولدت الكلمة عنه كما تولد الكلمة والحكمة فينا عن العقل فيقال لهم لو قدر أن الأنبياء سموا ذلك تولدا فما يتولد فينا حادث بعد أن لم يكن وحدثه يتسبب من فعلنا وقدرتنا ومشينتنا فاما صفاتنا اللازمة لنا التي لا اختيار لنا في اتصافنا بها ولم نزل متصفين بها فلا يقول عاقل إنها متولدة فينا وعنا وأنتم تجعلون صفة الله القديمة اللازمة له التي لم يزل ولا يزال متصفا

بها متولدة عنه فلو قدر أن ما ذكرتموه من التولد العقلي أمرا  
 معروفا في اللغة والعقل والشرع لم يكن لكم أن تجعلوا علم الله  
 وحكمته التي فسرتم بها كلمته ابنا له ومولودا منه لم يزل مولودا  
 منه لأن هذا باطل عقلا وشرعا ولغة أما العقل فإن صفة  
 الموصوف اللازمة له وإن كان مخلوقا ليست متولدة عنه فكيف  
 الصفة القديمة للموصوف القديم ولو جاز هذا جاز أن يجعل  
 ما كان لازما لغيره ولدا له ومولودا منه فيجعل كيفيات الأشياء  
 وكمياتها متولدة عنها وأمثالها ويقال إن طول الجسم  
 وعرضه وعمقه متولد عنه وإن حياة الحي متولدة عنه وإن  
 القوى والطبايع التي جعلها الله في المخلوقات متولدة عنها  
 وأما الشرع فإن هذا لو كان متولدا وهو في بعض اللغات يسمى  
 ولدا لم يجز أن يحمل على ذلك كلام الأنبياء إلا أن يكون في  
 لغتهم يسمى ولدا وكل من نظر في كتب الأنبياء من علماء  
 النصرى وغيرهم لم يجد أحدا من الأنبياء يسمى علم الله وكلمته  
 وحياته ولدا له ولا ابنا له ولا قال إن ذلك يتولد عنه فقولهم  
 عن المسيح عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس أنه  
 أراد بالابن كلمة الله القديمة الأزلية وأنها متولدة منه وأنه أراد  
 بروح القدس حياة الله القديمة الأزلية كذب محض على المسيح  
 عليه السلام لا يوجد قط في كلامه ولا كلام غيره من الأنبياء  
 أنهم سموا علم الله وحكمته ولا شيئا من صفاته القائمة به ابنا ولا  
 سموا حياته روح القدس وأما اللغة فإن هذا التعبير الذي  
 ذكروا وهو تسمية صفات الموصوف اللازمة له ولدا وابنا  
 ومتولدا لا يعرف في لغات بني آدم المعروفة وقد يتبنى  
 الرجل ولد غيره فيتخذه ولدا ويجعله بمنزلة الولد وإن لم يكن  
 متولدا عنه كما كانت تفعله أهل الجاهلية من العرب وغيرهم  
 ولهذا نزه الله تعالى نفسه عن الولادة وعن اتخاذ الولد فقال تعالى  
 {وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ  
 عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ} {100} بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {101} الانعام 100-101<sup>52</sup>

\* وأما انكار الباطل فقد نزه الله نفسه عن الوالد والولد وكفر من جعل له ولدا أو والدا أو شريكا فقال تعالى في السورة التي تعدل ثلث القرآن التي هي صفة الرحمن ولم يصح عن النبي في فضل سورة من القرآن ما صح في فضلها حتى أفرد الحفاظ مصنفات في فضلها كالدارقطني وأبي نعيم وأبي محمد الخلال وأخرج أصحاب الصحيح فيها أحاديث متعددة قال فيها (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {4} الاخلاص 1-4 وعلى هذه السورة اعتماد الأئمة في التوحيد كالإمام أحمد والفضيل بن عياض وغيرهما من الأئمة قبلهم وبعدهم فنفى عن نفسه الأصول والفروع والنظراء وهي جماع ما ينسب اليه المخلوق من الآدميين والبهائم والملائكة والجن بل والنبات ونحو ذلك فإنه ما من شيء من المخلوقات الا ولا بد أن يكون له شيء يناسبه اما أصل واما فرع واما نظير أو اثنان من ذلك أو ثلاثة وهذا في الآدميين والجن والبهائم ظاهر وأما الملائكة فانهم وان لم يتوالدوا بالتناسل فلهم الامثال والاشباه ولهذا قال سبحانه {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {49} فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ {50} الذاريات 49-50 قال بعض السلف لعلمكم تتذكرون فتعلمون أن خالق الأزواج واحد ولهذا كان في هذه السورة الرد على من كفر من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فإن قوله { لَمْ يَلِدْ } {3} الاخلاص 3 رد لقول من يقول ان له بنين وبنات من الملائكة أو البشر مثل من يقول الملائكة بنات الله أو يقول المسيح أو عزير ابن الله كما قال تعالى عنهم

<sup>52</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 468-473



{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ  
عِلْمٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا یَصِفُونَ {الأنعام 100} 53

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ  
عِلْمٍ سُبْحَانَہُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا یَصِفُونَ {100} {بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {101} {الأنعام 100- 101} فَإِنْ قَوْلُهُ {  
بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ {101} {الأنعام 101} أَى مبدعها كما  
ذكر مثل ذلك فى البقرة وليس المراد أنهما بديعة سماواته  
وأرضه كما تحتمله العربية لولا السياق لأن المقصود نفى ما  
زعموه من خرق البنين والبنات له ومن كونه إتخذ ولدا وهذا  
ينتفى بضده كونه أبداع السموات ثم قال { أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ  
وَلَدٌ } {101} {الأنعام 101} وذكر ثلاث أدلة على نفى ذلك  
أحدها كونه ليس له صاحبة فهذا نفى الولادة المعهودة وقوله {  
وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ } {101} {الأنعام 101} نفى للولادة العقلية وهى  
التولد لأن خلق كل شىء ينافى تولدها عنه وقوله {وَهُوَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ {101} {الأنعام 101} يشبهه والله أعلم أن يكون لما  
ادعت النصارى أن المتحد به هو الكلمة التى يفسرونها بالعلم  
والصابئة القائلون بالتولد والعلة لا يجعلونه عالما بكل شىء ذكر  
أنه بكل شىء عليم لاثبات هذه الصفة له ردا على الصابئة ونفيها  
عن غيره ردا على النصارى وإذا كان كذلك فقول من قال  
بتولد العقول والنفوس التى يزعمون أنها الملائكة أظهر فى  
كونهم يقولون أنه ولد الملائكة وأنهم بنوه وبناته فالعقول بنوه  
والنفوس بناته من قول النصارى ودخل فى هذا من تفلسف  
من المنتسبة الى الاسلام حتى انى أعرف كبيرا لهم سئل عن  
العقل والنفوس فقال بمنزلة الذكر والأنثى فقد جعلهم كالإين  
والبنات وهم يجعلونهم متولدين عنه تولد المعلول عن العلة فلا

يمكنه أن يفك ذاته عن معلوله ولا معلوله عنه كما لا يمكنه أن يفصل نفسه عن نفسه بمنزلة شعاع الشمس مع الشمس وأبلغ وهؤلاء يقولون إن هذه الأرواح التي ولدها متصلة بالأفلاك الشمس والقمر والكواكب كاتصال اللاهوت بجسد المسيح فيعبدونها كما عبدت النصارى المسيح إلا أنهم أكفر من وجوه كثيرة وهم أحق بالشرك من النصارى فإنهم يعبدون ما يعلمون أنه منفصل عن الله وليس هو إياه ولا صفة من صفاته والنصارى يزعمون أنهم ما يعبدون إلا ما اتحد بالله لا لما ولده من المعلولات ثم من عبد الملائكة والكواكب وأرواح البشر وأجسادهم اتخذ الأصنام على صورهم وطبائعهم فكان ذلك أعظم أسباب عبادة الأصنام ولهذا كان الخليل امام الحنفاء مخاطبا لهؤلاء الذين عبدوا الكواكب والشمس والقمر والذين عبدوا الأصنام مع إشراكهم واعترفهم بأصل الجميع وقد ذكر الله قصتهم فى القرآن فى غير موضع وأولئك هم الصابئون المشركون الذين ملكهم نمرود وعلماؤهم الفلاسفة من اليونانيين وغيرهم الذين كانوا بأرض الشام والجزيرة والعراق وغيرها وجزائر البحر قبل النصارى وكانوا بهذه البلاد فى أيام بنى اسرائيل وهم الذين كانوا يقاتلون بنى اسرائيل فيغلبون تارة ويغلبون تارة وسنحاريب وبخت نصر ونحوهما هم ملوك الصابئة بعد الخليل والنمرود الذى كان فى زمانه فتبين بذلك ما فى القرآن من الرد لمقالات المتقدمين قبل هذه الأمة والكفار والمنافقين فيها من اثبات الولادة لله وان كان كثير من الناس لا يفهم دلالة القرآن على هذه المقالات لأن ذلك يحتاج الى شيين الى تصور مقالتهم بالمعنى لا بمجرد اللفظ والى تصور معنى القرآن والجمع بينهما فتجد المعنى الذى عنوه قد دل القرآن على ذكره وابطاله وأما اتحاد الولد فيفسر بعين الولادة وهو من

باب الأفعال لا من باب الصفات كما يقوله طائفة من النصارى  
في المسيح<sup>54</sup>

\*ومثال ذلك أنه سبحانه لما أخبر بالمعاد والعلم به تابع للعلم  
بإمكانه فإن الممتنع لا يجوز أن يكون بين سبحانه وإمكانه أتم بيان  
ولم يسلك في ذلك ما يسلكه طوائف من أهل الكلام حيث يثبتون  
الإمكان الخارجي بمجرد الإمكان الذهني فيقولون هذا ممكن لأنه  
لو قدر وجوده لم يلزم من تقدير وجوده محال فإن الشأن في هذه  
المقدمة فمن أين يعلم أنه لا يلزم من تقدير وجوده محال والمحال  
هنا أعم من المحال لذاته أو لغيره والإمكان الذهني حقيقته عدم  
العلم بالامتناع وعدم العلم بالامتناع لا يستلزم العلم بالإمكان  
الخارجي بل يبقى الشيء في الذهن غير معلوم الامتناع ولا  
معلوم الإمكان الخارجي وهذا هو الإمكان الذهني فالله سبحانه  
وتعالى لم يكتف في بيان إمكان المعاد بهذا إذ يمكن أن يكون  
الشيء ممتنعاً ولو لغيره وإن لم يعلم الذهن امتناعه بخلاف  
الإمكان الخارجي فإنه إذا علم بطل أن يكون ممتنعاً والإنسان  
يعلم الإمكان الخارجي تارة بعلمه بوجود الشيء وتارة بعلمه  
بوجود نظيره وتارة بعلمه بوجود ما هو أبلغ منه فإن وجود الشيء  
دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه ثم إنه إذا بين كون  
الشيء ممكناً فلا بد من بيان قدرة الرب عليه وإلا فمجرد العلم  
بإمكانه لا يكفي في إمكان وقوعه إن لم تعلم قدرة الرب على ذلك  
فبين سبحانه هذا كله بمثل قوله { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِبْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ  
بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } { الأحقاف 33 } فإنه من المعلوم  
ببدهة العقول أن خلق السموات والأرض أعظم من خلق أمثال

<sup>54</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 444-447

بني آدم والقدرة عليه أبلغ وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة  
من ذلك

وكذلك ما استعمله سبحانه في تنزيهه وتقديسه عما أضافه إليه  
من الولادة سواء سموها حسية أو عقلية كما تزعمه النصارى  
من تولد الكلمة التي جعلوها جوهر الابن منه وكما تزعمه  
الفلاسفة الصابئون من تولد العقول العشرة والنفوس الفلكية  
التسعة التي هم مضطربون فيها هل هي جواهر أو أعراض وقد  
يجعلون العقول بمنزلة الذكور والنفوس بمنزلة الإناث ويجعلون  
ذلك آباءهم وأمهاتهم وآلهتهم وأربابهم القريبة وعلمهم بالنفوس  
أظهر لوجود الحركة الدورية الدالة على الحركة الإرادية الدالة  
على النفس المحركة لكن أكثرهم يجعلون النفس الفلكية عرضاً لا  
جوهرًا قائمًا بنفسه وذلك شبيه بقول مشركي العرب وغيرهم  
الذين جعلوا له بنين وبنات قال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ  
الْحَيِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
عَمَّا يَصِفُونَ } الأنعام 100<sup>55</sup>

### بين القرآن أنهم أخطأوا طريق القياس في العلة والتولد

\*فإن اسم الملائكة والملك يتضمن أنهم رسل الله كما قال تعالى  
{ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا } فاطر 1 فالملائكة رسل الله في تنفيذ  
أمره الكوني الذي يدبر به السموات والأرض وأمره الديني  
الذي تنزل به الملائكة فإنه قال { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا  
وَمِنَ النَّاسِ } الحج 75 وملائكة الله لا يحصي عددهم إلا الله  
ومن المعلوم أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والإرادات  
والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال ووصفهم في القرآن  
بالتسبيح والعبادة لله أكثر من أن يذكر هنا وفي الصحيحين عن

<sup>55</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 301

جابر بن سمرة عن النبي قال ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها قال يتمون الصف الأول ويتراصون في الصف وفي الصحيحين عن قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة في حديث المعراج عن النبي لما ذكر صعوده إلى السماء السابعة قال فرفع لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا آخر ما عليهم وقال البخاري وقال همام عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي أنه قال إذا أمن القارىء فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي الرواية الأخرى في الصحيحين إذا قال آمين فإن الملائكة الملائكة في السماء تقول آمين وفي الصحيح أيضا عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله قال إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا ولك الحمد فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وفي الصحيح عن عروة عن عائشة زوج النبي أنها سمعت رسول الله يقول أن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي قال أن لله ملائكة سيارة فضلاء يتبعون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء فيسألهم الله وهو أعلم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عبادك في الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال وما يسألوني قالوا يسألونك جنتك قال وهل رأوا جنتي قالوا لا أي رب قال فكيف لو رأوا جنتي قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيرونني قالوا من نارك قال وهل رأوا ناري قالوا يا رب لا قال فكيف لو رأوا ناري قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال يقولون رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم قال فيقول وله قد

غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليهم وفي الصحيحين عن  
عروة عن عائشة حدثته أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل  
أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك ما  
لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على  
ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا  
مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت  
رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني فنظرت فإذا جبريل فناداني  
فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله  
إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم  
علي ثم قال يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم  
الأخشيبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله  
من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا وأمثال هذه  
الأحاديث الصحاح مما فيها ذكر الملائكة الذين في السموات  
وملائكة الهواء والجبال وغير ذلك كثيرة وكذلك الملائكة  
المتصرفون في أمور بني آدم مثل قوله في الحديث المتفق عليه  
حديث الصادق المصدوق إذ يقول ثم يبعث إليه الملك فيؤمر  
بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه  
الروح وفي الصحيح حديث البراء بن عازب قال قال النبي صلى  
الله عليه وسلم لحسان اهجم أو هاجهم وجبريل معك وفي  
الصحيح أيضا أن النبي قال له أجب عني اللهم أيده بروح القدس  
وفي الصحيح عن أنس قال كأي أنظر إلى غبار ساطع في سكة  
بني غنم موكب جبريل وفي الصحيحين عن عائشة أن الحارث  
بن هشام قال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي قال أحيانا يأتيني  
مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما  
قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول وإتيان  
جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم تارة في صورة أعرابي  
وتارة في صورة دحية الكلبي ومخاطبته وإقراؤه إياه كثيرا أعظم  
من أن يذكر هنا وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال  
النبي يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في

صلاة الفجر والعصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون وفي الصحيحين عن عائشة قالت حشوت للنبي وسادة فيها تماثيل كأنها نمرقة فجاء فقام وجعل يتغير وجهه فقلت ما لنا يا رسول الله قال ما بال هذه الوسادة قالت وسادة جعلتها لك لتضطجع عليها قال أما علمت أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة إن من صنع الصور يعذب يوم القيامة يقال أحيوا ما خلقتم وفي الصحيحين عن ابن عباس قال سمعت أبا طلحة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة تماثيل وكذلك في الصحيحين عن عبدالله بن عمر قال وعد النبي جبريل فقال إنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي قال إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث وأمثال هذه النصوص التي يذكر فيها من أصناف الملائكة وأوصافهم وأفعالهم ما يمنع أن تكون على ما يذكرونه من العقول والنفوس أو أن يكون جبريل هو العقل الفعال وتكون ملائكة الأدميين هي القوى الصالحة والشياطين هي القوى الفاسدة كما يزعم هؤلاء وأيضا فزعمهم أن العقول والنفوس التي جعلوها الملائكة وزعموا أنها معلولة عن الله صادرة عن ذاته صدور المعلول عن علته هو قول بتولدها عن الله وأن الله ولد الملائكة وهذا مما رده الله ونزه نفسه عنه وكذب قائله وبين كذبه بقوله { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } {3} { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } {4} {الاحلاص 3-4} وقال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ } {الأنعام 100} فأخبر أنهم معبدون أي مذلولون مصرفون مدينون مقهورون ليسوا كالمعلول المتولد تولدا لازما لا يتصور أن يتغير عن ذلك وأخبر أنهم عباد لله لا يشبهون به كما يشبه المعلول بالعلة والولد بالوالد كما يزعمه هؤلاء الصابئون وقال تعالى { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وُلَدًا

سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ {116}  
 بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
 فَيَكُونُ {117} البقرة 117- 118 فأخبر أنه يقتضي كل شيء  
 بقوله كن لا بتولد المعلول عنه كما قال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ  
 شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَيْنَ وَبَيْنَ بَعْضِ عِلْمِ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُصِفُونَ } {100} بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ  
 لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ  
 عَلِيمٌ {101} الانعام 100-101 فأخبر أن التولد لا يكون إلا

عن أصلين كما تكون النتيجة عن مقدمتين وكذلك سائر  
 المعلولات المعلومة لا يحدث المعلول إلا باقتران ما تتم به العلة  
 فأما الشيء الواحد وحده فلا يكون علة ولا والدا قط لا يكون  
 شيء في هذا العالم إلا عن أصلين ولو أنهما الفاعل والقابل  
 كالنار والحطب والشمس والأرض فأما الواحد وحده فلا يصدر  
 عنه شيء ولا يتولد فبين القرآن أنهم أخطأوا طريق القياس  
 في العلة والتولد حيث جعلوا العالم يصدر عنه بالتعليل والتولد  
 وكذلك قال { وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ  
 } {الذاريات 49} خلاف قولهم إن الصادر عنه واحد وهذا وفاء  
 بما ذكره الله تعالى من قوله { وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ  
 وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا } {الفرقان 33} إذ قد تكفل بذلك في حق كل من  
 خرج عن اتباع الرسول

فقال تعالى ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ  
 نَذِيرًا } {الفرقان 1} فذكر الوجدانية والرسالة إلى قوله { وَيَوْمَ  
 يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ  
 سَبِيلًا } {27} يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا } {28} لَقَدْ أَضَلَّنِي  
 عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ  
 خَدُولًا } {29} {الفرقان 27-29} فكل من خرج عن اتباع الرسول  
 فهو ظالم بحسب ذلك والمبتدع ظالم بقدر ما خالف من سنته }  
 وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا } {30}



وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا  
 وَنَصِيرًا {31} وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً  
 وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا {32} وَلَا يَأْتُونَكَ  
 بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا {33} الفرقان 30-33  
 وهؤلاء الصابئة قد أتوا بمثل وهو قولهم الواحد لا يصدر عنه  
 ويتولد عنه إلا واحد والرب واحد فلا يصدر عنه إلا واحد يتولد  
 عنه فأتى الله بالحق وأحسن تفسيراً وبين أن الواحد لا يصدر عنه  
 شيء ولا يتولد عنه شيء أصلاً وأنه لم يتولد عنه شيء ولم  
 يصدر عنه شيء ولكن خلق كل شيء خلقاً وأنه خلق من كل  
 شيء زوجين اثنين ولهذا قال مجاهد وذكره البخاري في  
 صحيحه في الشفع والوتر أن الشفع هو الخلق فكل مخلوق له  
 نظير والوتر هو الله الذي لا شبيه له فقال { أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ  
 وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ } الأنعام 101 وذلك أن الآثار الصادرة  
 عن العلل والمتولدات في الموجودات لا بد فيها من شيئين  
 أحدهما يكون كالأب والآخر يكون كالأم القابلة وقد يسمون ذلك  
 الفاعل والقابل كالشمس مع الأرض والنار مع الحطب فأما  
 صدور شيء واحد عن شيء واحد فهذا لا وجود له في الوجود  
 أصلاً وأما تشبيههم ذلك بالشعاع مع الشمس وبالصوت  
 كالطين مع الحركة والنقر فهو أيضاً حجة لله ورسوله والمؤمنين  
 عليهم وذلك أن الشعاع إن أريد به نفس ما يقوم بالشمس فذلك  
 صفة من صفاتها وصفات الخالق ليست مخلوقة ولا هي من  
 العالم الذي فيه الكلام وإن أريد بالشعاع ما ينعكس على  
 الأرض فذلك لا بد فيه من شيئين وهو الشمس التي تجري  
 مجرى الأب الفاعل والأرض التي تجري مجرى الأم القابلة  
 وهي صاحبة للشمس وكذلك الصوت لا يتولد إلا عن  
 جسمين يقرع أحدهما الآخر أو يقلع عنه فيتولد الصوت الموجود  
 في أجسام العالم عن أصلين يقرع أحدهما الآخر أو يقلع عنه  
 فمهما احتجوا به من القياس فالذي جاء الله به هو الحق وأحسن  
 تفسيراً وأحسن بياناً وإيضاحاً للحق وكشفاً له وأيضاً فجعلها

علة تامة لما تحتها ومؤكدة له وموجبة له حتى يجعلونها مبادئنا ويجعلونها لنا كالأباء والأمهات وربما جعلوا العقل هو الأب والنفس هي الأم وربما قال بعضهم الوالدان العقل والطبيعة كما قال صاحب الفصوص في قول نوح اغفر لي ولوالدي أي من كنت نتيجة عنهما وهما العقل والطبيعة وحتى يسمونها الأرباب والآلهة الصغرى ويعبدونها وهو كفر مخالف لما جاءت به الرسل وبهذا وصف بعض السلف الصابئة بأنهم يعبدون الملائكة وكذلك في الكتب المعربة عن قدمائهم أنهم كانوا يسمونها الآلهة والأرباب الصغرى كما كانوا يعبدون الكواكب أيضا والقرآن ينفي أن تكون أربابا أو أن تكون آلهة ويكون لها غير ما للرسول الذي لا يفعل إلا بعد أمر مرسله ولا يشفع إلا بعد أن يؤذن له في الشفاعة وقد رد الله ذلك على من زعمه من العرب والروم وغيرهم من الأمم فقال تعالى {وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} آل عمران 80 وقال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} 26 {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} 27 {الأنبياء 26-27 وقال تعالى {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنْ ظَهِيرٍ} 22 {وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} سبأ 22-23 وقد تقدم بعض الأحاديث في صقع الملائكة إذا قضى الله بالأمر الكوني أو بالوحي الديني

ففيه سبحانه عن نفسه أن يلد شيئا اقتضى أن لا يتولد عنه شيء وفيه أن يتخذ ولدا يقتضي أنه لم يفعل ذلك بشيء من خلقه على سبيل التكريم وأن العباد لا يصلح أن يتخذ شيئا منهم بمنزلة الولد وهذا يبطل دعوى من يدعي مثل ذلك في المسيح وغيره ومن يقول نحن أبناء الله ومن يقول الفلسفة هي التشبه بالإله فإن الولد يكون من جنس والده ويكون نظيرا له وإن كان فرعا له ولهذا

كان هؤلاء القائلون بهذه المعاني من أعظم الخلق قولاً بالتشبيه والتمثيل وجعل الأنداد له والعدل والتسوية ولهذا كانت الفلاسفة الذين يقولون بصدور العقول والنفوس عنه على وجه التولد والتعليل يجعلونها له أندادا ويتخذونها آلهة وأرباباً بل قد لا يعبدون إلا إياها ولا يدعون سواها ويجعلونها هي المبدعة لما سواها مما تحتها فالحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) {1} الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا

{الفرقان 1-2} فَإِنَّ هَؤُلَاءِ {جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} {الأنعام 100} <sup>56</sup>

\* أن الولادة و التولد و كل ما يكون من هذه الألفاظ لا يكون إلا من أصليين و ما كان من المتولد عينا قائمة بنفسها فلا بد لها من مادة تخرج منها و ما كان عرضا قائما بغيره فلا بد له من محل يقوم به فالأول نفاه بقوله أحد فإن الأحد هو الذي لا كفو له و لا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة و التولد إنما يكون بين شيئين قال تعالى { أَمَّا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } {الأنعام 101} فنفي سبحانه الولد بإمتناع لازمه عليه فإن إنتفاء اللازم يدل على إنتفاء الملزوم و بأنه خالق كل شيء و كل ما سواه مخلوق له ليس فيه شيء مولود له <sup>57</sup>

<sup>56</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 127-135

<sup>57</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 240-241

## انفراده بالملك و علمه بكل شئ يستلزم ان يكون فاعلا بارادته

\*فقال تعالى {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} البقرة 284 فأخبر تعالى أن مافي السموات و ما فى الارض ملكه و حده لا يشاركه فيه مشارك و هذا يتضمن انفراده بالملك الحق و الملك العام لكل موجود و ذلك يتضمن توحيد ربوبيته و توحيد إلهيته فتضمن نفي الولد و الصاحبة و الشريك لأن مافي السموات و ما فى الارض إذا كان ملكه و خلقه لم يكن له فيهم و لد و لا صاحبة و لا شريك وقد استدل سبحانه بعين هذا الدليل فى سورة الأنعام و سورة مريم فقال تعالى {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ} الأنعام 101 و قال تعالى فى سورة مريم { وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وُلْدًا } 92 { إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا } 93 { مريم 92-93 و يتضمن ذلك أن الرغبة و السؤال و الطلب و الافتقار لا يكون إلا اليه و حده إذ هو المالك لما فى السموات و الارض<sup>58</sup>

\*فليس في الوجود واحد يفعل وحده إلا الله وحده قال تعالى {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الذاريات 49 قال مجاهد وغيره تذكرون فتعلمون ان خالق الارواح واحد قال تعالى { أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الأنعام 101 فنفى التولد عنه لامتناع التولد من شئ واحد وأن التولد إنما يكون بين اثنين وهو سبحانه لا صاحبة له وأيضا فانه

<sup>58</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 130-131

خلق كل شيء وخلق له لكل شيء يناقض ان يتولد عنه شيء وهو بكل شيء عليم وعلمه بكل شيء يستلزم ان يكون فاعلا بارادته فان الشعور فارق بين الفاعل بالارادة والفاعل بالطبع فيمتنع مع كونه عالما ان يكون كالامور الطبيعية التي يتولد عنها الاشياء بلا شعور كالحر والبارد فلا يجوز إضافة الولد اليه بوجه سبحانه قال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ } {100} بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } {101} الانعام 100-101

والذين قالوا ان العقول والنفوس صدرت عنه خرخوا له بنين وبنات بغير علم فان اولئك لم يكونوا يجعلون شيئا من البنين والبنات مبدعة لكل ما سواه وهؤلاء يجعلون احد البنين وهو العقل ابداع كل ما سواه ويجعلون العقل كالذكر والنفوس كالانثى وهذا مما صرحوا به وكانت العرب تفر بأنه خلق السموات والارض وأحدثهما بعد أن لم تكونا ولم يكونوا يقولون إنها قديمة أزلية معه لم تنزل معه وهذا مبسوط في موضع آخر <sup>59</sup>

### بيان بطلان دعوى النصرى

\*أن خواص النصرى وعلماءهم مع تجويزهم أن يقال أن المسيح ابن الله يلزمهم أن تكون مريم صاحبة الله وامرأته كما قال ذلك من يغلو منهم ومنهم من يجعل مريم إلهة مع الله كما جعل المسيح إلهة فإن قالوا بذلك جعلوا الله صاحبة وولدا وجعلوا المسيح بن مريم وأمه إلهة من دون الله كما فعل ذلك من فعله منهم فإنهم يعبدون مريم ويدعونها بما يدعون به الله سبحانه والمسيح ويجعلونها إلهة كما يجعلون المسيح إلهة فيقولون يا والدة الإله اغفري لنا وارحمينا ونحو ذلك فيطلبون منها ما

<sup>59</sup>الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 218-219

يطلبونه من الله عز وجل ومنهم من يقول عن مريم إنها  
صاحبة الله سبحانه وتعالى وبيان لزوم ذلك أن المسيح عندهم  
إنسان تام وإله تام ناسوت ولاهوت فناسوته من مريم ولاهوته  
الكلمة القديمة الأزلية وهي الخالق عندهم فالمسيح بين  
أصلين ناسوت ولاهوت فإذا كان الأب هو الله عندهم والكلمة  
المولودة عن الأب ابن الله فمعلوم أن اللاهوت لما التحم  
بالناسوت ليصير منهما المسيح ازدوج به وقارنه وهذا معنى  
الزوجية فكما أنهم قالوا إن الولادة عقلية لا حسية فكذلك  
الازدواج والنكاح عقلي لا حسي فإن اللاهوت على قولهم ازدوج  
بناسوت مريم ونكحها نكاحاً عقلياً وخلق المسيح من هذا وهذا  
وهم يقولون في الأمانة إن المسيح تجسد من مريم ومن روح  
القدس فإن فسروا روح القدس بجبريل كما يقوله المسلمون  
فهو الحق وبطل قولهم لكنهم يقولون روح القدس هو الأفتوم  
الثالث كما يقولون في الكلمة وهو اللاهوت عندهم فهم قد  
ذكروا أنه تجسد من الناسوت واللاهوت فيلزمهم على هذا أن  
يكون المسيح هو الابن وهو روح القدس فيكون أفتومين لا أفتوماً  
واحداً وقد تقدم تناقضهم في هذا والمقصود هنا أنهم إذا قالوا  
إن الرب أو بعض صفاته اتحد بما خلق من مريم فلا بد أن  
يحصل له اتصال بمريم قبل اتصاله بما خلق منها وذلك هو  
معنى النكاح والازدواج وعند جمهور النصارى أن مريم  
ولدت اللاهوت كما ولدت الناسوت وهي أم اللاهوت ويقولون  
في دعائهم يا والدة الإله واللاهوت الذي ولدته مريم هو  
عندهم رب العالمين واللاهوت اتحد بالناسوت عندهم من حين  
خلق الناسوت في بطن مريم لم يحدث بعد الولادة فإذا جاز  
أن يكون لرب العالمين عندهم أم ولدته بوجه من الوجوه فإمكان  
أن يكون له صاحبة وزوجة أولى وأخرى وليس في ذلك ما  
يحيله العقل والشرع إلا وهو لكونها أم للاهوت أشد إحالة  
فإن جاز أن يكون اللاهوت أم والأم أصل فلأن يكون له صاحبة  
هي زوجة ونظير أقرب وأولى فإن من المعلوم أن ولد ذلك

الشيء وهو المتفرع المتولد عنه أنقص بالنسبة إليه من نظيره  
 فإذا قالوا إن لرب العالمين ولدا اتحد بالناسوت هو نظيره  
 المساوي له في الجوهر وقالوا إن الناسوت أم هذا المسيح الذي  
 هو الله وهو ابن الله وقالوا إن الناسوت مريم ولد اللاهوت كما  
 ولد الناسوت ولم يكن هذا عيبا ينزه الرب عنه فلأن يجعلوا له أم  
 هذا الولد الذي حبلت به واتحد به اللاهوت وهو منها وولدت  
 اللاهوت صاحبة وزوجة للأب أولى وأحرى وإلا فكيف تلد ابنة  
 الذي هو اللاهوت ولا تكون صاحبتة وامراته وهم يقولون  
 نحن سمينا علمه مولودا عنه لكونه تولد عنه تولد الكلمة عن  
 العقل وهذا الولد اتحد بالناسوت فسمينا المجموع ولدا وبهذا  
 يفرقون بين كون المسيح ابنا وغيره من الأنبياء يسمى ابنا  
 فإنهم يقولون هؤلاء أبناء بالوضع والمسيح ابن بالطبع أي أولئك  
 سماوا أبناء بمشيئة الرب وقدرته لأنه اصطفاهم والكلمة التي  
 جعلوها متحدة بالمسيح هي عندهم متولدة عن الله تولدا قديما  
 أزليا لا يتعلق بمشيئته وقدرته ولهذا قالوا مولود غير مصنوع  
 فإن القديم الأزلي مع كونه قائما بذاته لا يكون مصنوعا عند أحد  
 من العقلاء ولا القائلين بقدم العالم فإذا كانت الكلمة التحدث  
 بالمسيح المخلوق من مريم والتحمت به فإذا قيل مع ذلك أن القديم  
 مس المحدث أو لاصقه أو باشره كان أيسر من هذا كله  
 والمسيح ولد ولادة حادثة عندهم غير الولادة القديمة التي للكلمة  
 فيلزم أن تكون مريم قد صارت زوجة وامرأة بل نكحت نكاحا  
 حادثا يناسب تلك الولادة المحدثه قال تعالى { أَنَّى يَكُونُ لَهُ  
 وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ  
 { الأنعام 101 ولهذا كان الحلول أسهل من الاتحاد فمن قال  
 إنه حل في جسد المسيح وماسه وباشره كما يحل الماء في اللبن  
 كان أهون ممن يقول إنه اتحد به والتحم به فإذا قيل إن مريم  
 امرأة القديم وصاحبتة وزوجته كان ما في هذا من إثبات مباشرته  
 لها ومماسته لها واتصاله بها ومهما قدر من اتصال الزوج  
 بزوجته أهون مما قالوه من اتحاد القديم بالمحدث ومصيره إياه

إما جوهرًا واحدًا وإما شخصًا واحدًا وإما مشيئةً واحدةً ولهذا كان كل عاقل يعلم أن النكاح الحسي أسهل من الولادة الحسية فالذكر من الحيوان إذا نكح الأنثى فإنما مس الذكر للأنثى لم تصر الأنثى متولدة عنه فإذا جوزوا أن يكون للرب القديم الأزلي ما يتولد عنه ويتحد به وهو محدث مخلوق فلأن يكون له ما يمسّه أولى وأحرى وإذا قالوا إن المسيح إنما كان ابنا لأن الكلمة القديمة التي هي ابن اتحدت به قبل فقد يسمى الناسوت الذي اتحد به القديم ابنا عندكم باسم القديم وجعلتموه إلهًا خالقًا فما المانع من جعل أم ذلك الناسوت الذي جعلتموه ابن الله صاحبةً لله وزوجةً باعتبار أن القديم الأزلي حصل منه ومنها ما هو ابن القديم الأزلي<sup>60</sup>

\*يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أن المسيح ابن الله البتوة المعروفة في المخلوقات ويقولون إن مريم زوجة الله وهذا لازم لعامة النصارى وإن لم يقولوه فإن الذي يلد لا بد له من زوجة ولهذا قال تعالى {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} الأنعام 101 وجعل الرب والد المولود أنكر في العقول من إثبات صاحبة له سواء فسرت الولادة بالولادة المعروفة أو بالولادة العقلية التي يقولها علماء النصارى فإن من أثبت صاحبة له يمكنه تأويل ذلك كما تأولوا هم الولد ويقولون إن الأب ولدت منه الكلمة ومريم ولد منها الناسوت واتحد الناسوت باللاهوت فكما أن الأب أب باللاهوت لا بالناسوت ومريم أم للناسوت لا لللاهوت فكذلك هي صاحبة للأب بالناسوت واللاهوت زوج مريم بلاهوته كما أنه أب للمسيح بلاهوته وإذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة فلماذا يمتنع أن يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدة قصيرة وإذا جعل الناسوت الذي ولدته ابنا

<sup>60</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 486-491



للاهوت فلاي شيء لا تجعل هي صاحبة وزوجة للاهوت فإن المسيح عندهم اسم لمجموع اللاهوت والناسوت وهو عندهم إله تام وإنسان تام فلاهوته من الله وناسوته من مريم فهو من أصلين لاهوت وناسوت فإذا كان أحد الأصلين أباه والآخر أمه فلماذا لا تكون أمه زوجة أبيه بهذا الاعتبار مع أن المصاحبة قبل البنوة فكيف يثبت الفرع الملزوم بدون ثبوت الأصل اللازم وليس في ذلك من المحال على أصلهم إلا ما هو من جنس إثبات بنوة المسيح وأقل امتناعا وإن كان المسيح عليه السلام قال هذا الكلام فقد علمنا أن المسيح عليه السلام وغيره من الأنبياء معصومون لا يقولون إلا الحق وإذا قالوا قولا فلا بد له من معنى صحيح ويمتنع أن يريدوا بقولهم ما يمتنع بطلانه بسمع أو عقل فإذا كانت العقول ونصوص الكتب المتقدمة مع نصوص القرآن تناقض ما ابتدئته النصارى في المسيح علم أن المسيح لم يرد معنى باطلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول<sup>61</sup>

### أن الله خالق كل شيء وخالق أفعال العباد

\* وقال تعالى {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} {الأنعام 102} فذكر نفسه بأنه الخالق ولم يصف قط شيئا من المخلوقات بهذا لا ملكا ولا نبيا<sup>62</sup>

\* وقوله تعالى {ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} {الأنعام 102} فإنه بهذا يثبت أنه لا قديم الا الله وأنه كل ما سواه كائن بعد ان لم يكن سواء سمي عقلا أو نفسا أو جسما أو غير ذلك<sup>63</sup>

<sup>61</sup>الجواب الصحيح ج: 3 ص: 192-193

<sup>62</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 45

<sup>63</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 336

\* فما خلق شيئاً إلا لحكمة وهو سبحانه قد قال { أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } السجدة 7 وقال { صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 وليس في أسمائه الحسنى إلا اسم يمدح به ولهذا كانت كلها حسنى والحسنى بخلاف السوأى فكلها حسنة والحسن محبوب ممدوح

فالمقصود بالخلق ما يحبه ويرضاه وذلك أمر ممدوح ولكن قد يكون من لوازم ذلك ما يريده لأنه من لوازم ما يحبه ووسائله فإن وجود الملزوم بدون اللازم ممتنع كما يمتنع وجود العلم والإرادة بلا حياة ويمتنع وجود المولود مع كونه مولودا بلا ولادة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حديث الإستفتاح والخير كله بيدك والشر ليس إليك وقد قيل في تفسيره لا يتقرب به إليك بناء على أنه الأعمال المنهي عنها وقد قيل لا يضاف إليك بناء على أنه المخلوق والشر المخلوق لا يضاف إلى الله مجردا عن الخير قط وإنما يذكر على أحد وجوه ثلاثة إما مع إضافته إلى المخلوق كقوله { مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } الفلق 2 وإما مع حذف الفاعل كقوله تعالى { وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } الجن 10 ومنه في الفاتحة صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 فذكر الإنعام مضافا إليه وذكر الغضب محذوفا فاعله وذكر الضلال مضافا إلى العبد وكذلك قوله { وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ } الشعراء 80 وإما أن يدخل في العموم كقوله { خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 102 ولهذا إذا ذكر باسمه الخاص قرن بالخير كقوله في أسمائه الحسنى الضار النافع المعطي المانع الخافض الرافع المعز المذل فجمع بين الأسمين لما فيه من العموم والشمول الدال على وحدانيته وأنه وحده يفعل جميع هذه الأشياء ولهذا لا يدعى بأحد الإسمين كالضار والنافع والخافض والرافع بل يذكران جميعا ولهذا كان كل نعمة منه فضلا وكل نقمة منه عدلا وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يمين الله ملأى لا يغيثها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم

ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يعض ما في يمينه والقسط بيده الأخرى يخفض ويرفع فالإحسان بيده اليمنى والعدل بيده الأخرى وكلتا يديه يمين مباركة كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال المقسطون عند الله يوم القيامة عن منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذي يعدلون في أهلهم وما ولوا ولبسط هذا موضع آخر والمقصود هنا أنه سبحانه إذا خلق ما يبغضه ويكرهه لحكمة يحبها ويرضاها فهو يريد لكل ما خلقه وإن كان بعض مخلوقاته إنما خلقه لغيره وهو يبغضه ولا يحبه وهذا الفرق بين المحبة والمشيمة هو مذهب السلف وأهل الحديث والفقهاء وأكثر متكلمي أهل السنة كالحنفية والكرامية<sup>64</sup>

أن الإرادة نوعان إرادة أن يخلق وإرادة لما أمر به فأما المأمور به فهو مراد إرادة شرعية دينية متضمنة أنه يحب ما أمر به ويرضاه وهذا معنى قولنا يريد من عبده فهو يريده له كما يريد الأمر الناصح للمأمور المنصوح يقول هذا خير لك وأنفع لك وهو إذا فعله أحبه الله ورضيه والمخلوقات مرادة إرادة خلقية كونية وهذه الإرادة متضمنة لما وقع دون ما لم يقع وقد يكون الشيء مراداً له غير محبوب بل أرادته لإفضائه إلى وجود ما هو محبوب له أو لكونه شرطاً في وجود ما هو محبوب له فهذه الإرادة الخلقية هي المذكورة في قوله تعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 وفي قوله {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ} هود 34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وفي قوله {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} السجدة 13 وأمثال ذلك والإرادة الأمرية هي المذكورة في قوله {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ

الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ {البقرة 185} وفي قوله { يُرِيدُ اللَّهُ  
 لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 حَكِيمٌ } 26 { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ  
 الشَّهْوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا } 27 { يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ  
 وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا } 28 { النساء 26- 28} وفي قوله { مَا  
 يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ  
 عَلَيْكُمْ } المائدة 6 وأمثال ذلك وإذا قيل الأمر هل يستلزم الإرادة  
 أم يأمر بما لا يريد قيل هو لا يستلزم الإرادة الأولى وهي  
 إرادة الخلق فليس كل ما أمر الله به أراد أن يخلقه وأن يجعل  
 العبد المأمور فاعلا له والقدرية تنفى أن يريد ذلك لأنه عندهم  
 لا يجعل أحدا فاعلا ولا يخلق فعل أحد وأما أهل السنة  
 فعندهم هو الذي جعل الأبرار أبرارا والمسلمين مسلمين وعندهم  
 من أمره وجعله فاعلا للمأمور صار فاعلا له وإن لم يجعله  
 فاعلا له لم يصير فاعلا له فأهل الإيمان والطاعة أراد منهم  
 إيمانهم وطاعتهم أمرا وخالقا فأمرهم بذلك وأعانهم عليه وجعلهم  
 فاعلين لذلك ولولا إعانتهم لهم على طاعته لما أطاعوه وأهل الكفر  
 والمعصية أمرهم ولم يجعلهم مطيعين فلم يرد أن يخلق طاعتهم  
 لكنه أمرهم بها وأرادها منهم إرادة شرعية دينية لكونها منفعة  
 لهم ومصلحة إذا فعلوها ولم يرد هو أن يخلقها لما في ذلك من  
 الحكمة وإذا كان يحبها بتقدير وجودها فقد يكون ذلك مستلزما  
 لأمر يكرهه أو لفوات ما هو أحب إليه منه ودفعه أحب إليه من  
 حصول ذلك المحبوب فيكون ترك هذا المحبوب لدفع المكروه  
 أحب إليه من وجوده كما أن وجود المكروه المستلزم لوجود  
 المحبوب يجعله مرادا لأجله إذا كان محبته له أعظم من محبته  
 لعدم المكروه الذي هو الوسيلة وليس كل من نصحته بقولك  
 عليك أن تعينه على الفعل الذي أمرته به فالأنبياء والصالحون  
 دائما ينصحون الناس ويأمرونهم ويدلونهم على ما إذا فعلوه كان  
 صلاحا لهم ولم يعاونونهم على أفعالهم وقد يكونون قادرين لكن  
 مقتضى حكمتهم أن لا يفعلوا ذلك لأسباب متعددة والرب تعالى

على كل شيء قدير لكن ما من شيء إلا وله ضد ينافيه وله لازم لا بد منه فيمتنع وجود الضدين معا أو وجود الملزوم بدون اللازم كل من الضدين مقدور لله والله قادر على أن يخلقه لكن بشرط عدم الآخر فأما وجود الضدين معا فممتنع لذاته فلا يلزم من كونه قادرا على كل منهما وجود أحدهما مع الآخر والعباد قد لا يعلمون التنافي أو التلازم فلا يكونون عالمين بالامتناع فيظنونهم ممكن الوجود مع حصول المحبوب المطلوب للرب وفرق بين العلم بالإمكان وعدم العلم بالامتناع وإنما عندهم عدم العلم بالامتناع لا العلم بالإمكان والعدم لا فاعل له فأتوا من عدم علمهم وهو الجهل الذي هو أصل الكفر وهو سبحانه إذا اقتضت حكمته خلق شيء فلا بد من خلق لوازمه ونفي أضراده فإذا قال القائل لم يجعل معه الضد المنافي أو لم وجد اللازم كان لعدم علمه بالحقائق وهذا مثل أن يقول القائل هلا خلق زيدا قبل أبيه فيقال له يمتنع أن يكون ابنه ويخلق قبله أو يخلق حتى يخلق أبوه والناس تظهر لهم الحكمة في كثير من تفاصيل الأمور التي يتدبرونها كما تظهر لهم الحكمة في ملوحة ماء العين وعذوبة ماء الفم ومرارة ماء الأذن وملوحة ماء البحر وذلك يدلهم على الحكمة فيما لم يعلموا حكمته فإن من رأى إنسانا بارعا في النحو أو الطب أو الحساب أو الفقه وعلم أنه أعلم منه بذلك إذا أشكل عليه بعض كلامه فلم يفهمه سلم ذلك إليه فرب العالمين الذي بهرت العقول حكمته ورحمته الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا وهو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها كيف لا يجب على العبد أن يسلم ما جهله من حكمته إلى ما علمه منها<sup>65</sup>

\*ففي القرآن من الآيات المبيّنة أن الله خالق أفعال العباد وأنه هو الذي يقلب قلوب العباد فيهدي من يشاء ويضل من يشاء وأنه هو

<sup>65</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 413

المنعم بالهدى على من أنعم عليه ما يتعذر استقصاؤه في هذه  
المواضع وكذلك فيه ما يبين عموم خلقه لكل شيء كقوله {  
اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} الرعد 16 وغير ذلك وفيه ما يبين أنه فعال  
لما يريد وفيه ما يبين أنه لو شاء لهدى الناس جميعا وأمثال ذلك  
مما يطول وصفه<sup>66</sup>

### الشر لم يصف الى الله إلا على أحد و جوه ثلاثة

\* كما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخارى وغيره عن  
شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سيد  
الإستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى و  
أنا عبدك و أنا على عهدك و وعدك ما استطعت أعوذ بك من  
شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي و أبوء بذنبي فاغفر لي إنه  
لا يغفر الذنوب إلا أنت من قالها إذا أصبح موقنا بها فمات من  
يومه دخل الجنة و من قالها إذا أمسى موقنا بها فمات من ليلته  
دخل الجنة و فى هذا الحديث قوله أبوء لك بنعمتك علي و  
أبوء بذنبي و من نعمه على عبده المؤمن ما يبسر له من  
الإيمان و الحسنات فإنها من فضله و إحسانه و رحمته و حكمته  
و سيئات العبد من عدله و حكمته إذ كل نعمة منه فضل و كل  
نقمة منه عدل و هو لا يسأل عما يفعل لكمال حكمته و رحمته و  
عدله لا لمجرد قهره و قدرته كما يقوله جهم و أتباعه و قد بسط  
الكلام على هذا و بين حقيقة قوله و الخير بيدك و الشر ليس  
إليك و إن كان خالق كل شيء و بين أن الشر لم يصف  
الى الله فى الكتاب و السنة إلا على أحد و جوه ثلاثة إما  
بطريق العموم كقوله {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} الزمر 62 و أما  
بطريقة إضافته الى السبب كقوله {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} الفلق 2  
وإما أن يحذف فاعله كقول الجن {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ يَمَنَ فِي

<sup>66</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 264

الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا { الجن 10 } و قد جمع في الفاتحة الأصناف الثلاثة فقال { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الفاتحة 2 و هذا عام و قال { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } الفاتحة 7 فحذف فاعل الغضب و قال { وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 فأضاف الضلال الى المخلوق و من هذا قول الخليل { وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ } الشعراء 80 و قول الخضر { فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا } الكهف 79 { فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوَّةً وَ أَقْرَبَ رَحْمًا } الكهف 81 { فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا } الكهف 82 و قد بسط الكلام على حقائق هذه الأمور و بين أن الله لم يخلق شيئاً إلا لحكمة قال تعالى { الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ } السجدة 7 و قال { صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ } النمل 88 فالمخلوق باعتبار الحكمة التي خلق لأجلها خير و حكمة و إن كان فيه شر من جهة أخرى فذلك أمر عارض جزئي ليس شرا محضاً بل الشر الذي يقصد به الخير الأرجح هو خير من الفاعل الحكيم و إن كان شرا لمن قام به و ظن الظان أن الحكمة المطلوبة التامة قد تحصل مع عدمه إنما يقوله لعدم علمه بحقائق الأمور و إرتباط بعضها ببعض فإن الخالق إذا خلق الشيء فلا بد من خلق لوازمه فإن وجود الملزوم بدون وجود اللازم ممتنع و لا بد من ترك خلق أصداده التي تنافيه فإن إجتماع الضدين المتنافيين في وقت و احد ممتنع و هو سبحانه على كل شيء قدير لا يستثنى من هذا العموم شيء لكن مسمى الشيء ما تصور و جوده فأما الممتنع لذاته فليس شيئاً باتفاق العقلاء<sup>67</sup>

### "الخير بيدك و الشر ليس اليك"

\* أن الحسنه مضافة إليه لأنه أحسن بها من كل وجه كما تقدم فما من وجه من وجوهها إلا و هو يقتضي الاضافة إليه و أما السيئة

<sup>67</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 511-513

فهو إنما يخلقها بحكمة و هي باعتبار تلك الحكمة من احسانه فان الرب لا يفعل سيئة قط بل فعله كله حسن و حسنات و فعله كله خير ولهذا كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول في دعاء الاستفتاح و الخير بيديك و الشر ليس اليك فإنه لا يخلق شرا محضا بل كل ما يخلقه ففيه حكمة هو باعتبارها خيرا و لكن قد يكون فيه شر لبعض الناس و هو شر جزئي اضافي فإما شر كلي أو شر مطلق فالرب منزه عنه و هذا هو الشر الذي ليس اليه و أما الشر الجزئي الاضافي فهو خير باعتبار حكمته و لهذا لا يضاف الشر إليه مفردا قط بل اما أن يدخل في عموم المخلوقات كقوله { وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ } { الأنعام 101 } وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ { الفرقان 2 } واما أن يضاف الى السبب كقوله { مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ } { الفلق 2 } واما أن يحذف فاعله كقول الجن { وَأَنَا لَا نَدْرِي أَسْرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا } { الجن 10 } و هذا الموضوع ضل فيه فريقان من الناس الخائضين في القدر بالباطل فرقة كذبت بهذا و قالت انه لا يخلق أفعال العباد و لا يشاء كل ما يكون لأن الذنوب قبيحة و هو لا يفعل القبيح و ارادتها قبيحة و هو لا يريد القبيح و فرقة لما رأت أنه خالق هذا كله و لم تؤمن أنه خلق هذا لحكمة بل قالت إذا كان يخلق هذا فيجوز أن يخلق كل شر و لا يخلق شيئا لحكمة و ما ثم فعل تنزه عنه بل كل ما كان ممكنا جاز أن يفعله و جوزوا أن يأمر بكل كفر و معصية و ينهى عن كل ايمان و طاعة و صدق و عدل و أن يعذب الأنبياء و ينعم الفراعنة و المشركين و غير ذلك و لم يفرقوا بين مفعول و مفعول و هذا منكر من القول و زور كالأول قال تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } { الجاثية 21 } و قال تعالى { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } { 35 } مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ { 36 } { القلم 35- 36 } و قال تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ } { ص 28 } و نحو ذلك مما



يوجب أنه يفرق بين الحسنات و السيئات و بين المحسن و  
المسيء و أن من جوز عليه التسوية بينهما فقد أتى بقول منكر و  
زور ينكر عليه و ليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان  
لا يكون فيه حكمة بل فيه من الحكمة و الرحمة ما يخفى على  
بعضهم مما لا يقدر قدره إلا الله و ليس إذا وقع في  
المخلوقات ما هو شر جزئي بالاضافة يكون شرا كليا عاما بل  
الأمر العامة الكلية لا تكون إلا خيرا و مصلحة للعباد كالمطر  
العام و كارسال رسول عام و هذا مما يقتضى أنه لا يجوز أن  
يؤيد الله كذابا عليه بالمعجزات التي أيد بها أنبياءه الصادقين فان  
هذا شر عام للناس يضلهم و يفسد عليهم دينهم و ديناهم و  
آخرتهم و ليس هذا كالمملك الظالم و العدو فإن المملك الظالم  
لا بد أن يدفع الله به من الشر أكثر من ظلمه و قد قيل ستون  
سنة بامام ظالم خير من ليلة و احدة بلا إمام و إذا قدر كثرة  
ظلمه فذاك ضرر في الدين كالمصائب تكون كفارة لذنوبهم و  
يثابون عليها و يرجعون فيها إلى الله و يستغفرونه و يتوبون إليه  
و كذلك ما يسلط عليهم من العدو و أما من يكذب على الله و  
يقول أي يدعى أنه نبي فلو أيدته الله تأييد الصادق للزم أن يسوى  
بينه و بين الصادق فيستوى الهدى و الضلال و الخير و الشر و  
طريق الجنة و طريق النار و يرتفع التمييز بين هذا و هذا و هذا  
مما يوجب الفساد العام للناس في دينهم و ديناهم و آخرتهم  
ولهذا أمر النبي صلى الله عليه و سلم بقتال من يقاتل على الدين  
الفاسد من أهل البدع كالخوارج و أمر بالصبر على جور الأئمة  
و نهى عن قتالهم و الخروج عليهم و لهذا قد يمكن الله كثيرا من  
الملوك الظالمين مدة و أما المتنبيون الكذابون فلا يطيل تمكينهم  
بل لا بد أن يهلكهم لأن فسادهم عام في الدين و الدنيا و الآخرة  
قال تعالى { وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ {44} } لَأَخَذْنَا مِنْهُ  
بِالْيَمِينِ {45} } ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ {46} } الحاقة 44-46 و قال  
تعالى { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى  
قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

{الشورى 24 فأخبر أنه بتقدير الافتراء لابد أن يعاقب من  
افترى عليه<sup>68</sup>

### الإسم تتنوع دلالاته بحسب قيوده

\*وبين الأئمة أن من جعل شيئاً من المحدثات كأفعال العباد  
وغيرهما ليس مخلوقاً لله فهو مثل من أنكر خلق الله لغير ذلك من  
المحدثات كالسما والارض فان الله رب العالمين ومالك الملك  
وخالق كل شىء فليس شىء من العالمين خارجاً عن ربوبيته ولا  
شىء من الملك خارجاً عن ملكه ولا شىء من المحدثات خارجاً  
عن خلقه قال تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيلٌ} {62} لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ {63} الزمر 62-63  
وقال تعالى {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ  
لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} {101} ذَلِكَ اللَّهُ  
رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
وَكَيلٌ} {102} لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ  
اللطيفُ الخبيرُ {103} {الأنعام 101-103} ولهذا كان أهل  
السنة والجماعة والحديث هم المتبعين لكتاب الله المعتمدين  
لموجب هذه النصوص حيث جعلوا كل محدث من الأعيان  
والصفات والأفعال المباشرة والمتولدة وكل حركة طبيعة أو  
إرادية أو قسرية فان الله خالق كل ذلك جميعه وربيه ومالكة  
ومليكه ووكيل عليه وانه سبحانه على كل شىء قدير وبكل شىء  
عليم فأمنوا بعلمه المحيط وقدرته الكاملة ومشيتته الشاملة  
وربوبيته التامة ولهذا قال ابن عباس الإيمان بالقدر نظام التوحيد  
فمن وحد الله وأمن بالقدر تم توحيده ومن وحد الله وكذب بالقدر  
نقض تكذيبه توحيده وأما صفة الله تعالى فهي داخلة فى

<sup>68</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 265-270 والحسنة والسيئة ج: 1 ص:

مسمى أسمائه الظاهرة والمضمرة فإذا قلت عبدت الله ودعوت  
 الله و إياك نعبد فهذا الاسم لا يخرج عنه شيء من صفاته  
 من علمه ورحمته وكلامه وسائر صفاته ولهذا قال النبي من  
 كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت وقال من حلف بغير الله  
 فقد أشرك وقد ثبت عنه الحلف بعزة الله والحلف بقوله  
 لعمر الله فعلم أن ذلك ليس حلفا بغير الله فأعطوا هذه الآيات  
 المنصوصة حقها في اتباع عمومها الذي قد صرحت به في أن  
 الله خالق كل شيء إذ قد علم أن الله ليس هو داخلا في المخلوق  
 وعلم أن صفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه وأما المعتزلة  
 الذين جمعوا التجهم والقدر فأخرجوا عنها ما يتناول الاسم يقينا  
 من أفعال الملائكة والجن والانس والبهائم طاعاتها وغير  
 طاعاتها وذلك قسط كبير من ملك الله وآياته بل هي من محاسن  
 ملكه وأعظم آياته ومخلوقاته وأدخلوا في ذلك كلامه لكونه يسمى  
 شيئا في مثل قوله { إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشْرًا مِّنْ شَيْءٍ  
 قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ بِالنَّامِ 91 } ولم  
 ينظروا في أن ذلك مثل تسمية علمه شيئا في قوله { وَلَا  
 يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ } البقرة 255 { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ  
 عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } البقرة 255 وتسمية نفسه شيئا في قوله  
 { قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ } الأنعام 19  
 وأن قوله كل شيء يعم بحسب ما اتصل به من الكلام  
 فان الاسم تنتوع دلالاته بحسب قيوده ففي قوله { وَهُوَ بِكُلِّ  
 شَيْءٍ عَلِيمٌ } البقرة 29 دخل في ذلك نفسه لأنها تصلح أن تعلم  
 وفي قوله { وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } المائدة 120 دخل في  
 ذلك ما يصلح أن يكون مقدورا وذلك يتناول كل ما كانت ذاته  
 ممكنة الوجود وقد يقال دخل في ذلك كل ما يسمى شيئا بمعنى  
 مشيئا فان الشيء في الأصل مصدر وهو بمعنى  
 المشيء فكل ما يصلح أن يشاء فهو عليه قدير وإن شئت قلت  
 قدير على كل ما يصلح أن يقدر عليه والممتنع لذاته ليس شيئا  
 باتفاق العقلاء وفي قوله { اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } الرعد 16 قد

علم أن الخالق ليس هو المخلوق وانه لا يتناول له الاسم وإنما دخل فيه كل شيء مخلوق وهي الحادثات جميعها هذا مع أن أهل السنة يقولون أن العبد له مشيئة وقدرة وإرادة وهو فاعل لفعله حقيقة وينهون عن إطلاق الجبر فان لفظ الجبر يشعر أن الله أجبر العبد على خلاف مراد العبد كما تجبر المرأة على النكاح وليس كذلك بل العبد مختار يفعل باختياره ومشيئته ورضاه ومحبهه ليس مجبوراً عديم الإرادة والله خالق هذا كله فإن هذه الأمور من المحدثات الممكنات فالدلالة على أن الله خالقها كالدلالة على أنه خالق غيرها من المحدثات<sup>69</sup>

### لفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب

\*ولفظ العبادة يتضمن كمال الذل بكمال الحب فلا بد أن يكون العابد محباً للإله المعبود كمال الحب ولا بد أن يكون ذليلاً له كمال الذل فمن أحب شيئاً ولم يذل له لم يعبده ومن خضع له ولم يحبه لم يعبده وكمال الحب والذل لا يصلح إلا لله وحده فهو الإله المستحق للعبادة التي لا يستحقها إلا هو وذلك يتضمن كمال الحب والذل والإجلال والإكرام والتوكل والعبادة فالنفوس محتاجة إلى الله من حيث هو معبودها ومنتهى مرادها وبغيتها ومن حيث هو ربها وخالقها فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله ولو كان مع ذلك عفيفاً في طعامه ونكاحه وكان حكيماً شجاعاً<sup>70</sup>

<sup>69</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 329-332

<sup>70</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 31

## إجماع السلف على إثبات الرؤية بالعين في الآخرة ونفيها في الدنيا

\*قال السلف في قوله تعالى { **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** } الأنعام 103 قالوا لا تحيط به وقيل لابن عباس رضي الله عنه أليس الله تعالى يقول لا تدركه الأبصار قال أأست ترى السماء قال بلى قال أفكلها ترى قال لا فذكر أن الله يرى ولا يدرك أي لا يحاط به ونحو ذلك <sup>71</sup>

\*قال تعالى { **وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ** } 22 { **إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** } 23 { **القيامة** 22-23 وقال تعالى { **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ** } يونس 26 وقد ثبت في صحيح مسلم عن صهيب عن النبي انه قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة وقد استفاض عن النبي في الصحاح أنه قال أنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته و ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضامون في رؤية الشمس صحوا ليس دونها سحب قالوا لا قال فهل تضارون في رؤية القمر صحوا ليس دونه سحب قالوا لا قال فانكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الرؤية بالرؤية ولم يشبه المرئى

<sup>71</sup>منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 567-568

بالمرئى فان العباد لا يحيطون بالله علما ولا تدرکه ابصارهم كما  
 قال تعالى {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ  
 {الأنعام 103} وقد قال غير واحد من السلف والعلماء إن  
 الادراك هو الاحاطة فالعباد يرون الله تعالى عيانا ولا يحيطون  
 به فهذا وأمثاله مما أخبر الله به ورسوله<sup>72</sup>

\* وقد جاء حديث رواه ابن أبي حاتم فى قوله {لَا تُدْرِكُهُ  
 الْأَبْصَارُ {الأنعام 103} لمعناه شواهد تدل على هذا فينبغي أنا  
 نعتبر الحديث فنطابق بين الكتاب و السنة فهذا هذا و الله أعلم  
 قال حدثنا أبو زرعة ثنا منجاب بن الحارث أنبأ بشر بن عمارة  
 عن أبي روق عن عطية العوفى عن أبي سعيد الخدرى عن  
 رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قوله تعالى {لَا تُدْرِكُهُ  
 الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ {الأنعام 103} قال لو أن  
 الجن و الإنس و الشياطين و الملائكة منذ خلقوا إلى أن فنوا  
 صفوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا و هذا له شواهد  
 مثل ما فى الصحاح فى تفسير قوله تعالى { وَالْأَرْضُ جَمِيعاً  
 قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ } الزمر 67 قال  
 ابن عباس ما السموات السبع و الأرضون السبع و من فيهن فى  
 يد الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم و معلوم أن العرش لا  
 يبلغ هذا فإن له حملة و له حول قال تعالى {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ  
 الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ } غافر 7 و هذا قد بسط فى موضع آخر  
 فى مسألة الإحاطة و غيرها و الله أعلم<sup>73</sup>

\* النزاع فى هذه المسألة بين طوائف الإمامية كما النزاع فيها بين  
 غيرهم فالجهمية والمعتزلة والخوارج وطائفة من غير الإمامية  
 تنكرها والإمامية لهم فيها قولان فجمهور قدمائهم يثبت الرؤية

<sup>72</sup> مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 481

<sup>73</sup> مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 438-439 و مجموع الفتاوى ج: 5 ص:

وجمهور متأخريهم ينفونها وقد تقدم أن أكثر قدمائهم يقولون بالتجسيم قال الأشعري وكل المجسمة إلا نفرا قليلا يقولون بإثبات الرؤية وقد يثبت الرؤية من لا يقول بالتجسيم قلت وأما الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين كمالك والثوري والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق وأبي حنيفة وأبي يوسف وأمثال هؤلاء وسائر أهل السنة والحديث والطوائف المنتسبين إلى السنة والجماعة كالكلابية والأشعرية والسالمية وغيرهم فهؤلاء كلهم متفقون على إثبات الرؤية لله تعالى والأحاديث بها متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل العلم بحديثه وكذلك الآثار بها متواترة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان وقد ذكر الإمام أحمد وغيره من الأئمة العالمين بأقوال السلف أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان متفقون على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار ومتفقون على أنه لا يراه أحد في الدنيا بعينه ولم يتنازعا في ذلك إلا في نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة منهم من نفى رؤيته بالعين في الدنيا ومنهم من أثبتها وقد بسطت هذه الأقوال والأدلة من الجانبين في غير هذا الموضع والمقصود هنا نقل إجماع السلف على إثبات الرؤية بالعين في الآخرة ونفيها في الدنيا إلا الخلاف في النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وأما احتجاجه واحتجاج النفاة أيضا بقوله تعالى **{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}** {الأنعام 103} فالآية حجة عليهم لا لهم لأن الإدراك إما أن يراد به مطلق الرؤية أو الرؤية أو الرؤية المقيدة بالإحاطة والأول باطل لأنه ليس كل من رأى شيئا يقال إنه أدركه كما لا يقال أحاط به كما سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذلك فقال ألسنت ترى السماء قال بلى قال أكلها ترى قال لا ومن رأى جوانب الجيش أو الجبل أو البستان أو المدينة لا يقال إنه أدركها وإنما يقال أدركها إذا أحاط بها رؤية ونحن في هذا المقام ليس علينا بيان ذلك وإنما ذكرنا هذا بيانا لسند المنع بل المستدل بالآية عليه أن يبين أن الإدراك في لغة العرب مرادف للرؤية وأن كل من

رأى شيئاً يقال في لغتهم إنه أدركه وهذا لا سبيل إليه كيف وبين  
 لفظ الرؤية ولفظ الإدراك عموم وخصوص أو اشتراك لفظي فقد  
 تقع رؤية بلا إدراك وقد يقع إدراك بلا رؤية فإن الإدراك  
 يستعمل في إدراك العلم وإدراك القدرة فقد يدرك الشيء بالقدرة  
 وإن لم يشاهد كالأعمى الذي طلب رجلاً هارباً منه فأدركه ولم  
 يره وقد قال تعالى { فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى  
 إِنَّا لَمُدْرِكُونَ } {61} قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ } {62} الشعراء  
 61- 62 فنفى موسى الإدراك مع إثبات الترائي فعلم أنه قد يكون  
 رؤية بلا أدراك والإدراك هنا هو إدراك القدرة أي ملحوقون  
 محاط بنا وإذا انتفى هذا الإدراك فقد تنتفى إحاطة البصر أيضاً  
 ومما يبين ذلك أن الله تعالى ذكره هذه الآية يمدح بها نفسه  
 سبحانه وتعالى ومعلوم أن كون الشيء لا يرى ليس صفة مدح  
 لأن النفي المحض لا يكون مدحا إن لم يتضمن أمراً ثبوتياً ولأن  
 المعدوم أيضاً لا يرى والمعدوم لا يمدح فعلم أن مجرد نفي  
 الرؤية لا مدح فيه وهذا أصل مستمر وهو أن العدم المحض  
 الذي لا يتضمن ثبوتاً لا مدح فيه ولا كمال فلا يمدح الرب نفسه  
 به بل ولا يصف نفسه به وإنما يصفها بالنفي المتضمن معنى  
 ثبوت كقوله { لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } البقرة 255 وقوله {  
 مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255 وقوله { وَلَا  
 يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ } البقرة 255 وقوله { وَلَا  
 يُؤْوَدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ } البقرة 255 وقوله { لَا يَعْزُبُ  
 عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ } سبأ 3 وقوله  
 { وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } ق 38 ونحو ذلك من القضايا السلبية التي  
 يصف الرب تعالى بها نفسه وأنها تتضمن اتصافه بصفات  
 الكمال الثبوتية مثل كمال حياته وقيوميته وملكه وقدرته وعلمه  
 وهدايته وانفراده بالربوبية والإلهية ونحو ذلك وكل ما يوصف  
 به العدم المحض فلا يكون إلا عدماً محضاً ومعلوم أن العدم  
 المحض يقال فيه إنه لا يرى فعلم أن نفي الرؤية عدم محض ولا  
 يقال في العدم المحض لا يدرك وإنما يقال هذا فيما لا يدرك



لعظمته لا لعدمه وإذا كان المنفى هو الإدراك فهو سبحانه وتعالى لا يحاط به رؤية كما لا يحاط به علما ولا يلزم من نفي إحاطة العلم والرؤية نفي العلم والرؤية بل يكون ذلك دليلا على أنه يرى و يحاط به كما يعلم ولا يحاط به فإن تخصيص الإحاطة بالنفي يقتضي أن مطلق الرؤية ليس بمنفى وهذا الجواب قول أكثر العلماء من السلف وغيرهم وقد روى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وقد روى في ذلك حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولا تحتاج الآية إلى تخصيص ولا خروج عن ظاهر الآية فلا نحتاج أن نقول لا نراه في الدنيا أو نقول لا تدركه الأبصار بل المبصرون أو لا تدركه كلها بل بعضها ونحو ذلك من الأقوال التي فيها تكلف ثم نحن في هذا المقام يكفينا أن نقول الآية تحتل ذلك فلا يكون فيها دلالة على نفي الرؤية فبطل استدلال من استدل بها على الرؤية وإذا أردنا أن نثبت دلالة الآية على الرؤية مع نفيها للإدراك الذي هو الإحاطة أقمنا الدلالة على أن الإدراك في اللغة ليس هو مرادفا للرؤية بل هو أخص منها وأثبتنا ذلك باللغة وأقوال المفسرين من السلف وبأدلة أخرى سمعية وعقلية من الأشياء ما يرى ومنها ما لا يرى والفرق بينهما لا يجوز أن يكون أمورا عدمية لأن الرؤية أمر وجودي والمرئي لا يكون إلا موجودا فليست عدمية لا تتعلق بالمعدوم ولا يكون الشرط فيه إلا أمرا وجوديا لا يكون عدميا وكل ما لا يشترط فيه إلا الوجود دون العدم كان بالوجود الأكمل أولى منه بالأنقص فكل ما كان وجوده أكمل كان أحق بأن يرى وكل ما لم يمكن أن يرى فهو أضعف وجودا مما يمكن أن يرى فالأجسام الغليظة أحق بالرؤية من الهواء والضياء أحق بالرؤية من الظلام لأن النور أولى بالوجود والظلمة أولى بالعدم والموجود الواجب الوجود أكمل الموجودات وجودا وأبعد الأشياء عن العدم فهو أحق بأن يرى وإنما لم نره لعجز أبصارنا عن رؤيته لا لأجل امتناع رؤيته كما أن شعاع الشمس أحق بأن يرى من جميع الأشياء ولهذا مثل النبي صلى الله عليه وسلم

رؤية الله به فقال ترون ربكم كما ترون الشمس والقمر شبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئى مثل المرئى ومع هذا فإذا حقد البصر في الشعاع ضعف عن رؤيته لا لامتناع في ذات المرئى بل لعجز الرائي فإذا كان في الدار الآخرة أكمل الله تعالى الأدميين وقواهم حتى أطاقوا رؤيته ولهذا لما تجلى الله عز وجل للجبل خر موسى صعقا { فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } الأعراف 143 قيل أول المؤمنين بأنه لا يراك حي إلا مات ولا يابس إلا تدهده فهذا للعجز الموجود في المخلوق لا لامتناع في ذات المرئى بل كان المانع من ذاته لم يكن إلا لنقص وجوده حتى ينتهي الأمر إلى المعدوم الذي لا يتصور أن يرى خارج الرائي ولهذا كان البشر يعجزون عن رؤية الملك في صورته إلا من أيده الله كما أيد نبينا صلى الله عليه وسلم قال تعالى { وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ } {8} {9} {الأنعام 8-9} قال غير واحد من السلف هم لا يطيقون أن يروا الملك في صورته فلو أنزلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة بشر وحينئذ كان يشتبه عليهم هل هو ملك أو بشر فما كانوا ينتفعون بإرسال الملك إليهم فأرسلنا إليهم بشرا من جنسهم يمكنهم رؤيته والتلقي عنه وكان هذا من تمام الإحسان إلى الخلق والرحمة ولهذا قال تعالى { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } التكويد 22<sup>74</sup>

\*فإن كل ما يمدح به الرب من النفي فلا بد أن يتضمن ثبوتا بل وكذلك كل ما يمدح به شيء من الموجودات من النفي فلا بد أن يتضمن ثبوتا وإلا فالنفي المحض معناه عدم محض والعدم المحض ليس بشيء فضلا عن أن يكون صفة كمال وهذا

<sup>74</sup> منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 315-333

كما يذكره سبحانه مثل قوله { **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** } { الأنعام 103 } الإدراك عند السلف و الأكثرين هو الإحاطة و قال طائفة هو الرؤية و هو ضعيف لأن نفي الرؤية عند لا مدح فيه فإن العدم لا يرى و كل و صف يشترك فيه الوجود و العدم لا يستلزم امرا ثبوتيا فلا يكون فيه مدح إذ هو عدم محض بخلاف ما إذا قيل لا يحاط به فإنه يدل على عظمة الرب جل جلاله وإن العباد مع رؤيتهم له لا يحيطون به رؤية كما انهم مع معرفته لا يحيطون به علما و كما أنهم مع مدحه و الثناء عليه لا يحيطون ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه المقدسة و لهذا قال أفضل الخلق و أعلمهم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك و هذه الأمور مبسطة في موضع آخر <sup>75</sup>

### الرد على الذين ينكرون الرؤية

\*قال ابن فورك في كتابه الذي كتبه إلى أبي إسحاق الإسفرائيني يحكى ما جرى له قال و جرى في كلام السلطان أليس تقول إنه يرى لا في جهة فقلت نعم يرى لا في جهة كما أنه لم يزل يرى نفسه لا في جهة و لا من جهة و يراه غيره على ما يرى و رأى نفسه و الجهة ليست بشرط في الرؤية و قلت أيضا المرئيات المعقولة فيما بيننا هكذا نراها في جهة و محل و القضاء بمجرد المعهود لا يمكن دون السير و البحث لأننا كما لا نرى إلا في جهة و محل كذلك لم نر إلا مثلونا ذا قدر و حجم يحتتمل المساحة و الثقل و لا يخلو من حرارة و رطوبة أو يبوسة إذا لم يكن عرضا لا يقبل التثنية و التأليف و غير ذلك ومع هذا فلا عبرة بشيء من هذا قال ثم بلغني أن السلطان ذلك اليوم والليلة وثاني يوم يكرر على نفسه في مجلسه كيف يعقل شيء لا في جهة و ما شغل القلب في أول الأمر و تربى عليه فإن

<sup>75</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 114

قلعه صعب و الله المعين غير أنه فرحت الكرامية بما كان منه  
 في ذلك فلما رجعت إلى البيت فإذا أنا برقعة فيها مكتوب  
 الأستاذ أدام الله سلامته على مذهبه أن الباري ليس في جهة  
 فكيف يرى لا في جهة فكتبت خبر الرؤية صحيح و هي  
 واجبة كما بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على أن  
 الله يرى لا في جهة لأنه صلى الله عليه وسلم قال لا تضامون  
 في رؤيته و معناه لا تضمكم جهة واحدة في رؤيته فإنه لا في  
 جهة و كلاماً طويلاً من كل وجه ملأت ظهر الرقعة وبطنها  
 منه فلما ردت إليه أنفذها إلى حاكم البلد و هو أبو محمد  
 الناصحي و إستفتاه فيما قلته فجمع قوماً من الحنفية و الكرامية  
 فكتب هو أعزك الله بأن من قال بأن الله لا يرى في جهة مبتدع  
 ضال و كتب أبو حامد المعتزلي مثله و كتب إنسان بسطامي  
 مؤدب في دار صاحب الجيش مثله فردوا عليه فأنفذ علي ما في  
 ذلك المحضر الذي فيه خطوطهم و كتب إلي رقعة وقال فيها  
 إنهم كتبوا هكذا فما تقول في هذه الفتاوى فقلت إن هؤلاء القوم  
 يجب أن يسألوا عن مسائل الفقه التي يقال فيها بتقليد العامي  
 للعالم فأما معرفة الأصول و الفتاوى فيها فليس من شأنهم و هم  
 يقولون إنا لا نحسن ذلك قلت قول هؤلاء إن الله يرى  
 من غير معاينة و مواجهة قول إنفردوا به دون سائر طوائف  
 الأمة و جمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة  
 والأخبار المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم ترد عليهم  
 كقوله في الأحاديث الصحيحة إنكم سترون ربكم كما ترون  
 الشمس و القمر لا تضارون في رؤيته و قوله لما سألته الناس  
 هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل ترون الشمس صحوا ليس  
 دونها سحاب قالوا نعم و هل ترون القمر صحوا ليس دونه  
 سحاب قالوا نعم قال فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس  
 و القمر فشبه الرؤية بالرؤية و لم يشبه المرئي بالمرئي فإن  
 الكاف حرف التشبيه دخل على الرؤية و في لفظ للبخاري  
 يروونه عياناً و معلوم أنا نرى الشمس و القمر عياناً مواجهة

فيجب أن نراه كذلك و أما رؤية ما لا نعاين و لا نواجهه فهذه  
 غير متصورة في العقل فضلا عن أن تكون كرؤية الشمس  
 والقمر ولهذا صار حذاقهم إلى إنكار الرؤية و قالوا قولنا هو قول  
 المعتزلة في الباطن فإنهم فسروا الرؤية بزيادة إنكشاف و نحو  
 ذلك مما لا تنازع فيه المعتزلة و أما قوله إن الخبر يدل على أنهم  
 يرونه لا في جهة و قوله لا تضامون معناه لا تضمكم جهة  
 واحدة في رؤيته فإنه لا في جهة فهذا تفسير للحديث بما لا يدل  
 عليه و لا قاله أحد من أئمة العلم بل هو تفسير منكر عقلا و شرعا  
 و لغة فإن قوله لا تضامون يروى بالتخفيف أي لا يلحقم  
 ضيم في رؤيته كما يلحق الناس عند رؤية الشيء الحسن كالهلال  
 فإنه قد يلحقم ضيم في طلب رؤيته حين يرى و هو سبحانه  
 يتجلى تجليا ظاهرا فيروونه كما ترى الشمس و القمر بلا ضيم  
 يلحقم في رؤيته و هذه الرواية المشهورة و قيل لا تضامون  
 بالتشديد أي لا ينضم بعضهم إلى بعض كما يتضام الناس عند  
 رؤية الشيء الخفي كالهلال و كذلك تضارون و تضارون فإما  
 أن يروى بالتشديد و يقال لا تضامون أي لا تضمكم جهة  
 واحدة فهذا باطل لأن التضام إنضمام بعضهم إلى بعض فهو  
 تفاعل كالتماس و التراد و نحو ذلك و قد يروى لا  
 تضامون بالضم و التشديد أي لا يضم بعضهم بعضا و بكل  
 حال فهو من التضام الذي هو مضامة بعضهم بعضا ليس  
 هو أن شيئا آخر لا يضمكم فإن هذا المعنى لا يقال فيه لا  
 تضامون فإنه لم يقل لا يضمكم شيء ثم يقال الرءاون  
 كلهم في جهة و احدة على الأرض و إن قدر أن المرئى ليس في  
 جهة فكيف يجوز أن يقال لا تضمكم جهة و احدة و هم  
 كلهم على الأرض أرض القيامة أو في الجنة و كل ذلك جهة  
 ووجودهم نفسهم لا في جهة و مكان ممتنع حسا و عقلا و أما قوله  
 هو يرى لا في جهة فكذلك يراه غيره فهذا تمثيل باطل فإن  
 الإنسان يمكن أن يرى بدنه و لا يمكن أن يرى غيره إلا أن يكون  
 بجهة منه و هو أن يكون أمامه سواء كان عاليا أو سافلا

وقد تخرق له العادة فيرى من خلفه كما قال النبي صلى الله عليه  
و سلم إني لأراكم من بعدي و في رواية من بعد  
ظهري و في لفظ للبخاري إني لأراكم من ورائي و  
في لفظ في الصحيحين إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر  
من بين يدي لكن هم بجهة منه وهم خلفه فكيف تقاس رؤية  
الرائي لغيره على رؤيته لنفسه ثم تشبيه رؤيته هو برؤيتنا نحن  
تشبيه باطل فإن بصره يحيط بما رآه بخلاف أبصارنا و هؤلاء  
القوم أثبتوا ما لا يمكن رؤيته و أحبوا نصر مذهب اهل السنة و  
الجماعة و الحديث فجمعوا بين أمرين متناقضين فإن ما لا يكون  
داخل العالم ولا خارجه ولا يشار إليه يمتنع أن يرى بالعين لو  
كان و جوده في الخارج ممكنا فكيف وهو ممتنع و إنما يقدر في  
الأذهان من غير أن يكون له وجود في الأعيان فهو من باب  
الوهم و الخيال الباطل و لهذا فسروا الإدراك بالرؤية في  
قوله **{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ}{الأنعام 103}** كما فسرتها المعتزلة  
لكن عند المعتزلة هذا خرج مخرج المدح فلا يرى بحال و هؤلاء  
قالوا لا يرى في الدنيا دون الآخرة والآية تنفي الإدراك مطلقا  
دون الرؤية كما قال ابن كلاب وهذا أصح و حينئذ فتكون الآية  
دالة على إثبات الرؤية وهو أنه يرى ولا يدرك فيرى من غير  
إحاطة ولا حصر و بهذا يحصل المدح فإنه وصف لعظمته أنه لا  
تدركه أبصار العباد وإن رأته و هو يدرك أبصارهم قال ابن  
عباس و عكرمة بحضرته لمن عارض بهذه الآية ألتست ترى  
السماء قال بلى قال أفكلها ترى و كذلك قال **{وَلَا**  
**يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ}{البقرة 255}** و هؤلاء  
يقولون علمه شيء واحد لا يمكن أن يحاط بشيء منه دون شيء  
فقالوا ولا يحيطون بشيء من معلومه و ليس الأمر كذلك بل نفس  
العلم جنس يحيطون منه بما شاء و سائرُه لا يحيطون به و  
قال **{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}{طه 110}**  
و الراجح من القولين أن الضمير عائد إلى **{ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا**  
**خَلْفَهُمْ}{البقرة 255}** و إذا لم يحيطوا بهذا علما و هو بعض

مخلوقات الرب فإن لا يحيطوا علما بالخالق أولى وأحرى قال تعالى { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } المدثر 31 وقال { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَأَوْا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ } إبراهيم 9 الآية فإذا قيل { **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ** } الأنعام 103 أى لا تحيط به دل على أنه يوصف بنفي الإحاطة به مع إثبات الرؤية و هذا ممتنع على قول هؤلاء فإن هذا إنما يكون بزعمهم فيما ينقسم فيرى بعضه من بعض فتكون هناك رؤية بلا إدراك وإحاطة و عندهم لا يتصور أن يرى إلا رؤية واحدة متماثلة كما يقولونه فى كلامه إنه شيء واحد لا يتبعض ولا يتعدد وفى الإيمان به أنه شيء واحد لا يقبل الزيادة والنقصان وأما الإدراك والإحاطة الزائد على مطلق الرؤية فليس إنتفاؤه لعظمة الرب عندهم بل لأن ذاته لا تقبل ذلك كما قالت المعتزلة إنها لا تقبل الرؤية وأيضا فهم والمعتزلة لا يريدون أن يجعلوا للأبصار إدراكا غير الرؤية سواء أثبتت الرؤية أو نفيت فإن هذا يبطل قول المعتزلة بنفى الرؤية ويبطل قول هؤلاء بإثبات رؤية بلا معاينة ومواجهة فصل هذا مع أن ابن فورك هو ممن يثبت الصفات الخبرية كالوجه واليدين و كذلك المجيء والإتيان موافقة لأبى الحسن فإن هذا قوله و قول متقدمي أصحابه<sup>76</sup>

### النفى ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتا

\* أن الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفى فالإثبات كإخباره بأنه بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير وأنه سميع بصير ونحو ذلك والنفى كقوله { لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ } البقرة 255 وينبغى أن يعلم أن النفى ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتا وإلا فمجرد النفى ليس فيه مدح ولا كمال لأن النفى المحض عدم محض والعدم المحض ليس بشيء وما ليس

<sup>76</sup>مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 82-89

بشيء فهو كما قيل ليس بشيء فضلا عن أن يكون مدحا أو كمالا  
ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع والمعدوم  
والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال فلهذا كان عامة ما وصف  
الله به نفسه من النفي متضمنا لإثبات مدح كقوله {الله لا  
إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم} البقرة 255  
الى قوله {ولا يؤوده حفظهما} البقرة 255 فنفى  
السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام فهو مبين لكمال أنه  
الحي القيوم وكذلك قوله {ولا يؤوده حفظهما} البقرة 255  
أى لا يكرثه ولا يتقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها بخلاف  
المخلوق القادر اذا كان يقدر على الشيء بنوع كلفة ومشقة فإن  
هذا نقص فى قدرته وعيب فى قوته وكذلك قوله {لا  
تدركه الأبصار} الأنعام 103 انما نفى الادراك الذى هو  
الإحاطة كما قاله أكثر العلماء ولم ينف مجرد الرؤية لأن المعدوم  
لا يرى وليس فى كونه لا يرى مدح إذ لو كان كذلك لكان  
المعدوم ممدوحا وإنما المدح فى كونه لا يحاط به وإن روى كما  
انه لا يحاط به وان علم فكما انه اذا علم لا يحاط به علما فكذلك  
اذا روى لا يحاط به رؤية فكان فى نفى الادراك من اثبات  
عظمته ما يكون مدحا وصفة كمال وكان ذلك دليلا على اثبات  
الرؤية لا على نفيها لكنه دليل على اثبات الرؤية مع عدم  
الإحاطة وهذا هو الحق الذى اتفق عليه سلف الامة وأتمتها<sup>77</sup>  
\*كل كمال ثبت للمخلوق فالخالق أحق به وكل نقص تنزه عنه  
مخلوق فالخالق أحق بتنزيهه عنه لأن الموجود الواجب القديم  
أكمل من الموجود الممكن والمحدث ولأن كل كمال فى المفعول  
المخلوق هو من الفاعل الخالق ومن المعلوم بضرورة العقل أن

<sup>77</sup> مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 35-37 و الصفية ج: 2 ص: 65 و مجموع  
الفتاوى ج: 6 ص: 289



المعدوم لا يبدع موجودا والناقص لا يبدع ما هو أكمل منه فإن  
النقص أمور عدمية ولهذا لا يوصف الرب من الأمور السلبية إلا  
بما يتضمن أمورا وجودية وإلا فالعدم المحض لا كمال فيه كما  
قال تعالى {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ  
اللطيفُ الخبيرُ} {الأنعام 103} فمعناه على قول الجمهور لا  
تحيط به ليس معناه لا تراه فإن نفي الرؤية يشاركه فيه المعدوم  
فليس هو صفة مدح بخلاف كونه لا يحاط به ولا يدرك فإن هذا  
يقتضي أنه من عظمته لا تدرکه الأبصار وذلك يقتضي كمالا  
عظيما تعجز معه الأبصار عن الإحاطة فالآية دالة على إثبات  
رؤيته ونفي الإحاطة به نقيض ما تظنه الجهمية من أنها دالة  
على نفي رؤيته<sup>78</sup>

### العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل

\* قال تعالى {قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ  
وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} {104} وكذلك نُصِرَفُ  
الآياتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} {105} {الأنعام 104-  
105} قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا  
فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب  
يتمتع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر  
خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما  
يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا  
الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان  
حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا  
أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك  
من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال  
موتى وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا

يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهي  
وأَنهم مهتدون وَأَن لهم نورا وَأَنهم يسمعون ويعقلون<sup>79</sup>

{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا  
وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} 104 {وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِيُقُولُوا  
دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} 105 {الانعام 104-105}

### من كان من المؤمنين مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح واما اهل القوة فانما يعملون بآية القتال

\* وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى {فَاصْدَعْ  
بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} الحجر 94 {أَسْتَعْتِبُكُمْ  
بِمُصَيَّبٍ} الغاشية 22 {فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ} المائدة 13 {  
وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا} التغابن 14 {فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى  
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} البقرة 109 {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا  
يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ} الجاثية 14 {اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} الانعام 106 ونحو هذا في  
القران مما امر الله به المؤمنين بالعتفو والصفح عن المشركين  
فانه نسخ ذلك كله قوله تعالى {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ  
وَجَدْتُمُوهُمْ} التوبة 5 وقوله تعالى {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} التوبة 29 الى قوله {وَهُمْ صَاحِرُونَ  
} التوبة 29 فنسخ هذا عفو عن المشركين وكذلك روى  
الامام احمد وغيره عن قتادة قال امر الله نبيه ان يعفوا عنهم  
ويصفح حتى ياتي الله بامرهم وقضائه ثم انزل الله عز وجل براءة  
فاتي الله بامرهم وقضائه فقال تعالى {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا

<sup>79</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ { التوبة 29 } الآية قال فنسخت هذه الآية ما كان قبلها وامر الله فيها بقتال اهل الكتاب حتى يسلموا او يقرروا بالجزية صغارا ونقمة لهم وكذلك ذكر موسى بن عقبة عن الزهري ان النبي لم يكن يقاتل من كف عن قتاله لقوله تعالى { فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُفَاتِلُوكُمْ وَالْقَوَا إِيَّكُمْ السَّلْمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا } النساء 90 الى ان نزلت براءة وجملة ذلك انه لما نزلت براءة امر ان يبتدي جميع الكفار بالقتال وثنيتهم وكتابتهم سواء كفوا عنه او لم يكفوا وان يبتدئ اليهم تلك العهود المطلقة التي كانت بينه وبينهم وقيل له فيها { جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ } التوبة 73 بعد ان كان قد قيل له { وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ } الأحزاب 48 ولهذا قال زيد بن اسلم نسخت هذه الآية ما كان قبلها فاما قبل براءة وقبل بدر فقد كان مأمورا بالصبر على اذاهم والعفو عنهم واما بعد بدر وقبل براءة فقد كان يقاتل من يؤذيه ويمسك عن سآلمه كما فعل بابر الاشرف وغيره ممن كان يؤذيه فبدر كانت اساس عز الدين وفتح مكة كانت كمال عز الدين فكانوا قبل بدر يسمعون الاذى الظاهر ويؤمرون بالصبر عليه وبعد بدر يؤذون في السر من جهة المنافقين وغيرهم فيؤمرون بالصبر عليه وفي تبوك امروا بالاغلاظ للكفار والمنافقين فلم يتمكن بعدها كافر ولا منافق من اذاهم في مجلس خاص ولا عام بل مات بغيظه لعلمه بانه يقتل اذا تكلم وقد كان بعد بدر لليهود استطالة واذى للمسلمين الى ان قتل كعب بن الاشرف قال محمد بن اسحاق في حديثه عن محمد بن مسلمة قال فاصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله فليس بها يهودي الا وهو يخاف على نفسه وروى باسناده عن محيصة ان رسول الله قال من ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه فوثب محيصة بن مسعود على ابن سليمة رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبياعهم فقتله وكان حويصة ابن مسعود اذ ذلك لم يسلم وكان اسن من محيصة فلما قتله جعل حويصة

يضربه ويقول اي عدو الله قتلته اما والله لرب شحم في بطنك من ماله فوالله ان كان اسلام حويصة فقال محيصة فقلت له والله لقد امرني بقتله من لو امرني بقتلك لضربت عنقك فقال لو امرك محمد بقتلي لقتلتني فقال محيصة نعم والله فقال حويصة والله ان دينا بلغ هذا منك لعجب وذكر غير ابن اسحاق ان اليهود حذرت وذلت وخافت من يوم قتل ابن الاشراف فلما اتى الله بامرهم الذي وعده من ظهور الدين وعز المؤمنين امر رسوله بالبراءة الى المعاهدين وبقتال المشركين كافة وبقتال اهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فكان ذلك عاقبة الصبر والتقوى الذين امر الله بهما في اول الامر وكان اذ ذاك لا يؤخذ من احد من اليهود الذين بالمدينة ولا غيرهم جزية وصارت تلك الايات في حق كل مؤمن مستضعف لا يمكنه نصر الله ورسوله بيده ولا بلسانه فينتصر بما يقدر عليه من القلب ونحوه وصارت اية الصغار على المعاهدين في حق كل مؤمن قوي يقدر على نصر الله ورسوله بيده او لسانه وبهذه الاية ونحوها كان المسلمون يعملون في اخر عمر رسول الله وعلى عهده خلفائه الراشدين وكذلك هو الى قيام الساعة لاتزال طائفة من هذه الامة قائمين على الحق ينصرون الله ورسوله النصر التام فمن كان من المؤمنين بارض هو فيها مستضعف او في وقت هو فيه مستضعف فليعمل باية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين اتوا الكتاب والمشركين واما اهل القوة فانما يعملون باية قتال ائمة الكفر الذين يطعنون في الدين وباية قتال الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون<sup>80</sup>

### قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته

\* قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} الانعام 107 اتفق المسلمون وسائر أهل

<sup>80</sup>الصارم المسلول ج: 2 ص: 409-414

الملل على أن الله على كل شيء قدير كما نطق بذلك القرآن أى فى مواضع كثيرة جدا وأن الشيء إسم لما يوجد فى الأعيان ولما يتصور فى الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شيء فى التقدير والعلم والكتاب وأن لم يكن شيئا فى الخارج ومنه قوله { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 ولفظ الشيء فى الآية يتناول هذا وهذا فهو على كل شيء ما وجد وكل ما تصوره الذهن موجودا إن تصور أن يكون موجودا قدير لا يستثنى من ذلك شيء ولا يزداد عليه شيء كما قال تعالى { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ } المؤمنون 18 قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيكم ومعلوم أنه لم يذهب به وهذا كقوله { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } الواقعة 68 إلى قوله { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } الواقعة 82 و هذا يدل على أنه قادر على ما لا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أجاجا وهو لم يفعله مثل هذا { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } السجدة 13 فإنه أخبر فى غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء وهو لم يفعلها فلو لم يكن قادرا عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها<sup>81</sup>

\* قدرة الرب لا يفعل بها إلا مع وجود مشيئته فإن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وليس كل ما كان قادرا عليه فعله قال تعالى { بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ } القيامة 4 وقال تعالى { قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } الأنعام 65 وقد ثبت فى الصحيحين عن جابر رضى الله عنه أنه لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت

<sup>81</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 9-10

أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم بأس بعض قال هاتان أهون وقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً} يونس 99 وقد قال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} هود 118 وقال {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} الانعام 107 وقال { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاكُمْ } البقرة 253 ومثل هذا متعدد في القرآن وإذا كان لو شاءه لفعله دل على أنه قادر عليه فإنه لا يمكن فعل غير المقدور وإذا كان كذلك علم أن الفعل لو وجد بمجرد كونه قادرا لوقع كل مقدور بل لا بد مع القدرة من الإرادة<sup>82</sup>

### السب قدر زائد على الكفر

\*فان السب ذنب منفرد عن الكفر الذي يطابق الاعتقاد فان الكافر يتدين بكفره ويقول انه حق ويدعوا اليه وله عليه موافقون وليس من الكفار من يتدين بما يعتقد استخفافا واستهزاء وسبا لله وان كان في الحقيقة سبا كما انهم لا يقولون انهم ضلال جهال معذبون اعداء الله وان كانوا كذلك واما الساب فانه مظهر للتنقص والاستخفاف والاستهانة بالله منتهك لحرمة انتهاكا يعلم من نفسه انه منتهك مستخف مستهزىء ويعلم من نفسه انه قد قال عظيما وان السموات والارض تكاد تنفطر من مقالته وتخر الجبال وان ذلك اعظم من كل كفر وهو يعلم ان ذلك كذلك ولو قال بلسانه اني كنت لا اعتقد وجود الصانع ولا عظمته والان فقد رجعت عن ذلك علمنا انه كاذب فان فطر الخلائق كلها مجبولة على الاعتراف بوجود الصانع وتعظيمه فلا شبهة تدعوه الى هذا السب ولا شهوة له في ذلك بل هو مجرد سخرية واستهزاء واستهانة وتمرد على رب العالمين تنبعث عن نفس شيطانية

<sup>82</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 271

ممتلئة من الغضب او من سفيه لا وقار لله عنده كصدور قطع الطريق والزنى عن الغضب والشهوة واذا كان كذلك وجب ان يكون للسب عقوبة تخصه حدا من الحدود وحينئذ فلا تسقط تلك العقوبة باظهار التوبة كسائر الحدود ومما يبين ان السب قدر زائد على الكفر قوله تعالى **{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ {الأنعام 108}** ومن المعلوم انهم كانوا مشركين مكذابين معادين لرسوله ثم نهى المسلمون ان يفعلوا ما يكون ذريعة الى سبهم الله فعلم ان سب الله اعظم عنده من ان يشرك به ويكذب رسوله ويعادني فلا بد له من عقوبة تختصه لما انتهكه من حرمة الله كسائر الحرمات التي تنتهكها بالفعل واولى ولا يجوز ان يعاقب على ذلك بدون القتل لان ذلك اعظم الجرائم فلا يقابل الا بالبلغ العقوبات ويدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى **{إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا {الأحزاب 57}** فانها تدل على قتل من يؤذي الله كما تدل على قتل من يؤذي رسوله والاذى المطلق انما هو باللسان وقد تقدم تقرير هذا وايضا فانا اسقاط القتل عنه باظهار التوبة لا يرفع مفسدة السب لله سبحانه فانه لا يشاء شاء ان يفعل ذلك ثم اذا اخذ أظهر التوبة الا فعل كما في سائر الجرائم الفعلية وايضا فانه لم ينتقل الى دين يريد المقام عليه حتى يكون الانتقال عنه تركا له وانما فعل جريمة لا تستدام بل هي مثل الافعال الموجبة للعقوبات فتكون العقوبة على نفس تلك الجريمة الماضية ومثل هذا لا يستتاب وانما يستتاب من يعاقب على ذنب مستمر من كفر او ردة وايضا فإن استتابة مثل هذا توجب ان لا يقام حد على سب الله فانا نعلم ان ليس احد من الناس مصرا على السب لله الذي يرى انه سب فان ذلك لا يدعو اليه عقل ولا طبع وكل ما افضى الى تعطيل الحدود بالكلية كان باطلا ولما كان استتابة الفساق بالافعال يفضي الى تعطيل الحدود لم يشرع مع ان احدهم قد لا يتوب من ذلك لما يدعو اليه طبعه وكذلك المستتاب من سب

الرسول فلا يتوب لما يستحله من سبه فاستتابه الساب لله الذي يسارع الى اظهار التوبة منه كل احد اولى ان لا يشرع اذا تضمن تعطيل الحد ووجب ان تمضمض الافواه بهتك حرمة اسم الله والاستهزاء به وهذا كلام فقيه لكن يعارضه ان ما كان بهذه المثابة لا يحتاج الى تحقيق اقامة الحد ويكفي تعريض قائله للقتل حتى يتوب ولمن ينصر الاول ان يقول تحقيق اقامة الحد على الساب لله ليس لمجرد زجر الطباع عما تهوى بل تعظيما لله واجلالا لذكره واعلاء لكلمته وضبطا للنفوس ان تتسرع الى الاستهانة بجنايه وتقييدا لللسن ان تنفوه بالانتقاص لحقه وايضا فان حد سب المخلوق وقذفه لا يسقط باظهار التوبة فحد سب الخالق اولى وايضا فحد الافعال الموجبة للعقوبة لا تسقط باظهار التوبة فكذلك حد الاقوال بل شأن الاقوال وتأثيرها اعظم وجماع الامر ان كل عقوبة وجبت جزاء ونكالا على فعل او قول ماض فانها لا تسقط اذا اظهرت التوبة بعد الرفع الى السلطان فسب الله اولى بذلك ولا ينتقض هذا بتوبة الكافر والمرتد لان العقوبة هناك انما هي على الاعتقاد الحاضر في الحال المستصحب من الماضي فلا يصلح نقضا لوجهين احدهما ان عقوبة الساب لله ليست لذنب استصحبه واستدامه فانه بعد انقضاء السب لم يستصحبه ولم يستدمه وعقوبة الكافر والمرتد انما هي الكفر الذي هو مصر عليه مقيم على اعتقاده الثاني ان الكافر انما يعاقب على اعتقاد هو الان في قلبه وقوله وعمله دليل على ذلك الاعتقاد حتى لو فرض ان علمنا ان كلمة الكفر التي قالها خرجت من غير اعتقاد لموجبها لم نكفره بان يكون جاهلا بمعناها او مخطئا قد غلط وسبق لسانه اليها مع قصد خلافها ونحو ذلك والساب انما يعاقب على انتهاكه لحرمة الله واستخفافه بحقه فيقتل وان علمنا انه لا يستحسن السب لله ولا يعتقد دينا اذ ليس احد من البشر يدين بذلك ولا ينتقض هذا ايضا بترك الصلاة والزكاة ونحوهما فانهم انما يعاقبون على دوام الترك لهذه الفرائض فاذا فعلوها زال الترك وان شئت ان تقول



الكافر والمرتد وتاركوا الفرائض يعاقبون على عدم فعل الايمان والفرائض اعني على دوام هذا العدم فاذا وجد الايمان والفرائض امتنعت العقوبة لانقطاع العدم وهؤلاء يعاقبون على وجود الاقوال والافعال الكبيرة لا على دوام وجودها فاذا وجدت مرة لم يرتفع ذلك بالترك بعد ذلك وبالجملة فهذا القول له توجه وقوة وقد تقدم ان الردة نوعان مجردة ومغلظة وبسطنا هذا القول فيما تقدم في المسألة الثالثة ولا خلاف في قبول التوبة فيما بينه وبين الله سبحانه وسقوط الاثم بالتوبة النصوح<sup>83</sup>

\*وكذلك قول النبي لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر وقوله فيما يروي عن ربه عز وجل يؤذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار فإن من سب الدهر من الخلق لم يقصد سب الله سبحانه وانما يقصد ان يسب من فعل به ذلك الفعل مضيفا له الى الدهر فيقع السب على الله لانه هو الفاعل في الحقيقة وسواء قلنا انه الدهر اسم من اسماء الله تعالى كما قال نعيم بن حماد او قلنا إنه ليس باسم وانما قوله انا الدهر اي انا الذي افعل ما ينسبونه الى الدهر ويوقعون السب عليه كما قاله ابو عبيدة والاكثرون ولهذا لا يكفر من سب الدهر ولا يقتل لكن يؤدب ويعزر لسوء منطقه والسب المذكور في قوله تعالى {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام 108 قد قيل ان المسلمين كانوا اذا سبوا الهة الكفار سب الكفار من يأمرهم بذلك والههم الذين يعبدونه معرضين عن كونه ربهم والههم فيقع سبهم على الله لانه الهنا ومعبودنا فيكونوا سابين لموصوف وهو الله سبحانه ولهذا قال سبحانه {عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام 108 وهو شبيه بسب الدهر من بعض الوجوه وقيل كانوا يصرحون بسب الله عدوا وغلوا وفي الكفر قال قتادة كان المسلمون يسبون اصنام الكفار فيسب الكفار الله

<sup>83</sup>الصارم المسلول ج: 3 ص: 1025-1029

بغير علم فانزل الله **{وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بَغِيرَ عِلْمٍ {الأنعام108}** وقال ايضا كان المسلمون يسبون او ثان الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله تعالى ان يستسبوا لربهم قوما جهلة لا علم لهم بالله وذلك انه في الحاجة ان يسب الجاهل من يعظمه مراغمة لعدوه اذا كان يعظمه ايضا كما قال بعض الحمقى سبوا عليا كما سبوا عتيقكم كفرا بكفر وايمانا بايماننا وكما يقول بعض الجهال مقابلة الفاسد بالفاسد وكما قد تحمل بعض جهال المسلمين الحمية على ان يسب عيسى اذا جاهره المحاربون بسب رسول الله وهذا من الموجبات للقتل <sup>84</sup>

## الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله

\* وأما ما تقوله غلاتهم (الرافضة) من إلهية علي أو نبوته وغلط جبريل بالرسالة فهو أعظم من أن يذكر هنا ولا ريب أن الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله بل أفضل من الإله في بعض الأمور كما ذكر الله عن المشركين حيث قال **{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ {الأنعام136}** وقال تعالى **{وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بَغِيرَ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {الأنعام108}** فهؤلاء لما سبت ألتهم سبوا الله مقابلة فجعلوهم مماثلين لله وأعظم في قلوبهم كما تجد كثيرا من المشركين يحب ما اتخذ من دون الله أندادا أكثر مما يحب الله تعالى وتجد أحدهم يحلف بالله ويكذب

<sup>84</sup> الصارم المسلول ج: 3 ص: 921-925

ويحلف بما اتخذته ندا من إمامه أو شيخه أو غير ذلك ولا يستجيز أن يكذب وتساله بالله والله فلا يعطى وتساله بما يعظمه من إمامه أو شيخه أو غير ذلك فيعطى ويصلى لله في بيته ويدعوه فلا يكون عنده كبير خشوع فإذا أتى إلى قبر من يعظمه ورجا أن يدعوه أو يدعو به أو يدعو عنده فيحصل له من الخشوع والدموع ما لا يحصل في عبادة الله ودعائه في بيت الله أو في بيت الداعي العابد وتجد أحدهم يغضب إذا ذكر ما اتخذته ندا بعيد أو نقص ويذكر الله بالعيوب والنقص فلا يغضب له ومثل هذا كثير في المشركين شركا محضا وفي من فيه شعبة من الشرك في هذه الأمة والنصارى ينزهون البشر عن كثير مما يصفون به الرب فيقولون لله ولد وينزهون كثيرا من عظمائهم أن يكون له ولد ويقول كثير منهم إن الله ينام والباب عندهم لا ينام ومثل هذا كثير والرب تعالى إذا جعل من يحب الأنداد كحبه مشركين فمن أحب الند أكثر كان أعظم شركا وكفرا كما قال تعالى { وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدْوًا بَعِيرًا } **عِلْمٌ { الْأَنْعَامُ 108 }** فلولا تعظيمهم لآلهتهم على الله لما سبوا الله إذا سبت آلهتهم وقال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } **الأنعام 136** وقال أبو سفيان يوم أحد أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا وما نقول قال قولوا لله أعلى وأجل وقال أبو سفيان إن لنا العزى ولا عزى لكم قال ألا تجيبوه قالوا وما نقول قال قولوا لله مولانا ولا مولى لكم<sup>85</sup>

<sup>85</sup> منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 396-398 و مجموع الفتاوى ج: 7 ص:

## الدعاء والدعوة دعاء عبادة ودعاء مسألة

\*قال تعالى {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} الانعام 108 لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين دعاء العبادة ودعاء المسألة قال الله تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون 117 وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} القصص 88 وقال {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا} الجن 19 وقال {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا} النساء 117 ولفظ الصلاة في اللغة اصله الدعاء وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء وهو العبادة والمسألة وفي الصحيحين عن النبي انه قال ينزل ربنا كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فذكر اولا لفظ الدعاء ثم ذكر السؤال والاستغفار والمستغفر سائل كما ان السائل داع لكن ذكر السائل لدفع الشر بعد السائل الطالب للخير وذكرهما جميعا بعد ذكر الداعي الذي يتناولهما وغيرهما فهو من باب عطف الخاص على العام وقال تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} البقرة 186 وكل سائل راغب راهب فهو عابد للمسؤول وكل عابد له فهو ايضا راغب وراهب يرجو رحمته ويخاف عذابه فكل عابد سائل وكل سائل عابد فاحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ولكن اذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضره بصيغ السؤال والطلب ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامثال الامر وان لم يكن في ذلك صيغ سؤال والعابد الذي يريد وجه الله والنظر

اليه هو ايضا راج خائف راغب راهب يرغب فى حصول مراده ويرهب من فواته قال تعالى { إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } الأنبياء 90 وقال تعالى { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا } السجدة 16 ولا يتصور ان يخلو داع لله دعاء عبادة او دعاء مسألة من الرغب والرهب من الخوف والطمع <sup>86</sup>

\*و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة <sup>87</sup>

### الغفلة والشهوة أصل الشر

\*ولا ريب أن ما ليس محبوبا لله من مسخوطاته وغيرها تزين في نفوس كثير من الناس حتى يروها جميلة وحسنة يجدون فيها من اللذات ما يؤيد ذلك وإن كانت اللذات متضمنة لآلام أعظم منها قال تعالى { وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بَغِيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 108 ذكر في الإيمان أنه حبيه إلى المؤمنين وزينه في قلوبهم حتى رأوه حسنا فإن الشيء إذا حبب وزين لم يترك بحال قال تعالى { وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 وهنا أخبر سبحانه انه هو الذي حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وفي الشهوات قال

<sup>86</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 238

<sup>87</sup>شرح العمدة ج: 4 ص: 28

{ زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ } آل عمران 14 ولم يقل المزين بل ذكر العموم وقال تعالى { كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ } الأنعام 108 وكما حذف المزين هناك قال { زَيْنٌ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ } آل عمران 14 فجعل المزين نفس الحب لها لم يجعل المزين هو المحبوب كما أخبر أنه زين لكل أمة عملها فإن المزين نفس الحب لها لم يجعل المزين هو المحبوب بل هو حب الشهوات فإن المزين إذا كان نفس الحب والعمل لم ينصرف القلب عن ذلك بخلاف ما لو كان المزين هو المحبوب فقد زين الشيء المحبوب ولكن الإنسان لا يحبه لما يقوم بقلبه من العلم بحاله والبغض (الرجوع الى نفس المرجع والتأكد من النقل وتكملة الموضوع مهم جدا) <sup>88</sup>

\*وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم فإن أحدا لا يفعل سيئة قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالما علما نافعا بأن فعل هذا يضره ضررا راجحا لم يفعله فإن هذا خاصية العاقل ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره ضررا راجحا كالسقوط من مكان عال أو في نهر يغرقه أو المرور بجانب حائط مائل أو دخول نار متأججة أو رمى ماله في البحر ونحو ذلك لم يفعله لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه ومن لم يعلم أن هذا يضره كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد يفعل ذلك ومن أقدم على ما يضره مع علمه من الضرر عليه فلظنه أن منفعته راجحة فأما أن يجزم بضرر مرجوح أو يظن أن الخير راجح فلا بد من رجحان الخير إما في الظن وإما في المظنون كالذي يركب البحر ويسافر الأسفار البعيدة للريح

<sup>88</sup>الاستقامة ج: 1 ص: 367- 369

فإنه لو جزم بأنه يغرق أو يخسر لما سافر لكنه يترجح عنده السلامة والربح وإن كان مخطئاً في هذا الظن وكذلك الذنوب إذا جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يسرق وكذلك الزاني إذا جزم بأنه يرجم لم يزن والشارب يختلف حاله فقد يقدم على جلد أربع وثمانين ويديم الشرب مع ذلك ولهذا كان الصحيح أن عقوبة الشارب غير محددة بل يجوز أن تنتهي إلى القتل إذا لم ينته إلا بذلك كما جاءت بذلك الأحاديث كما هو مذكور في غير هذا الموضوع وكذلك العقوبات متى جزم طالب الذنب بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله بل إما أن لا يكون جازماً بتحريمه أو يكون غير جازم بعقوبته بل يرجو العفو بحسنات أو توبة أو بعفو الله أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر تحريماً ولا وعيداً فيبقى غافلاً غير مستحضر للتحريم والغفلة من أصدقاء العلم فالغفلة والشهوة أصل الشر قال تعالى { وَلَا تَطْعَمَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } الكهف 28 و الهوى و حده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل و إلا فصاحب الهوى إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع فإن الله تعالى جعل في النفس حبا لما ينفعها و بغضا لما يضرها فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً بل متى فعلته كان لضعف العقل ولهذا يوصف هذا بأنه عاقل و ذو نهى و ذو حجي ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان لامن مجرد النفس فانة الشيطان يزين لها السيئات و يأمرها بها و يذكر لها ما فيها من المحاسن التي هي منافع لامضار كما ابليس بآدم و حواء فقال { يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى } 120 { فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا } 121 { طه 120-121 } وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَن هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } الأعراف 20 ولهذا قال تعالى { وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } 36 { وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ } 37 { الزخرف 36-37 } و قال تعالى { أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ

سُوءَ عَمَلِهِ فَرَأَهُ حَسَنًا { فاطر 8 } وقال تعالى { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

{ الأنعام 108 } وقوله { زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ { الأنعام 108

هو بتوسيط تزيين الملائكة و الأنبياء و المؤمنين للخير و تزيين شياطين الجن و الانس للشر قال تعالى { وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلٌ أَوْ لَادِهِمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ { الأنعام 137 } فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل و عدم العلم بكونها تضرهم ضررا راجحا أو ظن أنها تنفعهم نفعا راجحا و لهذا قال الصحابة رضي الله عنهم كل من عصى الله فهو جاهل و فسروا بذلك قوله تعالى { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ { النساء 17 }<sup>89</sup>

### الآيات لا تستلزم الهدى بل تستلزم إقامة الحجة

\*ومما ينبغي ان يعلم أن الله إذا أرسل نبيا وأتى بآية دالة على صدقه قامت بها الحجة وظهرت بها المحجة فمن طالبهم بآية ثانية لم تجب إجابته إلى ذلك بل وقد لا ينبغي ذلك لأنه إذا جاء بآية ثانية طولب بثالثة وإذا جاء بثالثة طولب برابعة وطلب المتعنتين لا أمد له ومعلوم أنه قامت عليه حجة في مسألة علم أو حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها وقال أنا لا أقبل حتى تقوم عليه حجة ثانية وثالثة كان ظالما متعديا ولم يجب إجابته إلى ذلك ولا يمكن الحكام الخصوم من ذلك بل إذا قامت البينة بحق المدعي حكم له بذلك ولو قال المطلوب أريد بينة ثانية وثالثة ورابعة لم يجب إلى ذلك فحق الله الذي أوجبه على عباده

<sup>89</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 288-290 والحسنة والسيئة ج: 1 ص:



من توحيده والإيمان به وبرسله أولى إذا أقام بينة أوجبت على الخلق الإيمان برسله أن لا يجب إجابة الطالب إلى ثانية وثالثة ثم قد يكون في تتابع الآيات حكمة فيتابع تعالى بين الآيات كما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم بآيات متعددة لعموم دعوته وشمولها فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف الآخر وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة وتقسي قلوب الكفار عن الإيمان لتتابع الآيات اية بعد آية لينتشر ذلك ويظهر ويبلغ ذلك قوما آخرين فيكون ذلك سببا لإيمانهم كما فعل بآيات موسى وآيات محمد كما ذكر في التوراة أنه يقسي قلب فرعون لتظهر عجائبه وآياته وكما صد المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يمانعوه ويسعوا في معارضته والقبح في آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه بخلاف ما لو اتبع ابتداء بدون ذلك فإنه قد كان يظن أنهم قادرين على معارضته وكذلك أيضا يكون في ذلك على يقينه وصبره وجهاده ويقين من آمن به وصبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة وقد تقتضي الحكمة أن لا يرسل بالآيات التي توجب عذاب الاستئصال كما ذكره الله في كتابه من أن الكفار كانوا يقترحون على الأنبياء آيات غير الآيات التي جاؤوا بها فتارة يجيبهم الله إلى ذلك لما فيه من الحكمة والمصلحة وتارة لا يجيبهم لما فيه في ذلك من المصرة والمفسدة عند جمهور أهل الملل من المسلمين وغيرهم الذين يقولون إنه يفعل للحكمة ومن لم يعلل أفعاله يرد ذلك إلى محض المشيئة ويقول إقترن بالمراد والمفسدة عادة وسنة من الله وإن لم يفعل هذا لهذا وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم ربما طلب تلك الآيات رغبة منه في إيمانهم بها فيجاب بأن الآيات لا تستلزم الهدى بل تستلزم إقامة الحجة وتوجب عذاب الاستئصال لمن كذب بها والله تعالى قد يظهر الآيات الكثيرة مع طبعه على قلب الكافر كما

فعل بفرعون وأبي لهب وغيرهما لما في ذلك من الحكمة العظيمة كما دل على ذلك القرآن والتوراة وغيرهما وقد بين أنه لا يظهرها لانتفاء الحكمة فيها أو لوجود المفسدة قال تعالى { وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنِينْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا فُلَانٌ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {109} وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } {110} وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ } {111} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {112}

**الانعام 109-112** قال تعالى { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } {الإسراء 59} بين سبحانه أنما منعه أن يرسل بالآيات إلا تكذيب الأولين بها الذي استحقوا بها الهلاك فإذا كذب بها هؤلاء استحقوا ما استحقه أولئك من عذاب الاستئصال وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير والحديث وغيرها من كتب المسلمين وهو معروف بالأسانيد الثابتة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان فقد ذكر المفسرون ما رواه أهل التفسير والحديث والمسند وغيرهم من حديث الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال حتى يزرعوا قال فقل له إن شئت تستأني بهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوا فإن كفروا هلكوا كما أهلكت من قبلهم قال لا بل أستأني بهم فأنزل الله هذه الآية { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا } {الإسراء 59} وروى ابن أبي حاتم وغيره عن مالك بن دينار قال سمعت الحسن البصري في قوله { وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ }

{الإسراء 59 قال رحمة لكم ايتها الأمة أنا لو أرسلنا بالآيات فكذبتم بها اصابكم ما أصاب من قبلكم وفي الإنجيل أن اليهود طلبوا من المسيح آية من السماء فقال لهم المسيح الأمة الفاجرة تطلب آية ولا تعطى إلا مثل آية نونان وقد كانت الآيات يأتي بها محمد صلى الله عليه وسلم آية بعد آية فلا يؤمنون بها<sup>90</sup>

### "من ثواب الحسنة الحسنة بعدها"

\*فإن الجزاء أبدا من جنس العمل قال صلى الله عليه وسلم  
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من  
في السماء وقال من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل له  
الله به طريقا إلى الجنة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في  
الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة و الله  
في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه وقال من سئل  
عن علم يعلمه فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار وقد  
قال تعالى { وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ } النور 22 وقال { إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ  
تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا قَدِيرًا } النساء 149 وأمثال هذا  
كثير في الكتاب والسنة ولهذا أيضا يجزى الرجل في الدنيا على  
ما فعله من خير الهدى بما يفتح عليه من هدى آخر ولهذا قيل  
من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وقد قال تعالى { وَلَوْ  
أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا } {66} وَإِذَا  
لَأَتَيْنَاهُم مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } {67} وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا  
مُّسْتَقِيمًا } {68} النساء 66- 68 وقال { قَدْ جَاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ  
وَكِتَابٌ مُّبِينٌ } {15} { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ  
وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

<sup>90</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 429-433

مُسْتَقِيمٍ {16} المائدة 15-16 وقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} الحديد28 وقال {إِنْ تَقُوتُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} الأنفال29 فسروه بالنصر والنجاة كقوله {يَوْمَ الْفُرْقَانِ} الأنفال41 وقد قيل نور يفرق به بين الحق والباطل ومثله قوله {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا}2} {وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}3} {الطلاق}2-3 وعد المتقين بالمخارج من الضيق وبرزق المنافع ومن هذا الباب قوله {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} محمد17 وقوله {إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى} الكهف13 ومنه قوله {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا}1} {لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا}2} {وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا}3} {الفتح}1-3 وبإزاء ذلك أن الضلال والمعاصي تكون بسبب الذنوب المتقدمة كما قال الله {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} الصف5 وقال {وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} النساء155 وقال {فِيمَا نَفُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً} المائدة13 وقال {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّهَا آيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَشْعُرْكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ}109} {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}110} {الانعام}109-110 وهذا باب واسع ولهذا قال من قال من السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وأن من عقوبة السيئة السيئة بعدها<sup>91</sup>

\*فمن يتبع من الحق ما علمه يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم كما قال تعالى {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} محمد17 وكذلك

<sup>91</sup>مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 177 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 425

من اعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعوا لهواه فان ذلك يورثه  
 الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح كما قال  
 تعالى { وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ  
 إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا  
 يُؤْمِنُونَ } {109} وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ  
 مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } {110} الأنعام 109-110  
 وهذا استفهام نفى وانكار اي وما يدريكم انها اذا جاءت لا  
 يؤمنون وانا نقرب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة  
 على قراءة من قرأ انها بالكسر تكون جزماً بأنها اذا جاءت  
 لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة<sup>92</sup>

\* فلا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده  
 الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه ما  
 لا يفتح به على غيرهم وهذا كما قال على الا فهما يؤتياه الله عبدا  
 في كتابه وفي الأثر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم  
 وقد دل القرآن على ذلك في غير موضع كقوله { وَلَوْ أَنَّهُمْ  
 فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } {66} وَإِذَا  
 لَأَتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } {67} وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا  
 مُسْتَقِيمًا } {68} النساء 66-68 فقد أخبر أنه من فعل ما يؤمر به  
 يهديه الله صراطاً مستقيماً وأخبر أن اتباع ما يكرهه  
 يصرف عن العلم والهدى كقوله { وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن  
 جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا  
 إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {109} وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ  
 يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ  
 يَعْمَهُونَ } {110} الأنعام 109-110 أي وما يشعركم أنها اذا جاءت  
 لا يؤمنون بها ونقلب افئدتهم أي يتركون الايمان ونحن نقرب

<sup>92</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 10 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 39 و

التحفة العراقية ج: 1 ص: 39

أفئدتهم لكونهم لم يؤمنوا أول مرة أى ما يدريكم أنه لا يكون هذا وهذا حينئذ ومن فهم معنى الآية عرف خطأ من قال أن بمعنى لعل واستشكل قراءة الفتح بل يعلم حينئذ أنها أحسن من قراءة الكسر<sup>93</sup>

\* هذه تفسير آيات أشكلت حتى لا يوجد فى طائفة من كتب التفسير إلا هو خطأ منها قوله { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } { الأنعام 109 } و الآية بعدها أشكلت قراءة الفتح على كثير بسبب أنهم ظنوا أن الآية بعدها جملة مبتدأة و ليس كذلك لكنها داخلة فى خبر أن و المعنى إذا كنتم لا تشعرون أنها إذا جاءت لا يؤمنون و أنا أفعل بهم هذا لم يكن قسمهم صدقا بل قد يكون كذبا و هو ظاهر الكلام المعروف أنها أن المصدرية و لو كان و نقلب الخ كلاما مبتدئا لزم ان كل من جاءته آية قلب فؤاده و ليس كذلك بل قد يؤمن كثير منهم<sup>94</sup>

### مما يعاقب به الناس على الذنوب سلب الهدى و العلم النافع

\* والمعصية الثانية قد تكون عقوبة الأولى فتكون من سيئات الجزاء مع أنها من سيئات العمل قال النبى صلى الله عليه و سلم فى الحديث المتفق على صحته عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى الى البر و البر يهدى الى الجنة و لا يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا و إياكم و الكذب فان الكذب يهدى الى الفجور و الفجور يهدى الى النار و لا يزال الرجل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا و قد ذكر فى غير موضع من القرآن ما يبين أن الحسنة الثانية قد

<sup>93</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 245-246

<sup>94</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 495

تكون من ثواب الأولى و كذلك السيئة الثانية قد تكون من عقوبة الأولى<sup>95</sup>

\*ومما ذكر فيه العقوبة على عدم الإيمان قوله تعالى {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةٍ وَنَدَّرُهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} الأنعام110 وهذا من تمام قوله {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} الأنعام109 {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةٍ وَنَدَّرُهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} الأنعام110 فذكر أن هذا التقلب إنما حصل لقلوبهم لما لم يؤمنوا به أول مرة وهذا عدم الإيمان لكن يقال إنما كان هذا بعد دعوة الرسول لهم وهم قد تركوا الإيمان وكذبوا الرسول وهذه أمور وجودية لكن الموجب للعذاب هو عدم الإيمان وما ذكر شرط في التعذيب بمنزلة إرسال الرسول فإنه قد يشتغل عن الإيمان بما جنسه مباح من أكل وشرب وبيع وسفر وغير ذلك وهذا الجنس لا يستحق عليه العقوبة إلا لأنه شغله عن الإيمان الواجب عليه ومن الناس من يقول ضد الإيمان هو تركه وهو أمر وجودي لا ضده إلا ذلك<sup>96</sup>

\*والله سبحانه جعل مما يعاقب به الناس على الذنوب سلب الهدى و العلم النافع كقوله {وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ} البقرة88 و قال {وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} النساء155 و قال {وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} 109 {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةٍ وَنَدَّرُهُمْ فِي طُعْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} 110 {الأنعام109-110 و

<sup>95</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 243

<sup>96</sup>الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 27 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 96 و

مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 338

قال { فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا } البقرة 10 و قال  
{ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصف 5<sup>97</sup>

\*قال تعالى { فَذَكَرْ إِن تَفَعَّتِ الذُّكْرَى } {9} سَيَذَكَّرُ مَنْ  
يَخْشَى {10} وَيَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى {11} الَّذِي يَصْلَى النَّارَ  
الْكُبْرَى {12} {الاعلى 9-12} فأخبر ان من يخشاه يتذكر  
والتذكر هنا مستلزم لعبادته قال الله تعالى { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ  
وَيُنزِلُ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ } غافر 13  
وقال { تَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ } ق 8 ولهذا قالوا فى  
قوله { سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى } {الأعلى 10} سيتعظ بالقرآن من  
يخشى الله وفى قوله { وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ } غافر 13 انما  
يتعظ من يرجع الى الطاعة وهذا لان التذكر التام يستلزم التأثر  
بما تذكره فان تذكر محبوبا طلبه وان تذكر مرهوبا هرب منه  
ومنه قوله تعالى { وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا  
يُؤْمِنُونَ } يس 10 وقال سبحانه { إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذُّكْرَ  
وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ } يس 11 فنفى الانذار عن غير هؤلاء  
مع قوله وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ  
{ يس 10} فأثبت لهم الانذار من وجه ونفاه عنهم من وجه فان  
الانذار هو الاعلام بالمخوف فالانذار مثل التعليم والتخويف فمن  
علمته فتعلم فقد تم تعليمه وآخر يقول علمته فلم يتعلم وكذلك من  
خوفته فخاف فهذا هو الذى تم تخويفه واما من خوف فما خاف  
فلم يتم تخويفه وكذلك من هديته فاهتدى تم هداه ومنه قوله تعالى  
{ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 ومن هديته فلم يهتد كما قال { وَأَمَّا  
تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى } فصلت 17 فلم يتم  
هداه كما تقول قطعته فانقطع وقطعته فما انقطع فالمؤثر التام  
يستلزم اثره فمتى لم يحصل اثره لم يكن تاما والفعل اذا صادف

<sup>97</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 152



محلا قابلا تم والا لم يتم والعلم بالمحسوب يورث طلبه والعلم بالمكروه يورث تركه ولهذا يسمى هذا العلم الداعى ويقال الداعى مع القدرة يستلزم وجود المقذور وهو العلم بالمطلوب المستلزم لارادة المعلوم المراد وهذا كله انما يحصل مع صحة الفطرة وسلامتها وأما مع فسادها فقد يحس الانسان باللذيق فلا يجد له لذة بل يؤلمه وكذلك يلتذ بالمؤلم الفساد الفطرة و الفساد يتناول القوة العلمية والقوة العملية جميعا كالممرور الذى يجد العسل مرأ فانه فسد نفس إحساسه حتى كان يحس به على خلاف ما هو عليه للمرة التى مازجته وكذلك من فسد باطنه قال تعالى { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {109} وَنَقَلْبُ أَفِيدْتَهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } {110} الأنعام 109-110 وقال تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصف 5 وقال { وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ } النساء 155 وقال فى الآية الأخرى { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 88 و الغلف جمع أغلف وهو نو الغلاف الذى فى غلاف مثل الأقف كأنهم جعلوا المانع خلقة أى خلقت القلوب وعليها أغطية فقال الله تعالى { بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 88 و { طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } النساء 155 وقال تعالى { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ } محمد 16 وكذلك قالوا { قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ } هود 91 قال { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ } الأنفال 23 أى لأفهمهم ما سمعوه ثم قال ولو أفهمهم مع هذه الحال التى هم عليها { لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } الأنفال 23 فقد فسدت فطرتهم فلم يفهموا ولو فهموا لم يعملوا فنفى عنهم صحة القوة العلمية وصحة القوة العملية وقال { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44 وقال { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا

مَنْ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ { الأعراف 179 } وقال { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } البقرة 171 وقال عن المنافقين { صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ } البقرة 18 ومن الناس من يقول لما لم ينتفعوا بالسمع والبصر والنطق جعلوا صما بكما عمليا أو لما أعرضوا عن السمع والبصر والنطق صاروا كالصم العمى البكم وليس كذلك بل نفس قلوبهم عميت وصمت وبكمت كما قال الله تعالى { فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ } الحج 46 والقلب هو الملك والأعضاء جنوده وإذا صلح صلح سائر الجسد وإذا فسد فسد سائر الجسد فيبقى يسمع بالأذن الصوت كما تسمع البهائم والمعنى لا يفقهه وان فقه بعض الفقه لم يفقه فقها تاما فان الفقه التام يستلزم تأثيره في القلب محبة المحبوب وبغض المكروه فمتى لم يحصل هذا لم يكن التصور التام حاصلًا<sup>98</sup>

\*ومن كان تركه للمأمور بذنب منه أو ضرورته إلى المحذور بذنب منه لم يكن ذلك مانعا من ذمه وعقابه ومن هذا قوله سبحانه { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأنعام 110<sup>99</sup>

\* أما يبتلى به من الذنوب و إن كان خلقا لله فهو عقوبة له على عدم فعل ما خلقه الله له و فطره عليه فإنه خلقه لعبادته وحده ودل عليه الفطرة فلما لم يفعل ما خلق له ما فطر عليه عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك و

<sup>98</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 24- 27

<sup>99</sup>رسالة في التوبة ج: 1 ص: 246

المعاصي قال تعالى { اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَأُكُمْ  
جَزَاءً مَوْفُورًا } الإسراء 63 الى قوله { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ  
سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا } الإسراء 65 و قال تعالى { إِنَّهُ  
لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } 99 { إِنَّمَا  
سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } 100  
النحل 99-100 الآية و قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ  
طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } 201 { وَإِخْوَانُهُمْ  
يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ } 202 { الأعراف 201-202  
فتبين أن الإخلاص يمنع من تسلط الشيطان كما قال تعالى {  
كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ }  
{ يوسف 24 فكان إلهامه لفجوره عقوبة له و عدم فعل  
الحسنات ليس أمرا موجودا حتى يقال إن الله خلقه و من تدبر  
القرآن تبين له أن عامة ما يذكر الله في خلق الكفر و المعاصي  
يجعله جزاء لذلك العمل كقوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ  
يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا  
حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 125 الآية و قال تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا  
أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصف 5 و قال { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ  
وَاسْتَعْنَى } 8 { وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى } 9 { فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } 10 { الليل  
8-10 و هذا و أمثاله يذكر فيه أعمالا عاقبهم بها على فعل  
محظور و ترك مأمور و لا بد لهم من حركة و إرادة فلما لم  
يتحركوا بالحسنات حركوا بالسيئات عدلا من الله كما قيل نفسك  
إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل و هذا الوجه إذا حقق  
يقطع مادة كلام طائفتي القدرية المكذبة و المجرية الذين يقولون  
خلقها لذلك و التعذيب لهم ظلم يقال لهم إنما أوقعهم فيها و طبع  
على قلوبهم عقوبة لهم فما ظلمهم و لكن ظلموا أنفسهم يقال  
ظلمته إذا نقصته حقه قال تعالى { كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ  
تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا } الكهف 33 و كثير منهم يسلمون أن الله خلق  
من الأعمال ما يكون جزاء على عمل متقدم و يقولون خلق

طاعة المطيع لكن ما خلق شيئاً من الذنوب ابتداء بل جزاء فيقولون أول ما يفعل العبد لم يحدثه الله و ما ذكرنا يوجب أن يكون الله خالق كل شيء لكن أولها عقوبة على عدم فعله لما خلق له و العدم لا يضاف الى الله فما أحدثه فأوله عقوبة على هذا العدم و سائرهما قد يكون عقوبة على ما وجد و قد يكون عقوبة على إستمراره على العدم فما دام لا يخلص لله لا يزال مشركاً و الشيطان مسلط عليه ثم تخصيصه سبحانه لمن هداه بأن إستعمله ابتداء فيما خلق له تخصيص بفضله و هذا منه لا يوجب الظلم و لا يمنع العدل و لهذا يقول تعالى { وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ } البقرة 105 و كذلك الفضل هو أعلم به كما خص بعض الأبدان بقوى لا توجد فى غيرها و بسبب عدم القوة قد تحصل له أمراض و جودية و غير ذلك من حكمته و تحقيق هذا يدفع شبهات هذا الباب و مما ذكر فيه العقوبة على عدم الإيمان قوله تعالى { وَنَقَلْنَا أَعْيُنَهُمْ وَابْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةٍ } الأنعام 110 هذا من تمام قوله { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 109 فذكر أن هذا التقليل يكون لمن لم يؤمنوا به أول مرة و هذا عدم الإيمان لكن يقال هذا بعد دعاء الرسول صلى الله عليه و سلم لهم و قد كذبوا و تركوا الإيمان و هذه أمور و جودية لكن الموجب هو عدم الإيمان و ما ذكر شرط فى التعذيب كإرسال الرسول فإنه قد يشتغل عن الإيمان بما جنسه مباح لا يستحق به العقوبة إلا لأنه شغله عن الإيمان و من الناس من يقول ضد الإيمان هو تركه و هو أمر و جودى لا ضد له إلا ذلك<sup>100</sup>

### العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل

<sup>100</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 222-224

\* وقال تعالى { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {109} وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {110} {الأنعام 109- 110}

فبين سبحانه أن مجيء الآيات لا يوجب الإيمان بقوله تعالى { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {109} وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {110} {الأنعام 109- 110} أي فتكون هذه الأمور الثلاثة أن لا يؤمنوا وأن نقلب أفئدتهم وأبصارهم وأن نذرهم في طغيانهم يعمهمون أي وما يدريككم أن الآيات إذا جاءت تحصل هذه الأمور الثلاثة وبهذا المعنى تبين أن قراءة الفتح أحسن وإن من قال أن المفتوحة بمعنى لعل فظن أن قوله { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ } {الأنعام 110} كلام مبتدأ لم يفهم معنى الآية وإذا جعل ونقلب أفئدتهم داخلا في خبر أن تبين معنى الآية فإن كثيرا من الناس يؤمنون ولا تقلب قلوبهم لكن قد يحصل تقلب أفئدتهم وأبصارهم وقد لا يحصل أي فما يدريككم إنهم لا يؤمنون والمراد وما يشعركم إنها إذا جاءت لا يؤمنون بل نقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة والمعنى وما يدريككم أن الأمر بخلاف ما تظنونه من إيمانهم عند مجي الآيات ونذرهم في طغيانهم يعمهمون فيعاقبون على ترك الإيمان أول مرة بعد وجوبه عليهم إما لكونهم عرفوا الحق وما أقروا به أو تمكنوا من معرفته فلم يبطلوا معرفته ومثل هذا كثير والمقصود هنا أن ترك ما يجب من العمل بالعلم الذي هو مقتضى التصديق والعلم قد يفضي إلى سلب التصديق والعلم كما قيل العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل وكما قيل كنا نستعين على حفظ العلم بالعمل به فما في القلب من التصديق بما جاء به الرسول إذا لم يتبعه موجبته ومقتضاه من العمل قد يزول إذ وجود العلة يقتضي وجود المعلول وعدم المعلول يقتضي عدم العلة فكما أن العلم والتصديق سبب للإرادة والعمل فعدم الإرادة والعمل سبب لعدم

العلم والتصديق ثم إن كانت العلة تامة فعدم المعلول دليل يقتضي عدمها وإن كانت سببا قد يتخلف معلولها كان له بخلفه أمانة على عدم المعلول قد يتخلف مدلولها وأيضا فالتصديق الجازم في القلب يتبعه موجه بحسب الإمكان كالإرادة الجازمة في القلب فكما أن الإرادة الجازمة في القلب إذا اقترنت بها القدرة حصل بها المراد أو المقدور من المراد لا محالة كانت القدرة حاصلة ولم يقع الفعل كان الحاصل هي لا إرادة جازمة وهذا هو الذي عفي عنه فكذلك التصديق الجازم إذا حصل في القلب تبعه عمل من عمل القلب لا محالة لا يتصور أن ينفك عنه بل يتبعه الممكن من عمل الجوارح فمتى لم يتبعه شيء من عمل القلب علم أنه ليس بتصديق جازم فلا يكون إيمانا لكن التصديق الجازم قد لا يتبعه عمل القلب بتمامه لعارض من الأهواء كالكبر والحسد ونحو ذلك من أهواء النفس لكن الأصل أن التصديق يتبعه الحب وإذا تخلف الحب كان لضعف التصديق الموجب له ولهذا قال الصحابة كل من يعصي الله فهو جاهل وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار جهلا ولهذا كان التكلم بالكفر من غير إكراه كفرا في نفس الأمر عند الجماعة وأئمة الفقهاء حتى المرجئة خلافا للجهمية ومن اتبعهم ومن هذا الباب سب الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام وبغضه وسب القرآن وبغضه وكذلك سب الله سبحانه وبغضه ونحو ذلك مما ليس من باب التصديق والحب والتعظيم والموا الة بل من باب التكذيب والبغض والمعادة والاستخفاف<sup>101</sup>

\*فإن الله عاقب المعرض عن اتباع ما بعث به رسله بالحجاب الذي في قلوبهم<sup>102</sup>

<sup>101</sup>العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 179-181

<sup>102</sup>الاستقامة ج: 2 ص: 46

\*فإن العمل بموجب العلم يثبتته ويقرره ومخالفته تضعفه بل قد تذهب به قال الله تعالى { وَتَقَلَّبُ أَفْنَدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } الأنعام 110<sup>103</sup>

## طريقان مبتدعان وطريق شرعي

\*والناس لهم في طلب العلم والدين طريقان مبتدعان وطريق شرعي فالطريق الشرعي هو النظر فيما جاء به الرسول والإستدلال بأدلته والعمل بموجبها فلا بد من علم بما جاء به وعمل به لا يكفي أحدهما وهذا الطريق متضمن للأدلة العقلية والبراهين اليقينية فإن الرسول بين بالبراهين العقلية ما يتوقف السمع عليه والرسول بينوا للناس العقليات التي يحتاجون إليها كما ضرب الله في القرآن من كل مثل وهذا هو الصراط المستقيم الذي أمر الله عباده أن يسألوه هدايته وأما الطريقان المبتدعان فأحدهما طريق أهل الكلام البدعي والرأي البدعي فإن هذا فيه باطل كثير وكثير من أهله يفرطون فيما أمر الله به ورسوله من الأعمال فيبقى هؤلاء في فساد علم وفساد عمل وهؤلاء منحرفون إلى اليهودية الباطلة والثاني طريق أهل الرياضة والتصوف والعبادة البدعية وهؤلاء منحرفون إلى النصرانية الباطلة فإن هؤلاء يقولون إذا صفى الإنسان نفسه على الوجه الذي يذكرونه فاضت عليه العلوم بلا تعلم وكثير من هؤلاء تكون عبادته مبتدعة بل مخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فييقون في فساد من جهة العمل وفساد من نقص العلم حيث لم يعرفوا ما جاء به الرسول وكثير ما يقع من هؤلاء وهؤلاء وتفدح كل طائفة في الأخرى وينتحل كل منهم اتباع الرسول والرسول ليس ما جاء به موافقا لما قال هؤلاء ولا هؤلاء { مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } آل عمران 67 وما كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه على طريقة أهل البدع من أهل الكلام والرأي ولا على طريقة أهل البدع من أهل العبادة والتصوف بل كان على ما بعثه الله من الكتاب والحكمة وكثير من أهل النظر يزعمون أنه بمجرد النظر يحصل العلم بلا عبادة ولا دين ولا تزكية للنفس وكثير من أهل الإرادة يزعمون أن طريق الرياضة بمجرد حصول المعارف بلا تعلم ولا نظر ولا تدبر للقرآن والحديث وكلا الفريقين غالط بل لتزكية النفس والعمل بالعلم وتقوى الله تأثير عظيم في حصول العلم لكن مجرد العمل لا يفيد ذلك إلا بنظر وتدبر وفهم لما بعث الله به الرسول ولو تعبد الإنسان ما عسى أن يتعبد لم يعرف ما خص الله به محمدا صلى الله عليه وسلم إن لم يعرف ذلك من جهته وكذلك لو نظر واستدل ماذا عسى أن ينظر لم يحصل له المطلوب إلا بالتعلم من جهته ولا يحصل التعلم المطابق النافع إلا مع العمل به وإلا فقد قال الله تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } الصف 5 وقال { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لِأَيُّمِنُونَ } { 109 } وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } { 110 } الأنعام 109-110 وقال { فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا } النساء 155<sup>104</sup>

## وصف الله أهل الباطل بأنهم يعمهون

<sup>104</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 428-430



\* وهذا حال المنافقين المرتدين فإن الضلال والحيرة مما ذمه الله في القرآن قال الله تعالى في القرآن {قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ {الأنعام 71} وهكذا يريد هؤلاء الضالون المتحIRON أن يفعلوا بالمؤمنين يريدون أن يدعوا من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وهي المخلوقات والأوثان والأصنام وكل ما عبد من دون الله ويريدون أن يردوا المؤمنين على أعقابهم يردونهم عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ويصيروا حائرين ضالين كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى انتنا وقال تعالى {وَنَقَلْنَا أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةً وَنَدَّرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ {الأنعام 110} وقوله يعمهن أى يحارون وقال تعالى {وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} التوبة 45 وقال تعالى {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {7} الفاتحة 6-7 فأمر أن نسأله هداية الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم المغايرين للمغضوب عليهم وللضالين وهؤلاء يذمون الصراط المستقيم ويمدحون طريق أهل الضلال والحيرة مخالفة لكتب الله ورسله ولما فطر الله عليه عباده من العقول والألباب

105

{وَنَقَلْنَا أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةً وَنَدَّرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} {الأنعام 110} واعلم أن المذهب إذا كان باطلا في نفسه لم يمكن الناقد له أن ينقله على وجه يتصور تصورا حقيقيا فإن هذا لا يكون الا للحق فأما القول الباطل فإذا بين فيبانه يظهر

فساده حتى يقال كيف اشتبه هذا على أحد ويتعجب من اعتقادهم اياه ولا ينبغي للإنسان أن يعجب فما من شيء يتخيل من أنواع الباطل الا وقد ذهب إليه فريق من الناس ولهذا وصف الله أهل الباطل بأنهم أموات وأنهم صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ وأنهم لا يفقهون وأنهم لا يعقلون وأنهم في قول مختلف يؤفك عنه من أفك وأنهم في ريبهم يترددون وأنهم يعمهون<sup>106</sup>

\*فان الجماعة الذين يقلدون مذهباً تلقاه بعضهم عن بعض يجوز اتقاقهم على جحد الضروريات كما يجوز الاتفاق على الكذب مع المواطنة والاتفاق ولهذا يوجد في أهل المذاهب الباطلة كالنصارى والرافضة والفلاسفة من يصر على القول الذي يعلم فساده بالضرورة وإنما الممتنع ما يمتنع على أهل التواتر وهو اتفاق الجماعة العظيمة على الكذب من غير مواطأة ولا اتفاق فيمتنع عليهم جحد ما يعلم ثبوته بالاضطرار واثبات ما يعلم نفيه بالاضطرار لأن هذا اتفاق على الكذب وأهل التواتر لا يتصور منهم الكذب فأما اذا لقنوا قولاً بشبهة وحجج واعتقدوا صحته جاز أن يصرخوا على اعتقاده وان كان مخالفاً لضرورة العقل وان كانوا جماعة عظيمة ولهذا يطبع الله على قلوب الكفار فلا يعرفون الحق قال الله تعالى { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } { الأنعام 110 وقال تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } { الصف 5 وقال تعالى { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَبِرٍ جَبَّارٍ } { غافر 35 وانما تؤخذ الضروريات من القلوب السليمة والعقول المستقيمة التي لم تمرض بما تقلدته من العقائد وتعودته من المقاصد<sup>107</sup>

### ليس من الأعضاء أشد إرتباطاً بالقلب من العينين

<sup>106</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 145

<sup>107</sup>مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 274

\* وليس من الأعضاء أشد إرتباطاً بالقلب من العينين و لهذا جمع بينهما فى قوله { وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ } الأنعام 110  
 { تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ } النور 37 { وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ  
 وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ } الأحزاب 10 { قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ  
 وَاجِفَةٌ } 8 { أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ } 9 { النازعات 8-9 و لأن كليهما له  
 النظر فنظر القلب الظاهر بالعينين والباطن به وحده <sup>108</sup>

### الدعاء و التعليم و الإرشاد له فاعل و له قابل

\* الله خالق كل شىء و ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و فى  
 إستعاذة النبى صلى الله عليه و سلم أعوذ بكلمات الله التامة  
 التى لا يجاوزها بر ولا فاجر من شر ما ذرأ و برأ و أعوذ  
 بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه و شر عباده فكلماته  
 التامة هى التى كون بها الأشياء كما قال تعالى { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا  
 أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 لا يجاوزها بر و لا  
 فاجر و لا يخرج أحد عن القدر المقدر و لا يتجاوز ما خط له  
 فى اللوح المسطور و هذا المعنى قد دل عليه القرآن فى غير  
 موضع كقوله { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ }  
 { الأعراف 179 الآية و قوله { مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ }  
 { الأنعام 111 } { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ  
 ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج 70 و قوله فى  
 السحر { وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } البقرة 102  
 { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ  
 يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و نحو ذلك <sup>109</sup>

\* قال تعالى { وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ }  
 { يونس 101 فالآيات أفقية و أرضية و قرآنية و هى أدلة العلم و

<sup>108</sup> مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 225

<sup>109</sup> مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 58

الإندار يقتضى الخوف فالآيات لمن إذا عرف الحق عمل به فهذا تنفعه الحكمة و الإنذر لمن يعرف الحق و له هوي يصدده فينذر بالعذاب الذي يدعوه إلى مخالفة هواه و هو خوف العذاب و هذا هو الذي يحتاج إلى الموعدة الحسنة و آخر لا يقبل الحق فيحتاج إلى الجدل فيجادل بالتى هي أحسن و قد قال تعالى { **وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فُبَلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** } { الأنعام 111 } و قال { **إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا** } { النازعات 45 } { **إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ** } يس 11 فالمراد أن الكافر ما دام كافرا لا يقبل الحق سواء انذر أم لم ينذر و لا يؤمن ما دام كذلك لأن على قلبه و سمعه و بصره موانع تصد عن الفهم و القبول و هكذا حال من غلب عليه هواه و هو سبحانه لم يقل أنهم لا يؤمنون و قيل ذلك لمن سبقت عليه الشقوة أو حقت عليه الكلمة كقوله { **إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ** } { 96 } { **وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ** } الأليم { 97 } { **يونس 96- 97** } فبين أن هؤلاء لا يؤمنون إلا حين لا ينفعهم إيمانهم وقت رؤية العذاب الأليم كمايمان فرعون المذكور قبلها و موسى قد دعا عليه فقال { **رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ** } { 88 } { **قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا** } { 89 } { **يونس 88- 89** } و أما إذا أطلق سبحانه الكفار فهو مثل قوله { **وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ فُبَلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ** } { الأنعام 111 } الآية فبين أنهم قد يؤمنوا إذا شاء و آية البقرة مطلقة عامة { **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** } { البقرة 6 } فإنه ذكر فى أول السورة أربع آيات فى صفة المؤمنين و آيتين فى صفة الكافرين و بضع عشرة آية فى المنافقين فبين حال الكافر المصر على كفره أن الإنذار لا ينفعه للحجب التى على قلبه و سمعه و بصره و ليس قال إن الله لا يهدى أحدا من هؤلاء فيسمع و يقبل و لكن هو حين يكون

كافرا لا تتناوله الآية و هذا كما يقال فى الكافر الحربى لا يجوز أن تعقد له الذمة ولا يكون قط من أهل دار الإسلام ما دام حربيا فالكفار ما داموا كفارا هم بهذه المثابة لهم موانع تمنعهم من الإيمان كما أن للمنافقين موانع تمنعهم ما داموا كذلك و إن أنذروا و هذا كقوله { وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمُّ بُكُمْ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } البقرة 171 فهذا مثل كل كافر ما دام كفارا و ذلك لا يمنع أن يكونوا قد يسمعون إذا زال الغطاء الذي على قلوبهم و سمعهم و ابصارهم فإنهم لا يسمعون لذلك المعنى المشتق منه وهو الكفر فما داموا هذه حالهم فهم كذلك و لكن تغير الحال ممكن كما قال { إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } الأنعام 111 و كما هو الواقع و مثل هذا يفيد أن الإنسان لا يعتقد أنه بدعائه و إنذاره و بيانه يحصل الهدى و لو كان أكمل الناس و أن الداعى و إن كان صالحا ناصحا مخلصا فقد لا يستجيب المدعو لا لنقص فى الدعاء لكن لفساد فى المدعو و هذا لأن حصول المطلوب متوقف على فعل الفاعل و قبول القابل كالسيف القاطع يؤثر بشرط قبول المحل فيه لا يقطع الحجارة و الحديد و نحو ذلك و النفخ يؤثر إذ كان هناك قابل لا يؤثر في الرماد و الدعاء و التعليم و الإرشاد و كل ما كان من هذا الجنس له فاعل و هو المتكلم بالعلم و الهدى و النذارة و له قابل و هو المستمع فإذا كان المستمع قابلا حصل الإنذار التام و التعليم التام و الهدى التام و إن لم يكن قابلا قيل علمته فلم يتعلم و هديته فلم يهتد و خاطبته فلم يصغ و نحو ذلك فقوله في القرآن { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 هو من هذا إنما يهتدى من يقبل الإهتداء و هم المتقون لا كل أحد و ليس المراد أنهم كانوا متقين قبل اهتدائهم بل قد يكونوا كفارا لكن إنما يهتدى به من كان متقيا فمن إتقى الله إهتدى بالقرآن و العلم و الإنذار إنما يكون بما أمر به القرآن و هكذا قوله { لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا } يس 70 الإنذار التام فإن الحي يقبله و لهذا قال { وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ } يس 70 فهم لم يقبلوا الإنذار و مثله قوله { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ

مَنْ يَخْشَاهَا { النازعات 45 و عكسه قوله { وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا  
 الْفَاسِقِينَ { البقرة 26 أي كل من ضل به فهو فاسق فهو ذم لمن  
 يضل به فإنه فاسق ليس أنه كان فاسقا قبل ذلك و لهذا تأولها  
 سعد بن أبي وقاص في الخوارج و سماهم فاسقين لأنهم  
 ضلوا بالقرآن فمن ضل بالقرآن فهو فاسق <sup>110</sup>

## للشيطان وسواس في قلوب الناس

\* وهذا سلف الامة و التابعين لهم بأحسان وائمة المسلمين فأنهم  
 يقولون ان الشياطين توسوس في نفوس بني ادم كالعقائد الفاسدة  
 و الامر باتباع الهوى و ان الملائكة بالعكس انما تقذف في القلوب  
 الصدق و العدل قال ابن مسعود ان للملك لمة وللشيطان لمة فلمة  
 الملك ايعاد بالخير و تصديق بالحق و لمة الشيطان ايعاد بالشر  
 و تكذيب بالحق و في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
 قال ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الملائكة و من الجن  
 قالوا و اياك يا رسول الله قال و اياي الا ان الله اعانني عليه فأسلم  
 و في لفظ فلا يأمرني الا بخير قال تعالى { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ  
 النَّاسِ {1} { مَلِكِ النَّاسِ {2} { إِلَهِ النَّاسِ {3} { مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ  
 الْخَنَّاسِ {4} { الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ {5} { مِنَ الْجِنَّةِ وَ  
 النَّاسِ {6} { النَّاسِ 1-6 و القول الصحيح الذي عليه اكثر السلف  
 ان المعنى من شر الموسوس من الجنة و من الناس من شياطين  
 الانس و الجن و قال { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ  
 الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا  
 { الأنعام 112 و قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يبي ذر يا ابا ذر  
 تعود بالله من شياطين الانس و الجن قال يا رسول الله او للانس

<sup>110</sup> مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 585-587

شياطين قال نعم شر من شياطين الجن قال تعالى { وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ } البقرة 14 وهم شياطينهم من الانس كما قال ذلك عامة السلف وكما يدل عليه سياق القران فان شياطين الجن لم يكونوا يحتاجون الى ان يخلوا بهم و لا هم يقولون لهم انا معكم  
 انما نحن مستهزون<sup>111</sup>

\*قوله { مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ } {4} الَّذِي يُوسُّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ } {5} مِنْ الْجَنَّةِ وَ النَّاسِ } {6} النَّاسِ 4-6 فيها أقوال و لم يذكر ابن الجوزي إلا قولين و لم يذكر الثالث و هو الصحيح و هو أن قوله من الجنة و الناس لبيان الوسواس أي الذي يوسوس من الجنة و من الناس في صدور الناس فإن الله تعالى قد أخبر أنه جعل { لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } {الأنعام 112} و إباحاؤهم هو و سوستهم و ليس من شرط الوسوس أن يكون مستترا عن البصر بل قد يشاهد قال تعالى { فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ } {20} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ } {21} الأعراف 20-21 و هذا كلام من يعرف قائله ليس شيئا يلقي في القلب لا يدري ممن هو و إبليس قد أمر بالسجود لآدم فأبى و إستكبر فلم يكن ممن لا يعرفه آدم و هو و نسله يرون بني آدم من حيث لا يرونهم و أما آدم فقد رآه<sup>112</sup>

<sup>111</sup>الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 506

<sup>112</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 509

## الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وباليوم الآخر أمور متلازمة

\*فى القرآن فى مواضع يبين أن الرسل امرؤا بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شىء من المخلوقات سواه وأن أهل السعادة هم أهل التوحيد وان المشركين هم أهل الشقاوة وبيبن أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينهما فى مثل قوله { وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } {الأنعام 150} واخبر فى غير موضع أن الرسالة عمت جميع بنى آدم فهذه الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وباليوم الآخر أمور متلازمة ولهذا قال سبحانه { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {112} { وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ } {113} {الأنعام 112-113} فأخبر أن جميع الأنبياء لهم أعداء وهم شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض القول المزخرف وهو المزين المحسن يغرون به والغرور التلبيس والتمويه وهذا شأن كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من أمر المتكلمة وغيرهم من الأولين والآخرين ثم قال { وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ } {الأنعام 113} فعلم أن مخالفة الرسل وترك الإيمان بالآخرة متلازمان فمن لم يؤمن بالآخرة أصغى إلى زخرف أعدائهم فخالف الرسل كما هو موجود فى أصناف الكفار والمنافقين فى هذه الأمة وغيرها ولهذا قال تعالى { وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ } {الأعراف 52}



إلى قوله { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ  
نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } الأعراف 53<sup>113</sup>

## الكتاب هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا

\* للشيطان وسواس في قلوب الناس كما قال تعالى { وَكَذَلِكَ  
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى  
بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا  
يَفْتَرُونَ } {112} وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ } {113} أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتِغِي  
حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } {114}  
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ } {115} وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } {116}  
الأنعام 112-116 أخبر سبحانه وتعالى ان ما جاءت به الرسل  
والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين لا بد له من عدو  
شياطين الانس والجن يوسوسون القول المزخرف

ونهى ان يطلب حكما من غير الله بقوله تعالى { أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتِغِي  
حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } الأنعام 114 والكتاب  
هو الحاكم بين الناس شرعا ودينا وينصر القائم نصرا وقدرنا وقد  
قال الله تعالى { إِنْ وَلِيَّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى  
الصَّالِحِينَ } الأعراف 196 وقال تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى  
شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا } الجاثية 18 الى قوله { وَاللَّهُ وَلِيُّ  
الْمُتَّقِينَ } الجاثية 19<sup>114</sup>

<sup>113</sup> مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 56

<sup>114</sup> مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 36

\*فمن أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمداً من الكتاب والحكمة ولا تخلطه بغيره ولا تلبس الحق بالباطل كفعل أهل الكتاب فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً وقد قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله خطاً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه السبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ قوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} {الأنعام 153} وجماع ذلك بحفظ أصليين أحدهما تحقيق ما جاء به الرسول فلا يخلط بما ليس منه من المنقولات الضعيفة والتفسيرات الباطلة بل يعطى حقه من معرفة نقله ودلالته والثاني أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأياً ولا رواية قال الله تعالى فيما يأمر به بنى إسرائيل وهو لنا {وَأْمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ} {41} وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {42} البقرة 41-42 فلا يكتم الحق الذي جاء به الرسول ولا يلبس بغيره من البطل ولا يعارض بغيره قال الله تعالى {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} {الأعراف 3} وقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} {الأنعام 93} وهؤلاء الأقسام الثلاثة هم أعداء الرسل فإن أحدهم إذا أتى بما يخالفه إما ان يقول إن الله أنزله علي فيكون قد افتري على الله أو يقول أوحى إليه ولم يسم من أوحاه أو يقول أنا انشأته وأنا أنزل مثل ما أنزل الله فأما ان يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه إلى أحد وهذه الأقسام هم من شياطين الإنس والجن الذين {يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} {الأنعام 112} قال الله تعالى {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ

مَهْجُوراً {30} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ  
رَبَّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا {31} الفرقان 30-31 والله أعلم والحمد لله <sup>115</sup>

## وعد الله الذي وعده رسله من كلماته التي لا مبدل لها

\* قال تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} الأنعام 115 ذكر هذا بعد قوله {  
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ  
إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ  
وَمَا يَفْتَرُونَ} {112} وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} {113} أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أُمَّتِي  
حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ  
يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} {114}  
الانعام 112-114 ثم قال {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا  
لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} الأنعام 115 وقال  
تعالى {وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ  
تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا} {الكهف 27 فأخبر في هاتين الآيتين  
أنه لا مبدل لكلمات الله و أخبر في الأولى انها تمت صدقا و عدلا  
وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يستعيز و يأمر  
بالاستعاذة بكلمات الله التامات و في بعض الأحاديث التي لا  
يجاوزهن بر ولا فاجر وقال تعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ  
لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {62} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا  
يَتَّقُونَ} {63} لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ  
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} {64} يونس 62-64 وقال  
تعالى {وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلٰى مَا كُذِّبُوا

وَأُودُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ  
 الْمُرْسَلِينَ { الْأَنْعَامِ 34 فَأَخْبِر فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَيْضًا أَنَّهُ لَا مَبْدَلَ  
 لِكَلِمَاتِ اللَّهِ عَقِبَ قَوْلِهِ { فَصَبِرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّى  
 أَتَاهُمْ نَصْرُنَا { الْأَنْعَامِ 34 وَ ذَلِكَ بَيَانٌ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ الَّذِي  
 وَعَدَهُ رَسَلُهُ مِنْ كَلِمَاتِهِ الَّتِي لَا مَبْدَلَ لَهَا لَمَّا قَالَ فِي أَوْلِيَانِهِ  
 { لَهْمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ  
 { يُونُسَ 64 فَانَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَ  
 أَنَّ لَهُمُ الْبَشَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ فَوَعَدَهُمْ بِنَفْيِ  
 الْمَخَافَةِ وَ الْحُزَنِ وَ بِالْبَشَرَى فِي الدَّارَيْنِ وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ { لَا  
 تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ { يُونُسَ 64 فَكَانَ فِي هَذَا تَحْقِيقَ كَلَامِ اللَّهِ الَّذِي  
 هُوَ وَعَدَهُ كَمَا قَالَ { فَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ مُخْلِفًا وَعَدِهِ رُسُلُهُ  
 { إِبْرَاهِيمَ 47 وَقَالَ { وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ  
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ { الرُّومِ 6 وَقَالَ الْمُؤْمِنُونَ { رَبَّنَا وَآتِنَا مَا  
 وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ  
 { آلِ عِمْرَانَ 194 فَاخْتَلَفَ مِيعَادُهُ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ سَبْحَانَهُ  
 لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ يَبِينُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى { لَا تَخْنِصُوا  
 لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ { 28 } مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا  
 بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ { 29 } ق 28-29 فَأَخْبَرَ سَبْحَانَهُ أَنَّهُ قَدِمَ إِلَيْهِمْ  
 بِالْوَعِيدِ وَقَالَ { مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ } ق 29 وَ هَذَا يَقْتَضِي  
 أَنَّهُ صَادِقٌ فِي وَعِيدِهِ أَيْضًا وَ أَنَّ وَعِيدَهُ لَا يَبْدَلُ وَ هَذَا مِمَّا  
 احْتَجَّ بِهِ الْقَائِلُونَ بِأَنَّ فَسَاقَ الْمَلَةِ لَا يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ وَ قَدْ تَكَلَّمْنَا  
 عَلَيْهِمْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ لَكِنِ هَذِهِ الْآيَةُ تَضَعُ جَوَابَ مَنْ  
 يَقُولُ إِنَّ اخْتِلَافَ الْوَعِيدِ جَائِزٌ فَانْ قَوْلُهُ { مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ  
 { 29 } بَعْدَ قَوْلِهِ { وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ {  
 ق 28 دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ وَعِيدَهُ لَا يَبْدَلُ كَمَا لَا يَبْدَلُ وَعَدَهُ  
 لَكِنِ التَّحْقِيقُ الْجَمْعُ بَيْنَ نِصُوصِ الْوَعْدِ وَ الْوَعِيدِ وَ تَفْسِيرُ بَعْضِهَا  
 بِبَعْضٍ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلِ شَيْءٍ مِنْهَا كَمَا يَجْمَعُ بَيْنَ نِصُوصِ الْأَمْرِ وَ  
 النَّهْيِ مِنْ غَيْرِ تَبْدِيلِ شَيْءٍ مِنْهَا وَ قَدْ قَالَ تَعَالَى { سَيَقُولُ

المُخْلَفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ {الفتح 15} و الله أعلم<sup>116</sup>

## حكم الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة

{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُرْجِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ {الانعام 112} فقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع العلماء أنه لو حلف ليقضينه حقه في غد إن شاء الله تعالى فخرج الغد ولم يقضه مع قدرته على القضاء من غير عذر وطالبه المستحق له لم يحنث ولو كانت المشيئة بمعنى الأمر لحنث لأنه مأمور بذلك وكذلك سائر الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة وأيضاً فإنه قد قال تعالى { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا } يونس 99 مع أنه قد أمرهم بالإيمان فعلم أنه قد أمرهم بالإيمان ولم يشأه وكذلك قوله { وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 دليل على أنه أراد ضلاله وهو لم يأمره بالضلال<sup>117</sup>

\* وجمهور أهل السنة يقولون إن العبد فاعل لفعله حقيقة لا مجازاً وإنما نازع في ذلك طائفة من متكلمة أهل الاثبات كالأشعري ومن اتبعه والقرآن مملوء بما يدل على أن أفعال العباد حادثة بمشيئة الله وقدرته وخلقها فيجب الإيمان بكل ما في القرآن ولا يجوز أن تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض<sup>118</sup>

<sup>116</sup> مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 496-498

<sup>117</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 156

<sup>118</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 258

## القرآن العربي العظيم كلام الله العزيز العليم

\*أن القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم ليس شيء منه كلاما لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما قال الله تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } {98} إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {100} وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } {101} قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } {102} وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ } {103} النحل 98-103 فأمره أن يقول { نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } { النحل 102 } فان الضمير في قوله { قُلْ نَزَّلَهُ } { النحل 102 } عائد على ما في قوله { بِمَا يُنَزِّلُ } {101} { النحل 101 } والمراد به القرآن كما يدل عليه سياق الكلام وقوله والله أعلم { وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ } {101} { النحل 101 } فيه إخبار الله بأنه أنزله لكن ليس في هذه اللفظة بيان ان روح القدس نزل به ولا انه منزل منه ولفظ الانزال في القرآن قد يرد مقيدا بالانزال منه كنزول القرآن وقد يرد مقيدا بالانزال من السماء ويراد به العلو فيتناول نزول المطر من السحاب ونزول الملائكة من عند الله وغير ذلك وقد يرد مطلقا فلا يختص بنوع من الانزال بل ربما يتناول الانزال من رؤوس الجبال كقوله { وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ } { الحديد 25 } (الرجوع الى مصادر علمية التي اثبتت ان الحديد ايضا ينزل من السماء بواسطة النيازك وذكره في هامش ) والانزال من ظهور الحيوان كانزال الفحل الماء وغير ذلك فقوله { نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } {102} { النحل 102 } بيان لنزول جبريل به من الله فإن روح القدس هنا هو جبريل بدليل قوله { قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ

فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ {البقرة 97} وهو الروح الأمين كما  
 في قوله {وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ {192} نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ  
 الْأَمِينُ {193} عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ {194} بِلِسَانٍ  
 عَرَبِيٍّ مُبِينٍ {195} الشعراء 192-195 وفي  
 قوله {الأميين} الشعراء 193

دلالة على أنه مؤتمن على ما أرسل به لا يزيد فيه ولا ينقص منه  
 فان الرسول الخائن قد يغير الرسالة كما قال في صفته في الآية  
 الأخرى { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ {19} ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي  
 الْعَرْشِ مَكِينٍ {20} مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ {21} التكويد 19-21 وفي  
 قوله { مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ {الأنعام 114} دلالة على أمور منها  
 بطلان قول من يقول إنه كلام مخلوق خلقه في جسم من الأجسام  
 المخلوقة كما هو قول الجهمية الذين يقولون بخلق القرآن من  
 المعتزلة والنجارية والضرارية وغيرهم فان السلف كانوا يسمون  
 كل من نفى الصفات وقال ان القرآن مخلوق وان الله لا يرى في  
 الآخرة جهميا فان جهما أول من ظهرت عنه بدعة نفى الأسماء  
 والصفات وبالغ في نفى ذلك فله في هذه البدعة مزية المبالغة في  
 النفي والابتداء بكثرة اظهار ذلك والدعوة إليه وان كان الجعد بن  
 درهم قد سبقه إلى بعض ذلك فان الجعد بن درهم أول من  
 أحدث ذلك في الإس فضحى به خالد بن عبد الله القسري بواسط  
 يوم النحر وقال يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فاني  
 مضح بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم  
 يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد بن درهم علوا كبيرا  
 ثم نزل فذبحه ولكن المعتزلة وان وافقوا جهما في بعض ذلك فهم  
 يخالفونه في مسائل غير ذلك كمسائل القدر والايمان وبعض  
 مسائل الصفات أيضا ولا يبالغون في النفي مبالغته وجهم  
 يقول ان الله تعالى لا يتكلم أو يقول انه يتكلم بطريق المجاز وأما  
 المعتزلة فيقولون انه يتكلم حقيقة لكن قولهم في المعنى هو قول  
 جهم وجهم ينفي الأسماء أيضا كما نفتها الباطنية ومن وافقهم من  
 الفلاسفة وأما جمهور المعتزلة فلا ينفون الأسماء و

المقصود ان قوله { مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ } { الأنعام 114 } فيه بيان انه منزل من الله لا من مخلوق من المخلوقات ولهذا قال السلف منه بدأ أي هو الذي تكلم به لم يبتدأ من غيره كما قالت الخلقية و منها ان قوله { مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ } { الأنعام 114 } فيه بطلان قول من يجعله فاض على نفس النبي من العقل الفعال او غيره كما يقول ذلك طوائف من الفلاسفة والصابئة وهذا القول أعظم كفرا وضلالا من الذي قبله و منها أن هذه الآية أيضا تبطل قول من يقول أن القرآن العربي ليس منزلا من الله بل مخلوق أما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون أن القرآن العربي ليس هو كلام الله وإنما كلامه المعنى القائم بذاته والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى ثم اما ان يكون خلق في بعض الأجسام الهواء أو غيره أو الهمة جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي أو ألهمة محمد فعبر عنه بالقرآن العربي أو يكون اخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفرع على هذا القول فان هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولا قبل أن يصل إلينا وهذا القول يوافق قول المعتزلة ونحوهم في اثبات خلق القرآن العربي وكذلك التوراة العبرية ويفارقه من وجهين أحدهما أن أولئك يقولون ان المخلوق كلام الله وهؤلاء يقولون أنه ليس كلام الله لكن يسمى كلام الله مجازا وهذا قول أنتمهم وجمهورهم وقالت طائفة من متأخريهم بل لفظ الكلام يقال على هذا وهذا بالاشتراك اللفظي لكن هذا ينقض أصلهم في ابطال قيام الكلام بغير المتكلم به وهم مع هذا لا يقولون ان المخلوق كلام الله حقيقة كما تقوله المعتزلة مع قولهم انه كلامه حقيقة بل يجعلون القرآن العربي كلاما لغير الله وهو كلام حقيقة وهذا شر من قول المعتزلة وهذا حقيقة قول الجهمية ومن هذا الوجه فقول المعتزلة أقرب وقول الآخرين هو قول الجهمية المحضة لكن المعتزلة في المعنى موافقون لهؤلاء وإنما يمتازونهم في اللفظ الثاني ان هؤلاء يقولون الله كلام هو



معنى قديم قائم بذاته والخلقية يقولون لا يقوم بذاته كلام ومن هذا الوجه فالكلابية خير من الخلقية في الظاهر لكن جمهور الناس يقولون أن أصحاب هذا القول عند التحقيق لم يثبتوا له كلاما حقيقة غير المخلوق فانهم يقولون انه معنى واحد هو الأمر والنهى والخبر فان عبر عنه بالعربية كان قرأنا وان عبر عنه بالعبرية كان تورا وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا ومنهم من قال هو خمس معانٍ وجمهور العقلاء يقولون ان فساد هذا معلوم بالضرورة بعد التصور التام والعقلاء الكثيرون لا يتفقون على الكذب وجد بالضرورات من غير تواطؤ واتفاق كما فى الأخبار المتواترة واما مع التواطؤ فقد يتفقون على الكذب عمدا وقد يتفقون على جحد الضرورات وان لم يعلم كل منهم انه جاحد للضرورة ولو لم يفهم حقيقة القول الذى يعتقدده لحسن ظنه فيمن يقلد قوله ولمحبته لنصر ذلك القول كما اتفقت النصارى والرافضة وغيرهم من الطوائف على مقالات يعلم فسادها بالضرورة وقال جمهور العقلاء نحن إذا عربنا التوراة والانجيل لم يكن معنى ذلك معنى القرآن بل معانى هذا ليست معانى هذا ومعانى هذا ليست معانى هذا وكذلك معنى {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} {الإخلاص} 1 ليس هو معنى {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} {المسد} 1 ولا معنى آية الكرسي هو معنى آية الدين وقالوا إذا جوزتم أن تكون الحقائق المتنوعة شيئا واحدا فجوزوا أن يكون العلم والقدرة والكلام والسمع والبصر صفة واحدة فاعترف أئمة هذا القول بان هذا الالزام ليس لهم عنه جواب عقلى ثم منهم من قال الناس فى الصفات إما مثبت لها وقائل بالتعدد وإما ناف لها واما اثباتها واتحادها فخلاف الاجماع وهذه طريقة القاضى أبى بكر وأبى المعالى وغيرهما ومنهم من اعترف بأنه ليس له عنه جواب كأبى الحسن الأمدى وغيره والمقصود هنا أن هذه الآية تبين بطلان هذا القول كما تبين بطلان غيره فان قوله {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} {النحل} 102 يقتضى نزول القرآن من ربه والقرآن اسم للقرآن العربى لفظه ومعناه

بدليل قوله {فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ} النحل 98 وإنما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه المجردة وأيضا فضمير المفعول فى قوله نزله عائد على ما فى قوله {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} النحل 101 فالذى أنزله الله هو الذى نزله روح القدس فإذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربى لزم أن يكون نزله من الله فلا يكون شىء منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة ولا نزله من نفسه وأيضا فانه قال عقيب هذه الآية {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} النحل 103 وهم كانوا يقولون إنما يعلمه هذا القرآن العربى بشر لم يكونوا يقولون إنما يعلمه بشر معانيه فقط بدليل قوله {لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} النحل 103 فانه تعالى أبطل قول الكفار بأن لسان الذى أُلحدوا إليه بأن اضافوا اليه هذا القرآن فجعلوه هو الذى يعلم محمدا القرآن لسان أعجمى والقرآن لسان عربى مبين وعبر عن هذا المعنى بلفظ {يُلْحِدُونَ} النحل 103 لما تضمن من معنى ميلهم عن الحق وميلهم الى هذا الذى أضافوا إليه هذا القرآن فان لفظ الالحاد يقتضى ميلا عن شىء الى شىء بباطل فلو كان الكفار قالوا يعلمه معانيه فقط لم يكن هذا ردا لقولهم فان الانسان قد يتعلم من الأعجمى شيئا بلغة ذلك الأعجمى ويعبر عنه هو بعبارة وقد اشتهر فى التفسير ان بعض الكفار كانوا يقولون هو تعلمه من شخص كان بمكة أعجمى قيل انه كان مولى لابن الحضرمي واذا كان الكفار جعلوا الذى يعلمه ما نزل به روح القدس بشرا والله أبطل ذلك بأن لسان ذلك أعجمى وهذا لسان عربى مبين علم ان روح القدس نزل باللسان العربى المبين وان محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس وإذا كان روح القدس نزل به من الله علم انه سمعه منه ولم يؤلفه هو وهذا بيان من الله ان القرآن الذى هو اللسان العربى المبين سمعه روح القدس من الله ونزل به منه ونظير هذه الآية قوله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ

إِلَى بَعْضِ زُخْرَفِ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ  
 وَمَا يَفْتَرُونَ { الأنعام 112 وكذلك قوله { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ  
 الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ  
 بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ { الأنعام 114<sup>119</sup>

## الرد على الذين يقولون ان جبريل اخذ القرآن من الكتاب لم يسمعه من الله

القرآن كلام الله تعالى وليس كلام جبرئيل ولا كلام محمد وهذا  
 متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين  
 وأصحابهم الذين يفتى بقولهم فى الاسلام كأبى حنيفة ومالك  
 والشافعى وأحمد وغيرهم وجبريل سمعه من الله وسمعه  
 محمد من جبريل كما قال تعالى { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن  
 رَبِّكَ بِالْحَقِّ { النحل 102 وروح القدس هو جبريل<sup>120</sup>

\*والكتاب اسم للقرآن العربى بالضرورة والاتفاق فان الكلابية أو  
 بعضهم يفرق بين الكلام وكتاب الله فيقول كلامه هو المعنى القائم  
 بالذات وهو غير مخلوق وكتابه هو المنظوم المؤلف العربى وهو  
 مخلوق والقرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة والله تعالى قد  
 سمى نفس مجموع اللفظ والمعنى قرآنا وكتابا وكلاما فقال تعالى  
 {الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ { الحجر 1 وقال {طس  
 تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ { النمل 1 وقال { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ  
 نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ { الأحقاف 29 الى قوله تعالى  
 { قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا  
 بَيْنَ يَدَيْهِ { الأحقاف 30 فبين ان الذى سمعوه هو القرآن وهو

<sup>119</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 117- 127

<sup>120</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 554

الكتاب وقال {بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ} {21} {فِي لُوحٍ مَّحْفُوظٍ} {22} {البروج} 21-22 وقال { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } {77} {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} {78} {الواقعة} 77-78 وقال { يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً } {2} {فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} {3} {البيّنة} 2-3 وقال {وَالطُّورِ} {1} {وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ} {2} {فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ} {3} {الطور} 1-3 وقال {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ } {الأنعام} 7 ولكن لفظ الكتاب قد يراد به المكتوب فيكون هو الكلام وقد يراد به ما يكتب فيه كما قال تعالى { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } {77} {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} {78} {الواقعة} 77-78 وقال { وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا } {الإسراء} 13 و المقصود هنا ان قوله **{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } {الأنعام} 114** يتناول نزول القرآن العربى على كل قول وقد اخبر ان **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } {الأنعام} 114** اخبار مستشهد بهم لا مكذب لهم وقال انهم يعلمون ذلك ولم يقل انهم يظنونه او يقولونه والعلم لا يكون إلا حقا مطابقا للمعلوم بخلاف القول والظن الذى ينقسم الى حق وباطل فعلم ان القرآن العربى منزل من الله لا من الهواء ولا من اللوح ولا من جسم آخر ولا من جبريل ولا من محمد ولا غيرهما واذا كان أهل الكتاب يعلمون ذلك فمن لم يقر بذلك من هذه الأمة كان أهل الكتاب المقرون بذلك خيرا منه من هذا الوجه وهذا لا ينافى ما جاء عن ابن عباس وغيره من السلف فى تفسير قوله **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ } {القدر} 1** انه انزله الى بيت العزة فى السماء الدنيا ثم انزله بعد ذلك منجما مفرقا بحسب الحوادث ولا ينافى انه مكتوب فى اللوح المحفوظ قبل نزوله كما قال تعالى **{ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ } {21} {فِي لُوحٍ مَّحْفُوظٍ} {22} {البروج} 21-22** وقال تعالى **{ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } {77} {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} {78} {لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ} {79} {الواقعة} 77-79** وقال تعالى **{ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ } {11} {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ} {12} {فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ} {13} {مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ} {14} {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} {15} {كِرَامٍ**

بَرَرَةَ {16} عبس 11-16 وقال تعالى {وَأَنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ  
 لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ} الزخرف 4 فان كونه مكتوبا في اللوح  
 المحفوظ وفي صحف مطهرة بأيدي الملائكة لا ينافي أن يكون  
 جبريل نزل به من الله سواء كتبه الله قبل أن يرسل به جبريل او  
 بعد ذلك واذا كان قد انزله مكتوبا إلى بيت العزة جملة واحدة في  
 ليلة القدر فقد كتبه كله قبل ان ينزله والله تعالى يعلم ما كان  
 وما يكون وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون وهو سبحانه  
 قد قدر مقادير الخلائق وكتب أعمال العباد قبل ان يعملوها كما  
 ثبت ذلك في صريح الكتاب والسنة وآثار السلف ثم انه يأمر  
 الملائكة بكتابتها بعد ما يعملونها فيقابل بين الكتابة المتقدمة على  
 الوجود والكتابة المتأخرة عنه فلا يكون بينهما تفاوت هكذا قال  
 ابن عباس وغيره من السلف وهو حق فإذا كان ما خلقه باننا عنه  
 قد كتبه قبل أن يخلقه فكيف يستبعد ان يكتب كلامه الذي يرسل به  
 ملائكته قبل ان يرسلهم به ومن قال أن جبريل اخذ القرآن من  
 الكتاب لم يسمعه من الله كان هذا باطلا من وجوه منها ان يقال  
 إن الله سبحانه وتعالى قد كتب التوراة لموسى بيده فبنوا اسرائيل  
 اخذوا كلام الله من الكتاب الذي كتبه هو سبحانه وتعالى فيه فان  
 كان محمد أخذه عن جبريل وجبريل عن الكتاب كان بنو اسرائيل  
 أعلا من محمد بدرجة وكذلك من قال انه القى إلى جبريل  
 المعاني وان جبريل عبر عنها بالكلام العربي فقولهُ يستلزم ان  
 يكون جبريل الهمة الهاما وهذا الالهام يكون لأحاد المؤمنين كما  
 قال تعالى {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي  
 {المائدة 111} وقال {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ  
 {القصص 7} وقد أوحى إلى سائر النبيين فيكون هذا الوحي الذي  
 يكون لأحاد الانبياء والمؤمنين أعلى من أخذ محمد القرآن عن  
 جبريل لأن جبريل الذي علمه لمحمد هو بمنزلة الواحد من  
 هؤلاء ولهذا زعم ابن عربي ان خاتم الأولياء أفضل من خاتم  
 الأنبياء وقال لأنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي  
 يوحى به إلى الرسول فجعل اخذه واخذ الملك الذي جاء إلى

الرسول من معدن واحد وادعى ان اخذه عن الله أعلى من اخذ الرسول للقرآن ومعلوم ان هذا من أعظم الكفر وان هذا القول من جنسه وايضا فالله تعالى يقول { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ } النساء 163 إلى قوله { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } النساء 164 ففضل موسى بالتكليم على غيره ممن اوحى اليهم وهذا يدل على أمور على ان الله يكلم عبده تكلّما زائدا عن الوحي الذي هو قسيم التكليم الخاص فان لفظ التكليم والوحي كل منهما ينقسم إلى عام وخاص فالتكليم هو المقسوم في قوله وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا والتكليم المطلق هو قسيم الوحي الخاص ليس هو قسما منه وكذلك لفظ الوحي قد يكون عاما فيدخل فيه التكليم الخاص كما في قوله لموسى فاستمع لما يوحى وقد يكون قسيم التكليم الخاص كما في سورة الشورى وهذا يبطل قول من يقول الكلام معنى واحد قائم بالذات فانه حينئذ لا فرق بين التكليم الذى خص به موسى والوحي العام الذى يكون لأحد العباد ومثل هذا قوله فى الآية الأخرى { وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ } الشورى 51 فانه فرق بين الايحاء وبين التكليم من وراء الحجاب وبين ارسال رسول يوحى بآياته ما يشاء فدل على ان التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى أمر غير الايحاء وايضا فقوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } الجاثية 2 وقوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } غافر 2 وقوله { تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ } فصلت 2 وأمثال ذلك يدل على انه منزل من الله لا من غيره وكذلك قوله { بَلَّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ

{المائدة 67} فانه يدل على اثبات أن ما أنزل اليه من ربه وانه مبلغ مأمور بتبليغ ذلك<sup>121</sup>

## كل مبتدع دينا خالف به سنة الرسول لا يتبع الا دينا مبدلا

\* ودين الأنبياء كلهم الاسلام كما أخبر الله بذلك في غير موضع وهو الإستسلام لله وحده وذلك انما يكون بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام اذ ذاك واستقبال بيت المقدس كان من دين الاسلام قبل النسخ ثم لما أمر باستقبال الكعبة صار استقبالها من دين الاسلام ولم يبق استقبال الصخرة من دين الاسلام ولهذا خرج اليهود والنصارى عن دين الاسلام فانهم تركوا طاعة الله وتصديق رسوله واعتاضوا عن ذلك بمبدل أو منسوخ وهكذا كل مبتدع دينا خالف به سنة الرسول لا يتبع الا دينا مبدلا او منسوخا فكل من خالف ما جاء به الرسول اما أن يكون ذلك قد كان مشروعا لنبي ثم نسخ على لسان محمد واما أن لا يكون شرع قط فهذا كالأديان التي شرعها الشياطين على السنة أوليائهم قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ} {الشورى 21} وقال {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} {الأنعام 121} وقال {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} {الأنعام 112} ولهذا كان الصحابة اذا قال أحدهم برأيه شيئا يقول ان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه كما قال ذلك ابن مسعود وروى عن أبى بكر وعمر فالأقسام ثلاثة

<sup>121</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 125-129 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص:

فانه اما ان يكون هذا القول موافقا لقول الرسول اولا يكون و اما  
 أن يكون موافقا لشرع غيره واما أن لا يكون فهذا الثالث المبدل  
 كأديان المشركين والمجوس وما كان شرعا لغيره وهو لا يوافق  
 شرعه فقد نسخ كالسبت وتحريم كل ذى ظفر وشحم الثرب  
 والكليتين فان اتخاذا السبت عيدا وتحريم هذه الطيبات قد كان  
 شرعا لموسى ثم نسخ بل قد قال المسيح {وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ  
 الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} آل عمران 50 فقد نسخ الله على لسان المسيح  
 بعض ما كان حراما فى شرع موسى وأما محمد فقال  
 الله فيه { الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ  
 يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ  
 عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ  
 فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ  
 أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف 157 والشرك كله من المبدل لم  
 يشرع الله الشرك قط كما قال {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ  
 رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} الزخرف 45  
 وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا  
 إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} الأنبياء 25<sup>122</sup>

## الوحي وحيان

\* و الوحي وحيان وحي من الرحمن ووحى من الشيطان  
 قال تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ  
 } الأنعام 121 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا  
 شَيْطَانِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

<sup>122</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 181-183



عُرُوراً {الأنعام 112} وقال تعالى {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ  
الشَّيَاطِينُ {الشعراء 221} <sup>123</sup>

أن الحق إذا جحد أقام الله تعالى له مما يحق به الحق  
\*وكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة الرسل وتعميم الخلق  
بهم بحيث يبعث في كل أمة رسولا ليقوم هداه وحجته وكان دينه  
الذي ارتضاه الله لنفسه هو دين الإسلام الذي بعث الله به الأولين  
والآخرين من الرسل ولا يقبل من أحد دينا غيره لا من الأولين  
ولا من الآخرين وهو دين الأنبياء وأتباعهم كما أخبر الله تعالى  
بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين فهذا دين الأولين  
والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام وهو عبادة الله  
وحده لا شريك له وعبادته تعالى في كل زمان ومكان بطاعة  
رسله عليهم السلام فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم  
النبيين ولم يكن بعده رسول ولا من يجدد الدين لم يزل الله  
سبحانه وتعالى يقيم لتجديد الدين من الأسباب ما يكون مقتضيا  
لظهوره كما وعد به في الكتاب فيظهر به محاسن الإيمان  
ومحامده ويعرف به مساوئ الكفر ومفاسده ومن أعظم  
أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة أنباء المرسلين ظهور  
المعارضين لهم من أهل الإفك المبين كما قال تعالى {  
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ  
إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ  
وَمَا يَفْتَرُونَ {112} وَلَتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
وَلَيَرْضُوهُ وَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ {113} أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْتِغِي  
حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

<sup>123</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 75

يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ {114}  
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ {115} الأنعام الآيات 112- 115 وذلك أن الحق

إذا جحد وعرض بالشبهات أقام الله تعالى له مما يحق به الحق  
ويبطل به الباطل من الآيات البيّنات بما يظهره من أدلة الحق  
وبراهينه الواضحة وفساد ما عارضه من الحجج الداخضة  
فالقرآن لما كذب به المشركون واجتهدوا على ابطاله بكل طريق  
مع أنه تحداهم بالإتيان بمثله ثم بالإتيان بعشر سور ثم بالإتيان  
بسورة واحدة كان ذلك مما دل ذوي الألباب على عجزهم عن  
المعارضة مع شدة الاجتهاد وقوة الأسباب ولو اتبعوه من غير  
معارضة وإصرار على التبطيل لم يظهر عجزهم عن معارضته  
التي بها يتم الدليل<sup>124</sup>

\* فإن الكفار بالأنبياء من عاداتهم أن تقول كل طائفة فيه قولاً  
يناقض قول الطائفة الأخرى وكذلك قولهم في الكتاب الذي أنزل  
عليه وأقوالهم كلها أقوال مختلفة باطلة فبين سبحانه أن الكفار  
ضربوا له أمثالا كلها باطلة ومثله بالمسحور فقالوا سحر وشعر  
وكهانة ونحو ذلك ضلوا فيها عن الحق فلا يستطيعون مع  
الضلال سبيلا إلى الحق وقد أخبر تعالى أن هذه سنة الكفار في  
الأنبياء قبله وقال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ  
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا  
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الأنعام 112<sup>125</sup>

إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى

<sup>124</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 85

<sup>125</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 161

قال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {112} وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ } {113} الأنعام 112- 115 وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبته وهذا كالمناسبة في قوله {لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} يس 6 فإن هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإنذار فكان في تخصيصهم بالذكر فائدة لا أنه خصهم لانتفاء إنذار من سواهم<sup>126</sup>

## سماع كلام أهل البدع لمن يضره ذلك باب تجتمع فيه الشبهات والشهوات

\*فذكر أحوال الكفار والفجار وغير ذلك مما فيه ترغيب في معصية الله وصد عن سبيل الله ومن هذا الباب سماع كلام أهل البدع والنظر في كتبهم لمن يضره ذلك ويدعوه إلى سبيلهم وإلى معصية الله فهذا الباب تجتمع فيه الشبهات والشهوات والله تعالى ذم هؤلاء في مثل قوله { يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } {الأنعام 112} وفي مثل قوله { وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ } الشعراء 224 ومثل قوله { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا } لقمان 6 وقوله { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ } المؤمنون 67 ومثل قوله { وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْعِغْيِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146 ومثل قوله { وَإِن تُطِعَ أَكْثَرَ مَن

<sup>126</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 438

فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ { الْأَنْعَامُ 116 } الآية ومثل هذا كثير في القرآن فأهل المعاصي كثيرون في العالم بل هم أكثر كما قال تعالى { وَإِنْ نَطَعُ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ { الْأَنْعَامُ 116 } الآية وفي النفوس من الشبهات المذمومة والشهوات قولاً وعملاً ما لا يعلمه إلا الله وأهلها يدعون الناس إليها ويقهرون من يعصيهم ويزينونها لمن يطيعهم فهم أعداء الرسل وأندادهم فرسل الله يدعون الناس إلى طاعة الله ويأمرونهم بها بالرغبة والرغبة ويجاهدون عليها وينهونهم عن معاصي الله ويحذرونهم منها بالرغبة والرغبة ويجاهدون من يفعلها وهؤلاء يدعون الناس إلى معصية الله ويأمرونهم بها بالرغبة والرغبة قولاً وفعلاً ويجاهدون على ذلك قال تعالى { الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } التوبة 67 ثم قال { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ } التوبة 71 وقال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ { النساء 76 }<sup>127</sup>

### الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان

\* واولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحذور وصبروا على المقدر فأحبهم واحبوه ورضى عنهم ورضوا عنه واعدائه اولياء الشياطين وان كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم

<sup>127</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 336-338

ويغضب عليهم ويلعنهم ويعاديهم ومجامع الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هو الذى فرق الله تعالى به بين اوليائه السعداء واعدائه الاشقياء وبين اوليائه أهل الجنة واعدائه أهل النار وبين اوليائه أهل الهدى والرشاد وبين اعدائه أهل الغي والضلال والفساد واعدائه حزب الشيطان واوليائه الذين كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه قال تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } المجادلة 22 الآية وقال تعالى { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ } الأنفال 12 وقال فى اعدائه { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } الأنعام 112 128

## كل متمرّد عند العرب شيطان وفى اشتقاقه قولان

\* وكذلك الوسواس فى النفس يكون من الشيطان تارة ومن النفس تارة قال تعالى { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ } ق 16 وقال { فَوَسَّوسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ } طه 120 وقال { فَوَسَّوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا } الأعراف 20 والوسوسة من جنس الوسوسة بالشين المعجمة ومنه وسوسة الحلى وهو الكلام الخفى والصوت الخفى وقد قال تعالى { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ } 1 { مَلِكِ النَّاسِ } 2 { إِلَهِ النَّاسِ } 3 { مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ } 4 { الَّذِي يُوَسَّوسُ فِي

صُدُورِ النَّاسِ {5} مِنْ الْجَنَّةِ وَ النَّاسِ {6} النَّاسِ 1-6 وقد قيل إن المعنى من الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة ومن الناس وأنه جعل الناس أولاً تتناول الجنة والناس فسامهم ناساً كما سماهم رجالاً قاله الفراء وقيل المعنى من شر الموسوس في صدور الناس من الجن ومن شر الناس مطلقاً قاله الزجاج ومن المفسرين كأبي الفرج بن الجوزي من لم يذكر غيرهما وكلاهما ضعيف والصحيح أن المراد القول الثالث وهو أن الإستعاذة من شر الموسوس من الجنة ومن الناس في صدور الناس فأمر بالإستعاذة من شر شياطين الإنس والجن كما قال تعالى **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ}** الأنعام 112 وفي حديث أبي ذر الطويل الذي رواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه بطوله قال يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن فقال يا رسول الله أو للإنس شياطين قال نعم شر من شياطين الجن وقد قال تعالى **{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}** البقرة 14 والمنقول عن عامة المفسرين أن المراد شياطين الإنس وما علمت أحداً قال إنهم شياطين الجن فعن ابن مسعود وابن عباس والحسن والسدي أنهم رؤوسهم في الكفر وعن أبي العالية ومجاهد إخوانهم من المشركين وعن الضحاك وابن السائب كهنتهم والآية تتناول هذا كله وغيره ولفظها يدل على أن المراد شياطين الإنس لأنه قال **{وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ}** البقرة 14 ومعلوم أن شيطان الجن معهم لما لقوا الذين آمنوا لا يحتاج أن يخلوا به وشيطان الجن هو الذي أمرهم بالنفاق ولم يكن ظاهراً حتى يخلوا معهم ويقول إنا معكم لا سيما إذا كانوا يظنون أنهم على حق كما قال تعالى **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ}** البقرة 13 ولو علموا أن الذي يأمرهم

بذلك شيطان لم يرضوه وقد قال الخليل بن أحمد كل متمرّد  
 عند العرب شيطان وفي اشتقاقه قولان أصحهما أنه من شطن  
 يشطن إذا بعد عن الخير والنون أصلية قال أمية بن أبي الصلت  
 في صفة سليمان عليه السلام أيما شاطن عصاه عكاه ثم  
 يلقي في السجن والأغلال عكاه أوثقه وقال النابغة نأت  
 بسعاد عنك نوى شطون فبانت والفؤاد بها رهين ولهذا  
 قرنت به اللعنة فإن اللعنة هي البعد من الخير والشيطان بعيد من  
 الخير فيكون وزنه فيعالا وفعال نظير فعال وهو من صفات  
 المبالغة مثل القيام والقوام فالقيام فيعال والقوام فعال ومثل العياذ  
 والعواذ وفي قراءة عمر الحي القيام فالشيطان المتصف بصفة  
 ثابتة قوية في كثرة البعد عن الخير بخلاف من بعد عنه مرة  
 وقرب منه أخرى فإنه لا يكون شيطانا ومما يدل على ذلك قولهم  
 تشيطن يتشيطن شيطنة ولو كان من شاط يشيط لقل تشيط يتشيط  
 والذي قال هو من شاط يشيط إذا احترق والتهب جعل النون  
 زائدة وقال وزنه فعالن كما قال الشاعر وقد يشيط على  
 أرماحنا البطل وهذا يصح في الإشتقاق الأكبر الذي  
 يعتبر فيه الإتفاق في جنس الحروف كما يروى عن أبي جعفر  
 أنه قال العامة مشتق من العمى ما رضى الله أن يشبههم بالأنعام  
 حتى قال { بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44 وهذا كما يقال  
 السرية مأخوذة من السر وهو النكاح ولو جرت على القياس لقل  
 سريرة فإنها على وزن فعيلة ولكن العرب تعاقب بين الحرف  
 المضاعف والمعتل كما يقولون تقضي البازي وتقضض قال  
 الشاعر تقضى البازي إذا البازي كسر ومنه قوله تعالى  
 { فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ } البقرة 259 وهذه الهاء  
 تحتمل أن تكون أصلية فجزمت بلم ويكون من سانهت وتحتمل  
 أن تكون هاء السكت كالهاء من كتابيه وحسابيه واقتده وماليه  
 وسلطانيه وأكثر القراء يثبتون الهاء وصلا ووقفا وحمزة  
 والكسائي يحذفانها من الوصل هنا ومن اقتده فعلى قراءتها  
 يجب أن تكون هاء السكت فإن الأصلية لا تحذف فتكون لفظة لم

يتسن كما تقول لم يتغن وتكون مأخوذة من قولهم تسنى يتسنى وعلى الإحتمال الآخر تكون من تسنه يتسنه والمعنى واحد قال ابن قتيبة أى لم يتغير بمر السنين عليه قال واللفظ مأخوذ من السنه يقال سانته النخلة إذا حملت عاما وحالت عاما فذكر ابن قتيبة لغة من جعل الهاء أصلية وفيها لغتان يقال عاملته مسانهة ومسناة ومن الشواهد لما ذكره ابن قتيبة قول الشاعر فليست بسنهاء ولا رجبية ولكن عرايا في السنين الجوائح يمدح النخلة والمقصود مدح صاحبها بالجود فقال إنه يعريها لمن يأكل ثمرها لا يرجبها لتخليه ثمرها ولا هي بسنهاء والمفسرون من أهل اللغة يقولون في الآية معناه لم يتغير وأما لغة من قال إن أصله سنة فهي مشهورة ولهذا يقال في جمعها سنوات ويشابهه في الإشتقاق الأكبر الماء الآسن وهو المتغير المنتن ويشابهه في الإشتقاق الأصغر الحمأ المسنون فإنه من سن يقال سننت الحجر على الحجر إذا حككته والذي يسيل بينهما سنن ولا يكون إلا منتنا وهذا أصح من قول من يقول المسنون المصبوب على سنة الوجه أو المصبوب المفرغ أي أبدع صورة الإنسان فإن هذا أنما كان بعد أن خلق من الحمأ المسنون ونفس الحمأ لم يكن على صورة الإنسان ولا صورة وجه ولكن المراد المنتن فقله { لَمْ يَنْسَنَهُ } البقرة 259 بخلاف قوله { مَاءٌ غَيْرِ آسِنٍ } محمد 15 فإنه من قولهم أسن يأسن فهذا من جنس الإشتقاق الأكبر لا شتراكهما في السين والنون والنون الأخرى والهمزة والهاء متقاربتان فإنهما حرفا حلق وهذا باب واسع والمقصود أن اللفظين إذا اشتركا في أكثر الحروف وتفاوتتا في بعضها قيل أحدهما مشتق من الآخر وهو الإشتقاق الأكبر والأوسط أن يشتركا في الحروف لا في ترتيبها كقول الكوفيين الإسم مشتق من السمة والإشتقاق الأصغر الخاص الإشتراك في الحروف وترتيبها وهو المشهور كقولك علم يعلم فهو عالم



وعلى هذا فالشيطان مشتق من شطن وعلى الإشتقاق الأكبر هو  
من باب شاط يشيط لأنها اشتركا في الشين والطاء والنون  
والياء متقاربتان<sup>129</sup>

\*فدعوى المدعي ان السحر هي قوى نفسانية من أبطل الباطل  
فإن السحر كثير منه يكون بالشياطين وكتب السحر مملوءة من  
الأقسام والعزائم على الجن بساداتهم الذين يعظمونهم ولذلك  
كانت الإنس تستعيز بالجن كما قال الله تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ  
مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} الجن 6  
كانوا إذا نزل الرجل منهم بواد يقول أعوذ بعظيم هذا الوادي من  
سفهائه فأنزل الله هذه الآية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ  
الحسن والحسين فيقول أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان  
وهامة ومن كل عين لامة ففرق بين الشيطان وبين الهوام وبين  
أعين الإنس كما يدل ذلك على وجود الضرر في هذه الجهات  
الثلاث الإنس والجن والهوام وقد قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ  
نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ  
زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ  
{ الأنعام 112<sup>130</sup>

## مخالفة الرسل وترك الايمان بالآخرة متلازمان

\*أن التوحيد والايمان بالرسل متلازمان وكذلك الايمان باليوم  
الآخر هو والايمان بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا  
يجمع بينها في مثل قوله {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا  
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 150

<sup>129</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 188-193

<sup>130</sup>الصفدية ج: 1 ص: 169

ولهذا أخبر ان الذين لا يؤمنون بالآخرة مشركون فقال تعالى  
{وَإِذَا نُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
{الزمر 45} وأخبر عن جميع الأشقياء ان الرسل انذرتهم  
باليوم الآخر كما قال تعالى {كُلَّمَا لُفِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا  
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} {8} قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَلَ  
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ} {9} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ  
أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} {10} فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِقًا  
لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} {11} {الملك 8- 111 فأخبر ان الرسل انذرتهم  
وانهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ  
زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ  
رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا  
قَالُوا بَلَىٰ} {الزمر 71 فأخبر عن اهل النار انهم قد جاءتهم  
الرسالة وانذروا باليوم الآخر وقال تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ  
جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ  
الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَمْرًا الَّذِي أَجَلْتْنَا لَنَا قَالَ  
النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ  
{128} وَكَذَٰلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ} {129} يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ  
يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ  
أَنْفُسِنَا وَعَرَّثْتُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا  
كَافِرِينَ} {130} {الأنعام 128-130 فأخبر عن جميع الجن والانس  
ان الرسل بلغتهم رسالة الله وهى آياته وانهم اندروهم اليوم الآخر  
وكذلك قال {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا} {103} {الذین  
ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} {104} {الكهف 103-104 الى قوله  
{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ} {105} {الكهف 105  
فأخبر انهم كفروا بآياته وهى رسالته وبلقائه وهو اليوم الآخر  
وقد اخبر ايضا فى غير موضع بأن الرسالة عمت بنى آدم وان  
الرسل جاءوا مبشرين ومنذرين كما قال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ  
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} {فاطر 24

وقال تعالى { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ } النساء 163 الى قوله { وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } 165 { النساء 165 وقال تعالى { وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } 48 { وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } 49 { الانعام 48-49 فأخبر ان من آمن بالرسول واصلح من الأولين والآخرين فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال تعالى { قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 38 ومثل ذلك قوله { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 62 فذكر ان المؤمنين بالله وباليوم الآخر من هؤلاء هم اهل النجاة والسعادة وذكر في تلك الآية الايمان بالرسول وفي هذه الايمان باليوم الآخر لأنهما متلازمان وكذلك الايمان بالرسول كلهم متلازم فمن آمن بواحد منهم فقد آمن بهم كلهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم كما قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ } 150 { النساء 150 الى قوله { أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا } النساء 151 الآية والتي بعدها فأخبر ان المؤمنين بجميع الرسل هم اهل السعادة وان المفرقين بينهم بالايمان ببعضهم دون بعض هم الكافرون حقا وقال تعالى { وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا } 13 { أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } 14 { مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا } 15 { الإسراء 13-15 فهذه الأصول الثلاثة توحيد الله والايمان برسله وباليوم الآخر هي امور متلازمة والحاصل ان توحيد الله والايمان برسله واليوم الآخر هي امور متلازمة مع العمل الصالح فأهل هذا الايمان والعمل الصالح هم اهل السعادة من الأولين والآخرين

والخارجون عن هذا الايمان مشركون اشقياء فكل من كذب  
الرسل فلن يكون الا مشركا وكل مشرك مكذب للرسل وكل  
مشرك وكافر بالرسل فهو كافر باليوم الآخر وكل من كفر باليوم  
الآخر فهو كافر بالرسل وهو مشرك ولهذا قال سبحانه وتعالى

**{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي  
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ  
فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} {112}** **{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} {113}** {الأنعام 112

113- فأخبر ان جميع الأنبياء لهم اعداء وهم شياطين

الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض القول المزخرف وهو  
المزين المحسن يغررون به والغرور هو التلبيس والتمويه وهذا  
شأن كل كلام وكل عمل يخالف ما جاءت به الرسل من امر

المتفلسفه والمتكلمه وغيرهم من الأولين والآخرين ثم قال **{  
وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا  
مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} {113}** {الأنعام 113} فأخبر ان كلام اعداء

الرسل تصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنوا بالآخرة فعلم ان  
مخالفة الرسل وترك الايمان بالآخرة متلازمان فمن لم يؤمن  
بالآخرة اصغى الى زخرف اعدائهم فخالف الرسل كما هو

موجود في اصناف الكفار والمنافقين في هذه الأمه وقال تعالى  
**{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ  
{52}** **{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ  
مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا  
أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ  
مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} {53}** {الأعراف 52-53} فأخبر ان الذين تركوا

اتباع الكتاب وهو الرساله يقولون اذا جاء تأويله وهو ما اخبر به  
جاءت رسل ربنا بالحق وهذا كقوله **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي  
فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} {124}** **{قَالَ رَبِّ  
لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} {125}** **{قَالَ كَذَلِكَ أَنتُكَ آيَاتُنَا  
فَنَسِيَّتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى} {126}** **{وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ**

يُؤْمِن بآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى {127} طه 124-  
 127 اخبر ان الذن تركوا اتباع آياته يصيبهم ما ذكرنا فقد تبين  
 ان اصل السعادة واصل النجاة من العذاب هو توحيد الله بعبادته  
 وحده لا شريك له والايمان برسله واليوم الآخر والعمل الصالح  
 131

## الذين عندهم ما يناقض بعض ما أخبرت به الرسل هم ثلاثة اصناف

\*ومن الناس من يقر بالرسول في الجملة لكن لا يؤمن بما يجب  
 من حقيقة إرسالهم كالملاحدة وأهل البدع الذين يعظمون الأنبياء  
 مع اعتقادهم في الباطن ما يناقض بعض ما جاءوا به لشبهات  
 انعقدت في قلوبهم ظنوها علوما عقلية وهي مناقضة لما أخبرت  
 به الرسل فيحتاجون إلى ان يوفقوا بينهما وهؤلاء يشبهون الذين  
 قال الله فيهم { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ  
 وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا  
 أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } {60} وَإِذَا  
 قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ  
 يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } {61} فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ  
 أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا } {62}  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ  
 لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا } {63} سزرة النساء الآيات 60 63  
 وقد اخبر الله أنه جعل للأنبياء من يعاديهم من الإنس والجن فقال  
 تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي  
 بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ

فَدَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ {112} وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ {113} أَفَعَيَّرَ اللَّهُ  
أَبْتَعِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ  
الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ  
الْمُتَّخِرِينَ {114} وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {115} وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ  
يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِن هُمْ إِلَّا  
يَخْرُصُونَ {116} لأنعام 112 116 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ  
جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا  
{الفرقان 31} وهؤلاء الذين عندهم ما يناقض بعض ما أخبرت  
به الرسل هم ثلاثة اصناف أهل الخييل من الملاحدة المتفلسفة  
والباطنية الذين يقولون إن الرسل أخبروا من أمر الإيمان بالله  
واليوم الآخر بما يخالف الحق في نفس الأمر ليخيلوا إلى  
الجمهور ما ينتفعون به ويعدون هذا من فضائل الرسل وقد بسط  
الرد على هؤلاء في غير موضع وأهل التحريف والتأويل الذين  
يؤلون كلامهم على ما يخالف مرادهم ويزعمون أنهم أرادوا ذلك  
المعنى مع انه ليس في كلامهم ما يدل على إرادة ذلك المعنى بل  
كلامهم يدل على إرادة خلافه وأهل التجهيل الذين يقولون ذلك  
الكلام ليس له معنى يعلمه الرسل ولا غيره وإنما يعلمه الله وحده  
وهذان القولان يقول بكل منها طوائف معظمين للرسل وقد تبين  
فسادهما في غير هذا الموضع وأما من قال إن الرسل وغيرهم  
يعلمون المعنى الذي بينه الله لهم بكلامه ولكن استأثر الله بعلم امر  
آخر لا يعلمونه كما استأثر بعلم غيب الساعة فهذا قول السلف  
والأئمة وبسط هذا له موضع آخر<sup>132</sup>

## أخبر الله في غير موضع من القرآن نزل منه

<sup>132</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 519

\* وهو أن الله أخبر أن القرآن منزل من الله كما قال { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } {الأنعام 114} وقال { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } {النحل 102} وقال { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } {الزمر 1} الضمير يتناول اللفظ والمعنى جميعاً لا سيما ما فى قوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ } {الزمر 1} فان الكتاب عند من يقول ان كلام الله هو المعنى دون الحروف اسم للنظم العربى والكلام عنده اسم للمعنى والقرآن مشترك بينهما فلفظ الكتاب يتناول اللفظ العربى باتفاق الناس فاذا أخبر أن { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ } {الزمر 1} علم أن النظم العربى منزل من الله وذلك يدل على ما قال السلف أنه منه بدأ أى هو الذى تكلم به <sup>133</sup>

\* وقد أخبر تعالى بأنه تنزيل منه فقال { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } {الأنعام 114} وقال { حم } {1} تنزيلٌ مِّن الرِّحْمَنِ الرَّحِيمِ {2} فصلت 1- 2 { تنزيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } {1} {الزمر 1} فجبريل رسول الله من الملائكة جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم و الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس وكلاهما مبلغ له كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ } {المائدة 67} وقال { إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا } {27} {لِيَعْلَمَ أَن قَدِ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} {28} {الجن 27-28} وهو مع هذا كلام الله ليس لجبريل ولا لمحمد فيه إلا التبليغ والأداء كما أن المعلمين له في هذا الزمان والتالبيين له في الصلاة أو خارج الصلاة ليس لهم فيه إلا ذلك لم يحدثوا شيئاً من حروفه ولا معانيه <sup>134</sup>

<sup>133</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 544

<sup>134</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 289

\*وكذلك قد أخبر في غير موضع من القرآن ان القرآن نزل منه وأنه نزل به جبريل منه ردا على هذا المبتدع المفترى وأمثاله ممن يقول أنه لم ينزل منه قال تعالى { **أَفَعَيِّرَ اللَّهُ أَتْبَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ { الأنعام 114** } وقال تعالى { **قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ { النحل 102** } وروح القدس هو جبريل كما قال في الآية الأخرى { **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ { 193** } **عَلَى قَلْبِكَ { 194** } الشعراء 193-194 } وقال { **قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ { البقرة 97** } وقال هنا { **نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ { النحل 102** } فبين ان جبريل نزله من الله لا من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك وكذلك سائر آيات القرآن كقوله { **تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ { الزمر 1** } وقوله { **حم { 1** } **تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ { 2** } غافر 1-2 } وقوله { **حم { 1** } **تَنْزِيلُ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { 2** } فصلت 1-2 } وقوله { **الم { 1** } **تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ { 2** } السجدة 1-2 } وقوله { **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ { المائدة 67** } فقد بين في غير موضع أنه منزل من الله فمن قال انه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفتر على الله مكذب لكتاب الله متبع لغير سبيل المؤمنين ألا ترى ان الله فرق بين ما نزل منه وما نزله من بعض المخلوقات كالمطر بأن قال { **وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً { البقرة 22** } فذكر المطر في غير موضع وأخبر أنه نزله من السماء والقرآن أخبر أنه منزل منه وأخبر بتنزيل مطلق في مثل قوله { **وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ { الحديد 25** } لأن الحديد ينزل



من رؤوس الجبال لا ينزل من السماء وكذلك الحيوان فان الذكر  
ينزل الماء في الاناث فلم يقل فيه من السماء <sup>135</sup>

## أهل الكتاب يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشرا

### مثلهم

\* والكتاب الذي أنزل مفصلا هو القرآن العربي باتفاق الناس  
وقد أخبر أن الذين أتاهم الكتاب يعلمون أنه منزل من الله بالحق  
والعلم لا يكون إلا حقا فقال {يَعْلَمُونَ} {الأنعام 114} ولم يقل  
يقولون فان العلم لا يكون إلا حقا بخلاف القول وذكر علمهم ذكر  
مستشهد به <sup>136</sup>

\*قال تعالى {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ  
مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ  
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} {الأنعام 114} أن أهل الكتاب  
يعلمون أن الله إنما أرسل إلى الناس بشرا مثلهم لم يرسل إليهم  
ملكا ولهذا كان النبي في خطابه لأهل الكتاب يقول لهم والله الذي  
لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله وكذلك من أسلم منهم  
كعبدالله بن سلام كان يقول لغيره من أهل الكتاب والله الذي لا إله  
إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وهذا أمر معروف في  
الأحاديث الصحاح المخرجة في الصحيحين وغيرهما <sup>137</sup> \*  
وعلماء بني إسرائيل يعلمون ذكر إرسال محمد ونزول الوحي  
عليه كما قال تعالى {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي  
يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

<sup>135</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 519- 520 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص:

300-299

<sup>136</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 39

<sup>137</sup>الجواب الصحيح ج: 2 ص: 365

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجْلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ  
وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ  
وَعَزَّزُوا وَنَصَرُواهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ {الأعراف 157} ويعلمون المعاني التي فيه أنها موافقة  
لأقوال الرسل قبله في الخبر والأمر فإنه أخبر عن توحيد الله  
وصفاته وعرشه وملائكته وخلق السموات والأرض وغير ذلك  
بمثل ما أخبرت به الرسل قبله وأمر بتوحيد الله وعبادته وحده لا  
شريك له وبالعدل والصدق والصلاة والزكاة ونهى عن الشرك  
عن الشرك والظلم والفواحش كما أمرت ونهت الرسل قبله  
والسور المكية نزلت بالأصول الكلية المشتركة التي اتفقت عليها  
الرسل التي لا بد منها وهي الإسلام العام الذي لا يقبل الله من  
أحد من الأولين والآخرين ديناً غيره وأما السور المدنية ففيها  
هذا وفيها ما يختص به محمد من الشريعة والمنهاج فإن دين  
الأنبياء واحد كما ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال إنا معشر  
الأنبياء ديننا واحد<sup>138</sup>

\*أمر الله رسوله بسؤال أهل الكتاب عما تواتر عندهم كقوله  
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ  
كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} النحل 43 فإن من الكفار من أنكر أن يكون لله  
رسول بشر فأخبر الله ان الذين أرسلهم قبل محمد كانوا بشرا  
وامر بسؤال أهل الكتاب عن ذلك لمن لا يعلم وكذلك سؤالهم  
عن التوحيد وغيره مما جاءت به الأنبياء وكفر به الكافرون قال  
تعالى {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا  
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} الرعد 43 وقال تعالى {فَإِنْ  
كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ  
قَبْلِكَ} يونس 94 وقال تعالى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَأَمَّا

وَاسْتَكْبَرْتُمْ { الأحقاف 10 وكذلك شهادة أهل الكتاب بتصديق ما أخبر به من أنباء الغيب التي لا يعلمها إلا نبي أو من أخبره نبي وقد علموا أن محمدا لم يتعلم من أهل الكتاب شيئا وهذا غير شهادة أهل الكتاب له نفسه بما يجدونه من نعته في كتبهم كقوله تعالى { أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ { الشعراء 197 وقوله تعالى { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ { الأنعام 114 وأمثال ذلك <sup>139</sup>

\*شهادة من عنده علم الكتاب الأول فإن هؤلاء شهادتهم برهان ورحمة كما قال { وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ { الأحقاف 10 وقال { فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ { يونس 94 الآية وقال { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ { الأنعام 114 <sup>140</sup>

\*قال تعالى { أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أْبْتِغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ { الأنعام 114 وهذا كله في السور المكية والمقصود الجنس فاذا شهد جنس هؤلاء مع العلم بصدقهم حصل المطلوب لا يقف العلم على شهادة كل واحد واحد فان هذا متعذر ومن أنكر أو قال لا أعلم لم يضر إنكاره وإن قال بل أعلم عدم ما شهدوا به علم افتراؤه في الجنس وعلم في الشخص اذ كان لم يحط علما بجميع نسخ الكتب المتقدمة وما في النبوات كلها فلا سبيل لأحد من أهل الكتاب أن يعلم انتفاء ذكر محمد في كل نسخة نسخة بكل كتاب من كتب الأنبياء إذ العلم بذلك متعذر ثم

<sup>139</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 12

<sup>140</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 68

هذه النسخ الموجود فيها ذكره في مواضع كثيرة قد ذكر قطعة منها في غير هذا الموضع ومما ينبغي أن يعلم أن أعظم ما كان عليه المشركون قبل محمد وفي مبعثه هو دعوى الشريك لله والولد والقرآن مملوء من تنزيه الله عن هذين وتنزيهه عن المثل والولد يجمع كل التنزيه <sup>141</sup>

## القرآن كلام الله ليس بمخلوق

\* (من) لإبتداء الغاية كما قال { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } الجاثية 13 وقال { وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ } النحل 53 وما أضيف إلى الله أو قيل هو منه فعلى وجهين إن كان عينا قائما بنفسها فهو مملوك له ومن لإبتداء الغاية كما قال تعالى { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا } مريم 17 وقال في المسيح { وَرُوحٌ مِّنْهُ } النساء 171 وما كان صفة لا يقوم بنفسه كالعلم والكلام فهو صفة له كما يقال كلام الله وعلم الله وكما قال تعالى { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } النحل 102 وقال { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } الأنعام 114 <sup>142</sup>

\* والله سبحانه إذا ذكر نزول القرآن قيده بأن نزوله منه كقوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ } الزمر 1 { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } الأنعام 114 { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ } النحل 102 وهذا مما إستدل به الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة على أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق خلقه في محل غيره فإنه كان يكون منزلا من ذلك المحل لا من الله و قال إنه نزل بعلم الله و إنه من علم الله و علم الله غير مخلوق

<sup>141</sup>النبوات ج: 1 ص: 19

<sup>142</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 285 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 97

و قال أحمد كلام الله من الله ليس شيطان منه ولهذا قال السلف  
القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ و إليه يعود فقالوا منه  
بدأ لم يبدأ من غيره كما تقوله الجهمية يقولون بدأ من المحل الذي  
خلق فيه <sup>143</sup>

\*ومقالة السلف و أئمة السنة كالإمام أحمد رحمه الله ان  
القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ و إليه يعود أى هو المتكلم به  
لم يبدأ من بعض المخلوقات كما قالت الجهمية بل هو منه نزل  
<sup>144</sup>

\*قال الإمام أحمد كلام الله من الله ليس باننا عنه و قالوا  
القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ قال أحمد منه بدأ المتكلم  
به لم يبدأ من مخلوق كما قال من قال إنه مخلوق قال تعالى {  
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ  
{ الأنعام 114 } و لهذا لا يقول أحد إنه خلق نزوله و استواءه و  
مجيبه و كذلك تكليمه لموسى و نداؤه له ناداه و كلمه بمشيئته و  
قدرته و التكليم فعل قام بذاته و ليس وهو الخلق كما أن الإنسان  
إذا تكلم فقد فعل كلاما و أحدث كلاما و لكن فى نفسه لا مباينا له  
و لهذا كان الكلام صفة فعل و هو صفة ذات أيضا على مذهب  
السلف و الأئمة و من قال إنه مخلوق يقول إنه صفة فعل و  
يجعل الفعل باننا عنه و الكلام باننا عنه و من قال صفة ذات  
يقول إنه يتكلم بلا مشيئته و قدرته و مذهب السلف أنه يتكلم  
بمشيئته و قدرته و كلامه قائم به فهو صفة ذات و صفة فعل و  
لكن الفعل هنا ليس هو الخلق بل كما قال الإمام أحمد الجعل  
جعلان جعل هو خلق و جعل ليس بخلق وهذا كله يستلزم قيام  
الأفعال بذاته و أنها تنقسم إلى قسمين أفعال متعدية كالخلق و

<sup>143</sup>مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 469 و مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 95

<sup>144</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 164

أفعال لازمة كالتكلم و النزول و السلف يثبتون النوعين هذا و  
غيره 145

\*والمداد يكتب به الحروف و المداد كله مخلوق ليس منه  
شئ غير مخلوق و الصوت الذى يقرأ به الناس القرآن هو صوت  
العباد لكن الكلام كلام الله تعالى قال تعالى { وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ  
الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } التوبة 6 وقال  
النبي صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم فالكلام  
كلام البارى و الصوت صوت القارىء و هذا ليس هو الصوت  
الذى ينادى الله به عباده و يسمعه موسى و غيره كما دل على ذلك  
الكتاب و السنة و كلام الله غير مخلوق عند سلف الأمة و أئمتها  
وهو أيضا يتكلم بمشيئته و قدرته عندهم لم يزل متكلمًا إذا شاء  
فهو قديم النوع و أما نفس النداء الذى نادى به موسى و نحو  
ذلك فحينئذ ناداه به كما قال تعالى { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى  
{ طه 11 و كذلك نظائره فكان السلف يفرقون بين نوع الكلام و بين  
الكلمة المعينة قال تعالى { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي  
لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا  
{ الكهف 109 و كلام الله و ما يدخل فى كلامه من ندائه و غير ذلك  
ليس بمخلوق بائن منه بل هو منه و القرآن سمعه جبرئيل من الله  
و نزل به إلى محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى { قُلْ نَزَّلَهُ  
رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } النحل 102 وقال تعالى  
{ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ  
{ الأنعام 114 وقال تعالى { تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ  
الْحَكِيمِ } الزمر 1 و نحو ذلك 146

145 مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 390

146 مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 577

## النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع

\*النزول في كتاب الله عز وجل ثلاثة أنواع نزول مقيد بأنه منه ونزول مقيد بأنه من السماء ونزول غير مقيد لا بهذا ولا بهذا فالأول لم يرد إلا في القرآن كما قال تعالى { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } { الأنعام 114 وقال تعالى { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ } { النحل 102 وقال تعالى { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } { الزمر 1 وفيها قولان أحدهما لا حذف في الكلام بل قوله { تَنْزِيلُ الْكِتَابِ } { الزمر 1 مبتدأ وخبره } { مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } { الزمر 1 و الثاني أنه خبر مبتدأ محذوف أى هذا تنزيل الكتاب وعلى كلا القولين فقد ثبت أنه منزل منه وكذلك قوله { حم } { 1 } تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ { 2 } { الجاثية 1-2 وكذلك { حم } { 1 } تَنْزِيلُ الْكِتَابِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ { 2 } { فصلت 1-2 { حم } { 1 } تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ { 2 } { غافر 1-2 والتنزيل بمعنى المنزل تسمية للمفعول باسم المصدر وهو كثير ولهذا قال السلف القرآن كلام الله ليس بمخلوق منه بدأ قال أحمد وغيره واليه يعود أى هو المتكلم به وقال كلام الله من الله ليس ببيان منه أى لم يخلقه فى غيره فيكون مبتدأ منزلاً من ذلك المخلوق بل هو منزل من الله كما أخبر به ومن الله بدأ لا من مخلوق فهو الذى تكلم به لخلقه وأما النزول المقيد بالسماء فقوله { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } { لقمان 10 والسماء اسم جنس لكل ما علا فاذا قيد بشيء معين تفيد به فقوله فى غير موضع من السماء مطلق أى فى العلو ثم قد بينه فى موضع آخر بقوله { أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ } { الواقعة 69 وقوله { فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ } { الروم 48 أى انه منزل من السحاب ومما يشبه نزول القرآن قوله { يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } { النحل 2 فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحى من أمره الذى

هو كلامه وكذلك قوله {تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ  
 {القدر 4 يناسب قوله {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ {4} أَمْرًا  
 مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ {5} الدخان 4-5 فهذا شبيهه بقوله {قُلْ  
 نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ {النحل 102} وأما المطلق ففي مواضع  
 منها ما ذكره من انزال السكينة بقوله {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى  
 رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ {التوبة 26} وقوله {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
 السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ} {الفتح 4} إلى غير ذلك ومن  
 ذلك انزال الميزان ذكره مع الكتاب في موضعين وجمهور  
 المفسرين على أن المراد به العدل وعن مجاهد رحمه الله هو ما  
 يوزن به ولا منافاة بين القولين وكذلك العدل وما يعرف به العدل  
 منزل في القلوب<sup>147</sup>

\* قال تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى  
 يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ {التوبة 6} وهو منزل من الله كما قال تعالى  
 {أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا  
 وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا  
 تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ {الأنعام 114} فأخبر سبحانه أنهم يعلمون  
 ذلك والعلم لا يكون إلا حقا وقال تعالى {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِّنْ  
 اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {الزمر 1} {حم} {1} تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ  
 الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ {2} غافر 1-2 {حم} {1} تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ  
 الرَّحِيمِ {2} فصلت 1-2 وقال تعالى {وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي  
 لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ {السجدة 13} وقال  
 تعالى {وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِرِزَامِكَ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى  
 {طه 129} ونحو ذلك وقال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ  
 رَبِّكَ بِالْحَقِّ {النحل 102} فأخبر سبحانه أنه منزل من الله ولم  
 يخبر عن شيء أنه منزل من الله إلا كلامه بخلاف نزول الملائكة

<sup>147</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 247-249



والمطر والحديد وغير ذلك ولهذا كان القول المشهور عن السلف أن القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود فإن من قال أنه مخلوق يقول أنه خلق في بعض المخلوقات القائمة بنفسها فمن ذلك المخلوق نزل وبدأ لم ينزل من الله فاخبار الله تعالى أنه منزل من الله يناقض أن يكون قد نزل من غير الله ولهذا فسر الامام أحمد قوله منه بدأ أي هو المتكلم به وقال أحمد كلام الله من الله ليس ببائن عنه و أيضا فلو كان مخلوقا في غيره لم يكن كلامه بل كان يكون كلاما لذلك المخلوق فيه وكذلك سائر ما وصف به نفسه من الارادة والمحبة والمشیئة والرضی والغضب والمقت وغير ذلك من الأمور لو كان مخلوقا في غيره لم يكن الرب تعالى متصفا به بل كان يكون صفة لذلك المحل فان المعنى إذا قام بمحل كان صفة لذلك المحل ولم يكن صفة لغيره فيمتنع أن يكون المخلوق أو الخالق موصوفا بصفة موجوة قائمة بغيره لأن ذلك فطرى فما وصف به نفسه من الأفعال اللازمة يمتنع أن يوصف الموصوف بأمر لم يقم به وهذا مبسوط في مواضع آخر<sup>148</sup>

### كلما تحققت الحقائق كان ما دل عليه القرآن هو الحق

\*ونفاة الصفات يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء لوجهين أحدهما أن الإنزال إنما يكون من علو و الله تعالى عندهم ليس في العلو فلم ينزل منه شيء و قد قال تعالى { **وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ { الأنعام 114** } تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ { الأحقاف 2 } إلى غير ذلك و قولهم أنه خلقه في مخلوق و نزل منه باطل لأنه قال { **أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ { الأنعام 114** } و لم يجيء هذا في غير القرآن و

<sup>148</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 296

الحديد ذكر أنه أنزله مطلقاً و لم يقل منه و هو منزل من الجبال و المطر أنزل من السماء و المراد أنه أنزله من السحاب و هو المزن كما ذكر ذلك في قوله {أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ} الواقعة 69 و الثاني أنه لو كان من مخلوق لكان صفة له و كلاماً له فإن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها على ذلك المحل و لأن الله لا يتصف بالمخلوقات و لو إتصف بذلك لاتصف بأنه مصوت إذا خلق الأصوات و متحرك إذا خلق الحر كات في غيره إلى غير ذلك إلى أن قال فقد تبين أن الجهمية ما قدروا الله حق قدره وأنهم داخلون في هذه الآية و أنهم لم يثبتوا قدرته لا على فعل و لا على الكلام بمشيئته و لا على نزوله و على إنزاله منه شيئاً فهم من أبعد الناس عن التصديق بقدره الله و أنه إلى كل شيء قدير و إذا لم يكن قديراً لم يكن قوياً و يلزمهم أنه لم يخلق شيئاً فيلزمهم الدخول في قوله { ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ } {73} مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {74} الحج 73-74 فهم ينفون حقيقة قدرته في الأزل و حقيقة قولهم أنه صار قادراً بعد أن لم يكن و القدرة التي يثبتونها لاحقيقة لها وهذا أصل مهم من تصوره عرف حقيقه الأقوال الباطلة و ما يلزمها من اللوازم و عرف الحق الذي دل عليه صحيح المنقول و صريح المعقول لاسيما في هذه الأصول التي هي أصول كل الأصول والضالون فيها لما ضيعوا الأصول حرموا الوصول و قد تبين أنه كلما تحققت الحقائق و أعطى النظر و الإستدلال حقه من التمام كان مادل عليه القرآن هو الحق و هو الموافق للمعقول الصريح الذي لم يشتبهه بغيره مما يسمى معقولاً و هو مشتبه مختلط كما قال مجاهد في قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً} {الأنعام 159} قال هم أهل البدع و الشبهات فهم في أمور مبتدعة في الشرع مشتبهة في العقل و الصواب هو ما كان موافقاً للشرع مبيناً في العقل فإن الله سبحانه أخبر أن القرآن منزل منه و أنه تنزيل منه و أنه كلامه و أنه قوله و أنه كفر من قال أنه قول البشر و أخبر أنه قول

رسول كريم من الملائكة و رسول كريم من البشر و الرسول  
يتضمن المرسل فبين أن كلا من الرسولين بلغه لم يحدث هو منه  
شيئا و أخبر أنه جعله قرآنا عربيا<sup>149</sup>

## علو الله تعالى عن سائر مخلوقاته

\*أما علو الله تعالى عن سائر مخلوقاته وأنه كامل الأسماء  
الحسنى والصفات العلى فالذى يدل عليه منها الكتاب قوله  
تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} {5} طه 5 وقوله { **مُنزَّلٌ**  
**مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ { الأنعام 114** } والذى يدل عليه من السنة  
قصة معراج الرسول الى ربه ونزول الملائكة من عند الله  
وصعودها اليه وقوله فى الملائكة الذين يتعاقبون فى الليل  
والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم الى ربهم فيسألهم وهو أعلم  
بهم وفى حديث الخوارج الا تأمنونى وأنا أمين من فى  
السماء وفى حديث الرقية ربنا الله الذى فى السماء تقدس  
اسمك وفى حديث الأوعال والعرش فوق ذلك والله فوق  
عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه وفى حديث قبض الروح  
حتى يعرج بها الى السماء التى فيها الله وفى سنن أبى  
داود عن جبير بن مطعم قال أتى رسول الله أعرابى  
فقال يا رسول الله جهدت الانفس وجاع العيال وهلك المال فادع  
الله لنا فانا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك فسبح رسول  
الله حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه وقال ويحك  
أتدرى ما الله ان الله لا يستشفع به على أحد من خلقه شأن الله  
أعظم من ذلك ان الله على عرشه وان عرشه على سمواته

<sup>149</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 26-28

وأرضه كهكذا وقال بأصابعه مثل القبة وفى الصحيح عن جابر بن عبدالله ان رسول الله لما خطب خطبة عظيمة يوم عرفات فى أعظم جمع حضره رسول الله جعل يقول الا هل بلغت فيقولون نعم فيرفع اصبعه الى السماء وينكبها اليهم ويقول اللهم اشهد غير مرة وحديث الجارية لما سألتها أين الله قالت فى السماء فأمر بعنقها وعلل ذلك بايمانها وأمثاله كثيرة وأما الذى يدل عليه من الاجماع فى الصحيح عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال كانت زينب تفتخر على أزواج النبى تقول زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سماواته وروى عبدالله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له بم نعرف ربنا قال بأنه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه ولا نقول كما قالت الجهمية أنه هاهنا فى الأرض وباسناد صحيح عن سليمان بن حرب الامام سمعت حماد بن زيد وذكر الجهمية فقال انما يحاولون أن يقولوا ليس فى السماء شىء وروى ابن ابي حاتم عن سعيد بن عامر الضبعى امام أهل البصرة علما ودينا أنه ذكر عنده الجهمية فقال هم أشرف قولا من اليهود والنصارى وقد اجتمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله تعالى على العرش وقالوا هم ليس على العرش شىء وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة امام الأئمة من لم يقل ان الله فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه وجب أن يستتاب فان تاب والا ضربت عنقه ثم ألقى على مزبلة لئلا يتأذى به اهل القبلة ولا أهل الذمة وروى الامام أحمد قال أنا شريح بن النعمان قال سمعت عبدالله بن نافع الصائغ قال سمعت مالك بن أنس يقول الله فى السماء وعلمه فى كل مكان لا يخلو من علمه مكان وحكى الأوزاعى أحد الأئمة الأربعة فى عصر تابعى التابعين الذين هم مالك امام أهل الحجاز والأوزاعى امام أهل الشام والليث امام أهل البصرة والثورى امام أهل العراق حكى شهرة القول فى زمن التابعين بالايمان بأن الله تعالى فوق العرش وبصفاته السمعية وانما قاله بعد ظهور جهم المنكر لكون الله فوق

عرشه النافى لصفاته ليعرف الناس أن مذهب السلف خلافه  
 وروى الخلال بأسانيد كلهم أئمة عن سفيان بن عيينة قال سئل  
 ربيعة بن أبي عبدالرحمن عن قوله تعالى { الرَّحْمَنُ عَلَى  
 الْعَرْشِ اسْتَوَى } طه 5 كيف استوى قال الاستواء غير  
 مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة ومن الرسول  
 البلاغ وعلينا التصديق وهذا مروى عن مالك بن أنس تلميذ  
 ربيعة بن أبي عبدالرحمن أو نحوه وقال الشافعى خلافة أبي بكر  
 حق قضاه الله تعالى فى سمائه وجمع عليه قلوب عباده ولو  
 يجمع ما قاله الشافعى فى هذا الباب لكان فيه كفاية ومن أصحاب  
 الشافعى عبدالعزيز بن يحيى الكنانى المكى له كتاب الرد  
 على الجهمية وقرر فيه مسألة العلو وأن الله تعالى فوق  
 عرشه والأئمة فى الحديث والفقهاء والسنة والتصوف المائلون الى  
 الشافعى ما من أحد منهم الا له كلام فيما يتعلق بهذا الباب ما هو  
 معروف يطول ذكره وفى كتاب الفقه الأكبر المشهور  
 عن أبى حنيفة يروونه بأسانيد عن أبى مطيع الحكم بن  
 عبدالله قال سألت أبا حنيفة عن الفقه الأكبر فقال لا  
 تكفرن أحدا بذنب الى أن قال عمن قال لا أعرف ربي فى السماء  
 أم فى الأرض فقد كفر لأن الله يقول { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ  
 اسْتَوَى } طه 5 وعرشه فوق سبع سموات قلت فان قال أنه  
 على العرش ولكن لا أدري العرش فى السماء أم فى الأرض قال  
 هو كافر وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل وسئل على بن  
 المدينى عن قوله { مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةِ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ  
 } {المجادلة} قال اقرأ ما قبله { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ  
 وَمَا فِي الْأَرْضِ } {المجادلة} الآية وروى عن ابن عيسى  
 الترمذى قال هو على العرش كما وصف فى كتابه وعلمه وقدره  
 وسلطانه فى كل مكان وأبو يوسف لما بلغه عن المريسي انه

ينكر الصفات الخيرية وان الله فوق عرشه أراد ضربه فهرب  
فضرب رفيقه ضربا بشعا وعن اصحاب ابى حنيفة فى هذا  
الباب ما لا يحصى<sup>150</sup>

### لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا

\*قد قال تعالى {قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ  
{الزمر64 وقال تعالى {قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ {الأنعام14 وقال  
{أَغْيِرَ اللَّهُ أَبْتِغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا  
{الأنعام114 فلو لم يكن هناك غيره لم يكن المشركون أمروه  
بعبادة غير الله ولا اتخاذ غير الله وليا ولا حكما فلم يكونوا  
يستحقون الإنكار فلما أنكر عليهم ذلك دل على ثبوت غير يمكن  
عبادته واتخاذها وليا وحكما وأنه من فعل ذلك فهو مشرك بالله كما  
قال تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ  
{الشعراء213 وقال {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا  
مَّخْذُولًا {الإسراء22 وأمثال ذلك<sup>151</sup>

### ان الله يبعث لهذه الامة فى راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها

\*قال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح بدأ  
الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فى قوله  
صلى الله عليه وسلم ثم يعود غريبا كما بدأ يحتمل شيئين  
أحدهما انه فى أمكنة وازمنة يعود غريبا بينهم ثم يظهر كما كان

<sup>150</sup>مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 136-140

فى اول الامر غريبا ثم ظهر ولهذا قال سيعود غريبا كما بدأ وهو لما بدأ كان غريبا لا يعرف ثم ظهر وعرف فكذاك يعود حتى يعرف ثم يظهر ويعرف فيقل من يعرفه فى اثناء الامر كما كان من يعرفه اولا ويحتمل انه فى اخر الدنيا لا يبقى مسلما الا قليل وهذا انما يكون بعد الدجال وياجوج وماجوج عند قرب الساعة وحينئذ يبعث الله ريحا تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ثم تقوم القيامة واما قبل ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وهذا الحديث فى الصحيحين ومثله من عدة اوجه فقد اخبر الصادق المصدوق انه لا تزال طائفة ممتنعة من امته على الحق اعزاء لا يضرهم المخالف ولا خلاف الخاذل فاما بقاء الاسلام غريبا ذليلا فى الارض كلها قبل الساعة فلا يكون هذا وقوله ثم يعود غريبا كما بدأ أعظم

ما تكون غربته اذا ارتد الداخلون فيه عنه وقد قال تعالى { مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ

{ المائدة 54 فهؤلاء يقيمونه اذا ارتد عنه اولئك وكذلك بدأ

غريبا ولم يزل يقوى حتى انتشر فهكذا يتغرب فى كثير من الامكنة والازمنة ثم يظهر حتى يقيمه الله عز وجل كما كان عمر بن عبدالعزيز لما ولى قد تغرب كثير من الاسلام على كثير من الناس حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر فاطهر الله به فى الاسلام ما كان غريبا وفى السنن ان الله يبعث لهذه الامة فى راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها والتجديد انما يكون بعد الدروس وذاك هو غربة الاسلام وهذا الحديث يفيد المسلم انه لا يغتم بقله من يعرف حقيقة الاسلام ولا يضيق صدره بذلك ولا يكون فى شك من دين الاسلام كما كان الامر

حين بدأ قال تعالى { فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ } يونس 94 الى غير ذلك من الايات

والبراهين الدالة على صحة الاسلام وكذلك اذا تغرب يحتاج صاحبه من الادلة والبراهين الى نظير ما احتاج اليه في اول الامر وقد قال له { أَفَعَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَّ حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } {114} وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } {115} وَإِنْ نُّطِعَ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } {116} الأنعام 114-116 وقال تعالى { أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا } الفرقان 44 وقد تكون الغربة في بعض شرائعه وقد يكون ذلك في بعض الامكنة ففي كثير من الامكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير به غريباً بينهم لا يعرفه منهم الا الواحد بعد الواحد ومع هذا فطوبى لمن تمسك بتلك الشريعة كما امر الله ورسوله فان اظهاره والامر به والانكار على من خالفه هو بحسب القوة والاعوان وقد قال النبي من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل<sup>152</sup>

## أسماء القرآن

\* أسماء القرآن القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء البيان الموعظة الرحمة بصائر البلاغ الكريم المجيد العزيز المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبل الله الذكر الذكرى تذكرة المتشابه المثاني { مُتَشَابِهًا مَّثَانِيَّ } الزمر 23 محكم

<sup>152</sup>مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 297-299



### الله يأمر الأنبياء مع علمه أنهم يطيعونه

\* كثير من المفسرين يقول في قوله { وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } { الأنعام 114 و في قوله { وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ } { الأحزاب 48 و نحو ذلك إن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه و سلم و المراد به غيره أي غيره قد يكون ممتريا و مطيعا لأولئك فنهى و هو لا يكون ممتريا و لا مطيعا لهم و لكن بتقدير أن يكون الأمر كذلك فهو أيضا مخاطب بهذا و هو منهى عن هذا فالله سبحانه قد نهاه عما حرمه من الشرك و القول عليه بلا علم و الظلم و الفواحش و بنهى الله له عن ذلك و طاعته الله فى هذا استحق عظيم الثواب و لولا النهي و الطاعة لما استحق ذلك و لا يجب أن يكون المأمور المنهى ممن يشك فى طاعته و يجوز عليه أن يعصى الرب أو يعصيه مطلقا و لا يطيعه بل الله أمر الملائكة مع علمه أنهم يطيعونه و يأمر الأنبياء مع علمه أنهم يطيعونه و كذلك المؤمنون كل ما أطاعوه فيه قد أمرهم به مع علمه أنهم يطيعونه و لا يقال لا يحتاج إلى الأمر بل بالأمر صار مطيعا مستحقا لعظيم الثواب و لكن النهي يقتضى قدرته على المنهى عنه و أنه لو شاء لفعله ليثاب على ذلك إذا تركه و قد يقتضى قيام السبب الداعى إلى فعله فينهى

عنه فإنه بالنهي و إعانة الله له على الإمتثال يمتنع مما نهى عنه  
إذا قام السبب الداعي له إليه <sup>154</sup>

## الرب سبحانه على صراط مستقيم

\* أن الله سبحانه وتعالى يقول الصدق و يعمل بالعدل كما قال  
{ **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا** } الأنعام 115 و قال هود {  
إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } هود 56 فأخبر أن الله على صراط  
مستقيم و هو العدل الذي لا عوج فيه وقال { هَلْ يَسْتَوِي هُوَ  
وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } النحل 76 و هو  
مثل ضربه الله لنفسه و لما يشرك به من الأوثان كما ذكر ذلك  
في قوله { قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي  
لِلْحَقِّ } يونس 35 الآية و قال { أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا  
يَخْلُقُ } النحل 17 الآيات الى قوله { وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ  
} النحل 21 فأخبر أنه خالق منعم عالم و ما يدعون من دونه لا  
تخلق شيئاً و لا تنعم بشيء و لا تعلم شيئاً و أخبر أنها ميتة فهل  
يستوى هذا وهذا فكيف يعبدونها من دون الله مع هذا الفرق الذي  
لا فرق أعظم منه و لهذا كان هذا أعظم الظلم و الإفك و من  
هذا الباب قوله تعالى { قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ  
اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ } النمل 59 فقوله تعالى { ضَرَبَ  
اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْآ رِزْقًا  
حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
لَا يَعْلَمُونَ } 75 { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ  
عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ  
يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ  
مُسْتَقِيمٍ } 76 { النحل 75-76 كلاهما مثل بين الله فيه أنه لا يستوي

<sup>154</sup> مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 326-327

هو و ما يشركون به كما ذكر نظير ذلك فى غير موضع و إن كان هذا الفرق معلوما بالضرورة لكل أحد لكن المشركون مع اعترافهم بأن آلهتهم مخلوقة مملوكة له يسوون بينه و بينها فى المحبة و الدعاء و العبادة و نحو ذلك و المقصود هنا أن الرب سبحانه على صراط مستقيم<sup>155</sup>

### دلائل نبوة محمد قطعية يقينية

\*قال تعالى { أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ } {114} وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } {115} { الأنعام 114-115 ان موسى و المسيح عليهما السلام بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم و الكتب السماوية السابقة التوراة و الانجيل بشرت بمحمد صلى الله عليه وسلم و دلائل نبوة محمد قطعية يقينية لا يمكن القدح فيها بظن فإن الظن لا يدفع اليقين لا سيما مع الآثار الكثيرة المخبرة بأن محمدا كان مكتوبا باسمه الصريح فيما هو منقول عن الأنبياء كما فى صحيح البخاري أنه قيل لعبد الله بن عمرو أخبرنا ببعض صفة رسول الله فى التوراة فقال إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا تجزي بالسيئة السيئة ولكن تجزي بالسيئة الحسنة و تعفو و تغفر ولن أقبضه حتى أقيم به الملة الموجهة فأفتح به أعينا عميا و آذانا صما وقلوبا غلفا بأن يقولوا لا إله إلا الله<sup>156</sup>

<sup>155</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 177-179

<sup>156</sup>الجواب الصحيح ج: 5 ص: 150

\*فالنبي المعصوم قصده البر والعدل عالما بكل ما يخبر به من الغيوب جازما بصدق نفسه جزما لا يحتمل النقيض عالما بأن ما يأمر به عدل لا يجوز لمن أمره أن يعصيه بوجه من الوجوه فهذا هو النبي المعصوم الذي لا يخبر إلا بحق ولا يأمر إلا بعدل {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {الأنعام 115} فإنه لا معصوم إلا الأنبياء ولهذا لم يجب الإيمان بكل ما يقوله بشر إلا أن يكون نبيا فإن الإيمان واجب بكل ما يأتي به النبي قال تعالى {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} {البقرة 136} <sup>157</sup>

\*قال الله تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} {الأنعام 115} فالله تعالى بعث الرسل بالعلم والعدل فكل من كان أتم علما وعدلا كان أقرب إلى ما جاءت به الرسل <sup>158</sup>

### {سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}

\* ومن تدبر الكتاب والسنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبر ذلك بما يجده في نفسه وفي الافاق علم تحقيق قول الله تعالى {سُنْرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} {فصلت 53} فإن الله تعالى يرة عباده آياته في

<sup>157</sup>الجواب الصحيح ج: 6 ص: 48

<sup>158</sup>منهاج السنة النبوية ج: 6 ص: 56

الافاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم ان القران حق فخبره صدق  
وأمره عدل {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ  
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {الأنعام 115} <sup>159</sup>

\* وإن الله صادق حكيم لا يخبر إلا بصدق ولا يأمر إلا بعدل  
{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} {الأنعام 115} <sup>160</sup>

\* و هو سبحانه الصادق العدل كما قال تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ  
صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} {الأنعام 115} فإن الكلام إما إنشاء  
و إما إخبار فالإخبار صدق لا كذب و الإنشاء أمر التكوين و أمر  
التشريع عدل لا ظلم <sup>161</sup>

\* كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم الله به وقال النبي من قاتل  
لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ولهذا جمعها في  
قوله تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ  
لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {الأنعام 115} فالمراد بذلك أن ما قاله  
الله فهو حق ثابت لا يبطل <sup>162</sup>

## بالصدق والعدل تصلح جميع الاحوال وهما قرينان

\* وبالصدق فى كل الأخبار والعدل في الانشاء من الأقوال  
والأعمال تصلح جميع الاحوال وهما قرينان كما قال  
تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} {الأنعام 115} وقال النبي  
صلى الله عليه سلم لما ذكر الظلمة من صدقهم بكذبهم وأعانهم  
على ظلمهم فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض ومن لم

<sup>159</sup> منهاج السنة النبوية ج: 4 ص: 543

<sup>160</sup> مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 75

<sup>161</sup> مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 245

<sup>162</sup> الجواب الصحيح ج: 3 ص: 254

يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سلم أنه قال عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً<sup>163</sup>

\* فالصادقون يدوم أمرهم والكذابين ينقطع أمرهم هذا أمر جرت به العادة وسنة الله التي لن تجد لها تبديلاً وأما المخبر عنه وبه كالنبي يخبر عن الله تعالى بأنه أخبر بكذا أو أنه أمر بكذا فلا بد أن يكون خبره صدقاً وأمره عدلاً قال تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {الأنعام: 115} والأمور التي يخبر بها ويأمر بها تارة تنبئه العقول على الأمثال والأدلة العقلية التي يعلم بها صحتها فيكون ما علمته العقول بدلالته وإرشاده من الحق الذي أخبر به والخبر الذي أمر به شاهد بأنه هاد ومرشد معلم للخير ليس بمضل ولا مغو ولا معلم للشر<sup>164</sup>

## كلمات الله تعالى نوعان

\* كلمات الله تعالى نوعان كلمات كونية وكلمات دينية فكلماته الكونية هي التي استعاض بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر وقال سبحانه {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} يس: 82 وقال تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} {الأنعام: 115} والكون كله يدخل تحت هذه الكلمات و

<sup>163</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 66-67

<sup>164</sup>العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 188

النوع الثانى الكلمات الدينية وهى القرآن وشرع الله الذى بعث به رسوله وهى أمره ونهيه وخبره وحظ العبد منها العلم بها والعمل والأمر بما أمر الله به <sup>165</sup>

\*الإرادة و الاذن و الكتاب و الحكم و القضاء و التحريم و غيرها كالأمر و البعث و الأرسال ينقسم فى كتاب الله إلى نوعين أحدهما ما يتعلق بالأمور الدينية التى يحبها الله تعالى و يرضاها و يثيب أصحابها و يدخلهم الجنة و ينصرهم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة و ينصر بها العباد من أوليائه المتقين و حز به المفلحين و عباده الصالحين و الثانى ما يتعلق بالحوادث الكونية التى قدرها الله و قضاها مما يشترك فيها المؤمن و الكافر و البر و الفاجر و أهل الجنة و أهل النار و أولياء الله و أعداؤه و أهل طاعته الذين يحبهم و يحبونه و يصلى عليهم هو و ملائكته و أهل معصيته الذين يبغضهم و يمقتهم و يلعنهم الله و يلعنهم اللأعنون فمن نظر إليها من هذا الوجه شهد الحقيقة الكونية الوجودية فرأى الأشياء كلها مخلوقة لله مدبرة بمشيئته مقهورة بحكمته فما شاء الله كان و إن لم يشأ الناس و ما لم يشأ لم يكن و إن شاء الناس لا معقب لحكمه و لا راد لأمره و رأى أنه سبحانه رب كل شىء و مليكه له الخلق و الأمر و كل ما سواه مربوبا له مدبر مقهور لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا و لاموتا و لا حياة و لا نشورا بل هو عبد فقير إلى الله تعالى من جميع الجهات و الله غنى عنه كما أنه الغنى عن جميع المخلوقات و هذا الشهود فى نفسه حق لكن طائفة قصرت عنه و هم القدرية المجوسية و طائفة و قفت عنده و هم القدرية المشركية أما الأولون فهم الذين زعموا أن فى المخلوقات مالا تتعلق به قدرة الله و مشيئته و خلقه كأفعال العباد

و غلاتهم أنكروا علمه القديم و كتابه السابق و هؤلاء هم أول من حدث من القدرية فى هذه الأمة فرد عليهم الصحابة و سلف الأمة و تبرؤا منهم و أما الطائفة الثانية فهم شر منهم و هم طوائف من أهل السلوك و الإرادة و التأله و التصوف و الفقر و نحوهم يشهدون هذه الحقيقة و رأوا أن الله خالق المخلوقات كلها فهو خالق أفعال العباد و مرید جميع الكائنات و لم يميزوا بعد ذلك بين إيمان و كفر و لا عرفان و لا نكر و لاحق و لا باطل و لا مهتدى و لا ضال و لا راشد و لا غوي و لا نبى و لا متنبىء و لا ولي الله و لا عدو و لا مرضي لله و لا مسخوط و لا محبوب لله و لا ممقوت و لا بين العدل و الظلم و لا بين البر و العقوق و لا بين أعمال أهل الجنة و أعمال أهل النار و لا بين الأبرار و الفجار حيث شهدوا ما تجتمع فيه الكائنات من القضاء السابق و المشيئة النافذة و القدرة الشاملة و الخلق العام فشهدوا المشترك بين المخلوقات و عموا عن الفارق بينهما و صاروا ممن يخاطب بقوله تعالى { أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } {35} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } {36} القلم 35-36 و بقوله تعالى { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } ص 28 و بقوله تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } {الجاثية 21} { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا } {الأعراف 137} و منه قول النبى صلى الله عليه و سلم أعود بكلمات الله التامات التى لا يتجاوزهن بر و لا فاجر من شر ما خلق و ذرأ و برأ و من شر ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و من شر ما ذرأ فى الأرض و ما يخرج منها و من شر فتن الليل و النهار و من شر كل طارق إلا طارقا يطرق بخير يارحمن فالكلمات التى لا يجاوزهن بر و لا فاجر ليست هي أمره و نهيه الشرعيين فإن الفجار عصوا أمره و نهيه بل هي التى بها يكون الكائنات و أما الكلمات الدينية المتضمنة لأمره و



نهيه الشرعيين فمثل الكتب الإلهية التوراة والإنجيل و الزبور و القرآن وقال تعالى { وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا } التوبة 40 وقال صلى الله عليه وسلم و استحلتتم فروجهن بكلمة الله و أما قوله تعالى { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ **صِدْقًا وَعَدْلًا** } الأنعام 115 فإنه يعم النوعين <sup>166</sup>

## أهل السنة والجماعة لا ينفون عن الله ما وصف به نفسه

\*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمان بالقدر خيره وشره و من الايمان بالله الإيمان بما وُصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قبلا وأحسن حديثا من خلقه ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ } {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ } {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى

به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} الأنعام 115<sup>167</sup>

\*فان الله تعالى سمي نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات سمي نفسه حيا عليما حكيما قديرا سميها بصيرا غفورا رحيفا الى سائر أسمائه الحسنی قال الله تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَأُمْبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} الأنعام 115 وامثال ذلك فالقول في بعض هذه الصفات كالقول في بعض مذهب سلف الأمة وأئمتها ان يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين بل هو سبحانه { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله وقال نعيم بن حماد الخزاعي من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيها ومذهب السلف بين مذهبين وهدى بين ضلالتين اثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات فقوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ } الشورى 11 رد على أهل التشبيه والتمثيل وقوله { وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } الشورى 11 رد على أهل النفي والتعطيل فالممثل اعشى والمعطل أعمى الممثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما وقد اتفق جميع أهل الإثبات على ان الله حي حقيقة عليم حقيقة قدير

<sup>167</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 136 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 17

حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة مريد حقيقة متكلم حقيقة حتى  
المعتزلة النفاة للصفات قالوا ان الله متكلم حقيقة كما قالوا مع  
سائر المسلمين ان الله عليهم حقيقة قدير حقيقة بل ذهب طائفة منهم  
كأبي العباس الناشئ الى أن هذه الاسماء حقيقة لله مجاز للخلق  
واما جمهور المعتزلة مع المتكلمة الصفاتية من الاشعرية  
الكلابية والكرامية والسالمية واتباع الاثمة الاربعة من الحنفية  
والمالكية والشافعية والحنبلية وأهل الحديث والصوفية فانهم  
يقولون ان هذه الاسماء حقيقة للخالق سبحانه وتعالى وان كانت  
تطلق على خلقه حقيقة أيضا ويقولون ان له علما حقيقة وقدرة  
حقيقة وسمعا حقيقة وبصرا حقيقة<sup>168</sup>

\* فان الله وصف نفسه بالأقوال اللازمة والمتعدية في مثل قوله  
{ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ {ص71 وقوله { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى  
تَكْلِيمًا {النساء164 وقوله { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا  
{ الأنعام115 ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح  
عن رسوله فان القول في جميع ذلك من جنس واحد  
ومذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه  
ووصفه به رسوله في النفي والاثبات والله سبحانه وتعالى  
قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ  
أَحَدٌ {1} { اللَّهُ الصَّمَدُ {2} { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ {4} فبين أنه لم يكن أحد كفوا له وقال تعالى { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ  
سَمِيًّا {مريم65 فأنكر أن يكون له سمي وقال تعالى { فَلَا  
تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا {البقرة22 وقال تعالى { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ  
الْأَمْثَالَ {النحل74 وقال تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ  
{ الشورى11 ففيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفو

والسمى والمثل والند وضرب الأمثال له بيان أن لا مثل له في صفاته ولا أفعاله<sup>169</sup>

## لفظ الكلمة في الكتاب والسنة انما يراد به الجملة التامة

\* كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم الله به وقال النبي من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ولهذا جمعها في قوله تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} الأنعام 115 فالمراد بذلك أن ما قاله الله فهو حق ثابت لا يبطل<sup>170</sup>

\* وما ذكره سيبويه وغيره من ائمة النحو ان العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولاً فالقول لا يحكى به الا كلام تام او جملة اسمية او فعلية ولهذا يكسرون ان جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم والله تعالى لا يأمر احدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المجرد لا يفيد الايمان باتفاق اهل الاسلام ولا يؤمر به فى شىء من العبادات ولا فى شىء من المخاطبات ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر ان بعض الأعراب مر بمؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله بالنصب فقال ماذا يقول هذا هذا الاسم فاين الخبر عنه الذى يتم به الكلام وما فى القرآن من قوله {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} المزملة 8 وقوله {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 وقوله {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} 14 {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} 15 {الاعلى 14-15} وقوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعة 74 ونحو ذلك لا يقتضى ذكره

<sup>169</sup>مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 324

<sup>170</sup>الجواب الصحيح ج: 3 ص: 254

مفردا بل فى السنن انه لما نزل قوله { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ } الواقعة 74 قال اجعلوها فى ركوعكم ولما نزل قوله { سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } الأعلى 1 قال اجعلوها فى سجودكم فشرع لهم ان يقولوا فى الركوع سبحان ربي العظيم وفى السجود سبحان ربي الأعلى وفى الصحيح انه كان يقول فى ركوعه سبحان ربي العظيم وفى سجوده سبحان ربي الأعلى وهذا هو معنى قوله اجعلوها فى ركوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك هو بالكلام التام المفيد كما فى الصحيح عنه انه قال افضل الكلام بعد القرآن اربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفى الصحيح عنه انه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال فى يومه مائة مره لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت احد بأفضل مما جاء به الا رجل قال مثل ما قال او زاد عليه ومن قال فى يومه مائة مره سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وفى الموطأ وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل ما قلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفى سنن ابن ماجه وغيره عنه انه قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ومثل هذه الأحاديث كثيرة فى انواع ما يقال من الذكر والدعاء وكذلك ما فى القرآن من قوله تعالى { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 121 وقوله { فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } المائدة 4 انما هو قوله بسم الله وهذا جملة تامة اما اسمية على اظهر قولى النحاة او فعلية والتقدير ذبحى باسم الله او ادبح باسم الله وكذلك قول القارىء بسم الله

الرحمن الرحيم فنقديره قراءتى بسم الله او اقرأ بسم الله  
ومن الناس من يضم فى مثل هذا ابتدائى بسم الله او ابتدأت بسم  
الله والأول احسن لأن الفعل كله مفعول بسم الله ليس مجرد  
ابتدائه كما اظهر المضمرة فى قوله { اَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ  
{ العلق 1 وفى قوله { بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا } هود 41  
وفى قول النبى من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها اخرى  
ومن لم يكن ذبح فليذبح بسم الله ومن هذا الباب قول النبى فى  
الحديث الصحيح لربيعة عمر بن ابي سلمة سم الله وكل يمينك  
وكل مما يليك فالمراد ان يقول بسم الله ليس المراد ان يذكر  
الاسم مجردا وكذلك قوله فى الحديث الصحيح لعدى بن حاتم  
اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وكذلك قوله  
اذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه  
وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وامثال ذلك  
كثير وكذلك ما شرع للمسلمين فى صلاتهم واذانهم وحجهم  
واعيادهم من ذكر الله تعالى انما هو بالحملة التامة كقول المؤذن  
الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول  
الله وقول المصلى الله اكبر سبحان ربى العظيم سبحان ربى  
الاعلى سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد التحيات لله وقول  
المبى لبيك اللهم لبيك وامثال ذلك فجميع ما شرعه الله من الذكر  
انما هو كلام تام لا اسم مفرد لا مظهر ولا مضمرة وهذا هو الذى  
يسمى فى اللغة كلمة كقوله كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان  
فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله العظيم وقوله  
افضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شىء ما خلا الله باطل  
ومنه قوله تعالى { كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ } الكهف 5  
الآية وقوله { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا } الأنعام 115  
وامثال ذلك مما استعمل فيه لفظ الكلمة فى الكتاب والسنة بل  
وسائر كلام العرب فانما يراد به الجملة التامة كما كانوا  
يستعملون الحرف فى الاسم فيقولون هذا حرف غريب اى لفظ  
الاسم غريب وقسم سيبويه الكلام الى اسم وفعل وحرف جاء

لمعنى ليس باسم وفعل وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا لكن خاصة الثالث انه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وسمى حروف الهجاء باسم الحرف وهي اسماء ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها كما قال النبي من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف وقد سأل الخليل اصحابه عن النطق بحرف الزاى من زيد فقالوا زاي فقال جئتم بالاسم وانما الحرف ز ثم ان النحاة اصطلحوا على ان هذا المسمى فى اللغة بالحرف يسمى كلمة وان لفظ الحرف يخص لما جاء المعنى ليس باسم ولا فعل كحروف الجر ونحوها واما الفاظ حروف الهجاء فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ وتارة باسم ذلك الحرف ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتاده انه هكذا فى لغة العرب ومنهم من يجعل لفظ الكلمة فى اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا وبين الجملة ولا يعرف فى صريح اللغة من لفظ الكلمة الا الجملة التامة والمقصود هنا ان المشروع فى ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة وهو الذى ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر والقرب الى الله ومعرفة ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية واما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرا او مضمرا فلا اصل له فضلا عن ان يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة الى انواع من البدع والضلالات وذريعة الى تصورات احوال فاسدة من احوال اهل الالحاد واهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه فى غير هذا الموضوع<sup>171</sup>

<sup>171</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 228- 233

## المضاف إلى الله نوعان

\* والمضاف إلى الله نوعان فإن المضاف إما أن يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والكلام والحياة وإما أن يكون عينا قائمة بنفسها فالأول إضافة صفة كقوله { **وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا** } { الأنعام 115 } فالمضاف في الأول صفة لله قائمة به ليست مخلوقة له بئانه عنه والمضاف في الثاني مملوك لله مخلوق له بئان عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التي اقتضت إضافته إلى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق<sup>172</sup>

## جماع الشر الجهل والظلم

\* قال تعالى { **وَإِنْ تُطِغْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ** } { 116 } **إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** } { 117 } { الأنعام 116-117 } فإن اتباع الظن جهل واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم وجماع الشر الجهل والظلم قال الله تعالى { **وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا** } { الأحزاب 72 }<sup>173</sup>

وأضل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من ذمهم { **إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى** } { النجم 23 } وقال في حق نبيه ( **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى** } { 1 } **مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى** } { 2 } **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى** } { 3 } **إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** } { 4 } { النجم 1-4 } فنزّهه عن

<sup>172</sup> الجواب الصحيح ج: 2 ص: 157

<sup>173</sup> مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 348



الضلال والغواية للذين هما الجهل والظلم فالضال هو الذي لا يعلم الحق والغاوي الذي يتبع هواه وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس بل هو وحي أوحاه الله إليه فوصفه بالعلم ونزّهه عن الهوى<sup>174</sup>

\* والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء ومعلوم أن الحي العالم لا يختار أن يحب ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع هواه بغير علم وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية<sup>175</sup>

\*قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء ولهذا يسمى الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهي وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون قال تعالى { إِنَّ

<sup>174</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 384

<sup>175</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 16

رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ {الانعام 117} <sup>176</sup>

## لطائف لغوية

1- لما مر بعض العرب بمؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله  
بالنصب قال فعل ماذا فاذا قيل ما هذا قيل طعام فهذا خبر  
مبتدأ محذوف باتفاق الناس تقديره هذا طعام كقوله تعالى { قُلْ  
مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ  
{الأنعام 91} الى قوله { قُلْ اللَّهُ {الأنعام 91} <sup>177</sup>

2- قال تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ  
بَشِيرًا مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا  
وَهُدًى لِلنَّاسِ {الأنعام 91} وذكر كتاب موسى بهذه الإضافة لا  
بلفظ التوراة في غير موضع <sup>178</sup>

3- قال تعالى {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا {الانعام 92} وقد سمي الله مكة قرية  
بل سماها أم القرى بل وما هو أكبر من مكة كما في قوله  
{وَكَايِنٌ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ  
فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ {محمد 13} وسمى مصر القديمة قرية بقوله  
{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا {يوسف 82}  
ومثله في القرآن كثير والله أعلم <sup>179</sup>

<sup>176</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

<sup>177</sup> الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 33

<sup>178</sup> الجواب الصحيح ج: 5 ص: 244

<sup>179</sup> مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 210

4- أسماء القرآن القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء  
البيان الموعظة الرحمة بصائر البلاغ الكريم المجيد العزيز  
المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبل الله الذكر الذكري  
تذكرة { مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } { الأنعام 92 }<sup>180</sup>

5- قال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ  
وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا } { الأنعام 92 لفظ القرية والمدينة  
والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحال  
كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان  
وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر  
وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو  
المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى  
{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً } { النحل 112 وقوله  
{ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ } {4} فَمَا  
كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } {5}  
الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ  
يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } { الأعراف 97 فجعل القرى هم  
السكان وقال { وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي  
أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } { محمد 13 وهم السكان وكذلك  
قوله تعالى { وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ  
مَوْعِدًا } { الكهف 59 وقال تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ  
خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } { البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن  
لابد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر  
للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قريرت الماء في  
الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول  
الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما

فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذابا لأهلها  
 فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح  
 ما يصيب أحدهما فقوله {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ} يوسف 82 مثل  
 قوله {قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً} النحل 112 فاللفظ هنا يراد  
 به السكان من غير اضمار ولا حذف<sup>181</sup>

6- قال تعالى {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ  
 مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ  
 أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ  
 {الأنعام 94 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد  
 ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء  
 كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا  
 آيَاءَهُمْ ضَالِّينَ} {69} فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} {70} وَقَدْ ضَلَّ  
 قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ} {71} الصافات 69- 71 وقوله {وَقَالُوا  
 رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا} {67} رَبَّنَا آتِهِمْ  
 ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} {68} الأحزاب 67- 68  
 وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 ثم  
 يقرن بالغي والغضب كما فى قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا  
 غَوَى} {النجم 2} وفى قوله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ  
 {الفتح 7} وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} {القمر 47  
<sup>182</sup>

7- وقد جاء فى الكتاب والسنة الفاظ من نحو لقاء الله  
 كقوله {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} {الأنعام 94

183

<sup>181</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

<sup>182</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

<sup>183</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 466

8- قال تعالى {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} الفلق 1 قال تعالى  
 {فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} الأنعام 96 و قال تعالى {فَالِقُ  
 الإصباح وجعل الليل سكناً} الأنعام 96 و الفلق فعل بمعنى  
 مفعول كالتقبض بمعنى المقبوض فكل ما فلقه الرب فهو فلق قال  
 الحسن الفلق كل ما انفلق عن شيء كالصبح و الحب و النوى  
 قال الزجاج و إذا تأملت الخلق بان لك أن أكثره عن إنفلاق  
 كالأرض بالنبات و السحاب بالمطر<sup>184</sup>

9- سمي الله نفسه باسماء وسمى صفاته بأسماء وكانت تلك  
 الاسماء مختصة به اذا اضيفت اليه لا يشركه فيها غيره وسمى  
 بعض مخلوقاته بأسماء مختصة بهم مضافة اليهم توافق تلك  
 الاسماء اذا قطعت عن الاضافة والتخصيص ولم يلزم من اتفاق  
 الاسمين وتمائل مساهما واتحاده عند الاطلاق والتجريد عن  
 الاضافة والتخصيص اتفاقهما ولا تماثل المسمى عند الاضافة  
 والتخصيص فضلا عن ان يتحد مساهما عند الاضافة  
 والتخصيص فقد سمي الله نفسه حيا فقال {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
 الْحَيُّ الْقَيُّومُ} البقرة 255 وسمى بعض عباده حيا فقال  
 {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} الأنعام 95  
 وليس هذا الحي مثل هذا الحي لأن قوله الحي اسم لله مختص به  
 وقوله {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ} الروم 19 اسم للحي المخلوق  
 مختص به وإنما يتفقان اذا اطلقا وجردا عن التخصيص ولكن  
 ليس للمطلق مسمى موجود في الخارج ولكن العقل يفهم من  
 المطلق قدرا مشتركا بين المسميين وعند الاختصاص يقيد ذلك  
 بما يتميز به الخالق عن المخلوق والمخلوق عن الخالق ولا  
 بد من هذا في جميع أسماء الله وصفاته يفهم منها ما دل عليه  
 الاسم بالمواطأة والإتفاق وما دل عليه بالإضافة والاختصاص

المانعة من مشاركة المخلوق للخالق في شيء من خصائصه  
سبحانه وتعالى<sup>185</sup>

10- قال تعالى { فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } الأنعام 96 عليم منزله  
عن الجهل<sup>186</sup>

11- ولفظ السماء في اللغة والقرآن اسم لكل ما علا فهو اسم  
جنس للعالي لا يتعين في شيء إلا بما يضاف إلى ذلك وقد  
قال { فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ } الحج 15 وقال { وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ  
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } الأنعام 99 وقال { أَمَأْتُمْ مِّنْ فِي  
السَّمَاءِ } الملك 16 والمراد بالجميع العلو ثم يتعين هنا بالسقف  
ونحوه وهنا بالسحاب وهناك بما فوق العالم كله فقوله {  
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً } الأنعام 99 أي من العلو مع قطع النظر  
عن جسم معين لكن قد صرح في موضع آخر بنزوله من  
السحاب كما في قوله { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } 68 { أَنْتُمْ  
أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ } 69 { الواقعة 68-69  
والمزن السحاب وقوله { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ  
ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ } النور 43 والودق  
المطر وقال تعالى { اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ  
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ  
} الروم 48 فأخبر سبحانه أنه يبسط السحاب في السماء  
وهذا مما يبين أنه لم يرد بالسماء هنا الأفلاك فإن السحاب لا  
يبسط في الأفلاك بل الناس يشاهدون السحاب يبسط في الجو وقد

<sup>185</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 10

<sup>186</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

يكون الرجل في موضع عال إما على جبل أو على غيره  
والسحاب يبسط أسفل منه وينزل منه المطر والشمس فوقه <sup>187</sup>

12- ان الوصف هو الاظهار والبيان للبصر أو السمع كما يقول  
الفقهاء ثوب يصف البشرة او لا يصف البشرة وقال تعالى {  
سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ} الأنعام 139 وقال { **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا  
يَصِفُونَ** } الأنعام 100 وقال لا تنعت المرأة المرأة لزوجها  
حتى كأنه ينظر إليها والنعت الوصف ومثل هذا كثير و  
الصفة مصدر وصفت الشيء أصفه وصفا وصفة مثل وعد  
وعدا وعدة ووزن وزنا وزنة وهم يطلقون اسم المصدر على  
المفعول كما يسمون المخلوق خلقا ويقولون درهم ضرب الامير  
فاذا وصف الموصوف بأنه وسع كل شيء رحمة وعلما سمي  
المعنى الذي وصف به بهذا الكلام صفة فيقال للرحمة والعلم  
والقدرة صفة بهذا الاعتبار هذا حقيقة الامر <sup>188</sup>

13- أن الصحبة فيها عموم وخصوص فيقال صحبة ساعة ويوما  
وجمعة وشهرا وسنة وصحبة عمره كله وقد قال تعالى {  
وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ} النساء 36 قيل هو الرفيق في السفر وقيل  
الزوجة وكلاهما تفل صحبته وتكثر وقد سمي الله الزوجة  
صاحبة في قوله { **أَنِّي يَكُونُ لَهُ وُلْدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً**  
} الأنعام 101 <sup>189</sup>

14- فالواصف ان لم يكن قوله مطابقا كان كاذبا ولهذا انما يجيء  
الوصف في القرآن مستعملا في الكذب بأنه وصف يقوم  
بالواصف من غير أن يقوم بالموصوف شيء كقوله سبحانه  
{ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ } الأنعام 139 { **وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ**

<sup>187</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 446-446

<sup>188</sup> مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 340

<sup>189</sup> منهاج السنة النبوية ج: 8 ص: 390

الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ { النحل 116 } وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى { النحل 62 }

**{ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ { الأنعام 100 }**  وقد جاء مستعملا في الصدق فيما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة أن رجلا كان يكثر قراءة قل هو الله أحد فقال النبي سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحبها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله يحبه<sup>190</sup>

15- المضاف الى الله سبحانه في الكتاب والسنة كانت اضافة اسم الى اسم او نسبة فعل الى اسم او خير باسم عن اسم واما الخبر الذي هو جملة اسمية فمثل قوله وقال تعالى **{ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ { الأنعام 101 }**  وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { البقرة 284 } وذلك لان الكلام الذي توصف به الذوات اما جملة او مفرد فالجملة اما اسمية كقوله **{ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ { البقرة 282 }**  او فعلية كقوله **{ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ { المزمّل 20 }**  اما المفرد فلا بد فيه من اضافة الصفة لفظا او معنى كقوله **{ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ { البقرة 255 }**  وقوله **{ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً { فصلت 15 }**  او اضافة الموصوف كقوله **{ نُورِ الْقُوَّةِ { الذاريات 58 }**

16- قال تعالى **{ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ { الأنعام 101 }**  عليم منزله عن الجهل<sup>192</sup>

<sup>190</sup> مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 319

<sup>191</sup> مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 144

<sup>192</sup> الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407



17- وقال تعالى { ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ } {الأنعام 102 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ومن هذا الباب لفظ العبادة فإذا أمر بعبادة الله مطلقا دخل في عبادته كل ما أمر الله به فالتوكل عليه مما أمر به والاستعانة به مما أمر به فيدخل ذلك في مثل قوله { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } {الذاريات 56 وفي قوله { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا } {النساء 36 وقوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ } {البقرة 21 وقوله { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } {الزمر 2 { قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي } {الزمر 14 وقوله { أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } {الزمر 64 ثم قد يقرن بها اسم آخر كما في قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } {الفتاحة 5 وقوله { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } {هود 123 وقول نوح { اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا } {نوح 3<sup>193</sup>

18- قال تعالى { اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } {الأنعام 106 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله يتناول جميع الطاعات كقوله { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ } {الأعراف 3 وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {طه 123 وقوله { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } {الأنعام 153 وقد يقرن به غيره كقوله { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } {الأنعام 155 وقوله { اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ } {وقوله { وَاتَّبِعْ مَا

يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَخُكَّمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ  
{يونس 109<sup>194</sup>}

19- قال تعالى { وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } {الأنعام 108} و الدعاء قصد المدعو و التوجه إليه إما على وجه المسألة و إما على وجه العبادة المحضة لأن دعاء الشيء هو طلبه و إرادته سواء طلب لذاته أو للأمر منه و من ذلك قوله تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } غافر 60 فإنه فسر بالمسألة و بالعبادة <sup>195</sup>

20- هذه تفسير آيات أشكلت حتى لا يوجد في طائفة من كتب التفسير إلا هو خطأ منها قوله { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {الأنعام 109} و الآية بعدها أشكلت قراءة الفتح على كثير بسبب أنهم ظنوا أن الآية بعدها جملة مبتدأة و ليس كذلك لكنها داخلة في خبر أن و المعنى إذا كنتم لا تشعرون أنها إذا جاءت لا يؤمنون و أنا أفعل بهم هذا لم يكن قسمهم صدقا بل قد يكون كذبا و هو ظاهر الكلام المعروف أنها أن المصدرية و لو كان و قلب الخ كلاما مبتدئا لزم ان كل من جاءته آية قلب فواده و ليس كذلك بل قد يؤمن كثير منهم <sup>196</sup>

21- قال تعالى { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } {الأنعام 109} قال أهل اللغة و هذا لفظ الجوهري اليمين

<sup>194</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 169

<sup>195</sup>شرح العمدة ج: 4 ص: 28

<sup>196</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 495

القسم والجمع أيمن وأيمان فقال سمي بذلك لأنهم كانوا إذا تحالفوا  
يمسك كل إمرئ منهم على يمين صاحبه <sup>197</sup>

22- قال تعالى {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا  
بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ  
{ الأنعام 109 وهذه اللام الأولى تسمى اللام الموطنة للقسم  
واللام الثانية تسمى لام جواب القسم والكلام إذا اجتمع فيه شرط  
وقسم وقدم القسم سد جواب القسم مسد جواب الشرط والقسم  
<sup>198</sup>

23- قال تعالى {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ  
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } { الأنعام 110 و قوله  
يعمهون أى يحارون <sup>199</sup>

24- وحرف من لإبتداء الغاية وما يستعمل فيه حرف  
ابتداء الغاية فيقال هو من الله على نوعين فإنه أما أن يكون من  
الصفات التي لا تقوم بنفسها ولا بمخلوق فهذا يكون صفة له وما  
كان عينا قائمة بنفسها أو بمخلوق فهي مخلوقة فالأول كقوله  
{وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي { السجدة 13 وقوله {يَعْلَمُونَ أَنَّهُ  
مُنزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ } { الأنعام 114 كما قال السلف القرآن كلام الله  
غير مخلوق منه بدا وإليه يعود والنوع الثاني كقوله  
{وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ  
{ الجاثية 13 وقوله {وَمَا بِكُمْ مِّن نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} { النحل 53 و  
{مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } { النساء 79 <sup>200</sup>

<sup>197</sup>مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 342

<sup>198</sup>الجواب الصحيح ج: 2 ص: 121

<sup>199</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 202

<sup>200</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 97

25- أسماء القرآن القرآن الفرقان الكتاب الهدى النور الشفاء  
 البيان الموعظة الرحمة بصائر البلاغ الكريم المجيد العزيز  
 المبارك التنزيل المنزل الصراط المستقيم حبل الله الذكر الذكرى  
 تذكرة المتشابه المثاني { مُتَشَابِهًا مَّثَانِي } { الزمر 23 محكم  
 المفصل } **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا { الأنعام 114**  
 201

26- كلمة الله اسم جنس لكل ما تكلم الله به وقال النبي من  
 قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ولهذا جمعها  
 في قوله تعالى **{ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ**  
**لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ { الأنعام 115** فالمراد بذلك أن ما قاله  
 الله فهو حق ثابت لا يبطل 202

27- قال تعالى **{ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ**  
**وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ { الأنعام 115** سميع منزه عن الصم عليم  
 منزه عن الجهل 203

28- قال تعالى **{ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ**  
**سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ { الأنعام 116**  
 وإنما يتبعون الظن والخرص وهو الحزر هذا صواب 204

29- قال تعالى **{ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ**  
**أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ { الأنعام 117** عامة الأسماء يتنوع مسماها  
 بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل  
 عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله  
**{ إِنَّهُمْ أَفْوَا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ { 69 } فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ { 70 }**

<sup>201</sup> مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 2

<sup>202</sup> الجواب الصحيح ج: 3 ص: 254

<sup>203</sup> الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

<sup>204</sup> مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 581

وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ {71} الصافات 69- 71 وقوله  
 {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا {67}  
 رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا  
 كَبِيرًا {68} الأحزاب 67- 68 وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا  
 يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 ثم يقرن بالغي والغضب كما في  
 قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى} النجم 2 وفي قوله {غَيْرِ  
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} الفاتحة 7 وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ  
 فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} القمر 47<sup>205</sup>

30- قال تعالى {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ  
 أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} الأنعام 117 عامة الأسماء يتنوع مسماها  
 بالاطلاق والتقيد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم  
 الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر  
 الله به كما في قوله {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} الفاتحة 6  
 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله {هُدًى  
 لِلْمُتَّقِينَ} البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به  
 ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي  
 هَدَانَا لِهَذَا} الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع  
 والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما في قوله  
 {وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 87 وكما في  
 قوله {شَاكِرًا لِلْأَنْعَمِ اجْتَنِبَاهُ وَهَدَاهُ} النحل 121 {اللَّهُ  
 يَجْتَنِبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} الشورى 13 وكذلك  
 قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ  
 {التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام  
 واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا<sup>206</sup>

<sup>205</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

<sup>206</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166



## الانعام 118-135

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ  
مُؤْمِنِينَ {118} وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ  
كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُعْتَدِينَ {119} وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ  
يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ {120} وَلَا  
تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ  
الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ  
أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ {121} أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا  
فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ  
فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا  
كَانُوا يَعْمَلُونَ {122} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ  
مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا  
يَشْعُرُونَ {123} وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى  
نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ  
سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا  
كَانُوا يَمْكُرُونَ {124} فَمَنْ يَرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ  
صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا  
حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ  
عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ {125} وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا  
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ {126} لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ  
رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {127} وَيَوْمَ  
يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْرَهْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ  
وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا  
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {128} وَكَذَلِكَ نُولَى  
بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {129} يَا مَعْشَرَ  
الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي  
وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا  
وَعَرَّيْتَهُمُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِم أَنَّهُمْ كَانُوا  
كَافِرِينَ {130} ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ  
وَأَهْلَهَا غَافِلُونَ {131} وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ  
بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ {132} وَرَبُّكَ الغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ  
يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَبْخِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن  
ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخِرِينَ {133} إِنْ مَا تُوَعَّدُونَ لَاتٍ وَمَا أَنْتُمْ  
بِمُعْجِزِينَ {134} قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي  
عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا  
يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {135}

### الاسم يظهر به المسمى ويعلو

\*فالاسم يظهر به المسمى ويعلو فيقال للمسمى سمة اى اظهره  
واعله اى اعل ذكره بالاسم الذى يذكر به لكن يذكر تارة بما  
يحمد به ويذكر تارة بما يذم به كما قال تعالى {وَأَجْعَلْ لِّي لِسَانَ  
صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ} الشعراء 84 وقال فى النوع المذموم  
{وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ  
} القصص 42 وقال تعالى {نَتَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نَّبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ  
بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} القصص 3 فكلاهما ظهر ذكره لكن هذا  
امام فى الخير وهذا امام فى الشر وما ليس له اسم فانه لا يذكر  
ولا يظهر ولا يعلو ذكره بل هو كالشيء الخفى الذى لا يعرف  
ولهذا يقال الاسم دليل على المسمى وعلم على المسمى ونحو



ذلك ولهذا كان أهل الاسلام والسنة الذين يذكرون أسماء الله يعرفونه ويعبدونه ويحبونه ويذكرونه ويظهرون ذكره والملاحدة الذين ينكرون اسماءه وتعرض قلوبهم عن معرفته وعبادته ومحبته وذكره حتى ينسوا ذكره { نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ { التوبة67 } وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ { الحشر19 } وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ { الأعراف205 } والاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور في القلب وقد يراد به مجرد اللفظ وقد يراد به مجرد المعنى فانه من الكلام والكلام اسم لفظ والمعنى وقد يراد به أحدهما ولهذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره لكن ذكره بهما أتم والله تعالى قد أمر بتسبيح اسمه وأمر بالتسبيح باسمه كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنى فيدعى بأسمائه الحسنى ويسبح اسمه وتسبيح اسمه هو تسبيح له اذ المقصود بالاسم المسمى كما أن دعاء هو دعاء المسمى قال تعالى { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء110 والله تعالى يأمر بذكره تارة وبذكر اسمه تارة كما يأمر بتسبيحه تارة وتسبيح اسمه تارة فقال { اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } الأحزاب41 { وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ } الأعراف205 وهذا كثير وقال { وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّنَ إِلَيْهِ تَبَيُّنًا } المزملة8 كما قال { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام118 { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام121 { فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ } الأنعام118 { وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } المائدة4 لكن هنا يقال بسم الله فيذكر نفس الاسم الذي هو ألف سين ميم واما في قوله { وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ } المزملة8 فيقال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله وهذا أيضا مما يبين فساد قول من جعل الاسم هو المسمى قوله في الذبيحة { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام118 كقوله { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } العلق1 وقوله { بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا } هود41 فقوله { اقْرَأْ

بِاسْمِ رَبِّكَ { العلق 1 هو قراءة بسم الله فى أول السور وقد  
بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضع وبين ان هذه الآية تدل  
على أن القارئ مأمور ان يقرأ بسم الله وانها ليست كسائر  
القرآن بل هى تابعة لغيرها وهنا يقول { بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
الرَّحِيمِ } النمل 30 كما كتب سليمان وكما جاءت به السنة  
المتواترة واجمع المسلمون بالله الرحمن الرحيم فى قوله  
{ وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ } الإنسان 25 فانه يقول سبحان الله والحمد  
لله ولا اله الا الله ونحو ذلك وهنا قال { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ  
{ العلق 1 لم يقل اقرأ اسم ربك وقوله { وَادْكُرْ اسْمَ  
رَبِّكَ } الإنسان 25 يقتضى أن يذكره بلسانه وأما قوله  
{ وَادْكُرْ رَبَّكَ } آل عمران 41 فقد يتناول ذكر القلب وقوله  
{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ } العلق 1 هو كقول الأكل باسم الله والذابح باسم  
الله كما قال النبى ومن لم يكن ذبح فليذبح بسم الله وأما  
التسبيح فقد قال { وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً } الأحزاب 42 وقال  
{ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } الأعلى 1 وقال { فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ  
الْعَظِيمِ } الواقعة 74 وفى الدعاء { قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا  
الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء 110  
فقوله { أَيًّا مَا تَدْعُوا } الإسراء 110 يقتضى تعدد المدعو  
لقوله ايا ما وقوله { فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء 110  
يقتضى ان المدعو واحد له الاسماء الحسنى وقوله { ادْعُوا اللَّهَ  
أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ } الإسراء 110 ولم يقل ادعوا باسم الله او  
باسم الرحمن يتضمن ان المدعو هو الرب الواحد بذلك الاسم  
فقد جعل الاسم تارة مدعوا وتارة مدعوا به فى قوله { وَ لِلَّهِ  
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } الأعراف 180 فهو مدعو به  
باعتبار ان المدعو هو المسمى وانما يدعى باسمه وجعل الاسم  
مدعوا باعتبار ان المقصود به هو المسمى وان كان فى اللفظ هو  
المدعو المنادى كما قال { قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ  
{ الإسراء 110 أى ادعوا هذا الاسم أو هذا الاسم والمراد اذا  
دعوته هو المسمى اى الاسمين دعوت ومرادك هو المسمى }

فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى {الإسراء 110} فمن تدبر هذه المعاني اللطيفة تبين له بعض حكم القرآن واسرار ه ف {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ} الفرقان 1 فانه كتاب مبارك تنزّل من حكيم حميد لا تنقضى عجائبه ولا يشبع منه العلماء من ابتغى الهدى في غيره اضله الله ومن تركه من جبار قصمه الله وهو حبلى الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو قرآن عجب يهدى الى الرشد انزله الله هدى ورحمة وشفاء وبياناً وبصائر وتذكرة فالحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله آخره والله الحمد والمنة صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

207

### اسماء الله عز وجل مباركة

\*ومعلوم ان نفس اسمائه عز وجل مباركة وبركتها من جهة دلالتها على المسمى ولهذا فرقت الشريعة بين ما يذكر اسم الله عليه وما لا يذكر اسم الله عليه في مثل قوله {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 118 وقوله {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} الأنعام 119 وقوله {وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ} المائدة 4 وقول النبي لعدى بن حاتم وان خالط كلبك كلاب أخرى فلا تأكل فانك انما سميت على كلبك ولم تسم على غيره

208

مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 210-212<sup>207</sup>

مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 193-194<sup>208</sup>

## بين الله للمسلمين جميع ما يتقونه

\*فإن الله أنزل الكتاب والميزان وأرى الناس آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أن القرآن حق وأما العمليات وما يسميه ناس الفروع والشرع والفقهاء فهذا قد بينه الرسول أحسن بيان فما شيء مما أمر الله به أو نهى عنه أو حلله أو حرمه إلا بين ذلك وقد قال تعالى { تَأْتِيهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ فِي يَوْمٍ أَلِيمٍ } وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ {64} النحل 63- 64 فقد بين سبحانه أنه ما أنزل عليه الكتاب إلا ليبين لهم الذي اختلفوا فيه كما بين أنه أنزل جنس الكتاب مع التبيين ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال تعالى { وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } الشورى 10 وقال تعالى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ } التوبة 115 فقد بين للمسلمين جميع ما يتقونه كما قال { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُررْتُمْ إِلَيْهِ } الأنعام 119

209

\*والشارع لا يفصل بين الحلال والحرام إلا بفصل مبين لا اشتباه فيه كما قال تعالى { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ } التوبة 115 والمحرمات مما يتقون فلا بد أن يبين لهم المحرمات بيانا فاصلا بينها وبين الحلال وقد قال تعالى { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ } الأنعام 119

210

<sup>209</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 174

## الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلالا مطلقا

فاعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتباين أوصافها أن تكون حلالا مطلقا للأدميين وأن تكون طاهرة لا يحرم عليهم ملابسها ومباشرتها ومماسستها وهذه كلمة جامعة ومقالة عامة وقضية فاضلة عظيمة المنفعة واسعة البركة يفرع إليها حملة الشريعة فيما لا يحصى من الأعمال وحوادث الناس وقد دل عليها أدلة عشرة مما حضرني ذكره من الشريعة وهي كتاب الله وسنة رسوله واتباع سبيل المؤمنين المنظومة في قوله تعالى { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } النساء 59 وقوله { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا } المائدة 55 ثم مسالك القياس والاعتبار ومناهج الرأي والاستبصار الصنف الأول الكتاب وهو عدة آيات الآية الأولى قوله تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } البقرة 29 والخطاب لجميع الناس لافتتاح الكلام بقوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } البقرة 21 ووجه الدلالة أنه أخبر أنه خلق جميع ما في الأرض للناس مضافا إليهم باللام واللام حرف الإضافة وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه واستحقاقه إياه من الوجه الذي يصلح له وهذا المعنى يعم موارد استعمالها كقولهم المال لزيد والسرج للدابة وما أشبه ذلك فيجب إذا أن يكون الناس مملكين ممكنين لجميع ما في الأرض فضلا من الله ونعمة وخص من ذلك بعض الأشياء وهي الخبائث لما فيها من الإفساد لهم في معاشهم أو معادهم فيبقى الباقي مباحا بموجب الآية الآية الثانية قوله تعالى { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ } الأنعام 119 دلت الآية من وجهين أحدهما أنه وبخهم وعنفهم على ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه قبل أن يحله باسمه الخاص فلو لم تكن الأشياء مطلقة مباحة لم يلحقهم ذم ولا

توبيخ إذ لو كان حكمها مجهولا أو كانت محظورة لم يكن ذلك الوجه الثاني أنه قال { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ } { الأنعام 119 } والتفصيل التبيين فبين أنه بين المحرمات فما لم يبين تحريمه ليس بمحرم وما ليس بمحرم فهو حلال إذ ليس إلا حلال أو حرام الآية الثالثة قوله تعالى { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } { الجاثية 13 } وإذا كان ما في الأرض مسخرا لنا جاز استمتاعنا به كما تقدم الآية الرابعة قوله تعالى { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحْرَمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا } { الأنعام 145 } الآية فما لم يجد تحريمه ليس بمحرم وما لم يحرم فهو حل ومثل هذه الآية قوله { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ } { البقرة 173 } الآية لأن حرف إنما يوجب حصر الأول في الثاني فيجب انحصار المحرمات فيما ذكر وقد دل الكتاب على هذا الأصل المحيط في مواضع أخر الصنف الثاني السنة والذي حضرني منها حديثان الحديث الأول في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله إن أعظم المسلمين جرما من يسأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته دل ذلك على أن الأشياء لا تحرم إلا بتحريم خاص لقوله لم يحرم ودل أن التحريم قد يكون لأجل المسألة فبين بذلك أنها بدون ذلك ليست محرمة وهو المقصود الثاني روى أبو داود في سننه عن سلمان الفارسي قال سئل رسول الله عن شيء من السمن والجبن والفراء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه فمنه دليلان أحدهما أنه أفتى بالإطلاق فيه الثاني قوله وما سكت عنه فهو مما عفا عنه نص في أن ما سكت عنه فلا إثم عليه فيه وتسميته هذا عفا كأنه والله أعلم لأن التحليل هو الإذن في تناول بخطاب خاص والتحريم المنع من تناول كذلك والسكوت عنه لم يؤذن بخطاب يخصه ولم يمنع منه فيرجع إلى الأصل وهو أن لا عقاب إلا بعد الإرسال وإذا لم يكن فيه عقاب لم يكن محرما وفي السنة دلائل

كثيرة على هذا الأصل الصنف الثالث اتباع سبيل المؤمنين وشهادة شهداء الله في أرضه الذين هم عدول الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر المعصومين من اجتماعهم على ضلالة المفروض اتباعهم وذلك أني لست أعلم خلاف أحد من العلماء السالفين في أن ما لم يجئ دليل بتحريمه فهو مطلق غير محجور وقد نص على ذلك كثير ممن تكلم في أصول الفقه وفروعه وأحسب بعضهم ذكر في ذلك الإجماع يقينا أو ظنا كاليقين فإن قيل كيف يكون في ذلك إجماع وقد علمت اختلاف الناس في الأعيان قبل مجيء الرسل وإنزال الكتب هل الأصل فيها الحظر أو الإباحة أو لا يدري ما الحكم فيها أو أنه لا حكم لها أصلا واستصحاب الحال دليل متبع وأنه قد ذهب بعض من صنف في أصول الفقه من أصحابنا وغيرهم على أن حكم الأعيان الثابت لها قبل الشرع مستصحب بعد الشرع وأن من قال بأن الأصل في الأعيان الحظر استصحب هذا الحكم حتى يقوم دليل الحل فأقول هذا قول متأخر لم يؤثر أصله عن أحد من السابقين ممن له قدم وذلك أنه قد ثبت أنها بعد مجيء الرسل على الإطلاق وقد زال حكم ذلك الأصل بالأدلة السمعية التي ذكرتها ولست أنكر أن بعض من لم يحط علما بمدارك الأحكام ولم يؤت تمييزا في مظان الاشتباه ربما سحب ذيل ما قبل الشرع على ما بعده إلا أن هذا غلط قبيح لو نبه له لتنبه مثل الغلط في الحساب لا يهتك حريم الإجماع ولا يثلم سنن الاتباع ولقد اختلف الناس في تلك المسألة هل هي جائزة أم ممتنعة لأن الأرض لم تخل من نبي مرسل إذ كان آدم نبيا مكلما حسسب اختلافهم في جواز خلو الأقطار عن حكم مشروع وإن كان الصواب عندنا جوازه ومنهم من فرضها فيمن ولد بجزيرة إلى غير ذلك من الكلام الذي يبين لك أن لا عمل بها وأنها نظر محض ليس فيه عمل كالكلام في مبدإ اللغات وشبه ذلك على أن الحق الذي لا راد له أن قبل الشرع لا تحليل ولا تحريم فإذا لا تحريم يستصحب ويستدام فيبقى الآن كذلك والمقصود خلوها عن المآثم والعقوبات

وأما مسلك الاعتبار بالأشباه والنظائر واجتهاد الرأي في الأصول الجوامع فمن وجوه كثيرة ننبه على بعضها أحدها أن الله سبحانه خلق هذه الأشياء وجعل فيها للإنسان متاعاً ومنفعة ومنها ما قد يضطر إليه وهو سبحانه جواد ماجد كريم رحيم غني صمد والعلم بذلك يدل على العلم بأنه لا يعاقبه ولا يعذبه على مجرد استمتاعه بهذه الأشياء وهو المطلوب وثانيها أنها منفعة خالية عن مضرة فكانت مباحة كسائر ما نص على تحليله وهذا الوصف قد دل على تعلق الحكم به النص وهو قوله {يُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} الأعراف 157 فكل ما نفع فهو طيب وكل ما ضر فهو خبيث والمناسبة الواضحة لكل ذي لب أن النفع يناسب التحليل والضرر يناسب التحريم والدوران فإن التحريم يدور مع المضار وجوداً في الميتة والدم ولحم الخنزير وذوات الأنياب والمخالب والخمر وغيرها مما يضر بأنفس الناس وعدمها في الأنعام والألبان وغيرها وثالثها أن هذه الأشياء إما أن يكون لها حكم أولاً يكون والأول صواب والثاني باطل بالاتفاق وإذا كان لها حكم فالوجوب والكراهة والاستحباب معلومة البطلان بالكلية لم يبق إلا الحل والحرمة باطلة لانتفاء دليلها نصاً واستنباطاً لم يبق إلا الحل وهو المطلوب<sup>211</sup>

### انتفاء دليل التحريم دليل على عدم التحريم

\*ان العقود و الشروط من باب الأفعال العادية و الأصل فيها عدم التحريم فيستصحب عدم التحريم فيها حتى يدل دليل على التحريم كما ان الأعيان الأصل فيها عدم التحريم و قوله تعالى {

<sup>211</sup>211 مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 536-541



**وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ { الْأَنْعَامَ 119** عام في الأعيان و  
الأفعال و إذا لم تكن حراما لم تكن فاسدة لأن الفساد إنما ينشأ من  
التحريم و إذا لم تكن فاسدة كانت صحيحة و أيضا فليس في  
الشرع ما يدل على تحريم جنس العقود و الشروط إلا ما ثبت  
حله بعينه و سنيين إن شاء الله معنى حديث عائشة و ان انتفاء  
دليل التحريم دليل على عدم التحريم فثبت بالاستصحاب العقلي و  
انتفاء الدليل الشرعي عدم التحريم فيكون فعلها إما حلالا و إما  
عفوا كالأعيان التي لم تحرم و غالب ما يستدل به على ان  
الأصل في الأعيان عدم التحريم من النصوص العامة و الأقيسة  
الصحيحة و الاستصحاب العقلي و انتفاء الحكم لانتفاء دليله فانه  
يستدل أيضا به على عدم تحريم العقود و الشروط فيها سواء  
سمي ذلك حلالا أو عفوا على الاختلاف المعروف بين أصحابنا  
و غيرهم فان ما ذكره الله تعالى في القرآن من ذم الكفار على  
التحريم بغير شرع منه ما سببه تحريم الأعيان و منه ما سببه  
تحريم الأفعال كما كانوا يحرمون على المحرم لبس ثيابه و  
الطواف فيها إذا لم يكن أحمسيا و يأمرونه بالتعري إلا أن يعيره  
أحمسي ثوبه و يحرمون عليه الدخول تحت سقف كما كان  
الانصار يحرمون إتيان الرجل امرأته في فرجها إذا كانت مجبية  
و يحرمون الطواف بالصفا و المروة و كانوا مع ذلك قد ينقضون  
العهود التي عقدوها بلا شرع فأمرهم الله سبحانه في سورة النحل  
و غيرها بالوفاء بها إلا ما اشتمل على محرم فعلم ان العهود  
يجب الوفاء بها إذا لم تكن محرمة و إن لم يثبت حلها بشرع  
خاص كالعهود التي عقدوها في الجاهلية و أمروا بالوفاء بها و  
قد نبهنا على هذه القاعدة فيما تقدم و ذكرنا أنه لا يشرع إلا ما  
شرعه الله و لا يحرم إلا ما حرمه الله لأن الله ذم المشركين الذين  
شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله و حرموا ما لم يحرمه الله فاذا  
حرمنا العقود و الشروط التي تجري بين الناس في معاملاتهم  
العادية بغير دليل شرعي كنا محرمين ما لم يحرمه الله بخلاف  
العقود التي تتضمن شرع دين لم يأذن به الله فان الله قد حرم ان

يشرع من الدين ما لم يأذن به فلا يشرع عبادة إلا بشرع الله و لا يحرم عادة إلا بتحريم الله و العقود فى المعاملات هي من العادات يفعلها المسلم و الكافر و إن كان فيها قرابة من و جه آخر فليست من العبادات التى يفتقر فيها إلى شرع كالعتق و الصدقة فان قيل العقود تغير ما كان مشروعا لأن ملك البضع أو المال إذا كان ثابتا على حال فعقد عقدا أزاله عن تلك الحال فقد غير ما كان مشروعا بخلاف الأعيان التى لم تحرم فانه لا تغير فى إباحتها فيقال لا فرق بينهما و ذلك ان الأعيان إما ان تكون ملكا لشخص أو لا تكون فان كانت ملكا فانتقالها بالبيع أو غيره لا يغيرها و هو من باب العقود و إن لم تكن ملكا فملكها بالاستيلاء و نحوه هو فعل من الأفعال مغير لحكمها بمنزلة العقود و ايضا فانها قبل الزكاة محرمة فالزكاة الواردة عليها بمنزلة العقد الوارد على المال فكما أن أفعالنا فى الأعيان من الأخذ و الذكاة الأصل فيها الحل و ان غير حكم العين فكذلك أفعالنا فى الأملاك بالعقود و نحوها الأصل فيها الحل و ان غيرت حكم الملك له و سبب ذلك ان الأحكام الثابتة بأفعالنا كالمالك الثابت بالبيع و ملك البضع الثابت بالنكاح نحن احدتنا أسباب تلك الأحكام و الشارع أثبت الحكم لثبوت سببه منا لم يثبتته ابتداء كما أثبت إيجاب الواجبات و تحريم المحرمات المبتدأة فاذا كنا نحن المثبتين لذلك الحكم و لم يحرم الشارع علينا رفعه لم يحرم علينا رفعه فمن اشترى عينا فالشارع أحلها له و حرمها على غيره لاثباته سبب ذلك و هو الملك الثابت بالبيع و ما لم يحرم الشارع عليه رفع ذلك فله أن يرفع ما أثبتته على أي و جه أحب ما لم يحرمه الشارع عليه كمن أعطى رجلا مالا فالأصل ان لا يحرم عليه التصرف فيه و ان كان مزيلا للملك الذى أثبتته المعطي ما لم يمنع منه مانع و هذه نكتة المسألة التى يتبين بها مأخذها و هو أن الأحكام الجزئية من حل هذا المال لزيد و حرمة على عمرو لم يشرعها الشارع شرعا جزئيا وإنما شرعها شرعا كليا مثل قوله { وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } البقرة 275 و

قوله {وَأَجَلٌ لَّكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكَ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ} النساء 24  
 وقوله {فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} النساء 3  
 وهذا الحكم الكلي ثابت سواء وجد هذا البيع المعين أو لم يوجد فاذا وجد بيع معين أثبت ملكا معيننا فهذا المعين سببه فعل العبد فاذا رفعه العبد فانما رفع ما أثبتته هو بفعله لا ما أثبتته الله من الحكم الكلي إذ ما أثبتته الله من الحكم الجزئي إنما هو تابع لفعل العبد سببه فقط لا أن الشارع أثبتته ابتداءً و إنما توهم بعض الناس أن رفع الحقوق بالعقود و الفسوخ مثل نسخ الأحكام و ليس كذلك فان الحكم المطلق لا يزيله إلا الذي أثبتته و هو الشارع و أما هذا المعين فانما ثبت لأن العبد أدخله في المطلق فادخاله في المطلق اليه فكذلك إخراجة إذ الشارع لم يحكم عليه في المعين بحكم أبداً مثل أن يقول هذا الثوب بعه أو لا تبعه أو هبه أو لا تهبه و إنما حكم على المطلق الذي إذا أدخل فيه المعين حكم على المعين فتدبر هذا و فرق بين تغيير الحكم المعين الخاص الذي أثبتته العبد بادخاله في المطلق و بين تغيير الحكم العام الذي أثبتته الشارع عند وجود سببه من العبد و إذا ظهر ان العقود لا يحرم منها الا ما حرمه الشارع فانما وجب الوفاء بها لايجاب الشارع الوفاء بها مطلقا إلا ما خصه الدليل على أن الوفاء بها من الواجبات التي اتفقت عليها الملل بل والعقلاء جميعهم وقد أدخلها في الواجبات العقلية من قال بالوجوب العقلي ففعلها ابتداءً لا يحرم إلا بتحريم الشارع و الوفاء بها وجب لايجاب الشارع إذا ولايجاب العقل ايضا<sup>212</sup>

## قيد الأمور بالقدرة والاستطاعة و الوسع والطاقة

<sup>212</sup>مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 150-154

\*قد أمر الله ورسوله بأفعال واجبة ومستحبة وإن كان الواجب مستحباً وزيادة ونهى عن أفعال محرمة أو مكروهة والدين هو طاعته وطاعة رسوله وهو الدين والتقوى والبر والعمل الصالح والشرعة والمناهج وإن كان بين هذه الأسماء فروق وكذلك حمد أفعالاً هي الحسنات ووعد عليها وذم أفعالاً هي السيئات وأوعد عليها وقيد الأمور بالقدرة والاستطاعة والوسع والطاقة فقال تعالى {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} التغابن 16 وقال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 وقال تعالى {وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْسِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} الطلاق 7 وكل من الآيتين وإن كانت عامه فسبب الأولى المحاسبه على ما فى النفوس وهو من جنس أعمال القلوب وسبب الثانية الاعطاء الواجب وقال {لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ} التوبة 91 وقد ذكر في الصيام والاحرام والطهارة والصلاة والجهاد من هذا أنواعاً وقال فى المنهيات {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} الأنعام 119<sup>213</sup>

<sup>213</sup>مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 49

## مسائل فقهية

### 1- حكم التسمية على الذبيحة

\*و التسمية على الذبيحة مشروعة لكن قيل هي مستحبة كقول الشافعي وقيل واجبة مع العمد وتسقط مع السهو كقول أبي حنيفة ومالك وأحمد في المشهور عنه وقيل تجب مطلقا فلا تؤكل الذبيحة بدونها سواء تركها عمدا أو سهوا كالرواية الأخرى عن أحمد إختارها أبو الخطاب وغيره وهو قول غير واحد من السلف وهذا أظهر الأقوال فإن الكتاب والسنة قد علق الحل بذكر إسم الله في غير موضع كقوله { فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } المائدة4 و قوله { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام118 إلى قوله { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام119 إلى قوله { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام121 وفي الصحيحين أنه قال ما أنهر الدم وذكر إسم الله عليه فكلوا وفي الصحيح أنه قال لعدي إذا أرسلت كلبك المعلم وذكرت إسم الله فقتل فكل وإن خالط كلبك كلاب آخر فلا تأكل فإنك إنما سميت على كلبك ولم تسم على غيره وثبت في الصحيح أن الجن سألوه الزاد لهم ولدوابهم فقال لكم كل عظم ذكر إسم الله عليه أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علفا لدوابكم قال النبي فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن فهو لم يبيح للجن المؤمنين إلا ما ذكر إسم الله عليه فكيف بالأنس ولكن إذا وجد الإنسان لحما قد ذبحه غيره جاز له أن يأكل منه ويذكر إسم الله عليه لحمل أمر الناس على الصحة والسلامة كما ثبت في الصحيح أن قوما قالوا يا رسول الله إن ناسا حديثي عهد بالإسلام يأتون باللحم ولا ندرى أذكروا إسم الله عليه أم لم يذكروا فقال سموا أنتم وكلوا<sup>214</sup>

\* قال الخلال في باب التوقي لأكل ما ذبحت النصارى وأهل الكتاب لأعيادهم وذبائح أهل الكتاب لكنائسهم كل من روى عن أبي عبد الله روى الكراهة فيه وهي متفرقة في هذه الأبواب وما قاله حنبل في هاتين المسألتين ذكر عن أبي عبد الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وما أهل لغير الله به فإنما الجواب من أبي عبد الله فيما أهل لغير الله به وأما التسمية وتركها فقد روى عنه جميع أصحابه أنه لا بأس بأكل ما لم يسموا عليه إلا في وقت ما يذبحون لأعيادهم وكنائسهم فإنه في معنى قوله تعالى { وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } النحل 115 وعند أبي عبد الله أن تفسير { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } { الأنعام 121 } إنما عني به الميتة وقد أخرجته في موضعه ومقصود الخلال أن نهى أحمد لم يكن لأجل ترك التسمية فقط فإن ذلك عنده لا يحرم وإنما كان لأنهم ذبحوه لغير الله سواء كانوا يسمون غير الله أو لا يسمون الله ولا غيره ولكن قصدهم الذبح لغير الله لكن قال ابن أبي موسى ويجتنب أكل كل ما ذبحه اليهود والنصارى لكنائسهم وأعيادهم ولا يؤكل ما ذبح للزهرة والرواية الثانية أن ذلك مكروه غير محرم وهذا الذي ذكره القاضي وغيره وأخذوا ذلك فيما أظنه مما نقله عبد الله بن أحمد قال سألت أبي عن ذبح للزهرة قال لا يعجبني قلت أحرام أكله قال لا أقول حراما ولكن لا يعجبني وذلك أنه أثبت الكراهة دون التحريم ويمكن أن يقال إنما توقف عن تسميته محرما لأن ما اختلف في تحريمه وتعارضت فيه كالجمع بين الأختين ونحوه هل يسمى حراما على روايتين كالروايتين عنده في أن ما اختلف في وجوبه هل يسمى فرضا على روايتين ومن أصحابنا من أطلق الكراهة ولم يفسر هل أراد التحريم أو التنزيه قال أبو الحسن الأمدي ما ذبح لغير الله مثل الكنائس والزهرة والشمس والقمر فقال أحمد هو مما أهل به لغير الله أكرهه كل ما ذبح لغير الله والكنائس وما ذبحوا في أعيادهم أكرهه فأما ما ذبح أهل الكتاب على معنى الذكاة فلا بأس به وكذلك مذهب مالك

يكره ما ذبحه النصارى لكنائسهم أو ذبحوا على اسم المسيح أو الصليب أو أسماء من مضى من أبحارهم ورهبانهم وفي المدونة وكره مالك أكل ما ذبحه أهل الكتاب لكنائسهم أو لأعيادهم من غير تحريم وتأول قول الله أو فسقا أهل لغير الله به قال ابن القاسم وكذلك ما ذبحوا وسموا عليه اسم المسيح وهو بمنزلة ما ذبحوا لكنائسهم ولا أرى أن يؤكل ونقلت الرخصة في ذبائح الأعياد ونحوها عن طائفة من الصحابة رضي الله عنهم وهذا فيما لم يسموا عليه غير الله فإن سموا غير الله في عيدهم أو غير عيدهم حرم في أشهر الروايتين وهو مذهب الجمهور وهو مذهب الفقهاء الثلاثة فيما نقله غير واحد وهو قول علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة منهم أبو الدرداء وأبو أمامة والعرباض بن سارية وعبادة بن الصامت وهو قول أكثر فقهاء الشام وغيرهم والثانية لا يحرم وإن سموا غير الله وهو قول عطاء ومجاهد ومكحول والأوزاعي والليث ووجه الاختلاف أن هذا قد دخل في عموم قوله عز وجل { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ } المائدة 5 وفي عموم قوله تعالى { وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 لأن هذه الآية تعم كل ما نطق به لغير الله يقال أهلت بكذا إذا تكلمت به وإن كان أصله الكلام الرفيع فإن الحكم لا يختلف برفع الصوت وخفضه وإنما لما كانت عادتهم رفع الصوت في الأصل خرج الكلام على ذلك فيكون المعنى وما تكلم به لغير الله وما نطق به لغير الله ومعلوم أن ما حرم أن تجعل غير الله مسمى فكذلك منويا إذ هذا مثل النيات في العبادات فإن اللفظ بها وإن كان أبلغ لكن الأصل القصد الا ترى أن المتقرب بالهدايا والضحايا سواء قال أذبحه لله أو سكت فإن العبرة بالنية وتسميته الله على الذبيحة غير ذبحها لله فإنه يسمى على ما يقصد به اللحم وأما قربان فيذبح لله سبحانه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في قربانه اللهم منك ولك بعد قوله بسم الله والله أكبر لقوله تعالى { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }

{ الأنعام 162 } والكافرون يصنعون بألتهتهم كذلك فتارة يسمون ألتهتهم على الذبائح وتارة يذبحونها قربانا إليهم وتارة يجمعون بينهما وكل ذلك والله أعلم يدخل فيما أهل لغير الله به فإن من سمى غير الله فقد أهل به لغير الله فقوله باسم كذا استعانة به وقوله لكذا عبادة له ولهذا جمع الله بينهما في قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وأيضا فإنه سبحانه حرم ما ذبح على النصب وهي كل ما ينصب ليعبد من دون الله وأما احتجاج أحمد على هذه المسألة بقوله تعالى { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 121 فحيث اشترطت التسمية في ذبيحة المسلم هل تشترط في ذبيحة الكتابي على روايتين وإن كان الخلال هنا قد ذكر عدم الاشتراط فاحتججه بهذه الآية يخرج على إحدى الروايتين فلما تعارض العموم الحاضر وهو قوله تعالى { وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 والعموم المبيح وهو قوله { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ } المائدة 5 اختلف العلماء في ذلك والأشبه بالكتاب والسنة ما دل عليه أكثر كلام أحمد من الحظر وإن كان من متأخري أصحابنا من لا يذكر هذه الرواية بحال وذلك لأن عموم قوله تعالى { وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 و { وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ } المائدة 3 عموم محفوظ لم تخص منه صورة بخلاف طعام الذين أوتوا الكتاب فإنه يشترط له الذكاة المبيحة فلو ذكى الكتابي في غير المحل المشروع لم تبح ذكاته ولأن غاية الكتابي أن تكون ذكاته كالمسلم والمسلم لو ذبح لغير الله أو ذبح باسم غير الله لم يبيح وإن كان يكفر بذلك فكذلك الذمي لأن قوله تعالى { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ } المائدة 5 سواء وهم وإن كانوا يستحلون هذا ونحن لا نستحله فليس كل ما استحلوه يحل لنا ولأنه قد تعارض دليلان حاضر ومبيح فالحاضر أولى أن يقدم ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقينا أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام فهو من الشرك الذي أحدثوه فالمعنى الذي لأجله حلت ذبائحهم منتف في هذا والله تعالى أعلم



فإن قيل أما إذا سموا عليه غير الله بأن يقولوا باسم المسيح ونحوه فتحريمه ظاهر أما إذا لم يسموا أحدا ولكن قصدوا الذبح للمسيح أو للكوكب ونحوهما فما وجه تحريمه قيل قد تقدمت الإشارة إلى ذلك وهو أن الله سبحانه قد حرم ما ذبح على النصب وذلك يقتضي تحريمه وإن كان ذابحه كتابيا لأنه لو كان التحريم لكونه وثنيا لم يكن فرق بين ذبحه على النصب وغيرها ولأنه لما أباح لنا طعام أهل الكتاب دل على أن طعام المشركين حرام فتخصيص ما ذبح على الوثن يقتضي فائدة جديدة وفي رواية له وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض الكلاء ثم أنتم تذبحونها على غير اسم الله إنكارا لذلك وإعظاما له وأيضا فإن قوله تعالى { وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لكذا وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه النصراني للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه نحن متقربين به إلى الله سبحانه كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله فإن عبادة الله سبحانه بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور فكذلك الشرك بالصلاة لغيره والنسك لغيره أعظم شركا من الاستعانة باسم هذا الغير في فواتح الأمور فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح والزهرة أو قصد به ذلك أولى وهذا يبين لك ضعف قول من حرم ما ذبح باسم غير الله ولم يحرم ما ذبح لغير الله كما قاله طائفة من أصحابنا وغيرهم بل لو قيل بالعكس لكان أوجه فإن العبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله وعلى هذا فلو ذبح لغير الله متقربا به إليه لحرم وإن قال فيه بسم الله كما يفعله طائفة من مناقبي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الأولياء والكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع في الذبيحة مانعان ومن هذا الباب ما قد

يفعله الجاهلون بمكة شرفها الله وغيرها من الذبح للجن ولهذا  
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذبائح الجن  
ويدل على المسألة ما قدمناه من أن النبي صلى الله عليه وسلم  
نهى عن الذبح في مواضع الأصنام ومواضع أعياد الكفار ويدل  
على ذلك أيضا ما رواه أبو داود في سننه حدثنا هارون بن عبد  
الله حدثنا حماد بن مسعدة عن عوف عن أبي ریحانة عن ابن  
عباس رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
عن معاقرة الأعراب قال أبو داود غندر وقفه على ابن عباس  
وروى أبو بكر بن أبي شيبة في تفسيره حدثنا وكيع عن أصحابه  
عن عوف الأعرابي عن أبي ریحانة قال سئل ابن عباس عن  
معاقرة الأعراب فقال إني أخاف أن تكون مما أهل لغير الله به  
وروى أبو إسحاق إبراهيم دحيم في تفسيره حدثنا أبي حدثنا سعيد  
بن منصور عن ربعي عن عبد الله بن الجارود قال سمعت  
الجارود قال كان من بني رباح رجل يقال له ابن وثيل شاعرا  
نافر أبا الفرزدق غالبا الشاعر بماء بظهر الكوفة على أن يعقر  
هذا مائة من إبله وهذا مائة من إبله إذا وردت الماء فلما وردت  
الإبل الماء قاما إليها بأسيا فهما فجعلا ينسفان عراقيها فخرج  
الناس على الحمر والبغال يريدون اللحم وعلي رضي الله عنه  
بالكوفة فخرج على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء  
وهو ينادي يا أيها الناس لا تأكلوا من لحومها فإنها أهل بها لغير  
الله فهؤلاء الصحابة قد فسروا ما قصد بذبحه غير الله داخلا  
فيما أهل به لغير الله فعلمت أن الآية لم يقتصر بها على  
التلفظ باسم غير الله بل ما قصد به التقرب إلى غير الله فهو كذلك  
وكذلك تفاسير التابعين على أن ما ذبح على النصب هو ما ذبح  
لغير الله وروينا في تفسير مجاهد المشهور عنه الصحيح من  
رواية ابن أبي نجیح في قوله تعالى { وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ }  
{ المائدة 3 } قال كانت حجارة حول الكعبة يذبح لها أهل  
الجاهلية ويبدلونها إذا شاءوا بحجارة أعجب إليهم منها وروى  
ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أشعث عن الحسن في

قوله تعالى { وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ } المائدة 3 قال هو بمنزلة ما ذبح لغير الله وفي تفسير قتادة المشهور عنه وأما ما ذبح على النصب فالنصب حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون لها فنهى الله عن ذلك وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس النصب أصنام كانوا يذبحون ويهلون عليها فإن قيل فقد نقل إسماعيل بن سعيد قال سألت أحمد عما يقرب لآلهتهم يذبحه رجل مسلم قال لا بأس به قيل إنما قال أحمد ذلك لأن المسلم إذا ذبحه سمى الله عليه ولم يقصد ذبحه لغير الله ولا يسمى غيره بل يقصد منه غير ما قصده صاحب الشاة فتصير نية صاحب الشاة لا أثر لها والذابح هو المؤثر في الذبح بدليل أن المسلم لو وكل كتابيا في ذبيحة فسمى عليها غير الله لم تبح ولهذا لما كان الذبح عبادة في نفسه كرهه علي رضي الله عنه وغير واحد من أهل العلم منهم أحمد في إحدى الروايتين عنه أن يوكل المسلم في ذبح نسيكته كتابيا لأن نفس الذبح عبادة بدنية مثل الصلاة ولهذا تختص بمكان وزمان ونحو ذلك بخلاف تفرقة اللحم فإن عبادة مالية ولهذا اختلف العلماء في وجوب تخصيص أهل الحرم بلحوم الهدايا المذبوحة في الحرم وإن كان الصحيح تخصيصهم بها وهذا بخلاف الصدقة فإنها عبادة مالية محضة فلهذا قد لا يؤثر فيها نية الوكيل على أن هذه المسألة منصوصة عن أحمد محتملة<sup>215</sup>

## 2-الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلالا

### مطلقا

\*فاعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتباين أوصافها أن تكون حلالا مطلقا للأدمنين وأن تكون ظاهرة لا يحرم عليهم ملابسيتها ومباشرتها ومماسيتها قوله تعالى { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ

<sup>215</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 253-262

**لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ** { الأنعام 119 دلت على وجهين أحدهما إنه وبخهم وعنفهم على ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه قبل أن يحله باسمه الخاص فلو لم تكن الأشياء مطلقة مباحة لم يلحقهم ذم ولا توبيخ إذ لو كان حكمها مجهولا أو كانت محظورة لم يكن ذلك الوجه الثاني إنه قال **{ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ { الأنعام 119** والتفصيل التبيين فبين أنه بين المحرمات فما لم يبين تحريمه ليس بمحرم وما ليس بمحرم فهو حلال إذ ليس إلا حلال أو حرام الآية <sup>216</sup>

\* فلا بد أن يكون بين الحلال والحرام فرق مبين قال الله تعالى **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ** { التوبة 115 وقال تعالى **{ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ** { الأنعام 119 <sup>217</sup>

### 3-الأصل في الأعيان الطهارة

\* أن الأصل في الأعيان الطهارة فلا يجوز تنجيس شيء ولا تحريمه إلا بدليل كما قال تعالى **{ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ** { الأنعام 119 وقال تعالى **{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ** { التوبة 115 وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح إن من أعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته وفي السنن عن سلمان الفارسي مرفوعا ومنهم من يجعله موقوفا أنه قال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه <sup>218</sup>

<sup>216</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 117

<sup>217</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 102

<sup>218</sup>مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 617 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 45

#### 4- أكل الميتة للمضطر واجب عليه

\*قال تعالى { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ }  
{ الأنعام 119 } أن أكل الميتة للمضطر واجب عليه في ظاهر  
مذهب الأئمة وغيرهم كما قال مسروق من اضطر إلى الميتة فلم  
يأكل حتى مات دخل النار <sup>219</sup>

ان الله لما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها لم يبيح ذلك الا  
لمن اضطر اليها غير باغ ولا عاد وفي آية أخرى { فَمَنْ اضْطُرَّ  
فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمِهِ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } {المائدة 3  
<sup>220</sup>

#### 5- من يتداوى بالخمير ولحم الخنزير وغير ذلك من

المحرمات هل يباح للضرورة أم لا وهل هذه الآية {وَقَدْ  
فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ  
{ الأنعام 119 } في إباحة ما ذكر أم لا ؟

\* لا يجوز التداوى بذلك بل قد ثبت في الصحيح عن النبي أنه  
سئل عن الخمر يتداوى بها فقال إنها داء وليست بدواء  
وفي السنن عنه أنه نهى عن الدواء بالخبيث وقال ان الله لم  
يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها وليس ذلك بضرورة فإنه  
لا يتيقن الشفاء بها كما يتيقن الشبع باللحم المحرم ولأن الشفاء لا  
يتعين له طريق بل يحصل بأنواع من الأدوية وبغير ذلك بخلاف  
المخمصة فإنها لا تزول إلا بالأكل <sup>221</sup>

<sup>219</sup>219 مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 269 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص:

563

<sup>220</sup>مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 276

## { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدَىٰ مِّنَ اللَّهِ }

\*أعلم الناس من كان رأيه واستصلاحه واستحسانه وقياسه موافقا للنصوص كما قال مجاهد أفضل العبادة الرأي الحسن وهو اتباع السنة ولهذا قال تعالى { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } سبأ6 ولهذا كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة والشريعة في مسائل الاعتقاد الخبرية ومسائل الأحكام العملية أهل الأهواء لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم فصاحبه ممن اتبع هواه بغير علم ولهذا يذكر الله في القرآن من يتبع هواه بغير علم ويذم من يتبع هواه بغير هدى من الله كما قال تعالى { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدَىٰ مِّنَ اللَّهِ } القصص50 وقال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بَغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } الأنعام119 وكل من اتبع هواه اتبعه بغير علم إذ لا علم بذلك إلا بهدي الله الذي بعث الله به رسله كما قال تعالى { فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} طه123-124 ولهذا ذم الله الهوى في مواضع من كتابه واتباع الهوى يكون في الحب والبغض كقوله تعالى { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } ص26 فهنا يكون اتباع الهوى هو ما يخالف الحق في الحكم قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَّوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } النساء135 فهنا يكون اتباع الهوى فيما يخالف القسط من الشهادة وغيرها

والحق هو العدل واتباع الهوى في خلاف ذلك هو من الظلم وقد نهى رسول الله عن اتباع أهواء الخلق وقال تعالى {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} البقرة 120 فنهاه عن اتباع أهواء الذين أوتوا الكتاب بعد ما جاءه من العلم وكذلك قال تعالى في الآية الأخرى {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} البقرة 145 وقال تعالى {وَأَن أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} المائدة 49 وقال تعالى {قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 150 فقد نهاه عن اتباع أهواء المشركين واتباع أهواء أهل الكتاب وحثه أن يفتنوه عما أنزل الله إليه من الحق وذلك يتضمن النهي عن اتباع أهواء أحد في خلاف شريعته وسنته وكذا أهل الأهواء من هذه الأمة وقد بين ذلك في قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} {18} {إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} {19} الجاثية 18-19 فقد أمره في هذه الآية باتباع الشريعة التي جعله عليها ونهاه عن اتباع ما يخالفها وهي أهواء الذين لا يعلمون ولهذا كان كل من خرج عن الشريعة والسنة من أهل الأهواء كما سماهم السلف وقال تعالى {وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ} المؤمنون 71 وقال تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ} المائدة 77 وقال تعالى {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ

كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ {الأنعام 119} وقال تعالى

{قَالُوا لَوْلَا أُوْتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ  
مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ} {القصص 48} إلي قوله {فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ  
عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {49} {فَإِنْ لَّمْ  
يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ  
هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ} {50} {القصص 49-50} وقال تعالى {وَمِنْهُمْ مَّنْ  
يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا  
قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} {16}  
وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} {17} محمد 16-17

فذكر الذين أوتوا العلم وهم الذين يعلمون أن ما أنزل إليه من ربه  
الحق ويفقهون ما جاء به وذكر المطبوع علي قلوبهم فلا يفقهون  
إلا قليلا الذين اتبعوا أهوائهم يسألونهم ماذا قال الرسول آنفا وهذه  
حال من لم يفقه الكتاب والسنة بل يستشكل ذلك فلا يفقهه أو قرأه  
متعارضا متناقضا وهي صفة المنافقين ثم ذكر صفة

المؤمنين فقال تعالى {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ  
محمد 17 زيادة الهدى وهو ضد الطبع علي قلوب أولئك وآتاهم  
تقواهم وهو ضد اتباع أولئك الأهواء فصاحب التقوى ضد  
صاحب الأهواء كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى  
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ} {40} {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ

الْمَأْوَىٰ} {41} {النازعات 40-41} وقال تعالى {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ  
كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ  
رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا  
وأهلها} {الفتح 26}

222



## اتباع الأهواء في الديانات أعظم من اتباع الأهواء في الشهوات

\* والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء ومعلوم أن الحي العالم لا يختار أن يحب ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع هواه بغير علم وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية<sup>223</sup>

\* فان من الناس من يكون حبه وبغضه وارادته وكرهته بحسب محبة نفسه وبغضها لا بحسب محبة الله ورسوله وبغض الله ورسوله وهذا من نوع الهوى فان اتبعه الانسان فقد اتبع هواه {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} القصص 50 فان أصل الهوى محبة النفس ويتبع ذلك بغضها ونفس الهوى وهو الحب والبغض الذي في النفس لا يلام عليه فان ذلك قد لا يملك وإنما يلام على اتباعه كما قال تعالى {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} ص 26 وقال تعالى {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} القصص 50 وقال النبي ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى وكلمة الحق في الغضب والرضا وثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والحب والبغض بتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض ووجد واردة وغير ذلك فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتبع

<sup>223</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 16

هو اه بغير هدى من الله بل قد يصعد به الأمر الى أن يتخذ الهه  
هو اه واتباع الأهواء فى الديانات أعظم من اتباع الاهواء فى  
الشهوات فان الأول حال الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين  
كما قال تعالى {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ  
وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ} القصص 50 وقال تعالى {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ  
أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَّا رَزَقْنَاكُمْ  
فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ} الروم 28 الآية الى ان قال {بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} الروم 29 وقال تعالى {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا  
حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ  
بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام 119 الآية وقال تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ  
لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ  
قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} المائدة 77 وقال  
تعالى {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ  
إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ  
الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} البقرة 120 وقال تعالى  
فى الآية الأخرى {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَّا جَاءَكَ مِنَ  
الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} البقرة 145 وقال {وَأَن احْكُم بَيْنَهُم  
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} المائدة 49 ولهذا كان من  
خرج عن موجب الكتاب والسنة من العلماء والعباد يجعل من  
أهل الاهواء كما كان السلف سمونهم أهل الاهواء وذلك ان كل  
من لم يتبع العلم فقد اتبع هو اه والعلم بالدين لا يكون الا بهدى الله  
الذى بعث به رسوله ولهذا قال تعالى فى موضع {وَإِنَّ كَثِيرًا  
لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} الأنعام 119 وقال فى موضع آخر  
{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} القصص 50  
فالواجب على العبد أن ينظر فى نفس حبه وبغضه ومقدار حبه  
وبغضه هل هو موافق لأمر الله ورسوله وهو هدى الله الذى  
أنزله على رسوله بحيث يكون مأمورا بذلك الحب والبغض لا

يكون متقدما فيه بين يدي الله ورسوله فانه قد قال { لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } الحجرات 1 ومن أحب أو أبغض قبل أن يأمره الله ورسوله ففيه نوع من التقدم بين يدي الله ورسوله ومجرد الحب والبغض هوى لكن المحرم اتباع حبه وبغضه بغير هدى من الله ولهذا قال { وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } ص 26 فأخبر أن من اتبع هواه أضله ذلك عن سبيل الله وهو هداة الذي بعث به رسوله وهو السبيل اليه <sup>224</sup>

\*فليس لأحد أن يعمل في الدين إلا ما شرعه الله ورسوله دون ما يشتهي بهواه قال الله تعالى { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } القصص 50 وقال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام 119 <sup>225</sup>

## كل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة فهو من

### أهواء

أن الشخص إما أن يبين له أن ما بعث الله به رسوله حق ويعدل عن ذلك إلى اتباع هواه أو يحسب أن ما هو عليه من ترك ذلك هو الحق فهذا متبع للظن والأول متبع لهواه اجتماع الأمرين قال تعالى في صفة الاولين { فَانَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام 33 وقال تعالى في صفة الآخسرين { قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا } { 103 } الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } { 104 } الكهف 103-104 فالأول حال المغضوب عليهم الذين يعرفون الحق

<sup>224</sup> مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 132-138 و الاستقامة ج: 2 ص: 224

ولا يتبعونه كما هو موجود في اليهود والثاني حال الذين يعملون بغير علم قال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام 119 <sup>226</sup>

\*قال تعالى { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } {148} قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } {149} الأنعام 148- 149 مطالبة بالعلم ودم لمن يتبع الظن وما عنده علم وكذلك قوله { نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } الأنعام 143 وقوله { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام 119 وأمثال ذلك دم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن <sup>227</sup>

فإن إتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذي يحبه ورد القول والفعل الذي يبغضه بلا هدى من الله قال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام 119 فمن أتبع أهواء الناس بعد العلم الذي بعث الله به رسوله وبعد هدى الله الذي بينه لعباده فهو بهذه المثابة ولهذا كان السلف يسمون أهل البدع والتفرق المخالفين للكتاب والسنة أهل الأهواء حيث قبلوا ما أحبوه وردوا ما أبغضوه بأهوائهم بغير هدى من الله <sup>228</sup>

\* ولهذا كان من خرج عن موجب الكتاب والسنة من المنسويين الى العلماء والعباد يجعل من اهل الالهواء كما كان السلف يسمونهم اهل الالهواء وذلك ان كل من لم يتبع العلم فقد اتبع هواه والعلم بالدين لا يكون الا بهدي الله الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال الله تعالى في موضع { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } الأنعام 119 وقال في موضع اخر

<sup>226</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 200

<sup>227</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 111

<sup>228</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 189

{ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدَىٰ مِّنَ اللَّهِ } { القصص 50  
 فالواجب على العبد ان ينظر في نفس حبه وبغضه ومقدار حبه  
 وبغضه هل هو موافق لأمر الله ورسوله وهو هدى الله الذي  
 انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم بحيث يكون مأمورا بذلك  
 الحب والبغض لا يكون متقدما فيه بين يدي الله ورسوله<sup>229</sup>

\*وقال أبو الحسين النوري من رأيته يدعى مع الله حالة تخرجه  
 عن حد العلم الشرعي فلا تقربن منه وقال أبو عثمان  
 النيسابوري الصحبة مع الله بحسن الأدب ودوام الهيبة والمراقبة  
 والصحبة مع الرسول ص بأتباع سنته ولزوم ظاهر العلم  
 والصحبة مع أولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع الأهل  
 بحسن الخلق والصحبة مع الإخوان بدوام البشر ما لم يكن إثما  
 والصحبة مع الجهالة بالدعاء لهم والرحمة عليهم وذلك لأنه  
 لما كان أصل الطريق هو الإرادة والقصد والعمل في ذلك فيه من  
 الحب والوجد ما لا ينضب فكثير ما يعمل السالك بمقتضى ما  
 يجده في قلبه من المحبة وما يدركه ويذوقه من طعم العبادة وهذا  
 إذا لم يكن موافقا لأمر الله ورسوله وإلا كان صاحبه في ضلال  
 من جنس ضلال المشركين وأهل الكتاب الذين اتبعوا أهوائهم  
 بغير هدى من الله قال الله تعالى { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا دُكِرَ  
 اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ  
 وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بَغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ  
 { الأنعام 119 فالشريعة التي جعله عليها تتضمن ما أمر به  
 وكل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة فهو من أهواء  
 الذين لا يعلمون فإن العلم بما يحبه الله إنما هو ما أنزله الله إلى  
 عباده من هداية ولهذا قال في إحدى الآيتين { وَإِنَّ كَثِيرًا  
 لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بَغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ  
 { الأنعام 119 وقال في الآية الأخرى { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ

اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ { القصص 50 فكل من اتبع ذوقاً أو  
 وجداً بغير هدى من الله سواء كان ذلك عن حب أو بغض فليس  
 لأحد أن يتبع ما يحبه فيأمر به ويتخذ ديناً وينهى عما يبغضه  
 ويذمه ويتخذ ذلك ديناً إلا بهدى من الله وهو شريعة الله التي جعل  
 عليها رسوله ومن اتبع ما يهواه حبا وبغضا بغير الشريعة فقد  
 اتبع هواه بغير هدى من الله <sup>230</sup>

## صلاح بنى آدم الإيمان والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيطان

\* أن العمل إما بمعرفة الحق وإتباعه فى العلم والعمل جميعاً  
 صلاح القول والعمل العلم والإرادة والعلم أصل العمل و  
 أصل الإرادة والمحبة وغير ذلك وهو مستلزم له مالم يحصل  
 معارض مانع فالعلم بالحق يوجب إتباعه إلا لمعارض راجح  
 مثل إتباع الهوى بالإستكبار ونحوه كحال الذين قال الله فيهم  
 { سَأَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ  
 يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا  
 وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } الأعراف 146 وقال  
 { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } النمل 14 وقال  
 { فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ } الأنعام 33  
 ولهذا قال { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ  
 النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ } ص 26 ونحو  
 ذلك فإن أصل الفطرة التي فطر الناس عليها إذا سلمت من  
 الفساد إذا رأت الحق إتبعته وأحبته إذ الحق نوعان حق  
 موجود فالواجب معرفته والصدق فى الإخبار عنه وضد ذلك

<sup>230</sup> الاستقامة ج: 1 ص: 252-253

الجهل والكذب وحق مقصود وهو النافع للإنسان فالواجب إرادته والعمل به وضد ذلك إرادة الباطل وإتباعه ومن المعلوم أن الله خلق في النفوس محبة العلم دون الجهل ومحبة الصدق دون الكذب ومحبة النافع دون الضار وحيث دخل ضد ذلك فلمعارض من هوى وكبر وحسد ونحو ذلك كما انه في صالح الجسد خلق الله فيه محبة الطعام والشراب الملائم له دون الضار فإذا إشتهى ما يضره أن كره ما ينفعه فلمرض في الجسد وكذلك أيضا إذا إندفع عن النفس المعارض من الهوى والكبر والحسد وغير ذلك أحب القلب ما ينفعه من العلم النافع والعمل الصالح كما أن الجسد إذا إندفع عنه المرض أحب ما ينفعه من الطعام والشراب فكل واحد من وجود المقتضى وعدم الدافع سبب للآخر وذلك سبب لصلاح حال الإنسان وضدهما سبب لُضد ذلك فإذا ضعف العلم غلبه الهوى الإنسان وإن وجد العلم والهوى وهما المقتضى والدافع فالحكم للغالب وإذا كان كذلك فصلاح بنى آدم الإيمان والعمل الصالح ولا يخرجهم عن ذلك إلا شيئان أحدهما الجهل المضاد للعلم فيكونون ضلالا والثانى إتباع الهوى والشهوة اللذين فى النفس فيكونون غواة مغضوبا عليهم ولهذا قال { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ } {1} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ } {2} النجم 1-2 وقال عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ فوصفهم بالرشد الذى هو خلاف الغى وبالهدى الذى هو خلاف الضلال وبهما يصلح العلم والعمل جميعا ويصير الإنسان عالما عادلا لا جاهلا ولا ظالما وهم فى الصلاح على ضربين تارة يكون العبد إذا عرف الحق وتبين له إتبعه وعمل به فهذا هو الذى يدعى الحكمة وهو الذى يتذكر وهو الذى يحدث له القرآن ذكرا والثانى ان يكون له من الهوى والمعارض ما يحتاج معه إلى الخوف الذى ينهى النفس عن الهوى فهذا يدعى بالموعظة الحسنة وهذا هو القسم الثانى المذكور فى قوله { أَوْ يَخْشَى } طه 44 وفى قوله { لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } طه 113 وقد قال فى

السورة فى قصة فرعون { اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ } {17} فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ } {18} وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ } {19} النزاعات 17-19 فجمع بين التزكى والهدى والخشية كما جمع بين العلم والخشية فى قوله { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } {فاطر 28} وفى قوله { وَفِي نَسَخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَدُّونَ } {الأعراف 154} وفى قوله { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } {66} { وَإِذَا لَا تَأْتِنَاهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } {67} { وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } {68} النساء 66-68 وذلك لما ذكرنا من أن كل واحد من العلم بالحق الذى يتضمنه التذكر والذكر الذى يحدثه القرآن ومن الخشية المانعة من إتباع الهوى سبب لصلاح حال الإنسان وهو مستلزم للآخر إذا قوى على ضده فإذا قوى العلم والتذكر دفع الهوى وإذا اندفع الهوى بالخشية أبصر القلب وعلم وهاتان هما الطريقة العلمية والعملية كل منهما إذا صحت تستلزم ما تحتاج إليه من الأخرى وصلاح العبد ما يحتاج إليه ويجب عليه منهما جميعا ولهذا كان فساده بإنتفاء كل منهما فإذا إنتفى العلم الحق كان ضالاً غير مهتد وإذا إنتفى إتباعه كان غاوريا مغضوبا عليه ولهذا قال { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {الفاحة 7} وقال { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ } {1} { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ } {2} { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ } {3} { إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } {4} { النجم 1-4} وقال فى ضد ذلك { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ } {النجم 23} وقال { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } {القصص 50} وقال { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } {الأنعام 119}

231



## وجود العلم بخبر من الأخبار هو الضابط في حصول التواتر

\*فالأسباب العارضة لغلط الحس والباطن أو الظاهر والعقل بمنزلة المرض العارض لحركة البدن والنفس والأصل هو الصحة في الإدراك وفي الحركة فإن الله خلق عباده على الفطرة وهذه الأمور يعلم الغلط فيها بأسبابها الخاصة كالمرّة الصفراء العارضة للطعم وكالحول في العين ونحو ذلك وإلا فمن حاسب نفسه على ما يجزم به وجد أكثر الناس الذين يجزمون بما لا يجزم به إنما جزمهم لنوع من الهوى كما قال تعالى {وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} {الأنعام 119} وقال { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } {القصص 50} ولهذا تجد اليهود يصممون ويصرون على باطلهم لما في نفوسهم من الكبر والحسد والقسوة وغير ذلك من الأهواء وأما النصارى فأعظم ضلالا منهم وإن كانوا في العادة والأخلاق أقل منهم شرا فليسوا جازمين بغالب ضلالهم بل عند الاعتبار تجد من ترك الهوى من الطائفتين ونظر نوع نظر تبين له الإسلام حقا والمقصود هنا أن معرفة الإنسان بكونه يعلم أو لا يعلم مرجعه إلى وجود نفسه عالمة ولهذا لا نحتج على منكر العلم إلا بوجودنا نفوسنا عالمة كما احتجوا على منكري الأخبار المتواترة بأننا نجد نفوسنا عالمة بذلك وجازمة به كعلمنا وجزمنا بما أحسنناه وجعل المحققون وجود العلم بخبر من الأخبار هو الضابط في حصول التواتر إذ لم يحدوه بعدد ولا صفة بل متى حصل العلم كان هو المعتبر والإنسان يجد نفسه عالمة وهذا حق فإنه لا يجوز أن يستدل الإنسان على كونه عالما بدليل فإن علمه بمقدمات ذلك الدليل يحتاج إلى أن يجد نفسه عالمة بها فلو احتاج علمه بكونه عالما إلى دليل أفضى إلى الدور أو التسلسل ولهذا لا يحس الإنسان بوجود العلم عند وجود سببه إن كان بديهيا أو إن كان نظريا إذا علم المقدمتين وبهذا استدل على منكري إفادة

النظر العلم وإن كان في هذه المسألة تفصيل ليس هذا موضعه فالغرض أن من نظر في دليل يفيد العلم وجد نفسه عالمة عند علمه بذلك الدليل كما يجد نفسه سامعة رائية عند الاستماع للصوت والترائي للشمس أو الهلال أو غير ذلك والعلم يحصل في النفس كما تحصل سائر الإدراكات والحركات بما يجعله الله من الأسباب وعامة ذلك بملائكة الله تعالى فإن الله سبحانه ينزل بها على قلوب عباده من العلم والقوة وغير ذلك ما يشاء ولهذا قال النبي لحسان اللهم أيده بروح القدس وقال تعالى { كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ } المجادلة 22 وقال صلى الله عليه وسلم من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يطلب القضاء ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده وقال عبدالله بن مسعود كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقال ابن مسعود أيضا أن للملك لمة وللشيطان لمة فلمة الملك إبعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة الشيطان إبعاد بالشر وتكذيب بالحق وهذا الكلام الذي قاله ابن مسعود هو محفوظ عنه وربما رفعه بعضهم إلى النبي وهو كلام جامع لأصول ما يكون من العبد من علم وعمل من شعور وإرادة وذلك أن العبد له قوة الشعور والإحساس والإدراك وقوة الإرادة والحركة وإحداهما أصل الثانية مستلزمة لها والثانية مستلزمة للأولى ومكملة لها فهو بالأولى يصدق بالحق ويكذب بالباطل والثانية يحب النافع الملائم له ويبغض الضار المنافي له والله سبحانه خلق عباده على الفطرة التي فيها معرفة الحق والتصديق به ومعرفة الباطل والتكذيب به ومعرفة النافع الملائم والمحبة له ومعرفة الضار المنافي والبغض له بالفطرة فما كان حقا موجودا صدقت به الفطرة وما كان حقا نافعا عرفته الفطرة فأحبتة واطمأنت إليه وذلك هو المعروف وما كان باطلا معدوما كذبت به الفطرة فأبغضته الفطرة فانكرته قال تعالى { يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ } الأعراف 157 والإنسان كما سماه النبي حيث قال أصدق الأسماء حارث وهمام فهو دائما يهيم

ويعمل لكنه لا يعمل إلا ما يرجو نفعه أو دفع مضرته ولكن قد يكون ذلك الرجاء مبينا على اعتقاد باطل إما في نفس المقصود فلا يكون نافعا ولا ضارا وإما في الوسيلة فلا تكون طريقا إليه وهذا جهل وقد يعلم أن هذا الشيء يضره ويفعله ويعلم أنه ينفعه ويتركه لأن ذلك العلم عارضه ما في نفسه من طلب لذة أخرى أو دفع ألم آخر جاهلا ظالما حيث قدم هذا على ذاك ولهذا قال أبو العالية سألت أصحاب محمد فمبدأ العلم الحق والإرادة الصالحة من لمة الملك ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان قال الله تعالى {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} البقرة 268 وقال تعالى {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} آل عمران 175 أي يخوفكم أوليائه وقال تعالى {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ} الأنفال 48 والشيطان وسواس خناس إذا ذكر العبد ربه خنس فإذا غفل عن ذكره وسوس فلهذا كان ترك ذكر الله سببا ومبدأ لنزول الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة في القلب ومن ذكر الله تعالى تلاوة كتابه وفهمه ومذاكرة العلم كما قال معاذ بن جبل ومذاكرته تسبيح

232

### لا يحل لأحد أن يتكلم في الدين بلا علم

\*ومن أصر على فعل شيء من البدع وتحسينها فإنه ينبغي أن يعزر تعزيرا يردعه وأمثاله عن مثل ذلك ومن نسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الباطل خطأ فإنه يعرف فإن لم ينته عوقب ولا يحل لأحد أن يتكلم في الدين بلا علم ولا يعين من تكلم

<sup>232</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 30-34

في الدين بلا علم أو أدخل في الدين ما ليس منه وأما قول القائل كل يعمل في دينه الذي يشتهي فهي كلمة عظيمة يجب أن يستتاب منها وإلا عوقب بل الإصرار على مثل هذه الكلمة يوجب القتل فليس لأحد أن يعمل في الدين إلا ما شرعه الله ورسوله دون ما يشتهيهِ ويهواه قال الله تعالى { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى مِّنَ اللَّهِ { القصص 50 وقال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بغيرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ { الأنعام 119 } وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ { ص 26 وقال { وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ { المائدة 77 وقال تعالى { أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا { 43 } أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا { 44 } الفرقان 43-44 وقال تعالى { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا { النساء 65 وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به قال تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا { 60 } وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا { 61 } النساء 60-61 وقال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ { الشورى 21 وقال تعالى { { المص 1 } كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنذَرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ { 2 } اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ { 3 } الأعراف 1-3 وقال تعالى { وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ { المؤمنون 71 وأمثال هذا في القرآن كثير

فتبين أن على العبد أن يتبع الحق الذي بعث الله به رسوله ولا يجعل دينه تبعا لهواه و الله أعلم<sup>233</sup>

## النفس خائنة لها في السر أهواء و أفعال باطنة

\* النفس خائنة لها في السر أهواء و أفعال باطنة تخفي على الناس قال تعالى {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} غافر 19 وقال تعالى {وَدَرُّوا ظَاهِرًا الْإِثْمَ وَبَاطِنَهُ} الأنعام 120 وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ} الأعراف 33<sup>234</sup>

\* ومن هذا الباب ما يفعله قوم من المتزهدة من كشف سوءاتهم في سماعاتهم وحماتهم او غير ذلك ويقولون هذا طريقنا وهذا في طريقنا فهذا مثل قولهم {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا} الأعراف 28 وابلغ من ذلك تعبد طوائف من المتزهدة والمتعبدة بمعاشرة الاحداث المردان والنساء الاجانب والنظر اليهم والخلوة بهم والمحبة والهوى فيهم وبما قد يكون وقد لا يكون وراء ذلك من الفاحشة الكبرى وهذا ابتداء المشركون من الصابئة وغير الصابئة الذين هم اولياء الشياطين الذين هم مشركون كما ذكر ابن سينا في إشاراتِه و زعم انه مما يعين على السلوك والتأله العشق العفيف واستماع الاصوات الملحنة كما ذكر ايضا الشرك بعبادة الصور ويذكر هو وطائفته عبادة الكواكب وهذا في النصرى ايضا منه جانب قوي وهم ايضا قد ابتدعوا شركا لم ينزل الله به سلطانا كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه

<sup>233</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 4

<sup>234</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 447

عما يشركون سورة التوبة 31 ولهذا كثر هذا في طوائف  
 الزهاد والعباد من هذه الامة من المبتدعة الخارجين عن الشريعة  
 ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الوجه وان كانوا من  
 وجه اخر داخليين فيها فهذا شأن الطرائق المبتدعة كلها  
 يجتمع فيها الحق والباطل ومن المعلوم ان هذا الذي يفعلونه من  
 الفواحش الظاهرة او الباطنة وقد قال تعالى **{ وَذَرُوا**  
**ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا**  
**يَقْتَرِفُونَ } الأنعام 120** وقد قال في الصحيحين عن ابن عباس  
 ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العينان تزنيان  
 وزناهما النظر الاذنان تزنيان وزناهما السمع واللسان يزني  
 وزناه النطق والقلب يتمنى ذلك ويشتهي والفرج يصدق ذلك  
 ويكذبه فما كان من السمع والبصر واللسان في هذا الباب فهو من  
 زناه والزنا من الفواحش والله لا يأمر بالفحشاء فالله تعالى لا  
 يأمر ان يعبده ويتقرب اليه بالعشرة للمردان الصباح والنظر  
 اليهم والاصغاء الى كلامهم ونحو ذلك **{ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا**  
**تَعْلَمُونَ } الأعراف 28** بل قد حرم الفواحش ما ظهر منها وما  
 بطن وان اتي هذه الفواحش معتقدا تحريمها فهو من المسلمين  
 الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابي ذر من  
 مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وان زنا وان سرق فإن  
 المسلم الذي يأتي بفاحشة اما ان يتوب الى الله ويستغفره فيدخل  
 في قوله **{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ**  
**فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُمْ سَأَلُوا اللَّهَ عَنِ**  
**فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } {135} أُولَئِكَ جَزَاءُ هُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ**  
**وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ**  
**الْعَامِلِينَ } {136}** ال عمران 135- 136 والمسلم اذا اتي  
 الفاحشة لا يكفر وان كان كمال الايمان الواجب قد زال عنه كما  
 في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزني  
 الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق  
 وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينتهب

نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه فيها ابصارهم وهو مؤمن  
 فأصل الايمان معه وهو قد يعود الى المعصية ولكنه يكون مؤمنا  
 اذا فارق الدنيا كما في الصحيح عن عمر ان رجلا كان يدعي  
 حمارا وكان يشرب الخمر وكان كلما اتي به الى النبي صلى الله  
 عليه وسلم امر بجلده فقال رجل لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به الى  
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا  
 تلعنه فإنه يحب الله ورسوله فشهد له بأنه يحب الله ورسوله ونهى  
 عن لعنته كما تقدم في الحديث الاخر الصحيح وان زنا وان سرق  
 وذلك ان معه اصل الاعتقاد ان الله حرم ذلك ومعه خشية عقاب  
 الله ورجاء رحمة الله وايمانه بأن الله يغفر الذنب ويأخذ به فيغفر  
 الله له به كما في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم وقال اذنب عبد ذنبا فقال أي رب اني اذنبت ذنبا  
 فاغفر لي فقال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد  
 غفرت لعبدي ثم اذنب ذنبا اخر فقال أي رب اذنبت ذنبا فاغفره  
 لي فقال ربه علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت  
 لعبدي ثم اذنب ذنبا آخر فقال أي رب قد اذنبت ذنبا فاغفره لي  
 فقال علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي  
 فليفعل ما شاء وكذلك في الصحاح من غير وجه حديث الذي  
 لم يعمل خيرا قط وقال لأهله اذا انا مت فاحرقوني ثم اسحقوني  
 ثم ذروني في يوم ريح الحديث فقال الله له ما حملك على ما  
 فعلت قال خشيتك يا رب فغفر الله له بتلك الخشية<sup>235</sup>

### الأدلة الصحيحة لا تتناقض

\*وأحق الناس بالحق من علق الأحكام بالمعاني التي علقها بها  
 الشارع وهذا موضع تفاوت فيه الناس وتنازعوا هل يستفاد ذلك

من خطاب الشارع أو من المعاني القياسية فقوم زعموا أن أكثر أحكام أفعال العباد لا يتناولها خطاب الشارع بل تحتاج إلى القياس وقوم زعموا أن جميع أحكامها ثابتة بالنص وأسرفوا في تعلقهم بالظاهر حتى أنكروا فحوى الخطاب وتنبيهه كقوله تعالى { فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ } الإسراء 23 وقالوا إن هذا لا يدل إلا على النهي عن التأنيف لا يفهم منه النهي عن الضرب والشتم وأنكروا تنقيح المناط وادعوا في الألفاظ من الظهور ما لا تدل عليه وقوم يقدمون القياس تارة لكون دلالة النص غير تامة أو لكونه خبر الواحد وأقوام يعارضون بين النص والقياس ويقدمون النص ويتناقضون ونحن قد بينا في غير هذا الموضوع أن الأدلة الصحيحة لا تتناقض فلا تتناقض الأدلة الصحيحة العقلية والشرعية ولا تتناقض دلالة القياس إذا كانت صحيحة ودلالة الخطاب إذا كانت صحيحة فإن القياس الصحيح حقيقة التسوية بين المتماثلين وهذا هو العدل الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل والرسول لا يأمر بخلاف العدل ولا يحكم في شيئين متماثلين بحكمين مختلفين ولا يحرم الشيء ويحل نظيره وقد تأملنا عامة المواضع التي قيل إن القياس فيها عارض النص وإن حكم النص فيها على خلاف القياس فوجدنا ما خصه الشارع بحكم عن نظائره فإنما خصه به لاختصاصه بوصف أو جب اختصاصه بالحكم كما خص العرايا بجواز بيعها بمثلها خرصا لتعذر الكيل مع الحاجة إلى البيع والحاجة توجب الانتقال إلى البديل عند تعذر الأصل فالخرص عند الحاجة قام مقام الكيل كما يقوم التراب مقام الماء والميتة مقام المذكي عند الحاجة وكذلك قول من قال القرض أو الإجارة أو القراض أو المساقاة أو المزارعة ونحو ذلك على خلاف القياس إن أراد به أن هذه الأفعال اختلفت بصفات أو جبت أن يكون حكمها مخالفا لحكم ما ليس مثلها فقد صدق وهذا هو مقتضى القياس وإن أراد أن الفعلين المتماثلين حكم فيهما بحكمين مختلفين فهذا خطأ ينزه عنه من هو دون الأنبياء صلوات الله عليهم ولكن هذه الأقيسة



المعارضة هي الفاسدة كقياس الذين قالوا { إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } البقرة 275 وقياس الذين قالوا أتأكلون ما قتلتهم ولا تأكلون ما قتل الله يعنون الميتة وقال تعالى { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } الأنعام 121 ولعل من رزقه الله فهما وآتاه من لدنه علما يجد عامة الأحكام التي تعلم بقياس شرعي صحيح يدل عليها الخطاب الشرعي كما أن غاية ما يدل عليه الخطاب الشرعي هو موافق للعدل الذي هو مطلوب القياس الصحيح وإذا كان الأمر كذلك فالكلام في أعيان أحوال الرجل السالك يحتاج إلى نظر خاص واستهداء من الله و الله قد أمر العبد أن يقول في كل صلاة { اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {7} الفاتحة 6-7 فعلى العبد أن يجتهد في تحقيق هذا الدعاء ليصير من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

236

وجماع شبه هؤلاء الكفار أنهم قاسوا الرسول على من فرق الله بينه وبينه وكفروا بفضل الله الذي اختص به رسله فأتوا من جهة القياس الفاسد ولا بد في القياس من قدر مشترك بين المشبه والمشبه به مثل جنس الوحي والتنزيل فان الشياطين ينزلون على أوليائهم ويوحون إليهم كقوله سبحانه { هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ } {221} تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ } {222} يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ } {223} الشعراء 221-223

237

236 الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 516-517

237 مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 18

## القياس الذي يتبع

\*أن النصوص شاملة لعامة أحكام الأفعال وكان الإمام أحمد يقول أنه ما من مسألة يسأل عنها إلا وقد تكلم الصحابة فيها أو في نظيرها والصحابة كانوا يحتجون في عامة مسائلهم بالنصوص كما هو مشهور عنهم وكانوا يجتهدون رأيهم ويتكلمون بالرأي ويحتجون بالقياس الصحيح أيضا والقياس الصحيح نوعان أحدهما أن يعلم أنه لا فارق بين الفرع والأصل إلا فرق غير مؤثر في الشرع كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه سئل عن فأرة وقعت في سمن فقال ألقوها وما حولها وكلوا سمنكم وقد أجمع المسلمون على أن هذا الحكم ليس مختصا بتلك الفأرة وذلك السمن فهذا قال جماهير العلماء إن أي نجاسة وقعت في دهن من الأدهان كالفأرة التي تقع في الزيت وكالهر الذي يقع في السمن فحكمها حكم تلك الفأرة التي وقعت في السمن ومن قال من أهل الظاهر إن هذا الحكم لا يكون إلا في فأرة وقعت في سمن فقد أخطأ فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص الحكم بتلك الصورة لكن لما استفتي عنها أفتى فيها والاستفتاء إذا وقع عن قضية معينة أو عن نوع فأجاب المفتي عن ذلك خصه لكونه سئل عنه لا لا اختصاصه بالحكم ومثل هذا أنه سئل عن رجل أحرم بالعمرة وعليه جبة مضمخة بخلوق فقال انزع عنك الجبة واغسل عنك الخلق وا صنع في عمرتك ما كنت تصنع في حجك فأجاب عن الجبة ولو كان عليه قميص أو نحوه كان الحكم كذلك بالإجماع والنوع الثاني من القياس أن ينص على حكم لمعنى من المعاني ويكون ذلك المعنى موجودا في غيره فإذا قام دليل من الأدلة على أن الحكم متعلق بالمعنى المشترك بين الأصل والفرع سوى بينهما وكان هذا قياسا صحيحا فهذان النوعان كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يستعملونهما وهما من باب فهم مراد الشارع فإن الاستدلال بكلام الشارع بتوقف على أن يعرف

ثبوت اللفظ عنه وعلى أن يعرف مراده باللفظ وإذا عرفنا مراده فإن علمنا أنه حكم للمعنى المشترك لا لمعنى يخص الأصل أثبتنا الحكم حيث وجد المعنى المشترك وإن علمنا أنه قصد تخصيص الحكم بمورد النص منعنا القياس كما أنه علمنا ان الحج خص به الكعبة وإن الصيام الفرض خص به شهر رمضان وإن الاستقبال خص به جهة الكعبة وأن المفروض من الصلوات خص به الخمس ونحو ذلك فإنه يمتنع هنا أن نقيس على المنصوص غيره وإذا عين الشارع مكانا أو زمانا للعبادة كتعيين الكعبة وشهر رمضان أو عين بعض الأقوال والأفعال كتعيين القراءة في الصلاة والركوع والسجود بل وتعيين التكبير وأم القرآن فالحاق غير المنصوص به يشبه حال أهل اليمن الذين أسقطوا تعيين الأشهر الحرم وقالوا المقصود أربعة أشهر من السنة فقال تعالى { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطُّوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ } التوبة 37 وقياس الحلال بالنص على الحرام بالنص من جنس قياس الذين قالوا { إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } البقرة 275 وكذلك قياس المشركين الذين قاسو الميتة بالمذكى وقالوا **أَتَأْكُلُونَ مَا قَتَلْتُمْ وَلَا تَأْكُلُونَ مَا قَتَلَ اللَّهُ قَالَ تَعَالَى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } الأنعام 121** فهذه الأقيسة الفاسدة وكل قياس دل النص على فساده فهو فاسد وكل من ألحق منصوصا بمنصوص يخالف حكمه فقياسه فاسد وكل من سوى بين شئيين أو فرق بين شئيين بغير الأوصاف المعتبرة في حكم الله ورسوله فقياسه فاسد لكن من القياس ما يعلم صحته ومنه ما يعلم فساده ومنه ما لم يتبين أمره فمن أبطل القياس مطلقا فقوله باطل ومن استدل بالقياس المخالف للشرع فقوله باطل ومن استدل بقياس لم يقم الدليل صحته فقد استدل بما لا يعلم صحته بمنزلة من استدل برواية رجل مجهول لا يعلم عدالته فالحجج الأثرية والنظرية تنقسم إلى ما يعلم صحته وإلى ما يعلم فساده وإلى ما هو موقوف حتى يقوم

الدليل على أحدهما ولفظ النص يراد به تارة ألفاظ الكتاب والسنة سواء كان اللفظ دلالاته قطعية أو ظاهرة وهذا هو المراد من قول من قال النصوص تتناول أحكام أفعال المكلفين ويراد بالنص ما دلالاته قطعية لا تحتمل النقيض كقوله { تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ } البقرة 196 { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } الشورى 17 فالكتاب هو النص والميزان هو العدل والقياس الصحيح من باب العدل فإنه تسوية بين المتماثلين وتفريق بين المختلفين ودلالة القياس الصحيح توافق دلالة النص فكل قياس خالف دلالة النص فهو قياس فاسد ولا يوجد نص يخالف قياسا صحيحا كما لا يوجد معقول صريح يخالف المنقول الصحيح ومن كان متبحرا في الأدلة الشرعية أمكنه أن يستدل على غالب الأحكام بالمنصوص وبالأقيسة<sup>238</sup>

\*الجمهور الذين يثبتون القياس قالوا قد ثبت عن الصحابة أنهم قالوا بالرأي واجتهاد الرأي وقاسوا كما ثبت عنهم ذم ما ذموه من القياس قالوا وكلا القولين صحيح فالمدموم القياس المعارض للنص كقياس الذين قالوا إنما البيع مثل الربا وقياس إبليس الذي عارض به أمر الله له بالسجود لآدم وقياس المشركين الذين قالوا أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله قال الله تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } الأنعام 121 وكذلك القياس الذي لا يكون الفرع فيه مشاركا للأصل في مناط الحكم فالقياس يذم إما لفوات شرطه وهو عدم المساواة في مناط الحكم وإما لوجود مانعه وهو النص الذي يجب تقديمه عليه وإن كانا متلازمين في نفس الأمر فلا يفوت الشرط إلا والمانع موجود ولا يوجد المانع إلا والشرط مفقود فأما القياس الذي يستوي فيه الأصل والفرع في مناط الحكم ولم يعارضه ما هو أرجح منه فهذا هو القياس الذي يتبع

<sup>238</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 491-494

ولا ريب أن القياس فيه فاسد وكثير من الفقهاء قاسوا أقيسة فاسدة بعضها باطل بالنص وبعضها مما أتفق السلف على بطلانه لكن بطلان كثير من القياس لا يقتضي بطلان جميعه كما أن وجود الكذب في كثير من الحديث لا يوجب كذب جميعه ومدار القياس على أن صورتين يستويان في موجب الحكم ومقتضاه فمتى كان كذلك كان القياس صحيحا لا شك ولكن قد يظن القاييس ما ليس مناط الحكم مناطا فيغلط ولهذا كان عمدة القياس عند القاييسين على بيان تأثير المشترك الذي يسمونه جواب سؤال المطالبة وهو أن يقال لا نسلم أن علة الحكم في الأصل هو الوصف المشترك بين الأصل والفرع حتى يلحق هذا الفرع به فإن القياس لا تثبت صحته حتى تكون صورتان مشتركتين في المشترك المستلزم للحكم إما في العلة نفسها وإما في دليل العلة تارة بإبداء الجامع وتارة بإلغاء الفارق فإذا عرف أنه ليس بين صورتين فرق يؤثر علم استوائهما في الحكم وإن لم يعلم عين الجامع وهم يثبتون قياس الطرد وهو إثبات مثل حكم الأصل في الفرع لاشتراكهما في مناط الحكم وقياس العكس وهو نفي حكم الأصل عن الفرع لافتراقهما في مناط الحكم فهذا يفرق بينهما لأن العلة المثبتة للحكم في الأصل منتفية في الفرع وذاك يجمع بينهما لوجود العلة المثبتة في الفرع وهذه الأمور مبسوسة في غير هذا الموضوع<sup>239</sup>

\*فان الاستدلال بكلام الشارع يتوقف على ان يعرف ثبوت اللفظ عنه وعلى ان يعرف مراده باللفظ واذا عرفنا مراده فان علمنا انه حكم للمعنى المشترك لا لمعنى يخص الاصل أثبتنا الحكم حيث وجد المعنى المشترك وان علمنا انه قصد تخصيص الحكم بمورد النص منعنا القياس كما أنا علمنا ان الحج خص به الكعبة وان الصيام الفرض خص به شهر رمضان وان الاستقبال خص

<sup>239</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 413-415

به جهة الكعبة وان المفروض من الصلوات خص به الخمس ونحو ذلك فانه يمتنع هنا أن نقيس على المنصوص غيره وإذا عين الشارع مكانا أو زمانا للعبادة كتعيين الكعبة وشهر رمضان أو عين بعض الأقوال والأفعال كتعيين القراءة في الصلاة والركوع والسجود بل وتعيين التكبير وأم القرآن فالحاق غير المنصوص به يشبه حال أهل اليمن الذين أسقطوا تعين الأشهر الحرم وقالوا المقصود أربعة أشهر من السنة فقال تعالى { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَالِهِمْ } التوبة 37 وقياس الحلال بالنص على الحرام بالنص من جنس قياس الذين قالوا { إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا } البقرة 275 وكذلك قياس المشركين الذين قاسوا الميتة بالمذكي وقالوا أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله قال تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } الأنعام 121 فهذه الأقيسة الفاسدة وكل قياس دل النص على فساده فهو فاسد وكل من ألحق منصوبا بمنصوص يخالف حكمه فقياسه فاسد وكل من سوى بين شيئين أو فرق بين شيئين بغير الأوصاف المعتبرة في حكم الله ورسوله فقياسه فاسد لكن من القياس ما يعلم صحته ومنه ما يعلم فساده ومنه ما لم يتبين أمره فمن أبطل القياس مطلقا فقوله باطل ومن استدل بالقياس المخالف للشرع فقوله باطل ومن استدل بقياس لم يقم الدليل على صحته فقد استدل بما لا يعلم صحته بمنزلة من استدل برواية رجل مجهول لا يعلم عدالته

240

<sup>240</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 287-288

## الاسم المجرد لا يفيد الايمان

\*و ما ذكره سيبويه وغيره من ائمة النحو ان العرب يحكون بالقول ما كان كلاما لا يحكون به ما كان قولاً فالقول لا يحكى به الا كلام تام او جملة اسمية او فعلية ولهذا يكسرون ان جاءت بعد القول فالقول لا يحكى به اسم والله تعالى لا يأمر احدا بذكر اسم مفرد ولا شرع للمسلمين اسما مفردا مجردا والاسم المجرد لا يفيد الايمان باتفاق اهل الاسلام ولا يؤمر به فى شىء من العبادات ولا فى شىء من المخاطبات ونظير من اقتصر على الاسم المفرد ما يذكر ان بعض الأعراب مر بمؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله بالنصب فقال ماذا يقول هذا هذا الاسم فاين الخبر عنه الذى يتم به الكلام وما فى القرآن من قوله {وَأَذْكُرَ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّنَ لِيهِ تَبْيِيْلًا} المزملة 8 وقوله {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 وقوله {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} 14 {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} 15 {الاعلى 14-15} وقوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعة 74 ونحو ذلك لا يقتضى ذكره مفردا بل فى السنن انه لما نزل قوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} الواقعة 74 قال اجعلوها فى ركوعكم ولما نزل قوله {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} الأعلى 1 قال اجعلوها فى سجودكم فشرع لهم ان يقولوا فى الركوع سبحان ربي العظيم وفى السجود سبحان ربي الأعلى وفى الصحيح انه كان يقول فى ركوعه سبحان ربي العظيم وفى سجوده سبحان ربي الأعلى وهذا هو معنى قوله اجعلوها فى ركوعكم وسجودكم باتفاق المسلمين فتسبيح اسم ربه الأعلى وذكر اسم ربه ونحو ذلك هو بالكلام التام المفيد كما فى الصحيح عنه انه قال افضل الكلام بعد القرآن اربع وهن من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفى الصحيح عنه انه قال كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وفى الصحيحين عنه

صلى الله عليه وسلم انه قال من قال فى يومه مائة مره لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت احد بأفضل مما جاء به الا رجل قال مثل ما قال او زاد عليه ومن قال فى يومه مائة مره سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم حطت عنه خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر وفى الموطأ وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل ما قلته انا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وفى سنن ابن ماجه وغيره عنه انه قال افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله ومثل هذه الأحاديث كثيرة فى انواع ما يقال من الذكر والدعاء وكذلك ما فى القرآن من قوله تعالى **{ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ { الأنعام 121** وقوله **{ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ { المائدة 4** انما هو قوله بسم الله وهذا جملة تامة اما اسمية على اظهر قولى النحاة او فعلية والتقدير ذبحى باسم الله او اذبح باسم الله وكذلك قول القارىء بسم الله الرحمن الرحيم فتقديره قراءتى بسم الله او اقرأ بسم الله ومن الناس من يضم فى مثل هذا ابتدائى بسم الله او ابتدأت بسم الله والأول احسن لأن الفعل كله مفعول بسم الله ليس مجرد ابتدائه كما اظهر المضمرة فى قوله **{ اقرأ باسم ربك الذي خلق { العلق 1** وفى قوله **{ بسم الله مجراها ومرساها { هود 41** وفى قول النبي من كان ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها اخرى ومن لم يكن ذبح فليذبح بسم الله ومن هذا الباب قول النبي فى الحديث الصحيح لربيعة عمر بن ابي سلمة سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك فالمراد ان يقول بسم الله ليس المراد ان يذكر الاسم مجردا وكذلك قوله فى الحديث الصحيح لعدي بن حاتم اذا ارسلت كلبك المعلم وذكرت اسم الله فكل وكذلك قوله اذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله عند دخوله وعند خروجه وعند طعامه قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وامثال ذلك



كثير وكذلك ما شرع للمسلمين فى صلاتهم واذانهم وحجهم واعيادهم من ذكر الله تعالى انما هو بالحملة التامة كقول المؤذن الله اكبر الله اكبر اشهد ان لا اله الا الله اشهد ان محمدا رسول الله وقول المصلى الله اكبر سبحان ربى العظيم سبحان ربى الاعلى سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد التحيات لله وقول الملبى لبيك اللهم لبيك وامثال ذلك فجميع ما شرعه الله من الذكر انما هو كلام تام لا اسم مفرد لا مظهر ولا مضمرة وهذا هو الذى يسمى فى اللغة كلمة كقوله كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله العظيم وقوله افضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد الا كل شىء ما خلا الله باطل ومنه قوله تعالى {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ} {الكهف5 الآية وقوله {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} {الأنعام115 وامثال ذلك مما استعمل فيه لفظ الكلمة فى الكتاب والسنة بل وسائر كلام العرب فانما يراد به الجملة التامة كما كانوا يستعملون الحرف فى الاسم فيقولون هذا حرف غريب اى لفظ الاسم غريب وقسم سيبويه الكلام الى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم وفعل وكل من هذه الأقسام يسمى حرفا لكن خاصة الثالث انه حرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل وسمى حروف الهجاء باسم الحرف وهى اسماء ولفظ الحرف يتناول هذه الأسماء وغيرها كما قال النبى من قرأ القرآن فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات اما انى لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف وقد سأل الخليل اصحابه عن النطق بحرف الزاى من زيد فقالوا زاي فقال جئتم بالاسم وانما الحرف ز ثم ان النحاة اصطالحوا على ان هذا المسمى فى اللغة بالحرف يسمى كلمة وان لفظ الحرف يخص لما جاء المعنى ليس باسم ولا فعل كحروف الجر ونحوها واما الفاظ حروف الهجاء فيعبر تارة بالحرف عن نفس الحرف من اللفظ وتارة باسم ذلك الحرف ولما غلب هذا الاصطلاح صار يتوهم من اعتاده انه هكذا فى لغة العرب ومنهم من يجعل لفظ

الكلمة في اللغة لفظا مشتركا بين الاسم مثلا وبين الجملة ولا يعرف في صريح اللغة من لفظ الكلمة الا الجملة التامة والمقصود هنا ان المشروع في ذكر الله سبحانه هو ذكره بجملة تامة وهو المسمى بالكلام والواحد منه بالكلمة وهو الذي ينفع القلوب ويحصل به الثواب والأجر والقرب الى الله ومعرفته ومحبته وخشيته وغير ذلك من المطالب العالية والمقاصد السامية واما الاقتصار على الاسم المفرد مظهرا او مضمرا فلا اصل له (كما يقول بعض المتصوفة وغيرهم قول (الله) فقط على اعتبار انه ذكر) فضلا عن ان يكون من ذكر الخاصة والعارفين بل هو وسيلة الى انواع من البدع والضلالات وذريعة الى تصورات احوال فاسدة من احوال اهل الالحاد واهل الاتحاد كما قد بسط الكلام عليه في غير هذا الموضوع <sup>241</sup>

### الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

\*وقد بين سبحانه وتعالى في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ان لله أولياء من الناس وللشيطان أولياء ففرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان وإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {62} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } {63} يونس 62-63 وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة أو فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما

<sup>241</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 233 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 411

افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه  
أحبيته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده  
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وببي يبصر وببي  
يبطش وببي يمشي ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه  
وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي  
المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه وهذا أصح  
حديث يروي في الأولياء فبين النبي أنه من عادى وليا لله فقد  
بارز الله بالمحاربة وفي حديث آخر وإني لأتأثر لأوليائي كما  
يتأثر الليث الحرب أي أخذ تأرهم ممن عادهم كما يأخذ الليث  
الحرب تأره وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه فأحبوا  
ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما  
يسخط وأمروا بما أمر ونهوا عما نهى وأعطوا لمن يحب أن  
يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن  
النبي أنه قال أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله  
وفي حديث آخر رواه أبو داود قال ومن أحب الله وأبغض الله  
وأعطى الله ومنع الله فقد استكمل الإيمان والولاية ضد  
العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض  
والبعد وقد قيل أن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات أي  
متابعته لها والأول اصح والولى القريب فيقال هذا يلي هذا أي  
يقرب منه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ألقوا الفرائض  
بأهلها فما ابقت الفرائض فلاولى رجل ذكر أي لأقرب رجل  
إلى الميت واكده بلفظ الذكر ليبين انه حكم يختص بالذكور  
ولا يشترك فيها الذكور والاناث كما قال فى الزكاة فابن لبون  
ذكر فإذا كان ولي الله هو الموافق المتابع له فيما يحبه  
ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادى  
لوليه معاديا له كما قال تعالى { لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ

أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ { الممتحنة 1 } فمن عادى اولياء الله فقد عاداه ومن عاداه فقد حاربه فلماذا قال ومن عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة <sup>242</sup>

\* واولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدر فأحبهم واحبوه ورضى عنهم ورضوا عنه واعدائه اولياء الشياطين وان كانوا تحت قدرته فهو يبغضهم ويبغض عليهم ويلعنهم ويعاديهم ومجامع الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان وجمع الفرق بينهما اعتبارهم بموافقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه هو الذى فرق الله تعالى به بين اوليائه السعداء واعدائه الأشقياء وبين اوليائه أهل الجنة واعدائه أهل النار وبين اوليائه أهل الهدى والرشاد وبين اعدائه أهل الغي والضلال والفساد واعدائه حزب الشيطان واوليائه الذين كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه قال تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ { المجادلة 22 الآية وقال تعالى { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرِّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ { الأنفال 12 } وقال فى اعدائه { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ { الأنعام 121 } <sup>243</sup>

\* اخبر الله سبحانه وتعالى ان الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بهدى الله الذى بعث به رسله <sup>244</sup>

\* وهؤلاء (صوفية الملاحدة الفلاسفة ) تأتيهم أرواح تخاطبهم وتتمثل لهم وهى جن وشياطين فيظنونها ملائكة كالأرواح التى

<sup>242</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 159

<sup>243</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 272

<sup>244</sup>الاستقامة ج: 2 ص: 171

تخاطب من يعبد الكواكب والأصنام وكان من أول ما ظهر من هؤلاء في الإسلام المختار ابن ابي عبيد الذي اخبر به النبي في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم في صحيحه عن النبي أنه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير وكان الكذاب المختار بن ابي عبيد والمبير الحجاج بن يوسف فقبل لابن عمر وابن عباس ان المختار يزعم انه ينزل إليه فقلا صدق قال الله تعالى { هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ } {221} تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ {222} الشعراء 221-222 وقال الآخر وقيل له ان المختار يزعم انه يوحى إليه فقال قال الله تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِيَّاهُ لِيُجَادِلُوكُمْ } {الانعام 121} <sup>245</sup>

## الرسالة روح العالم ونوره وحياته

\*قاعدة نافعة في وجوب الاعتصام بالرسالة وبيان ان السعادة والهدى في متابعة الرسول وأن الضلال والشقاء في مخالفته وان كل خير في الوجود إما عام وإما خاص فمنشأه من جهة الرسول وأن كل شر في العالم مختص بالعبد فسببه مخالفة الرسول أو الجهل بما جاء به وأن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها وحاجتهم اليها فوق حاجتهم الى كل شيء والرسالة روح العالم ونوره وحياته فأى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور والذنيا مظلمة ملعونة الا ما طلعت عليه شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات قال الله تعالى { أَوْ مِنْ كَانٍ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ

<sup>245</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 238-239

**بَخَارِجُ مَنَهَا { الأَنْعَامُ 122** فهذا وصف المؤمن كان ميتا فى ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان وجعل له نورا يمشى به فى الناس واما الكافر فميت القلب فى الظلمات وسمى الله تعالى رسالته روحا والروح اذا عدم فقد فقدت الحياة قال الله تعالى { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا { الشورى 52 فذكر هنا الأصلين وهما الروح والنور فالروح الحياة والنور النور وكذلك يضرب الله الأمثال للوحى الذى انزله حياة للقلوب ونورا لها بالماء الذى ينزله من السماء حياة للأرض وبالنار التى يحصل بها النور وهذا كما فى قوله تعالى { أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعِ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ { الرعد 17 فشبّه العلم بالماء المنزل من السماء لأن به حياة القلوب كما ان

بالماء حياة الأبدان وشبه القلوب بالأودية لأنها محل العلم كما ان الأودية محل الماء فقلب يسع علما كثيرا وواد يسع ماء كثيرا وقلب يسع علما قليلا وواد يسع ماء قليلا وأخبر تعالى أنه يعلو على السيل من الزبد بسبب مخالطة الماء وأنه يذهب جفاء أى يرمى به ويخفى والذى ينفع الناس يمكث فى الأرض ويستقر وكذلك القلوب تخالطها الشهوات والشبهات فاذا ترابى فيها الحق ثارت فيها تلك الشهوات والشبهات ثم تذهب جفاء ويستقر فيها الايمان والقرآن الذى ينفع صاحبه والناس وقال { وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيَّةٍ أَوْ مَتَاعِ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ { الرعد 17 فهذا المثل الآخر وهو النارى فالأول للحياة والثانى للضياء ونظير هذين المثالين المثالان المذكوران فى سورة البقرة فى قوله تعالى { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا { البقرة 17 الى قوله { أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ

ظَلَمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ { البقرة 19 الى آخر الآية واما الكافر ففي ظلمات الكفر والشرك غير حى وإن كانت حياته حياة بهيمية فهو عادم الحياة الروحانية العلوية التى سببها سبب الايمان وبها يحصل للعبد السعادة والفلاح فى الدنيا والآخرة فان الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عبادته فى تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم وتكميل ما يصلحهم فى معاشهم ومعادهم وبعثوا جميعا بالدعوة الى الله وتعريف الطريق الموصل اليه وبيان حالهم بعد الوصول اليه فالأصل الأول يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر وذكر أيام الله فى أوليائه واعدائه وهى القصص التى قصها على عبادته والأمثال التى ضربها لهم والأصل الثانى يتضمن تفصيل الشرائع والأمر والنهى والاباحة وبيان ما يحبه الله وما يكرهه والأصل الثالث يتضمن الايمان باليوم الآخر والجنة والنار والثواب والعقاب وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر والسعادة والفلاح موقوفة عليها ولا سبيل الى معرفتها إلا من جهة الرسل فان العقل لا يهتدى الى تفاصيلها ومعرفة حقائقها وإن كان قد يدرك وجه الضرورة اليها من حيث الجملة كالمريض الذى يدرك وجه الحاجة الى الطب ومن يداويه ولا يهتدى الى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه وحاجة العبد الى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض الى الطب فان آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان وأما اذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه أبدا أو شقى شقاوة لا سعادة معها أبدا فلا فلاح إلا باتباع الرسول فان الله خص بالفلاح اتباعه المؤمنين وأنصاره كما قال تعالى { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف 157 أى لا مفلح إلا هم كما قال تعالى { وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } آل عمران 104 فخص هؤلاء بالفلاح كما خص المتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقىمون الصلاة وينفقون مما رزقهم ويؤمنون

بما انزل الى رسوله وما أنزل من قبله ويوقنون بالآخرة وبالهدى  
والفلاح فعلم بذلك ان الهدى والفلاح دائر حول ربع الرسالة  
وجودا وعدما وهذا مما اتفقت عليه الكتب المنزلة من السماء  
وبعث به جميع الرسل ولهذا قص الله علينا أخبار الأمم المكذبة  
للرسل وما صارت اليه عاقبتهم وأبقى آثارهم وديارهم عبرة لمن  
بعدهم وموعظة وكذلك مسخ من مسخ قرده وخنازير لمخالفتهم  
لأنبيائهم وكذلك من خسف به وأرسل عليه الحجارة من السماء  
وأغرقه في اليم وأرسل عليه الصيحة وأخذه بأنواع العقوبات  
وإنما ذلك بسبب مخالفتهم للرسل واعراضهم عما جاءوا به  
واتخاذهم أولياء من دونه وهذه سنته سبحانه فيمن خالف  
رسله وأعرض عما جاؤوا به واتبع غير سبيلهم ولهذا أبقى الله  
سبحانه آثار المكذبين لنعتر بها ونتعظ لئلا نفعل كما فعلوا  
فيصيبنا ما أصابهم كما قال تعالى { إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ  
الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } {34} وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا  
آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } {35} العنكبوت 34- 35 وقال تعالى {  
ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ } {136} وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ } {137}  
وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } {138} الصفات 136-138 أي تمرّون  
عليهم نهرا بالصباح وبالليل ثم قال { أَفَلَا تَعْقِلُونَ } الصفات  
138 وقال تعالى في مدائن قوم لوط { وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً  
مِّن سِجِّيلٍ } {74} إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ } {75} وَإِنَّهَا لِبِسْبِيلٍ  
مُّقِيمٍ } {76} الحجر 74-76 يعني مدائنهم بطريق مقيم يراها المار  
بها وقال تعالى { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ  
عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ } يوسف 109 وهذا كثير في الكتاب العزيز  
يخبر الله سبحانه عن إهلاك المخالفين للرسل ونجاة اتباع  
المرسلين ولهذا يذكر سبحانه في سورة الشعراء قصة موسى  
وابراهيم ونوح وعاد وشمود ولوط وشعيب ويذكر لكل نبي  
إهلاكه لمكذبيهم والنجاة لهم ولأتباعهم ثم يختم القصة بقوله { إِنَّ  
فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ } {190} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ  
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ } {191} الشعراء 190-191 فختم القصة باسمين



من اسمائه تقتضيها تلك الصفة وهو العزيز الرحيم فانتم من  
أعدائه بعزته وانجي رسله واتباعهم برحمته <sup>246</sup>

## كفل الله لمن آمن به أن يجعل له نوراً يمشي به في

### الناس

\*قال تعالى { أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّئُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 122 النور هو مادة كل خير وصلاح كل شيء وهو ينشأ عن امتثال أمر الله واجتناب نهيه وعن الصبر على ذلك فانه ضياء فان حفظ الحدود بتقوى الله يجعل الله لصاحبه نوراً كما قال تعالى { اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ } الحديد 28 فصد النور الظلمة <sup>247</sup>

\*وقال أبو الدرداء لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم ويتركوا ما جاءتهم به أنبياءهم من البينات والهدى وقال تعالى { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي } يوسف 108 فمن اتبعه يدعو إلى الله على بصيرة والبصيرة هي بينة وقال { أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي

**النَّاسِ } الأنعام 122** الآية فالنور الذي يمشي به في الناس هو البينة والبصيرة وقال { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } النور 35 الآية قال أبي بن كعب وغيره هو مثل نور المؤمن وهو نوره الذي في قلبه عبده المؤمن الناشي عن العلم النافع والعمل الصالح وذلك بينة من ربه وقال { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ } الزمر 22 فهذا النور الذي هو عليه وشرح

<sup>246</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 94-98

<sup>247</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 282

الصدر للإسلام هو البينة من ربه وهو الهدى المذكور في قوله  
 {أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ} البقرة 5 واستعمل في هذا حرف  
 الإستعلاء لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالماً موقناً  
 بالحق فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصبغ بها كما قال  
 {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} البقرة 138<sup>248</sup>

\*ومحمد صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق علماً بالله وبأمره  
 وأكمل الخلق اهتداءً في نفسه وأهدى لغيره وأبعد الخلق عن  
 الجهل والضلال قال تعالى {وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ  
 بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ} البقرة 213 إلى قوله {فَهَدَى اللَّهُ  
 الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} البقرة 213 فإنه قد هدى المؤمنين به وقال  
 تعالى {اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنَ رَحْمَتِهِ  
 وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
 {الحديد 28 فقد كفل الله لمن آمن به أن يجعل له نوراً يمشي به  
 في الناس} **{أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي  
 النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} الأنعام 122**  
 وقال تعالى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي  
 مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ  
 عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الشورى 52<sup>249</sup>

\*في حديث الكرب الذي رواه أحمد من حديث ابن مسعود  
 اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك أسألك بكل اسم  
 هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من  
 خلقك أو إستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع

<sup>248</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 68

<sup>249</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 338 و مجموع الفتاوى ج: 11 ص:

قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى إلا أذهب  
 الله همه وغمه وأبدله به فرجا الربيع هو المطر المنبت  
 للربيع ومنه قوله فى دعاء الإستسقاء اللهم أسقنا غيثا مغيثا  
 ربيعا مربعا وهو المطر الوسمى الذى يسم الأرض بالنبات  
 ومنه قوله القرآن ربيع للمؤمن فسأل الله أن يجعله ماء  
 يحيى به قلبه كما يحيى الأرض بالربيع ونورا والحياة والنور  
 جماع الكمال كما قال { **أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ  
 نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ { الأنعام 122** } وفى خطبة أحمد بن  
 حنبل يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى  
 لأنه بالحياة يخرج عن الموت وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل  
 فيصير حيا عالما ناطقا وهو كمال الصفات فى المخلوق بالحياة  
 يخرج عن الموت وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل فيصير حيا  
 عالما ناطقا وهو كمال الصفات فى المخلوق وكذلك قد قيل فى  
 الخالق حتى النصارى فسروا الأب والأبن وروح القدس  
 بالموجود الحى العالم والغزالى رد صفات الله إلى الحى العالم  
 وهو موافق فى المعنى لقول الفلاسفة عاقل ومعقول وعقل لأن  
 العلم يتبع الكلام الخبرى ويستلزم الإرادة والكلام الطلبنى لأن كل  
 حى عالم فله إرادة وكلام ويستلزم السمع والبصير لكن هذا ليس  
 بجيد لأنه يقال فالحى نفسه مستلزم لجميع الصفات وهو أصلها  
 ولهذا كان أعظم آية فى القرآن { **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ  
 { البقرة 255** } وهو الإسم الأعظم لأنه ما من حى إلا وهو  
 شاعر مرید فاستلزم جميع الصفات فلو إكتفى فى الصفات  
 بالتلازم لإكتفى بالحى وهذا ينفع فى الدلالة والوجود لكن لا  
 يصح أن يجعل معنى العالم هو معنى المرید فإن الملزوم ليس  
 هو عين اللزوم وإلا فالذات المقدسة مستلزمة لجميع الصفات فإن  
 قيل فلم جمع فى المطلوب لنا بين ما يوجب الحياة والنور فقط  
 دون الإقتصار على الحياة أو الإزدياد من القدرة وغيرها  
 قيل لأن الأحياء الأدميين فيهم من يهتدى إلى الحق وفيهم من لا  
 يهتدى فالهداية كمال الحياة وأما القدرة فشرط فى التكليف لا فى

السعادة فلا يضر فقدها ونور الصدر يمنع أن يريد سواه ثم  
 قوله ربيع قلبي ونور صدري لأنه والله أعلم الحيا لا  
 يتعدى محله بل إذا نزل الربيع بأرض أحيائها اما النور فإنه  
 ينتشر ضوءه عن محله فلما كان الصدر حاويا للقلب جعل الربيع  
 في القلب والنور في الصدر لإنتشاره كما فسرت المشكاة في قوله  
 مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة وهو  
 القلب 250

\*وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته قال تعالى {أَوْ مَنْ  
 كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ  
 فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} الأنعام 122 لذلك ذكر الله  
 حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع كقوله  
 {الْبُنْدَرِ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} يس 70 وقوله  
 تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا  
 يُحْيِيكُمْ} الأنفال 24 ثم قال {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ  
 وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} الأنفال 24 وقال تعالى {يُخْرِجُ  
 الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} يونس 31 ومن انواعه  
 انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وفي الحديث  
 الصحيح مثل البيت الذي يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله  
 فيه مثل الحي والميت وفي الصحيح ايضا اجعلوا من صلاتكم  
 في بيوتكم ولا تتخذوها قبورا وقد قال تعالى {وَالَّذِينَ  
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ} الأنعام 39 وذكر سبحانه  
 آية النور آية الظلمة فقال {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ  
 نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا  
 كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ  
 يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ} النور 35  
 فهذا مثل نور الايمان في قلوب المؤمنين ثم قال {وَالَّذِينَ

كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ  
يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ {39}  
أَوْ كظلماتٍ في بحرٍ لحيٍّ يغشاها موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه  
سحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها  
وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ {40} النور 39-40  
فالأول مثل الاعتقادات الفاسدة والأعمال التابعة لها يحسبها  
صاحبها شيئاً ينفعه فإذا جاءها لم يجدها شيئاً ينفعه فوفاه الله  
حسابه على تلك الأعمال و الثاني مثل للجهل البسيط  
وعدم الايمان والعلم فان صاحبها في ظلمات بعضها فوق بعض  
لا يبصر شيئاً فان البصر إنما هو بنور الايمان والعلم قال  
تعالى {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا  
فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} الأعراف 201<sup>251</sup>

\*أن الله سبحانه لما كان هو الأول الذي خلق الكائنات والآخر  
الذي إليه تصير الحادثات فهو الأصل الجامع فالعلم به أصل كل  
علم وجامعه وذكره أصل كل كلام وجامعه والعمل له أصل كل  
عمل وجامعه وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته  
وإذا حصل لهم ذلك فما سواه إما فضل نافع واما فضول غير  
نافعة واما أمر مضر ثم من العلم به تنتشعب أنواع العلوم ومن  
عبادته وقصده تنتشعب وجوه المقاصد الصالحة والقلب بعبادته  
والإستعانة به معتصم مستمسك قد لجأ إلى ركن وثيق واعتصم  
بالدليل الهادي والبرهان الوثيق فلا يزال إما في زيادة العلم  
والإيمان وإما في السلامة عن الجهل والكفر وبهذا جاءت  
النصوص الإلهية في أنه بالإيمان يخرج الناس من الظلمات الى  
النور وضرب مثل المؤمن وهو المقر بربه علماً وعملاً بالحي  
والبصير والسميع والنور والظل وضرب مثل الكافر بالميت  
والأعمى والأصم والظلمة والحرور وقالوا في الوسواس الخناس

هو الذى اذا ذكر الله خنس واذا غفل عن ذكر الله وسوس فتبين  
 بذلك أن ذكر الله أصل لدفع الوسواس الذى هو مبدأ كل كفر  
 وجهل وفسق وظلم وقال الله تعالى { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ  
 سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْعَاوِينَ } الحجر 42 وقال { إِنَّهُ لَيْسَ  
 لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } النحل 99  
 وقال { وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } آل  
 عمران 101 ونحو ذلك من النصوص<sup>252</sup>

\* وأما قول القائل هل تكون صفة الإيمان نورا يوقعه الله فى  
 قلب العبد ويعرف العبد عند وقوعه فى قلبه الحق من الباطل  
 فيقال له قد قال الله تعالى { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ  
 نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ } النور 35 قال أبي بن كعب وغيره  
 مثل نوره فى قلب المؤمن الى قوله { وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ  
 نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ } النور 40 وقال تعالى { أَوْ مَنْ كَانَ  
 مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مِثْلُهُ فِي  
 الظُّلُمَاتِ } الأنعام 122 فالإيمان الذى يهبه الله لعبده سماه  
 نورا وسمى الوحي النازل من السماء الذى به يحصل الإيمان  
 { نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا } الشورى 52 وقال تعالى  
 { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ  
 } الأعراف 157 وأمثال ذلك ولا ريب أن المؤمن يفرق بين  
 الحق والباطل بل يفرق بين أعظم الحق لكن لا يمكن أن يقال بأن  
 كل من له إيمان يفرق بمجرد ما أعطيه من الإيمان بين كل حق  
 وكل باطل<sup>253</sup>

<sup>252</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 16-17

<sup>253</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 649

## الله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر

\* ومن الفرقان أنه فرق بين أهل الحق المهتدين المؤمنين المصلحين أهل الحسنات وبين أهل الباطل الكفار الضالين المفسدين أهل السيئات فهو سبحانه بين الفرق بين اشخاص أهل الطاعة لله والرسول والمعصية لله والرسول كما بين الفرق بين ما أمر به وبين ما نهى عنه <sup>254</sup>

\*و يجب أن يعلم العبد أن عمله من الحسنات هو بفضل الله و رحمته و من نعمته كما قال أهل الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} الأعراف 43 و قال تعالى { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 و قال تعالى { أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ } الزمر 22 و قال { أَوْ مَن كَانَ مَبْتَئًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا } الأنعام 122 و قال تعالى { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا } الشورى 52 وكذلك إضافة السيئات إلى نفسه هو الذي ينبغي أن يفعله مع علمه بأن الله خالق كل موجود من الأعيان و الصفات و الحركات و السكنات كما قال آدم { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 و قال موسى { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي } القصص 16 و قال

الخليل {وَ الَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ} الشعراء 82

255

\*وما قالته القدرية فهو بناء على أصلهم الفاسد وهو أن إقدار الله المؤمن والكافر والبر والفاجر سواء فلا يقولون إن الله خص المؤمن المطيع بإعانة حصل بها الإيمان بل يقولون إن إعانته للمطيع والعاصي سواء ولكن هذا بنفسه رجع الطاعة وهذا بنفسه رجع المعصية كالوالد الذي أعطى كل واحد من ابنيه سيفاً فهذا جاهد به في سبيل الله وهذا قطع به الطريق أو أعطاهما مالا فهذا أنفق في سبيل الله وهذا أنفق في سبيل الشيطان وهذا القول فاسد باتفاق أهل السنة والجماعة المثبتين للقدر فإنهم متفقون على أن الله على عبده المطيع المؤمن نعمة دينية خصه بها دون الكافر وأنه أعانته على الطاعة إعانة لم يعن بها الكافر كما قال تعالى { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 فبين أنه حبيب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم فالقدرية تقول هذا التحبيب والترتيب عام في كل الخلق أو هو بمعنى البيان وإظهار دلائل الحق والآية تقتضي أن هذا خاص بالمؤمنين ولهذا قال { أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 والكفار ليسوا راشدين وقال تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعْدُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125 وقال { أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا } كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ { الأنعام 122

256

255255 مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 442

256 منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 43- 44



## "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم"

\*أن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه أو أنه ترك حسناً مأموراً به أمر إيجاب أو أمر استحباب ليتوب ويفعله فما دام يرى فعله حسناً وهو سيء في نفس الأمر فإنه لا يتوب ولكن التوبة ممكنة وواقعه بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق كما هدى سبحانه وتعالى من هدى من الكفار والمنافقين وطوائف أهل البدع والضلال وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه فمن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جبير إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها وقد ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً فأخبر النبي أن الصدق يستلزم البر وأن الكذب يستلزم الفجور {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَتَّئِلَةٌ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } الأنعام 122<sup>257</sup>

\*و العمل له أثر في القلب من نفع وضرر وصلاح قبل أثره في الخارج فصلاحتها عدل لها وفسادها ظلم لها قال بعض السلف إن للحسنة لئورا في القلب وقوة في البدن وضيء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضا في

<sup>257</sup>أمراض القلوب ج: 1 ص: 39

قلوب الخلق وأصل صلاح القلب هو حياته واستنارته لذلك ذكر الله حياة القلوب ونورها وموتها وظلمتها في غير موضع كقوله ياسين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وفي الحديث الصحيح مثل البيت يذكر الله فيه والبيت الذي لا يذكر الله فيه كمثل الحي والميت وفي الصحيح أيضا اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذها قبورا { **أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زِينٌ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } الأنعام 122 وفي الدعاء المأثور اجعل القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا والربيع هو المطر الذي ينزل من السماء فينبت به النبات قال النبي صلى الله عليه وسلم إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم والفصل الذي ينزل فيه أول المطر تسميه العرب الربيع لنزول المطر الذي ينبت الربيع فيه وغيرهم يسمى الربيع الفصل الذي يلي الشتاء فإن منه تخرج الأزهار التي تخلق منها الثمار وتنبت الاوراق على الاشجار و القلب الحي المنور فإنه لما فيه من النور يسمع ويبصر ويعقل والقلب الميت فإنه لا يسمع ولا يبصر<sup>258</sup>

## الآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة

\*والآيات والبراهين الدالة على نبوة محمد كثيرة متنوعة وهي أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ويسميتها من يسميها من النظار معجزات وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان وأما لفظ الآيات فكثير في القرآن كقوله تعالى { **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرًا**

<sup>258</sup>أمراض القلوب ج: 1 ص: 8-9

مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ  
 {123} وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ  
 رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا  
 صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ {124}

259 الأنعام 124-123

### كل عطاء من الله فضل وكل عقوبة منه عدل

\* قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مَجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} الأنعام 123 وهو لا يمنع من ذلك ما يستحقه العبد اصلا ولا يمنع الثواب الا اذا منع سببه وهو العمل الصالح فأما مع وجود السبب وهو العمل الصالح فإنه من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 وهو سبحانه المعطي المانع لا مانع لما اعطى ولا معطي لما منع لكن من على الانسان بالايمان والعمل الصالح ثم لم يمنعه موجب ذلك اصلا بل يعطيه من الثواب والقرب ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وحيث منعه ذلك فلا يبقى سببه وهو العمل الصالح ولا ريب انه يهدي من يشاء ويضل من يشاء لكن ذلك كله حكمة منه وعدل فمنعه للأسباب التي هي الاعمال الصالحة من حكمته وعدله واما المسببات بعد وجود اسبابها فلا يمنعه بحال الا اذا لم تكن اسبابا صالحة اما لفساد في العمل واما السبب يعارض موجبه ومقتضاه فيكون لعدم المقتضى او لوجود المانع واذا كان منعه وعقوبته من عدم الايمان والعمل الصالح ابتداء حكمة منه

وعدل فله الحمد في الحالين وهو المحمود على كل حال كل  
عطاء منه فضل وكل عقوبة منه عدل<sup>260</sup>

### { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ }

\*وقال تعالى { وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ إِنَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } { الأنعام 124 فدل على أنه أعلم بالمحل الذي يناسب الرسالة ولو كان الناس مستويين والتخصيص بلا سبب لم يكن لهذا العلم معلوم يختص به محل الرسالة<sup>261</sup>

\*وفي الصحيحين عن عائشة قالت أول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبيب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد وقد قال تعالى { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } { الأنعام 124 فلا ريب ان ما يجعله الله في النفوس وغيرها يجعله بعد إعدادها لذلك وتسويتها لما يلقي فيها فهذا ونحوه حق يقول به السلف وجمهور المسلمين وإنما ينكر ذلك من ينكر الحكم والاسباب من اهل الكلام والنبي صلى الله عليه وسلم بدى اولا بالرؤيا الصادقة فانه رؤيا الانبياء وحي معصوم كما قال ابن عباس وعبيد بن عمير وغيرهما رؤيا الانبياء وحي وقرأ قول ابراهيم عليه السلام { إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ } { الصافات 102 ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم نقل من درجة الى درجة ثم بعد هذا جاءه الملك فخاطبه بالكلام فأحيانا يأتيه في الباطن فيكلمه

<sup>260</sup>الاستقامة ج: 2 ص: 50

<sup>261</sup>منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 1

وأحيانا يتمثل له في صورة رجل فيكلمه ثم عرج به الى ربه ليلة  
الاسراء 262

\*أن الجهمية تثبت نبوة لا تستلزم فضل صاحبها ولا كماله ولا اختصاصه قط بشيء من صفات الكمال بل يجوز أن يجعل من هو من أجهل الناس نبيا ثم الجهمية المحضة عندهم يخلق الله كلاما في غيره فينزل به الملك وأما الكلابية فعندهم النبوة تعلق المعنى القائم بالذات بالنبي بمعنى أنت عبدي ورسولي فيقولون في النبوة من جنس ما قالوه في أحكام أفعال العباد إنه ليس للحكم معنى إلا تعلق المعنى القائم بالذات به والمعنى القائم بالذات المتعلق به لا يثبتون في الإيمان والتقوى والأعمال الصالحة خاصة تميزت به عن السيئات حتى أمر بها لأجلها وكذلك في النبوة والمعتزلة ومن وافقهم يثبتون لله شريعة بالقياس على عبادة فيوجبون عليه من جنس ما يجب عليهم ويحرمون عليه من جنس ما يحرم عليهم ولا يجعلون أمره ونهيه وحبه وبغضه ورضاه وسخطه له تأثير في الأعمال بل صفاتها ثابتة بدون الخطاب والخطاب مجرد كاشف بمنزلة الذي يخبر عن الشمس والقمر والكواكب بما هي متصفة به والله سبحانه قد أخبر أنه يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس والإصطفاء افتعال من التصفية كما أن الإختيار افتعال من الخيرة فيختار من يكون مصطفى وقد قال { **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** } الأنعام 124 فهو أعلم بمن يجعله رسولا ممن لم يجعله رسولا ولو كان كل الناس يصلح للرسالة لامتنع هذا وهو عالم بتعيين الرسول وأنه أحق من غيره بالرسالة كما دل القرآن على ذلك وقد قالت خديجة رضي الله عنها لما فجأ الوحي النبي صلى الله عليه وسلم وخاف من ذلك فقالت له كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف

وتعين على نوائب الحق وكانت أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها أعدل وأعلم من الجهمية حيث رأت أن من جعله الله على هذه الأخلاق الشريفة المتضمنة لعدله وإحسانه لا يخزيه الله فإن حكمة الرب تأبى ذلك وهؤلاء عندهم هذا لا يعلم بل قد يخزي من يكون كذلك وقد ينبأ شر الناس كأبي جهل وغيره ولهذا أنكر المازري وغيره على خديجة كما أنكروا على هرقل استدلاله بما استدل به في حديث أبي سفيان المشهور لما سأل عن صفات النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه إذا اتخذ رسولا فضله بصفات أخرى لم تكون موجودة فيه قبل إرساله كما كان يظهر لكل من رأى موسى وعيسى ومحمد من أحوالهم وصفاتهم بعد النبوة وتلك الصفات غير الوحي الذي ينزل عليهم فلا يقال إن النبوة مجرد صفة إضافية كأحكام الأفعال كما تقوله الجهمية

263

### الحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع

\* وهناك من قال إن الأفعال لم تشتمل على صفات هي أحكام ولا على صفات هي علل للأحكام بل القادر أمر بأحد المتماثلين دون الآخر لمحض الإرادة لا لحكمة ولا لرعاية مصلحة في الخلق والأمر ويقولون أنه يجوز أن يأمر الله بالشرك بالله وينهى عن عبادته وحده ويجوز أن يأمر بالظلم والفواحش وينهى عن البر والتقوى والأحكام التي توصف بها الأحكام مجرد نسبة وإضافة فقط وليس المعروف في نفسه معروفا عندهم ولا المنكر في نفسه منكر عندهم بل إذا قال يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم

<sup>263</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 437

عليهم الخبائث فحقيقة ذلك عندهم أنه يأمرهم بما يأمرهم و ينهاهم عما ينهاهم و يحل لهم ما يحل لهم و يحرم عليهم ما يحرم عليهم بل الأمر و النهي و التحليل و التحريم ليس في نفس الأمر عندهم لا معروف و لا منكر و لا طيب و لا خبيث الا أن يعبر عن ذلك بما يلائم الطباع و ذلك لا يقتضى عندهم كون الرب يحب المعروف و يبغض المنكر فهذا القول و لوازمه هو أيضا قول ضعيف مخالف للكتاب و السنة و لإجماع السلف و الفقهاء مع مخالفته أيضا للمعقول الصريح فإن الله نزه نفسه عن الفحشاء فقال { إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } الأعراف 28 كما نزه نفسه عن التسوية بين الخير و الشر فقال تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21 و قال { أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } 35 { مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } 36 { الْقلم 35-36 و قال { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } ص 28 و على قول النفاة لا فرق في التسوية بين هؤلاء و هؤلاء و بين تفضيل بعضهم على بعض ليس تنزيهه عن أحدهما بأولى من تنزيهه عن الآخر و هذا خلاف المنصوص و المعقول و قد قال الله تعالى { **اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** } الأنعام 124 و عندهم تعلق الإرسال بالرسول كتعليق الخطاب بالأفعال لا يستلزم ثبوت صفة لا قبل التعلق و لا بعده و الفقهاء و جمهور المسلمين يقولون الله حرم المحرمات فحرمت و أوجب الواجبات فوجب فمعنا شيان إيجاب و تحريم و ذلك كلام الله و خطابه و الثاني و وجوب و حرمة و ذلك صفة للفعل و الله تعالى عليم حكيم علم بما تتضمنه الأحكام من المصالح فأمر و نهى لعلمه بما في الأمر و النهي و الأمور و المحظور من مصالح العباد و مفسدهم و هو أثبت حكم الفعل و أما صفته فقد تكون ثابتة بدون الخطاب و قد ثبت بالخطاب و الحكمة الحاصلة من الشرائع ثلاثة أنواع أحدها أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة و لو لم يرد الشرع

بذلك كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم و الظلم يشتمل على فسادهم فهذا النوع هو حسن و قبيح و قد يعلم بالعقل و الشرع قبح ذلك لا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك و هذا مما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين و التقبيح فإنهم قالوا إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة و لو لم يبعث إليهم رسولا و هذا خلاف النص قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } الإسراء 15 و قال تعالى {رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } النساء 165 و قال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } القصص 59 و قال تعالى { كُلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } 8 { قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } 9 { وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ } 10 { الملك 8-10 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال ما أحد أحب إليه العذر من الله و من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين و منذرين و النصوص الدالة على أن الله لا يعذب إلا بعد الرسالة كثيرة ترد على من قال من أهل التحسين و التقبيح أن الخلق يعذبون في الأرض بدون رسول أرسل إليهم النوع الثاني أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا و إذا نهى عن شيء صار قبيحا و إكتسب الفعل صفة الحسن و القبح بخطاب الشارع و النوع الثالث أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد هل يطيعه أم يعصيه و لا يكون المراد فعل المأمور به كما أمر إبراهيم بذبح ابنه {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ } الصافات 103 حصل المقصود ففداه بالذبح و كذلك حديث أبرص و أقرع و أعمى لما بعث الله إليهم من سألهم الصدقة فلما أجاب الأعمى قال الملك أمسك عليك مالك فإنما إبتليتم فرضي عنك و سخط على صاحبيك فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس المأمور به و هذا النوع و



الذي قبله لم يفهمه المعتزلة و زعمت أن الحسن و القبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع و الأشعرية إدعوا أن جميع الشريعة من قسم الإمتحان و أن الأفعال ليست لها صفة لا قبل الشرع و لا بالشعر و أما الحكماء و الجمهور فأتبوا الأقسام الثلاثة و هو الصواب <sup>264</sup>

## من فضله الله تعالى فانه يفضله بالأسباب التي يستحق بها التفضيل بالجزاء

\*وقد قال النبي لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهذا كثير فليس كل ما فضل به الفاضل يكون مقدوراً لمن دونه فكذاك من حقائق الإيمان ما لا يقدر عليه كثير من الناس بل ولا أكثرهم فهؤلاء يدخلون الجنة وان لم يكونوا ممن تحققوا بحقائق الإيمان التي فضل الله بها غيرهم ولا تركوا واجبا عليهم وان كان واجبا على غيرهم ولهذا كان من الإيمان ما هو من المواهب والفضل من الله فانه من جنس العلم والاسلام الظاهر من جنس العمل وقد قال تعالى { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ } محمد 17 وقال { وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى } مريم 76 وقال { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } الفتح 4 ومثل هذه السكينة قد لا تكون مقدورة ولكن الله يجعل ذلك في قلبه فضلا منه وجزاء على عمل سابق كما قال { وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا } 66 { وَإِذَا لَا تَأْتِيَانَهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا } 67 { وَأَهْدِيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا } 68 { النساء 66- 68 كما قال { اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ

<sup>264</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 434-436

وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
 {الحديد 28} وكما قال { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ  
 وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ {المجادلة 22} ولهذا قيل من عمل بما علم  
 أورثه الله علم ما لم يعلم وهذا الجنس غير مقدور للعباد وان كان  
 ما يقدرون عليه من الأعمال الظاهرة والباطنة هو أيضا بفضل  
 الله وإعانتته واقداره لهم لكن الأمور قسمان منه ما جنسه مقدور  
 لهم لا عانة الله لهم كالقيام والقعود ومنه ما جنسه غير مقدور لهم  
 اذا قيل ان الله يعطى من اطاعه قوة فى قلبه وبدنه يكون بها قادرا  
 على ما لا يقدر عليه غيره فهذا أيضا حق وهو من جنس هذا  
 المعنى قال تعالى { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَانْتَبِئُوا  
 الَّذِينَ آمَنُوا { الأنفال 12} وقد قال { إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا  
 { الأنفال 45} فأمرهم بالثبات وهذا الثبات يوحى إلى الملائكة  
 أنهم يفعلونه بالمؤمنين والمقصود أنه قد يكون من الايمان ما  
 يؤمر به بعض الناس ويذم على تركه ولا يذم عليه بعض الناس  
 ممن لا يقدر عليه ويفضل الله ذلك بهذا الايمان وان لم يكن  
 المفضول ترك واجبا فيقال وكذلك فى الأعمال الظاهرة يؤمر  
 القادر على الفعل بما لا يؤمر به العاجز عنه ويؤمر بعض الناس  
 بما لا يؤمر به غيره لكن الأعمال الظاهرة قد يعطى الانسان مثل  
 أجر العامل اذا كان يؤمن بها ويريدها جهده ولكن بدنه عاجز كما  
 قال النبی فى الحديث الصحيح إن بالمدينة لرجالا ما سرتهم  
 مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال  
 وهم بالمدينة حبسهم العذر وكما قال تعالى {لَّا يَسْتَوِي  
 الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى  
 الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً { النساء 95} فاستثنى أولى الضرر وفى  
 الصحيحين عن النبي أنه قال من دعا الى هدى كان له من  
 الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئا  
 ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه  
 من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا وفى حديث أبى كبشة

الأنمارى هما فى الأجر سواء وهما فى الوزر سواء رواه  
الترمذى وصححه ولفظه إنما الدنيا لأربعة رجل آتاه الله علما  
وما لا فهو يتقى فى ذلك المال ربه ويصل فيه رحمه ويعلم الله فيه  
حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو  
صادق النية يقول لو ان لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته  
فأجرهما سواء وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط فى  
ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله  
فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو  
يقول لو أن لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما  
سواء ولفظ ابن ماجه مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر  
رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه فى ماله ينفقه فى حقه  
ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لى مثل هذا  
عملت فيه مثل الذى يعمل قال رسول الله فهما فى الأجر  
سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يختبط فى ماله ينفقه  
فى غير حقه ورجل لم يؤته علما ولا مالا وهو يقول لو كان لى  
مثل مال هذا عملت مثل الذى يعمل فهما فى الوزر سواء  
كالشخصين إذا تماثلا فى ايمان القلوب معرفة وتصديقا وحباً  
وقوة وحالا ومقاما فقد يتماثلان وإن كان لأحدهما من أعمال  
البدن ما يعجز عنه بدن الآخر كما جاء فى الأثر أن المؤمن قوته  
فى قلبه وضعفه فى جسمه والمنافق قوته فى جسمه وضعفه فى  
قلبه ولهذا قال النبى فى الحديث الصحيح ليس الشديد ذو  
الصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقد قال  
رأيت كائى أنزع على قليب فأخذها ابن أبى قحافة فنزع ذنوبا أو  
ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له فأخذها ابن الخطاب  
فاستحالت فى يده غربا فلم أر عبقرى يفري فريه حتى صدر  
الناس بعطن فذكر أن أبا بكر أضعف وسواء أراد قصر مدته  
أو أراد ضعفه عن مثل قوة عمر فلا ريب أن أبا بكر أقوى ايماناً  
من عمر وعمر أقوى عملاً منه كما قال ابن مسعود ما زلنا أعزة  
منذ أسلم عمر وقوة الايمان أقوى وأكمل من قوة العمل وصاحب

الايمان يكتب له اجر عمل غيره وما فعله عمر فى سيرته  
 مكتوب مثله لأبى بكر فانه هو الذى استخلفه وفى المسند  
 من وجهين عن النبى صلى الله عليه وسلم أن النبى وزن بالامة  
 فرجح ثم وزن أبو بكر بالامة فرجح ثم وزن عمر بالامة فرجح  
 وكان فى حياة النبى وبعد موته يحصل لعمر بسبب أبى بكر من  
 الإيمان والعلم ما لم يكن عنده فهو قد دعاه الى فعله من خير  
 واعانه عليه بجهده والمعين على الفعل اذا كان يريد ارادة  
 جازمة كان كفاعله كما ثبت فى الحديث الصحيح عن النبى صلى  
 الله عليه وسلم أنه قال من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه فى  
 أهله بخير فقد غزا وقال من دل على خير فله مثل أجر  
 فاعله وقال من فطر صائما فله مثل أجره وقد روى  
 الترمذى من عزى مصابا فله مثل أجره وهذا وغيره مما  
 يبين أن الشخصين قد يتماثلان فى الأعمال الظاهرة بل  
 يتفاضلان ويكون المفضل فيها أفضل عند الله من الآخر لأنه  
 أفضل فى الإيمان الذى فى القلب وأما إذا تفاضلا فى إيمان  
 القلوب فلا يكون المفضل فيها أفضل عند الله ألينة وإن كان  
 المفضل لم يهبه الله من الايمان ما وهبه للفاضل ولا أعطى قلبه  
 من الأسباب التى بها ينال ذلك الايمان الفاضل ما أعطى  
 المفضل ولهذا فضل الله بعض النبيين على بعض وان كان  
 الفاضل أقل عملا من المفضل كما فضل الله نبينا ومدة نبوته  
 بضع وعشرون سنة على نوح وقد لبث فى قومه ألف سنة إلا  
 خمسين عاما وفضل أمة محمد وقد عملوا من صلاة العصر الى  
 المغرب على من عمل من أول النهار إلى صلاة الظهر وعلى  
 من عمل من صلاة الظهر الى العصر فأعطى الله أمة محمد  
 أجرين وأعطى كلا من أولئك أجرا أجرا لأن الايمان الذى فى  
 قلوبهم كان أكمل وأفضل وكان أولئك أكثر عملا وهؤلاء أعظم  
 أجرا وهو فضله يؤتية من يشاء بالأسباب التى تفضل بها عليهم  
 وخصهم بها وهكذا سائر من يفضل الله تعالى فانه يفضله  
 بالأسباب التى يستحق بها التفضيل بالجزاء كما يخص أحد

الشخصين بقوة ينال بها العلم وبقوة ينال بها اليقين والصبر والتوكل والاخلاص وغير ذلك مما يفعله الله به وانما فضله في الجزاء بما فضل به من الايمان كما قال تعالى { وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيْنَا آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } {72} وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ { آل عمران 72-73 وقال في الآية الأخرى { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ } {الأنعام 124 وقال { اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ } {الحج 75 وقال { فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ } {البقرة 284 وقد بين في مواضع أسباب المغفرة وأسباب العذاب وكذلك يرزق من يشاء بغير حساب وقد عرف أنه قد يخص من يشاء بأسباب الرزق <sup>265</sup>

## وجوب التصديق بصفات الله تعالى ليس موقوفا على أن يقوم عليها دليل عقلي

\* أن وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفا على أن يقوم عليه دليل عقلي على تلك الصفة بعينها فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم قالوا لنؤمن حتى نؤتى مثل أوتي رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول ولا متلقيا عنه الأخبار بشأن الربوبية ولا فرق عنده بين أن يخبر

الرسول بشيء من ذلك أولم يخبر به فإن ما أخبر به لا يقدر به إلا فلا يتأوله أو يفوضه وما لم يخبر به إن علمه بعقله آمن به وإلا فلا فرق عند من سلك هذا السبيل بين وجود الرسول وإخباره وبين عدم الرسول وعدم إخباره وكان ما يذكره من القرآن والحديث والإجماع في هذا الباب عديم الأثر عنده وهذا قد صرح به أئمة هذا الطريق ثم الطريق النبوية فمنهم من يحيل على القياس ومنهم من يحيل على الكشف وكل من الطريقتين فيها من الاضطراب والاختلاف ما لا ينضبط وليست واحدة منهما تحصل المقصود بدون الطريق النبوية والطريق النبوية تحصل الأيمان النافع في الآخرة بدون ذلك ثم إن حصل قياس أو كشف يوافق ما أخبر به الرسول كان حسنا مع أن القرآن قد نبه على الطرق الاعتبارية التي بها يستدل على مثل ما في القرآن كما قال تعالى سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق <sup>266</sup>

\*فإنه إذا لم يكن متبعا للأمر الذي جاء به الرسول كان يعمل بإرادة نفسه فيكون متبعا لهواه بغير هدى من الله وهذا عيش النفس وهو من الكبر فإنه شعبة من قول الذين قالوا { **لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولَ اللَّهِ** } الأنعام 124 <sup>267</sup>

## جاءت الإرادة في كتاب الله على نوعين

\*وقد جاءت الإرادة في كتاب الله على نوعين أحدهما الإرادة الدينية الشرعية كما قال تعالى { **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** } البقرة 185 { **يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ** } النساء 26 إلى قوله تعالى { **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ**

<sup>266</sup>العقيدة الأصفهانية ج: 1 ص: 27-28

<sup>267</sup>منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 332

يُتَوَبَّ عَلَيْنَا وَإِرَادَةُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا  
 {27} يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا {28}

النساء 27- 28 وقال تعالى { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ  
 وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } المائدة 6  
 وقوله { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ  
 تَطْهِيرًا } الأحزاب 33 فإن الإرادة هنا بمعنى المحبة والرضى  
 وهى الإرادة الدينية وإليه الإشارة بقوله { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ  
 وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 والثانى الإرادة الكونية كما  
 قال تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ  
 أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ  
 { الأنعام 125 } وقال تعالى { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ  
 مَا يُرِيدُ } البقرة 253 و قال نوح { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ  
 أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ } هود 34 وقال { إِنَّمَا أَمْرُهُ  
 إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 و كما قال { وَلَا  
 يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } {118} { إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } {119}  
 هود 118-119 و كما قال { يُتَّبِعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ  
 الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ  
 مَا يَشَاءُ } إبراهيم 27 ومثل قول المسلمين ما شاء الله كان ومالم  
 يشأ لم يكن فجميع الكائنات داخله فى هذه الإرادة والإشاعة لا  
 يخرج عنها خير ولا شر ولا عرف ولا نكر وهذه الإرادة  
 والإشاعة تتناول ما لا يتناوله الأمر الشرعى وأما الإرادة الدينية  
 فهى مطابقة للأمر الشرعى لا يختلفان وهذا التقسيم الوارد فى  
 إسم الإرادة يرد مثله فى إسم فى الاذن والأمر والكلمات  
 والتحرير والحكم والقضاء والكتاب والبعث كما قد بيناه فى غير  
 هذا الموضوع وبمعرفة تندفع شبهات عظيمة وبهذا الجمع  
 والتفريق تزول الشبهة فى مسألة الأمر الشرعى هل هو مستلزم

للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية  
القدرية وإن كان مستلزماً للإرادة الدينية الشرعية <sup>268</sup>

\* الله حكمة بالغة في أفضيته و أقداره و إن لم يعلمه العباد فإن الله  
علم علماً و علمه لعباده أو لمن يشاء منهم و علم علماً لم يعلمه  
لعباده { وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا } البقرة 255 و هو  
سبحانه أراد من العباد ما هم فاعلوه إرادة تكوين كما إنفق  
المسلمون على أنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و كما قال  
{ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ  
يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 ولكن لم يرد  
المعاصي من أصحابها إرادة أمر و شرع و محبة و رضى و  
دين بل ذلك كما قال تعالى { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ  
الْعُسْرَ } البقرة 185 <sup>269</sup>

\* وقد ذكر الله في كتابه الفرق بين الإرادة و الأمر و  
القضاء و الاذن و التحريم و البعث و  
الارسال و الكلام و الجعل بين الكونى الذى خلقه  
وقدره وقضاه وان كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثبت اصحابه  
ولا يجعلهم من اوليائه المتقين وبين الدينى الذى امر به وشرعه  
واثاب عليه واکرمهم وجعلهم من اوليائه المتقين وحرزه المفلحين  
وجنده الغالبين وهذا من أعظم الفروق التى يفرق بها بين اولياء  
الله واعدائه فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه  
ويرضاه ومات على ذلك كان من اوليائه ومن كان عمله فيما  
يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من اعدائه ف

<sup>268</sup> مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 440 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 582  
و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 24-25 و مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 412  
و الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 23

<sup>269</sup> مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 201



الارادة الكونية هي مشيئته لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته و ارادته الكونية والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبهه ورضاه المتناولة لما امر به وجعله شرعا ودينا وهذه مختصة بالايمان والعمل الصالح<sup>270</sup>

\*ان الله إذا أمر العبد بشيء فقد اراده منه إرادة شرعية دينية وان لم يرده منه إرادة قدرية كونية فاثبات إرادته في الأمر مطلقا خطأ ونفيها عن الأمر مطلقا خطأ وانما الصواب التفصيل<sup>271</sup>

و جهم و من و افقه من المعتزلة إشتركوا في أن مشيئة الله ومحبهه ورضاه بمعنى واحد ثم قالت المعتزلة وهو لا يحب الكفر والفسوق و العصيان فلا يشاؤه فقالوا إنه يكون بلا مشيئة و قالت الجهمية بل هو يشاء ذلك فهو يحبه ويرضاه و أبو الحسن وأكثر أصحابه وافقوا هؤلاء فذكر أبو المعالي الجويني أن أبا الحسن أول من خالف السلف في هذه المسألة ولم يفرق بين المشيئة والمحبة والرضا و أما سلف الأمة وأئمتها وأكابر أهل الفقه و الحديث و التصوف و كثير من طوائف النظار كالكلابية و الكرامية و غيرهم فيفرقون بين هذا و هذا و يقولون أن الله يحب الإيمان و العمل الصالح و يرضى به كما لا يأمر ولا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان ولا يحبه كما لا يأمر به و إن كان قد شاءه و لهذا كان حملة الشريعة من الخلف والسلف متفقين على أنه لو حلف ليفعلن واجبا أو مستحبا كقضاء دين يضيق وقته أو عبادة يضيق وقتها و قال إن شاء الله ثم لم يفعله لم يحنث و هذا يبطل قول القدرية ولو قال إن كان الله يحب ذلك و يرضاه فإنه يحنث كما لو قال إن كان يندب الى ذلك و يرغب فيه أو يأمر به أمر إيجاب أو إستحباب وهذا يرد على الجهمية و من

---

<sup>270</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 266 و منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 157 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 46 و التحفة العراقية ج: 1 ص: 46

<sup>271</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 355

إتبعهم كأبى الحسن الأشعري و من و افقه من المتأخرين و بسط  
 هذه الأمور له موضع آخر و المقصود هنا جواب هذه  
 المسألة فإن هذه الإشكالات المذكورة إنما ترد على قول جهم  
 و من و افقه من المتأخرين من أصحاب أبى الحسن الأشعري  
 و غيرهم و طائفة من متأخري أصحاب مالك و الشافعي و أحمد  
 و أما أئمة اصحاب مالك و الشافعي و أحمد و عامة اصحاب ابى  
 حنيفة فانهم لا يقولون بقول هؤلاء بل يقولون بما اتفق عليه  
 السلف من انه سبحانه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و يثبتون  
 الفرق بين مشيئته و بين محبته و رضاه فيقولون ان الكفر  
 و الفسوق و العصيان و ان وقع بمشئته فهو لا يحبه و لا يرضاه بل  
 بسخطه و يبغضه و يقولون ارادة الله فى كتابه نوعان  
 نوع بمعنى المشيئة لما خلق كقوله { فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ  
 يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا  
 حَرَجًا كَأْتَمَا بَصُغْدُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125 و نوع بمعنى  
 محبته و رضاه لما امر به و إن لم يخلقه كقوله { يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ  
 الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } البقرة 185 و بهذا يفضل النزاع في  
 مسألة الامر هل هو مستلزم للارادة ام لا فان القدرية تزعم  
 انه مستلزم للمشيئة فيكون قد شاء المأمور به و لم يكن و الجهمية  
 قالوا انه غير مستلزم لشيء من الإرادة لا لحيه له و لا رضاه به  
 الا اذا وقع فانه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و كذلك عندهم ما  
 احبه و رضيه كان و ما يحبه لم يرضه لم يكن و تأولوا قوله { وَلَا  
 يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ } الزمر 7 على ان المراد ممن لم يقع منه  
 الكفر او لا يرضاه ديناً كما يقولون لم يشاه ممن لم يقع منه او لا  
 يشاه ديناً اذا كانوا موافقين للجهمية و القدرية فى انه لا فرق بين  
 المحبة و المشيئة و قد قال الله تعالى { إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ  
 عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ } الزمر 7  
 فاخبر انه اذا وقع الكفر من عباده لم يرضه لعباده كما قال {  
 إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ } النساء 108 و قال { وَاللَّهُ لَا  
 يُحِبُّ الْفُسَادَ } البقرة 205 مع قوله { وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ

صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا { الأنعام 125 و فصل الخطاب ان الأمر ليس مستلزما لمشيئة ان يخلق الرب الأمر الفعل المأمور به ولا ارادة ان يفعله بل قد يأمر بما لا يخلقه وذلك متسلوم لمحبه الرب ورضاه من العبد ان يفعله بمعنى انه اذا فعل ذلك احبه ورضيه وهو يريد منه ارادة الأمر من المأمور بما امره به لمصلحته وان لم يريد ان يخلقه وان يعينه عليه لما له في ترك ذلك من الحكمة فان له حكمه بالغة فيما خلقه وفيما لم يخلقه و فرق بين ان يريد ان يخلق هو الفعل ويجعل غيره فاعلا يحسن اليه ويتفضل عليه بالإعانه له على مصلحته وبين ان يأمر غيره بما يصلحه ويبين له ما بنفعة اذا فعله وان كان لا يريد هو نفسه ان يعينه لما في ترك اعانته من الحكمة لكون الاعانه قد متسزم ما يناقض حكمتة والمنهى عنه الذي خلقة هو يبغضه ويمقتة كما يمقت ما خلقه من الاعيان الخبيثة كالشياطين والخبائث ولكنه خلقها لحكمه يحبها ويرضاها ونحن نعلم ان العبد يريد ان يفعل ما لا يحبه لافضائه الى ما يحبه كما يشرب المريض الدواء الكريه لافضائه الى ما يحبه من العافية ويفعل ما يكرهه من الاعمال لافضائه الى مطلوبه المحبوب له ولا منافاة بين كون الشيء بغیضا اليه مع كونه مخلوقا له لحكمه يحبها وكذلك لا منافاة بين ان يحبه اذا كان ولا يفعله لان فعله قد يستلزم تفويت ما هو احب اليه منه او وجود ما هو ابغض اليه من عدمه<sup>272</sup>

\* فالخبر يتضمن العلم بالمخبر به و الأمر يتضمن طلبا و إرادة للمأمور به و إن لم يكن ذلك إرادة فعل الأمر و الله تعالى أمر العباد بما أمرهم به و لكن أعان أهل الطاعة فصار مريدا لأن يخلق أفعالهم و لم يعن أهل المعصية فلم يرد أن يخلق أفعالهم فهذه الإرادة الخلقية القدرية لا تستلزم الأمر و اما الإرادة بمعنى

<sup>272</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 474-478

أنه يجب فعل ما أمر به و يرضاه إذا فعل و يريد من الأمور أن يفعله من حيث هو مأمور فهذه لابد منها في الأمر و لهذا أثبت الله هذه الإرادة في الأمر دون الأولى و لكن في الناس من غلط فنفى الإرادة مطلقا و كلا الفريقين لم يميز بين الإرادة الخلقية و الإرادة الأمرية و القرآن فرق بين الإرادتين فقال في الأولى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} الأنعام 125 و لهذا قال

المسلمون ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و قال في الثانية { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 و هذا مبسوط في موضع آخر و المقصود هنا أنه لابد في الأمر من طلب و استدعاء و إقتضاء سواء قيل إن هناك إرادة شرعية و أنه لا إرادة للرب متعلقة بأفعال لعباد سواها كما تقوله المعتزلة و نحوهم من القدرية أو قيل لا إرادة للرب إلا الإرادة الخلقية القدرية التي يقال فيها ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن و أن إرادته عين نفس محبته و رضاه و أن إرادته و محبته و رضاه متعلقة بكل ما يوجد من إيمان و كفر و لا تتعلق بما لا يوجد سواء كن إيمانا أو كفرا و أنه ليس للعبد قدرة لها أثر في وجود مقدوره و ليس في المخلوقات قوى و أسباب يخلق بها و لا لله حكمة يخلق و يامر لأجلها كما يقول هذا و ما يشبهه جهم بن صفوان رأس لجبرية هو و من و افقه على ذلك أو بعضه من طوائف أهل الكلام و بعض متأخري الفقهاء و غيرهم المثبتين للقدر على هذه الطريقة لا على طريقة السلف و الأئمة كأبي الحسن و غيره فإن هؤلاء ناقضوا القدرية المعتزلة مناقضة ألجأتهم إلى إنكار حقيقة الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و إن كان من يقول ببعض ذلك يتناقض وقد يثبت أحدهم من ذلك مما لا حقيقة له في المعنى و أما السلف و أئمة الفقهاء و جمهور المسلمين فيثبتون الخلق والأمر والإرادة الخلقية القدرية الشاملة لكل حادث و الإرادة الأمرية الشرعية المتناولة لكل ما يحبه الله و يرضاه لعباده و هو ما أمرت به الرسل و هو ما ينفع

العباد و يصلحهم و يكون له العاقبة الحميدة النافعة فى المعاد  
الدافعة للفساد فهذه الإرادة الأمرية الشرعية متعلقة بالهيئة  
المتضمنة لربوبيته كما أن تلك الإرادة الخلقية القدرية متعلقة  
بربوبيته و لهذا كان من نظر على هذه فقط و راعى هذه الخلقية  
الكونية القدرية دون تلك يكون له بداية بلا نهاية فيكون من  
الأخسرين أعمالا يحصل لهم بعض مطالبهم في الدنيا لإستعانتهم  
بأنه إذ شهدوا ربوبيته و لا خلاق لهم في الآخرة إذ لم يعبدوا الله  
مخلصين له الدين و قد وقع فى هذا طوائف من أهل التصوف و  
الكلام و من نظر إلى الحقيقة الشرعية الأمرية دون ذلك  
فإنه قد يكون له عاقبة حميدة و قد يراعى الأمر لكنه يكون عاجز  
مخدولا حيث لم يشهد ربوبية الله و فقره إليه ليكون متوكلا عليه  
بريا من الحول و القوة إلا به فهذا قد يقصد أن يعبده و لا يقصد  
حقيقة الإستعانة به و هي حال القدرية من المعتزلة و نحوهم  
الذين يقولون أن الله ليس خالقا أفعال العباد و لا مريدا للكائنات و  
لهذا قال أبو سليمان الداراني إنما يعجب بفعله القدرى لأنه لا  
يرى أنه هو الخالق لفعله فأما أهل السنة الذين يقولون أن الله  
خالق أفعالهم و أن الله المنة عليهم فى ذلك فكيف يعجبون بها أو  
كما قال و الأول قد يقصد أن يستعينه و يسأله و يتوكل عليه  
و يبرأ من الحول و القوة إلا به و لكن لا يقصد أن يعبده بفعل ما  
أمر به و ترك ما نهى عنه على ألسن رسله و لا يشهد أن الله  
يحب أن يعبد و يطاع و أنه يفرح بتوبة التائبين و يحب المتقين و  
يغضب على الكفار و المنافقين بل ينسلخ من الدين أو بعضه لا  
سيما في نهاية أمره و هذه الحال إن طردها صاحبها كان شرا  
من حال المعتزلة القدرية بل إن طردها طرد حقيقيا أخرجته من  
الدين خروج الشعرة من العجين و هي حال المشركين و أما من  
هداه الله فإنه يحقق قوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5  
و يعلم أن كل عمل لا يراد به وجه الله و لا يوافق أمره فهو  
مردود على صاحبه و كل قاصد لم يعنه الله فهو مصدود من  
مآربه فإنه يشهد أن لا إله إلا الله فيعبد الله مخلصا له الدين

مستعينا بالله على ذلك مؤمنا بخلقه وأمره بقدره وشرعه  
 فيستعين الله على طاعته ويشكره عليه ويعلم أنها منة من الله  
 عليه ويستعيذ بالله من شر نفسه وسيئات عمله ويعلم أن ما  
 أصابه من سيئة فمن نفسه مع علمه بأن كل شيء بقضاء الله و  
 قدره وأن لله الحجة البالغة على خلقه وأن له في خلقه وأمره  
 حكمة بالغة ورحمة سابغة وهذه الأمور أصول عظيمة لبسطها  
 موضع آخر <sup>273</sup>

\*قد أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علما وقدرة وحكما  
 ووسع كل شيء رحمة وعلما فما من ذرة في السموات والأرض  
 ولا معنى من المعاني إلا وهو شاهد لله تعالى بتمام العلم  
 والرحمة وكمال القدرة والحكمة وما خلق الخلق باطلا ولا فعل  
 شيئا عبثا بل هو الحكيم في أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى ثم من  
 حكمته ما أطلع خلقه بعضهم ومنه ما استأثر سبحانه بعلمه  
 وإرادته قسمان إرادة أمر وتشريع وإرادة قضاء وتقدير فالقسم  
 الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاصي سواء وقعت أو لم  
 تقع كما في قوله { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ  
 قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } النساء 26 وقوله { يُرِيدُ  
 اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 وأما القسم الثاني  
 وهو إرادة التقدير فهي شاملة لجميع الكائنات محيططة بجميع  
 الحادثات وقد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى  
 الأول كما في قوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ  
 لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا  
 } الأنعام 125 وفي قوله { وَلَا يَفْعَلُكُمْ نَجْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ  
 أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ  
 } هود 34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن  
 ونظائره كثيرة وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات

والمعاصي دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث والسعيد من أراد منه تشريعا ما أراد به تقديرا والعبد الشقي من أراد به تقديرا ما أراد به تشريعا والحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين فمن نظر إلى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا ومن نظر إلى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعور مثل قريش الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } { الأنعام 148 قال الله تعالى } كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ { الأنعام 148 فإن هؤلاء اعتقدوا أن كل ما شاء الله وجوده وكونه وهي الإرادة القدرية فقد أمر به ورضيه دون الإرادة الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله وجوده قالوا فيكون قد رضيه وأمر به قال الله هكذا كذب الذين من قبلهم بالشرائع من الأمر والنهي حتى ذاقوا بأسنا { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا } { الأنعام 148 بأن الله شرع الشرك وتحريم ما حرمتوه إن تتبعون في هذا إلا الظن وهو توهمكم أن كل ما قدره فقد شرعه { وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } { الأنعام 148 أي تكذبون وتفرون بإبطال شريعته { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } { الأنعام 149 على خلقه حين أرسل الرسل إليهم فدعوهم إلى توحيده وشريعته ومع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين إلى متابعة شريعته لكنه يمن على من يشاء فيهديه فضلا منه وإحسانا ويحرم من يشاء لأن المتفضل له أن يتفضل وله أن لا يتفضل فترك تفضله على من حرمه عدل منه وقسط وله في ذلك حكمة بالغة وهو يعاقب الخلق على مخالفة أمره وإرادته الشرعية وإن كان ذلك بإرادته القدرية فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضا بعقابها كما أنه سبحانه قد يقدر على العبد أمراضا تعقبه ألا ما فالمرض بقدره والألم بقدره فإذا قال العبد قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعاقب كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم أو قد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا

يحم مزاجي أو قد تقدمت بالضرب فلا يتألم المضروب وهذا مع أنه جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل اعتلاله بالقدر ذنب ثان يعاقب عليه أيضا وإنما اعتل بالقدر إبليس حيث قال { بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأُرِيَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر 39 وأما آدم فقال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } الأعراف 23 فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه ومن أراد شقاوته اعتل بعلة إبليس أو نحوها فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار ومثله مثل رجل طار إلى داره شرارة نار فقال له العقلاء أطفئها لئلا تحرق المنزل فأخذ يقول من أين كانت هذه ريح ألقتها وأنا لا ذنب لي في هذه النار فما زال يتعلل حتى انتشرت وانتشرت الدار وما فيها هذه حال من شرع يحيل الذنوب على المقادير ولا يردها بالاستغفار والمعاذير بل حاله أسوأ من زلات الذنوب وكان الله بخلاف الشررة فإنه لافعل له فيها و الله سبحانه يوفقنا وإياكم وسائر إخواننا لما يحبه ويرضاه ولا تنال طاعته إلا بمعونة وتترك معصيته إلا بعصمته و الله أعلم <sup>274</sup>

\*فقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع العلماء أنه لو حلف ليقضينه حقه في غد إن شاء الله تعالى فخرج الغد ولم يقضه مع قدرته على القضاء من غير عذر وطالبه المستحق له لم يحنث ولو كانت المشيئة بمعنى الأمر لحنث لأنه مأمور بذلك وكذلك سائر الحلف على فعل مأمور إذا علقه بالمشيئة وأيضا فإنه قد قال تعالى { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً } يونس 99 مع أنه قد أمرهم بالإيمان فعلم أنه قد أمرهم بالإيمان ولم يشأه وكذلك قوله { وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً

<sup>274</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 30-33



حَرَجًا { الأَنْعَامُ 125 دليل على أنه أراد ضلاله وهو لم يأمره  
275 بالضلال

\*تنازع الناس في الأمر والإرادة هل يأمر بما لا يريد أولاً  
بأمر إلا بما يريد فإن الإرادة لفظ فيه إجمال يراد بالإرادة الكونية  
الشاملة لجميع الحوادث كقول المسلمين ما شاء الله كان وما لم  
يشأ لم يكن وكقوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ  
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا  
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ { الأَنْعَامُ 125 وقول نوح عليه السلام  
{ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ  
يُغْوِيَكُمْ { هود 34 ولا ريب أن الله يأمر العباد بما لا يريد به هذا  
التفسير والمعنى كما قال تعالى { وَأَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ  
هُدَاهَا { السجدة 13 فدل على أنه لم يؤت كل نفس هداها مع أنه  
قد أمر كل نفس بهداها وكما إتفق العلماء على أن من حلف بالله  
ليقضين دين غريمه غدا إن شاء الله أوليردن وديعته أو غصبه أو  
ليصلين الظهر أو العصر إن شاء الله أو ليصومن رمضان إن  
شاء الله ونحو ذلك مما أمره الله به فإنه إذا لم يفعل المحلوف عليه  
لا يحنت مع أن الله أمره به لقوله إن شاء الله فعلم أن الله لم يشأه  
مع أمره به وأما الإرادة الدينية فهي بمعنى المحبة والرضى  
وهي ملازمة للأمر كقوله تعالى { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ  
سُنْنَ الدِّينِ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ { النساء 26 ومنه قول  
المسلمين هذا يفعل شيئاً لا يريد الله إذا كان يفعل بعض الفواحش  
أى أنه لا يحبه ولا يرضاه بل ينهى عنه ويكرهه وكذلك لفظ  
الجبر فيه إجمال يراد به إكراه الفاعل على الفعل بدون رضاه  
كما رضاه كما يقال أن الأب يجبر المرأة على النكاح والله تعالى  
أجل وأعظم من أن يكون مجبراً بهذا التفسير فإنه يخلق للعبد  
الرضاء والإختيار بما يفعله وليس ذلك جبراً بهذا الإعتبار ويراد

بالجبر خلق ما فى النفوس من الإعتقادات والإرادات كقول محمد بن كعب القرظي الجبار الذى جبر العباد على ما أراد وكما فى الدعاء المأثور عن علي رضى الله عنه جبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها والجبر ثابت بهذا التفسير فلما كان لفظ الجبر مجملا نهى الأئمة الإعلام عن إطلاق إثباته أو نفيه <sup>276</sup>

ومن قال أن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التى خلق الله تعالى بها المخلوقات ليست أسبابا أو أن وجودها كعدمها وليس هناك إلا مجرد إقتران عادي كإقتران الدليل بالمدلول فقد جحد ما فى خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل ولم يجعل فى العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ولا فى القلب قوة يمتاز بها عن الرجل يعقل بها ولا فى النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها وهؤلاء ينكرون ما فى الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز قال بعض الفضلاء تكلم قوم من الناس فى إبطال الأسباب والقوى والطبائع فأضحكوا العقلاء على عقولهم ثم أن هؤلاء لا ينبغى للإنسان أن يقول أنه شبع بالخبز وروى بالماء بل يقول شبعت عنده ورويت عنده فإن الله يخلق الشبع والري ونحو ذلك من الحوادث عند هذه المقترنات بها عادة لا بها وهذا خلاف الكتاب والسنة فإن الله تعالى يقول { وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأعراف 57 الآية وقال تعالى { وَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ } البقرة 164 وقال تعالى { قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ } التوبة 14 وقال { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ

<sup>276</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 131-132

وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا  
 {التوبة 52} وقال {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ  
 وَحَبَّ الْحَصِيدِ {ق9} وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ  
 السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ {الأنعام 99} وقال تعالى  
 {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا  
 أَلْوَانُهَا {فاطر 27} وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
 لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ {10} {يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ  
 وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ {11} {النحل 10-  
 11} وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا} {البقرة 26  
 إلى قوله} {يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا} {البقرة 26} وقال قد  
 جاءكم من الله نور وكتاب مبين { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ  
 مُّبِينٌ {15} {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ  
 السَّلَامِ} {16} {المائدة 15-16} ومثل هذا في القرآن كثير وكذلك  
 في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم كقوله لا يموتن  
 أحد منكم إلا أدنتموني به حتى أصلي عليه فإن الله جعل بصلاتي  
 عليه بركة ورحمة وقال صلى الله عليه وسلم إن هذه  
 القبور مملوءة على أهلها ظلمة وإن الله جاعل بصلاتي عليهم  
 نورا ومثل هذا كثير ونظير هؤلاء الذين أبطلوا  
 الأسباب المقدره في خلق الله من أبطل الأسباب المشروعة في  
 أمر الله كالذين يظنون أن ما يحصل بالدعاء والأعمال الصالحة  
 وغير ذلك من الخيرات إن كان مقدرًا حصل بدون ذلك وإن لم  
 يكن مقدرًا لم يحصل بذلك وهؤلاء كالذين قالوا للنبي أفلا ندع  
 العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق  
 له وفي السنن أنه قيل يارسول الله أرأيت أدوية ننداوى بها  
 ورقى نسترقى وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً فقال هي  
 من قدر الله ولهذا قال من قال من العلماء الإلتفات إلى الأسباب  
 شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابا تغيير في وجه  
 العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قذح في الشرع  
 والله سبحانه خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سببا لهذا فإذا

قال القائل إن كان هذا مقدرًا حصل بدون السبب وإلا لم يحصل جوابه أنه مقدر بالسبب وليس مقدرًا بدون السبب كما قال النبي إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال أكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح قال فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها فبين أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمله ويختم له به وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمله ويختم له به كما قال صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالخواتيم وذلك لأن جميع الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة ونظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمداً قبل كمال الصلاة بطل عمله وبالجملة فالذي عليه سلف الأمة وأئمتها ما بعث الله به رسله وأنزل كتبه فيؤمنون بخلق الله وأمره بقدره وشرعه بحكمه الكوني وحكمه الديني وإرادته الكونية والدينية كما قال في الآية الأولى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأْتَمًا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ {الأنعام} 125 وقال نوح عليه السلام {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ {هود} 34 وقال تعالى في الإرادة الدينية {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ {البقرة} 185 وقال {يُرِيدُ اللَّهُ

لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ  
 حَكِيمٌ { النساء 26 } وَقَالَ { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ  
 وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ } المائدة 6 وهم مع  
 إقرارهم بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وأنه خلق الأشياء  
 بقدرته و مشيئته يقرون بأنه لا إله إلا هو لا يستحق العبادة غيره  
 و يطيعونه و يطيعون رسله و يحبونه و يرجونه و يخشونه و  
 يتكلمون عليه و ينبئون اليه و يوالون أوليائه و يعادون أعداءه  
 و يقرون بمحبته لما أمر به و لعباده المؤمنين و رضاه بذلك و  
 بغضه لما أنهى عنه و للكافرين و سخطه لذلك و مقتته له و  
 يقرون بما إستفاض عن النبي صلى الله عليه و سلم من أن الله  
 أشد فرحا بتوبة عبده التائب من رجل أضل راحلته بأرض دوية  
 مهلكة عليها طعامه و شرابه فطلبها فلم يجدها فقال تحت شجرة  
 فلما إستيقظ إذا بدابته عليها طعامه و شرابه فإله أشد فرحا بتوبة  
 عبده من هذا براحلته فهو إلههم الذي يعبدونه و ربهم الذي  
 يسألونه كما قال تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ } {2} الفاتحة 2 إلى قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ  
 نَسْتَعِينُ } {5} الفاتحة 5 فهو المعبود المستعان و العبادة تجمع كمال  
 الحب مع كمال الذل فهم يحبونه أعظم مما يحب كل محب  
 محبوبه

277

## هل أراد الله تعالى المعصية من خلقه أم لا؟

\* لفظ الإرادة مجمل له معنيان فيقصد به المشيئة لما خلقه  
 و يقصد به المحبة و الرضا لما أمر به فإن كان مقصود السائل  
 أنه أحب المعاصي و رضيها و أمر بها فلم يردها بهذا المعنى فإن  
 الله لا يحب الفساد و لا يرضى لعباده الكفر و لا يأمر بالفحشاء بل

قال لما نهى عنه {كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا  
 {الإسراء 38 وإن أراد أنها من جملة ما شاءه وخلقه فالله خالق  
 كل شيء وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا يكون في الوجود إلا  
 ما شاء وقد ذكر الله في موضع أنه يريد بها وفي موضع أنه لا  
 يريد بها والمراد بالأول أنه شاءها خلقاً وبالتالي أنه لا يحبها ولا  
 يرضاها أمراً كما قال تعالى {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ  
 صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا  
 {الأنعام 125 وقال نوح {وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ  
 أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ {هود 34 وقال  
 في الثاني { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ  
 {البقرة 185 وقال تعالى { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ {26} وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ  
 يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا  
 عَظِيمًا {27} يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ  
 ضَعِيفًا {28} النساء 26-28 وقال { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ  
 مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ  
 {المائدة 6} وقال { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ  
 وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا { الأحزاب 33 <sup>278</sup>

قد أحاط ربنا سبحانه وتعالى بكل شيء علماً وقدرة وحكماً ووسع  
 كل شيء رحمة وعلماً فما من ذرة في السموات والأرض ولا  
 معنى من المعاني إلا وهو شاهد لله تعالى بتمام العلم والرحمة  
 وكمال القدرة والحكمة وما خلق الخلق باطلاً ولا فعل شيئاً عبثاً  
 بل هو الحكيم في أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى ثم من حكمته ما  
 أطلع بعض خلقه عليه ومنه ما إستأثر سبحانه بعلمه  
 إرادته قسماً إرادة أمر و تشريع وإرادة قضاء و تقدير

<sup>278</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 160

فالقسم الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاصي سواء وقعت أو لم تقع كما في قوله { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ } النساء 26 وقوله { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } البقرة 185 وأما القسم الثاني وهو إرادة التقدير فهي شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات وقد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى الأول كما في قوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 وفي قوله { وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ } هود 34 وفي قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن نظائره كثيرة وهذه الإرادة تتناول ما حدث من الطاعات والمعاصي دون ما لم يحدث كما أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث و السعيد من أراد منه تقديرا ما أراد به تشريعا والعبد الشقى من أراد به تقديرا ما لم يرد به تشريعا والحكم يجري على وفق هاتين الإرادتين فمن نظر الى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا و من نظر الى القدر دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعور مثل قريش الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 قال الله تعالى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 فإن هؤلاء اعتقدوا أن كل ما شاء الله وجوده وكونه وهي الإرادة القدرية فقد أمر به ورضيه دون الارادة الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله وجوده قالوا فيكون قد رضيه وأمر به قال الله { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } الأنعام 148 بالشرائع من الأمر والنهي { حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا } الأنعام 148 بأن الله شرع الشرك و تحريم ما حرمتموه }

{الْأَنْعَامُ 148} فِي هَذَا {إِلَّا الظَّنَّ} {الْأَنْعَامُ 148} وَ  
 هُوَ تَوْهَمُكُمْ أَنْ كُلَّ مَا قَدَرَهُ فَقَدْ شَرَعَهُ {وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَحْرُصُونَ  
 {الْأَنْعَامُ 148} أَي تَكْذِبُونَ وَتَفْتَرُونَ بِإِبْطَالِ شَرِيعَتِهِ {فَلِلَّهِ  
 الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ} {الْأَنْعَامُ 149} عَلَى خَلْقِهِ حِينَ أَرْسَلَ الرِّسَالَ إِلَيْهِمْ  
 فَدَعَوْهُمْ إِلَى تَوْحِيدِهِ وَشَرِيعَتِهِ وَ مَعَ هَذَا فَلَوْ شَاءَ هَدَى الْخَلْقَ  
 أَجْمَعِينَ إِلَى مَتَابَعَةِ شَرِيعَتِهِ لَكِنَّهُ يَمْنُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ فِيهِدِيهِ فَضْلاً  
 مِنْهُ وَإِحْسَاناً وَ يَحْرُمُ مَنْ يَشَاءُ لِأَنَّ الْمُتَفَضَّلَ لَهُ أَنْ يَتَفَضَّلَ لَهُ أَنْ  
 لَا يَتَفَضَّلَ فَتَرَكَ تَفَضُّلَهُ عَلَى مَنْ حَرَمَهُ عَدْلٌ مِنْهُ وَ قَسْطٌ وَ لَهُ فِي  
 ذَلِكَ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ وَهُوَ يَعَاقِبُ الْخَلْقَ عَلَى مَخَالَفَةِ أَمْرِهِ وَإِرْدَاةِ  
 الشَّرْعِيَّةِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ بِإِرَادَتِهِ الْقَدْرِيَّةِ فَإِنَّ الْقَدْرَ كَمَا جَرَى  
 بِالْمَعْصِيَةِ جَرَى أَيْضاً بِعِقَابِهَا كَمَا أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ قَدْ يَقْدِرُ عَلَى الْعَبْدِ  
 أَمْرًا أَيْضاً تَعْقِبُهُ أَلَمًا فَالْمَرَضُ بِقَدْرِهِ وَ الْأَلَمُ بِقَدْرِهِ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ قَدْ  
 تَقَدَّمَتِ الْإِرَادَةُ بِالذَّنْبِ فَلَا أَعَاقِبُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِ الْمَرِيضِ قَدْ  
 تَقَدَّمَتِ الْإِرَادَةُ بِالْمَرَضِ فَلَا أَتَأَلَّمُ وَ قَدْ تَقَدَّمَتِ الْإِرَادَةُ بِأَكْلِ الْحَارِ  
 فَلَا يَحْمُ مَزَاجِي أَوْ قَدْ تَقَدَّمَتِ بِالضَّرْبِ فَلَا يَتَأَلَّمُ الْمَضْرُوبُ وَ هَذَا  
 مَعَ أَنَّهُ جَهْلٌ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ صَاحِبَهُ بَلْ إِعْتِلَالُهُ بِالْقَدْرِ ذَنْبٌ بَانَ  
 يَعَاقِبُ عَلَيْهِ أَيْضاً وَ إِنَّمَا إِعْتَلَّ بِالْقَدْرِ إِبْلِيسُ حَيْثُ قَالَ {بِمَا  
 أَغْوَيْتَنِي لِأَزِيَّتَنِّي لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} {الحجر 39} وَ أَمَا آدَمُ فَقَالَ  
 {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ  
 الْخَاسِرِينَ} {الأعراف 23} فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ سَعَادَتَهُ أَلْهَمَهُ أَنْ يَقُولَ  
 كَمَا قَالَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ نَحْوَهُ وَ مَنْ أَرَادَ شَقَاوَتَهُ إِعْتَلَّ بِعِلَّةِ  
 إِبْلِيسَ أَوْ نَحْوَهَا فَيَكُونُ كَالْمَسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ مِثْلَهُ مِثْلُ  
 رَجُلٍ طَارَ إِلَى دَارِهِ شَرَارَةٌ نَارٌ فَقَالَ لَهُ الْعَقْلَاءُ أَطْفَأْنَاهَا لئَلَّا تَحْرُقَ  
 الْمَنْزَلَ فَأَخَذَ يَقُولُ مَنْ أَيْنَ كَانَتْ هَذِهِ رِيحُ أَلْقَتَهَا وَ أَنَا لَا ذَنْبَ لِي  
 فِي هَذِهِ النَّارِ فَمَا زَالَ يَتَعَلَّلُ بِهَذِهِ الْعِلَلِ حَتَّى اسْتَعْرَتْ وَ انْتَشَرَتْ  
 وَاحْرَقَتْ الدَّارَ وَ مَا فِيهَا هَذِهِ حَالٌ مِنْ شَرِّ حَيْلِ الذَّنُوبِ عَلَى  
 الْمَقَادِيرِ وَ لَا يَرُدُّهَا بِالِاسْتِغْفَارِ وَ الْمَعَاذِيرِ بَلْ حَالُهُ أَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ  
 بِالذَّنْبِ الَّذِي فَعَلَهُ بِخِلَافِ الشَّرَارَةِ فَإِنَّهُ لَا فَعَلَ لَهُ فِيهَا وَاللَّهُ  
 سَبَّحَانَهُ يُوَفِّقُنَا وَ إِيَّاكُمْ وَ سَائِرَ إِخْوَانِنَا لِمَا يَجِبُهُ وَ يَرْضَاهُ فَإِنَّهَا لَا



تنال طاعته إلا بمعونته ولا تترك معصيته إلا بعصمته والله أعلم

279

## الهدى أربعة أقسام

\*وجلب المنفعة ودفع المضرة أما أن يكون في الدين أو في الدنيا فصارت أربعة أقسام الهداية والمغفرة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدين والطعام والكسوة وهما جلب المنفعة ودفع المضرة في الدنيا وإن شئت قلت الهداية والمغفرة يتعلقان بالقلب الذي هو ملك البدن وهو الأصل في الأعمال الإرادية والطعام والكسوة يتعلقان بالبدن الطعام لجلب منفعته واللباس لدفع مضرته وفتح الأمر بالهداية فإنها وإن كانت الهداية النافعة هي المتعلقة بالدين فكل أعمال الناس تابعة لهدى الله إياهم كما قال سبحانه { سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى } {1} { الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى } {2} { وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى } {3} { الإعلى 1-3 } وقال موسى { رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى } { طه 50 } وقال تعالى { وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ } { البلد 10 } وقال { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا } { الإنسان 3 } ولهذا قيل الهدى أربعة أقسام أحدها الهداية إلى مصالح الدنيا فهذا مشترك بين الحيوان الناطق والأعجم وبين المؤمن والكافر و الثاني الهدى بمعنى دعاء الخلق إلى ما ينفعهم وأمرهم بذلك وهو نصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب فهذا أيضا يشترك فيه جميع المكلفين سواء آمنوا أو كفروا كما قال تعالى { وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى } { فصلت 17 } وقال تعالى { إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } { الرعد 7 } وقال تعالى { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }

279 مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 197-200

{ الشورى 52 فهذا مع قوله { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ  
{ القصص 56 يبين أن الهدى الذى أثبتته هو البيان والدعاء  
والأمر والنهى والتعليم وما يتبع ذلك ليس هو الهدى الذى نفاه  
وهو القسم الثالث الذى لا يقدر عليه إلا الله والقسم الثالث  
الهدى الذى هو جعل الهدى فى القلوب وهو الذى يسميه بعضهم  
بالإلهام والإرشاد وبعضهم يقول هو خلق القدرة على الإيمان  
كالتوفيق عندهم ونحو ذلك وهو بناء على أن الإستطاعة لا تكون  
إلا مع الفعل فمن قال ذلك من أهل الإثبات جعل التوفيق والهدى  
ونحو ذلك خلق القدرة على الطاعة وأما من قال أنها  
إستطاعتان إحداهما قبل الفعل وهى الإستطاعة المشروطة  
فى التكليف كما قال تعالى { وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ  
اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا } آل عمران 97 وقال النبی لعمران بن حصين  
صل قائماً فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنب  
وهذه الإستطاعة يقترن بها الفعل تارة والترك أخرى وهى  
الإستطاعة التى لم تعرف القدرية غيرها كما أن أولئك المخالفين  
لهم من أهل الإثبات لم يعرفوا إلا المقارنة وأما الذى عليه  
المحققون من أئمة الفقه والحديث والكلام وغيرهم فاثبات  
النوعين جميعاً كما قد بسطناه فى غير هذا الموضع فإن الأدلة  
الشرعية والعقلية تثبت النوعين جميعاً والثانية المقارنة للفعل  
وهى الموجبة له وهى المنفية عن من لم يفعل فى مثل قوله { مَا  
كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ } هود 20 وفى قوله  
{ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا } الكهف 101 وهذا الهدى الذى يكثر ذكره  
فى القرآن فى مثل قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6  
وقوله { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ  
يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 وفى قوله { مَنْ  
يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا } الكهف 17  
وأمثال ذلك وهذا هو الذى تنكر القدرية أن يكون الله هو  
الفاعل له ويزعمون أن العبد هو الذى يهدى نفسه وهذا الحديث  
وأمثاله حجة عليهم حيث قال يا عبادى كلكم ضال إلا من

هديته فاستهدوني أهدكم فأمر العباد بأن يسألوه الهداية كما امرهم بذلك في أم الكتاب في قوله { اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 وعند القدرية إن الله لا يقدر من الهدى إلا على ما فعله من إرسال الرسل ونصب الأدلة وإزاحة العلة ولا مزية عندهم للمؤمن على الكافر في هداية الله تعالى ولا نعمة له على المؤمن أعظم من نعمته على الكافر في باب الهدى وقد بين الإختصاص في هذه بعد عموم الدعوة في قوله { وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } يونس 25 فقد جمع الحديث تنزيهه عن الظلم الذي يجوزه عليه بعض المثبتة وبيان أنه هو الذي يهدي عباده ردا على القدرية فأخبر هناك بعدله الذي يذكره بعض المثبتة وأخبر هنا بإحسانه وقدرته الذي تنكره القدرية وإن كان كل منهما قصده تعظيما لا يعرف ما اشتمل عليه قوله والقسم الرابع الهدى في الآخرة كما قال تعالى { إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } {23} وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ {24} {الحج 23-24} وقال { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ } يونس 9 فقوله { يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ } يونس 9 كقوله { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ } {الطور 21} على أحد القولين في الآية وهذا الهدى ثواب الإهداء في الدنيا كما أن ضلال الآخرة جزاء ضلال الدنيا وكما أن قصد الشر في الدنيا جزاؤه الهدى إلى طريق النار كما قال تعالى { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ } {22} { مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ } {23} {الصافات 22-23} وقال { وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا } {الإسراء 72} وقال { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا }

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى  
وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ  
الْيَوْمَ تُنْسَى {126} طه 126-123 وقال {وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ  
الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ  
الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا} الإسراء 97 الآية  
فأخبر أن الضالين في الدنيا يحشرون يوم القيامة عميا وبكما  
وصما فإن الجزاء أبدا من جنس العمل كما قال الراحمون  
يرحمهم الرحمن إرحموا من في الأرض يرحم من في السماء  
وقال من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى  
الجنة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن  
ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما  
كان العبد في عون أخيه وقال من سئل عن علم يعلمه  
فكتمه الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار<sup>280</sup>

## أن الله خص المؤمنين بنعمة دون الكافرين بأن هداهم للإيمان

\*جمهور أهل السنة يقولون إن العبد فاعل لفعله حقيقة لا مجازا  
وإنما نازع في ذلك طائفة من متكلمة أهل الاثبات كالأشعري  
ومن اتبعه القرآن مملوء بما يدل على أن أفعال العباد حادثة  
بمشيئة الله وقدرته وخلقه فيجب الإيمان بكل ما في القرآن ولا  
يجوز أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض<sup>281</sup>

<sup>280</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 424 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص:

176-171

<sup>281</sup>منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 258

\* أن أفعال العباد حادثة كائنة بعد ان لم تكن فحكمها حكم سائر الحوادث وهي ممكنة من الممكنات فحكمها حكم سائر الممكنات فما من دليل يستدل به على أن بعض الحوادث والممكنات مخلوقة لله إلا وهو يدل على أن أفعال العباد مخلوقة لله فإنه قد علم أن المحدث لا بد له من محدث وهذه المقدمة ضرورية عند جماهير العقلاء وكذلك الممكن لا بد له من مرجح تام فإذا كان فعل العبد حادثا بعد أن لم يكن فلا بد له من محدث وإذا قيل المحدث هو العبد فيكون العبد صار محدثا له بعد أن لم يكن هو أيضا أمر حادث فلا بد له من محدث إذ لو كان العبد لم يزل محدثا له لزم دوام ذلك الفعل الحادث وإذا كان إحداثه له حادثا فلا بد له من محدث وإذا قيل المحدث إرادة العبد قيل إرادته أيضا حادثة فلا بد لها من محدث وإن قيل حدثت بإرادة من العبد قيل تلك الإرادة أيضا لا بد لها من محدث فأبي محدث فرضته في العبد إن كان حادثا فالقول فيه كالقول في الحادث الأول وإن جعلته قديما أزليا كان هذا ممتنعا لأن ما يقوم بالعبد لا يكون قديما أزليا وإن قلت هو وصف للعبد وهي قدرته المخلوقة فيه مثلا لم ينفعك هذا لوجوه أحدها أن يقال فإذا كانت هذه القدرة المخلوقة فيه موجودة قبل حدوث الفعل وحين حدوثه فلا بد من سبب آخر حادث ينضم إليها وإلا لزم ترجيح أحد المثلين على الآخر بلا مرجح وحوث الحوادث بلا سبب حادث وإلا فإذا كان حال العبد قبل أن يفعل وحاله حين الفعل سواء لا مزية لأحد الحاليين على الآخر وكان تخصيص هذه الحال بكونه فاعلا فيها دون الأخرى ترجيحا لأحد المتماثلين بدون مرجح وهكذا إذا قيل فعله يمكن أن يكون وأن لا يكون والممكن لا يترجح وجوده على عدمه إلا بمرجح تام والمرجح إذا كان من العبد فالقول فيه كالقول في الفعل فلا بد أن يكون المرجح التام من الله تعالى وأن يستلزم وجوده وجود الفعل وإلا لم يكن تاما ولأجل هذا اتفق أهل السنة المثبتون للقدر على أن الله خص المؤمنين بنعمة دون الكافرين بأن هداهم للإيمان ولو كانت نعمته على المؤمنين مثل

نعتمه على الكافرين لم يكن المؤمن مؤمناً كما قال تعالى {  
 وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْأَيْمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ  
 وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ } الحجرات 7 وقال  
 تعالى { يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ  
 يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } الحجرات 17  
 وقال تعالى { فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ  
 بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } البقرة 213 وقال  
 تعالى { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ  
 } المجادلة 22 وقال تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ  
 لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما  
 يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125  
 282

\*قال الله تعالى { وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا } 2 { وَيَرْزُقْهُ مِنْ  
 حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ  
 قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا } 3 { الطلاق 2-3 وقد فسروا الآية  
 بالمخرج من ضيق الشبهات بالشاهد الصحيح والعلم الصريح  
 والذوق كما قالوا يعلمه من غير تعليم بشر ويفطنه من غير  
 تجربة ذكره أبو طالب المكي كما قالوا في قوله { إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ  
 يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا } الأنفال 29 أنه نور يفرق به بين الحق  
 والباطل كما قالوا بصرا والآية تعم المخرج من الضيق الظاهر  
 والضيق الباطن قال تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ  
 لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما  
 يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ } الأنعام 125 وتعم ذوق الأجساد وذوق  
 القلوب من العلم والإيمان كما قيل مثل ذلك في قوله { وَمِمَّا  
 رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ } البقرة 3 وكما قال { وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
 } البقرة 22 وهو القرآن والإيمان<sup>283</sup>

<sup>282</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 116-120

<sup>283</sup> مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 56

## { يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ }

\*الله خالق كل شيء و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و فى إستعاذة النبى صلى الله عليه و سلم أعوذ بكلمات الله التامة التى لا يجاوزها بر و لا فاجر من شر ما ذرأ و برأ و أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه و شر عبادته فكلماته التامة هى التى كون بها الأشياء كما قال تعالى { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس82 لا يجاوزها بر و لا فاجر و لا يخرج أحد عن القدر المقدر و لا يتجاوز ما خط له فى اللوح المسطور و هذا المعنى قد دل عليه القرآن فى غير موضع كقوله { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ } الأعراف179 الآية و قوله { مَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ } الأنعام111 { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحج70 و قوله فى السحر { وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } البقرة102 { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام125 و نحو ذلك <sup>284</sup>

\*إن كل ما فى الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته و قدرته و ما شاء كان و مالم يشأ لم يكن و هو الذى يعطى و يمنع و يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغني و يفقر و يضل و يهدى و يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقاً كأنما يصعد فى السماء و هو يقرب القلوب ما من قلب من قلوب العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه و إن شاء

أن يزيغه أزاغه و هو الذى حبيب إلى المؤمنين الإيمان وزينه فى قلوبهم وكره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان أولئك هم الراشدون وهو الذى جعل المسلم مسلماً والمصلي مصلياً قال الخليل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ } البقرة 128 و قال { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 و قال تعالى { وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 و قال عن آل فرعون { وَجَعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 و قال تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً } 19 { إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً } 20 { وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً } 21 { المعارج 19-21 و قال { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا } وَوَحَيْنَا } هود 37 و قال { وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ } هود 38 و الفلك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله { وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } يس 42 و قال { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ } النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم و قال تعالى { أَنْتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ } 95 { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } 96 { الصافات 95-96 فما بمعنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبنى دل على أنه خالق كل صانع و صنعته و قال تعالى { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْسِدًا } الكهف 17 و قال { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابعة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما بفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحكم الحاكمين و أرحم الراحمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى { وَتَرَى



الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ ثَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ  
 كُلَّ شَيْءٍ { النمل 88 } وقد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى  
 { وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا  
 { البقرة 164 } وقال { فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ  
 النَّعْمَاتِ { الأعراف 57 } وقال تعالى { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ  
 رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ { المائدة 16 }<sup>285</sup>

\* فالشر ليس إلى الله بوجه من الوجوه فإنه وإن كان الله خالق  
 أفعال العباد فخلقه للطاعات نعمة ورحمة وخلقه للسيئات له فيه  
 حكمة ورحمة وهو مع هذا عدل منه فما ظلم الناس شيئاً ولكن  
 الناس ظلموا أنفسهم وظلمهم لأنفسهم نوعان عدم عملهم  
 بالحسنات فهذا ليس مضافاً إليه وعملهم للسيئات خلقه عقوبة لهم  
 على ترك الحسنات التي خلقهم لها وأمرهم بها فكل نعمة منه  
 فضل وكل نقمة منه عدل ومن تدبر القرآن تبين له أن عامة  
 ما يذكره الله في خلق الكفر والمعاصي يجعله جزاء لذلك العمل  
 كقوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ  
 وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي  
 السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
 { الأنعام 125 }<sup>286</sup>

\* أما يبتلى به من الذنوب وإن كان خلقاً لله فهو عقوبة له  
 على عدم فعل ما خلقه الله له وفطره عليه فإنه خلقه لعبادته  
 وحده ودل عليه الفطرة فلما لم يفعل ما خلق له ما فطر عليه  
 عوقب على ذلك بأن زين له الشيطان ما يفعله من الشرك و  
 المعاصي قال تعالى { أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَأُكُمْ  
 جَزَاءً مَوْفُورًا { الإسراء 63 } إلى قوله { إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

<sup>285</sup> مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 78

<sup>286</sup> الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 94 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 335

سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا {الإسراء65} و قال تعالى { إِنَّهُ  
لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99} إِنَّمَا  
سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } {100}  
النحل99-100 الآية و قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ  
طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ } {201} وَإِحْوَانُهُمْ  
يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ } {202} الأعراف201-202  
فتبين أن الإخلاص يمنع من تسلط الشيطان كما قال تعالى {  
كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ }  
{يوسف24} فكان إلهامه لفجوره عقوبة له و عدم فعل  
الحسنات ليس أمرا موجودا حتى يقال إن الله خلقه و من تدبر  
القرآن تبين له أن عامة ما يذكر الله في خلق الكفر و المعاصي  
يجعله جزاء لذلك العمل كقوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ  
يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا  
حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ  
لَا يُؤْمِنُونَ } {الأنعام125} الآية و قال تعالى { فَلَمَّا زَاغُوا  
أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ } {الصف5} و قال { وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ  
وَاسْتَعْتَىٰ } {8} { وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ } {9} { فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ } {10} الليل  
8-10 و هذا و أمثاله يذكر فيه أعمالا عاقبهم بها على فعل  
محذور و ترك مأمور و لا بد لهم من حركة و إرادة فلما لم  
يتحركوا بالحسنات حركوا بالسيئات عدلا من الله كما قيل نفسك  
إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل و هذا الوجه إذا حقق  
يقطع مادة كلام طائفتي القدرية المكذبة و المجبرة الذين يقولون  
خلقها لذلك و التعذيب لهم ظلم يقال لهم إنما أوقعهم فيها و طبع  
على قلوبهم عقوبة لهم فما ظلمهم و لكن ظلموا أنفسهم يقال  
ظلمته إذا نقصته حقه قال تعالى { كَلَيْتَا الْجِنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ  
تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا } {الكهف33} وكثير منهم يسلمون أن الله خلق  
من الأعمال ما يكون جزاء على عمل متقدم و يقولون خلق  
طاعة المطيع لكن ما خلق شيئا من الذنوب ابتداء بل جزاء  
فيقولون أول ما يفعل العبد لم يحدثه الله و ما ذكرنا يوجب أن

يكون الله خالق كل شيء لكن أولها عقوبة على عدم فعله لما خلق له و العدم لا يضاف الى الله فما أحدثه فأوله عقوبة على هذا العدم و سائرهما قد يكون عقوبة على ما و جد و قد يكون عقوبة على إستمراره على العدم فما دام لا يخلص الله لا يزال مشركا و الشيطان مسلط عليه ثم تخصيصه سبحانه لمن هداه بأن إستعمله إبتداء فيما خلق له تخصيص بفضله و هذا منه لا يوجب الظلم ولا يمنع العدل ولهذا يقول تعالى { وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ } البقرة 105 وكذلك الفضل هو أعلم به كما خص بعض الأبدان بقوى لا توجد فى غيرها و بسبب عدم القوة قد تحصل له أمراض و جودية و غير ذلك من حكمته وتحقيق هذا يدفع شبهات هذا الباب و مما ذكر فيه العقوبة على عدم الإيمان قوله تعالى { وَنَقَلْنَا أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ } الأنعام 110 هذا من تمام قوله { وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ } الأنعام 109 فذكر أن هذا التقليل يكون لمن لم يؤمنوا به أول مرة و هذا عدم الإيمان لكن يقال هذا بعد دعاء الرسول صلى الله عليه و سلم لهم وقد كذبوا وتركوا الإيمان وهذه أمور و جودية لكن الموجب هو عدم الإيمان و ما ذكر شرط فى التعذيب كإرسال الرسول فإنه قد يشتغل عن الإيمان بما جنسه مباح لا يستحق به العقوبة إلا لأنه شغله عن الإيمان و من الناس من يقول ضد الإيمان هو تركه وهو أمر و جودى لا ضد له إلا ذلك<sup>287</sup>

## "إن للحسنة نورا فى القلب وإن للسينة لظلمة فى القلب"

\*ان الظاهر لا بد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطنا يخالف ظاهرا فهو كافر منافق بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه فكما ان الانسان لا بد له من روح وبدن وهما متفقان فلا بد لدين الانسان من ظاهر وباطن يتفقان فالباطن للباطن من الانسان والظاهر للظاهر منه والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر والباطن أصل الظاهر كما قال أبو هريرة القلب ملك والأعضاء جنوده فاذا طاب الملك طابت جنوده وإذا خبث الملك خبثت جنوده وقد قال النبي ألا وان في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا وهي القلب وفي المسند عن النبي انه قال الاسلام علانية والايمن في القلب وقد قال تعالى { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ } {المجادلة} 22 وقال تعالى { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ } {الفتح} 4 وقال تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ } {الأنعام} 125 وقال تعالى { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } {الزمر} 23 وقال تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {الأنفال} 2 وقال تعالى { الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } {الرعد} 28 وأمثال هذا كثير في القرآن وقال في حق الكفار { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ } {المائدة} 41 وقال { خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ } {البقرة} 7 وأمثال ذلك فنسأل الله العظيم أن يصلح بواطننا وظواهرنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه من جميع أمورنا

بمنه وكرمه والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد  
وأله وصحبه وسلم تسليما كثيرا<sup>288</sup>

\*وأصل الزكاة الزيادة في الخير ومنه يقال زكا الزرع وزكا  
المال اذا نما ولن ينمو الخير الا بترك الشر والزرع لا يزكو  
حتى يزال عنه الدغل فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال  
عنها ما يناقضها ولا يكون الرجل متزكيا الا مع ترك الشر فإنه  
يدنس النفس ويدسيها قال الزجاج دساها جعلها ذليلة حقيرة  
خسيسة وقال الفراء دساها لأن البخيل يخفي نفسه ومنزله وماله  
قال ابن قتيبة أي أخفاها بالفجور والمعصية فالفاجر دس نفسه أي  
قمعها وخباها وصانع المعروف شهر نفسه ورفعها وكانت أجواد  
العرب تنزل الربى لتشهر أنفسها واللئام تنزل الأطراف والوديان  
فالبر والتقوى يبسط النفس ويشرح الصدر بحيث يجد الانسان في  
نفسه اتساعا وبساطا عما كان عليه قبل ذلك فإنه لما اتسع بالبر  
والتقوى والاحسان بسطه الله وشرح صدره والفجور والبخل  
يقمع النفس ويضعها ويهينها بحيث يجد البخيل في نفسه أنه  
ضيق وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في الحديث  
الصحيح فقال مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان  
من حديد قد اضطرت أيديهما الى تراقيهما فجعل المتصدق كلما  
هم بصدقة اتسعت وانبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره  
وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها  
وأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بإصبعه في جيبه  
فلو رأيتها يوسعها فلا تتسع أخرجاه وإخفاء المنزل واطهاره تبعا  
لذلك قال تعالى {يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ  
عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} النحل 59  
فهكذا النفس البخيلة الفاجرة قد دساها صاحبها في بدنه بعضها في

<sup>288</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 268-269

بعض ولهذا وقت الموت تنزع من بدنه كما ينزع السفود من الصوف المبتل والنفس البرة التقية النقية التي قد زكاها صاحبها فارتفعت واتسعت ومجدت ونبلت فوقت الموت تخرج من البدن تسيل كالقطرة من في السقاء وكالشعرة من العجين قال ابن عباس ان للحسنة لنورا في القلب وضياء في الوجه وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وان للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه وهونا في البدن وضيقا في الرزق وبغضة في قلوب الخلق قال تعالى { وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا } {الأعراف 58 الآية وهذا مثل البخيل والمنفق قال { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } {الأنعام 125 الآية وقال { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ } البقرة 257 الآية <sup>289</sup>

## من الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه فى كتابه وبما وصفه به رسوله

\*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والايمن بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه فى كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثل شىء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا

<sup>289</sup>الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 63 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص:

يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا  
يكييفون ولا يمتثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له  
ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فانه سبحانه  
أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قبلا وأحسن حديثا من خلقه ثم  
رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه مالا  
يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ  
عَمَّا يَصِفُونَ} {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسبح نفسه عما  
وصفه به المخالفون للرسل وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه  
من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى  
به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما  
جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله  
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في  
هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل  
ثلث القرآن وقوله سبحانه {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ  
لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا  
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ {الأنعام 125} 290

\* وأن الله سمي نفسه وصفاته بأسماء وسمى بعض عباده  
وصفات عباده بأسماء هي في حقهم نظير تلك الأسماء في حقه  
سبحانه وتعالى فسمى نفسه عليما كقوله {إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ  
عَلِيمٌ} {الأنعام 128} وسمى بعض عباده عليما كقوله {قَالُوا لَا  
تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ} {الحجر 53} مع العلم بأنه ليس  
العليم كالعليم 291

<sup>290</sup> مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 130-131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص:

{ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ  
يَذَكَّرُونَ } {126} لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ } {127} {الانعام 126-127}

## استمتاع الانس بالجن والجن بالانس

\* فان الجن مأمورون ومنهيون كالانس وقد بعث الله الرسل من الانس اليهم والى الانس وأمر الجميع بطاعة الرسل كما قال تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } {الأنعام 130} وهذا بعد قوله { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } {الأنعام 128} قال غير واحد من السلف أى كثير من أغويتم من الانس وأضللتموهم قال البغوى قال بعضهم استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون لهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزينهم لهم الأمور التى يهيئونها ويسهل سبيلها عليهم واستماع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصى قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم لبعض وموافقة بعضهم بعضا وذكر ابن أبى حاتم عن الحسن البصرى قال ما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس وعن محمد بن كعب قال هو الصحابة فى الدنيا وقال ابن السائب استمتاع الانس بالجن استعادتهم بهم واستمتاع الجن بالانس ان قالوا قد أسرنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا فى أنفسهم وعظما فى نفوسهم وهذا كقوله { وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا } {الجن 6} قلت الاستمتاع



بالشىء هو أن يتمتع به فينال به ما يطلبه ويريده ويهواه ويدخل في ذلك استمتاع الرجال بالنساء بعضهم ببعض كما قال {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً} النساء 24 ومن ذلك الفواحش كاستمتاع الذكور بالذكور والاناث بالاناث ويدخل في هذا الاستمتاع بالاستخدام وأئمة الرياسة كما يتمتع الملوك والسادة بجنودهم ومماليكهم ويدخل في ذلك الاستمتاع بالاموال كاللباس ومنه قوله { وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَبِّحِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ } البقرة 236 وكان من السلف من يمتع المرأة بخادم فهي تستمتع بخدمته ومنهم من يمتع بكسوة أو نفقة ولهذا قال الفقهاء أعلى المتعة خادم وأدناها كسوة تجزى فيها الصلاة وفي الجملة استمتاع الانس بالجن والجن بالانس يشبه استمتاع الانس بالانس قال تعالى { الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ } الزخرف 67 وقال تعالى { وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ } البقرة 166 قال مجاهد هي المودات التي كانت لغير الله وقال الخليل { وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا } العنكبوت 25 وقال تعالى { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ } الجاثية 23 فالمشرك يعبد ما يهواه واتباع الهوى هو استمتاع من صاحبه بما يهواه وقد وقع في الانس والجن هذا كله وتارة يخدم هؤلاء لهؤلاء في أغراضهم وهؤلاء لهؤلاء في أغراضهم فالجن تأتيه بما يريد من صورة او مال أو قتل عدوه والانس تطيع الجن فتارة تسجد له وتارة تسجد لما يأمره بالسجود له وتارة تمكنه من نفسه فيفعل به الفاحشة وكذلك الجنيات منهن من يريد من الانس الذى يخدمه ما يريد نساء الانس من الرجال وهذا كثير فى رجال الجن ونسائهم فكثير من رجالهم ينال من نساء الانس ما يناله الانسى وقد يفعل ذلك بالذكران وصرع الجن للإنس هو لأسباب ثلاثة تارة يكون الجنى يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به وهذا الصرع يكون أرفق من غيره وأسهل وتارة يكون الانسى أذاهم

اذا بال عليهم أو صب عليهم ماء حارا أو يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى وهذا أشد الصرع وكثيرا ما يقتلون المصروع وتارة يكون بطريق العبث به كما يعبث سفهاء الانس بابناء السبيل ومن استمتع الانس بالجن استخدمهم فى الأخبار بالأمر الغائبة كما يخبر الكهان فان فى الانس من له غرض فى هذا لما يحصل به من الرياسة والمال وغير ذلك فان كان القوم كفارا كما كانت العرب لم تبال بأن يقال أنه كاهن كما كان بعض العرب كهانا وقدم النبي المدينة وفيها كهان وكان المنافقون يطلبون التحاكم الى الكهان وكان أبو أبرق الأسلمى أحد الكهان قبل أن يسلم وان كان القوم مسلمين لم يظهر أنه كاهن بل يجعل ذلك من باب الكرامات وهو من جنس الكهان فانه لا يخدم الانسى بهذه الأخبار الا لما يستمتع به من الانسى بان يطيعه الانسى فى بعض ما يريده اما فى شرك واما فى فاحشة واما فى أكل حرام واما فى قتل نفس بغير حق فالشياطين لهم غرض فيما نهى الله عنه من الكفر والفسوق والعصيان ولهم لذة فى الشر والفتن يحبون ذلك وان لم يكن فيه منفعة لهم وهم يأمررون السارق أن يسرق ويذهبون الى أهل المال فيقولون فلان سرق متاعكم ولهذا يقال القوة الملكية والبهيمة والسبعية والشيطانية فان الملكية فيها العلم النافع والعمل الصالح والبهيمة فيها الشهوات كالأكل والشرب والسبعية فيها الغضب وهو دفع المؤذى وأما الشيطانية فشر محض ليس فيها جلب منفعة ولا دفع مضرة والفلاسفة ونحوهم ممن لا يعرف الجن والشياطين لا يعرفون هذه وانما يعرفون الشهوة والغضب والشهوة والغضب خلقا لمصلحة ومنفعة لكن المذموم هو العدوان فيهما وأما الشيطان فيأمر بالشر الذى لا منفعة فيه ويحب ذلك كما فعل ابليس بأدم لما وسوس له وكما امتنع من السجود له فالحسد يأمر به الشيطان والحاسد لا ينتفع بزوال النعمة عن المحسود لكن يبغض ذلك وقد يكون بغضه لفوات غرضه وقد لا يكون ومن استمتع الانس بالجن

استخدامهم فى احضار بعض ما يطلبونه من مال وطعام وثياب  
ونفقة فقد يأتون ببعض ذلك وقد يدلونه على كنز وغيره  
واستمتاع الجن بالانس استعمالهم فيما يريد الشيطان من كفر  
وفسوق ومعصية ومن استمتع الانس بالجن استخدامهم فيما  
يطلبه الانس من شرك وقتل وفواحش فتارة يتمثل الجنى فى  
صورة الانسى فاذا استغاث به بعض أتباعه أتاه فظن أنه الشيخ  
نفسه وتارة يكون التابع قد نادى شيخه وهتف به يا سيدى فلان  
فينقل الجنى ذلك الكلام الى الشيخ بمثل صوت الانسى حتى يظن  
الشيخ أنه صوت الانسى بعينه ثم ان الشيخ يقول نعم ويشير  
اشارة يدفع بها ذلك المكروه فيأتى الجنى بمثل ذلك الصوت  
والفعل فيظن ذلك الشخص أنه شيخه نفسه وهو الذى أجابه وهو  
الذى فعل ذلك حتى أن تابع الشيخ قد يكون يده فى اناء يأكل  
فيضع الجنى يده فى صورة يد الشيخ ويأخذ من الطعام فيظن  
ذلك التابع أنه شيخه حاضر معه والجنى يمثل للشيخ نفسه مثل  
ذلك الاناء فيضع يده فيه حتى يظن الشيخ أن يده فى ذلك الاناء  
فاذا حضر المرید ذكر له الشيخ أن يدى كانت فى الاناء فيصدقه  
ويكون بينهما مسافة شهر والشيخ موضعه ويده لم تطل ولكن  
الجنى مثل للشيخ ومثل للمرید حتى ظن كل منهما أن أحدهما  
عند الآخر وانما كان عنده ما مثله الجنى وخيله وإذا سئل  
الشيخ المخدوم عن أمر غائب اما سرقة واما شخص مات وطلب  
منه أن يخبر بحاله أو علة فى النساء أو غير ذلك فان الجنى قد  
يمثل ذلك فيريه صورة المسروق فيقول الشيخ ذهب لكم كذا وكذا  
ثم ان كان صاحب المال معظما وأراد أن يدلّه على سرقة مثل  
له الشيخ الذى أخذه أو المكان الذى فيه المال فيذهبون اليه  
فيجدونه كما قال والاكثر منهم أنهم يظهرن صورة المال ولا  
يكون عليه لأن الذى سرق المال معه ايضا جنى يخدمه والجن  
يخاف بعضهم من بعض كما أن الانس يخاف بعضهم بعضا فاذا  
دل الجنى عليه جاء اليه اولياء السارق فأذوه وأحيانا لا يدل لكون  
السارق وأعوانه يخدمونه ويرشونه كما يصيب من يعرف

اللصوص من الانس تارة يعرف السارق ولا يعرف به اما  
 لرغبة ينالها منه وإما لرهبة وخوف منه واذا كان المال  
 المسروق لكبير يخافه ويرجوه عرف سارقه فهذا وأمثاله من  
 استمتع بعضهم ببعض والجن مكلفون كتكليف الانس ومحمد  
 صلى الله عليه وسلم مرسل الى الثقليين الجن والانس وكفار  
 الجن يدخلون النار بالنصوص واجماع المسلمين الى الثقليين  
 الجن والانس وكفار الجن يدخلون النار بالنصوص واجماع  
 المسلمين وأما مؤمنوهم ففيهم قولان وأكثر العلماء على أنهم  
 يثابون أيضا ويدخلون الجنة وقد روى أنهم يكونون فى ربضها  
 يراهم الانس من حيث لا يرون الانس عكس الحال فى الدنيا  
 وهو حديث رواه الطبرانى فى معجمه الصغير يحتاج الى النظر  
 فى اسناده وقد احتج ابن أبى ليلي وأبو يوسف على ذلك بقوله  
 تعالى { وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا عَمِلُوا } {19} الاحقاف 19 وقد  
 ذكر الجن والانس الأبرار والفجار فى الأحقاف والانعام واحتج  
 الاوزاعى وغيره بقوله تعالى { لَمْ يَطْمِئِنُّوا مِنَ الْقَارِعَةِ وَأَنْتَ أَعْلَمُ  
 بِالَّذِينَ فِي الْقُلُوبِ خَبْرًا } {10} الاحقاف 74 وقد قال تعالى فى الاحقاف { أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ  
 عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ  
 كَانُوا خَاسِرِينَ } {18} وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا عَمِلُوا } {19}  
 الاحقاف 18-19 وقد تقدم قبل هذا ذكر أهل الجنة وقوله {  
 أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي  
 أَصْحَابِ الْجَنَّةِ } {16} الاحقاف 16 ثم قال { وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا  
 عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } {19} الاحقاف 19 قال  
 عبدالرحمن بن زيد بن اسلم درجات اهل الجنة تذهب علوا  
 ودرجات أهل النار تذهب سفلا وقد قال تعالى عن قول الجن  
 { وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا } الجن 11  
 وقالوا { وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ  
 تَحَرَّوْا رَشَدًا } {14} وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ  
 حَطَبًا } {15} الجن 14-15 ففيهم الكفار والفساق والعصاة وفيهم  
 من فيه عبادة ودين بنوع من قلة العلم كما فى الانس وكل نوع

من الجن يميل الى نظيره من الانس فاليهود مع اليهود والنصارى مع النصارى والمسلمون مع المسلمين والفساق مع الفساق وأهل الجهل والبدع مع أهل الجهل والبدع واستخدام الانس لهم مثل استخدام الانس للانسان بشيء منهم من يستخدمهم فى المحرمات من الفواحش والظلم والشرك والقول على الله بلا علم وقد يظنون ذلك من كرامات الصالحين وانما هو من أفعال الشياطين ومنهم من يستخدمهم فى أمور مباحة اما احضار ماله أو دلالة على مكان فيه مال ليس له مالك معصوم أو دفع من يؤذيه ونحو ذلك فهذا كاستعانة الانس بعضهم ببعض فى ذلك و النوع الثالث أن يستعملهم فى طاعة الله ورسوله كما يستعمل الانس فى مثل ذلك فيأمرهم بما أمر الله به ورسوله وينهاهم عما نهاهم الله عنه ورسوله كما يأمر الانس وينهاهم وهذه حال نبينا وحال من اتبعه واقتدى به من أمته وهم أفضل الخلق فإنهم يأمرون الانس والجن بما أمرهم الله به ورسوله وينهون الانس والجن عما نهاهم الله عنه ورسوله اذ كان نبينا محمد مبعوثا بذلك الى الثقليين الانس والجن وقد قال الله له {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} يوسف 108 وقال {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} آل عمران 31 وعمر رضى الله عنه لما نادى يا سارية الجبل قال ان لله جنودا يبلغون صوتى وجنود الله هم من الملائكة ومن صالحى الجن فجنود الله بلغوا صوت عمر الى سارية وهو أنهم نادوه بمثل صوت عمر والانفس صوت عمر لا يصل نفسه فى هذه المسافة البعيدة وهذا كالرجل يدعو آخر وهو بعيد عنه فيقول يا فلان فيعان على ذلك فيقول الواسطة بينهما يا فلان وقد يقول لمن هو بعيد عنه يا فلان احبس الماء تعال الينا وهو لا يسمع صوته فيناديه الواسطة بمثل ذلك يا فلان احبس الماء أرسل الماء اما بمثل صوت الأول ان كان لا يقبل الا صوته والا فلا يضر بأى صوت كان اذا عرف ان صاحبه قد

ناداه وهذه حكاية كان عمر مرة قد أرسل جيشا فجاء شخص وأخبر أهل المدينة بانتصار الجيش وشاع الخبر فقال عمر من أين لكم هذا قالوا شخص صفته كيت وكيت فأخبرنا فقال عمر ذاك أبو الهيثم بريد الجن وسيجيء بريد الانسان بعد ذلك بأيام وقد يأمر الملك بعض الناس بأمر ويستكتمه اياه فيخرج فيرى الناس يتحدثون به فإن الجن تسمعه وتخبر به الناس والذين يستخدمون الجن فى المباحات يشبه استخدام سليمان لكن أعطى ملكا لا ينبغي لأحد بعده وسخرت له الانس والجن وهذا لم يحصل لغيره والنبي لما تقلت عليه العفريت ليقطع عليه صلته قال فأخذته فذعته حتى سال لعابه على يدي وأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسجد ثم ذكرت دعوة أختى سليمان فأرسلته فلم يستخدم الجن أصلا لكن دعاهم الى الايمان بالله وقرأ عليهم القرآن وبلغهم الرسالة وبايعهم كما فعل بالانس والذى أوتيه أعظم مما أوتيه سليمان فإنه استعمل الجن والانس فى عبادة الله وحده وسعادتهم فى الدنيا والآخرة لا لغرض يرجع اليه الا ابتغاء وجه الله وطلب مرضاته واختار أن يكون عبدا رسولا على أن يكون نبيا ملكا فداود وسليمان ويوسف أنبياء ملوك و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد رسل عبيد فهو أفضل كفضل السابقين المقربين على الأبرار أصحاب اليمين

292

\* فدعوى المدعي ان السحر هي قوى نفسانية من أبطل الباطل فإن السحر كثير منه يكون بالشياطين وكتب كتب السحر مملوءة من الأقسام والعزائم على الجن بساداتهم الذين يعظمونهم ولذلك كانت الإنس تستعيز بالجن كما قال الله تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} الجن كانوا إذا نزل الرجل منهم بواد يقول أعوذ بعظيم هذا الوادي من

سفهائه فأنزل الله هذه الآية وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعود الحسن والحسين فيقول أعينكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ففرق بين الشيطان وبين الهوام وبين أعين الإنس كما يدل ذلك على وجود الضرر في هذه الجهات الثلاث الإنس والجن والهوام وقد أخبر الله في كتابه عن خطابه للجن وأمره لهم ونهيه لهم كقوله { وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } {128} وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } {129} يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } {130} {الأنعام 128- 130}

293

## التوحيد والايمان بالرسل متلازمان

\*قال تعالى { حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرَاهُمْ لَأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ } الأعراف 38 كذلك قال { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَعْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ } غافر 82 الى قوله { وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } غافر 85 فأخبر هنا بمثل ما اخبر به في الأعراف أن هؤلاء المعرضين عما جاءت به الرسل لما رأوا بأس الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم

ينفعهم ذلك وكذلك اخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد وبالرسالة انه لما ادركه الغرق قال { قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يونس 90 قال الله { الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } يونس 91 وقال تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } {172} أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } {173} الأعراف 172- 173 وقال تعالى { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ } {9} قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانِ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } {10} إبراهيم 9- 10 وهذا في القرآن في مواضع أخر يبين فيها أن الرسل كلهم امرؤا بالتوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه أو اتخاذه الها ويخبر ان اهل السعادة هم أهل التوحيد وأن المشركين هم أهل الشقاوة وذكر هذا عن عامة الرسل ويبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل مشركون فعلم أن التوحيد والايمان بالرسل متلازمان وكذلك الايمان باليوم الآخر هو والايمان بالرسل متلازمان فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينها في مثل قوله { وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } {الأنعام 150} ولهذا أخبر ان الذين لا يؤمنون بالآخرة مشركون فقال تعالى { وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ } {الزمر 45} وأخبر عن جميع الأشقياء ان الرسل انذرتهم باليوم الآخر كما قال تعالى { كُلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُنَّهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } {8} قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا



نَزَلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ {9} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {10} فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ {11} {الملك 8- 111 فأخبر ان الرسل أنذرتهم وانهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ {الزمر 71 فأخبر عن اهل النار انهم قد جاءتهم الرسالة وانذروا باليوم الآخر وقال تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {128} وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {129} يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ {130} {الأنعام 128-130 فأخبر عن جميع الجن والانس ان الرسل بلغتهم رسالة الله وهى آياته وانهم اندروهم اليوم الآخر

294

### كما تكونون يول عليكم

\*أن مصير الأمر الى الملوك و نوابهم من الولاية و القضاة و الأمراء ليس لنقص فيهم فقط بل لنقص فى الراعي و الرعية جميعا فإنه كما تكونون يول عليكم وقد قال الله تعالى  
 {وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا {الأنعام 295

<sup>294</sup>مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 28-31

<sup>295</sup>مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 20

\*ومن أعان ظالما بلى به والله تعالى يقول {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} {الأنعام 129} <sup>296</sup>

### {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}

\* وهنا أصل لا بد من بيانه فإن الكتاب والسنة قد دل على ان الله لا يعذب أحدا إلا بعد إبلاغ الرسالة فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأسا ومن بلغت جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية {وذلك مثل قوله تعالى { لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } النساء 165 وقوله {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } {130} ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } {131} {الأنعام 130-131} <sup>297</sup>

\*كان الصواب في قول من يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحذور والمعتزلة في هذا وافقوا الجماعة بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم فإنهم قالوا بل يعذب من لا ذنب له أو نحو ذلك ثم هؤلاء يحتجون على المعتزلة في نفس الإيجاب والتحرير العقلي بقوله تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} {الإسراء 15} وهو حجة عليهم أيضا في نفي العذاب مطلقا إلا بعد إرسال الرسل وهم يجوزون التعذيب قبل إرسال الرسل فأولئك يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولا لأنه فعل القبائح العقلية وهؤلاء

<sup>296</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 465

<sup>297</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 493 و الجواب الصحيح ج: 2 ص:

291 و الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 161

يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحا قط كالأطفال وهذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضا قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } الإسراء 15 وقال تعالى عن النار { كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } 8 { قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } 9 { الملك 8- 9 فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما ألقى فيها فوج سألهم الخزنة هل جاءهم نذير فيعترفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم ييق فوج يدخل النار إلا وقد جاءهم نذير فمن لم يأتته نذير لم يدخل النار وقال تعالى { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ } الزمر 71 فهذا إخبار منه بأن كل فوج يلقي في النار وقد جاءهم نذير وقال تعالى لإبليس { لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 85 فقد أقسم سبحانه أنه يملؤها من إبليس وأتباعه وإنما أتباعه من أطاعه فمن لم يعمل ذنبا لم يطعه فلا يكون ممن تملأ به النار وإذا ملئت بأتباعه لم يكن لغيرهم فيها موضع وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال يلقي في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية فيضع قدمه عليها فتقول قط قط وينزوي بعضها إلى بعض أي تقول حسبي حسبي وأما الجنة فيبقى فيها فضل فينشئها الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة هكذا روي في الصحاح من غير وجه ووقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه وأما النار فيبقى فيها فضل والبخاري رواه في سائر المواضع على الصواب ليبين غلط هذا الراوي كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواة غلط في لفظ ذكر ألفاظ سائر الرواة التي يعلم بها الصواب وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط

أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم والبخاري قد أنكر عليه بعض الناس تخريج أحاديث لكن الصواب فيها مع البخاري والذي أنكر على الشيخين أحاديث قليلة جدا وأما سائر متونهما فما اتفق علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقيها بالقبول لا يستريبون في ذلك وقد قال تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ } {130} ذَلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } {131} الأنعام 130-131 فقط

خاطب الجن والإنس واعترف المخاطبون بأنهم جاءتهم رسل يقصون عليهم آياته وينذرونهم لقاء يوم القيامة ثم قال { ذَلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } الأنعام 131 أي هذا بهذا السبب فعلم أنه لا يعذب من كان غافلا ما لم يأتته نذير فكيف الطفل الذي لا عقل له ودل أيضا على أن ذلك ظلم تنزه سبحانه عنه وإلا فلو كان الظلم هو الممتنع لم يتصور أن يهلكهم بظلم بل كيفما أهلكهم فإنه ليس بظلم عند الجهمية الجبرية وقد قال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْقَوْنَ آيَاتِنَا وَمَا نُنَا مَهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } القصص 59 وقال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } هود 117 وقال تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } طه 112 قال المفسرون الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن ينقص من حسناته فجعل سبحانه عقوبته بذنب غيره ظلما ونزه نفسه عنه ومثل هذا كثير كقوله { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 وقوله { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ } الأنعام 164 وكذلك قوله { لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَِّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ } {28} مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدِيَِّ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ } {29} ق 28-29 فبين سبحانه أنه قدم بالوعد وأنه ليس بظلام للعبيد كما قال في الآية الأخرى { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ }

نَقَصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ {100} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا  
أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ  
لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْسِيبٍ {101} هود 100-

101 فهو سبحانه نزه نفسه عن ظلمهم وبين أنهم هم الذين ظلموا  
أنفسهم بشركهم فمن لم يكن ظالماً لنفسه تكون عقوبته ظلماً تنزه  
الله عنه وقال في الآية الأخرى {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ  
جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} {74} لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} {75} وَمَا  
ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} {76} الزخرف 74- 76

وهذا الظلم الذي نزه نفسه عنه إن كان هو الممتنع الذي لا يمكن  
فعله فأى فائدة في هذا وهل أحد يخاف أن يفعل به ذلك وأي  
تنزيه في هذا وإذا قيل هو لا يفعل إلا ما يقدر عليه قيل هذا  
معلوم لكل أحد وكل أحد لا يفعل إلا ما يقدر عليه فأى مدح في  
هذا مما يتميز به الرب سبحانه عن العالمين فعلم أن من

الأمر الممكنة ما هو ظلم تنزه الله سبحانه عنه مع قدرته عليه  
وبذلك يحمد ويثنى عليه فإن الحمد والثناء يقع بالأمر الاختيارية  
من فعل وترك كعامة ما في القرآن من الحمد والشكر أخص من  
ذلك يكون على النعم والمدح أعم من ذلك وكذلك التسبيح فإنه  
تنزيه وتعظيم فإذا سبح بحمده جمع له بين هذا وهذا كما قد

بسطنا الكلام على حقيقة التسبيح والتحميد ومعنى التسبيح بحمده  
في غير هذا الموضع وقد قال سبحانه وتعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ  
الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} الأنبياء 26 فالإلتحاذ فعل  
من الأفعال وقد نزه سبحانه نفسه عنه فعلم أن من الأفعال ما نزه

سبحانه نفسه عنه والجبرية عندهم لا ينزه عن فعل من الأفعال  
وفي حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وصححه وغيره ورواه  
الحاكم في صحيحه قال فيه فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل  
سجل منها مد البصر ثم يقال لا ظلم عليك إن لك عندنا بطاقة  
فتوضع البطاقة في كفة والسجلات في كفة فتقلت البطاقة

وطاشت السجلات فقوله لا ظلم عليك دليل على أنه إن لم يجاز  
بتلك الحسنات وتوزن حسناته مع سيئاته كان ذلك ظلماً يقدر الله

عنه فإنه القائم بالقسط وقد قال تعالى { وَيَقُولُونَ يَا وَيَلَّتْنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } الكهف 49 فهل يقال هذا النفي أنه لا يفعل مع أحد مالا يمكن ولا يقدر عليه أو لا يظلمهم شيئا من حسناتهم بل يحصيها كلها ويثيبهم عليها فدل على أن العبد يثاب على حسناته ولا ينقص شيئا منها ولا يعاقب إلا على سيئاته وأن عقوبته بغير ذنب ونقص حسناته ظلم ينزهه الرب تبارك وتعالى عنه <sup>298</sup>

### المؤمنون بالرسول المتبعون لهم هم المهتدون

\* أن أصل العلم الإلهي ومبدأه ودليله الأول عند الذين آمنوا هو الإيمان بالله ورسوله وعند الرسول هو وحى الله إليه كما قال خاتم الأنبياء أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله إلا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم واموالهم الا بحقها وقال الله تعالى له { قُلْ إِنْ ضَلَلْتُمْ فَأَنَا ضَالٌّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُمْ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ } سبأ 50 وتقرير الحجة في القرآن بالرسول كثير كقوله { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَفْصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } الأنعام 130 <sup>299</sup>

\* فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به وما نهى عنه وما أعده لأوليائه من كرامته وما وعد به أعداءه من عذابه

<sup>298</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 99-110 و الجواب الصحيح ج: 2 ص:

234 و مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 215

<sup>299</sup> مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 4

ولا يعرفون ما يستحقه الله تعالى من أسمائه الحسنی وصفاته العلیا التي تعجز العقول عن معرفتها وأمثال ذلك الا بالرسل الذين أرسلهم الله الى عباده فالمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم فى الدنيا والآخرة وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم عن ربهم ضالون محبوبون<sup>300</sup>

\*في الإكتفاء بالرسالة والإستغناء بالنبي عن إتباع ما سواه إتباعا عاما وأقام الله الحجة على خلقه برسله فقال تعالى { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ } النساء 163 الى قوله { لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } النساء 165 فدللت هذه الآية على أنه لا حجة لهم بعد الرسل بحال وأنه قد يكون لهم حجة قبل الرسل ف الأول يبطل قول من أوجج الخلق الى غير الرسل حاجة عامة كالأئمة و الثانى يبطل قول من أقام الحجة عليهم قبل الرسل من المتفلسفة والمتكلمة

وقال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ } النساء 59 فأمر بطاعة أولي الأمر من العلماء والأمراء إذا لم ينتازعوا وهو يفتضى أن إتفاقهم حجة وأمرهم بالرد عند التنازع الى الله والرسول فأبطل الرد الى امام مقلد أو قياس عقلى فاضل وقال تعالى { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ } البقرة 213 فبين أنه بالكتاب يحكم بين أهل الأرض فيما اختلفوا فيه وقال تعالى { أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُنلَى عَلَيْهِمْ } العنكبوت 51 فزجر من لم يكتف بالكتاب المنزل

وقال تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي } { الأنعام 130 } الآيات وقال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً } { الإسراء 15 } وقال تعالى { وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ } { الزمر 71 } والآيات وقال تعالى { كَلَّمَا أَلْقَىٰ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } { 8 } { قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } { 9 } { الملك 8-9 } فدللت هذه الآيات على أن من أتاه الرسول فخالفه فقد وجب عليه العذاب وإن لم يأته إمام ولا قياس وأنه لا يعذب أحد حتى يأتيه الرسول وإن أتاه إمام أو قياس وقال تعالى { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا } { النساء 69 } { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } { 13 } { وَمَنْ يَعُصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ } { 14 } { النساء 13-14 } الآية وقد ذكر سبحانه هذا المعنى في غير موضع فبين أن طاعة الله ورسوله موجبة للسعادة وإن معصية الله موجبة للشقاوة وهذا يبين أن مع طاعة الله ورسوله لا يحتاج إلى طاعة إمام أو قياس ومع معصية الله ورسوله لا ينفع طاعة إمام أو قياس ودليل هذا الأصل كثير في الكتاب والسنة وهو أصل الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله وهو متفق عليه بين الذين أوتوا العلم والايمان قولاً واعتقاداً وإن خالفه بعضهم عملاً وحالا فليس عالم من المسلمين يشك في أن الواجب على الخلق طاعة الله ورسوله وإن ما سواه إنما تجب طاعته حيث أوجبها الله ورسوله وفي الحقيقة فالواجب في الأصل إنما هو طاعة الله لكن لا سبيل إلى العلم بمأموره وبخبره كله إلا من جهة الرسل والمبلغ عنه أما مبلغ امره وكلماته فتجب طاعته وتصديقه



فى جميع ما أمر وأخبر وأما ماسوى ذلك فإنما يطاع فى حال  
 دون حال كالأمراء الذين تجب طاعتهم فى محل ولايتهم ما لم  
 يأمروا بمعصية الله والعلماء الذين تجب طاعتهم على المستفتى  
 والمأمور فيما أوجبه عليه مبلغين عن الله أو مجتهدين اجتهدا  
 تجب طاعتهم فيه على المقلد ويدخل فى ذلك مشايخ الدين  
 ورؤساء الدنيا حيث أمر بطاعتهم كاتباع أئمة الصلاة فيها وأتباع  
 أئمة الحج فيه وأتباع أمراء الغزو فيه وأتباع الحكام فى احكامهم  
 وأتباع المشايخ المهتدين فى هديهم ونحو ذلك والمقصود بهذا  
 الأصل أن من نصب إماما فأوجب طاعته مطلقا اعتقادا أو حالا  
 فقد ضل فى ذلك كأئمة الضلال الرافضة الامامية حيث جعلوا  
 فى كل وقت إماما معصوما تجب طاعته فإنه لا معصوم بعد  
 الرسول ولا تجب طاعة أحد بعده فى كل شيء والذين عينوهم  
 من أهل البيت منهم من كان خليفة راشدا تجب طاعته كطاعة  
 الخفاء قبله وهو علي ومنهم أئمة فى العلم والدين يجب لهم ما  
 يجب لنظرائهم من أئمة العلم والدين كعلي بن الحسين وأبى  
 جعفر الباقر وجعفر ابن محمد الصادق ومنهم دون ذلك  
 وكذلك من دعا لاتباع شيخ من مشايخ الدين فى كل طريق من  
 غير تخصيص ولا استثناء وأفرده عن نظرائه كالشيخ عدي  
 والشيخ أحمد والشيخ عبد القادر والشيخ حيوة ونحوهم  
 وكذلك من دعا إلى اتباع امام من أئمة العلم فى كل ما قاله وأمر  
 به ونهى عنه مطلقا كالأئمة الأربعة وكذلك من أمر بطاعة  
 الملوك والأمراء والقضاة والولاة فى كل ما يأمرون وينهون عنه  
 من غير تخصيص ولا استثناء لكن هؤلاء لا يدعون العصمة  
 لمتبوعيهم الا عالية اتباع المشايخ كالشيخ عدي وسعد المدني بن  
 حمويه ونحوهما فإنهم يدعون فيهم نحو ما تدعيه الغالية فى  
 أئمة بني هاشم من العصمة ثم من الترجيح على النبوة ثم من  
 دعوى الالهية وأما كثير من أتباع أئمة العلم ومشايخ الدين  
 فحالهم وهواهم بضاهي حال من يوجب اتباع متبوعه لكنه لا  
 يقول ذلك بلسانه ولا يعتقدده علما فحالته يخالف اعتقاده بمنزلة

العصاة أهل الشهوات وهؤلاء أصلح ممن يرى وجوب ذلك ويعتقده وكذلك اتباع الملوك والرؤساء هم كما أخبر الله عنهم بقوله { إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا } الأحزاب 67 فهم مطيعون حالاً وعملاً وانقيادا وأكثرهم من غير عقيدة دينية وفيهم من يقرن بذلك عقيدة دينية ولكن طاعة الرسول إنما تمكن مع العلم بما جاء به والقدرة على العمل به فإذا ضعف العلم والقدرة صار الوقت وقت فترة في ذلك الأمر فكان وقت دعوة ونبوة في غيره فتدبر هذا الأصل فإنه نافع جداً والله أعلم وكذا من نصب القياس أو العقل أو الذوق مطلقاً من أهل الفلسفة والكلام والتصوف أو قدمه بين يدي الرسول من أهل الكلام والرأي والفلسفة والتصوف فإنه بمنزلة من نصب شخصاً فالاتباع المطلق دائر مع الرسول وجوداً وعدمًا<sup>301</sup>

\*كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لأبى موسى يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وهذا هو السماع الذى كان النبى يشهده مع أصحابه ويستدعيه منهم كما فى الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال النبى إقرأ على القرآن قلت أقرأه عليك وعليك أنزل فقال إنى أحب أن أسمع من غيرى فقرأت عليه سورة النساء حتى وصلت إلى هذه الآية { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } النساء 41 قال حسبك فنظرت فاذا عيناه تذر فان وهذا هو الذى كان النبى يسمعه هو وأصحابه كما قال تعالى { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } آل عمران 164 و الحكمة هى السنة وقال تعالى { إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } {91} وَأَنْ أَتْلُو

<sup>301</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 67-71

الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ {92} النمل 91-92 وكذلك غيره من الرسل قال تعالى {يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنْ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} الأعراف 35 وبذلك يحتج عليهم يوم القيامة كما قال تعالى

**{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ} الأنعام 130** وقال

تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفِتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} الزمر 71 وقد أخبر أن المعتصم بهذا السماع مهتد مفلح والمعرض عنه ضال شقي قال تعالى {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا} {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} {126} طه 123-126 وقال تعالى {وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} الزخرف 36

\* فإن الله تبارك وتعالى جعل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأكمل له ولأمته الدين وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر وانطماس السبل فأحيا به ما درس من معالم الإيمان وقمع به أهل الشرك من عباد الأوثان والنيران والصلبان وأذل به كفار أهل الكتاب أهل الشك والأرتياب وأقام به منار دينه الذي ارتضاه وشاد به ذكر من اجتياه من عباده واصطفاه

وأظهر به ما كان مخفياً عند أهل الكتاب وأبان به ما عدلوا فيه عن منهج الصواب وحقق به صدق التوراة الزبور والإنجيل وأماط به عنها ما ليس بحقها من باطل التحريف والتبديل وكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم بحيث يبعث في كل أمة رسولا ليقم هداه وحجته وقال تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ {130} ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ {131} سورة الأنعام

303  
الآيتان 130 131

### القرآن خطاب للثقلين

\*قال تعالى { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْبَيْتَةَ 5 } و قوله { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا } {التوبة 31} وهذا إختيار الزجاج وغيره وهذا هو المعروف عن مجاهد بالإسناد الثابت قال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد الأشج { إِلَّا لِيَعْبُدُونَ } {الذاريات 56} لأمرهم و أنهام كذلك روي عن الربيع بن أنس قال ما خلقتهما إلا للعبادة و يدل على هذا مثل قوله { أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } {القيامة 36} يعنى لا يؤمر و لا ينهي و قوله { قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ } {الفرقان 77} أي لولا عبادتكم و قوله { مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ } {النساء 147} و قوله { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ {130} ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا

**غَافِلُونَ {131} الأَنْعَامُ 130-131** و قوله {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ {60} وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ {61} يس 60-61 الآيات وما بعدها و قالت الجن لما سمعوا القرآن {يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ {30} يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ {31} الأَحْقَافِ 30-31 الآية و ما بعدها و قالت الجن {وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا {الجن 14 الآية و ما بعدها و قد قال فى القرآن فى غير موضع {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ {البقرة 21} يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ {النساء 1} فقد أمرهم بما خلقهم له و أرسل الرسل إلى الإنس و الجن و محمد أرسل إلى الثقلين و قرأ القرآن على الجن و قد روى أنه لما قرأ عليهم سورة الرحمن و جعل يقرأ {فَبِأَيِّ آيَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {الرحمن 13} يقولون و لا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد فهذا هو المعنى الذى قصد بالآية قطعاً و هو الذى تفهمه جماهير المسلمين و يحتجون بالآية عليه و يعترفون بأن الله خلقهم ليعبدوه لا ليضيعوا حقه و فى الصحيحين عن معاذ بن جبل أن النبى صلى الله عليه و سلم قال له يامعاذ أتدرى ما حق الله على عبادة قال الله و رسوله أعلم قال فإن حق الله على عبادة أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئاً أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله و رسوله أعلم قال فإن حقهم عليه أن لا يعذبهم و فى المسند عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه و سلم قال بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله و حده لا شريك له و جعل رزقى تحت ظل رمحي جعل الذل و الصغار على من خالف أمرى و من تشبه بقوم فهو منهم<sup>304</sup>

<sup>304</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 52-53

\* و قوله { كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ } البقرة 151 يتناول كل من خوطب بالقرآن و كذلك قوله { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } التوبة 128 فالرسول من أنفس من خوطب بهذا الكلام إذ هي كاف الخطاب و لما خوطب به أولا قريش ثم العرب ثم سائر الأمم صار يخص و يعم بحسب ذلك و فيه ما يخص قريشا كقوله { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ } { 1 } { إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ } { 2 } قريش 1-2 و قوله { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ } الزخرف 44 و فيه ما يعم العرب و يخصهم كقوله { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ } الجمعة 2 و الأميون يتناول العرب قاطبة دون أهل الكتاب ثم قال { وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ } الجمعة 3 فهذا يتناول كل من دخل في الإسلام بعد دخول العرب فيه إلى يوم القيامة كما قال ذلك مقاتل بن حيان و عبد الرحمن بن زيد و غيرهما فإن قوله { وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ } الجمعة 3 أي في الدين دون النسب إذ لو كانوا في النسب لكانوا من الأميين و هذا كقوله تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ } الأنفال 75 و قد ثبت في الصحيح أن هذه الآية لما نزلت سئل النبي صلى الله عليه و سلم عنهم فقال لو كان الإيمان معلقا بالثريا لتناوله رجال من أبناء فارس فهذا يدل على دخول هؤلاء لا يمنع دخول غيرهم من الأمم و إذا كانوا هم منهم فقد دخلوا في قوله { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ } آل عمران 164 فالمنة على جميع المؤمنين عربهم و عجمهم سابقهم و لاحقهم و الرسول منهم لأنه إنسى مؤمن و هو من العرب أخص لكونه عربيا جاء بلسانهم و هو من قريش أخص و الخصوص يوجب قيام الحجة لا يوجب الفضل إلا بالإيمان و التقوى لقوله { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } الحجرات 13 و لهذا كان الأنصار أفضل من الطلقاء من قريش و هم ليسوا من ربيعة و لا مضر بل من قحطان و أكثر الناس على أنهم من ولد هود ليسوا من ولد

إبراهيم و قيل إنهم من ولد إسماعيل لحديث أسلم لما قال  
 إرموا فإن أباكم كان راميا و أسلم من خزاعة و خزاعة من و  
 لد إبراهيم و في هذا كلام ليس هذا موضعه إذ المقصود أن  
 الأنصار أبعد نسبا من كل ربيعة و مضر مع كثرة هذه القبائل و  
 مع هذا هم أفضل من جمهور قريش إلا من السابقين الأولين  
 من المهاجرين و فيهم قرشي و غير قرشي و مجموع السابقين  
 ألف و أربعمائة غير مهاجري الحبشة فقوله {لَقَدْ جَاءَكُمْ  
 رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ} التوبة 128 يخص قريشا و العرب ثم يعم  
 سائر البشر لأن القرآن خطاب لهم و الرسول من أنفسهم و  
 المعنى ليس بملك لا يطبقون الأخذ منه و لا جنى ثم يعم  
 الجن لأن الرسول أرسل إلى الإنس و الجن و القرآن خطاب  
 للثقلين و الرسول منهم جميعا كما قال {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ  
 أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ} الأنعام 130 فجعل الرسل التي أرسلها من  
 النوعين مع أنهم من الإنس فإن الإنس و الجن مشتركون مع  
 كونهم أحياء ناطقين مأمورين منهيين فإنهم يأكلون و يشربون و  
 ينكحون و ينسلون و يغتذون و ينمون بالأكل و الشرب و هذه  
 الأمور مشتركة بينهم و هم يتميزون بها عن الملائكة فإن  
 الملائكة لا تأكل و لا تشرب و لا تنكح و لا تنسل فصار  
 الرسول من أنفس الثقلين باعتبار القدر المشترك بينهم الذي  
 تميزوا به عن الملائكة حتى كان الرسول مبعوثا إلى الثقلين دون  
 الملائكة<sup>305</sup>

أن محمدا أرسل إلى الثقلين الإنس و الجن وقد أخبر الله في القرآن  
 أن الجن استمعوا القرآن وأنهم آمنوا به كما قال تعالى {وَإِذْ  
 صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا  
 أَنصِتُوا} الأحقاف 29 إلى قوله {أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}  
 الاحقاف 32 ثم أمره أن يخبر الناس بذلك فقال تعالى {قُلْ

أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا  
 {الجن 1 الخ فأمره أن يقول ذلك ليعلم الإنس بأحوال الجن وأنه  
 مبعوث إلى الإنس والجن لما في ذلك من هدى الإنس والجن ما  
 يجب عليهم من الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر وما يجب من  
 طاعة رسله ومن تحريم الشرك بالجن وغيرهم<sup>306</sup>

\*ومعلوم أن النبي إذا دعا الجن إلى الإيمان به فلا بد أن يأتي  
 بآية خارجة عن مقدور الجن فلا بد أن تكون آيات الأنبياء  
 خارجة عن مقدور الإنس والجن<sup>307</sup>

### هل في الجن رسل أم ليس فيهم إلا نذر؟

\*وهل في الجن رسل أم ليس فيهم إلا نذر على قولين فقول فيهم  
 رسل لقوله تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ  
 مِّنكُمْ {الأنعام 130} وقيل الرسل من الإنس والجن فيهم  
 النذر وهذا أشهر فإنه أخبر عنهم بإتباع دين محمد وأنهم }  
 وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنذِرِينَ {29} قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ  
 مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ  
 مُسْتَقِيمٍ {30} الأحقاف 29 قالوا وقوله { أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ  
 {الأنعام 130} كقوله {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ  
 {الرحمن 22} وإنما يخرج من المالح وكقوله {وَجَعَلَ الْقَمَرَ  
 فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا {نوح 16} والقمر في واحدة  
 وأما التكليف بالأمر والنهي والتحليل والتحريم فدلائله كثيرة مثل  
 ما في مسلم عن عبدالله بن مسعود عن النبي أتاني داعي الجن  
 فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن فانطلقوا فأرانا آثارهم وآثار

<sup>306</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 49

<sup>307</sup>عقيدة الفرقة الناجية ج: 1 ص: 8



نيرانهم وسألوه الزاد فقالوا لكم كل عظم ذكر إسم الله عليه يقع  
 فى أيديكم أوفر ما يكون وكل بكرة علف لدوابكم فقال النبى ﷺ لا  
 تستنجوا بالعظم والروث وذلك لئلا يفسد عليهم طعامهم  
 وعلفهم وهذا يبين أنما أباح لهم من ذلك ما ذكر إسم الله عليه دون  
 ما لم يذكر إسم الله عليه وقال تعالى {وَإِذْ زَيَّىٰ لَهُمُ الشَّيْطَانُ  
 أَعْمَالَهُمْ} الأنفال48 إلى قوله { إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ  
 الْعِقَابِ } الأنفال48 فأخبر عن الشيطان أنه يخاف الله والعقوبة  
 إنما تكون على ترك مأمور أو فعل محظور وليس هو هنا  
 التصديق وأيضا في إبليس الذى هو أبو الجن لم تكن معصيته  
 تكذيبا فإن الله أمره بالسجود وقد علم أن الله أمره ولم يكن بينه  
 وبين الله رسول يكذبه ولما امتنع عن السجود لآدم عاقبه الله  
 العقوبة البليغة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم إذا سجد  
 ابن آدم اعتزل الشيطان يبكى الحديث وقد قال تعالى فى قصة  
 سليمان {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} سبأ12  
 إلى قوله { عَذَابِ السَّعِيرِ } سبأ12 وقد جعل فى ذلك ما أمرهم  
 به من طاعة سليمان وقد قال تعالى عن إبليس إنه عصى ولم يقل  
 كذب وقد قال تعالى عن الجن { قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا  
 أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ } 30 { الاحقاف 30 إلى قوله { وَمَنْ لَا  
 يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ } 32 { الاحقاف 32  
 فأمروا بإجابة داعى الله الذى هو الرسول والإجابة والإستجابة  
 هى طاعة الأمر والنهى وهى العبادة التى خلق لها الثقلان كما  
 قال تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ  
 } الذاريات56 ومن قال إن العبادة هى المعرفة  
 الفطرية الموجودة فيها وأن ذلك هو الإيمان وهو داخل فى  
 الثقلين فقط فإن ذلك لو كان كذلك لم يكن فى الثقلين كافر والله  
 أخبر بكفر إبليس وغيره من الجن والإنس وقد قال تعالى  
 {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ص85 وأخبر  
 أنه يملؤها منه ومن أتباعه وهذا يبين أنه لا يدخلها إلا من تبعه  
 فعلم أن من يدخلها من الكفار والفساق من أتباع إبليس ومعلوم أن

الكفار ليسوا بمؤمنين ولا عارفين الله معرفة يكونون بها مؤمنين ولكن اللام لبيان الجملة الشرعية المتعلقة بالإرادة الشرعية كما في قوله تعالى { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ } البقرة 185 وقوله { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ } النساء 26 وقد تكون لبيان العاقبة الكونية كما في قوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 وهذا كقوله تعالى { وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } { 118 } إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ } { 119 } هود 118-119 أى خلق قوما للإختلاف وقوله للرحمة وقال { وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ } الأعراف 179 فاللام فى قوله تعالى { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56 وإن كانت هى اللام فى هذه الآية فإن مدلولها لام إرادة الفاعل ومقصوده ولهذا تنقسم فى كتاب الله إلى إرادة دينية وإرادة كونية كما تنقسم فى كتاب الله تعالى الكلمات والأمر والحكم والقضاء والتحریم والإذن وغير ذلك وأيضا فقوله تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ حَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ } الأنعام 130 فبين أن التقلين جميعا تلت عليهم الرسل آيات الله ولهذا قرأ رسول الله سورة على الصحابة قال للجن كانوا الحديث دعاهم إلى طاعة الله لما فيه من الأمر والنهى لا إلى مجرد حديث لا طاعة معه فإن مثل هذا التصديق كان مع إبليس فلم يغن عنه من الله شيئا والدلائل الدالة على هذا الأصل وما فى الحديث والآثار من كون الجن يحجون ويصلون ويجاهدون وأنهم يعاقبون على الذنب كثيرا جدا وقد قال تعالى فيما أخبر عنهم { وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا } الجن 11 قالوا مذاهب شتى مسلمين ويهود ونصارى وشيعة وسنة فأخبر أن منهم الصالحون فيكون إما مطيعا فى ذلك فيكون مؤمنا وإما عاصيا فى ذلك فيكون كافرا ولا ينقسم مؤمن إلى

صالح وإلى غير صالح فإن غير الصالح لا يعتقد صلاحه لتترك الطاعات فالصالح هو القائم بما وجب عليه ودون الصالح لا بد أن يكون عاصيا في بعض ما أمر به وهو قسم غير الكافر فإن الكافر لا يوصف بمثل ذلك وهذا يبين أن فيهم من يترك بعض الواجبات والله أعلم<sup>308</sup>

### الجنة والنار درجات

\* وقال حسان فشركما لخيركما الفداء فالخير ما كان خيرا من غيره والشر ما كان شرا من غيره والخير والشر درجات ولهذا قال تعالى لما ذكر أهل الجنة وأهل النار قال **{وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مَّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}** الأنعام 132 وكذلك ذكر تعالى في الأنعام والأحقاف بعد ذكر الطائفتين ولهذا قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم درجات الجنة تذهب علوا ودرجات النار تذهب سفولا فدرجات الجنة كلها فيها النعيم وبعضها خير من بعض ودرجات النار كلها فيها العذاب وبعضها شر من بعض<sup>309</sup>

### {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}

\*قال تعالى {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مِمَّا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ} الأنعام 133 قول الجمهور إن الله عليم حكيم رحيم قائم بالقسط وإنه سبحانه كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها كما

<sup>308</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 234-237

<sup>309</sup>رسالة في معنى كون الرب عادلا ج: 1 ص: 133

نطقت بذلك نصوص الكتاب والسنة وكما يشهد به الاعتبار حسا وعقلا وذلك واقع منه بحكمته ورحمته وبحكم أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم لا بأن الخلق يوجبون عليه ويحرمون ولا بأنه يشبه المخلوق فيما يجب ويحرم بل كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل وليس لمخلوق عليه حق إلا ما أحقه هو على نفسه المقدسة كقوله { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } { الأنعام 54 } وقوله { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } { الروم 47 } وذلك بحكم وعده وصدقه في خبره وهذا متفق عليه بين المسلمين وبحكم كتابه على نفسه وحكمته ورحمته وهذا فيه تفصيل ونزاع مذكور في غير هذا الموضوع <sup>310</sup>

### ال خليفة هو الذي خلف غيره

\* قال تعالى { وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ } { الأنعام 133 } الخليفة هو الذي خلف غيره وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور لم يحتج في هذا الاسم إلى الاستخلاف والإستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الاسم يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه كقوله تعالى { وَأَلْقَدْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا } { يونس 13 } إلى قوله تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ } { يونس 14 } وقوله تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ } { الأنعام 165 } وقوله تعالى { وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ } { النور 55 } الآية وقال

<sup>310</sup> منهاج السنة النبوية ج: 6 ص: 397

{وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ} {الزخرف 60  
 وقوله { وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ  
 {الأعراف 69 وفي القصة الأخرى {وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَا خُلَفَاءَ  
 مِنْ بَعْدِ عَادٍ {الأعراف 74} وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ  
 اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي {الأعراف 142 فهذا استخلاف وقال تعالى  
 {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خُلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ  
 شُكُورًا} {الفرقان 62} وقال {إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ  
 وَالنَّهَارِ} يونس 6 أي هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا فهما يتعاقبان  
 وقال موسى { عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي  
 الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} {الأعراف 129} <sup>311</sup>

\* والخليفة هو من كان خلفا عن غيره فعيلة بمعنى فاعلة كان  
 النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر يقول اللهم أنت صاحب  
 في السفر والخليفة في الأهل وقال صلى الله عليه وسلم  
 من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا و  
 قال أو كلما خرجنا في الغزو خلف أحدهم وله نبيب كنيب  
 التيس يمنح احداهن اللبنة من اللبن لئن أظفرتني الله بأحد منهم  
 لأجعلنه نكالا و في القرآن {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ  
 الْأَعْرَابِ {الفتح 11} وقوله {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ  
 رَسُولِ اللَّهِ} {التوبة 81} والمراد بالخليفة أنه خلف من كان  
 قبله من الخلق والخلف فيه مناسبة كما كان أبو بكر الصديق  
 خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه خلفه على أمته بعد  
 موته وكما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سافر لحج أو  
 عمرة أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة  
 معينة فيستخلف تارة ابن أم مكتوم وتارة غيره واستخلف على  
 بن أبي طالب في غزوة تبوك وتسمى الأمكنة التي يستخلف فيها  
 الامام مخاليف مثل مخاليف اليمن ومخاليف أرض

<sup>311</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 525

## "لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم ويتركوا ما جاءتهم به أنبيأؤهم"

\*وقال أبو الدرداء لا تهلك أمة حتى يتبعوا أهواءهم ويتركوا ما جاءتهم به أنبيأؤهم من البينات والهدى وقال تعالى {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي} يوسف 108 فمن اتبعه يدعو إلى الله على بصيرة والبصيرة هي بينة وقال {أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} الأنعام 122 الآية فالنور الذي يمشي به في الناس هو البينة والبصيرة وقال {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} النور 35 الآية قال أبو بن كعب وغيره هو مثل نور المؤمن وهو نوره الذي في قلبه عبده المؤمن الناشي عن العلم النافع والعمل الصالح وذلك بينة من ربه وقال {أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ} الزمر 22 فهذا النور الذي هو عليه وشرح الصدر للإسلام هو البينة من ربه وهو الهدى المذكور في قوله {أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ} البقرة 5 واستعمل في هذا حرف الإستعلاء لأن القلب لا يستقر ولا يثبت إلا إذا كان عالما موقنا بالحق فيكون العلم والإيمان صبغة له ينصبغ بها كما قال {صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} البقرة 138 ويصير مكانة له كما قال {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ} الأنعام 135 والمكان والمكانة قد يراد به ما يستقر الشيء عليه وإن لم يكن محيطا به كالسقف

<sup>312</sup>مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 43-44

مثلا قد يراد به مايحيط به فالمهتدون لما كانوا على هدى من ربهم ونور وبينه وبصيرة صار مكانة لهم استقروا عليها وقد تحيط بهم بخلاف الذين قال فيهم { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ } الحج 11 فإن هذا ليس ثابتا مستقرا مطمئنا بل هو كالواقف على حرف الوادي وهو جانبه فقد يطمئن إذا أصابه خير وقد ينقلب على وجهه ساقطا في الوادي<sup>313</sup>

### لطائف لغوية

- 1- قال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } الانعام 119 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد ولفظ الضلال اذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَلَفُوا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ } 69 { فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } 70 { وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } 71 { الصافات 69- 71 } وقوله { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } 67 { رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } 68 { الأحزاب 67- 68 } وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 ثم يقرن بالغي والغضب كما في قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 وفي قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ } القمر 47<sup>314</sup>
- 2- قال تعالى { وَدَرُّوْا ظَاهِرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنَهُ اِنَّ الَّذِيْنَ يَكْسِبُوْنَ الْاِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوْا يَقْتَرِفُوْنَ } الانعام 120 عامة الأسماء يتنوع

<sup>313</sup> مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 63-64

<sup>314</sup> مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 167

مسماهما بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الاثم اذا اطلق دخل

فيه كل ذنب وقد يقرن بالعدوان كما فى قوله تعالى { وَلَا

تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ { المائدة 2<sup>315</sup>

3- قال تعالى { وَذَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ  
الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ { الانعام 120 أن الكسب هو  
الفعل الذى يعود على فاعله بنفع أو ضرر كما قال تعالى { لَهَا  
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ { البقرة 286 فبين سبحانه أن  
كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا  
أو شرفا كما أنه ينتفع بذلك<sup>316</sup>

4- والوحى وحيان وحى من الرحمن ووحى من الشيطان  
قال تعالى { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ  
{ الأنعام 121 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا  
شَّيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ  
غُرُورًا { الأنعام 112 وقال تعالى { هَلْ أُنبِئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ  
الشَّيَاطِينُ { الشعراء 221<sup>317</sup>

5- قال تعالى { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا  
فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ { الأنعام 123 لفظ  
القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التى فيها  
الحال والمحال كلاهما داخل فى الاسم ثم قد يعود الحكم على  
الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك فى  
النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء  
ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك  
القرية قال تعالى { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً

<sup>315</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 165

<sup>316</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 387

<sup>317</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 75



{ النحل 112 وقوله { وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ } 4 { فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } 5 { الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى { أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } الأعراف 97 فجعل القرى هم السكان وقال { وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } محمد 13 وهم السكان وكذلك قوله تعالى { وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا } الكهف 59 وقال تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا } البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن لا بد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قرية الماء فى الحوض اذا جمعته فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقولهُ { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ } يوسف 82 مثل قوله { قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً } النحل 112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضرار ولا حذف 318

6- قال تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا

وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما فى قوله { وَاجْتَنِبْنَا هُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِّلنَّعْمِ اجْتِنَابًا وَهَذَا } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام واذا اطلق الهدى كان كالايمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا

ولفظ الضلال اذا اطلق تناول من ضل عن الهدى سواء كان عمدا أو جهلا ولزم أن يكون معذبا كقوله { إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ } {69} فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ } {70} وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ } {71} الصافات 69- 71 وقوله { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا } {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا } {68} الأحزاب 67- 68 وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 ثم يقرن بالغى والغضب كما فى قوله { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } النجم 2 وفى قوله { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } الفاتحة 7 وقوله { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ } القمر 47

319

7- قال تعالى { إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } الأنعام 128 حكيم منزه عن السفه عليم منزه عن الجهل

320

<sup>319</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166-167

<sup>320</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

8- قال تعالى **{ وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } الأنعام 129** أن الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضرر كما قال تعالى **{ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ }** البقرة 286 فبين سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب مالا أو حمدا أو شرفا كما أنه ينتفع بذلك <sup>321</sup>

9- لفظ القصص يتناول ما قصه الأنبياء من آيات الله غير أخبار الأمم كقوله تعالى **{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا }** الأنعام 130 وقال في موضع آخر **{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ }** الزمر 71 <sup>322</sup>

10- قال تعالى **{ ذَلِكَ أَنْ لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْفَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } الأنعام 131** لفظ القرية والمدينة والنهر والميزاب وأمثال هذه الأمور التي فيها الحال والمحال كلاهما داخل في الاسم ثم قد يعود الحكم على الحال وهو السكان وتارة على المحل وهو المكان وكذلك في النهر يقال حفرت النهر وهو المحل وجرى النهر وهو الماء ووضعت الميزاب وهو المحل وجرى الميزاب وهو الماء وكذلك القرية قال تعالى **{ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً } النحل 112** وقوله **{ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ } 4** **{ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ } 5** الأعراف 4-5 وقال في آية أخرى **{ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ } الأعراف 97** فجعل القرى هم السكان وقال **{ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ } محمد 13** وهم السكان وكذلك قوله تعالى **{ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم**

<sup>321</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 387

<sup>322</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 45

مَوْعِدًا { الكهف 59 وقال تعالى { أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا { البقرة 259 فهذا المكان لا السكان لكن لا بد أن يلحظ أنه كان مسكونا فلا يسمى قرية الا اذا كان قد عمر للسكنى مأخوذ من القرى وهو الجمع ومنه قولهم قرية الماء فى الحوض اذا جمعتة فيه ونظير ذلك لفظ الانسان يتناول الجسد والروح ثم الاحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما فكذلك القرية اذا عذب أهلها خربت واذا خربت كان عذابا لأهلها فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما فقوله { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ { يوسف 82 مثل قوله { قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً { النحل 112 فاللفظ هنا يراد به السكان من غير اضمار ولا حذف<sup>323</sup>

11- قال تعالى { وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ { الأنعام 133

324 غني منزله عن الفقر

12- قال تعالى { وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ { الأنعام 133

ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هى الجنة<sup>325</sup>

<sup>323</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 163

<sup>324</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407

<sup>325</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

13- قال تعالى {إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} {الأنعام 134} وأما لفظ المعجز فإنما يدل على أنه أعجز غيره  
326

14- والله تعالى له الخلق والأمر فلفظ الإرسال والبعث والإرادة والأمر والأذن والكتاب والتحريم والقضاء والكلام ينقسم إلى خلقي وأمرى وكونى ودينى وأما الإرادة فقال تعالى فى الكونية {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} {الأنعام 135} مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ  
327

---

الجواب الصحيح ج: 5 ص: 418<sup>326</sup>

الجواب الصحيح ج: 1 ص: 150<sup>327</sup>



## الانعام 136-153

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا  
هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا  
يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا  
يَحْكُمُونَ {136} وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ  
أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ  
شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذُرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ {137} وَقَالُوا هَذِهِ  
أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ  
حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً  
عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {138} وَقَالُوا مَا فِي  
بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا  
وَإِن يَكُن مِّتَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ  
حَكِيمٌ عَلِيمٌ {139} قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا  
بَغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا  
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ {140} وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ  
مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ  
وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ  
إِذَا أَنْمَرَ وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
المُسْرِفِينَ {141} وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاءُ كُلُوا مِمَّا  
رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ  
مُّبِينٌ {142} {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ  
اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتُمْ عَلَيْهِ  
أَرْحَامَ الْإِنثَيْنِ نَبِّؤُنِي بَعْلَمَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ {143} وَمِنَ  
الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْإِنثَيْنِ  
أَمَا اسْتَمَلْتُمْ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْإِنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ

وَصَاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا  
لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ  
الظَّالِمِينَ} 144{ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى  
طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ  
خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لَيْعٍ لَعِنَ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ  
غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} 145{ وَعَلَى  
الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا  
عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا  
اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَعْضِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} 146{  
فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ  
الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} 147{ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ  
مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ  
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ  
فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا  
تَخْرُصُونَ} 148{ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ  
أَجْمَعِينَ} 149{ قُلْ هَلَمْ شَهِدْكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ  
حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ  
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ  
يَعْدِلُونَ} 150{ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا  
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ  
مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا  
ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا  
بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمُ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} 151{ وَلَا تَقْرَبُوا  
مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا  
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَفُّ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ  
فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمُ



**بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {152} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا  
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمُ  
وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {153}**

## **أصل دروس دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين**

\*وروى مسلم من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة ابن خندف أبا بني كعب وهو يجرب قصبه في النار وللبخاري من حديث أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف أبو خزاعة هذا من العلم المشهور أن عمرو بن لحي هو أول من نصب الأنصاب حول البيت ويقال إنه جلبها من البلقاء من أرض الشام متشبهها بأهل البلقاء وهو أول من سيب السائبة ووصل الوصيعة وحمى الحامي فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه رآه يجرب قصبه في النار وهي الأمعاء ومنه سمى القصاب بذلك لأنها تشبه القصب ومعلوم أن العرب قبله كانوا على ملة أبيهم إبراهيم على شريعة التوحيد والحنيفية السمحة دين أبيهم إبراهيم فتشبهوا بعمرو بن لحي وكان عظيم أهل مكة يومئذ لأن خزاعة كانوا ولاة البيت قبل قريش وكان سائر العرب متشبهين بأهل مكة لأن فيها بيت الله وإليها الحج ما زالوا معظمين من زمن إبراهيم عليه السلام فتشبه عمرو بمن رآه في الشام واستحسن بعقله ما كانوا عليه ورأى أن في تحريم ما حرمه من البحيرة والسائبة والوصيعة والحامي تعظيما لله ودينا فكان ما فعله أصل الشرك في العرب أهل دين إبراهيم وأصل تحريم الحلال وإنما فعله متشبهها فيه بغيره من أهل الأرض فلم يزل الأمر يتزايد ويتفاقم حتى غلب على أفضل الأرض الشرك بالله عز وجل وتغير دينه الحنيف إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم فأحيا ملة إبراهيم عليه السلام وأقام التوحيد وحل

ما كانوا يجرمونه وفي سورة الأنعام من عند قوله تعالى  
 {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ  
 بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا  
 كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ {136} وَكَذَلِكَ  
 زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْدُوهُمْ  
 وَيَلْبَسُوا عَلَيْهِمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَدَرَّهُمْ وَمَا  
 يَفْتَرُونَ {137} وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ  
 نَّشَاءَ بَزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ  
 عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ {138} وَقَالُوا مَا  
 فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ  
 يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ {139}  
 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ  
 اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا

مُهْتَدِينَ {140} الأنعام 136-140 إلى آخر السورة خطاب  
 مع هؤلاء الضرب ولهذا يقول تعالى في اثنائها {سَيَقُولُ الَّذِينَ

أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ  
 {الأنعام 148} ومعلوم أن مبدأ هذا التحريم ترك الأمور  
 المباحة تدينا وأصل هذا التدين هو من التشبه بالكفار وإن لم  
 يقصد المتدين التشبه بهم فقد تبين لك أن من أصل دروس  
 دين الله وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين كما  
 أن من أصل كل خير المحافظة على سنن الأنبياء وشرائعهم  
 ولهذا عظم وقع البدع في الدين وإن لم يكن فيها تشبه بالكفار  
 فكيف إذا جمعت الوصفين ولهذا جاء في الحديث ما ابتدع قوم  
 بدعة إلا نزع عنهم من السنة مثلها<sup>328</sup>

<sup>328</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 115-116

## كل من احتج بالقدر فإنه متناقض

\*كثير من الرجال غلطوا فإنهم قد يشهدون ما يقدر على أحدهم من المعاصي والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون أن هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك ديناً وطريقاً وعبادة فيضاهون المشركين الذين قالوا { **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ { الأنعام 148** } وقالوا { **أَنْطَعُمْ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَهُ** } يس 47 { **وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ** } الزخرف 20 ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا أن نرضى به ونصبر على موجبه في المصائب التي تصيبنا كالفقر والمرض والخوف قال تعالى { **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ** } {التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم وقال تعالى { **مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** } {22} { **لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** } {23} الحديد 22-23 وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال احتج آدم وموسى فقال موسى أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه فهل وجدت ذلك مكتوباً علي قبل أن أخلق قال نعم قال فحج آدم موسى وآدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظناً أن المذنب يحتج بالقدر فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ولو كان هذا عذراً لكان عذراً لإبليس وقوم نوح وقوم هود وكل كافر ولا موسى لام آدم أيضاً لأجل الذنب فإن آدم قد تاب إلى ربه فاجتباها وهدى ولكن لآمه لأجل المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة ولهذا قال فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة إجابة آدم أن هذا كان مكتوباً قبل

أن أخلق فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدرًا وما قدر من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضا ب الله ربا وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب فيتوب من المعائب ويصبر على المصائب قال تعالى { فَاصْبِرْ } **إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَعْفِرْ لِدُنْيِكَ** { غافر 55 } وقال تعالى { وَإِنْ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } آل عمران 120 وقال { وَإِنْ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ } آل عمران 186 وقال يوسف { إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } يوسف 90 وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد فيها أن يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر بحسب قدرته يجاهد في سبيل الله الكفار والمنافقين ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله ويحب في الله ويبغض في الله كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ } **المتحنة 1** إلى قوله { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ } **المتحنة 4** وقال تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } **المجادلة 22** إلى قوله { أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ } **المجادلة 22** وقال تعالى { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } **القمم 35** وقال { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَّارِ } **ص 28** وقال تعالى { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } **الجاثية 21** وقال تعالى { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ } **19** { وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ } **20** { وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ } **21** { وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ } **22** { فاطر 19-22 } وقال تعالى { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا } **الزمر 29** وقال تعالى { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا

يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ { النحل 75 } إِلَى قَوْلِهِ { بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } { 75 } وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ { النحل 76 } إِلَى قَوْلِهِ { وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } { 76 } { النحل 76 } وَقَالَ تَعَالَى { لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } { الحشر 20 } وَنَظَائِرُ ذَلِكَ مِمَّا يَفْرُقُ اللَّهُ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَأَهْلِ الطَّاعَةِ وَأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ وَأَهْلِ الْبِرِّ وَأَهْلِ الْفَجْرِ وَأَهْلِ الْهُدَى وَالضَّلَالِ وَأَهْلِ الْغِيِّ وَالرِّشَادِ وَأَهْلِ الصِّدْقِ وَالْكَذْبِ فَمَنْ شَهِدَ الْحَقِيقَةَ الْكُونِيَّةَ دُونَ الدِّينِيَّةِ سِوَى بَيْنِ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ الْمُخْتَلِفَةِ الَّتِي فَرَقَ اللَّهُ بَيْنَهَا غَايَةَ التَّفْرِيقِ حَتَّى يُوَوِّلَ بِهِ الْأَمْرَ إِلَى أَنْ يَسُوِيَ اللَّهُ بِالْأَصْنَافِ كَمَا قَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ { تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } { 97 } { إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ } { 98 } { الشُّعْرَاءُ 97-98 } بَلْ قَدْ آلَ الْأَمْرَ بِهَؤُلَاءِ إِلَى أَنْ سَوَّاهُ اللَّهُ بِكُلِّ مَوْجُودٍ جَعَلُوا مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالطَّاعَةِ حَقًّا لِكُلِّ مَوْجُودٍ إِذْ جَعَلُوهُ هُوَ وَجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ بِرَبِّ الْعِبَادِ وَهَؤُلَاءِ يَصِلُ بِهِمُ الْكُفْرُ إِلَى أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ أَنَّهُمْ عِبَادٌ لَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ مَعْبُودُونَ وَلَا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ عَابِدُونَ إِذْ يَشْهَدُونَ أَنفُسَهُمْ هِيَ الْحَقُّ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ طَوَاغِيْتُهُمْ كَابِنُ عَرَبِي صَاحِبُ الْفُصُوصِ وَأَمثَالُهُ مِنَ الْمَلْحِدِينَ الْمُفْتَرِينَ كَابِنِ سَبْعِينَ وَأَمثَالُهُ وَيَشْهَدُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الْعَابِدُونَ وَالْمَعْبُودُونَ وَهَذَا لَيْسَ بِشَهُودٍ لِحَقِيقَةِ لَا كُونِيَّةٍ وَلَا دِينِيَّةٍ بَلْ هُوَ ضَلَالٌ وَعَمِيٌّ عَنِ شَهُودِ الْحَقِيقَةِ الْكُونِيَّةِ حَيْثُ جَعَلُوا وَجُودَ الْخَالِقِ هُوَ وَجُودَ الْمَخْلُوقِ وَجَعَلُوا كُلَّ وَصْفٍ مَذْمُومٍ وَمَمْدُوحٍ نَعْتًا لِلْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ إِذْ وَجُودُ هَذَا هُوَ وَجُودُ هَذَا عِنْدَهُمْ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ عَوَامِهِمْ وَخَوَاصِهِمْ الَّذِينَ هُمُ أَهْلُ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ قِيلَ مِنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمُ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ فَهَؤُلَاءِ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكُهُ وَخَالِقُهُ وَأَنَّ الْخَالِقَ سَبْحَانَهُ مَبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقِ لَيْسَ هُوَ حَالًا فِيهِ وَلَا مُتَحَدًا بِهِ وَلَا وَجُودَهُ وَجُودُهُ وَالنَّصَارَى كَفَرُوا بِاللهِ بَأَنَّهُمْ قَالُوا

بالحلول والاتحاد بالمسيح خاصة فكيف من جعل ذلك عاما في كل مخلوق ويعلمون مع ذلك أن الله أمر بطاعته وطاعة رسوله ونهى عن معصيته ومعصية رسوله وأنه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وأن على الخلق أن يعبدوه فيطيعوا أمره ويستعينوا به على ذلك كما قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الإمكان والجهاد في سبيله لأهل الكفر والنفاق فيجتهدون في إقامة دينه مستعينين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين بذلك ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الإنسان الجوع الحاضر بالأكل ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك إذا آن أو ان البرد دفعه باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه كما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أرأيت أدوية تتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقي بها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وفي الحديث إن الدعاء والبلاء ليلتقيان فيعتلجان بين السماء والأرض فهذا حال المؤمنين ب الله ورسوله العابدين وكل ذلك من العبادة وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ويجعلون ذلك مانعا من اتباع أمره الديني الشرعي على مراتب في الضلال فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما فيحتجون بالقدر في كل ما يخالفون فيه الشريعة وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} الزخرف 20 وهؤلاء من أعظم أهل الأرض تناقضا بل كل من احتج بالقدر فإنه متناقض فإنه لا يمكن أن يقر كل آدمي على ما فعل فلا بد إذا ظلمه ظالم أو ظلم الناس ظالم وسعى في الأرض بالفساد وأخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من أنواع الضرر التي لا قوام للناس بها أن يدفع هذا القدر وأن يعاقب الظالم بما يكف عدوان أمثاله فيقال له إن كان القدر حجة

فدع كل أحد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وإن لم يكن حجة بطل أصل قولك حجة وأصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا يلتزمون به وإنما هم بحسب آرائهم وأهوائهم كما قال فيهم بعض العلماء أنت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبري أي مذهب وافق هواك تمذهبت به ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة فيزعمون أن الأمر والنهي لازم لمن شهد لنفسه فعلا وأثبت له صنعا أما من شهد أن أفعاله مخلوقة أو أنه مجبور على ذلك وأن الله هو المتصرف فيه كما تحرك سائر المتحركات فإنه يرتفع عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد وقد يقولون من شهد الإرادة سقط عنه التكليف ويزعم أحدهم أن الخضر سقط عنه التكليف لشهوده الإرادة فهؤلاء لا يفرقون بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا أن الله خالق أفعال العباد وأنه يدبر جميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما وبين من يراه شهودا فلا يسقطون التكليف عن يؤمن بذلك ويعلمه فقط ولكن عمن يشهده فلا يرى لنفسه فعلا أصلا وهؤلاء لا يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعا من التكليف على هذا الوجه وقد وقع في هذا طوائف من المنتسبين إلى التحقيق والمعرفة والتوحيد وسبب ذلك أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤجر بما يقدر عليه خلافه كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك ثم المعتزلة أثبتت الأمر والنهي الشرعيين دون القضاء والقدر الذي هو إرادة الله العامة وخلق لأفعال العباد وهؤلاء أثبتوا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهي في حق من شهد القدر إذ لم يمكنهم نفي ذلك مطلقا وقول هؤلاء شر من قول المعتزلة ولهذا لم يكن في السلف من هؤلاء أحد وهؤلاء يجعلون الأمر والنهي للمجبوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل إلى شهود هذه الحقيقة يسقط عنه الأمر والنهي وصار من الخاصة وربما تأولوا على ذلك قوله تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} الحجر 99 وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء

كفر صريح وإن وقع فيه طوائف لم يعلموا أنه كفر فإنه قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الأمر والنهي لازم لكل عبد ما دام عقله حاضرا إلى أن يموت لا يسقط عنه الأمر والنهي لا شهوده القدر ولا بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فإن أصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي فإنه يقتل وقد كثرت مثل هذه المقالات في المستأخرين وأما المستقدمون من هذه الأمة فلم

تكن هذه المقالات معروفة فيهم وهذه المقالات هي محادة ورسوله ومعاداة له وصد عن سبيله ومشاقة له وتكذيب لرسوله ومضادة له في حكمه وإن كان من يقول هذه المقالات قد يجهل ذلك ويعتقد أن هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول وطريق أولياء الله المحققين فهو في ذلك بمنزلة من يعتقد أن الصلاة لا تجب عليه لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال القلبية أو أن الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لا يضرهم شرب الخمر أو أن الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تكدره الذنوب ونحو

ذلك ولا ريب أن المشركين الذين كذبوا الرسل يترددون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة أمر الله فهؤلاء الأصناف فيهم شبه من المشركين إما أن يبتدعوا وإما أن يحتجوا بالقدر وإما أن يجمعوا بين الأمرين كما قال تعالى عن المشركين { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْفُوتُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

{ الأعراف 28 وكما قال تعالى عنهم { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } { الأنعام 148

وقد ذكر عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة التي لم يشرعها الله بمثل قوله تعالى { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حُجْرًا لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } { الأنعام 138 إلى آخر السورة وكذلك في سورة الأعراف في قوله { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ } { الأعراف 27 إلى قوله



{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ  
 اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ {الأعراف 28 إلى قوله {قُلْ أَمَرَ رَبِّي  
 بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ {الأعراف 29 إلى  
 قوله {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ  
 الْمُسْرِفِينَ {31} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ  
 وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ {32} {الأعراف 31-32 إلى قوله {قُلْ  
 إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالذُّعْبَى  
 بغيرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا  
 عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ { الأعراف 33 وهو لاء قد يسمون ما  
 أحدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة  
 وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بأمر  
 الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويذوقه ويجده ونحو ذلك وهو لاء  
 لا يحتاجون بالقدر مطلقا بل عمدتهم اتباع آرائهم وأهوائهم  
 وجعلهم لما يرونه ويهوونه حقيقة وأمرهم باتباعها دون اتباع  
 أمر الله ورسوله نظير بدع أهل الكلام من الجهمية وغيرهم الذين  
 يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق  
 عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب  
 والسنة إما أن يحرفوه عن مواضعه وإما أن يعرضوا عنه بالكلية  
 فلا يتدبرونه ولا يعقلونه بل يقولون نفوض معناه إلى الله مع  
 اعتقادهم نقيض مدلوله وإذا حقق على هؤلاء ما يزعمون من  
 العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة  
 وكذلك أولئك إذا حقق عليهم ما يزعمون من حقائق أولياء الله  
 المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الأهواء التي يتبعها أعداء الله  
 لا أولياؤه وأصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص  
 المنزل من عند الله واختيار الهوى على اتباع أمر الله فإن الذوق  
 والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد فكل محب له ذوق  
 ووجد بحسب محبته فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما  
 بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح  
 ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان من كان الله ورسوله أحب

إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عيينة ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم فقال أنسيت قوله تعالى { وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 93 أو نحو هذا من الكلام فعباد الاصنام يحبون ألهتهم كما قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 وقال { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } القصص 50 وقال { إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى } النجم 23 ولهذا يميل هؤلاء إلى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الإيمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الأوثان ومحب الصليبان ومحب الأوطان ومحب الأخوان ومحب المردان ومحب النسوان وهؤلاء الذين يتبعون أنواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فالمخالف لما بعث به رسوله من عبادته وطاعته رسوله لا يكون متبعاً لدين شرعه الله كما قال تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } {18} { إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً } {19} الجاثية 18-19 إلى قوله { وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } الجاثية 19 بل يكون متبعاً لهواه بغير هدى من الله قال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 وهم في ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله وتارة يحتجون بالقدر الكوني على الشريعة كما أخبر الله به عن المشركين كما تقدم ومن هؤلاء طائفة هم أعلاهم قدراً وهم مستمسكون بالدين في أداء الفرائض المشهورة واجتناب

المحرمات المشهورة لكن يغلطون في ترك ما أمروا به من الأسباب التي هي عبادة ظانين أن العارف إذا شهد القدر أعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم أو الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على أن من شهد القدر علم أن ما قدر سيكون فلا حاجة إلى ذلك وهذا غلط عظيم فإن الله قدر الأشياء بأسبابها كما قدر السعادة والشقاوة بأسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلق للجنة أهلاً خلقها لهم وهم في أصلاب آبائهم ويعمل أهل الجنة يعملون وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبرهم بأن الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعلموا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة فما أمر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى { فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } {هود 123} وفي قوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ } {الرعد 30} وقول شعيب عليه السلام { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } {هود 88} ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الأعمال دون الواجبات فتتقص بقدر ذلك ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكاشفة أو استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل أحدهم عما أمر به من العبادة والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها كثيراً ما تعرض لأهل السلوك والتوجه وإنما ينجو العبد منها بملازمة أمر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان أحدهما ألا يعبد إلا الله والثاني أن يعبد بما أمر وشرع لا بغير ذلك من البدع قال تعالى { فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

صَالِحاً وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا { الكهف 110 وقال تعالى  
 {بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} البقرة 112 وقال تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ  
 دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا  
 وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} النساء 125 فالعمل الصالح هو الإحسان  
 وهو فعل الحسنات و الحسنات هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما  
 أمر بإيجاب أو استحباب فما كان من البدع في الدين التي ليست  
 مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا  
 من العمل الصالح كما أن من يعمل ما لا يجوز كالفواحش والظلم  
 ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح وأما قوله { وَلَا  
 يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} الكهف 110 وقوله { أَسْلَمَ وَجْهَهُ  
 لِلَّهِ} البقرة 112 فهو إخلاص الدين وحده وكان عمر بن  
 الخطاب يقول اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك  
 خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا وقال الفضيل بن عياض في قوله  
 { لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} هود 7 قال أخلصه وأصوبه قالوا  
 يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن العمل إذا كان خالصا ولم  
 يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى  
 يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون  
 على السنة<sup>329</sup>

## الشرك والغلو يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله

\*وأما ما تقوله غلاتهم من إلهية على أو نبوته وغلط جبريل  
 بالرسالة فهو أعظم من أن يذكر هنا ولا ريب أن الشرك والغلو  
 يخرج أصحابه إلى أن يجعلوا البشر مثل الإله بل أفضل من الإله

<sup>329</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 367-375

في بعض الأمور كما ذكر الله عن المشركين حيث قال  
 {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ  
 بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا  
 كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ {الأنعام 136  
 وقال تعالى {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ  
 عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ  
 فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {الأنعام 108 فهو لاء لما سبت آلهتهم  
 سبوا الله مقابلة فجعلوهم مماثلين لله وأعظم في قلوبهم كما تجد  
 كثيرا من المشركين يحب ما اتخذه من دون الله أندادا أكثر مما  
 يحب الله تعالى وتجد أحدهم يحلف بالله ويكذب

ويحلف بما اتخذه ندا من إمامه أو شيخه أو غير ذلك ولا يستجيز  
 أن يكذب وتساله بالله والله فلا يعطى وتساله بما يعظمه من إمامه  
 أو شيخه أو غير ذلك فيعطى ويصلى لله في بيته ويدعوه فلا  
 يكون عنده كبير خشوع فإذا أتى إلى قبر من يعظمه ورجا أن  
 يدعوه أو يدعو به أو يدعو عنده فيحصل له من الخشوع  
 والدموع ما لا يحصل في عبادة الله ودعائه في بيت الله أو في  
 بيت الداعي العابد وتجد أحدهم يغضب إذا ذكر ما اتخذه ندا  
 بعباد أو نقص ويذكر الله بالعيوب والنقص فلا يغضب له  
 ومثل هذا كثير في المشركين شركا محضا وفي من فيه شعبة من  
 الشرك في هذه الأمة والنصارى ينزهون البشر عن كثير مما  
 يصفون به الرب فيقولون لله ولد وينزهون كثيرا من عظمائهم أن  
 يكون له ولد ويقول كثير منهم إن الله ينام والباب عندهم لا ينام  
 ومثل هذا كثير <sup>330</sup>

\*والرب تعالى إذا جعل من يحب الأنداد كحبه مشركين فمن  
 أحب الند أكثر كان أعظم شركا وكفرا كما قال تعالى {وَلَا تَسُبُّوا  
 الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ

{ الأنعام 108 فلولآ تعظيهم لآلهتهم على الله لملآ سبوا الله إذا سبت آلهتهم وقال تعالى { وَجَعَلُوا لِلّٰهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } الأنعام 136 وقال أبو سفيان يوم أحد أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوه فقالوا وما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل وقال أبو سفيان إن لنا العزى ولا عزى لكم قال ألا تجيبوه قالوا وما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم

331

### الأصل فى العبادات التوقيف والأصل فى العادات العفو

\*أن تصرفات العباد من الأقوال و الأفعال نوعان عبادات يصلح بها دينهم و عادات يحتاجون إليها فى دنياهم فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التى أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع و أما العادات فهى ما اعتاده الناس فى دنياهم مما يحتاجون إليه و الأصل فيه عدم الحظر فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه و تعالى و ذلك لأن الأمر و النهى هما شرع الله و العبادة لآبد أن تكون مأمورا بها فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم عليه بأنه عبادة و ما لم يثبت من العبادات أنه منهى عنه كيف يحكم على أنه محظور و لهذا كان أحمد و غيره من فقهاء أهل الحديث يقولون إن الأصل فى العبادات التوقيف فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى و إلا دخلنا فى معنى قوله { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 و العادات الأصل فيها العفو فلا يحظر منها إلا ما

<sup>331</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 397-398

حرمه و إلا دخلنا في معنى قوله {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا} يونس 59 و لهذا ذم الله المشركين الذين شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله و حرموا ما لم يحرمه في سورة الأنعام من قوله تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } {136} وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرِدُوهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {137} وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حَجَرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِرِزْقِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } {138} الأنعام 136-138 فذكر ما ابتدعه من العبادات و من التحريمات و في صحيح مسلم عن عياض بن حمار رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال قال الله تعالى إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين و حرمت عليهم ما أحللت لهم و أمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وهذه قاعدة عظيمة نافعة <sup>332</sup>

\* واما العبادات فان اصل الدين انه لا حرام الا ما حرمه الله ولا دين الا ما شرعه الله فان الله سبحانه في سورة الأنعام والاعراف عاب على المشركين انهم حرموا ما لم يحرمه الله وانهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله كما قال ابن عباس اذا أردت ان تعرف جهل العرب فاقرأ من قوله { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ } الأنعام 136 الاية وذلك ان الله ذم المشركين على ما ابتدعه من تحريم الحرث و الأنعام و ما ابتدعه من الشرك و ذمهم على احتجاجهم على بدعهم بالقدر قال تعالى { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا } الأنعام 148

الاية وفى الصحيح عن عياض بن حمار عن النبي انه قال يقول الله تعالى انى خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا وذكر في سورة الاعراف ما حرموه وما شرعوه وقال تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ { الأعراف 33 الاية وقال {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ { الأعراف 29 الاية فبين لهم ما أمرهم به وما حرمه هو وقال فما لهم { أم لهم شُرَكَاءَ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ { الشورى 21 الاية وهذا مبسوط فى غير هذا الموضوع والمقصود انه ليس لاحد ان يحرم الا ما جاءت الشريعة بتحريمه والا فالاصل عدم التحريم سواء فى ذلك الاعيان والافعال وليس له ان يشرع ديناً واجبا او مستحبا ما لم يقم دليل شرعى على وجوبه واستجابته

333

## جميع بنى آدم العقلاء لا بد لهم من أمور يأمرون بها وأمر ينهون عنها

\*قاعدة جامعة كل واحد من الدين الجامع بين الواجبات وسائر العبادات ومن التحريمات كما قال تعالى { وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ { التوبة 29 كما قال تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ { النحل 35 وكما أخبر عما ذمه من حال المشركين فى دينهم وتحريمهم حيث قال { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا

333 مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 357-358



فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا  
يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا  
يَحْكُمُونَ { الأنعام 136 } الى آخر الكلام فانه ذكر فيه ما كانوا عليه  
من العبادات الباطلة من أنواع الشرك ومن الاباحة الباطلة فى  
قتل الأولاد ومن التحريمات الباطلة من السائبة والبحيرة  
والوصيلة والحامي ونحو ذلك فذم المشركين فى عباداتهم  
وتحريماتهم وإباحتهم وذم النصارى فيما تركوه من دين الحق  
والتحريم كما ذمهم على الدين الباطل فى قوله { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ  
وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } التوبة 31  
وأصناف ذلك فكل واحد من العبادات وسائر الأمور به من  
الواجبات والمستحبات ومن المكروهات المنهى عنها نهى حظر  
أو نهى تنزيه ينقسم الى ثلاثة أقسام عقلي وملي وشرعي والمراد  
بالعقلي ما اتفق عليه اهل العقل من بنى آدم سواء كان لهم صلة  
كتاب أو لم يكن والمراد بالملي ما اتفق عليه أهل الملل والكتب  
المنزلة ومن اتبعهم والمراد بالشرعي ما اختص به أهل الشريعة  
القرآنية وهم أمة محمد وأخص من ذلك ما اختص به أهل مذهب  
أو أهل طريقة من الفقهاء والصوفية ونحو ذلك لكن هذا  
التخصيص والامتياز لا توجبه شريعة الرسول مطلقا وإنما قد  
توجبه ما قد توجب بتخصيص بعض العلماء والعباد والأمراء  
فى استفتاء أو طاعة كما يجب على أهل كل غزاة طاعة أميرهم  
وأهل كل قرية استفتاء عالمهم الذى لا يجدون غيره ونحو ذلك  
وما من أهل شريعة غير المسلمين الا وفي شرعهم هذه الأقسام  
الثلاثة فان مأموراتهم ومنهياتهم تنقسم الى ما يتفق عليه العقلاء  
وما يتفق عليه الأنبياء وأما السياسات الملكية التى لا تتمسك بملة  
وكتاب فلا بد فيها من القسم الأول والثالث فان القدر المشترك بين  
الآدميين لا بد من الأمر به فى كل سياسة وإمامة وكذلك لا بد  
لكل ملك من خصيصة يتميز بها ولو لم تكن الا رعاية من يواليه  
ودفع من يعاديه فلا بد لهم من الأمر بما يحفظ الولي ويدفع العدو  
كما فى مملكة جنكزخان ملك الترك ونحوه من الملوك ثم قد

يكون لهم ملة صحيحة توحيدية وقد يكون لهم ملة كفرية وقد لا يكون لهم ملة بحال ثم قد يكون مما يوجبونه وقد يكون مما يستحبونه ووجه القسمة أن جميع بنى آدم العقلاء لا بد لهم من أمور يأمرون بها وأمور ينهون عنها فان مصلحتهم لا تتم بدون ذلك ولا يمكن أن يعيشوا فى الدنيا بل ولا يعيش الواحد منهم لو انفرد بدون أمور يفعلونها تجلب لهم المنفعة وامور ينفونها تدفع عنهم المضرة بل سائر الحيوان لا بد فيه من قوى الاجتلاب والاجتناب ومبدأهما الشهوة والنفرة والحب والبغض فالقسم المطلوب هو المأمور به والقسم المرهوب هو المنهى عنه فأما ان تكون تلك الأمور متفقا عليها بين العقلاء بحيث لا يلتفت الى الشواذ منهم الذين خرجوا عند الجمهور عن العقل وإما أن لا تكون كذلك وما ليس كذلك فاما أن يكون متفقا عليه بين الأنبياء والمرسلين وإما أن يختص به أهل شريعة الاسلام<sup>334</sup>

### الفرق بين الحب فى الله والحب مع الله

\*وقد زين الشيطان لكثير من الناس سوء عملهم واستزلهم عن إخلاص الدين لربهم إلى أنواع من الشرك فيقصدون بالسفر والزيارة رضى غير الله والرغبة إلى غيره ويشدون الرحال إما إلى قبر نبي أو صاحب أو صالح أو ما يظنون أنه نبي أو صاحب أو صالح داعين له راغبين إليه ومنهم من يظن أن المقصود من الحج هو هذا فلا يستشعر إلا قصد المخلوق المقبور ومنهم من يرى أن ذلك أنفع له من حج البيت ومن شيوخهم من يقصد حج البيت فإذا وصل إلى المدينة رجع مكتفيا بزيارة القبر وظن أن هذا أبلغ ومن جهالهم من يتوهم أن زيارة القبور واجبة وأكثرهم يسأل الميت المقبور كما يسأل الحي

<sup>334</sup>مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 65-73

الذي لا يموت فيقول يا سيدي فلان اغفر لي وارحمني وتب علي  
او يقول اقض عني الدين وانصرني على فلان وأنا في حسابك  
وجوارك وقد يذرون أولادهم للمقبور ويسبيون له السوائب  
من البقر والغنم وغيرها كما كان المشركون يسبيون السوائب  
لطواغيتهم قال تعالى {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا  
وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ  
وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} المائدة 103 وقال تعالى {وَجَعَلُوا لِلَّهِ  
مِمَّا دَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا  
لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ  
يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} الأنعام 136 ومن

السدنة من يضل الجهال فيقول أنا أذكر حاجتك لصاحب  
الضريح وهو يذكرها للنبي يذكرها الله ومنهم من يعلق على  
القبر المكذوب أو غير المكذوب من الستور والثياب ويضع عنده  
من مصوغ الذهب والفضة مما قد أجمع المسلمون على أنه من  
دين المشركين وليس من دين الإسلام والمسجد الجامع معطل  
خراب صورة ومعنى وما أكثر من يعتقد من هؤلاء أن  
صلاته عند القبر المضاف إلى بعض المعظمين مع أنه كذب في  
نفس الأمر أعظم من صلاته في المساجد الخالية من القبور  
والخالصة لله فيزدحمون للصلاة في مواضع الإشراك المبتدعة  
التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذها مساجد وإن  
كانت على قبور الأنبياء <sup>335</sup>

\*قال الله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ  
كَحُبِّ اللَّهِ} البقرة 165 فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الله فهو  
مشرك ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله فهؤلاء  
الذين اتخذوا القبور أو ثاناً تجدهم يستهزئون بما هو من توحيد الله

<sup>335</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 458

وعبادته ويعظمون ما اتخذوه من دون الله شفعاء ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذبا ولا يجترىء أن يحلف بشيخه كاذبا وكثير من طوائف متعددة ترى أحدهم يرى أن استغاثته بالشيخ إما عند قبره أو غير قبره أنفع له من أن يدعو الله في المسجد عند السحر ويستهيء بمن يعدل عن طريقته إلى التوحيد وكثير منهم يخربون المساجد ويعمرون المشاهد فهل هذا إلا من استخفافهم بالله وبآياته ورسوله وتعظيمهم للشرك وإذا كان لهذا وقف كان وقف الشرك أعظم عندهم مضاهات لمشركي العرب الذين ذكروهم الله في قوله { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } الأنعام 136 الآية فيفضلون ما يجعل لغير الله على ما يجعل لله ويقولون الله غني وآلهتنا فقيرة<sup>336</sup>

### إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى

\*قال تعالى {وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الأنعام 137 وإن كانت هذه لام العاقبة فليست العاقبة منحصرة في ذلك فقط وفي ذلك حكم أخرى ومثل ذلك كثير في كلام الله عز وجل وغير كلام الله إذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم أن لا تكون له حكمة أخرى لكن لا بد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر في ذلك الموضع من مناسبتة وهذا كالمناسبة في قوله {لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ } يس 6 فإن

<sup>336</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 50

هؤلاء كانوا أول المنذرين وأحقهم بالإندار فكان في تخصيصهم  
بالذكر فائدة لا أنه خصهم لانتفاء إندار من سواهم<sup>337</sup>

## السيئات منشؤها الجهل والظلم

\*وأما السيئات فمنشؤها الجهل والظلم فإن أحدا لا يفعل سيئة  
قبيحة إلا لعدم علمه بكونها سيئة قبيحة أو لهواه وميل نفسه إليها  
ولا يترك حسنة واجبة إلا لعدم علمه بوجوبها أو لبغض نفسه لها  
وفي الحقيقة فالسيئات كلها ترجع إلى الجهل وإلا فلو كان عالما  
علما نافعا بأن فعل هذا يضره ضررا راجحا لم يفعله فإن هذا  
خاصية العاقل ولهذا إذا كان من الحسنات ما يعلم أنه يضره  
ضررا راجحا كالسقوط من مكان عال أو في نهر يغرقه أو  
المرور بجانب حائط مائل أو دخول نار متأججة أو رمى ماله في  
البحر ونحو ذلك لم يفعله لعلمه بأن هذا ضرر لا منفعة فيه ومن  
لم يعلم أن هذا يضره كالصبي والمجنون والساهي والغافل فقد  
يفعل ذلك ومن أقدم على ما يضره مع علمه من الضرر عليه  
فلظنه أن منفعته راجحة فأما أن يجزم بضرر مرجوح أو  
يظن أن الخير راجح فلا بد من رجحان الخير إما في الظن وإما  
في المظنون كالذي يركب البحر ويسافر الأسفار البعيدة للربح  
فإنه لو جزم بأنه يغرق أو يخسر لما سافر لكنه يترجح عنده  
السلامة والربح وإن كان مخطئا في هذا الظن وكذلك الذنوب  
إذا جزم السارق بأنه يؤخذ ويقطع لم يسرق وكذلك الزاني إذا  
جزم بأنه يرجم لم يزن والشارب يختلف حاله فقد يقدم على جلد  
أربع وثمانين ويديم الشرم مع ذلك ولهذا كان الصحيح أن عقوبة  
الشارب غير محددة بل يجوز أن تنتهي إلى القتل إذا لم ينته إلا  
بذلك كما جاءت بذلك الأحاديث كما هو مذكور في غير هذا

---

<sup>337</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 436

الموضع وكذلك العقوبات متى جزم طالب الذنب بأنه يحصل له به الضرر الراجح لم يفعله بل إما أن لا يكون جازما بتحريمه أو يكون غير جازم بعقوبته بل يرجو العفو بحسنات أو توبة أو بعفو الله أو يغفل عن هذا كله ولا يستحضر تحريما ولا وعيدا فيبقى غافلا غير مستحضر للتحريم والغفلة من أضداد العلم فالغفلة والشهوة أصل الشر قال تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} {الكهف 28} والهوى وحده لا يستقل بفعل السيئات إلا مع الجهل وإلا فصاحب الهوى إذا علم قطعاً أن ذلك يضره ضرراً راجحاً انصرفت نفسه عنه بالطبع فإن الله تعالى جعل في النفس حبا لما ينفعها وبغضا لما يضرها فلا تفعل ما تجزم بأنه يضرها ضرراً راجحاً بل متى فعلته كان لضعف العقل ولهذا يوصف هذا بأنه عاقل وذو نهى وذو حجة ولهذا كان البلاء العظيم من الشيطان لا من مجرد النفس فإن الشيطان يزين لها السيئات ويأمرها بها ويذكر لها ما فيها من المحاسن التي هي منافع لا مضار كما فعل إبليس بآدم وحواء لهذا قال تعالى {وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِّكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلٌ أَوْ لَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرِدُوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} {الأنعام 137} فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل وعدم العلم بكونها تضرهم ضرراً راجحاً أو ظن أنها تنفعهم نفعاً راجحاً ولهذا قال الصحابة رضي الله عنهم كل من عصى الله فهو جاهل وقال مجاهد أيضاً من عمل سوءاً خطأ أو إثمًا عمداً فهو جاهل حتى ينزع منه وراهن ابن أبي حاتم ثم قال روى عن قتادة وعمرو ابن مرة والثوري ونحو ذلك خطأ أو عمداً وروى عن مجاهد والضحاك قالاً ليس من جهالته أن لا يعلم حلالاً ولا حراماً ولكن من جهالته حين دخل فيه وقال عكرمة الدنيا كلها جهالة وعن الحسن البصري أنه سئل عنها

فقال هم قوم لم يعلموا ما لهم مما عليهم قيل له أرأيت لو كانوا قد علموا قال فليخرجوا منها فإنها جهالة<sup>338</sup>

## من اتخذ إلهه هواه قد زين له سوء عمله

\* فإن من اتخذ إلهه هواه صار يعبد من يهواه وقد زين له سوء عمله فرآه حسناً قال تعالى { أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا } {102} قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا {103} الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا {104} الكهف 102-104 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ } { غافر 37 وقال تعالى { وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } {48} إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ عَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَّوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } {49} الانفال 48-49 وقال تعالى { وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيُرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ } { الأنعام 137 }<sup>339</sup>

## ان الله قادر على ما لا يفعله

<sup>338</sup> الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 62-63

<sup>339</sup> قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 104

\* وقال تعالى { وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْثُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } الأنعام 137 اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير كما نطق بذلك القرآن أى فى مواضع كثيرة جدا وأن الشىء إسم لما يوجد فى الأعيان ولما يتصور فى الأذهان فما قدره الله وعلم أنه سيكون هو شىء فى التقدير والعلم والكتاب و أن لم يكن شيئا فى الخارج و منه قوله { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 و لفظ الشىء فى الآية يتناول هذا و هذا فهو على كل شىء ما وجد وكل ماتصوره الذهن موجودا إن تصور أن يكون موجودا قدير لا يستثنى من ذلك شىء ولا يزداد عليه شىء كما قال تعالى { بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نَسُوِيَ بِنَائِهِ } القيامة 4 و قال { وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ } المؤمنون 18 قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا و تهلك مواشيكم و تخرب أراضيكم و معلوم أنه لم يذهب به و هذا كقوله { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ } الواقعة 68 إلى قوله و { وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ } الواقعة 82 و هذا يدل على أنه قادر على ما لا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أجاجا وهو لم يفعله و مثل هذا و { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ شِينًا لَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا } السجدة 13 { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاكُمْ } البقرة 253 فإنه أخبر فى غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء و هو لم يفعلها فلو لم يكن قادرا عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها<sup>340</sup>

## نفس اسماء الله عز وجل مباركة وبركتها من جهة دلالتها على المسمى

<sup>340</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 10



\*ومعلوم ان نفس اسمائه عز وجل مباركة وبركتها من جهة دلالتها على المسمى ولهذا فرقت الشريعة بين ما يذكر اسم الله عليه وما لا يذكر اسم الله عليه في مثل قوله { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 118 وقوله { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 119 وقوله { وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ } المائدة 4 وقول النبي لعدى بن حاتم وان خالط كلبك كلاب أخرى فلا تأكل فانك انما سميت على كلبك ولم تسم على غيره

341

\*قال تعالى { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ جَبْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءَ بَزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ } الأنعام 138 والاسم يتناول اللفظ والمعنى المتصور في القلب وقد يراد به مجرد اللفظ وقد يراد به مجرد المعنى فانه من الكلام والكلام اسم لفظ والمعنى وقد يراد به أحدهما ولهذا كان من ذكر الله بقلبه أو لسانه فقد ذكره لكن ذكره بهما أتم والله تعالى قد أمر بتسبيح اسمه وامر بالتسبيح باسمه كما أمر بدعائه بأسمائه الحسنی فيدعى بأسمائه الحسنی ويسبح اسمه وتسبيح اسمه هو تسبيح له اذ المقصود بالاسم المسمى كما أن دعاء هو دعاء المسمى قال تعالى { قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } الإسراء 110 والله تعالى يأمر بذكره تارة وبذكر اسمه تارة كما يأمر بتسبيحه تارة وتسبيح اسمه تارة فقال { ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا } الأحزاب 41 { وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ } الأعراف 205 وهذا كثير وقال { وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّنْ إِلَيْهِ تَبَيُّنًا } المزمّل 8 كما قال { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 118 { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 121 { فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ

عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ { المائدة 4 لكن هنا يقال بسم الله  
 فيذكر نفس الاسم الذي هو ألف سين ميم واما فى قوله  
 {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ { المزمّل 8 فيقال سبحان الله والحمد لله ولا  
 اله الا الله وهذا أيضا مما يبين فساد قول من جعل الاسم هو  
 المسمى قوله فى الذبيحة {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
 { الأنعام 118 كقوله {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ { العلق 1  
 وقوله {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا { هود 41 فقوله {اقْرَأْ  
 بِاسْمِ رَبِّكَ { العلق 1 هو قراءة بسم الله فى أول السور وقد  
 بسط الكلام على هذا فى غير هذا الموضوع وبين ان هذه الآية تدل  
 على أن القارىء مأمور ان يقرأ بسم الله وانها ليست كسائر  
 القرآن بل هى تابعة لغيرها وهنا يقول {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
 الرَّحِيمِ { النمل 30 كما كتب سليمان وكما جاءت به السنة  
 المتواترة واجمع المسلمون بالله الرحمن الرحيم فى قوله  
 {وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ { الإنسان 25 فانه يقول سبحان الله والحمد  
 لله ولا اله الا الله ونحو ذلك وهنا قال {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ  
 { العلق 1 لم يقل اقرأ اسم ربك وقوله {وَادْكُرْ اسْمَ  
 رَبِّكَ { الإنسان 25 يقتضى أن يذكره بلسانه وأما قوله  
 {وَادْكُرْ رَبَّكَ { آل عمران 41 فقد يتناول ذكر القلب وقوله  
 {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ { العلق 1 هو كقول الأكل باسم الله والذابح باسم  
 الله كما قال النبى ومن لم يكن ذبح فليذبح بسم الله<sup>342</sup>

### الدين ما شرعه الله ورسوله

\* وأصل الدين أنه لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله ولا  
 حرام إلا ما حرمه الله ورسوله ولا مكروه إلا ما كرهه الله و  
 رسوله ولا حلال إلا ما أحله الله ورسوله ولا مستحب إلا ما

<sup>342</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 210-211

أحبه الله و رسوله فالحلال ما حلله الله و رسوله و الحرام ما  
 حرمه الله و رسوله و الدين ما شرعه الله و رسوله و لهذا انكر  
 الله على المشركين و غيرهم ما حللوه أو حرموه أو شرعوه من  
 الدين بغير اذن من الله <sup>343</sup>

\* ولا ريب ان المشركين الذين كذبوا الرسل يترددون بين  
 البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر على مخالفة امر  
 الله فهو لاء الأصناف فيهم شبه من المشركين اما ان يبتدعوا واما  
 ان يحتجوا بالقدر واما ان يجمعوا بين الأمرين كما قال تعالى عن  
 المشركين { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ  
 أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا  
 تَعْلَمُونَ { الأعراف 28 وكما قال تعالى عنهم { وَقَالَ الَّذِينَ  
 أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا  
 وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ { النحل 35 وقد ذكر عن  
 المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام والعبادة  
 التي لم يشرعها الله بمثل قوله تعالى { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ  
 وَحَرْتُ حَجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزْغِمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ  
 ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ  
 { الأنعام 138 الى آخر السورة وكذلك في سورة الاعراف في  
 قوله { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ  
 { الأعراف 27 الى قوله { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا  
 آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ { الأعراف 28  
 الى قوله { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ  
 { الأعراف 29 الى قوله { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا  
 يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ { 31 } قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ  
 وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ { 32 } { الأعراف 31-32 الى قوله { قُلْ

<sup>343</sup> مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 345

إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ  
 بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا  
 عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ {الأعراف 33} وهؤلاء قد يسمون ما

احدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر

حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه

بامر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويدوقه ويجده ونحو ذلك

وهؤلاء لا يحتجون بالقدر مطلقا بل عمدتهم اتباع آرائهم

واهوائهم وجعلهم لما يرونه ويهوونه حقيقة وامرهم باتباعها دون

اتباع امر الله ورسوله نظير بدع اهل الكلام من الجهمية وغيرهم

الذين يجعلون ما ابتدعوه من الاقوال المخالفة للكتاب والسنة

حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم

الكتاب والسنة اما ان يحرفوه عن مواضعه واما ان يعرضوا عنه

بالكلية فلا يتدبرونه ولا يعقلونه بل يقولون نفوض معناه الى الله

مع اعتقادهم نقيض مدلوله واذا حقق على هؤلاء ما يزعموه من

العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة

وكذلك اولئك اذا حقق عليهم ما يزعموه من حقائق اولياء الله

المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الاهواء التي يتبعها اعداء الله

لا اولياؤه واصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص

المنزل من عند الله واختياره الهوى على اتباع امر الله فإن الذوق

والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد فكل محب له ذوق

ووجد بحسب محبته فأهل الايمان لهم من الذوق والوجد مثل ما

بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح

ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب

اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان

يكره ان يرجع في الكفر بعد اذا انقذه الله منه كما يكره ان يلقى

في النار وقال في الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من

رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً وأما أهل الكفر

والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عيينة ما بال أهل

الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم فقال أنسيت قوله تعالى

{ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 93 أو نحو هذا من الكلام فعباد الاصنام يحبون الهتهم كما قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 وقال { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } القصص 50 وقال { إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى } النجم 23 ولهذا يميل هؤلاء الى سماع الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل الايمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب الصليبان ومحب الاوطان ومحب الاخوان ومحب المردان ومحب النسوان وهؤلاء الذين يتبعون أدواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فالمخالف لما بعث به رسوله من عبادته وطاعته وطاعة رسوله لا يكون متبعا لدين شرعه الله كما قال تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } {18} { إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا } {19} { الجاثية 18-19 الى قوله } { وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } {19} { الجاثية 19 بل يكون متبعا لهواه بغير هدى من الله قال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 وهم فى ذلك تارة يكونون على بدعة يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله وتارة يحتجون بالقدر الكونى على الشريعة كما أخبر الله به عن المشركين كما تقدم ومن هؤلاء طائفة هم اعلاهم قدرا وهم مستمسكون بالدين فى اداء الفرائض المشهوره واجتتاب المحرمات المشهوره لكن يغلطون فى ترك ما امروا به من الاسباب التي هي عبادة ظانين ان العارف اذا شهد القدر اعرض عن ذلك مثل من يجعل التوكل منهم او الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون الخاصة بناء على ان من شهد القدر علم ان ما قدر سيكون فلا حاجة الى ذلك وهذا غلط عظيم فان الله قدر الاشياء باسبابها كما قدر السعادة والشقاوة باسبابها كما قال النبى صلى

الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة اهلا خلقها لهم وهم في اصلاب آبائهم ويعمل اهل الجنة يعملون وكما قال النبي لما أخبرهم بان الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله افلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل اهل الشقاوة

فما امر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } هود 123 وفي قوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ } الرعد 30 وقول شعيب عليه السلام { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } هود 88 ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الاعمال دون الواجبات فتتقص بقدر ذلك ومنهم طائفة يغترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكاشفة او استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل احدهم عما امر به من العبادة والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها كثيرا ما تعرض لاهل السلوك والتوجه وانما ينجو العبد منها بملازمة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك ان السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق

344

\* قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } البقرة 168 خاطب الناس بأكل ما في الأرض حلالا طيبا وأن لا يتبعوا خطوات الشيطان في خلاف ذلك فانه إنما يأمر بالسوء والفحشاء وأن يقولوا على الله مالا يعلمون فيقولوا هذا حرام وهذا حلال أو

344344 مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 167- 173

غير ذلك مما يقولونه على الله فى الأمور الخبرية والعملية بلا علم كما قال تعالى {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَّنَفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} النحل 116 ثم إن هؤلاء الذين يقولون على الله بغير علم إذا قيل لهم {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} البقرة 170 فليس عندهم علم بل عندهم اتباع سلفهم وهو الذى اعتادوه وتربوا عليه ثم خاطب المؤمنين خصوصا فقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} {172} إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ {173} البقرة 172-173 فأمرهم بأكل الطيبات مما رزقهم لأنهم هم المقصودون بالرزق ولم يشترط الحل هنا لأنه إنما حرم ما ذكر فما سواه حلال لهم والناس إنما أمرهم بأكل ما فى الأرض حلالا طيبا وهو إنما أحل للمؤمنين والكفار لم يحل لهم شيئا فالحل مشروط بالايمان ومن لم يستعن برزقه على عبادته لم يحل له شيئا وإن كان أيضا لم يحرمه فلا يقال إن الله أحله لهم ولا حرمه وإنما حرم على الذين هادوا ما ذكره فى **سورة الأنعام** ولهذا أنكر فى **سورة الأنعام** وغيرها على من حرم ما لم يحرمه كقوله {قُلِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ} الأنعام 143 ثم قال {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ} الأنعام 146 ثم قال تعالى {قُلِ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} الأنعام 151 الآيات وقال فى سورة النحل {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} النحل 118 الآية وأخبر أنه حرم ذلك بغيرهم فقال {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ} النساء 160 وقال {ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِغْيِهِمْ} الأنعام 146 وهذا كله يدل على أصح قولى العلماء وهو أن هذا التحريم باق عليهم بعد مبعث محمد لا يزول إلا بمتابعته لأنه تحريم عقوبة على ظلمهم وبغيرهم وهذا لم يزل بل زاد وتغلظ فكانوا أحق بالعقوبة وايضا فان الله تعالى أخبر بهذا التحريم بعد مبعث محمد ليبين أنه لم يحرم

إلا هذا وهذا فلو كان ذلك التحريم قد زال لم يستثنه وأيضا فان التحريم لا يزول الا بتحليل منه وهو انما أحل أكل الطيبات للمؤمنين بقوله { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا } المائدة 93 الآية وقوله { أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحْلِي الصَّيْدِ } المائدة 1 وقوله { يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ } المائدة 4 الى قوله { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ } المائدة 5 وهذا خطاب للمؤمنين ولهذا قال { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ } المائدة 5 ثم قال { وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ } المائدة 5 فلو كان ما أحل لنا حلالا لهم لم يحتج الى هذا وقوله { وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ } المائدة 5 لا يدخل فيه ما حرم عليهم كما أن قوله { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ } المائدة 5 لا يدخل فيه ما حرم علينا مما يستحلونه هم كصيد الحرام وما أهل به لغير الله وهل يدخل في طعامهم الذي أحل لنا ما حرم عليهم ولم يحرم علينا مثل ما اذا ذكوا الابل هذا فيه نزاع معروف فالمشهور من مذهب مالك هو أحد القولين في مذهب أحمد تحريمه ومذهب ابي حنيفة والشافعي والقول الآخر في مذهب أحمد حله وهل العلة انهم لم يقصدوا ذكاته أو العلة انه ليس من طعامهم فيه نزاع وإذا ذبحوا للمسلم فهل هو كما اذا ذبحوا لأنفسهم فيه نزاع وفي جواز ذبحهم النسك اذا كانوا ممن يحل ذبحهم قولان هما روايتان عن أحمد فالمنع مذهب مالك والجواز مذهب ابي حنيفة والشافعي فاذا كان الذابح يهوديا صار في الذبح علتان وليس هذا موضع هذه المسائل<sup>345</sup>

## يجيء الوصف في القرآن مستعملا في الكذب

<sup>345</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 263-266



\* فالواصف ان لم يكن قوله مطابقا كان كاذبا ولهذا انما يجيء الوصف فى القرآن مستعملا فى الكذب بأنه وصف يقوم بالواصف من غير أن يقوم بالموصوف شىء كقوله سبحانه { سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ } { الأنعام 139 } { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَنفَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } { النحل 116 } { وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى } { النحل 62 } { سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ } { الصافات 180 } وقد جاء مستعملا فى الصدق فيما أخرجه فى الصحيحين عن عائشة أن رجلا كان يكثر قراءة قل هو الله أحد فقال النبى سلوه لم يفعل ذلك فقال لأنها صفة الرحمن فأنا أحبها فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخبروه ان الله يحبه فمن وصف موصوفا بأمر ليس هو متصفا به كان كاذبا<sup>346</sup>

## "كل من عمل سوءا فهو جاهل"

\* قال تعالى { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } { الأنعام 140 } قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كل من عمل سوءا فهو جاهل وسبب ذلك أن العلم الحقيقى الراسخ فى القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه أو ضعف القلب عن مقاومة ما يعارضه وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم فيصير جهلا بهذا الاعتبار ومن هنا تعرف دخول الأعمال فى مسمى الإيمان حقيقة لا مجازا وإن لم يكن كل من ترك شيئا من الأعمال كافرا أو خارجا عن أصل مسمى الإيمان وكذلك اسم العقل ونحو ذلك

<sup>346</sup> مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 319

من الأسماء ولهذا يسمي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال موتى وعميا وصما وبكما وضالين وجاهلين ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون ويصف المؤمنين بأولي الألباب والنهي وأنهم مهتدون وأن لهم نورا وأنهم يسمعون ويعقلون<sup>347</sup>

### بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين أو الدنيا

وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } الأنعام 141 فالإسراف مجاوزة الحد تعدى الحد ومجاوزة القصد<sup>348</sup>

\*أن بذل المال لا يجوز إلا لمنفعة في الدين أو الدنيا وهذا أصل متفق عليه بين العلماء ومن خرج عن ذلك كان سفيها وحجر عليه عند جمهور العلماء الذين يحجرون على السفيه وكان مبذرا لماله وقد نهى الله في كتابه عن تبذير المال { وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا } الإسراء 26 وهو انفاقه في غير مصلحة وكان مضيعا لماله وقد نهى النبي عن اضاءة المال في الحديث المتفق عليه عن المغيرة بن شعبة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال<sup>349</sup>

\*فإذا كان الجمال متضمنا لعدم ما هو أحب إليه أو لوجوده ما هو أبغض له لزم من ذلك فوات ما في الجمال المحبوب فإذا كان في

<sup>347</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 78

<sup>349</sup> مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 33

جمال الثياب بطر وفخر وخيلاء وسرف فهو سبحانه لا يحب كل مختال فخور وقال تعالى { وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا } الفرقان 67 بل هو يبغض البطر الفخور المختال والمسرف وقال { وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ } غافر 43 فلماذا قال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر أزاره خيلاء و بطرا فإنه ببغضه فلا ينظر إليه و إن كان فيه جمال فإن ذلك غرق في جانب ما يبغضه الله من الخيلاء و البطر و كذلك الحرير فيه من السرف و الفخر و الخيلاء ما يبغضه الله و ينافي التقوى التي هي محبوب الله كما ثبت في الصحيحين عنه أنه نزع فروج الحرير و قال لا ينبغي هذا للمتقين

350

{ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرِدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {137} وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حَجْرًا لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِنِعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } {138} وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } {139} قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } {140} وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } {141} وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ  
مُّبِينٌ {142} الانعام 137-142

## المؤمن يبتلى بوساوس الشيطان وبوساوس الكفر

\*قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ  
وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ  
مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا  
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } {141} وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُوا  
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُّبِينٌ {142} الانعام 141-142 وكثيرا ما تعرض للمؤمن شعبة  
من شعب النفاق ثم يتوب الله عليه وقد يرد على قلبه بعض ما  
يوجب النفاق ويدفعه الله عنه والمؤمن يبتلى بوساوس الشيطان  
وبوساوس الكفر التي يضيق بها صدره كما قالت الصحابة يا  
رسول الله إن أجدنا ليجد في نفسه ما لئن يخر من السماء الى  
الأرض أحب اليه من أن يتكلم به فقال ذلك صريح الايمان  
وفى رواية ما يتعاطم ان يتكلم به قال الحمد لله الذى رد  
كيدته الى الوسوسة أى حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة  
العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صريح الايمان كالمجاهد  
الذى جاءه العدو فدافعه حتى غلبه فهذا أعظم الجهاد و  
الصريح الخالص كاللبن الصريح وانما صار صريحا لما  
كرهوا تلك الوسواس الشيطانية ودفعوها فخلص الايمان فصار  
صريحا ولا بد لعامة الخلق من هذه الوسواس فمن الناس من  
يجيبها فصير كافرا أو منافقا ومنهم من قد غمر قلبه الشهوات  
والذنوب فلا يحس بها الا اذا طلب الدين فإما أن يصير مؤمنا  
واما أن يصير منافقا ولهذا يعرض للناس من الوسواس فى  
الصلاة ما لا يعرض لهم اذا لم يصلوا لأن الشيطان يكثر تعرضه  
للعبد إذا أراد الانابة الى ربه والتقرب اليه والاتصال به فلماذا  
يعرض للمصلين ما لا يعرض لغيرهم ويعرض لخاصة أهل

العلم والدين أكثر مما يعرض للعامة ولهذا يوجد عند طلاب العلم  
 والعبادة من الوسوس والشبهات ما ليس عند غيرهم لانه لم  
 يسلك شرع الله ومنهاجه بل هو مقبل على هواه فى غفلة عن ذكر  
 ربه وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين الى ربهم بالعلم  
 والعبادة فانه عدوهم يطلب صدهم عن الله قال تعالى { إِنَّ  
 الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } فاطر6 ولهذا أمر قارئ  
 القرآن أن يستعيز بالله من الشيطان الرجيم فان قراءة القرآن على  
 الوجه المأمور به تورث القلب الايمان العظيم وتزيده يقينا  
 وطمأنينة وشفاء وقال تعالى { وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ  
 وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } الإسراء 82 وقال  
 تعالى { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } آل  
 عمران 138 وقال تعالى { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 وقال تعالى {  
 فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَزَدْتُهُمْ إِيْمَانًا } التوبة 124 وهذا مما يجده كل  
 مؤمن من نفسه فالشيطان يريد بوساوسه أن يشغل القلب عن  
 الانتفاع بالقرآن فأمر الله القارئ اذا قرأ القرآن أن يستعيز منه قال  
 تعالى { فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ } {98}  
 إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } {99}  
 إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ  
 مُشْرِكُونَ } {100} النحل 98-100 فان المستعيز بالله مستجير به  
 لاجىء اليه مستغيث به من الشيطان فالعائد بغيره مستجير به  
 فاذا عاذ العبد بربه كان مستجيرا به متوكلا عليه فيعيذه الله من  
 الشيطان ويجيره منه ولذلك قال الله تعالى { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ  
 أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } {34} وَمَا  
 يُقَالُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُقَالُهَا إِلَّا نُو حَظٌ عَظِيمٌ } {35} وَإِنَّمَا  
 يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
 الْعَلِيمُ } {36} فصلت 34-36 وفى الصحيحين عن النبى أنه  
 قال انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد أعوذ بالله من  
 الشيطان الرجيم فأمر سبحانه بالاستعاذة عند طلب العبد الخير  
 لئلا يعوقه الشيطان عنه وعندما يعرض عليه من الشر ليدفعه

عنه عند إرادة العبد للحسنات وعندما يأمره الشيطان بالسيئات ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الشيطان يأتي أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته فأمر بالاستعاذة عندما يطلب الشيطان أن يوقعه في شر أو يمنعه من خير كما يفعل العدو مع عدوه وكلما كان الإنسان أعظم رغبة في العلم والعبادة واقدر على ذلك من غيره بحيث تكون قوته على ذلك أقوى ورغبته وإرادته في ذلك أتم كان ما يحصل له أن سلمه الله من الشيطان أعظم وكان ما يفتتن به إن تمكن منه الشيطان أعظم ولهذا قال الشعبي كل أمة علماءؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم وأهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل وذلك ان كل أمة غير المسلمين فهم ضالون وانما يضلهم علماءؤهم فعلماءؤهم شرارهم والمسلمون على هدى وانما يتبين الهدى بعلمائهم فعلماءؤهم خيارهم وكذلك أهل السنة أئمتهم خيار الأمة وأئمة أهل البدع أضر على الأمة من أهل الذنوب ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الخوارج ونهى عن قتال الولاة الظلمة وأولئك لهم نهمة في العلم والعبادة فصار يعرض لهم من الوسوس التي تضلهم وهم يظنونها هدى فيطيعونها ما لا يعرض لغيرهم ومن سلم من ذلك منهم كان من أئمة المتقين مصابيح الهدى وينابيع العلم كما قال ابن مسعود لأصحابه كونوا ينابيع العلم مصابيح الحكمة سرج الليل جدد القلوب احلاس البيوت خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء وتخفون على أهل الأرض<sup>351</sup>

## ذم لمن عمل بالظن

<sup>351</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 282-287

\*قال تعالى { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخَرِّجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } {148} قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ {149} {الأنعام 148- 149} مطالبة بالعلم ودم لمن يتبع الظن وما عنده علم وكذلك قوله { نَبِّؤُنِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ } {الأنعام 143} وقوله { وَإِنْ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ } {الأنعام 119} وأمثال ذلك ذم لمن عمل بغير علم وعمل بالظن<sup>352</sup>

## من ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين

\*كانت سنة الله وعادته نصر المؤمنين بالأنبياء الصادقين على الكافرين والمنافقين كما أن سنته تأييدهم بالآيات البينات ومن ادعى النبوة وهو كاذب فهو من أكفر الكفار وأظلم الظالمين قال تعالى { فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } {الأنعام 144} ومن كان كذلك كان الله يمقته ويبغضه ويعاقبه ولا يدوم أمره بل هو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } {هود 102} وقال أيضا في الحديث الصحيح عن أبي موسى أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الرياح تقومها تارة وتمليها أخرى ومثل المنافق مثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجعاها مرة واحدة فالكاذب الفاجر وإن أعطي دولة فلا بد من زوالها

<sup>352</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 111

بالكلية وبقاء ذمه ولسان السوء له في العالم وهو يظهر سريعاً  
 ويزول سريعاً كدولة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والحارث  
 الدمشقي وبابا الرومي ونحوهم وأما الأنبياء فإنهم يبتلون كثيراً  
 ليحصوا بالبلاء فإن الله إنما يمكن العبد إذا ابتلاه ويظهر أمرهم  
 شيئاً فشيئاً كالزرع قال تعالى {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ  
 أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً  
 مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ  
 فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزُرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ  
 فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ  
 اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً  
 {الفتح 29} ولهذا كان أول ما يتبعهم ضعفاء الناس فاعتبار هذه  
 الأمور وسنة الله في أوليائه وأنبيائه الصادقين وفي أعداء الله  
 والمنتبئين الكذابين مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل  
 النبي الصادق ودلائل المنتبئين الكذاب وقد ذكر ابتلاء النبي  
 والمؤمنين ثم كون العاقبة لهم في غير موضع <sup>353</sup>

### خلق الله الأشياء بأسباب

\* إن كل ما في الوجود فهو مخلوق له خلقه بمشيئته وقدرته و  
 ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و هو الذي يعطى و يمنع و  
 يخفض و يرفع و يعز و يذل و يغني و يفقر و يضل و يهدي و  
 يسعد و يشقى و يولى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و  
 يشرح صدر من يشاء للإسلام و يجعل صدر من يشاء ضيقاً  
 كأنما يصعد فى السماء و هو يقرب القلوب ما من قلب من قلوب  
 العباد إلا و هو بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه  
 أقامه و إن شاء أن يزيغه أزاعه و هو الذى حبب إلى المؤمنين



الإيمان و زينه فى قلوبهم و كره إليهم الكفر و الفسوق و العصيان أولئك هم الراشدون وهو الذي جعل المسلم مسلماً و المصلي مصلياً قال الخليل { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيْنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ } البقرة 128 و قال { رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن دُرِّيَّتِي } إبراهيم 40 و قال تعالى { وَاجْعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا } السجدة 24 و قال عن آل فرعون { وَاجْعَلْنَا هُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ } القصص 41 و قال تعالى { إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا } {19} إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا } {20} وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } {21} المعارج 19-21 و قال { وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا } هود 37 و قال { وَيَصْنَعِ الْفُلْكَ } هود 38 و الفلك مصنوعة لبني آدم و قد أخبر الله تبارك و تعالى أنه خلقها بقوله { وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ } يس 42 و قال { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ } النحل 80 الآيات و هذه كلها مصنوعة لبني آدم و قال تعالى { أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ } {95} وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ } {96} الصافات 95-96 فما بمعنى الذي و من جعلها مصدرية فقد غلط لكن إذا خلق المنحوت كما خلق المصنوع و الملبوس و المبنى دل على أنه خالق كل صانع و صنعته و قال تعالى { مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا } الكهف 17 و قال { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و له فيما خلقه حكمة بالغة و نعمة سابغة و رحمة عامة و خاصة و هو لا يسأل عما يفعل و هم يسألون لا لمجرد قدرته و قهره بل لكمال علمه و قدرته و رحمته و حكمته فإنه سبحانه و تعالى أحكم الحاكمين و أرحم الراحمين و هو أرحم بعباده من الوالدة بولدها و قد أحسن كل شيء خلقه و قال تعالى { وَتَرَى الْجِبَالَ

تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ { النمل 88 } و قد خلق الأشياء بأسباب كما قال تعالى { وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا { البقرة 164 } و قال { فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ { الأعراف 57 } و قال تعالى { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ { المائدة 16 } قال تعالى { وَمَنْ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمَنْ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اسْتَمَلْتُمْ عَلَيْهِ أَرْحَامِ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ { الانعام 144 }<sup>354</sup>

## ما حرمه رسول الله إنما هو زيادة تحريم ليس نسخا

### للقرآن

\* والتحريم المبتدأ لا يكون نسخا لاستصحاب حكم الفعل ولهذا لم يكن تحريم النبي صلى الله عليه وسلم لكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ناسخا لما دل عليه قوله تعالى { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ { الأنعام 145 } الآية من أن الله عز وجل لم يحرم قبل نزول الآية إلا هذه الأصناف الثلاثة فإن هذه الآية نفت تحريم ما سوى الثلاثة إلى حين نزول هذه الآية ولم يثبت تحليل ما سوى ذلك بل كان ما سوى ذلك عفوا لا تحليل فيه ولا تحريم كفعل الصبي والمجنون وكما في الحديث المعروف الحلال ما حلله الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا

<sup>354</sup> مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 78

عنه وهذا محفوظ عن سلمان الفارسي موقوفا عليه أو  
مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم<sup>355</sup>

\* ثم إنه بعد هذا حرم الله أشياء فلم يكن بين نفي تحريمها في  
الزمن الأول وإثبات تحريمها في الزمن الثاني منافاة ولكن  
يظهر الدين إذا أوجب شيئا ثم نسخ إيجابه كما نسخ إيجاب الصدقة  
بين يدي النجوى ففي مثل هذا يتمسك بالنص الناسخ دون المنسوخ  
كما يتمسك بالإقرار بالوفاء الناسخ للإقرار بالدين<sup>356</sup>

\* وأخذ أهل الحديث في الأطعمة بقول أهل الكوفة لصحة السنن  
عن النبي بتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من  
الطير وتحريم لحوم الحمر لأن النبي أنكر على من تمسك في  
هذا الباب بعدم وجود نص التحريم في القرآن حيث قال لا  
ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرت  
به أو نهيت عنه فيقول بيننا وبينكم هذا القرآن فما وجدنا فيه من  
حلال أحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمانه ألا و إني أوتيت  
الكتاب ومثله معه وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله تعالى  
وهذا المعنى محفوظ عن النبي من غير وجه و علموا أن ما  
حرمه رسول الله إنما هو زيادة تحريم ليس نسخا للقرآن لأن  
القرآن إنما دل على أن الله لم يحرم إلا الميتة والدم ولحم الخنزير  
وعدم التحريم ليس تحليلا وإنما هو بقاء للأمر على ما كان وهذا  
قد ذكره الله في سورة الأنعام التي هي مكية بإتفاق العلماء ليس  
كما ظنه أصحاب مالك والشافعي أنها من آخر القرآن نزولا و  
إنما سورة المائدة هي المتأخرة وقد قال الله فيها { أَجَلٌ لَّكُمْ

<sup>355</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 199 و مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 215-

<sup>356</sup>الجواب الصحيح ج: 2 ص: 41

الطَّيِّبَاتُ { المائدة 5 فعلم أن عدم التحريم المذكور في سورة  
 الأنعام ليس تحليلاً وإنما هو عفو فتحريم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم رافع للعفو ليس نسخاً للقرآن لكن لم يوافق أهل  
 الحديث الكوفيين على جميع ما حرموه بل أحلوا الخيل لصحة  
 السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم بتحليلها يوم خيبر وبأنهم  
 ذبحوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا وأكلوا  
 لحمه وأحلوا الضب لصحة السنن عن النبي بأنه قال لا  
 أحرمه وبأنه أكل على مائدته وهو ينظر ولم ينكر على من  
 أكله وغير ذلك مما جاءت فيه الرخصة فنقصوا عما حرمه أهل  
 الكوفة من الأطعمة كما زادوا على أهل المدينة في الأشربة لأن  
 النصوص الدالة على تحريم الأشربة المسكرة أكثر من  
 النصوص الدالة على تحريم الأطعمة ولأهل المدينة سلف من  
 الصحابة والتابعين في إستحلال ما أحلوه أكثر من سلف أهل  
 الكوفة في إستحلال المسكر والمفاسد الناشئة من المسكر أعظم  
 من مفاسد خبائث الأطعمة ولهذا سميت الخمر أم الخبائث  
 كما سماها عثمان بن عفان رضى الله عنه وغيره وأمر النبي  
 بجلد شاربها وفعله هو وخلفاؤه وأجمع عليه العلماء دون  
 المحرمات من الأطعمة فانه لم يحد فيها أحد من أهل العلم إلا ما  
 بلغنا عن الحسن البصرى بل قد أمر صلى الله عليه وسلم بقتل  
 شارب الخمر في الثالثة أو الرابعة وإن كان الجمهور على أنه  
 منسوخ ونهى النبي فيما صح عنه عن تخليل الخمر وأمر بشق  
 ظروفها وكسر دنانها وإن كان قد إختلفت الرواية عن أحمد هل  
 هذا باق أو منسوخ ولما كان الله سبحانه وتعالى إنما حرم  
 الخبائث لما فيها من الفساد إما فى العقول أو الأخلاق أو غيرها  
 ظهر على الذين استحلوا بعض المحرمات من الأطعمة أو  
 الأشربة من النقص بقدر ما فيها من المفسدة ولولا التأويل  
 لاستحقوا العقوبة ثم إن الامام أحمد وغيره من علماء الحديث  
 زادوا فى متابعة السنة على غيرهم بأن أمروا بما أمر الله به  
 ورسوله مما يزيل ضرر بعض المباحات مثل لحوم الإبل فإنها

حلال بالكتاب والسنة والإجماع ولكن فيها من القوة الشيطانية ما أشار إليه النبي بقوله أنها جن خلقت من جن وقد قال فيما رواه أبو داود الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوطأ فأمر بالتوضؤ من الأمر العارض من الشيطان فأكل لحمها يورث قوة شيطانية تزول بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الوضوء من لحمها كما صح ذلك عنه من غير وجه من حديث جابر بن سمرة والبراء بن عازب وأسيد بن الحضير وذى الغرة وغيره فقال مرة توضؤوا من لحوم الإبل ولا توضؤوا من لحوم الغنم وصلوا في مرابض الغنم ولا تصلوا في معاطن الإبل فمن توضأ من لحومها اندفع عنه ما يصيب المدمنين لأكلها من غير وضوء كالأعراب من الحقد وقسوة القلب التي أشار إليها النبي بقوله المخرج عنه في الصحيحين إن الغلظة وقسوة القلوب في الفدادين أصحاب الإبل وإن السكينة في أهل الغنم وإختلف عن أحمد هل يتوضأ من سائر اللحوم المحرمة على روايتين بناء على أن الحكم مختص بها أو أن المحرم أولى بالتوضؤ منه من المباح الذي فيه نوع مضرة وسائر المصنفين من أصحاب الشافعي وغيره وافقوا أحمد على هذا الأصل وعلموا أن من إعتقد أن هذا منسوخ بترك الوضوء مما مست النار فقد أبعد لأنه فرق في الحديث بين اللحمين ليتبين أن العلة هي الفارقة بينهما لا الجامع وكذلك قالوا بما إقتضاه الحديث من أنه يتوضأ منه نيئاً ومطبوخاً ولأن هذا الحديث كان بعد النسخ ولهذا قال في لحم الغنم وإن شئت فلا تتوضأ ولأن النسخ لم يثبت إلا بالترك من لحم غنم لا عموم له وهذا معنى قول جابر كان آخر الأمرين منه ترك الوضوء مما مست النار فإنه رآه يتوضأ ثم رآه أكل لحم غنم ولم يتوضأ ولم ينقل عن النبي صيغة عامة في ذلك ولو نقلها لكان فيه نسخ للخاص بالعام الذي لم يثبت شموله لذلك الخاص عينا وهو أصل لا يقول به أكثر المالكية والشافعية والحنبلية هذا مع أن أحاديث

الوضوء مما مست النار لم يثبت أنها منسوخة بل قد قيل إنها متأخرة ولكن أحد الوجهين في مذهب أحمد أن الوضوء منها مستحب ليس بواجب والوجه الآخر لا يستحب فلما جاءت السنة بتجنب الخبائث الجسمانية والتطهر منها كذلك جاءت بتجنب الخبائث الروحانية والتطهر منها حتى قال إذا قام أحدكم من الليل فليستنشق بمنخريه من الماء فان الشيطان يبیت على خيشومه وقال إذا قام أحدكم من نوم الليل فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثا فان أحدكم لا يدري أين باتت يده فعل الأمر بالغسل بمبيت الشيطان على خيشومه فعلم أن ذلك سبب للطهارة من غير النجاسة الظاهرة فلا يستعبد أن يكون هو السبب لغسل يد لقائم من نوم الليل وكذلك نهى عن الصلاة في أعطان الإبل وقال إنها جن خلقت من جن كما ثبت عنه أنه قال الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام وقد روى عنه أن الحمام بيت الشيطان وثبت عنه أنه لما ارتحل عن المكان الذي ناموا فيه عن صلاة الفجر قال إنه مكان حضرنا فيه الشيطان فعلل الأماكن بالأرواح الخبيثة كما يعلل بالأجسام الخبيثة وبهذا يقول أحمد وغيره من فقهاء الحديث ومذهبه الظاهر عنه أن ما كان مأوى للشياطين كالمعاطن والحمامات حرمت الصلاة فيه وما عرض الشيطان فيه كالمكان الذي ناموا فيه عن الصلاة كرهت فيه الصلاة والفقهاء الذين لم ينهوا عن ذلك إما لأنهم لم يسمعوا هذه النصوص سماعا تثبت به عندهم أو سمعوها ولم يعرفوا العلة فاستبعدوا ذلك عن القياس فتأولوه وأما من نقل عن الخلفاء الراشدين أو جمهور الصحابة خلاف هذه المسائل وأنهم لم يكونوا يتوضؤون من لحوم الإبل فقد غلط عليهم وإنما توهم ذلك لما نقل عنهم أنهم لم يكونوا يتوضؤون مما مست النار وإنما المراد أن أكل ما مس النار ليس هو

سببا عندهم لوجوب الوضوء والذي أمر به النبي من الوضوء  
من لحوم الإبل ليس سببه مس النار كما يقال كان فلان لا يتوضأ  
من مس الذكر وإن كان يتوضأ منه إذا خرج منه مذى<sup>357</sup>

## ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن هو من الدين المبدل

\* ما كان يحرمه أهل الجاهلية مما ذكره الله في القرآن كالسائبة  
والوصيلة والحام وغير ذلك هو من الدين المبدل ولهذا لما ذكر  
الله ذلك عنهم في سورة الأنعام بين ان من حرم ذلك فقد كذب  
على الله وذكر تعالى ما حرمه على لسان محمد وعلى لسان  
موسى في الانعام فقال {قُلْ لَا أُحَدِّثُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى  
طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ  
فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَیْبِرِ اللَّهُ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ  
فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} {145} وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي  
ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ  
ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا  
لَصَادِقُونَ} {146} الأنعام 145- 146 وكذلك قال بعد هذا  
{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ

{النحل 118 فبين ان ما حرمه المشركون لم يحرمه على لسان  
موسى ولا لسان محمد وهذان هما اللذان جاء بكتاب فيه الحلال  
والحرام كما قال تعالى {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى  
مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ} القصص 49 وقال تعالى { وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى  
إِمَامًا وَرَحْمَةً } هود 17 ان هذا والذي جاء به موسى ليخرجان  
من مشكاة واحدة وكذلك قال النجاشي فالقرآن والتوراة هما

<sup>357</sup>مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 8-14

كتابان جاء من عند الله لم يأت من عنده كتاب أهدى منهما كل منهما أصل مستقل والذي فيهما دين واحد وكل منهما يتضمن اثبات صفات الله تعالى والأمر بعبادته وحده لا شريك له ففيه التوحيد قولاً وعملاً كما في سورتي الاخلاص قل يا أيها الكافرون و قل هو الله احد وأما الزبور فان داود لم يأت بغير شريعة التوراة وانما في الزبور ثناء على الله ودعاء وأمر ونهي بدينه وطاعته وعبادته مطلقاً واما المسيح فانه قال {وَلَا جِلِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ} آل عمران 50 فاحل لهم بعض المحرمات وهو في الاكثر متبع لشريعة التوراة ولهذا لم يكن بد لمن اتبع المسيح من ان يقرأ التوراة ويتبع ما فيها اذ كان الانجيل تبعاً لها وأما القرآن فانه مستقل بنفسه لم يحوج أصحابه الى كتاب آخر بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب فلهذا كان مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيئاً عليه يقرر ما فيها من الحق ويبطل ما حرف منها وينسخ ما نسخه الله فيقرر الدين الحق وهو جمهور ما فيها ويبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها والقليل الذي نسخ فيها فان المنسوخ قليل جداً بالنسبة الى المحكم المقرر<sup>358</sup>

## **"هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا**

### **وقاربوا"**

\* ان الله سبحانه أمرنا بالمعروف وهو طاعته وطاعة رسوله وهو الصلاح والحسنات والخير والبر ونهى عن المنكر وهو معصيته ومعصية رسوله وهو الفساد والسيئات والشر والفجور

<sup>358</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 183-185



وقيد الايجاب بالاستطاعة والوسع و اباح مما حرم ما يضطر  
 المرء اليه غير باغ ولا عاد فقال تعالى { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ  
 } آل عمران 102 وقال { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ  
 } التغابن 16 وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
 قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم  
 واختلافهم على انبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا  
 امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم فأوجب مما امر به ما يستطيع  
 وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث اخر انكم لن  
 تحصوا او تستطيعوا كل ما امرتم به ولكن وقال ان هذا الدين  
 يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا واستعينوا  
 بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا وهذا  
 العام المجمل فصله فقال في المحرمات { قُلْ لَا أُحَدِّثُ فِي مَا  
 أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِثْنَةً أَوْ دَمًا  
 مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ  
 اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } الأنعام 145  
 فهذا في تحريم المطاعم قد رفع الاثم عن اضطر غير باغ ولا  
 عاد والباغي والعادي قد قيل انهما صفة للشخص مطلقا فالباغي  
 كالباغي على امام المسلمين واهل العدل منهم كما قال تعالى  
 { فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ  
 إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ  
 يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الحجرات 9 والعادي كالصائل قاطع الطريق  
 الذي يريد النفس او المال وقيل انهما صفة لغير المضطر  
 فالباغي الذي يبغي المحرم مع قدرته على الحلال والعادي الذي  
 يتجاوز قدر الحاجة كما قال { فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ  
 مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } المائدة 3<sup>359</sup>

\*قال الله تعالى {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} الحج78  
و قال تعالى { يُرِيدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ  
{البقرة185 و قال تعالى {يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ  
{النساء28 و فى الصحيحين إنما بعثتم ميسرين يسروا  
و لا تعسروا ليعلم اليهود أن فى ديننا سعة فكل ما لا يتم  
المعاش إلا به فتحريره حرج و هو منتف شرعا و من استقرأ  
الشريعة فى مواردنا و مصادرها و جدها مبنية على قوله تعالى  
{فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} البقرة173 و قوله  
{فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرٍ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
{المائدة3 فكل ما احتاج الناس إليه فى معاشهم و لم يكن سببه  
معصية هي ترك واجب أو فعل محرم لم يحرم عليهم لأنهم فى  
معنى المضطر الذى ليس بباغ و لا عاد و إن كان سببه معصية  
كالمسافر سفر معصية اضطر فيه الى الميتة و المنفق للمال فى  
المعاصي حتى لزمته الديون فانه يؤمر بالتوبة و يباح له ما يزيل  
ضرورته فتباح له الميتة و يقضى عنه دينه من الزكاة و إن لم  
يتب فهو الظالم لنفسه المحتال و حاله كحال الذين قال الله فيهم  
{إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ  
كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} الأعراف163 و قوله {فَبِظُلْمٍ  
مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ  
سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا} النساء160 الآية وهذه قاعدة عظيمة ربما ننبه  
إن شاء الله عليها<sup>360</sup>

<sup>360</sup>مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 63-65

## مسائل فقهية

### 1-الأصل في جميع الأعيان الموجودة أن تكون حلالا

#### مطلقا للآدميين وأن تكون ظاهرة

\* فاعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتباين أوصافها أن تكون حلالا مطلقا للآدميين وأن تكون ظاهرة لا يحرم عليهم ملابسها ومباشرتها ومماسستها وهذه كلمة جامعة ومقالة عامة وقضية فاضلة عظيمة المنفعة واسعة البركة يفرع إليها حملة الشريعة فيما لا يحصى من الأعمال وحوادث الناس وقد دل عليها أدلة عشرة مما حضرني ذكره من الشريعة وهي كتاب الله وسنة رسوله واتباع سبيل المؤمنين المنظومة في قوله تعالى { أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ } النساء 59 وقوله { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا } المائدة 55 ثم مسالك القياس والاعتبار ومناهج الرأي والاستبصار الصنف الأول الكتاب وهو عدة آيات الآية الأولى قوله تعالى { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا } البقرة 29 والخطاب لجميع الناس لافتتاح الكلام بقوله { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ } البقرة 21 ووجه الدلالة أنه أخبر أنه خلق جميع ما في الأرض للناس مضافا إليهم باللام واللام حرف الإضافة وهي توجب اختصاص المضاف بالمضاف إليه واستحقاقه إياه من الوجه الذي يصلح له وهذا المعنى يعم موارد استعمالها كقولهم المال لزيد والسرج للدابة وما أشبه ذلك فيجب إذا أن يكون الناس مملكين ممكنين لجميع ما في الأرض فضلا من الله ونعمة وخص من ذلك بعض الأشياء وهي الخبائث لما فيها من الإفساد لهم في معاشهم أو معادهم فيبقى الباقي مباحا بموجب الآية الثانية قوله تعالى { وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَّرْتُمْ إِلَيْهِ } الأنعام 119 دلت الآية من وجهين أحدهما أنه وبخهم

وعنفهم على ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه قبل أن يحله باسمه الخاص فلو لم تكن الأشياء مطلقة مباحة لم يلحقهم ذم ولا توبيخ إذ لو كان حكمها مجهولا أو كانت محظورة لم يكن ذلك الوجه الثاني أنه قال { وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ } الأنعام 119 والتفصيل التبيين فبين أنه بين المحرمات فما لم يبين تحريمه ليس بمحرم وما ليس بمحرم فهو حلال إذ ليس إلا حلال أو حرام الآية الثالثة قوله تعالى { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ } الجاثية 13 وإذا كان ما في الأرض مسخرا لنا جاز استمتاعنا به كما تقدم الآية الرابعة قوله تعالى { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحْرَمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا } الأنعام 145 الآية فما لم يجد تحريمه ليس بمحرم وما لم يحرم فهو حل ومثل هذه الآية قوله { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ } البقرة 173 الآية لأن حرف إنما يوجب حصر الأول في الثاني فيجب انحصار المحرمات فيما ذكر وقد دل الكتاب على هذا الأصل المحيط في مواضع أخر الصنف الثاني السنة والذي حضرني منها حديثان الحديث الأول في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله إن أعظم المسلمين جرما من يسأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته دل ذلك على أن الأشياء لا تحرم إلا بتحريم خاص لقوله لم يحرم ودل أن التحريم قد يكون لأجل المسألة فبين بذلك أنها بدون ذلك ليست محرمة وهو المقصود الثاني روى أبو داود في سننه عن سلمان الفارسي قال سئل رسول الله عن شيء من السمن والجبن والفراء فقال الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا عنه فمنه دليلان أحدهما أنه أفتى بالإطلاق فيه الثاني قوله وما سكت عنه فهو مما عفا عنه نص في أن ما سكت عنه فلا إثم عليه فيه وتسميته هذا عفا وأنه والله أعلم لأن التحليل هو الإذن في تناول بخطاب خاص والتحريم المنع من تناول كذلك والسكوت عنه لم يؤذن بخطاب

يخصه ولم يمنع منه فيرجع إلى الأصل وهو أن لا عقاب إلا بعد الإرسال وإذا لم يكن فيه عقاب لم يكن محرماً وفي السنة دلائل كثيرة على هذا الأصل الصنف الثالث اتباع سبيل المؤمنين وشهادة شهداء الله في أرضه الذين هم عدول الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر المعصومين من اجتماعهم على ضلالة المفروض اتباعهم وذلك أني لست أعلم خلاف أحد من العلماء السالفين في أن ما لم يجيء دليل بتحريمه فهو مطلق غير محجور وقد نص على ذلك كثير ممن تكلم في أصول الفقه وفروعه وأحسب بعضهم ذكر في ذلك الإجماع يقيناً أو ظناً كاليقين فإن قيل كيف يكون في ذلك إجماع وقد علمت اختلاف الناس في الأعيان قبل مجيء الرسل وإنزال الكتب هل الأصل فيها الحظر أو الإباحة أو لا يدري ما الحكم فيها أو أنه لا حكم لها أصلاً واستصحاب الحال دليل متبع وأنه قد ذهب بعض من صنف في أصول الفقه من أصحابنا وغيرهم على أن حكم الأعيان الثابت لها قبل الشرع مستصحب بعد الشرع وأن من قال بأن الأصل في الأعيان الحظر استصحب هذا الحكم حتى يقوم دليل الحل فأقول هذا قول متأخر لم يؤثر أصله عن أحد من السابقين ممن له قدم وذلك أنه قد ثبت أنها بعد مجيء الرسل على الإطلاق وقد زال حكم ذلك الأصل بالأدلة السمعية التي ذكرتها ولست أنكر أن بعض من لم يحط علماً بمدارك الأحكام ولم يؤت تمييزاً في مظان الاشتباه ربما سحب ذيل ما قبل الشرع على ما بعده إلا أن هذا غلط قبيح لو نبه له لتنبه مثل الغلط في الحساب لا يهتك حريم الإجماع ولا يثلم سنن الاتباع ولقد اختلف الناس في تلك المسألة هل هي جائزة أم ممتنعة لأن الأرض لم تخل من نبي مرسل إذ كان آدم نبياً مكلماً حسب اختلافهم في جواز خلو الأقطار عن حكم مشروع وإن كان الصواب عندنا جوازه ومنهم من فرضها فيمن ولد بجزيرة إلى غير ذلك من الكلام الذي يبين لك أن لا عمل بها وأنها نظر محض فيه عمل كالكلام في مبدأ اللغات وشبه ذلك على أن الحق الذي لا راد له

أن قبل الشرع لا تحليل ولا تحريم فإذا لا تحريم يستصحب ويستدام فيبقى الآن كذلك والمقصود خلوها عن المآثم والعقوبات وأما مسلك الاعتبار بالأشياء والنظائر واجتهاد الرأي في الأصول الجوامع فمن وجوه كثيرة ننبه على بعضها أحدها أن الله سبحانه خلق هذه الأشياء وجعل فيها للإنسان متاعاً ومنفعة ومنها ما قد يضطر إليه وهو سبحانه جواد ماجد كريم رحيم غني صمد والعلم بذلك يدل على العلم بأنه لا يعاقبه ولا يعذبه على مجرد استمتاعه بهذه الأشياء وهو المطلوب وثانيها أنها منفعة خالية عن مضرة فكانت مباحة كسائر ما نص على تحليله وهذا الوصف قد دل على تعلق الحكم به النص وهو قوله {يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} الأعراف 157 فكل ما نفع فهو طيب وكل ما ضر فهو خبيث والمناسبة الواضحة لكل ذي لب أن النفع يناسب التحليل والضرر يناسب التحريم والدوران فإن التحريم يدور مع المضار وجوداً في الميتة والدم ولحم الخنزير وذوات الأنبياب والمخالب والخمر وغيرها مما يضر بأنفس الناس وعدمها في الأنعام والألبان وغيرها وثالثها أن هذه الأشياء إما أن يكون لها حكم أولاً يكون

والأول صواب والثاني باطل بالاتفاق وإذا كان لها حكم فالوجوب والكراهة والاستحباب معلومة البطلان بالكلية لم يبق إلا الحل والحرمة باطلة لانتفاء دليلها نصاً واستنباطاً لم يبق إلا الحل وهو المطلوب<sup>361</sup>

## 2- حكم عظم الميتة وقرنها وظفرها

<sup>361</sup> مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 535-541 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص:

\*أما عظم الميتة وقرنها وظفرها وما هو من جنس ذلك كالحافر ونحوه وشعرها وريشها ووبرها ففي هذين النوعين للعلماء ثلاثة أقوال أحدها نجاسة الجميع كقول الشافعي في المشهور عنه وذلك رواية عن أحمد والثاني أن العظام ونحوها نجسة والشعور ونحوها طاهرة وهذا هو المشهور من مذهب مالك وأحمد والثالث أن الجميع طاهر كقول أبي حنيفة وهو قول في مذهب مالك وأحمد وهذا القول هو الصواب وذلك لأن الأصل فيها الطهارة ولا دليل على النجاسة وأيضا فان هذه الأعيان هي من الطيبات ليست من الخبائث فتدخل في آية التحليل وذلك لأنها لم تدخل فيما حرمه الله من الخبائث لا لفظا ولا معنى فان الله تعالى حرم الميتة وهذه الأعيان لا تدخل فيما حرمه الله لا لفظا ولا معنى أما اللفظ فلان قوله تعالى {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} المائدة3 لا يدخل فيها الشعور وما أشبهها وذلك لأن الميت ضد الحي والحياة نوعان حياة الحيوان وحياة النبات فحياة الحيوان خاصتها الحس والحركة الإرادية وحياة النبات خاصتها النمو والاعتداء وقوله {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} المائدة3 إنما هو بما فارقه الحياة الحيوانية دون النباتية فإن الشجر والزرع إذا يبس لم ينجس باتفاق المسلمين وقد قال تعالى {وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} النحل65 وقال {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} الحديد17 فموت الأرض لا يوجب نجاستها باتفاق المسلمين وإنما الميتة المحرمة ما فارقتها الحس والحركة الإرادية وإذا كان كذلك فالشعر حياته من جنس حياة النبات لا من جنس حياة الحيوان فإنه ينمو ويغذى ويطول كالزرع وليس فيه حس ولا يتحرك بارادته فلا تحله الحياة الحيوانية حتى يموت بمفارقتها فلا وجه لتنجيسه وأيضا فلو كان الشعر جزءا من الحيوان لما ابيح أخذه في حال الحياة فان النبي سئل عن قوم يحبون أسنمة الابل وأليات الغنم فقال ما أبين من البهيمة وهي حية فهو ميت رواه أبو داود وغيره وهذا متفق عليه بين العلماء فلو كان حكم

الشعر حكم السنام والألية لما جاز قطعه في حال الحياة ولا كان طاهرا حلالا فلما اتفق العلماء على أن الشعر والصوف إذا جز من الحيوان كان طاهرا حلالا علم أنه ليس مثل اللحم وايضا فقد ثبت أن النبي أعطى شعره لما حلق رأسه للمسلمين وكان يستنحي ويستجمر فمن سوى بين الشعر والبول والعدرة فقد أخطأ خطأ بينا وأما العظام ونحوها فاذا قيل إنها داخلة في الميتة لأنها تحس وتألّم قيل لمن قال ذلك أنتم لم تأخذوا بعموم اللفظ فان ما لا نفس له سائلة كالذباب والعقرب والخنفساء لا ينجس عندكم وعند جمهور العلماء مع أنها ميتة موتا حيوانيا وقد ثبت في الصحيح أن النبي قال إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء ومن نجس هذا قال في أحد القولين إنه لا ينجس المائعات الواقع فيها لهذا الحديث وإذا كان كذلك علم أن علة نجاسة الميتة إنما هو إحتباس الدم فيها فما لا نفس له سائلة ليس فيه دم سائل فاذا مات لم يحتبس فيه الدم فلا ينجس فالعظم ونحوه أولى بعدم التنجيس من هذا فان العظم ليس فيه دم سائل ولا كان متحركا بالارادة إلا على وجه التبع فاذا كان الحيوان الكامل الحساس المتحرك بالارادة لا ينجس لكونه ليس فيه دم سائل فكيف ينجس العظم الذي ليس فيه دم سائل ومما يبين صحة قول الجمهور أن الله سبحانه إنما حرم علينا الدم المسفوح كما قال تعالى **{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا}** {الأنعام 145} فاذا عفي عن الدم غير المسفوح مع أنه من جنس الدم علم أنه سبحانه فرق بين الدم الذي يسيل وبين غيره ولهذا كان المسلمون يضعون اللحم في المرق وخطوط الدم في القدور بين ويأكلون ذلك على عهد رسول الله كما أخبرت بذلك عائشة ولولا هذا لاستخرجوا الدم من العروق كما يفعل اليهود والله تعالى حرم ما مات حتف انفه أو بسبب غير جارح محدد فحرم المنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وحرم النبي ما صيد بعرض المعراض وقال إنه وقيد دون ما صيد بحده



والفرق بينهما إنما هو سفح الدم فدل على أن سبب التنجيس هو احتقان الدم واحتباسه وإذا سفح بوجه خبيث بأن يذكر عليه غير اسم الله كان الخبث هنا من جهة أخرى فإن التحريم يكون تارة لوجود الدم وتارة لفساد التذكية كذكاة المجوسي والمرتد والذكاة في غير المحلل المحل وإذا كان كذلك فالعظم والقرن والظفر والظلف وغير ذلك ليس فيه دم مسفوح فلا وجه لتنجيسه وهذا قول جمهور السلف قال الزهري كان خيار هذه الأمة يمتشطون بأمشاط من عظام الفيل وقد روي في العاج حديث معروف لكن فيه نظر ليس هذا موضعه فانا لا نحتاج الى الاستدلال بذلك وايضا فقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال في شاة ميمونة هلا أخذتم إهابها فانتفعتم به قالوا انها ميتة قال إنما حرم أكلها وليس في صحيح البخاري ذكر الدباغ ولم يذكره عامة أصحاب الزهري عنه ولكن ذكره ابن عيينة ورواه مسلم في صحيحه وقد طعن الامام أحمد في ذلك وأشار الى غلط ابن عيينة فيه وذكر أن الزهري وغيره كانوا يبيحون الانتفاع بجلود الميتة بلا دباغ لاجل هذا الحديث وحينئذ فهذا النص يقتضي جواز الانتفاع بها بعد الدبغ بطريق الأولى لكن إذا قيل إن الله حرم بعد ذلك الانتفاع بالجلود حتى تدبغ أو قيل إنها لا تطهر بالدباغ لم يلزم تحريم العظام ونحوها لأن الجلد جزء من الميتة فيه الدم كما في سائر أجزائها والنبي جعل دباغه ذكاته لأن الدباغ ينشف رطوباته فدل على أن سبب التنجيس هو الرطوبات والعظم ليس فيه رطوبة سائلة وما كان فيه منها فإنه يجف ويبس وهو يبقى ويحفظ أكثر من الجلد فهو أولى بالطهارة من الجلد والعلماء تنازعوا في الدباغ هل يطهر فذهب مالك وأحمد في المشهور عنهما أنه لا يطهر ومذهب ابي حنيفة والشافعي والجمهور أنه يطهر وإلى هذا القول رجع أحمد كما ذكر ذلك عنه الترمذي عن أحمد بن الحسن الترمذي عنه وحديث ابن عكيم يدل على ان النبي نهاهم أن ينتفعوا من الميتة باهاب أو عصب بعد أن كان أذن لهم في ذلك لكن هذا قد يكون قبل الدباغ فيكون قد أرخص فان حديث

الزهري الصحيح يبين أنه كان قد رخص في جلود الميتة قبل  
الدباغ فيكون قد أرخص لهم في ذلك ثم لما نهى عن الانتفاع بها  
قبل الدباغ نهاهم عن ذلك ولهذا قال طائفة من أهل اللغة ان  
الاهاب اسم لما لم يدبغ ولهذا قرن معه العصب والعصب لا يدبغ

362

### 3-حكم لبن الميتة وأنفحتها

\*وأما لبن الميتة وانفحتها ففيه قولان مشهوران للعلماء  
أحدهما أن ذلك طاهر كقول أبي حنيفة وغيره وهو إحدى  
الروايتين عن أحمد والثاني أنه نجس كقول مالك والشافعي  
والرواية الأخرى عن أحمد وعلى هذا النزاع انبنى نزاعهم  
في جبن المجوس فان ذبائح المجوس حرام عند جماهير السلف  
والخلف وقد قيل إن ذلك مجمع عليه بين الصحابة فاذا صنعوا  
جبنا والجبن يصنع بالأنفحة كان فيه هذان القولان والأظهر  
أن جبنهم حلال وان أنفحة الميتة ولبنها طاهر وذلك لأن  
الصحابة لما فتحوا بلاد العراق أكلوا جبن المجوس وكان هذا  
ظاهرا شائعا بينهم وما ينقل عن بعضهم من كراهة ذلك ففيه  
نظر فانه من نقل بعض الحجازيين وفيه نظر وأهل العراق كانوا  
أعلم بهذا فان المجوس كانوا ببلادهم ولم يكونوا بأرض الحجاز  
ويدل على ذلك ان سلمان الفارسي كان هو نائب عمر بن  
الخطاب على المدائن وكان يدعو الفرس الى الإسلام وقد ثبت  
عنه أنه سئل عن شيء من السمن والجبن والفراء فقال الحلال ما  
احل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه  
فهو مما عفى عنه وقد رواه أبو داود مرفوعا الى النبي ومعلوم  
أنه لم يكن السؤال عن جبن المسلمين وأهل الكتاب فان هذا امر  
بين وإنما كان السؤال عن جبن المجوس فدل ذلك على ان سلمان

<sup>362362</sup>مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 97-104 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص:

50 و مؤلفات ابن تيمية ج: 2 ص: 11

كان يفتي بحلها وإذا كان روى ذلك عن النبي انقطع النزاع بقول النبي وأيضا فاللبن والأنفحة لم يموتا وإنما نجسهما من نجسهما لكونهما في وعاء نجس فيكون مائعا في وعاء نجس فالتنجيس مبني على مقدمتين على ان المائع لاقى وعاء نجسا وعلى أنه إذا كان كذلك صار نجسا فيقال أولا لا نسلم ان المائع ينجس بملاقاة النجاسة وقد تقدم ان السنة دلت على طهارته لا على نجاسته ويقال ثانيا إن الملاقاة في الباطن لا حكم لها كما قال تعالى { نُسِقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ } النحل 66 ولهذا يجوز حمل الصبي الصغير في الصلاة مع ما في بطنه والله أعلم<sup>363</sup>

#### 4- حكم طهارة جلود الميتة بالدباغ

\*أما طهارة جلود الميتة بالدباغ ففيها قولان مشهوران للعلماء في الجملة أحدهما أنها تطهر بالدباغ وهو قول أكثر العلماء كأبي حنيفة والشافعي وأحمد في إحدى الروايتين والثاني لا تطهر وهو المشهور في مذهب مالك ولهذا يجوز استعمال المدبوغ في الماء دون المائعات لأن الماء لا ينجس بذلك وهو أشهر الروايتين عن أحمد أيضا اختارها أكثر أصحابه لكن الرواية الأولى هي آخر الروايتين عنه كما نقله الترمذي عن أحمد بن الحسن الترمذي عنه أنه كان يذهب إلى حديث ابن عكيم ثم ترك ذلك بأخرة وحجة هذا القول شيان أحدهما أنهم قالوا هي من الميتة ولم يصح في الدباغ شيء ولهذا لم يرو البخاري ذكر الدباغ في حديث ميمونة من قول النبي صلى الله عليه وسلم وطعن هؤلاء فيما رواه مسلم وغيره إذ كانوا أئمة لهم في الحديث اجتهاد وقالوا روى ابن عيينة الدباغ عن الزهري والزهري كان يجوز استعمال جلود الميتة بلا دباغ وذلك يبين أنه

<sup>363363</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 50 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص:

ليس في روايته ذكر الدباغ وتكلموا في ابن وعله والثاني أنهم قالوا أحاديث الدباغ منسوخة بحديث ابن عكيم وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيما كتب إلى جهينة كنت رخصت في جلود الميتة فإذا أتاكم كتابي هذا فلا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب فكلاهاتين الحجتين ماثورة عن الإمام أحمد نفسه في جوابه ومناظرته في الرواية الأولى المشهورة وقد احتج القائلون بالدباغ بما في الصحيحين عن عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة فقال هلا استمتعتم بإهابها قالوا يا رسول الله إنها ميتة قال إنما حرم من الميتة أكلها وفي رواية لمسلم ألا أخذوا أهابها فدبغوه فانتفعوا به وعن سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ماتت لنا شاة فدبغنا مسكها فما زلنا ننبذ فيه حتى صار شنا وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا دبغ الإهاب فقد طهر قلت وفي رواية له عن عبد الرحمن بن وعله إنا نكون بالمغرب ومعنا البربر والمجوس يؤتى بالكبش قد ذبحوه ونحن لا نأكل ذبائحهم وتؤتى بالسفاء يجعلون

فيه الدلوك فقال ابن عباس قد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال دباغه طهوره وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يستمتع بجلود الميتة إذا دبغت رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والنسائي وفي رواية عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جلود الميتة فقال دباغها طهورها رواه الإمام أحمد والنسائي وعن سلمة بن المحبق رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر ببيت بفنائنه قربة معلقة فاستقى فقيل إنها ميتة فقال ذكاة الأديم دباغه رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وأما حديث ابن عكيم فقد طعن بعض الناس فيه بكون حامله مجهولا ونحو ذلك مما لا يسوغ رد الحديث به قال عبد الله بن عكيم أتانا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن

يموت بشهر أو شهرين أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب رواه الإمام أحمد وقال ما أصلح إسناده وأبو داود وابن ماجه والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وأجاب بعضهم عنه بأن الإهاب اسم للجلد قبل الدباغ كما نقل ذلك النضر بن شميل وغيره من أهل اللغة وأما بعد الدبغ فإنما هو أديم فيكون النهي عن استعمالها قبل الدبغ فقال المانعون هذا ضعيف فإن في بعض طرقه كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في أرض جهينة إني كنت رخصت لكم في جلود الميتة فإذا جاءكم كتابي هذا فلا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب رواه الطبراني في المعجم الأوسط من رواية فضالة بن مفضل بن فضالة المصري وقد ضعفه أبو حاتم الرازي لكن هو شديد في التزكية وإذا كان النهي بعد الرخصة فالرخصة إنما كانت في المدبوغ وتحقيق الجواب أن يقال حديث ابن عكيم ليس فيه نهى عن استعمال المدبوغ وأما الرخصة المتقدمة فقد قيل إنها كانت للمدبوغ وغيره ولهذا ذهب طائفة منهم الزهري وغيره إلى جواز استعمال جلود الميتة قبل الدباغ تمسكا بقوله المطلق في حديث ميمونة وقوله إنما حرم الميتة أكلها فإن هذا اللفظ يدل على التحريم ثم لم يتناول الجلد وقد رواه الإمام أحمد في المسند عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة بنت زمعة فقالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتت فلانة تعني الشاة فقال فلولاً أخذتم مسكها فقالت أخذ مسك شاة قد ماتت فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال {لَا أُجْدُ فِي مَا أُوجِي إِلَيَّ مُحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزيرٍ} {الأنعام 145} وإنكم لا تطعمونه إن تدبغوه تنتفعوا به فأرسلت إليها فسألت مسكها فدبغته فاتخذت منه قرية حتى تخرقت عندها فهذا الحديث يدل على أن التحريم لم يتناول الجلد وإنما ذكر الدباغ لإبقاء الجلد وحفظه لا لكونه شرطاً في الحل وإذا كان كذلك فتكون الرخصة لجهينة في هذا والنسخ عن هذا فإن الله تعالى ذكر تحريم الميتة في سورتين

مكيتين الأنعام والنحل ثم في سورتين مدنيتين البقرة والمائدة والمائدة من آخر القرآن نزولا كما روي المائدة آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرّموا حرامها وقد ذكر الله فيها من التحريم ما لم يذكره في غيرها وحرّم النبي صلى الله عليه وسلم أشياء مثل أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وإذا كان التحريم زاد بعد ذلك على ما في السورة المكية التي استند الرخصة المطلقة فيمكن أن يكون تحريم الانتفاع بالعصب والإهاب قبل الدباغ ثبت بالنصوص المتأخرة وأما بعد الدباغ فلم يحرّم ذلك قط بل بين أن دباغه ظهوره وذكاته وهذا يبين أنه لا يباح بدون الدباغ وعلى هذا القول فللناس فيما يطهره الدباغ أقوال قيل إنه يطهر كل شيء حتى الحمير كما هو قول أبي يوسف وداود وقيل يطهر كل شيء إلا الكلب والحمير كما هو قول أبي حنيفة وقيل يطهر كل شيء إلا الكلب والحمير كما هو قول الشافعي وهو أحد القولين في مذهب أحمد على القول بتطهير الدباغ والقول الآخر في مذهبه وهو قول طوائف من فقهاء الحديث أنه إنما يطهر ما يباح بالذكاة فلا يطهر جلود السباع ومأخذ التردد أن الدباغ هل هو كالحياء فيطهر ما كان طاهرا في الحياة أو هو كالذكاة فيطهر ما طهر بالذكاة والثاني أرجح ودليل ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن جلود السباع كما روي عن أسامة بن عمير الذهلي أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن جلود السباع ورواه أحمد وأبو داود والنسائي زاد الترمذي أن تفرش وعن خالد بن معدان قال وفد المقدام بن معدي كرب على معاوية فقال أنشدك بالله هل تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن جلود السباع والركوب عليها قال نعم رواه أبو داود والنسائي وهذا لفظه وعن أبي ریحانة نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ركوب النمرور رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وروى أبو داود والنسائي عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصحب الملائكة رفقة فيها جلد

نمر رواه أبو داود وفي هذا القول جمع بين الأحاديث كلها و  
الله أعلم<sup>364</sup>

فان تحريم الشيء مطلقا يقتضي تحريم كل جزء منه كما أن  
تحريم الخنزير والميتة والدم اقتضى ذلك<sup>365</sup>

### 5- حكم ما ذبحه أهل الكتاب لکنائسهم أو لأعيادهم

\* قال الخلال في باب التوقي لأكل ما ذبحت النصارى وأهل  
الكتاب لأعيادهم وذبائح أهل الكتاب لکنائسهم كل من روى عن  
أبي عبد الله روى الكراهة فيه وهي متفرقة في هذه الأبواب  
وما قاله حنبل في هاتين المسألتين ذكر عن أبي عبد الله ولا  
تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وما أهل لغير الله به فإنما  
الجواب من أبي عبد الله فيما أهل لغير الله به وأما التسمية  
وتركها فقد روى عنه جميع أصحابه أنه لا بأس بأكل ما لم يسموا  
عليه إلا في وقت ما يذبحون لأعيادهم وکنائسهم فإنه في معنى  
قوله تعالى { وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } النحل 115 وعند أبي عبد  
الله أن تفسير { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ }  
{ الأنعام 121 إنما عني به الميتة وقد أخرجته في موضعه  
ومقصود الخلال أن نهى أحمد لم يكن لأجل ترك التسمية فقط  
فإن ذلك عنده لا يحرم وإنما كان لأنهم ذبحوه لغير الله سواء  
كانوا يسمون غير الله أو لا يسمون الله ولا غيره ولكن قصدهم  
الذبح لغير الله لكن قال ابن أبي موسى ويجتنب أكل كل ما  
ذبحه اليهود والنصارى لکنائسهم وأعيادهم ولا يؤكل ما ذبح  
للزهرة والرواية الثانية أن ذلك مكروه غير محرم وهذا الذي

<sup>364</sup><sup>364</sup> الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 264-267 و الفتاوى الكبرى ج: 1 ص:

ذكره القاضي وغيره وأخذوا ذلك فيما أظنه مما نقله عبد الله بن أحمد قال سألت أبي عن ذبح للزهرة قال لا يعجبني قلت أحرام أكله قال لا أقول حراما ولكن لا يعجبني وذلك أنه أثبت الكراهة دون التحريم ويمكن أن يقال إنما توقف عن تسميته محرما لأن ما اختلف في تحريمه وتعارضت فيه كالجمع بين الأختين ونحوه هل يسمى حراما على روايتين كالروايتين عنده في أن ما اختلف في وجوبه هل يسمى فرضا على روايتين ومن أصحابنا من أطلق الكراهة ولم يفسر هل أراد التحريم أو التنزيه قال أبو الحسن الأدي ما ذبح لغير الله مثل الكنائس والزهرة والشمس والقمر فقال أحمد هو مما أهل به لغير الله أكرهه كل ما ذبح لغير الله والكنائس وما ذبحوا في أعيادهم أكرهه فأما ما ذبح أهل الكتاب على معنى الزكاة فلا بأس به وكذلك مذهب مالك يكره ما ذبحه النصارى لكنائسهم أو ذبحوا على اسم المسيح أو الصليب أو أسماء من مضى من أحبارهم ورهبانهم وفي المدونة وكره مالك أكل ما ذبحه أهل الكتاب لكنائسهم أو لأعيادهم من غير تحريم وتأول قول الله قال تعالى { **أَوْ فَسْقًا** **أَهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** } الأنعام 145 قال ابن القاسم وكذلك ما ذبحوا وسموا عليه اسم المسيح وهو بمنزلة ما ذبحوا لكنائسهم ولا أرى أن يؤكل ونقلت الرخصة في ذبائح الأعياد ونحوها عن طائفة من الصحابة رضي الله عنهم وهذا فيما لم يسموا عليه غير الله فإن سموا غير الله في عيدهم أو غير عيدهم حرم في أشهر الروايتين وهو مذهب الجمهور وهو مذهب الفقهاء الثلاثة فيما نقله غير واحد وهو قول علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة منهم أبو الدرداء وأبو أمامة والعرباض بن سارية وعبادة بن الصامت وهو قول أكثر فقهاء الشام وغيرهم والثانية لا يحرم وإن سموا غير الله وهو قول عطاء ومجاهد ومكحول والأوزاعي والليث ووجه الاختلاف أن هذا قد دخل في عموم قوله عز وجل { **وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ** } المائدة 5 وفي عموم قوله تعالى { **وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** }



{ المائدة 3 لأن هذه الآية تعم كل ما نطق به لغير الله يقال أهلت بكذا إذا تكلمت به وإن كان أصله الكلام الرفيع فإن الحكم لا يختلف برفع الصوت وخفضه وإنما لما كانت عاداتهم رفع الصوت في الأصل خرج الكلام على ذلك فيكون المعنى وما تكلم به لغير الله وما نطق به لغير الله ومعلوم أن ما حرم أن تجعل غير الله مسمى فكذلك منويا إذ هذا مثل النيات في العبادات فإن اللفظ بها وإن كان أبلغ لكن الأصل القصد الا ترى أن المتقرب بالهدايا والضحايا سواء قال أذبحه لله أو سكت فإن العبرة بالنية وتسميته الله على الذبيحة غير ذبحها لله فإنه يسمى على ما يقصد به اللحم وأما قربان فيذبح لله سبحانه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في قربانه اللهم منك ولك بعد قوله بسم الله والله أكبر لقوله تعالى { قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 162 والكافرون يصنعون بألتهم كذلك فتارة يسمون ألتهم على الذبائح وتارة يذبحونها قربانا إليهم وتارة يجمعون بينهما وكل ذلك والله أعلم يدخل فيما أهل لغير الله به فإن من سمى غير الله فقد أهل به لغير الله فقوله باسم كذا استعانة به وقوله لكذا عبادة له ولهذا جمع الله بينهما في قوله { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } الفاتحة 5 وأيضا فإنه سبحانه حرم ما ذبح على النصب وهي كل ما ينصب ليعبد من دون الله وأما احتجاج أحمد على هذه المسألة بقوله تعالى { وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } الأنعام 121 فحيث اشترطت التسمية في ذبيحة المسلم هل تشترط في ذبيحة الكتابي على روايتين وإن كان خلال هنا قد ذكر عدم الاشتراط فاحتجاجة بهذه الآية يخرج على إحدى الروايتين فلما تعارض العموم الحاضر وهو قوله تعالى { وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة 3 والعموم المبيح وهو قوله { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ } المائدة 5 اختلف العلماء في ذلك والأشبه بالكتاب والسنة ما دل عليه أكثر كلام أحمد من الحظر وإن كان من متأخري أصحابنا من لا يذكر هذه الرواية بحال وذلك لأن

عموم قوله تعالى { وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ } المائدة3 و { وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ } المائدة3 عموم محفوظ لم تخص منه صورة بخلاف طعام الذين أوتوا الكتاب فإنه يشترط له الزكاة المبيحة فلو ذكى الكتابي في غير المحل المشروع لم تبح زكاته ولأن غاية الكتابي أن تكون زكاته كالمسلم والمسلم لو ذبح لغير الله أو ذبح باسم غير الله لم يبيح وإن كان يكفر بذلك فكذلك الذمي لأن قوله تعالى { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ } المائدة5 سواء وهم وإن كانوا يستحلون هذا ونحن لا نستحله فليس كل ما استحلوه يحل لنا ولأنه قد تعارض دليلان حاضر ومبيح فالحاضر أولى أن يقدم ولأن الذبح لغير الله أو باسم غيره قد علمنا يقينا أنه ليس من دين الأنبياء عليهم السلام فهو من الشرك الذي أحدثوه فالمعنى الذي لأجله حلت ذبائحهم منتف في هذا والله تعالى أعلم فإن قيل أما إذا سموا عليه غير الله بأن يقولوا باسم المسيح ونحوه فتحريره ظاهر أما إذا لم يسموا أحدا ولكن قصدوا الذبح للمسيح أو للكوكب ونحوهما فما وجه تحريره قيل قد تقدمت الإشارة إلى ذلك وهو أن الله سبحانه قد حرم ما ذبح على النصب وذلك يقتضي تحريره وإن كان ذابحه كتابيا لأنه لو كان التحريم لكونه وثنيا لم يكن فرق بين ذبحه على النصب وغيرها ولأنه لما أباح لنا طعام أهل الكتاب دل على أن طعام المشركين حرام فتخصيص ما ذبح على الوثن يقتضي فائدة جديدة<sup>366</sup>

## 6-حكم التداوى

\* فإن الناس قد تنازعا في التداوى هل هو مباح أو مستحب أو واجب والتحقيق أن منه ما هو محرم ومنه ما هو مكروه ومنه ما هو مباح ومنه ما هو مستحب وقد يكون منه ما هو واجب وهو ما يعلم أنه يحصل به بقاء النفس لا بغيره كما يجب

<sup>366</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 253-255

أكل الميتة عند الضرورة فإنه واجب عند الأئمة الأربعة  
وجمهور العلماء وقد قال مسروق من إضطر إلى أكل الميتة فلم  
يأكل حتى مات دخل النار فقد يحصل أحيانا للإنسان إذا إستحضر  
المرض ما إن لم يتعالج معه مات والعلاج المعتاد تحصل معه  
الحياة كالتغذية للضعيف وكإستخراج الدم أحيانا<sup>367</sup>

## 7- أكل الميتة للمضطر واجب عليه

\*ان الله لما حرم الميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها لم يبيح ذلك  
الا لمن اضطر اليها غير باغ ولا عاد وفي آية أخرى { فَمَنْ  
اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ  
{ المائدة 3<sup>368</sup>

\*أن أكل الميتة للمضطر واجب عليه فى ظاهر مذهب الأئمة  
وغيرهم كما قال مسروق من اضطر إلى الميتة فلم يأكل حتى  
مات دخل النار<sup>369</sup>

\*قال تعالى { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلًا  
بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ  
غَفُورٌ رَحِيمٌ { البقرة 173 فقولهُ { غَيْرَ بَاغٍ { البقرة 173  
حال من { اضْطُرَّ { البقرة 173 فيجب أن يكون حال  
اضطراره وأكله الذى يأكل فيه غير باغ ولا عاد فإنه قال { فلا  
إِثْمَ عَلَيْهِ { البقرة 173 ومعلوم أن الإثم انما ينفى عن الأكل  
الذى هو الفعل لا عن نفس الحاجة اليه فمعنى الآية فمن اضطر  
فأكل غير باغ ولا عاد وهذا يبين ان المقصود أنه لا يبغى فى  
أكله ولا يتعدى والله تعالى يقرن بين البغى والعدوان فالبغى ما  
جنسه ظلم والعدوان مجاوزة القدر المباح كما قرن بين الاثم

<sup>367</sup>مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 12

<sup>368</sup>مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 276

<sup>369</sup>مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 269 و مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 563

والعدوان فى قوله { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } المائدة2 فالإثم جنس الشر والعدوان مجاوزة القدر المباح فالبغى من جنس الإثم قال تعالى { وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ } آل عمران19 وقال تعالى { فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ } البقرة182 فإثم جنس لظلم الورثة إذا كان مع العمد وأما الجنف فهو الجنف عليهم بعمد وبغير عمد لكن قال كثير من المفسرين الجنف الخطأ والإثم العمد لأنه لما خص الإثم بالذكر وهو العمد بقى الداخل فى الجنف الخطأ ولفظ العدوان من باب تعدى الحدود كما قال تعالى { تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } البقرة229 ونحو ذلك ومما يشبه هذا قوله { رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا } آل عمران147 والإسراف مجاوزة الحد المباح وأما الذنوب فما كان جنسه شر وإثم<sup>370</sup>

\* فالضرورة بسبب محذور لا تستباح بها المحرمات بخلاف الضرورة التى هي بسبب غير محذور<sup>371</sup>

## 7-الخبائث جميعا تباح للمضطر

فان الخبائث جميعا تباح للمضطر فله أن يأكل عند الضرورة الميتة والدم ولحم الخنزير وله أن يشرب عند الضرورة ما يرويه كالمياه النجسة والأبوال التى ترويه وإنما منعه أكثر الفقهاء عن شرب الخمر قالوا لأنها تزيد عطشا وأما التوضؤ بماء الولوغ فلا يجوز عند جماهير العلماء بل يعدل عنه الى التيمم ويجب على المضطر أن يأكل ويشرب ما يقيم به نفسه فمن إضطر الى الميتة أو الماء النجس فلم يشرب ولم يأكل حتى مات دخل النار

<sup>370370</sup>مجموع الفتاوى ج: 24 ص: 112

<sup>371</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 347

ولو وجد غيره مضطرا الى ما معه من الماء الطيب أو النجس فعليه أن يسقيه إياه ويعدل الى التيمم سواء كان عليه جنابة أو حدث صغير ومن إغتسل وتوضأ وهناك مضطر من أهل الملة أو الذمة أو دوابهم المعصومة فلم يسقه كان آثما عاصيا والله أعلم

372

## 8- لم يوجب ما لا يستطاع ولم يحرم ما يضطر إليه

\*قد أمر الله ورسوله بأفعال واجبة ومستحبة وإن كان الواجب مستحبا وزيادة ونهى عن أفعال محرمة او مكروهة والدين هو طاعته وطاعة رسوله وهو الدين والتقوى والبر والعمل الصالح والشرعة والمناهج وإن كان بين هذه الأسماء فروق وكذلك حمد أفعالا هي الحسنات ووعد عليها وذم أفعالا هي السيئات وأوعد عليها وقيد الأمور بالقدرة والاستطاعة ووسع والطاقة فقال تعالى { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } التغابن 16 وقال تعالى { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 وقال تعالى { وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا } الطلاق 7 وكل من الآيتين وإن كانت عامه فسبب الأولى المحاسبه على ما فى النفوس وهو من جنس أعمال القلوب وسبب الثانية الاعطاء الواجب وقال { لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ } التوبة 91 وقد ذكر فى الصيام والاحرام والطهارة والصلاة والجهاد من هذا أنواعا وقال فى المنهيات { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } الأنعام 145<sup>373</sup>

<sup>372</sup>مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 79-80

<sup>373</sup>مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 50

\*سائر العبادات من الصلاة والجهاد وغير ذلك كل ذلك واجب مع القدرة فاما مع العجز فان الله لا يكلف نفسا إلا وسعها ولهذا أمر الله المصلى ان يتطهر بالماء فان عدمه او خاف الضرر باستعماله لشدة البرد او جراحة او غير ذلك تيمم صعيدا طيبا فمسح بوجهه ويديه منه وقال النبي لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب فقد أوجب الله فعل الصلاة في الوقت على أى حال أمكن كما قال تعالى { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ } {238} فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } {239} البقرة 238-239 فأوجب الله الصلاة على الآمن والخائف والصحيح والمريض والغنى والفقير والمقيم والمسافر وحفها على المسافر والخائف والمريض كما جاء به الكتاب والسنة وكذلك أوجب فيها واجبات من الطهارة والستارة واستقبال القبلة وأسقط ما يعجز عنه العبد من ذلك فلوا انكسرت سفينة قوم او سلبهم المحاربون ثيابهم صلوا عراة بحسب أحوالهم وقام إمامهم وسطهم لئلا يرى الباؤون عورته ولو اشتبهت عليهم القبلة اجتهدوا في الاستدلال عليها فلو عميت الدلائل صلوا كيفما أمكنهم كما قد روى أنهم فعلوا ذلك فهكذا الجهاد والولايات وسائر أمور الدين وذلك كله في قوله تعالى { فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } {التغابن 16} وفي قول النبي إذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم كما ان الله تعالى لما حرم المطاعم الخبيثة قال { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ } {البقرة 173} وقال تعالى { وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } {الحج 78} وقال تعالى { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ } {المائدة 6} فلم يوجب مالا يستطاع ولم يحرم ما يضطر إليه إذا كانت الضرورة بغير معصية من العبد

قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما  
استطعتم 374

## الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب

\* الأعمال هي سبب في الثواب والعقاب فلو قال قائل إن الله أخرج آدم من الجنة بلا ذنب وأنه قدر ذلك أو قال إنه غفر لآدم بلا توبة وأنه علم ذلك كان هذا كذباً وبهتاناً بخلاف ما إذا قال {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} البقرة 37 {فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} طه 121 فإنه يكون صادقاً في ذلك والله سبحانه علم ما يكون من آدم قبل أن يكون وهو عالم به بعد أن كان وكذلك كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنه علم أنه أهلك نوح وعاد وثمود وفرعون ولوط ومدين وغيرهم بذنوبهم وأنه نجى الأنبياء ومن إتبعهم بإيمانهم وتقواهم كما قال {فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} الأعراف 165 وقال {فَكَأَلَّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} العنكبوت 40 الآية و قال { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ } الأنعام 146 375

<sup>374</sup> مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 389 و السياسة الشرعية ج: 1 ص: 136

## الحسنات سبب للتحليل دينا وكونا والسيئات سبب للتحريم دينا وكونا

\* أن الحسنات سبب للتحليل دينا وكونا والسيئات سبب للتحريم دينا وكونا فان التحريم قد يكون حمية وقد يكون عقوبة والاحلال قد يكون سعة وقد يكون عقوبة وفتنة قال تعالى { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } المائدة 93 الآية وهي بينة فى الاصلاح والتقوى والاحسان موجبة لرفع الحرج وان المؤمن العامل الصالحات المحسن لا حرج عليه ولا جناح فيما طعم فان فيه عوناً له وقوة على الايمان والعمل الصالح والاحسان ومن سواهم على الحرج والجناح لان النعم إنما خلقها الله ليستعان بها على الطاعة والآية مدنية وهي من آخر ما نزل من القرآن وقال تعالى عن إبراهيم { وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } البقرة 126 واما الطرف الآخر فقال تعالى وقال { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } الأنعام 146<sup>376</sup>

\* الايجاب والتحريم قد يكون نعمة وقد يكون عقوبة وقد يكون محنة فالأول كايجاب الايمان والمعروف وتحريم الكفر والمنكر وهو الذى أثبتته القائلون بالحسن والقبح العقليين والعقوبة كقوله { فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } النساء 160 وقوله { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } الأنعام 146 وقوله { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ

<sup>376</sup> مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 154



عَلَيْهِمْ { الأعراف 157 فسماها أصارا وأغلالا والأصار فى  
الايجاب والأغلال فى التحريم وقوبه { وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا  
كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لآ طَاقَةَ لَنَا بِهِ  
{ البقرة 286 ويشهد له قوله { وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن  
حَرَجٍ { الحج 78 وقوله { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ  
{ المائدة 6 فان هذا النفي العام ينفي كل ما يسمى حرجا والحرج  
الضيق فما أوجب الله ما يضيق ولا حرم ما يضيق وضده السعة  
والحرج مثل الغل وهو الذى لا يمكنه الخروج منه مع حاجته الى  
الخروج وأما المحنة فمثل قوله { إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ  
{ البقرة 249 الآية ثم ذلك قد يكون بانزال الخطاب وهذا لا  
يكون الا فى زمن الأنبياء وقد انقطع وقد يكون باظهار الخطاب  
لمن لم يكن سمعه ثم سمعه وقد يكون باعتقاد نزول الخطاب أو  
معناه وإن كان إعتقادا مخطئا لأن الحكم الظاهر تابع لاعتقاد  
المكلف فالتكليف الشرعى إما أن يكون باطنا وظاهرا مثل  
الذي تيقن أنه منزل من عند الله وإما أن يكون ظاهرا مثل الذي  
يعتقد أن حكم الله هو الايجاب أو التحريم إما اجتهادا وإما تقليدا  
وإما جهلا مركبا بأن نصب سبب يدل على ذلك ظاهرا دون ما  
يعارضه تكليف ظاهر إذ المجتهد المخطىء مصيب فى الظاهر  
لما أمر به وهو مطيع فى ذلك هذا من جهة الشرع وقد يكون من  
جهة الكون بأن يخلق سبحانه ما يقتضى وجود التحريم الثابت  
بالخطاب والوجوب الثابت بالخطاب كقوله { وَأَسْأَلُهُمِ عَنِ الْقَرْيَةِ  
الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ  
يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا  
يَفْسُقُونَ { الأعراف 163 فأخبر أنه بلاهم بفسقهم حيث أتى  
بالحيتان يوم التحريم ومنعها يوم الاباحة كما يؤتى المحرم  
المبتلى بالصيد يوم إحرامه ولا يؤتى به يوم حله أو يؤتى بمن

يعامله ربا ولا يؤتى بمن يعامله بيعا ومن ذلك مجيء الاباحة  
والاسقاط نعمة وهذا كثير كقوله {الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنْكُمْ} الأنفال66  
وقد تقدم نظائرها <sup>377</sup>

\*والمحرمات لا تكون سببا محضا للإكرام والإحسان بل هي  
سبب للعقوبات إذا لم يتقوا الله تبارك وتعالى كما قال تعالى  
{فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ  
{النساء160 وقال تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي  
ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ  
ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا  
لَصَادِقُونَ } الأنعام146 وكذلك ما ذكره تعالى في قصة البقرة  
من كثرة سؤالهم وتوقفهم عن امتثال أمره كان سببا لزيادة  
الايجاب ومنه قوله تعالى {لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ  
تَسْؤُكُمْ } المائدة101 وحديث النبي إن أعظم المسلمين في  
المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته  
ولما سأله عن الحج أفي كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجب  
ولو وجب لم تطيقوه ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم  
بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا نهيتهم عن شيء  
فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم <sup>378</sup>

## التحليل والتحریم لا يتعلق بإستطابة العرب ولا بإستخباتهم

\*من قال من العلماء أنه حرم على جميع المسلمين ما تستخبثه  
العرب وأحل لهم ما تستطيبه فجمهور العلماء على خلاف هذا

<sup>377</sup>مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 199

<sup>378</sup>مجموع الفتاوى ج: 32 ص: 88

القول كمالك وأبي حنيفة وأحمد وقدماء أصحابه ولكن الخرقى وطائفة منهم وافقوا الشافعى على هذا القول وأما أحمد نفسه فعامة نصوصه موافقة لقول جمهور العلماء وما كان عليه الصحابة والتابعون أن التحليل والتحرير لا يتعلق بإستطابة العرب ولا بإستخباتهم بل كانوا يستطيبون أشياء حرمها الله كالدوم والميتة والمنخقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وأكلة السبع وما أهل به لغير الله وكانوا بل خيارهم يكرهون أشياء لم يحرمها الله حتى لحم الضب كان النبي يكرهه وقال لم يكن بأرض قومي فأجدنى أعافه وقال مع هذا أنه ليس بمحرم وأكل على مائدته وهو ينظر وقال فيه لا آكله ولا أحرمه وقال جمهور العلماء الطيبات التى أحلها الله ما كان نافعا لآكلة فى دينه والخبيث ما كان ضارا له فى دينه وأصل الدين العدل الذى بعث الله الرسل بإقامته فما أورث الأكل بغيا وظلما حرمه كما حرم كل ذى ناب من السباع لأنها باغية عادية والغاذى شبيهه بالمغتذى فإذا تولد اللحم منها صار فى الإنسان خلق البغى والعدوان وكذلك الدم يجمع قوى النفس من الشهوة والغضب فإذا إغتذى منه زادت شهوته وغضبه على المعتدل ولهذا لم يحرم منه الا المسفوح بخلاف القليل فانه لا يضر ولحم الخنزير يورث عامة الأخلاق الخبيثة إذ كان أعظم الحيوان فى أكل كل شىء لا يعاف شيئا والله لم يحرم على أمة محمد شيئا من الطيبات وإنما حرم ذلك على أهل الكتاب كما قال تعالى { فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ } النساء 160 وقال تعالى { وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } الأنعام 146 وأما المسلمون فلم يحرم عليهم الا الخبائث كالدوم المسفوح فاما غير المسفوح كالذى يكون فى العروق فلم يحرمه بل ذكرت عائشة أنهم كانوا يضعون اللحم فى القدر فيرون آثار الدم فى القدر ولهذا عفى جمهور الفقهاء عن الدم اليسير فى

البدن والثياب إذا كان غير مسفوح وإذا عفى عنه في الأكل ففي  
اللباس والحمل أولى أن يعفى عنه <sup>379</sup>

## الاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة

\* هذا مقام يكثر فيه خوض النفوس فإن كثيرا من الناس إذا أمر بما يجب عليه تعلل بالقدرة وقال حتى يقدر الله لي ذلك أو يقدرني الله على ذلك أو حتى يقضي الله ذلك وكذلك إذا نهى عن فعل ما حرم الله قال الله قضي علي بذلك أي حيلة لي في هذا ونحو هذا الكلام

والاحتجاج بالقدر حجة باطلة داحضة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين والمحتج به لا يقبل من غيره مثل هذه الحجة إذا احتج بها في ظلم ظلمه إياه أو ترك ما يجب عليه من حقوقه بل يطلب منه ما له عليه ويعاقبه على عدوانه عليه وإنما هو من جنس شبهة السوفسطائية التي تعرض في العلوم فكما أنك تعلم فسادها بالضرورة وإن كانت تعرض كثيرا لكثير من الناس حتى قد يشك في وجود نفسه وغير ذلك من المعارف الضرورية فكذلك هذا يعرض في الأعمال حتى يظن أنها شبهة في إسقاط الصدق والعدل الواجب وغير ذلك وإباحة الكذب والظلم وغير ذلك ولكن تعلم القلوب بالضرورة ان هذه شبهة باطلة ولهذا لا يقبلها أحد من أحد عند التحقيق ولا يحتج بها أحد إلا مع عدم علمه بالحجة بما فعله فإذا كان معه علم بأن ما فعله هو المصلحة وهو المأمور به وهو الذي ينبغي فعله لم يحتج بالقدر وكذلك إذا كان معه علم بأن الذي لم يفعله ليس عليه أن يفعله أو ليس بمصلحة أو ليس هو مأمورا به لم يحتج بالقدر بل إذا كان متبعا لهواه بغير علم احتج بالقدر ولهذا لما قال المشركون { **لَوْ شَاءَ**

**اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ { الأنعام 148 } قال**  
**الله تعالى { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا**  
**الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ {148} قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ**  
**شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ {149} الأنعام 148-149 } فإن هؤلاء**  
المشركين يعلمون بفطرتهم وعقولهم أن هذه الحجة داحضة باطلّة فإن أحدهم لو ظلم الآخر في ماله أو فجر بامرأته أو قتل ولده أو كان مصرا على الظلم فنهاه الناس عن ذلك فقال لو شاء الله لم أفعل هذا لم يقبلوا منه هذه الحجة ولا هو يقبلها من غيره وإنما يحتج بها المحتج دفعا للوم بلا وجه فقال الله لهم هل عندكم من علم فتخرجوه لنا بأن هذا الشرك والتحریم من أمر الله وأنه مصلحة ينبغي فعله إن تتبعون إلا الظن فإنه لا علم عندكم بذلك إن تظنون ذلك إلا ظنا وإن أنتم إلا تخرصون تحرزون وتفترون فعمدتمكم في نفس الأمر ظنكم وخرصكم ليس عمدتكم في نفس الأمر كون الله شاء ذلك وقدره فإن مجرد المشيئة والقدر لا يكون عمدة لأحد في الفعل ولا حجة لأحد على أحد ولا عذرا لأحد إذ الناس كلهم مشتركون في القدر فلو كان هذا حجة وعمدة لم يحصل فرق بين العادل والظالم والصادق والكاذب والعالم والجاهل والبر والفاجر ولم يكن فرق بين ما يصلح الناس من الأعمال وما يفسدهم وما ينفعهم وما يضرهم وهؤلاء المشركون المحتجون بالقدر على ترك ما أرسل الله به رسله من توحيده والايمان به لو احتج به بعضهم على بعض في إسقاط حقوقه ومخالفة أمره لم يقبله منه بل كان هؤلاء المشركون يذم بعضهم بعضا ويعادي بعضهم بعضا ويقاتل بعضهم بعضا على فعل ما يرونه تركا لحقهم أو ظلما فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى حق الله على عباده وطاعة امره احتجوا بالقدر فصاروا يحتجون بالقدر على ترك حق ربهم ومخالفة أمره بما لا يقبلونه ممن ترك حقهم وخالف أمرهم وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده حقه

على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك حقهم عليه أن لا يعذبهم فالاحتجاج بالقدر حال أهل الجاهلية الذين لا علم عندهم بما يفعلون ويتركون إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون وهم إنما يحتجون به في ترك حق ربهم ومخالفة أمره لا في ترك ما يرونه حقاً لهم ولا في مخالفة أمرهم ولهذا تجد كثيراً من المحتجين به والمستندين إليه من النساك والصوفية والفقراء والعامّة والجند والفقهاء وغيرهم يفرون إليه عند اتباع الظن وما تهوى الأنفس فلو كان معهم علم وهدى لم يحتجوا بالقدر أصلاً بل يعتمدون عليه لعدم الهدى والعلم وهذا أصل شريف من اعتنى به علم منشأ الضلال والغي لكثير من الناس ولهذا تجد المشايخ والصالحين المتبعين للأمر والنهي كثيراً ما يوصون أتباعهم باتباع العلم والشرع لأنه كثيراً ما يعرض لهم إرادات في أشياء ومحبة لها فيتبعون فيها أهواءهم ظانين أنها دين الله وليس معهم إلا الظن والذوق والوجد الذي يرجع إلى محبة النفس وإرادتها فيحتجون تارة بالقدر وتارة بالظن والخرص وهم متبعون أهواءهم في الحقيقة فإذا اتبعوا العلم وهو ما جاء به الشارع صلى الله عليه وسلم خرجوا عن الظن وما تهوى الأنفس واتبعوا ما ما جاءهم من ربهم وهو الهدى كما قال تعالى ﴿ فَاِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَنسَى ﴾ طه 123 وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى عن المشركين في سورة الأنعام والنحل والزخرف كما قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ الزخرف 20 فبين أنه لا علم لهم بذلك إن هم إلا يخرصون

وقال في سورة الأنعام **{ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ { الأنعام 149 } أي** بإرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى **{ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً { النساء 165 } ثم أثبت القدر بقوله { فلو شاء لهداكم أجمعين { الأنعام 149 } فأثبت الحجة الشرعية وبين المشيئة القدرية وكلاهما حق وقال في**

النحل { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } النحل 35

بين سبحانه أن هذا الكلام تكذيب للرسول فيما جاؤوهم به ليس حجة لهم فإن هذا لو كان حجة لاحتج به على تكذيب كل صدق وفعل كل ظلم ففي فطرة بني آدم أنه ليس حجة صحيحة بل من احتج به احتج لعدم العلم واتباع الظن كفعل الذين كذبوا الرسول بهذه المدافعة بل الحجة البالغة لله بإرسال الرسول وإنزال الكتب كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فبين أنه سبحانه يحب أن يمدح وأن يعذر ويبيغض الفواحش فيحب أن يمدح بالعدل والإحسان وأن لا يوصف بالظلم ومن المعلوم أنه من تقدم إلى أتباعه بأن افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا وبين لهم وأزاح علتهم ثم تعدوا حدوده وأفسدوا أموره كان له أن يعذبهم وينتقم منهم فإذا قالوا أليس الله قدر علينا هذا لو شاء الله ما فعلنا هذا قيل لهم أنتم لا حجة لكم ولا عندكم ما تعتذرون به يبين أن ما فعلتموه كان حسنا أو كنتم معذورين فيه فهذا الكلام غير مقبول منكم وقد قامت الحجة عليكم بما تقدم من البيان والإعذار ولو أن ولي الأمر أعطى قوما ما لا ليوصلوه إلى بلد آخر فسافروا به وتركوه في البرية ليس عنده أحد وباتوا في مكان بعيد منه وكان ولي الأمر قد أرسل جندا له يغزون بعض الأعداء فاجتازوا تلك الطريق فرأوا ذلك المال فظنوه لقطة ليس له أحد فأخذوه وذهبوا لكان يحسن منه أن يعاقب الأولين على تفریطهم وتضييعهم حفظ ما أمرهم بحفظه ولو قالوا له أنت لم تعلمنا أنك تبعث خلفنا جندا حتى نحترز المال منهم قال لهم هذا لا يجب علي ولو فعلته لكان زيادة إعانة لكم لكن كان عليكم أن تحفظوا ذلك كما تحفظ الودائع والأمانات وكانت حجته عليهم قائمة ولم يكن إن عاقبهم ظالما وإن كان لم يعنهم بالإعلام بذلك

الجند لكن عمل المصلحة في إرسال الأولين والآخرين والله تعالى وله المثل الأعلى حكيم عدل في كل ما يفعله ولا يخرج شيء عن مشيئته وقدرته فإذا أمر الناس بحفظ الحدود وإقامة الفرائض لمصلحتهم كان ذلك من إحسانه إليهم وتعريفهم ما ينفعهم وإذا خلق أمورا أخرى فإذا فرطوا واعتدوا بسبب خلقه لأموار أخرى أوجبت الضرر الحاصل من تفريطهم وعدوانهم وكان له في خلق المخلوق الثاني حكمة ومصلحة أخرى كان عادلا حكيما في خلق هذا وخلق هذا والأمر بهذا والأمر بهذا وإن كان لم يمد الأولين بزيادة يحترسون بها من التفريط والعدوان لا سيما مع علمه بأن تلك الزيادة لو خلقها للزم منها تفويت مصلحة أرجح منها فإن الضدين لا يجتمعان والمقصود هنا أنه لا يحتج أحد بالقدر إلا حجة تعليل لعدم اتباع الحق الذي بينه العلم فإن الإنسان حي حساس متحرك بالإرادة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أصدق الأسماء الحارث وهمام فالحارث الكاسب العامل والهمام الكثير الهم والهم مبدأ الإرادة والقصد فكل إنسان حارث همام وهو المتحرك بالإرادة وذلك لا يكون إلا بعد الحس والشعور فإن الإرادة مسبوقة بالشعور بالمراد فلا يتصور إرادة ولا حب ولا شوق ولا اختيار ولا طلب إلا بعد الشعور وما هو من جنسه كالحس والعلم والسمع والبصر والشم والذوق واللمس ونحو هذه الأمور فهذا الإدراك والشعور هو مقدمة الإرادة والحب والطلب والحي مفطور على حب ما يلائمه وينفعه وبغض ما يكرهه ويضره فإذا تصور الشيء الملائم النافع أراده وأحبه وإذا تصور الشيء الضار أبغضه ونفر عنه لكن ذلك التصور قد يكون علما وقد يكون ظنا وخرصا فإذا كان عالما بأن مراده هو النافع وهو المصلحة وهو الذي يلائمه كان على الهدى والحق وإذا لم يكن معه علم بذلك كان متبعا للظن وما تهوى نفسه فإذا جاءه العلم والبيان بأن هذا ليس مصلحة أخذ يحتج بالقدر حجة لدد وتعريج عن الحق لا



حجة اعتماد على الحق والعلم فلا يحتج أحد في باطنه أو ظاهره  
بالقدر إلا لعدم العلم بأن ما هو عليه هو الحق<sup>380</sup>

\*وليس في القدر حجة لابن آدم ولا عذر بل القدر يؤمن به ولا  
يحتج به والمحتج بالقدر فاسد العقل والدين متناقض فإن القدر ان  
كان حجة وعذرا لزم أن لا يلام أحد ولا يعاقب ولا يقتص منه  
وحينئذ فهذا المحتج بالقدر يلزمه اذا ظلم في نفسه وماله وعرضه  
وحرمته أن لا ينتصر من الظالم ولا يغضب عليه ولا يذمه وهذا  
أمر ممتنع في الطبيعة لا يمكن أحد أن يفعله فهو ممتنع طبعاً  
محرم شرعاً ولو كان القدر حجة وعذرا لم يكن ابليس ملوماً  
ولا معاقباً ولا فرعون وقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الكفار  
ولا كان جهاد الكفار جائزاً ولا إقامة الحدود جائزاً ولا قطع  
السارق ولا جلد الزاني ولا رجمه ولا قتل القاتل ولا عقوبة معتد  
بوجه من الوجوه ولما كان الإحتجاج بالقدر باطلاً في فطر  
الخلق وعقولهم لم تذهب اليه أمة من الأمم ولا هو مذهب أحد من  
العقلاء الذين يطردون قولهم فإنه لا يستقيم عليه مصلحة أحد لا  
في دنياه ولا آخرته ولا يمكن اثتان أن يتعاشرا ساعة واحدة إن لم  
يكن أحدهما ملتزماً مع الآخر نوعاً من الشرع فالشرع نور الله  
في أرضه وعدله بين عباده لكن الشرائع تتنوع فتارة تكون  
منزلة من عند الله كما جاءت به الرسل وتارة لا تكون كذلك ثم  
المنزلة تارة تبدل وتغير كما غير أهل الكتاب شرائعهم وتارة لا  
تغير ولا تبدل وتارة يدخل النسخ في بعضها وتارة لا يدخل  
وأما القدر فإنه لا يحتج به أحد إلا عند اتباع هواه فاذا فعل فعلاً  
محرمًا بمجرد هواه وذوقه ووجدته من غير أن يكون له علم  
بحسن الفعل ومصلحته استند الى القدر كما قال المشركون {لَوْ  
شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} {الأنعام 148}

<sup>380</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 54-64 والاستقامة ج: 2 ص: 30

قال الله تعالى رادا عليهم { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ  
دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا  
الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } {148} قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ  
شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } {149} الأنعام 148-149 فبين أنهم ليس  
عندهم علم بما كانوا عليه من الدين وانما يتبعون الظن  
والقوم لم يكونوا ممن يسوغ لكل أحد الإحتجاج بالقدر فانه لو  
خرب أحد الكعبة أو شتم ابراهيم الخليل أو طعن فى دينهم لعادوه  
وأدوه كيف وقد عادوا النبى صلى الله عليه وسلم على ما جاء به  
من الدين وما فعله هو أيضا من المقدور فلو كان الاحتجاج  
بالقدر حجة لكان النبى وأصحابه فان كان كل ما يحدث فى  
الوجود فهو مقدر فالمحق والمبطل يشتركان فى الاحتجاج بالقدر  
إن كان الاحتجاج به صحيحا ولكن كانوا يتعمدون على ما  
يعتقدونه من جنس دينهم وهم فى ذلك يتبعون الظن ليس لهم به  
علم بل هم يخرصون<sup>381</sup>

\* قسم من الناس يشهدون ربوبية الحق وافتقارهم اليه  
ويستعينون به لكن على اهوائهم وادواقهم غير ناظرين الى حقيقة  
امره ونهيه ورضاه وغضبه ومحبته وهذا حال كثير من المتفكرة  
والمتصوفة ولهذا كثيرا ما يعملون على الاحوال التى يتصرفون  
بها فى الوجود ولا يقصدون ما يرضى الرب ويحبه وكثيرا ما  
يغلطون فيظنون ان معصيته هي مرضاته فيعودون الى تعطيل  
الامر والنهي ويسمون هذا حقيقة ويظنون ان هذه الحقيقة القدرية  
يجب الاسترسال معها دون مراعاة الحقيقة الأمرية الدينية التى  
هي تحوى مرضاة الرب ومحبته وامره ونهيه ظاهرا وباطنا  
وهؤلاء كثيرا ما يسلبون احوالهم وقد يعودون الى نوع من  
المعاصي والفسوق بل كثير منهم يرتد عن الاسلام لان العقابة  
للتقوى ومن لم يقف عند امر الله ونهيه فليس من المتقين فهم

<sup>381</sup>مجموع الفتاوى ج: 2 ص: 324

يقعون في بعض ما وقع المشركون فيه تارة بدعة يظنونها شرعة وتارة في الاحتجاج بالقدر على الامر والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركين في سورة الانعام والاعراف ذكر ما ابتدعه من الدين وجعلوه شرعه كما قال تعالى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا فُلَّ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 28 وقد ذمهم على ان حرموا مالم يحرمه الله وان شرعوا مالم يشرعه الله وذكر احتجاجهم بالقدر في قوله تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 ونظيرها في النحل ويس والزخرف وهؤلاء يكون فيهم شبهة من هذا وهذا 382

## اصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله

\*واما المؤمنون بالله ورسوله عوامهم وخواصهم الذين هم اهل الكتاب كما قال النبي ان لله اهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله قال اهل القرآن هم اهل الله وخاصته فهؤلاء يعلمون ان الله رب كل شيء ومليكه وخالقه وان الخالق سبحانه مبين للمخلوق ليس هو حالا فيه ولا متحدا به ولا وجوده وجوده و النصراري كفرهم بأن قالوا بالحلول والاتحاد بالمسيح خاصة فكيف من جعل ذلك عاما في كل مخلوق ويعلمون مع ذلك ان الله امر بطاعته وطاعة رسوله ونهى عن معصيته ومعصية رسوله وانه لا يحب الفساد ولا يرضي لعباده الكفر

<sup>382</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 33-34 و أمراض القلوب ج: 1 ص: 51

و التحفة العراقية ج: 1 ص: 51

وان على الخلق ان يعبدوه فيطيعوا امره ويستعينوا به على ذلك كما قال {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5 ومن عبادته وطاعته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الامكان والجهاد فى سبيله لاهل الكفر والنفاق فيجتهدون فى اقامة دينه مستعنيين به دافعين مزيلين بذلك ما قدر من السيئات دافعين بذلك ما قد يخاف من ذلك كما يزيل الانسان الجوع الحاضر بالاكل ويدفع به الجوع المستقبل وكذلك اذا آن اوان البرد دفعه باللباس وكذلك كل مطلوب يدفع به مكروه كما قالوا للنبي يا رسول الله ارأيت ادوية نتداوى بها ورقى نسترقى بها وتقاة نتقى بها هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله وفى الحديث ان الدعاء والبلاء ليتقيا فيعتلجان بين السماء والارض فهذا حال المؤمنين بالله ورسوله العابدين لله وكل ذلك من العبادة وهؤلاء الذين يشهدون الحقيقة الكونية وهي ربوبيته تعالى لكل شيء ويجعلون ذلك مانعا من اتباع امره الدينى الشرعي على مراتب فى الضلال فغلاتهم يجعلون ذلك مطلقا عاما فيحتجون بالقدر فى كل ما يخالفون فيه الشيعة وقول هؤلاء شر من قول اليهود والنصارى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} {الأنعام 148} وقالوا {لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} {الزخرف 20} وهؤلاء من اعظم اهل الارض تناقضا بل كل من احتج بالقدر فانه متناقض فانه لا يمكن ان يقر كل آدمى على ما فعل فلا بد اذا ظلمه ظالم او ظلم الناس ظالم وسعى فى الارض بالفساد واخذ يسفك دماء الناس ويستحل الفروج ويهلك الحرث والنسل ونحو ذلك من انواع الضرر التى لا قوام للناس بها ان يدفع هذا القدر وان يعاقب الظالم بما يكف عدوان امثاله يقال له ان كان القدر حجة فدع كل احد يفعل ما يشاء بك وبغيرك وان لم يكن حجة بطل اصل قولك حجة واصحاب هذا القول الذين يحتجون بالحقيقة الكونية لا يطردون هذا القول ولا يلتزمونه وانما هم بحسب آرائهم واهوائهم كما قال فيهم بعض

العلماء انت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى اى مذهب وافق هواك تمذهبت به ومنهم صنف يدعون التحقيق والمعرفة فيزعمون ان الامر والنهى لازم لمن شهد لنفسه فعلاً واثبت له صنعا اما من شهدا أن افعالة مخلوقة او انة مجبور على ذلك وان اللة هو المتصرف فية كما تحرك سائر المتحركات فانة يرتفع عنة الامر والنهى والوعد والوعيد وقد يقولون من شهد الارادة سقط عنة التكليف ويزعم ادهم ان الخضر سقط عنة التكليف لشهودة الارادة فهؤلاء لا يفرق بين العامة والخاصة الذين شهدوا الحقيقة الكونية فشهدوا ان الله خالق أفعال العباد وانه يدبر جميع الكائنات وقد يفرقون بين من يعلم ذلك علما وبين من يراة شهودا فلا يسقطون التكليف عن من يؤمن بذلك ويعلمة فقط ولكن عن يشهدة فلا يرى لنفسه فعلاً أصلاً وهؤلاء لا يجعلون الجبر وإثبات القدر مانعا من التكليف على هذا الوجه وقد وقع فى هذا طوائف من المنتسبين الى التحقيق والمعرفة والتوحيد وسبب ذلك أنه ضاق نطاقهم عن كون العبد يؤمر بما يقدر عليه خلافة كما ضاق نطاق المعتزلة ونحوهم من القدرية عن ذلك ثم المعتزلة اثبتت الامر والنهى الشرعيين دون القضاء والقدر الذى هو إرادة اللة العامة وخلقة لأفعال العباد وهؤلاء اثبتوا القضاء والقدر ونفوا الأمر والنهى فى حق من شهد القدر إذا لم يمكنهم نفي ذلك مطلقا وقول هؤلاء شر من قولة المعتزلة ولهذا لم يكن فى السلف من هؤلاء احد وهؤلاء يجعلون الامر والنهى للمحبوبين الذين لم يشهدوا هذه الحقيقة الكونية ولهذا يجعلون من وصل الى شهود هذه الحقيقة يسقط عنة الامر والنهى وصار من الخاصة وربما تأولوا على ذلك قولة تعالى {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}

{ الحجر 99 } وجعلوا اليقين هو معرفة هذه الحقيقة وقول هؤلاء كفر صريح وان وقع فيه طوائف لم يعلموا انه كفر فانه قد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان الأمر والنهى لازم لكل عبد ما دام عقله حاضرا الى ان يموت لا يسقط عنه الامر والنهى لا

بشهوده القدر ولا بغير ذلك فمن لم يعرف ذلك عرفه وبين له فإن  
 اصر على اعتقاد سقوط الأمر والنهي فانه يقتل وقد كثرت  
 مثل هذه المقالات فى المستأخرين واما المستقدمون من هذه  
 الأمة فلم تكن هذه المقالات معروفة فيهم وهذه المقالات هي  
 محادة لله ورسوله ومعادة له وصد عن سبيله ومشاقة له وتكذيب  
 لرسله ومضادة له في حكمه وان كان من يقول هذه المقالات قد  
 جهل ذلك ويعتقد ان هذا الذي هو عليه هو طريق الرسول  
 وطريق اولياء الله المحققين فهو فى ذلك بمنزلة من يعتقد ان  
 الصلاة لا تجب عليه لاستغنائه عنها بما حصل له من الأحوال  
 القلبية او ان الخمر حلال له لكونه من الخواص الذين لا يضرهم  
 شرب الخمر او ان الفاحشة حلال له لأنه صار كالبحر لا تكدره  
 الذنوب ونحو ذلك ولا ريب ان المشركين الذين كذبوا الرسل  
 يترددون بين البدعة المخالفة لشرع الله وبين الاحتجاج بالقدر  
 على مخالفة امر الله فهؤلاء الأصناف فيهم شبه من المشركين اما  
 ان يبتدعوا واما ان يحتجوا بالقدر واما ان يجمعوا بين الأمرين  
 كما قال تعالى عن المشركين {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا  
 عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْتُمْ  
 عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } الأعراف 28 وكما قال تعالى عنهم  
 {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ  
 وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ } النحل 35 وقد ذكر  
 عن المشركين ما ابتدعوه من الدين الذي فيه تحليل الحرام  
 والعبادة التي لم يشرعها الله بمثل قوله تعالى وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ  
 وَحَرْتُ جَبْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزْغَمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ  
 ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ  
 { الأنعام 138 الى آخر السورة وكذلك فى سورة الاعراف فى  
 قوله { يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ  
 { الأعراف 27 الى قوله { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا  
 آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ } الأعراف 28  
 الى قوله { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ

{الأعراف 29 الى قوله {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} {31} قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ {32} {الأعراف 31-32 الى قوله {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} {الأعراف 33} وهو لاء قد يسمون ما احدثوه من البدع حقيقة كما يسمون ما يشهدون من القدر حقيقة وطريق الحقيقة عندهم هو السلوك الذي لا يتقيد صاحبه بامر الشارع ونهيه ولكن بما يراه ويذوقه ويجده ونحو ذلك وهو لاء لا يحتجون بالقدر مطلقا بل عمدتهم اتباع آرائهم واهوائهم وجعلهم لما يرونه ويهوونه حقيقة وامرهم باتباعها دون اتباع امر الله ورسوله نظير بدع اهل الكلام من الجهمية وغيرهم الذين يجعلون ما ابتدعوه من الاقوال المخالفة للكتاب والسنة حقائق عقلية يجب اعتقادها دون ما دلت عليه السمعيات ثم الكتاب والسنة اما ان يحرفوه عن مواضعه واما ان يعرضوا عنه بالكلية فلا يتدبرونه ولا يعقلونه بل يقولون نفوض معناه الى الله مع اعتقادهم نقيض مدلوله واذا حقق على هؤلاء ما يزعمون من العقليات المخالفة للكتاب والسنة وجدت جهليات واعتقادات فاسدة وكذلك اولئك اذا حقق عليهم ما يزعمون من حقائق اولياء الله المخالفة للكتاب والسنة وجدت من الالهواء التي يتبعها اعداء الله لا اوليائه واصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزل من عند الله واختياره الهوى على اتباع امر الله فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد فكل محب له ذوق ووجد بحسب محبته فأهل الايمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه الا الله ومن كان يكره ان يرجع في الكفر بعد اذا انقذه الله منه كما يكره ان يلقي في النار وقال في الحديث الصحيح ذاق طعم الايمان من

رضى بالله ربا وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً وأما أهل الكفر  
والبدع والشهوات فكل بحسبه قيل لسفيان بن عيينة ما بال أهل  
الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم فقال أنسيت قوله تعالى  
{ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ } البقرة 93 أو نحو هذا  
من الكلام فعباد الاصنام يحبون ألهتهم كما قال تعالى { وَمِنَ  
النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 وقال { فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا  
يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ  
} القصص 50 وقال { إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ  
جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى } النجم 23 ولهذا يميل هؤلاء الى سماع  
الشعر والأصوات التي تهيج المحبة المطلقة التي لا تختص بأهل  
الايمان بل يشترك فيها محب الرحمن ومحب الاوثان ومحب  
الصلبان ومحب الاوطان ومحب الاخوان ومحب المردان  
ومحب النسوان وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من  
غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة  
فالمخالف لما بعث به رسوله من عبادته وطاعته وطاعة رسوله  
لا يكون متبعاً لدين شرعه الله كما قال تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى  
شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } 18  
{ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً } 19 { الجاثية 18-19 الى قوله {  
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } الجاثية 19 بل يكون متبعاً لهواه بغير هدى  
من الله قال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ  
يَأْذَن بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 وهم فى ذلك تارة يكونون على بدعة  
يسمونها حقيقة يقدمونها على ما شرعه الله وتارة يحتجون بالقدر  
الكونى على الشريعة كما أخبر الله به عن المشركين كما تقدم  
ومن هؤلاء طائفة هم اعلاهم قدرا وهم مستمسكون بالدين فى  
اداء الفرائض المشهوره واجتناب المحرمات المشهوره لكن  
يغلطون فى ترك ما امروا به من الاسباب التي هي عبادة ظانين  
ان العارف اذا شهد القدر اعرض عن ذلك مثل من يجعل  
التوكل منهم او الدعاء ونحو ذلك من مقامات العامة دون



الخاصة بناء على ان من شهد القدر علم ان ما قدر سيكون فلا حاجة الى ذلك وهذا غلط عظيم فان الله قدر الاشياء باسبابها كما قدر السعادة والشقاوة باسبابها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق للجنة اهلا خلقها لهم وهم في اصلاب آبائهم ويعمل اهل الجنة يعملون وكما قال النبي لما أخبرهم بان الله كتب المقادير فقالوا يا رسول الله افلا ندع العمل ونتكل على الكتاب فقال لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل اهل الشقاوة فما امر الله به عباده من الأسباب فهو عبادة والتوكل مقرون بالعبادة كما في قوله تعالى { فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ } { هود 123 } وفي قوله { قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٍ } { الرعد 30 } وقول شعيب عليه السلام { عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ } { هود 88 } ومنهم طائفة قد تترك المستحبات من الاعمال دون الواجبات فتتقص بقدر ذلك ومنهم طائفة يفترون بما يحصل لهم من خرق عادة مثل مكاشفة او استجابة دعوة مخالفة للعادة العامة ونحو ذلك فيشتغل احدهم عما امر به من العبادة والشكر ونحو ذلك فهذه الأمور ونحوها كثيرا ما تعرض لاهل السلوك والتوجه وانما ينجو العبد منها بملازمة امر الله الذي بعث به رسوله في كل وقت كما قال الزهري كان من مضى من سلفنا يقولون الاعتصام بالسنة نجاة وذلك ان السنة كما قال مالك رحمه الله مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق<sup>383</sup>

\* والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره وهو الشقاء ومعلوم أن الحي العالم لا

<sup>383</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 163-172

يختار أن يحب ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع هواه بغير علم وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية<sup>384</sup>

\* أن كون الرب خالقا لفعل العبد ينافي كون فعله منقسما إلى حسن و قبيح و هذه المقدمة إشتراكوا فيها جدلا من غير أن تكون حقا في نفسها أو عليها حجة مستقيمة وهي إحدى المقدمتين التي يعتمدها الرازي في مسألة التحسين و التقبيح فإنه إعتقد في محصله و غيره على أن العبد مجبور على فعله و المجبور لا يكون فعله قبيحا فلا يكون شيء من أفعال العباد قبيحا و هذه الحجة بنفي ذلك أصلها حجة المشركين المكذبين للرسول الذين قالوا {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} الأنعام 148 فإنهم نفوا قبح الشرك و تحريم ما لم يحرمه الله من الطيبات بإثبات القدر لكن هؤلاء الذين يحتجون بالجبر على نفي الأحكام إذا أقروا بالشرع لم يكونوا مثل المشركين من كل وجه و لهذا لم يكن المتكلمون المقرون بالشرعية كالمشركين و إن كان فيهم جزء من باطل المشركين<sup>385</sup>

---

<sup>384</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 16

<sup>385</sup>مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 246

## الأفعال منقسمة إلى حسن وسيء مع كونه تعالى خالق الصنفين

\*أنه قد كان ألهم الفجور و التقوى و هو خالق فعل العبد فلا بد أن يعلم ما خلقه قبل أن يخلقه كما قال {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} الملك 14 لأن الفاعل المختار يريد ما يفعله و الإرادة مستلزمة لتصور المراد وذلك هو العلم بالمراد المفعول و إذا كان خلقه للشيء مستلزما لعلمه به فذلك أصل القدر السابق و ما علمه الله سبحانه بقوله و بكتبه فلا نزاع فيه و هذا بين في جميع الأشياء في هذا و غيره فإنه سبحانه إذا ألهم الفجور و التقوى فالملهم أن لم يميز بين الفجور و التقوى و يعلم أن هذا الفعل الذي يريد أن يفعله هذا فجور و الذي يريد أن يفعله هذا تقوى لم يصح منه إلهام الفجور و التقوى فظهر بهذا حسن ما ذكره النبي صلى الله عليه و سلم من تصديق الآية لما أخبر به النبي صلى الله عليه و سلم من القدر السابق و قوله سبحانه {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} كما يدل على القدر فيدل على الشرع فإنه لو قال فألهما أفعالها كما يقول الناس خالق أفعال العباد لم يكن في ذلك تمييز بين الخير والشر والمحبوب والمكروه والمأمور به و المنهي عنه بل كان فيه حجة للمشركين من المباحية و الجبرية الذين يدفعون الأمر والنهي والحسن والقبح فإنه خلق أفعال العباد فلما قال {فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} الشمس 8 كان الكلام تفريقا بين الحسن المأمور به والقبيح المنهي عنه و أن الأفعال منقسمة إلى حسن وسيء مع كونه تعالى خالق الصنفين وهذه طريقة القرآن في غير موضع يذكر المؤمن و الكافر وأفعالهما الحسنة والسيئة ووعده و وعيده و يذكر أنه خالق الصنفين كقوله {يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} النحل 93 ونحو ذلك وهذا الأصل ضلت فيه الجبرية و القدرية فإن القدرية المجوسية قالوا إن الأفعال تنقسم إلى حسن و قبيح لصفات قائمة بها و العبد هو المحدث لها بدون قدرة الله و بدون خلقه فقالت الجبرية بل

العبد مجبور على فعله والجبر حق يوجب وجود أفعاله عند وجود الأسباب التي يخلقها الله وإمتناع وجودها عند عدم شيء من الأسباب و إذا كان مجبوراً يمتنع أن يكون الفعل حسناً أو قبيحاً لمعنى يقوم به وهذه طريقة أبي عبدالله الرازي و نحوه من الجبرية النافين لإنقسام الفعل فى نفسه إلى حسن و قبيح و الأولى طريقة أبى الحسين البصري و نحوه من القدرية القائلين بأن فعل العبد لم يحدثه إلا هو و العلم بذلك ضروري أو نظري و أن الفعل ينقسم فى نفسه إلى حسن و قبيح و العلم بذلك ضروري و أبو الحسين إمام المتأخرين من المعتزلة وله من العقل و الفضل ما ليس لأكثر نظرائه لكن هو قليل المعرفة بالسنن و معانى القرآن و طريقة السلف وهو و أبو عبدالله الرازي فى هذا الباب فى طرفي نقيض و مع كل منهما من الحق ما ليس مع الآخر فأبو الحسين يدعى أن العلم بأن العبد يحدث فعله ضروري و الرازي يدعى أن العلم بأن إفتقار الفعل المحدث الممكن إلى مرجح يجب وجوده عنده و يمتنع عند عدمه ضروري كذلك بل كلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضرورى ثم يعتقد كل فريق أن هذا العلم الضرورى يبطل ما ادعاه الآخر من الضرورة و ليس الأمر كذلك بل كلاهما صادق فيما ذكره من العلم الضرورى و مصيب فى ذلك و إنما وقع غلطه فى إنكاره ما مع الآخر من الحق فإنه لا منافاة بين كون العبد محدثاً لفعله و كون هذا الإحداث ممكن الوجود بمشيئة الله تعالى و لهذا كان مذهب أهل السنة المحضة أن العبد فاعل لفعله حقيقة كما ادعاه أبو الحسين من الضرورة لا يقولون ليس بفاعل حقيقة أو ليس بفاعل كما يقوله المائلون إلى الجبر مثل طائفة أبى عبدالله الرازي يقولون مع ذلك إن الله هو الخالق لهذا الفاعل و لفعله و هو الذى جعله فاعلاً حقيقة و هو خالق أفعال العباد كما يقوله أهل الإثبات من الأشعرية طائفة الرازي و غيرهم لا كما يقوله القدرية مثل أبى الحسين و طائفته إن الله لم يخلق أفعال العباد و لهذا نص الأئمة كالإمام أحمد و من قبله من الأئمة

كالأوزاعي و غيره على إنكار إطلاق القول بالجبر نفيًا وإثباتًا فلا يقال ان الله جبر العباد ولا يقال لم يجبرهم فإن لفظ الجبر فيه إشتراك وإجمال فإذا قيل جبرهم أشعر بأن الله يجبرهم على فعل الخير و الشر بغير إختيارهم و إذا قيل لم يجبرهم أشعر بأنهم يفعلون ما يشاؤون بغير إختياره و كلاهما خطأ و قد بسطنا القول في هذا في غير هذا الموضوع و المقصود هنا أن هذين الفريقين إعتقدوا تنافى القدر و الشرع كما إعتقد ذلك المجوس و المشركون فقالوا إذا كان خالقا للفعل إمتنع أن يكون الفعل في نفسه حسنا له ثواب أو قبيحا عليه عقاب ثم قالت القدرية لكن الفعل منقسم فليس خالقا للفعل و قالت الجبرية لكنه خالق فليس الفعل منقسما ولكن الجبرية المقرون بالرسل يقرون بالإنقسام من جهة أمر الشارع و نهيه فقط و يقولون له أن يأمر بما شاء لا لمعنى فيه و ينهي عما يشاء لا لأجل معنى فيه و يقولون في خلقه و في أمره جميعا يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد و أما من غلب عليه رأي أو هوى فإنه ينحل عن ربة الشارع إذا عاين الجبر و يقولون ما يقوله المشركون { **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا** **مِنْ شَيْءٍ { الأنعام 148** } ومن أقر بالشرع والأمر والنهي والحسن والقبح دون القدر وخلق الأفعال كما عليه المعتزلة فهو من القدرية المجوسية الذين شابها المجوس و للمعتزلة من مشابهة المجوس واليهود نصيب وافر ومن أقر بالقضاء والقدر وخلق الأفعال وعموم الربوبية وأنكر المعروف والمنكر والهدى والضلال والحسنات والسيئات ففيه شبه من المشركين و الصابئة

386

\* قال تعالى { **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** } ص 28 وقال تعالى

{ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ } القلم 35 وقال تعالى { أُمَّ  
حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } الجاثية 21  
وقال تعالى { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ  
{ المؤمنون 115 وقال تعالى { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى  
{ القيامة 36 أى مهملا لا يؤمر ولا ينهى ومن لم يفرق بين  
أولياء الله وأعدائه وبين ما أمر به وأوجهه من الإيمان والأعمال  
الصالحات وبين ما كرهه ونهى عنه وأبغضه من الكفر والفسوق  
العصيان مع شمول قدرته ومشيبته وخلقه لكل شيء والإ واقع في  
دين المشركين الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا  
وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 والقدر يؤمن به ولا يحتج به  
بل العبد مأمور أن يرجع إلى القدر عند المصائب ويستغفر الله  
عند الذنوب والمعائب كما قال تعالى { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ  
وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ } غافر 55  
ولهذا حج آدم موسى عليهما السلام لما لام موسى آدم لأجل  
المصيبة التي حصلت لهم بأكله من الشجرة فذكر له آدم أن هذا  
كان مكتوبا قبل أن أخلق فحج آدم موسى كما قال تعالى { مَا  
أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ  
قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } الحديد 22 وقال تعالى  
{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل  
تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم فهذا  
وجه احتجاج آدم بالقدر ومعاذ الله أن يحتج آدم أو من هو دونه  
من المؤمنين على المعاصي بالقدر فإنه لو ساغ هذا لساغ أن  
يحتج إبليس ومن اتبعه من الجن والإنس بذلك ويحتج به قوم نوح  
وعاد وثمود وسائر أهل الكفر والفسوق والعصيان ولم يعاقب  
ربنا أحدا وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار شرعا وعقلا فإن  
هذا القول لا يطرده أحد من العقلاء فإن طرده يوجب أن لا يلام  
أحد على شيء ولا يعاقب عليه وهذا المحتج بالقدر لو جنى

عليه جان لطالبه فإن كان القدر حجة فهو حجة للجاني عليه وإلا فليس حجة لا لهذا ولا لهذا ولو كان الاحتجاج بالقدر مقبولا لم يمكن للناس أن يعيشوا إذ كان لكل من اعتدى عليهم أن يحتج بذلك فيقبلوا عذره ولا يعاقبوه ولا يمكن اثنين من أهل هذا القول أن يعيشا إذ لكل منهما أن يقتل الآخر ويفسد جميع أموره محتجا على ذلك بالقدر<sup>387</sup>

### مطالبة بالعلم ودم لمن يتبع الظن وما عنده علم

\* قال تعالى { مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعَ الظَّنِّ } النساء 157 هو دم لهم على اتباع الظن بلا علم وكذلك قوله { إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى } النجم 23 وكذلك قوله { وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً } النجم 28 وقوله تعالى { وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ } يونس 66 وقوله { أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } 35 { وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنّاً إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } 36 { يونس 35-36 فهذه عدة مواضع يذم الله فيها الذين لا يتبعون الا الظن وكذلك قوله { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } 148 { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ } الأنعام 148

149- مطالبة بالعلم ودم لمن يتبع الظن وما عنده علم<sup>388</sup>

<sup>387</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 462-463 و مجموع الفتاوى ج: 11 ص:

## عامة ما ذم الله به المشركين فى القرآن من الدين المنهى عنه انما هو الشرك والتحريم

\* ان عامة ما ذم الله به المشركين فى القرآن من الدين المنهى عنه انما هو الشرك والتحريم وكذلك حكى عنهم في قوله {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} {الأنعام 148} ومثل ذلك فى النحل {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} {النحل 35} وفى الزخرف {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ} {الزخرف 20} وقال {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ} {الشورى 21} وقال {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أُذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} {يونس 59} وقال {مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ} {المائدة 103} وقال {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} {الأعراف 32} وأما من ترك المأمور به فقد ذمهم الله كما ذمهم على ترك الايمان به وبأسمائه وآياته وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وترك الصلاة والزكاة والجهاد وغير ذلك من الاعمال والشرك قد تقدم أن أصله ترك المأمور به من عبادة الله واتباع رسله وتحريم الحلال فيه ترك ما أمروا به من الاستعانة به على عبادته ولما كان أصل المنهى عنه الذي فعلوه الشرك والتحريم روى فى الحديث بعثت بالحنيفية السمحة فالحنيفية ضد الشرك والسماحة ضد الحجر والتصديق وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروونه عن ربه انى خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم



وامرتهم ان يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا وظهر اثر هذين الذنبيين فى المنحرفة من العلماء والعباد والملوك والعامّة بتحریم ما أحله الله تعالى والتدين بنوع شرك لم يشرعه الله تعالى والأول يكثر فى المتفقهة والمتورعة والثانى يكثر فى المتصوفة والمتفكرة فنيين بذلك أن ما ذمه الله تعالى وعاقب عليه من ترك الواجبات اكثر مما ذمه الله وعاقب عليه من فعل المحرمات<sup>389</sup>

## المحتجون على القدر بإسقاط الأمر و النهى يشبهون المشركين

\* ان من آمن بالقدر وشهد ان الله رب كل شىء لم يكن عليه امر ولا نهى وهذا كفر بجميع كتب الله ورسله وما جاءوا به من الامر والنهى وهو من جنس قول المشركين الذين قالوا { **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ { الأنعام 148** قال الله

تعالى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ { الأنعام 148 ونظير هذا فى سورة النحل وفى سورة يس { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {يس 47 وكذلك فى سورة الزخرف { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ { الزخرف 20 وهؤلاء هم القدرية المشركية الذين يحتجون بالقدر على دفع الامر والنهى هم شر من القدرية الذين هم مجوس هذه الامة الذين روى فيهم أن مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم لأن هؤلاء يقرون بالأمر

والنهي والثواب والعقاب لكن أنكروا عموم الارادة والقدرة والخلق وربما أنكروا سابق العلم وأما القدرية المشركية فانهم ينكرون الأمر والنهي والثواب والعقاب لكن وان لم ينكروا عموم الارادة والقدرة والخلق فانهم ينكرون الأمر والنهي والوعد والوعيد ويكفرون بجميع الرسل والكتب فان الله انما ارسل الرسل مبشرين من اطاعهم بالثواب ومنذرين من عصاهم بالعقاب<sup>390</sup>

\* قسم يسلبون العبد إختياره و قدرته و يجعلونه مجبوراً على حركاته من جنس حركات الجمادات و يجعلون أفعاله الإختيارية و الإضطرارية من نمط و احد حتى يقول أحدهم أن جميع ما أمر الله به و رسوله فإنما هو أمر بما لا يقدر عليه و لا يطيقه فيسلبونه القدرة مطلقاً إذ لا يثبتون له إلا قدرة و احدة مقارنة للفعل و لا يجعلون للعاصي قدرة أصلاً فهذه المقالات و أمثالها من مقالات الجبرية القدرية الذين أنكروا قولهم كما أنكروا قول الأولين أئمة الهدى مثل عبد الرحمن بن عمرو الأزاعي و سفيان بن سعيد الثوري و محمد بن الوليد الزبيدي و عبد الرحمن بن مهدي و أحمد بن محمد بن حنبل و غيرهم فإن ضموا إلى ذلك إقامة العذر للعصاة بالقدر و قالوا أنهم معذورون لذلك لا يستحقون اللوم و العذاب أو جعلوا عقوبتهم ظلماً فهؤلاء كفار كما أن من أنكروا علم الله القديم من غلاة القدرية فهو كافر و إن جعلوا ثبوت القدر موجبا لسقوط الأمر و النهي و الوعد و الوعيد كفعل المباحية فهؤلاء أكفر من اليهود و النصراني من جنس المشركين الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } {148} قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ

<sup>390</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 429

**فَلَوْ شَاءَ لَهَذَاكُمْ أَجْمَعِينَ {149} الْأَنْعَامِ 148-149** فإن هذا القول يستلزم طي بساط كل أمر و نهى و هذا مما يعلم بالإضطرار من العقل و الدين أنه يوجب الفساد في أمر الدنيا و المعاد <sup>391</sup>

وسلف الأمة و أئمتها متفقون أيضا على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه و متفقون على الإيمان بوعده و وعيده الذي نطق به الكتاب و السنة و متفقون أنه لا حجة لأحد على الله في و اجب تركه و لا محرم فعله بل لله الحجة البالغة على عباده و من إحتج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محظور أو دفع ما جاءت به النصوص في الوعد و الوعيد فهو أعظم ضلالا و إفتراء على الله و مخالفة لدين الله من أولئك القدرية فإن أولئك مشبهون بالمجوس و قد جاءت الآثار فيهم أنهم مجوس هذه الأمة كما روى ذلك عن ابن عمر و غيره من السلف و قد رويت في ذلك أحاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه و سلم منها ما رواه أبو داود و الترمذي و لكن طائفة من أئمة الحديث طعنوا في صحة الأحاديث المرفوعة في ذلك و هذا مبسوط في موضعه و المقصود هنا أن القدرية النافية يشبهون المجوس في كونهم أثبتوا غير الله يحدث أشياء من الشر بدون مشيئته و قدرته و خلقه و أما المحتجون على القدر بإسقاط الأمر و النهى و الوعد و الوعيد فهؤلاء يشبهون المشركين الذين قال الله فيهم **{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ {الأنعام 148}** و قال تعالى **{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ**

<sup>391</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 445-446

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ { النحل 35  
و قال تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا  
لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِعِم مِّنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ  
مُّبِينٍ { يس 47 و قال تعالى { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا  
عَبَدْنَا هُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ { الزخرف 20  
فهؤلاء المحتجون بالقدر على سقوط الأمر و النهي من جنس  
المشركين المكذبين للرسول و هم أسوأ حالا من المجوس و هؤلاء  
حجتهم داحضة عند ربهم و عليهم غضب و لهم عذاب شديد  
و من هؤلاء من يظن أن آدم إحتج على موسى بالقدر على الذنب  
و أن ذلك جائز لخاصة الأولياء المشاهدين للقدر و هذا ضلال  
عظيم فإن موسى إنما لام آدم على المعصية التي لحقت الذرية  
بسبب أكله من الشجرة فقال لماذا أخرجتنا و نفسك من الجنة  
و العبد مأمور عند المصائب أن يرجع للقدر فإن سعادة العبد أن  
يفعل المأمور و يترك المحذور و يسلم للمقدور قال الله تعالى  
{ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ { التغابن 11 قال ابن مسعود هو الرجل تصيبه  
المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلم فالسعيد  
يستغفر من المعائب و يصبر على المصائب كما قال تعالى  
{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ { غافر 55 و الشقي  
يجزع عند المصائب و يحتج بالقدر على المعائب و إلا فآدم  
صلى الله عليه و سلم قد تاب من الذنب و قد إجتباه ربه و هداه و  
موسى أجل قدرا من أن يلوم أحدا على ذنب قد تاب منه و غفر  
الله له فضلا عن آدم و هو أيضا قد تاب مما فعل حيث قال  
{ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ { القصص 16 و قال  
{ إِنَّا هَدَيْنَا إِلَيْكَ { الأعراف 156 و قال { أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا  
وَارْحَمْنَا { الأعراف 155 و موسى و آدم أعلم بالله من أن  
يظن و احد منهما أن القدر عذر لمن عصى الله و قد علما ما حل  
بإبليس و غير إبليس و آدم نفسه قد أخرج من الجنة و طفق هو و  
إمرأته يخصفان عليهما من ورق الجنة و قد عاقب الله قوم نوح

و هود و صالح و غيرهم من الأمم و قد شرع الله عقوبة المعتدين و أعد جهنم للكافرين فكيف يكون القدر عذرا للذنب وهؤلاء لا يحتجون بالقدر إلا إذا كانوا متبعين لأهوائهم بغير علم و لا يتردون حجتهم فإن القدر لو كان عذرا للخلق للزم أن لا يلام أحد و لا يذم و لا يعاقب لا فى الدنيا و الآخرة و لا يقتص من ظالم أصلا بل يمكن الناس أن يفعلوا ما يشتهون مطلقا و معلوم أن هذا لا يتصور أن يقوم عليه مصلحة أحد لا فى الدنيا و لا فى الآخرة بل هو موجب الفساد العام و صاحب هذا لا يكون إلا ظالما متناقضا فإذا آذاه غيره أو ظلمه طلب معاقبته و جزاه و لم يعذره بالقدر و إذا كان هو الظالم إحتج لنفسه بالقدر فلا يحتج أحد بالقدر إلا لإتباع هواه بغير علم و لا يكون إلا مبطلا لا حق معه كما إحتج به المشركون فقال تعالى { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ { الأنعام 148 } و قال { كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ { النحل 35 } ولهذا كان هؤلاء المشركون المحتجون بالقدر إذا عاداهم أحد قابلوه و قاتلوه و عاقبوه و لم يقبلوا حجته إذا قال لو شاء الله ما عاديتكم بل هم دائما يعيبون من ظلم و إعتدى و لا يقبلون إحتجاجه بالقدر فلما جاءهم الحق من ربهم أخذوا يدافعون ذلك بالقدر فصاروا يحتجون على دفع أمر الله و نهيه بما لا يجوزون أن يحتج به عليهم فى دفع أمرهم و نهيهم بل و لا يجوز أحد من العقلاء أن يحتج به عليه فى دفع حقه فعارضوا ربهم و رسل ربهم بما لا يجوزون أن يعارض به أحد من الناس و لا رسل أحد من الناس فكان أمر المخلوق و نهيه و حقه أعظم على قولهم من أمر الله و نهيه و حقه على عباد الله و كان أمر الله و نهيه و حقه على عباده أخف حرمة عندهم من أمر المخلوق و نهيه و حقه على غيره فإن حق الله على عبادته أن يعبدوه و لا يشركوا به شيئا كما ثبت فى الصحيحين عن معاذ بن جبل قال كنت رديف النبى صلى الله عليه و سلم على حمار فقال يا معاذ أتدري ما حق الله على عبادته

قلت الله و رسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه و لا يشركوا به  
شيئا أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك قلت الله و رسوله  
أعلم قال حقه عليه أن لا يعذبهم فكان هؤلاء المشركون  
من أعظم الناس جهلا و عداوة لله و رسوله فاحتجوا على إسقاط  
حقه و أمره و نهيه بما لا يجوزون لاهم و لا أحد من العقلاء أن  
يحتج به على إسقاط حق مخلوق و لا أمره و لا نهيه  
و هذا كما جعلوا لله شركاء و بنات و هم لا يرضى أحدهم أن  
يكون مملوكه شريكه و لا يرضى البنات لنفسه قال تعالى  
{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى  
لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} النحل62 و قال تعالى  
{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا  
وَهُوَ كَظِيمٌ} الزخرف17 و قال تعالى {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ  
أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَّا رَزَقْنَاكُمْ  
فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ} الروم28 أي كخيفة  
بعضكم بعضا و قوله تعالى {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ  
الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِمْ خَيْرًا} النور12 و قوله {  
فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ} البقرة54 و قوله {نَدْعُ  
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ} آل  
عمران61 فالمكذبون للرسول دائما حجتهم داحضة متناقضة  
فهم في قول مختلف يؤفك عنه من أفك قال الله تعالى {وَلَا  
يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} الفرقان33  
و قال تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى  
بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} الفرقان31 و قال تعالى {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا  
آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ  
عَلِيمٌ} الأنعام83 فحجة المشركين في شركهم بالله و جعلهم له  
و لذا و في دفع أمره و نهيه بالقدر داحضة و قد بسط الكلام  
على هذه الأمور و ما يناسبها في غير هذا الموضع و بين  
أن قول الفلاسفة القائلين بقدم العالم و أنه صادر عن موجب  
بالذات متولد عن العقول و النفوس الذين يعبدون الكواكب

العلوية و يصنعون لها التماثيل السفلية كآرسطو و أتباعه أعظم  
 كفرا و ضلالا من مشركى العرب الذين كانوا يقولون بأن الله  
 خلق السموات و الأرض و ما بينهما فى ستة أيام بمشيئته و  
 قدرته و لكن خرقوا له بنين و بنات بغير علم و أشركوا به ما لم  
 ينزل به سلطانا و كذلك المباحية الذين يسقطون الأمر و  
 النهي مطلقا و يحتجون بالقضاء و القدر أسواء حالا من اليهود  
 و النصرى و مشركى العرب فإن هؤلاء مع كفرهم يقولون بنوع  
 من الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و لكن كان لهم شركاء  
 شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله بخلاف المباحية المسقطه  
 للشرائع مطلقا فإنما يرضون بما تهواه أنفسهم و يغضبون لما  
 تهواه أنفسهم لا يرضون الله و لا يغضبون الله و لا يحبون الله و لا  
 يغضبون الله و لا يأمرون بما أمر الله به و لا ينهون عما نهى عنه  
 إلا إذا كان لهم فى ذلك هوى فيفعلونه لأجل هو أهم لآعبادة لمو  
 لاهم ولهذا لا ينكرون ما وقع فى الوجود من الكفر و  
 الفسوق و العصيان إلا إذا خالف أغراضهم فينكرونه إنكارا  
 طبيعيا شيطانيا لا إنكارا شرعيا رحمانيا و لهذا تقترن بهم  
 الشياطين إخوانهم فيمدونهم فى الغي ثم لا يقصرون و قد تتمثل  
 لهم الشياطين و تخاطبهم و تعينهم على بعض أهوائهم كما كانت  
 الشياطين تفعل بالمشركين عباد الأصنام و هؤلاء يكثرون فى  
 الطوائف الخارجين عما بعث الله به رسوله من الكتاب و السنة  
 الذين يسلكون طرقا فى العبادات و الإعتقادات مبتدعة فى الدين  
 و لا يتحرون فى عباداتهم و إعتقاداتهم موافقة الرسول و  
 الإعتصام بالكتاب و السنة فتكثر فيهم الأهواء و الشبهات و  
 تغويهم الشياطين و تصير فيهم شبهة من المشركين بحسب  
 بعدهم عن الرسول و كما يجب إنكار قول القدرية المضاهين  
 للمجوس فإنكار قول هؤلاء أولى و الرد عليهم أحرى  
 و هؤلاء لم يكونوا موجودين فى عصر الصحابة و التابعين لهم  
 بإحسان فإن البدع إنما يظهر منها أولا فأولا الأخر فأخف كما  
 حدث فى آخر عصر الخلفاء الراشدين بدعة الخوارج و الشيعة

ثم فى آخر عصر الصحابة بدعة المرجئة و القدرية ثم فى آخر  
عصر التابعين بدعة الجهمية معطلة الصفات و أما هؤلاء  
المباحية المسقطون للأمر و النهي محتجين على ذلك بالقدر فهم  
شر من جميع هذه الطوائف و إنما حدثوا بعد هؤلاء كلهم<sup>392</sup>

جمهور القدرية فهم يقرون بالعلم و الكتاب المتقدم لكن  
ينكرون أن الله خلق أفعال العباد و إرادة الكائنات و تعارضهم  
القدرية المجبرة الذين يقولون ليس للعبد قدرة و لا إرادة حقيقية و  
لا هو فاعل حقيقة و كل هؤلاء مبتدعة ضلال و شر من  
هؤلاء من يجعل خلق الأفعال و إرادة الله الكائنات مانعة من  
الأمر و النهي كالمشركين الذين قالوا { **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا**  
**وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ** } { الأنعام 148 } فهؤلاء أكفر من  
اليهود و النصارى و مضمون قولهم تعطيل جميع ما جاءت به  
الرسل كلهم من الأمر و النهي ثم قولهم متناقض معلوم  
الفساد بالضرورة لا يمكن أن يحيى معه بنو آدم لإستلزامه فساد  
العباد فإنه إذا لم يكن على العباد أمر و نهى كان لكل أحد أن  
يفعل ما يهواه كما قال تعالى { **وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ**  
**السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ** } { المؤمنون 71 } فإذا قيل أنه يمكن كل أحد  
مما يهواه من قتل النفوس و فعل الفواحش و أخذ الأموال و غير  
ذلك كان ذلك غاية الفساد و لهذا لا تعيش أمة من نبى آدم إلا  
بنوع من الشريعة التى فيها أمر و نهى و لو كانت بوضع بعض  
الملوك مع ما فيها من فساد من و جوه أخرى<sup>393</sup>

\* فأما قدرية مشركية فهم الذين إترفوا بالقضاء و القدر و  
زعموا أن ذلك يوافق الأمر و النهى و قالوا { **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا**  
**أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ** } { الأنعام 148 } الى آخر

<sup>392</sup> مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 452-458 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص:



الكلام في سورة الأنعام و قالوا {لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ {النحل 35 في سورة النحل و في سورة الزخرف و {وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ {الزخرف 20 فهؤلاء يؤول أمرهم الى تعطيل الشرائع و الأمر و النهي مع الإعراف بالربوبية العامة لكل مخلوق و أنه ما من دابة إلا ربي أخذ بناصيتها و هو الذي يبنتلي به كثيرا إما إعتقادا و إما حالا طوائف من الصوفية و الفقراء حتى يخرج من يخرج منهم الى الإباحة للمحرمات و إسقاط الواجبات و رفع العقوبات و إن كان ذلك لا يستتب لهم و إنما يفعلونه عند موافقة أهوائهم كفعل المشركين من العرب ثم إذا خولف هوى أحد منهم قام فى دفع ذلك متعديا للحدود غير واقف عند حد كما كانت تفعل المشركون أيضا إذ هذه الطريقة تتناقض عند تعارض إرادات البشر فهذا يريد أمرا و الآخر يريد ضده و كل من الإرادتين مقدره فلا بد من ترجيح أحدهما أو غيرهما أو كل منهما من وجه و الإلزم الفساد و قد يغلوا أصحاب هذا الطريق حتى يجعلوا عين الموجودات هي الله كما قد ذكر فى غير هذا الموضع و يتمسكون بموافقة الإرادة القدرية فى السيئات الواقعة منهم و من غيرهم كقول الحريري أنا كافر برب يعصى و قول بعض أصحابه لما دعاه مكاس فقيل له هو مكاس فقال إن كان قد عصى الأمر فقد أطاع الإرادة و قول ابن إسرائيل أصبحت منفعا لما يختاره منى ففعلني كله طاعات و قد يسمون هذا حقيقة بإعتبار أنه حقيقة الربوبية و الحقيقة الموجودة الكائنة أو الحقيقة الخبرية و لما كان فى هؤلاء شوب من النصارى و النصارى فيهم شوب من الشرك تابعوا المشركين فى ما كانوا عليه من التمسك بالقدر المخالف للشرع هذا مع أنهم يعبدون غير الله الذى قدر الكائنات كما أن هؤلاء فيهم شوب من ذلك وإذا اتسع زنادقتهم الذين هم رؤسائهم قالوا ما نعبد إلا الله إذ لا موجود غيره و قال رئيس لهم إنما كفر النصارى لأنهم خصصوا فيشرعون عبادة كل

موجود بهذا الإعتبار و يقررون ما كان عليه المشركون من عبادة الأوثان و الأحجار لكنهم يستقصرونهم حيث خصصوا العبادة ببعض المظاهر و الأعيان و معلوم أن هذا حاصل في جميع المشركين فإنهم متفننون فى الآلهة التى يعبدونها و أن إشتراكوا فى الشرك هذا يعبد الشمس و هذا يعبد القمر و هذا يعبد الالة و هذا يعبد العزى و هذا يعبد مناة الثالثة الأخرى فكل منهم يتخذ إلهه هواه و يعبد ما يستحسن و كذلك فى عبادة قبور البشر كل يعلق على تمثال من أحسن به الظن<sup>394</sup>

و أما قول القائل الزنا و غيره من المعاصي مكتوب علينا فهو كلام صحيح لكن هذا لا ينفعه الإحتجاج به فإن الله كتب أفعال العباد خيرا و شرها و كتب ما يصيرون إليه من الشقاوة و السعادة و جعل الأعمال سببا للثواب و العقاب و كتب ذلك كما كتب الأمراض و جعلها سببا للموت و كما كتب أكل السم و جعله سببا للمرض و الموت فمن أكل السم فإنه يمرض أو يموت و الله قدر و كتب هذا و هذا كذلك من فعل ما نهى عنه من الكفر و الفسق و العصيان فإنه يعمل ما كتب عليه و هو مستحق لما كتبه الله من الجزاء لمن عمل ذلك و حجة هؤلاء بالقدر على المعاصي من جنس حجة المشركين الذين قال الله عنهم { وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } النحل 35 و قال تعالى { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 قال الله تعالى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَافُوا بِأَسْنَانِهِمْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا

<sup>394</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 256-258

تَخْرُصُونَ {148} قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَذَاكُمْ  
أَجْمَعِينَ {149} الأنعام 148- 149<sup>395</sup>

\*في الحديث الصحيح عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه و عمله و أجله و شقي أو سعيد فكما أن الله كتب ما يعمله من خير و شر و هو يثيبه على الخير و يعاقبه على الشر فكذلك كتب ما يرزقه من حلال و حرام مع أنه يعاقبه على الرزق الحرام و لهذا كل ما في الوجود و اقع بمشيئة الله و قدره كما تقع سائر الأعمال لكن لا عذر لأحد بالقدر بل القدر يؤمن به و ليس لأحد أن يحتج على الله بالقدر بل لله الحجة البالغة و من إحتج بالقدر على ركوب المعاصي فحجته داحضة و من إعتذر به فعذره غير مقبول كالذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا { الأنعام 148 } و الذين قالوا { وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ { الزخرف 20 } كما قال تعالى { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنْتُ لَمِنَ السَّآخِرِينَ {56} أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ {57} الزمر 56-57<sup>396</sup>

## من اكتفى بالحقائق الكونية ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع إبليس اللعين

\*فإن اعترف العبد ان الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه محتاج اليه عرف العبودية المتعلقة برؤية الله وهذا العبد يسأل ربه فيتضرع

<sup>395</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 268

<sup>396</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 542-443

اليه ويتوكل عليه لكن قد يطيع امره وقد يعصيه وقد يعبد مع ذلك وقد يعبد الشيطان والاصنام ومثل هذه العبودية لاتفرق بين اهل الجنة والنار ولا يصير بها الرجل مؤمنا كما قال تعالى { وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ } يوسف 106 فإن المشركين كانوا يقرون ان الله خالقهم ورازقهم وهم يعبدون غيره قال تعالى { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ } لقمان 25 وقال تعالى { قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } {85} المؤمنون 84-85 الى قوله { قُلْ فَانِّي تُسْحَرُونَ } المؤمنون 89 وكثير ممن يتكلم فى الحقيقة ويشهدها يشهد هذه الحقيقة وهى الحقيقة الكونية التى يشترك فيها وفى شهودها ومعرفتها المؤمن والكافر والبر والفاجر وابليس معترف بهذه الحقيقة واهل النار قال ابليس { رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } الحجر 36 وقال { رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } الحجر 39 وقال { فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 82 وقال { أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ } الإسراء 62 وامثال هذا من الخطاب الذى يقر فيه بان الله ربه وخالقه وخالق غيره وكذلك اهل النار قالوا { قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ } المؤمنون 106 وقال تعالى { وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا } الأنعام 30 فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما امر به من الحقيقة الدينية التى هى عبادته المتعلقة بالهيته وطاعة امره وامر رسوله كان من جنس ابليس واهل النار وان ظن مع ذلك انه خواص اولياء الله واهل المعرفة والتحقيق الذين يسقط عنهم الأمر والنهى الشرعيان كان من اشر اهل الكفر والالحاد ومن ظن ان الخضر وغيره سقط عنهم الامر لمشاهدة الارادة ونحو ذلك كان قوله هذا من شر اقوال الكافرين بالله ورسوله حتى يدخل فى النوع الثانى من معنى العبد وهو العبد العابد فيكون عابدا لله لا يعبد الا اياه فيطيع امره وأمر رسله ويوالى اولياءه المؤمنين

المتقين ويعادى اعداءه وهذا العبادة متعلقة بالهيته ولهذا كان عنوان التوحيد لا اله الا الله بخلاف من يقر بربوبيته ولا يعبده او يعبد معه الها آخر فالاله الذى يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم والاجلال والاكرام والخوف والرجاء ونحو ذلك وهذه العبادة هي التى يحبها الله ويرضاها بها وصف المصطفين من عباده وبها بعث رسله وأما العبد بمعنى المعبد سواء أقر بذلك او أنكره فتلك يشترك فيها المؤمن والكافر وبالفارق بين هذين النوعين يعرف الفرق بين الحقائق الدينية الداخلة فى عبادة الله ودينه وامره الشرعى التى يحبها ويرضاها ويوالى اهلها ويكرمهم بجنته وبين الحقائق الكونية التى يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر التى من اكتفى بها ولم يتبع الحقائق الدينية كان من أتباع ابليس اللعين والكافرين برب العالمين ومن اكتفى بها فى بعض الأمور دون بعض أو فى مقام او حال نقص من إيمانه وولايته الله بحسب ما نقص من الحقائق الدينية وهذا مقام عظيم فيه غلط الغالطون وكره فيه الاشتباه على السالكين حتى زلق فيه من اكابر الشيوخ المدعين التحقيق والتوحيد والعرفان مالا يحصيهم الا الله الذى يعلم السر والاعلان والى هذا اشار الشيخ عبد القادر رحمه الله فيما ذكر عنه فبين ان كثيرا من الرجال إذا وصلوا الى إلى القضاء والقدر أمسكوا الا انا فإنى انفتحت لى فيه روزنة فنازعت اقدار الحق بالحق للحق والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر والذى ذكره الشيخ رحمه الله هو الذى امر الله به ورسوله لكن كثير من الرجال غلطوا فإنهم قد يشهدون ما يقدر على احدهم من المعاصى والذنوب أو ما يقدر على الناس من ذلك بل من الكفر ويشهدون ان هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدرة داخل فى حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته فيظنون الاستسلام لذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك ديننا وطريقنا وعبادة فيضاهون المشركين الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِّنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 وقالوا { أَنْطَعِمُ مَنْ

لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ {يس 47} وقالوا { لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا  
 عَبَدْنَاهُمْ { الزخرف 20} ولو هدوا لعلموا أن القدر أمرنا ان  
 نرضى به ونصبر على موجبة في المصائب التي تصيبنا كالفقير  
 والمرض والخوف قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ { التغابن 11} قال بعض السلف هو  
 الرجل تصيبه المصيبة فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم  
 وقال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ  
 إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ {22}  
 لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ {23} الحديد 22-  
 23 وفي الصحيحين عن النبي أنه قال احتج آدم وموسى فقال  
 انت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك  
 ملائكته و علمك اسماء كل شئ فلماذا أخرجتنا ونفسك من الجنة  
 فقال آدم أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه فهل  
 وجدت ذلك مكتوبا على قبل ان أخلق قال نعم قال فحج آدم  
 موسى وأدم عليه السلام لم يحتج على موسى بالقدر ظنا أن  
 المذنب يحتج بالقدر قان هذا لايقوله مسلم ولا عاقل ولو كان هذا  
 عذرا لكان عذرا لابليس وقوم هود وكل كافر ولا موسى لام آدم  
 أيضا لأجل الذنب فان آدم قد تاب إلى ربه فاجتباه وهدى ولكن  
 لامة لأجله المصيبة التي لحقتهم بالخطيئة ولهذا قال فلماذا  
 أخرجتنا ونفسك من الجنة فأجابه آدم أن هذا كان مكتوبا قبل  
 أن أخلق فكان العمل والمصيبة المترتبة عليه مقدار وما قدر من  
 المصائب يجب لاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله ربا  
 واما الذنوب فليس للعبد ان يذنب واذا اذنب فعليه ان يستغفر  
 وقيتوب من المعائب ويصبر على المصائب قال تعالى { فَاصْبِرْ  
 إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ { غافر 55} وقال تعالى { وَإِنْ  
 تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً { آل عمران 120} وقال  
 {وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ { آل عمران 186}  
 وقال يوسف { إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ  
 الْمُحْسِنِينَ { يوسف 90} وكذلك ذنوب العباد يجب على العبد

فيها ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحسب قدرته ويجاهد  
فى سبيل الله الكفار والمنافقين ويوالي اولياء الله ويعادي اعداء  
الله ويحب فى الله ويبغض فى الله<sup>397</sup>

\*قد أحاط ربنا سبحانه و تعالى بكل شيء علما و قدرة و حكما و  
وسع كل شيء رحمة و علما فما من ذرة فى السموات و الأرض  
و لا معنى من المعاني إلا و هو شاهد لله تعالى بتمام العلم و  
الرحمة وكمال القدرة و الحكمة و ما خلق الخلق باطلا و لا فعل  
شيئا عبثا بل هو الحكيم فى أفعاله و أقواله سبحانه و تعالى ثم من  
حكمته ما أطلع بعض خلقه عليه و منه ما إستأثر سبحانه بعلمه  
إرادته قسما إرادة أمر و تشريع و إرادة قضاء و تقدير  
فالقسم الأول إنما يتعلق بالطاعات دون المعاصي سواء وقعت أو  
لم تقع كما فى قوله { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ  
مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ } النساء 26 و قوله { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ  
وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } البقرة 185 و أما القسم الثاني و هو  
إرادة التقدير فهي شاملة لجميع الكائنات محيطة بجميع الحادثات  
و قد أراد من العالم ما هم فاعلوه بهذا المعنى لا بالمعنى الأول  
كما فى قوله تعالى { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ  
وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا } الأنعام 125 و فى  
قوله { وَلَا يَفْعَلُكُمْ نَجْسِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ  
يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ } هود 34 و فى قول المسلمين ما  
شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن نظائره كثيرة و هذه الإرادة  
تتناول ما حدث من الطاعات و المعاصي دون ما لم يحدث كما  
أن الأولى تتناول الطاعات حدثت أو لم تحدث و السعيد من أراد  
منه تقديرا ما أراد به تشريعا و العبد الشقى من أراد به تقديرا ما  
لم يرد به تشريعا و الحكم يجري على و فق هاتين الإرادتين فمن  
نظر الى الأعمال بهاتين العينين كان بصيرا و من نظر الى القدر

<sup>397</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 156-160

دون الشرع أو الشرع دون القدر كان أعور مثل قريش الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } { الأنعام 148 } قال الله تعالى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } { الأنعام 148 } فإن هؤلاء إعتقدوا أن كل ما شاء الله و جوده و كونه و هي الإرادة القدرية فقد أمر به و رضيه دون الارادة الشرعية ثم رأوا أن شركهم بغير شرع مما قد شاء الله و جوده قالوا فيكون قد رضيه و أمر به قال الله { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } { الأنعام 148 } بالشرائع من الأمر و النهي { حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } { الأنعام 148 } { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا } { الأنعام 148 } بأن الله شرع الشرك و تحريم ما حرمتوه { إِنْ تَتَّبِعُونَ } { الأنعام 148 } في هذا { إِلَّا الظَّنَّ } { الأنعام 148 } و هو توهمكم أن كل ما قدره فقد شرعه { وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } { الأنعام 148 } أي تكذبون و تفترون بإبطال شريعته { فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ } { الأنعام 149 } على خلقه حين أرسل الرسل إليهم فدعوهم إلى توحيده و شريعته و مع هذا فلو شاء هدى الخلق أجمعين إلى متابعة شريعته لكنه يمن على من يشاء فيهديه فضلا منه و إحسانا و يحرم من يشاء لأن المتفضل له أن يتفضل له أن لا يتفضل فتترك تفضله على من حرمه عدل منه و قسط و له في ذلك حكمة بالغة و هو يعاقب الخلق على مخالفة أمره و إرادته الشرعية و إن كان ذلك بإرادته القدرية فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضا بعقابها كما أنه سبحانه قد يقدر على العبد أمراضا تعقبه ألاما فالمرض بقدره و الألم بقدره فإذا قال العبد قد تقدمت الإرادة بالذنب فلا أعاقب كان بمنزلة قول المريض قد تقدمت الإرادة بالمرض فلا أتألم و قد تقدمت الإرادة بأكل الحار فلا يحم مزاجي أو قد تقدمت بالضرب فلا يتألم المضروب و هذا مع أنه جهل فإنه لا ينفع صاحبه بل إعتلله



بالقدر ذنب بان يعاقب عليه أيضا و إنما إعتل بالقدر إبليس حيث قال {بِمَا أَعْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ} الحجر 39 و أما آدم فقال {رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف 23 فمن أراد الله سعادته ألهمه أن يقول كما قال آدم عليه السلام أو نحوه و من أراد شقاوته إعتل بعلة إبليس أو نحوها فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار مثله مثل رجل طار الى داره شرارة نار فقال له العقلاء أطفئها لئلا تحرق المنزل فأخذ يقول من أين كانت هذه ريح ألقتها و أنا لا ذنب لي في هذه النار فما زال يتعلل بهذه العلل حتى استعرت و انتشرت و احترقت الدار و ما فيها هذه حال من شرع يحيل الذنوب على المقادير و لا يردها بالإستغفار و المعاذير بل حاله أسوأ من ذلك بالذنب الذي فعله بخلاف الشرارة فإنه لا فعل له فيها و الله سبحانه يوفقنا و إياكم و سائر إخواننا لما يحبه و يرضاه فإنها لا تنال طاعته إلا بمعونته و لا تترك معصيته إلا بعصمته و الله أعلم<sup>398</sup>

## القدرية الجبرية الجهمية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين

إن الله سبحانه قد فرق بالقرآن وبالإيمان بين أمره الديني وخلق الكوني فإن الله سبحانه خالق كل شيء ورب كل شيء ومليكه سواء في ذلك الذوات وصفاتها وأفعالها وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته شيء ولا يكون شيء إلا بمشيئته وقد كذب ببعض ذلك القدرية المجوسية من هذه الامة وغيرها وهم الذين يزعمون أن الله لم يخلق أفعال عباده من

<sup>398</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 197 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 30-32

الملائكة والجن والإنس والبهائم ولا يقدر على أن يفعل بعباده من  
 الخير أكثر مما فعله بهم بل ولا على أفعالهم فليس هو على كل  
 شيء قدير أو أن ما كان من السيئات فهو واقع على خلاف  
 مشيئته وإرادته وهم ضلال مبتدعة مخالفون للكتاب والسنة  
 وإجماع سلف الأمة ولما عرف بالعقل والذوق ثم انه قابلهم  
 قوم شر منهم وهم القدرية المشركية الذين رأوا الأفعال واقعة  
 بمشيئته وقدرته فقالوا { سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا  
**أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ** { الأنعام 148 ولو كره الله  
 شيئاً لأزّله وما فى العالم إلا ما يحبه الله ويرضاه وما ثم عاص  
 وأنا كافر برب يعصى وإن كان هذا قد عصى الامر فقد أطاع  
 الإرادة وربما استدلوا بالجبر وجعلوا العبد مجبوراً والمجبور  
 معذور والفعل لله فيه لا له فلا لوم عليه فهو لاء كافرون  
 بكتب الله ورسله وبأمر الله ونهيه وثوابه وعقابه ووعدده ووعيده  
 ودينه وشرعه كفرا لا ريب فيه وهم أكفر من اليهود والنصارى  
 بل أكفر من الصابئة والبراهمة الذين يقولون بالسياسات العقلية  
 فإن هؤلاء كافرون بالديانات والشرائع الإلهية وبالآيات  
 والسياسات العقلية وأما الأولون ففى تكفيرهم تفصيل ليس  
 هذا موضعه وهؤلاء أعداء الله وأعداء جميع رسله بل أعداء  
 جميع عقلاء بنى آدم بل أعداء أنفسهم فإن هذا القول لا يمكن  
 أحداً أن يطرده ولا يعمل به ساعة من زمان إذ لازمه أن لا يدفع  
 ظلم ظالم ولا يعاقب معتد ولا يعاقب مسيء لا بمثل إساءته ولا  
 بأكثر منها وأكثر هؤلاء إنما يشيرون الى ذلك عند أهواء  
 أنفسهم لرفع الملام عنهم وإلا فاذا كان لهم هذا مع أحد قابلوه  
 وقاتلوه واعتدوا عليه أيضاً ولا يقفون عند حد ولا يرقبون فى  
 مؤمن إلا ولا ذمة بل هم كما قال الله { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ  
 كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } الأحزاب 72 ظلمة جهال مثل السبع العادى  
 يفعلون بحكم الأهواء المحضة ويدفعون عن أنفسهم الملام  
 والعذل أو ما يجب عليهم من الأمر بالمعروف والنهى عن  
 المنكر بالجبر الباطل وبملاحظة القدر النافذ معرضين عن الأمر

والنهي ولا يفعلون مثل ذلك بمن اعتدى عليهم وظلمهم وأذاهم بل ولا بمن قصر في حقوقهم بل ولا بمن أطاع الله فأمر بما أمر الله به ونهى عما نهى الله عنه وقد بسطت الكلام في هؤلاء القدرية والقسم الأول وذكرت القدرية الإلبيسية في غير هذا الموضوع وإنما الغرض هنا التنبيه على معاهد الأقوال وقد فرق الله في كتابه بين القسمين بين من قام بكلماته الكونيات وبين من اتبع كلماته الدينيات وذلك في أمره وإرادته وقضائه وحكمه وإذنه وبعثه وارساله فقال في الأمر الديني الشرعي { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ } النحل 90 { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا } النساء 58 { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً } البقرة 67 وقال في الأمر الكوني القدرى { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } يس 82 { آتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ } النحل 1 وبهذا الجمع والتفريق تزول الشبهة في مسألة الأمر الشرعي هل هو مستلزم للإرادة الكونية أم لا فان التحقيق أنه غير مستلزم للإرادة الكونية القدرية وإن كان مستلزما للإرادة الدينية الشرعية<sup>399</sup>

\*و أن هؤلاء القدرية الجبرية الجهمية أهل الفناء في توحيد الربوبية حقيقة قولهم من جنس قول المشركين الذين قالوا { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ } الأنعام 148 قال الله تعالى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } { 148 } قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } { 149 } الأنعام 148- 149 فإن هؤلاء المشركين لما أنكروا ما بعثت به الرسل من الأمر و النهي و أنكروا التوحيد الذي هو عبادة الله و حده لا شريك له و هم يقرون بتوحيد

الربوبية و أن الله خالق كل شيء ما بقي عندهم من فرق من جهة الله تعالى بين مأمور و محذور فقالوا { **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ** } { الأنعام 148 } و هذا حق فإن الله لو شاء أن لا يكون هذا لم يكن لكن أي فائدة لهم في هذا هذا غايته أن هذا الشرك و التحريم بقدر و لا يلزم إذا كان مقدورا أن يكون محبوبا مرضيا لله و لا علم عندهم بأن الله أمر به و لا أحبه و لا رضىه بل ليسوا في ذلك إلا على ظن و حرص فإن إحتجوا بالقدر فالقدر عام لا يختص بحالهم و إن قالوا نحن نحب هذا و نسخط هذا فنحن نفرق الفرق الطبيعي لإنتفاء الفرق من جهة الحق قال تعالى لا علم عندكم بإنتفاء الفرق من جهة الله تعالى و الجهمية المثبتة للشرع تقول بأن الفرق الثابت هو أن التوحيد قرن به النعيم و الشرك قرن به العذاب و هو الفرق الذي جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم و هو عندهم يرجع إلى علم الله بما سيكون و اخباره بل هؤلاء لا يرجع الفرق عندهم إلى محبة منه لهذا و بغض لهذا و هؤلاء يوافقون المشركين فى بعض قولهم لا فى كله كما أن القدرية من الأمة الذين هم مجوس الأمة يوافقون المجوس المحضة فى بعض قولهم لا فى كله و إلا فالرسول قد دعاهم الى عبادة الله و حده لا شريك له و إلى محبة الله دون ما سواه و إلى أن يكون الله و رسوله أحب إليه مما سواهما و المحبة تتبع الحقيقة فإن لم يكن المحبوب فى نفسه مستحقا أن يحب لم يجز الأمر بمحبته فضلا عن أن يكون أحب إلينا من كل ما سواه و إذا قيل محبته محبة عبادته و طاعته قيل محبة العبادة و الطاعة فرع على محبة المعبود المطاع و كل من لم يحب فى نفسه لم تحب عبادته و طاعته و لهذا كان الناس ييغضون طاعة الشخص الذى ييغضونه و لا يمكنهم مع بغضه محبة طاعته إلا لغرض آخر محبوب مثل عوض يعطيهم على طاعته فيكون المحبوب فى الحقيقة هو ذلك العوض فلا يكون الله و رسوله أحب إليهم مما سواهما إلا بمعنى أن العوض الذى يحصل من المخلوقات أحب إليهم من كل شيء و محبة ذلك

العوض مشروط بالشعور به فما لا يشعر به تمتنع محبته فإذا قيل  
هم قد و عدوا على محبة الله و رسوله بأن يعطوا أفضل  
محبوباتهم المخلوقة قيل لا معنى لمحبة الله و رسوله عندكم إلا  
محبة ذلك العوض و العوض غير مشعور به حتى يحب و إذا  
قيل بل إذا قال من قال لا يحب غيره إلا لذاته المعنى أنك إذا  
أطعتني أعطيتك اعظم ما تحبه صار محبا لذلك الأمر له قيل  
ليس الأمر كذلك بل يكون قلبه فارغا من محبة ذلك الأمر و إنما  
هو معلق بما و عده من العوض على عمله كالفعلة الذين يعملون  
من البناء و الخياطة و النساجة و غير ذلك ما يطلبون به أجورهم  
فهم قد لا يعرفون صاحب العمل أو لا يحبونه و لا لهم غرض  
فيه إنما غرضهم فى العوض الذي يحبونه و هذا أصل قول  
الجهمية القدرية و المعتزلة الذين ينكرون محبة الله تعالى و لهذا  
قالت المعتزلة و من اتبعها من الشيعة أن معرفة الله و جبت  
لكونها لطفا فى إداء الواجبات العقلية فجعلوا أعظم المعارف تبعاً  
لما ظنوه و احبوا بالعقل و هم ينكرون محبة الله و النظر إليه  
فضلاً عن لذة النظر و ابن عقيل لما كان فى كثير من كلامه  
طائفة من كلام المعتزلة سمع رجلاً يقول اللهم أنى أسألك لذة  
النظر إلى و جهك فقال يا هذا هب أن له و جها أفتتلذذ بالنظر  
إليه و هذا اللفظ مأثور عن النبى صلى الله عليه و سلم فى  
الحديث الذي رواه النسائي و غيره عن عمار عن النبى صلى الله  
عليه و سلم أنه قال فى الدعاء اللهم بعلمك الغيب و قدرتك  
على الخلق أحيى ما كانت الحياة خيراً لي و توفى إذا كانت  
الوفاة خيراً لي اللهم إنى أسألك خشيتك فى الغيب و الشهادة و  
أسألك كلمة الحق فى الغضب و الرضا و أسألك القصد فى الفقر  
و الغنى و أسألك نعيمان لا ينفد و أسألك قررة عين لاتقطع و أسألك  
الرضا بعد القضاء و برد العيش بعد الموت و أسألك لذة النظر  
إلى و جهك الكريم و الشوق إلى لقائك من غير ضراء مضره و  
لا فتنة مضله اللهم زينا بزينة الإيمان و اجعلنا هداة مهتدين  
و قد روي هذا اللفظ من و جه آخر عن النبى صلى الله عليه و

سلم أظنه من رواية زيد بن ثابت و معناه فى الصحيح من حديث  
صهيب عن النبى صلى الله عليه و سلم قال إذا دخل أهل  
الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن  
ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض و جوهنا و يتقل موازيننا و  
يدخلنا الجنة و يجرنا من النار قال فيكشف الحجاب فينظرون إليه  
فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه و هي الزيادة يعنى  
قوله {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} يونس 26 فقد أخبر أنه  
ليس فيما أعطوه من النعيم أحب إليهم من النظر و إذا كان النظر  
إليه أحب الأشياء إليهم علم أنه نفسه أحب الأشياء إليهم و إلا لم  
يكن النظر أحب أنواع النعيم إليهم فإن محبة الرؤية تتبع محبة  
المرئى و مالا يحب و لا يبغض في نفسه لا تكون رؤيته أحب  
إلى الإنسان من جميع أنواع النعيم و فى الجملة فإنكار  
الرؤية و المحبة و الكلام أيضا معروف من كلام الجهمية و  
المعتزلة و من و افقهم<sup>400</sup>

\* و من هؤلاء من يفضل بعض الاولياء على الانبياء وقد  
يجعلون الخضر من هؤلاء وهذا خلاف ما أجمع عليه مشائخ  
الطريق المقتدى بهم دع عنك سائر أئمة الدين و علماء المسلمين  
بل لما تكلم الحكيم الترمذي فى كتاب ختم الأولياء بكلام  
وذكر انه يكون فى آخر الاولياء من هو أفضل من الصحابة  
وربما لوح بشيء من ذكر الأنبياء قام عليه المسلمون وأنكروا  
ذلك عليه ونفوه من البلد بسبب ذلك ولا ريب انه تكلم فى ذلك  
بكلام فاسد باطل لا ريب فيه و من هناك ضل من اتبعه فى ذلك  
حتى صار جماعات يدعي كل واحد انه خاتم الأولياء كابن  
عربى صاحب الفصوص وسعد الدين بن حمويه وغيرهما  
و صار بعض الناس يدعي ان فى المتأخرين من يكون أفضل فى  
العلم بالله من أبى بكر وعمر والمهاجرين والأنصار الى أمثال

هذه المقالات التي يطول وصفها مما هو باطل بالكتاب والسنة والاجماع بل طوائف كثيرون آل الأمر بهم الى مشاهدة الحقيقة الكونية القدرية وظنوا ان من شهدها سقط عنه الأمر والنهي والوعد والوعيد وهذا هو دين المشركين الذين قالوا **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ {الأنعام148** وهؤلاء شر من القدرية المعتزلة الذين يقرون بالأمر والنهي والوعد والوعيد ويكذبون بالقدر فان أولئك يشبهون المجوس وهؤلاء يشبهون المشركين المكذابين بالأنبياء والشرائع فهم من شر الناس<sup>401</sup>

\*يوجد قوم من العلماء و العباد و أهل الكلام و التصوف أثبتوا القدر و آمنوا بأن الله رب كل شيء و مليكه و أنه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و أنه خالق كل شيء و ربه و مليكه و هذا حسن و صواب لكنهم قصرُوا في الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و أفرطوا حتى خرج غلاتهم إلى الإلحاد فصاروا من جنس المشركين الذين قالوا **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ {الأنعام148**

فأولئك القدرية و إن كانوا يشبهون المجوس من حيث أنهم أثبتوا فاعلا لما أعتدوه شرا غير الله سبحانه فهؤلاء شابها المشركين الذين قالوا **{لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ {الأنعام148** فالمشركون شر من المجوس فإن المجوس يقرون بالجزية بإتفاق المسلمين و قد ذهب بعض العلماء إلى حل نسائهم و طعامهم و أما المشركون فإتفقت الأمة على تحريم نكاح نسائهم و طعامهم و مذهب الشافعي و أحمد في المشهور عنه و غيرهما أنهم لا يقرون بالجزية و جمهور العلماء على أن مشركي العرب لا يقرون الجزية و إن أقرت المجوس

<sup>401</sup>مجموع الفتاوى ج: 13 ص: 267-268

فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل الجزية من أحد من المشركين بل قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم و أموالهم إلا بحقها و حسابهم على الله عزوجل و المقصود هنا أن من أثبت القدر و إحتج به أبطال الأمر و النهي فهو شر ممن أثبت الأمر و النهي و لم يثبت القدر و هذا متفق عليه بين المسلمين و غيرهم من أهل الملل بل بين جميع الخلق فإن من إحتج بالقدر و شهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات و لم يفرق بين المأمور و المحظور و المؤمنين و الكفار و أهل الطاعة و أهل المعصية لم يؤمن بأحد من الرسل و لا بشيء من الكتب و كان عنده آدم و إبليس سواء و نوح و قومه سواء و موسى و فرعون سواء و السابقون الأولون و كفار مكة سواء و هذا الضلال قد كثر في كثير من أهل التصوف و الزهد و العبادة لاسيما إذا قرنوا به توحيد أهل الكلام المثبتين للقدر و المشيئة من غير إثبات المحبة و البغض و الرضى و السخط الذين يقولون التوحيد هو توحيد الربوبية و الإلهية عندهم هي القدرة على الإختراع و لا يعرفون توحيد الإلهية و لا يعلمون أن الأله هو المألوه المعبود و أن مجرد الإقرار بأن الله رب كل شيء لا يكون توحيدا حتى يشهد أن لا إله إلا الله كما قال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} يوسف 106 قال عكرمة تسألهم من خلق السموات و الأرض فيقولون الله و هم يعبدون غيره و هؤلاء يدعون التحقيق و الفناء فى التوحيد و يقولون أن هذا نهاية المعرفة و أن العارف إذا صار فى هذا المقام لا يستحسن حسنة و لا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة و القيومية الشاملة و هذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله و لا حول و لا قوة إلا بالله و هؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام الذين قال الله عنهم { قُلْ لِّمَنَ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } {84} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } {85} قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ



الْعَظِيمِ {86} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ {87} قُلْ مَنْ بِيَدِهِ  
 مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ  
 تَعْلَمُونَ {88} سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ {89}  
 المؤمنون 84-89 و قال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ  
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى  
 يُؤْفَكُونَ {61} اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ  
 اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {62} وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً  
 فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
 لَا يَعْلَمُونَ {63} العنكبوت 61-63 و قال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ  
 مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ  
 لَا يَعْلَمُونَ {لقمان} 25 و قال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ  
 لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ {الزخرف} 87 و قال تعالى {قُلْ مَنْ  
 يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ  
 يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ  
 فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ {31} فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا  
 بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ {32} كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ  
 رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {33} قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ  
 مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى  
 تُؤْفَكُونَ {34} قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ  
 يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا  
 أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {يونس} 31-35 و قال  
 تعالى {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ  
 مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْهَ  
 مَعَّ اللَّهُ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ {60} أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ  
 خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْهَ  
 مَعَّ اللَّهُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ {61} أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ  
 وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعَّ اللَّهُ قَلِيلًا مَّا  
 تَذَكَّرُونَ {62} أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ  
 الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْهَ مَعَّ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا

يُشْرِكُونَ {63} أَمَّنْ بِيَدِ الْخَلْقِ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ أَلِلَّةٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ {64} النمل 60- 64 فإن هؤلاء المشركين كانوا  
مقرين بأن الله خالق السموات و الأرض و خالقهم و بيده ملكوت  
كل شيء بل كانوا مقرين بالقدر أيضا فإن العرب كانوا يثبتون  
القدر في الجاهلية و هو معروف عنهم في النظم و النثر و مع  
هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله و حده لا شريك له بل عبدوا غيره  
كانوا مشركين شرا من اليهود و النصارى فمن كان غاية توحيدة  
و تحقيقه هو هذا التوحيد كان غاية توحيدة المشركين  
و هذا المقام مقام و أى مقام زلت فيه أقدام و ضلت فيه أفهام و  
بدل فيه دين المسلمين و التبس فيه أهل التوحيد بعباد الأصنام  
على كثير ممن يدعون نهاية التوحيد و التحقيق و المعرفة و  
الكلام و معلوم عند كل من يؤمن بالله و رسوله أن المعتزلة و  
الشيعة القدرية المثبتين للأمر و النهي و الوعد و الوعيد خير  
ممن يسوي بين المؤمن و الكافر و البر و الفاجر و النبي  
الصادق و المنتبىء الكاذب و أولياء الله و أعدائه و يجعل هذا  
غاية التحقيق و نهاية التوحيد و هؤلاء يدخلون في مسمى  
القدرية الذين ذمهم السلف بل هم أحق بالذم من المعتزلة و  
نحوهم كما قال أبو بكر الخلال فى كتاب السنة الرد على  
القدرية و قولهم أن الله أجبر العباد على المعاصي و ذكر عن  
المروذي قال قلت لأبي عبد الله رجل يقول أن الله أجبر العباد  
فقال هكذا لا تقول و أنكر ذلك و قال { يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ  
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } المدثر 31 و ذكر عن المروذي أن رجلا قال  
أن الله لم يجبر العباد على المعاصي فرد عليه آخر فقال أن الله  
جبر العباد أراد بذلك إثبات القدر فسألوا عن ذلك أحمد بن حنبل  
فأنكر عليهما جميعا على الذي قال جبر و على الذي قال لم يجبر  
حتى تاب و أمر أن يقال { يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ  
} المدثر 31 و ذكر عن عبد الرحمن بن مهدي قال أنكر  
سفيان الثوري جبر و قال إن الله جبل العباد قال المروذي

أراد قول النبي صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس يعني قوله  
إن فيك لخلقين يحبهما الله الحلم والإناة فقال أخلقين تخلقت  
بهما أم خلقين جبلت عليهم فقال بل خلقين جبلت عليهما  
فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما وذكر عن أبي  
إسحاق الفزاري قال قال الأوزاعي أتاني رجلان فسألاني عن  
القدر فأجبت أن آتيك بهما تسمع كلاهما و تحببهما قلت رحمك  
الله أنت أولى بالجواب قال فأتاني الأوزاعي و معه الرجلان فقال  
تكلمما فقالا قدم علينا ناس من أهل القدر فنازعونا في القدر و  
نازعناهم فيه حتى بلغ بنا و بهم إلى أن قلنا أن الله جبرنا على  
مانهانا عنه و حال بيننا و بين ما أمرنا به و رزقنا ما حرم علينا  
فقلت يا هؤلاء إن الذين أتوكم بما أتوكم به قد ابتدعوا بدعة و  
أحدثوا حدثا و أنى أراكم قد خرجتم من البدعة إلى مثل ما  
خرجوا إليه فقال أصبت و أحسنت يا أبا إسحاق و ذكر عن  
بقية بن الوليد قال سألت الزبيدي و الأوزاعي عن الجبر فقال  
الزبيدي أمر الله أعظم و قدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل و  
لكن يقضي و يقدر و يخلق و يجبل عبده على ما أحب و قال  
الأوزاعي ما أعرف للجبر أصلا من القرآن و السنة فأهاب أن  
أقول ذلك و لكن القضاء و القدر و الخلق و الجبل فهذا يعرف في  
القرآن و الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و قد  
قال مطرف بن الشخير لم نوكل إلى القدر و إليه نصير و قال  
ضمرة ابن ربيعة لم نوامر أن نتكل على القدر و إليه نصير  
و قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما  
منكم من أحد إلا و قد علم مقعده من الجنة و مقعده من النار  
قالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل و نتكل على الكتاب فقال لا  
إعملوا فكل ميسر لما خلق له و هذا باب و اسع  
والمقصود هنا أن الخلال و غيره من أهل العلم أدخلوا القائلين  
بالجبر في مسمى القدرية و إن كانوا لا يحتجون بالقدر  
على المعاصي فكيف بمن يحتج به على المعاصي و معلوم أنه  
يدخل في ذم من ذم الله من القدرية من يحتج به على إسقاط الأمر

و النهي أعظم مما يدخل فيه المنكر له فإن ضلال هذا أعظم  
ولهذا قرنت القدرية بالمرجئة في كلام غير واحد من السلف و  
روي في ذلك حديث مرفوع لأن كلا من هاتين البدعتين تفسد  
الأمر و النهي و الوعد و الوعيد فالإرجاء يضعف الإيمان  
بالوعيد و يهون أمر الفرائض و المحارم و القدري أن إحتج  
به كان عوناً للمرجيء و إن كذب به كان هو و المرجيء قد تقابلا  
هذا يبلغ في التشديد حتى لا يجعل العبد يستعين بالله على فعل  
مأمر به و ترك ما نهى عنه و هذا يباليغ في الناحية الأخرى  
ومن المعلوم ان الله تعالى ارسل الرسل و انزل الكتب لتصدق  
الرسل فيما اخبرت و تطاع فيما امرت كما قال تعالى { وَمَا  
أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } النساء 64 وقال تعالى  
{ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ } النساء 80 و الايمان بالقدر من  
تمام ذلك فمن اثبت القدر وجعل ذلك معارضا للامر فقد اذهب  
الاصل و معلوم ان من اسقط الامر و النهى الذى بعث الله به  
رسله فهو كافر باتفاق المسلمين و اليهود و النصارى بل هؤلاء  
قولهم متناقض لا يمكن احدا منهم ان يعيش به ولا تقوم به  
مصلحة احد من الخلق ولا يتعاشر عليه اثنان فان القدر ان كان  
حجة فهو حجة لكل احد و الا فليس حجة لاحد فاذا قدر ان الرجل  
ظلمه ظالم او شتمه شاتم او اخذ ماله او افسد اهله او غير ذلك  
فمتى لامه او ذمه او طلب عقوبته ابطل الاحتجاج بالقدر و من  
ادعى ان العارف اذا شهد القدر سقط عنه الامر كان هذا الكلام  
من الكفر الذى لا يرضاه لا اليهود ولا النصارى بل ذلك ممتنع  
فى العقل محال فى الشرع فان الجائع يفرق بين الخبز و التراب  
و العطشان يفرق بين الماء و السراب فيحب ما يشبعه و يرويه  
دون ما لا ينفعه و الجميع مخلوق لله تعالى فالحي وان كان من  
كان لا بد ان يفرق بين ما ينفعه و ينعمه و يسره و بين ما يضره  
و يشقيه و يؤلمه و هذا حقيقة الامر و النهى فان الله تعالى امر العباد  
بما ينفعهم و نهاهم عما يضرهم و الناس فى الشرع و القدر  
على اربعة انواع فشر الخلق من يحتج بالقدر لنفسه ولا

يراه حجة لغيره يستند اليه فى الذنوب والمعائب ولا يطمئن اليه فى المصائب كما قال بعض العلماء انت عند الطاعة قدرى وعند المعصية جبرى اى مذهب وافق هواك تمذهبت به وبازاء هؤلاء

خير الخلق الذين يصبرون على المصائب ويستغفرون من المعائب كما قال تعالى {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ

{ غافر 55 وقال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } {22} لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ

لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } {23} الحديد 22-23 وقال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } {التغابن 11 قال بعض السلف هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم

انها من عند الله فيرضى ويسلم قال تعالى { وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاجِسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ } آل

عمران 135 وقد ذكر الله تعالى عن ادم عليه السلام انه لما فعل من فعل قال { رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } {الأعراف 23 وعن ابلis انه قال {

بِمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَزِيَّتَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أَعُودِيَّتُهُمْ أَجْمَعِينَ } {الحجر 39 فمن تاب اشبه اباه آدم ومن اصر واحتج بالقدر اشبه ابلis والحديث الذى فى الصحيحين فى احتجاج ادم

وموسى عليهما السلام لما قال له موسى انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه و علمك اسماء كل شىء لماذا اخرجتنا ونفسك من الجنة فقال له ادم انت موسى الذى اصطفاك

الله برسالته وبكلامه وخط لك التوراة بيده فيكم وجدت مكتوبا على قبل ان اخلق { وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ } طه 121 قال

بكذا وكذا سنة قال فحج ادم موسى وهذا الحديث فى الصحيحين من حديث ابى هريرة وقد روى باسناد جيد من حديث عمر رضى الله عنه فآدم عليه السلام انما حج موسى لان موسى لآمه على ما فعل لآجل ما حصل لهم من

المصيبة بسبب اكله من الشجرة لم يكن لومه له لاجل حق الله في الذنب فان ادم كان قد تاب من الذنب كما قال تعالى {فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} البقرة 37 وقال تعالى {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ} طه 122 وموسى ومن هو دون موسى عليه السلام يعلم انه بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب وادم اعلم بالله من ان يحتج بالقدر على الذنب وموسى عليه السلام اعلم بالله تعالى من ان يقبل هذه الحجة فان هذه لو كانت حجة على الذنب لكانت حجة لابليس عدو آدم وحجة لفرعون عدو موسى وحجة لكل كافر وفاجر وبطل امر الله ونهيه بل انما كان القدر حجة لآدم على موسى لانه لام غيره لاجل المصيبة التي حصلت له بفعل ذلك وتلك المصيبة كانت مكتوبة عليه وقد قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ} التغابن 11 وقال انس خدمت النبي عشر سنين فما قال لى اف قط ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ولا لشيء لم افعله لم لا فعلته وكان بعض اهله اذا عاتبني على شيء يقول دعوه فلو قضى شيء لكان وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت ما ضرب رسول الله بيده خادما ولا امرأة ولا دابة ولا شيئا قط الا ان يجاهد فى سبيل الله ولا نيل منه شيء قط فانقم لنفسه الا ان تنتهك محارم الله فاذا انتهكت محارم الله لم يقم لغضبه شيء حتى ينقم لله وقد قال لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ففى امر الله ونهيه يسارع الى الطاعة ويقيم الحدود على من تعدى حدود الله ولا تاخذه فى الله لومة لائم واذا آذاه مؤذ او قصر مقصر فى حقه عفا عنه ولم يؤاخذة نظرا الى القدر فهذا سبيل الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وهذا اوجب فيما قدر من المصائب بغير فعل ادمى كالمصائب السماوية او بفعل لا سبيل فيه الى العقوبة كفعل ادم عليه السلام فانه لا سبيل الى لومه شرعا لاجل التوبة ولا قدرا لاجل القضاء والقدر واما اذا ظلم

رجل رجلا فله ان يستوفى مظلته على وجه العدل وان عفا عنه  
كان افضل له كما قال تعالى { وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ  
بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ } المائدة 45<sup>402</sup>

## أصل الضلال اتخاذ دين لم يشره الله أو تحريم ما لم يحرمه الله

\*فاتخاذ ما ليس بمشروع ديناً أو تحريم ما لم يحرم دين الجاهلية  
والنصارى الذي عابه الله عليهم كما قال تعالى { سَيَقُولُ الَّذِينَ  
أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ  
{ الأنعام 148 } وقال تعالى فيما رواه مسلم في صحيحه من  
حديث عياض بن حمار إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم  
الشياطين وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي  
ما لم أنزل به سلطاناً وقال في حق النصارى { وَلَا يُحْرَمُونَ مَا  
حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ } التوبة 29 ومثال ذلك  
أن يحصل من بعضهم تقصير في المأمور أو اعتداء في المنهي  
إما من جنس الشبهات وإما من جنس الشهوات فيقابل ذلك  
بعضهم بالاعتداء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو  
بالتقصير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتقصير  
والاعتداء إما في المأمور به والمنهي عنه شرعاً وإما في نفس  
أمر الناس ونهيبهم هو الذي استحق به أهل الكتاب العقوبة حيث  
قال { وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاؤُوا بِغَضَبِ مَنْ لَدُنَّ  
اللَّهِ } ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ  
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ { البقرة 61 } فجعل ذلك بالمعصية  
والاعتداء والمعصية مخالفة الأمر وهو التقصير والاعتداء  
مجازة الحد وكذلك يضمن كل مؤمن على مال إذا قصر

وفرط في ما أمر به وهو المعصية إذا اعتدى بخيانة أو غيرها  
ولهذا قال {وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ} المائدة 2  
فالإثم هو المعصية والله أعلم وقال النبي إن الله فرض  
فرائض فلا تضيعوها وحرم محارم فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا  
تعتدوها وسكت عن أشياء رحمة لكم من غير نسيان فلا تسألوا  
عنها فالمعصية تضييع الفرائض وانتهاك المحارم وهو مخالفة  
الأمر والنهي والاعتداء مجاوزة حدود المباحات وقال تعالى  
{يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجْلُ لَّهُمُ الطَّيِّبَاتِ  
وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ} الأعراف 157 فالمعصية مخالفة أمره  
ونهييه والاعتداء مجاوزة ما أحله إلى ما حرمه وكذلك قوله والله  
أعلم {رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا} آل  
عمران 147 فالذنوب المعصية والإسراف الاعتداء ومجاوزة  
الحد واعلم أن مجاوزة الحد هي نوع من مخالفة النهي لأن  
اعتداء الحد محرم منهى عنه فيدخل في قسم المنهي عنه لكن  
المنهي عنه قسمان منهى عنه مطلقا كالكفر فهذا فعله إثم ومنهي  
عنه وقسم أبيح منه أنواع ومقادير وحرم الزيادة على تلك  
الأنواع والمقادير فهذا فعله عدوان وكذلك قد يحصل العدوان  
في الأمور به كما يحصل في المباح فإن الزيادة على الأمور به  
قد يكون عدوانا وقد يكون مباحا مطلقا وقد يكون مباحا إلى غاية  
فالزيادة عليها عدوان ولهذا التقسيم قيل في الشريعة هي  
الأمر والنهي والحلال والحرام والفرائض والحدود والسنن  
والأحكام فالفرائض هي المقادير في الأمور به والحدود  
النهايات لما يجوز من المباح الأمور به وغير الأمور به<sup>403</sup>

\*فما رواه مسلم في صحيحه عن جابر قال كان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه  
حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا



والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعين السبابة والوسطى ويقول أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وفي رواية للنسائي وكل ضلالة في النار وفيما رواه أيضا في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد وفي لفظ في الصحيحين من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد وفي الحديث الصحيح الذي رواه أهل السنن عن العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وهذه قاعدة قد دلت عليها السنة والإجماع مع ما في كتاب الله من الدلالة عليها أيضا قال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 فمن ندب إلى شيء يتقرب به إلى الله أو أوجبه بقوله أو فعله من غير أن يشرعه الله فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله ومن اتبعه في ذلك فقد اتخذ شريكا لله شرع له من الدين ما لم يأذن به الله نعم قد يكون متأولا في هذا الشرع فيغفر له لأجل تأويله إذا كان مجتهدا الاجتهاد الذي يعفي فيه عن المخطئ ويثاب أيضا على اجتهاده لكن لا يجوز اتباعه في ذلك كما لا يجوز اتباع سائر من قال أو عمل قولاً أو عملاً قد علم الصواب في خلافه وإن كان القائل أو الفاعل مأجورا أو معذورا وقد قال سبحانه { اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهَيْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } التوبة 31 قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فمن أطاع أحدا في دين لم يأذن به الله من تحليل أو تحريم أو استحباب أو إيجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب كما يلحق الأمر

الناهي أيضا نصيب ثم قد يكون كل منهما مغفوا عنه  
 لاجتهاده ومثابا أيضا على الاجتهاد فيتخلف عنه الذم لفوات  
 شرطه أو لوجود مانعه وإن كان المقتضي له قائما ويلحق الذم  
 من يبين له الحق فيتركه أو من قصر في طلبه حتى لم يتبين له  
 أو عرض عن طلب معرفته لهوى أو لكسل أو نحو ذلك  
 وأيضا فإن الله عاب على المشركين شيئين أحدهما أنهم  
 أشركوا به مالم ينزل به سلطانا والثاني تحريمهم مالم يحرمه  
 الله عليهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فيما رواه  
 مسلم عن عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 قال الله تعالى إني جعلت عبادي حفاء فاجتالتهم الشياطين  
 وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل  
 به سلطانا قال سبحانه {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا  
 أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ} {الأنعام 148} فجمعوا بين  
 الشرك والتحريم والشرك يدخل فيه كل عبادة لم يأذن الله بها فإن  
 المشركين يزعمون أن عبادتهم إما واجبة وإما مستحبة وإن فعلها  
 خير من تركها ثم منهم من عبد غير الله ليتقرب بعبادته إلى  
 الله ومنهم من ابتدع دينا عبدوا به الله في زعمهم كما أحدثه  
 النصارى من أنواع العبادات المحدثه وأصل الضلال في  
 أهل الأرض إنما نشأ من هذين إما اتخاذ دين لم يشرعه الله أو  
 تحريم مالم يحرمه الله ولهذا كان الأصل الذي بنى الإمام أحمد  
 وغيره من الأئمة عليه مذاهبهم أن أعمال الخلق تنقسم إلى  
 عبادات يتخذونها دينا ينتفعون بها في الآخرة أو في الدنيا  
 والآخرة وإلى عادات ينتفعون بها في معاشهم فالأصل في  
 العبادات أن لا يشرع منها إلا ما شرعه الله والأصل في  
 العادات أن لا يحظر منها إلا ما حظره الله وهذه المواسم  
 المحدثه إنما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذي يتقرب به  
 كما سنذكره إن شاء الله واعلم أن هذه القاعدة وهي الاستدلال

بكون الشيء بدعة على كراهته قاعدة عامة عظيمة وتامها  
بالجواب عما يعارضها<sup>404</sup>

## أهل السنة وسط بين أهل التعطيل وبين أهل التمثيل

\*فأهل السنة والجماعة في الفرق فهم في باب أسماء الله وآياته وخصائصه ووصفاته وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في أسماء الله وآياته ويعطلون حقائق ما نعت الله به نفسه حتى يشبهوه بالعدم والموات وبين أهل التمثيل الذين يضربون له الأمثال ويشبهونه بالمخلوقات فيؤمن أهل السنة والجماعة بما وصف الله به نفسه وما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف وتمثيل وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون بقدرته الكاملة ومشيتته الشاملة وخلق كل شيء وبين المفسدين لدين الله الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا { **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ** } { الأنعام 148 } فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يعجز عن إنفاذ مراده وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات ويؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة وعمل وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً إذ المجبور من أكرهه على خلاف اختياره والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد والله خالقه وخالق اختياره

<sup>404</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 268-269 و مجموع الفتاوى ج: 4 ص:

وهذا ليس له نظير فإن الله ليس كمثلته شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله<sup>405</sup>

## أضل الضلال اتباع الظن والهوى

\*قال تعالى { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } الأنعام 148 فإن اتباع الظن جهل واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم وجماع الشر الجهل والظلم قال الله تعالى { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا } الأحزاب 72<sup>406</sup>

وأضل الضلال اتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى في حق من ذمهم { إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى } النجم 23 وقال في حق نبيه ( وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى {1} مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى {2} وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى {3} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى {4} النجم 1-4 فنزله عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم فالضلال هو الذي لا يعلم الحق والغاوي الذي يتبع هواه وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس بل هو وحي أوحاه الله إليه فوصفه بالعلم ونزله عن الهوى<sup>407</sup>

## من احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه كان من أخسر الناس

<sup>405</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 374

<sup>406</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 348

<sup>407</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 384

\*فقوله { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ } النساء 79 حق من كل وجه ظاهرا وباطنا على مذهب أهل السنة وأما السيئة فلا تكون إلا بذنب العبد وذنبه من نفسه وهو لم يقل إني لم أقدر ذلك ولم أخلقه بل ذكر للناس ما ينفعهم فإذا تدبر العبد علم أن ما هو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر الله فزاده الله من فضله عملا صالحا ونعما يفيضها عليه وإذا علم أن الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه استغفر وتاب فزال عنه سبب الشر فيكون العبد دائما شاكرا مستغفرا فلا يزال الخير يتضاعف له والشر يندفع عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته الحمد لله فيشكر الله ثم يقول نستعينه ونستغفره نستعينه على الطاعة ونستغفره من المعصية ثم يقول ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا فيستعيز به من الشر الذي في النفس ومن عقوبة عمله فليس الشر إلا من نفسه ومن عمل نفسه فيستعيز الله من شر النفس أن يعمل بسبب سيئاته الخطايا ثم إذا عمل استعاذ بالله من سيئات عمله ومن عقوبات عمله فاستعانه على الطاعة وأسبابها واستعاذ به من المعصية وعقابها فعلم العبد بأن ما أصابه من حسنة فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه يوجب له هذا وهذا فهو سبحانه فرق بينهما هنا بعد أن جمع بينهما في قوله { قُلْ كُلُّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ } النساء 78 ثم بين فرق الذي ينتفعون به وهو أن هذا الخير من نعمة الله فاشكروه يزكم وهذا الشر من ذنوبكم فاستغفروه يدفعه عنكم والمذنب إذا تاب واستغفر تأسى بالانبياء كآدم والمؤمنين كآدم وغيره وإذا أصر واحتج بالقدر فقد تأسى بالأشقياء كإبليس ومن اتبعه من الغاوين فكان من ذكره أن السيئة من نفس الإنسان بذنوبه بعد أن ذكر أن الجميع من عند الله تنبيها على الاستغفار والتوبة والاستعاذة بالله من شر نفسه وسيئات عمله والدعاء بذلك في الصباح والمساء وعند المنام كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك أبا بكر الصديق أفضل الأمة حيث علمه أن يقول اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أعوذ بك من شر نفسي وشر

الشیطان وشركه وأن اقترف على نفسي سوءاً أو أجره إلى مسلم  
 فيستغفر مما مضى ويستعيذ مما يستقبل فيكون من حزب  
 السعداء وإذا علم أن الحسنه من الله الجزاء والعمل سأل أن يعينه  
 على فعل الحسنات بقوله {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة 5  
 وأما إذا أخبر أن الجميع من عند الله فقط ولم يذكر الفرق فإنه  
 يحصل من هذه التسوية إعراض العاصي والمذنب عن ذم نفسه  
 وعن التوبة من ذنوبها والاستعاذه من شرها بل وقام في نفسه أن  
 يحتج على الله بالقدر وتلك حجة داحضة لا تنفعه بل تزيده عذاباً  
 وشقاء كما زادت إبليس وكالذين قالوا {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا  
 لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ  
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى دَاقُوا بِآسِنَاتِهِمْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ  
 لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ} الأنعام 148 فمن  
 احتج بالقدر على ما فعله من ذنوبه وأعرض عما أمر الله من  
 التوبة والاستغفار والاستعانة بالله والاستعاذه به واستهائه كان  
 من أخسر الناس في الدنيا والآخرة فهذا من فوائد ذكر الفرق بين  
 الجميع<sup>408</sup>

### أحرص على ما ينفعك واستعن بالله

\* فقول القائل كيف تستجلب الأقسام بالحركات جوابه ان  
 الأقسام تناولت الحركات كما تناولت السعادات والله تعالى قدر  
 ان يكون هذا بهذا فإذا ترك العبد العمل ظاناً أن السعادة تحصل  
 له كان هذا الترك سبباً لكونه من أهل الشقاوة وهنا ضل  
 فريقان فريق كذبوا بالقضاء والقدر وصدقوا بالأمر والنهي  
 وفريق آمنوا بالقضاء ولاقدر لكن قصرُوا في الأمر والنهي  
 وهؤلاء شر من الأولين فإن هؤلاء من جنس المشركين الذين

<sup>408</sup>الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 43-44 و مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 265

قالوا لو شاء الله ما أشركنا **سورة الأنعام 148** وأولئك من جنس المجوس لكن إذا عنى بهذا الكلام أن العبد لا يتكل على عمله ولا يظن أنه ينجو بسعيه فهذا معنى صحيح فالأسباب التي من العباد بل ومن غيرهم ليست موجبات لا لأمر الدنيا ولا لأمر الآخرة بل قد يكون لا بد منها ومن أمور أخرى من فضل الله ورحمته خارجة عن قدرة العبد وما ثم موجب إلا مشيئة الله فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل ذلك قد بينه النبي ص وهو معروف عند من نور الله بصيرته وأما التفريق بين المقدور عليه والمعجوز عنه ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ص أنه قال المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن اللو تفتح عمل الشيطان وفي سنن أبي داود عن النبي ص أنه اختصم إليه رجلان ففضى على أحدهما فقال المقضى عليه حسبي الله ونعم الوكيل فقال النبي ص إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا أحزنك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل<sup>409</sup>

## الإيمان بالقدر هدى و الإحتجاج به على الله ضلال

### وغى

\* أن الله رب كل شيء وخالقه ومليكه لارب غيره ولا خالق سواه وإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن لا حول ولا قوة إلا به ولا ملجأ منه إلا إليه وأنه على كل شيء قدير فجميع ما فى السموات و الأرض من الأعيان و صفاتها و حركاتها فهي

<sup>409</sup>الاستقامة ج: 1 ص: 176-177

مخلوقة له مقدورة له مصرفة بمشيئته لا يخرج شيء منها عن قدرته و ملكه و لا يشركه فى شيء من ذلك غيره بل هو سبحانه لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير فالعبد فقير الى الله فى كل شيء يحتاج إليه فى كل شيء لا يستغنى عن الله طرفة عين فمن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له فنقول إذا ألهم العبد أن يسأل الله الهداية و يستعينه على طاعته أعانه و هداه و كان ذلك سبب سعادته فى الدنيا و الآخرة و إذا خذل العبد فلم يعبد الله و لم يستعن به و لم يتوكل عليه و كل الى حوله و قوته فيوليه الشيطان و صد عن السبيل و وشقى فى الدنيا و الآخرة و كل ما يكون فى الوجود هو بقضاء الله و قدره لا يخرج أحد عن القدر المقدر و لا يتجاوز ما خط له فى اللوح المحفوظ ليس لأحد على الله حجة بل

**{ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } الأنعام 149 كل**  
**نعمة منه فضل و كل نعمة منه عدل و على العبد أن يؤمن**  
**بالقدر و ليس له أن يحتج به على الله فالإيمان به هدى و**  
**الإحتجاج به على الله ضلال و غي بل الإيمان بالقدر يوجب أن**  
**يكون العبد صبارا شكورا صبورا على البلاء شكورا على**  
**الرخاء إذا أصابته نعمة علم أنها من عند الله فشكره سواء كانت**  
**النعمة حسنة فعلها أو كانت خيرا حصل بسبب سعيها فإن الله هو**  
**الذي يسر عمل الحسنات و هو الذي تفضل بالثواب عليها فله**  
**الحمد فى ذلك كله و إذا أصابته مصيبة صبر عليها و إن كانت**  
**تلك المصيبة قد جرت على يد غيره فأنه هو الذي سلب ذلك**  
**الشخص و هو الذي خلق أفعاله و كانت مكتوبة على العبد كما**  
**قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا**  
**فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } 22 { لِكَيْلَا**  
**تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ**  
**فَخُورٍ } الحديد 22-23 و قال تعالى { مَا أَصَابَ مِنْ**  
**مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ } التغابن 11 قالوا**  
**هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلم**



وعليه إذا أذنب أن يستغفر ويتوب ولا يحتج على الله بالقدر ولا يقول أي ذنب لي وقد قدر علي هذا الذنب بل يعلم أنه هو المذنب العاصي الفاعل للذنب وإن كان ذلك كله بقضاء الله وقدره ومشيبته إذ لا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته و خلقه لكن العبد هو الذي أكل الحرام و فعل الفاحشة و هو الذي ظلم نفسه كما أنه هو الذي صلى و صام و حج و جاهد فهو الموصوف بهذه الأفعال و هو المتحرك بهذه الحركات و هو الكاسب بهذه المحدثات له ما كسب و عليه ما إكتسب و الله خالق ذلك و غيره من الأشياء لما له في ذلك من الحكمة البالغة بقدرته التامة و مشيئته النافذة قال تعالى { فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ } غافر 55 فعلى العبد أن يصبر على المصائب و أن يستغفر من المعائب و الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر و لا يحب الفساد و هو سبحانه خالق كل شيء و ربه و مليكه و ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن فمن يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و مشيئة العبد للخير و الشر موجودة فإن العبد له مشيئة للخير و الشر وله قدرة على هذا و هذا و هو العامل لهذا و هذا و الله خالق ذلك كله و ربه و مليكه لا خالق غيره و لا رب سواه ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن و قد أثبت الله المشيئتين مشيئة الرب و مشيئة العبد و بين أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب في قوله تعالى { إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } 29 { وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } 30 { الانسان 29-30 و قال تعالى { إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } 27 { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ } 28 { وَمَا تَشَاوُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } 29 { التكوير 27-29 و قد قال تعالى { أَيَّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ وَالِقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } 78 { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا

أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ  
شَهِيدًا {79} النساء 78-79 410

### { فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ }

\*قال تعالى **{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ}** الانعام 149 اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيء قدير كما نطق بذلك القرآن أى فى مواضع كثيرة جدا وأن الشيء إسم لما يو جد فى الأعيان و لما يتصور فى الأذهان فما قدره الله و علم أنه سيكون هو شيء فى التقدير و العلم و الكتاب و أن لم يكن شيئا فى الخارج و منه قوله **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}** يس 82 و لفظ الشيء فى الآية يتناول هذا و هذا فهو على كل شيء ما و جد و كل ما تصوره الذهن موجودا إن تصور أن يكون موجودا قدير لا يستثنى من ذلك شيء و لا يزداد عليه شيء كما قال تعالى **{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}** القيامة 4 و قال **{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ}** المؤمنون 18 قال المفسرون لقادرون على أن نذهب به حتى تموتوا عطشا و تهلك مواشيكم و تخرب أراضيكم و معلوم أنه لم يذهب به و هذا كقوله **{أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ}** الواقعة 68 إلى قوله و **{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}** الواقعة 82 و هذا يدل على أنه قادر على ما لا يفعله فإنه أخبر أنه لو شاء جعل الماء أجاجا و هو لم يفعله و مثل هذا **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ سِبْطَنَا لَاتَيْنَاكَ كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}** السجدة 13 **{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ}** يونس 99 **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا}** البقرة 253

فإنه أخبر في غير موضع أنه لو شاء لفعل أشياء و هو لم يفعلها  
فلو لم يكن قادرا عليها لكان إذا شاءها لم يمكن فعلها <sup>411</sup>

## الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وباليوم الآخر أمور متلازمة

\*ودين الإسلام مبنى على أصليين وهما تحقيق شهادة أن لا إله إلا  
الله وأن محمدا رسول الله وأول ذلك أن لا تجعل مع الله الها آخر  
فلا تحب مخلوقا كما تحب الله ولا ترجوه كما ترجو الله ولا  
تخشاه كما تخشى الله ومن سوى بين المخلوق والخالق في شيء  
من ذلك فقد عدل بالله وهو من الذين بربهم يعدلون وقد جعل مع  
الله الها آخر وإن كان مع ذلك يعتقد أن الله وحده خلق السموات  
والأرض فإن مشركى العرب كانوا مقرين بأن الله وحده  
خلق السموات والأرض كما قال تعالى {وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ  
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى  
يُؤْفَكُونَ} العنكبوت 61 وكانوا مع ذلك مشركين يجعلون مع الله  
الهة أخرى <sup>412</sup>

\*قال تعالى فى أعظم الآيات {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ  
الْقَيُّومُ} البقرة 255 ذكره فى ثلاثة مواضع من القرآن كل موضع  
فيه أحد أصول الدين الثلاثة و هى التوحيد و الرسل و الآخرة  
هذه التى بعث بها جميع المرسلين و أخبر عن المشركين أنهم  
يكفرون بها فى مثل قوله {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا  
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} الأنعام 150  
فقال هنا {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} البقرة 255 قرنها

<sup>411</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 10

<sup>412</sup>مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 311

بأنه لا إله إلا هو و زاد في آل عمران { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ } {3} مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ } {4} ال عمران 3-4 و هذا إيمان بالكتب و الرسل و قال في طه { يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا } {109} { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا } {110} { وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا } {111} طه 109-111 <sup>413</sup>

\*قال تعالى { حَتَّىٰ إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ } الأعراف 38 كذلك قال { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } غافر 82 الى قوله { وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } {85} غافر 85 فأخبر هنا بمثل ما اخبر به في الأعراف أن هؤلاء المعرضين عما جاءت به الرسل لما رأوا بأس الله وحدوا الله وتركوا الشرك فلم ينفعهم ذلك وكذلك اخبر عن فرعون وهو كافر بالتوحيد وبالرسالة انه لما ادركه الغرق قال { قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } يونس 90 قال الله { الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } يونس 91 وقال تعالى { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ } {172} { أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } {173} الأعراف 172-173 وقال تعالى { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا

بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ {9} قَالَتْ  
رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ  
مَنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَرِّجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا  
تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ

مُبِينٍ {10} إبراهيم 9-10 وهذا في القرآن في مواضع أخر يبين  
فيها أن الرسل كلهم امرؤا بالتوحيد بعبادة الله وحده لا شريك له  
ونہوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواہ أو اتخاذه الہا ويخبر  
ان اهل السعادة هم اهل التوحيد وأن المشركين هم اهل الشقاوة  
وذكر هذا عن عامة الرسل ويبين أن الذين لم يؤمنوا بالرسل  
مشركون فعلم أن التوحيد والایمان بالرسل متلازمان وكذلك  
الایمان بالیوم الآخر هو والایمان بالرسل متلازمان فالثلاثة  
متلازمة ولهذا يجمع بينها في مثل قوله {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ  
{الأنعام 150

ولهذا أخبر ان الذين لا يؤمنون بالآخرة مشركون فقال تعالى  
{وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
{الزمر 45 وأخبر عن جميع الأشقياء ان الرسل انذرتهم  
بالیوم الآخر كما قال تعالى { كَلَّمَا أُتِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهَا  
أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ {8} قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ  
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ {9} وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ  
أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ {10} فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا  
لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ {11} الملك 8-111 فأخبر ان الرسل انذرتهم  
وانهم كذبوا بالرسالة وقال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ  
زُمْرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ  
رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا

قَالُوا بَلَىٰ { الزمر 71 فأخبر عن اهل النار انهم قد جاءتهم  
الرسالة وانذروا باليوم الآخر <sup>414</sup>

### ثلاث مهلكات

\*والهوى مصدر هوى يهوى هوى ونفس المهوي يسمى هوى  
ما يهوى فاتباعه كاتباع السبيل كما قال تعالى { وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ  
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ  
{ الأنعام 150 وكما في لفظ الشهوة فاتباع الهوى يراد به نفس  
مسمى المصدر أي اتباع ارادته ومحبته التي هي هواه واتباع  
الارادة هو فعل ما تهواه النفس كقوله تعالى واتبع سبيل من أناب  
الي وقوله وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل  
فتفرق بكم عن سبيله وقال ولا تتبعوا من دونه أولياء فلفظ الاتباع  
يكون للأمر الناهي وللأمر والنهي وللمأمور به والمنهي عنه  
وهو الصراط المستقيم كذلك يكون للهوى أمر ونهي وهو أمر  
النفس ونهيا كما قال تعالى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم  
ربي ان ربي غفور رحيم ولكن ما يأمر به من الأفعال المذمومة  
فأحدها مستلزم للآخر فاتباع الأمر هو فعل المأمور واتباع أمر  
النفس هو فعل ما تهواه فعلى هذه يعلم أن اتباع الشهوات واتباع  
الأهواء هو اتباع شهوة النفس وهواها وذلك يفعل ما تشتهيه  
وتهواه بل قد يقال هذا هو الذي يتعين في لفظ اتباع الشهوات  
والأهواء لأن الذي يشتهي ويهوى انما يصير موجودا بعد أن  
يشتهي ويهوى وإنما يذم الانسان اذا فعل ما يشتهي ويهوى عند  
وجود فهو حينئذ قد فعل ولا ينهى عنه بعد وجوده ولا يقال

<sup>414414</sup>مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 28- 34 و مجموع الفتاوى ج: 18 ص:

لصاحبه لا تتبع هواك وأيضا فالفعل المراد المشتهى الذي يهواه الانسان هو تابع لشهوته وهواه فليست الشهوة والهوى تابعة له فاتباع الشهوات هو اتباع شهوة النفس واذا جعلت الشهوة بمعنى المشتهى كان مع مخالفة الأصل يحتاج الى أن يجعل في الخارج ما يشتهى والانسان يتبعه كالمرأة المطلوبة أو الطعام المطلوب وإن سميت المرأة شهوة والطعام أيضا كما في قوله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه وطعامه وشرابه وشهوته من أجلي أي بترك شهوته وهو إنما يترك ما يشتهيه كما يترك الطعام لأنه يدع طعامه بترك الشهوة الموجودة في نفسه فإن تلك مخلوقة فيه مجبول عليها وإنما يثاب اذا ترك ما تطلبه تلك الشهوة و حقيقة الأمر أنهما متلازمان فمن اتبع نفس شهوته القائمة بنفسه اتبع ما يشتهيه وكذلك من اتبع الهوى القائم بنفسه اتبع ما يهواه فإن ذلك من آثار الارادة واتباع الارادة هو امتثال أمرها وفعل ما تطلبه كالمأمور الذي يتبع أمر أميره ولا بد أن يتصور مراده الذي يهواه ويشتهيه في نفسه ويتخيله قبل فعله فيبقى ذلك المثل كالإمام مع المأموم يتبعه حيث كان وفعله في الظاهر تبع لاتباع الباطن فتبقى صورة المراد المطلوب المشتهى التي في النفس هي المحركة للانسان الأمرة له ولهذا يقال العلة الغائية علة فاعلية فإن الانسان لليلة الغائية بهذا التصور والارادة صار فاعلا للفعل وهذه الصورة المرادة المتصورة في النفس هي التي جعلت الفاعل فاعلا فيكون الانسان متبعا لها والشيطان يمد في الغي فهو يقوي تلك الصورة ويقوي أثرها ويزين للناس اتباعها وتلك الصورة تتناول صورة العين المطلوبة كالمحبيب من الصور والطعام والشراب وتتناول نفس الفعل الذي هو المباشرة لذلك المطلوب المحبوب والشيطان والنفس تحب ذلك وكما تصور ذلك المحبوب في نفسه أراد وجوده في الخارج فإن أول الفكر آخر العمل وأول البغية آخر الدرك ولهذا يبقى الانسان عند شهوته وهواه أسيرا لذلك مقهورا تحت سلطان الهوى أعظم من

قهر كل قاهر فإن هذا القاهر الهوائي القاهر للعبد هو صفة قائمة بنفسه لا يمكنه مفارقتها البتة والصورة الذهنية تطلبها النفس فإن المحبوب تطلب النفس أن تدركه وتمثله لها في نفسها فو متبع للارادة وإن كانت الذهنية والتزين من الزين والمراد التصور في نفسه والمشتهى الموجود في الخارج له محركان التصور والمشتهى هذا يحركه تحريك طلب وأمر وهذا يأمره أن يتبع طلبه وأمره فاتباع الشهوات والأهواء يتناول هذا كله بخلاف كل قاهر ينفصل عن الانسان فإنه يمكنه مفارقتها مع بقاء نفسه على حالها وهذا انما يفارقه بتغير صفة نفسه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنا وكلمة الحق في الغضب والرضا وقوله في الحديث هوى متبع فيه دليل على أن المتبع هو ما قام في النفس كقوله في الشح المطاع وجعل الشح مطاعا لأنه هو الأمر وجعل الهوى متبعا لأن المتبع قد يكون اماما يقتدى به ولا يكون أمرا<sup>415</sup>

### أهل البدع والتفرق هم أهل الأهواء

\*فإن إتباع الإنسان لما يهواه هو أخذ القول والفعل الذى يحبه ورد القول والفعل الذى يبغضه بلا هدى من الله قال تعالى { فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } الأنعام 150 فمن أتبع أهواء الناس بعد العلم الذى بعث الله به رسوله وبعد هدى الله الذى بينه لعباده فهو بهذه المثابة ولهذا كان السلف يسمون أهل

<sup>415</sup>الزهد والورع والعبادة ج: 1 ص: 28



البدع والتفرق المخالفين للكتاب والسنة أهل الأهواء حيث قبلوا  
ما أحبوه وردوا ما أبغضوه بأهوائهم بغير هدى من الله <sup>416</sup>

## إن المشركين يعدلون آلهتهم برب العالمين

\* قال تعالى { فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ  
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ  
{ الأنعام 150 وهذا يتناول أهواء المشركين كما صرح بنهيه  
عن اتباع أهواء المشركين <sup>417</sup>

\* فإن المشركين يعدلون آلهتهم برب العالمين كما قال { ثُمَّ  
الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ { الأنعام 1 } و قال { تَأْتِيهِمْ إِنْ كُنَّا لَفِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ {97} إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {98} الشعراء 97-  
<sup>418</sup> 98

\* و إذا كان الشيء يعدل غيره فعدل الشيء بالفتح هو مساويه  
و إن كان من غير جنسه كما قال تعالى { أَوْ عَدَلُ ذَلِكَ صِيَامًا  
{ المائدة 95 والصيام ليس من جنس الطعام و الجزاء و لكنه  
يعادله في القدر و كذلك قوله صلى الله عليه و سلم لا يقبل الله  
منه صرفا و لا عدلا و قوله تعالى { وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ  
{ البقرة 123 أي فدية و الفدية ما يعدل بالمفدى و إن كان من  
غير جنسه { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ { الأنعام 1 أي  
يجعلون له عدلا أي ندا في الإلهية و إن كانوا يعلمون أنه ليس  
من جنس الرب سبحانه <sup>419</sup>

<sup>416</sup> مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 189

<sup>417</sup> الجواب الصحيح ج: 3 ص: 57

<sup>418</sup> مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 362

<sup>419</sup> مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 137

## أعلم الناس من كان رأيه وقياسه موافقا للنصوص

\*أعلم الناس من كان رأيه واستصلاحه واستحسانه وقياسه موافقا للنصوص كما قال مجاهد أفضل العبادة الرأي الحسن وهو اتباع السنة ولهذا قال تعالى { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ } سبأ6 ولهذا كان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة والشريعة في مسائل الاعتقاد الخبرية ومسائل الأحكام العملية أهل الأهواء لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم فصاحبه ممن اتبع هواه بغير علم ولهذا يذكر الله في القرآن من يتبع هواه بغير علم ويذم من يتبع هواه بغير هدى من الله كما قال تعالى { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ } القصص50 وقال تعالى { وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } الأنعام119 وكل من اتبع هواه اتبعه بغير علم إذ لا علم بذلك إلا بهدي الله الذي بعث الله به رسله كما قال تعالى { فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } {124} طه123-124 ولهذا ذم الله الهوى في مواضع من كتابه واتباع الهوى يكون في الحب والبغض كقوله تعالى { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } ص26 فهنا يكون اتباع الهوى هو ما يخالف الحق في الحكم قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ

تَلُؤُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا { النساء 135  
فهنا يكون اتباع الهوى فيما يخالف القسط من الشهادة وغيرها  
والحق هو العدل واتباع الهوى في خلاف ذلك هو من الظلم  
وقد نهى رسول الله عن اتباع أهواء الخلق وقال تعالى { وَلَنْ  
تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ  
هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ  
مِنَ اللَّهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ { البقرة 120 فهناه عن اتباع أهواء  
الذين أتوا الكتاب بعد ما جاءه من العلم وكذلك قال تعالى  
في الآية الأخرى { وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ  
الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ { البقرة 145 وقال تعالى { وَأَن احْكُم  
بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن  
بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ  
بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ { المائدة 49 وقال تعالى { قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ  
الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا  
تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ  
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ { الأنعام 150 فقد نهاه عن اتباع أهواء  
المشركين واتباع أهواء أهل الكتاب وحذره أن يفتنوه عما أنزل  
الله إليه من الحق وذلك يتضمن النهي عن اتباع أهواء أحد في  
خلاف شريعته وسنته وكذا أهل الأهواء من هذه الأمة وقد بين  
ذلك في قوله تعالى { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا  
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ { 18 } إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ  
شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ { 19 }  
الجاثية 18-19 فقد أمره في هذه الآية باتباع الشريعة التي جعله  
عليها ونهاه عن اتباع ما يخالفها وهي أهواء الذين لا يعلمون  
ولهذا كان كل من خرج عن الشريعة والسنة من أهل الأهواء كما  
سماهم السلف وقال تعالى { وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ  
السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ { المؤمنون 71 وقال تعالى  
{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ  
قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ

{المائدة 77} وقال تعالى {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ {الأنعام 119} وقال تعالى {قَالُوا لَوْلَا آوْتِي مِثْلَ مَا آوْتِي مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكْفُرُوا بِمَا آوْتِي مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ} {القصص 48} إلي قوله {فَاتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} {49} فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظالمين} {50} {القصص 49-50} وقال تعالى {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} {16} وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} {17} محمد 16-17 فذكر الذين أوتوا العلم وهم الذين يعلمون أن ما أنزل إليه من ربه الحق ويفقهون ما جاء به وذكر المطبوع علي قلوبهم فلا يفقهون إلا قليلا الذين اتبعوا أهوائهم يسألونهم ماذا قال الرسول آنفا وهذه حال من لم يفقه الكتاب والسنة بل يستشكل ذلك فلا يفقهه أو قرأه متعارضا متناقضا وهي صفة المنافقين ثم ذكر صفة

المؤمنين فقال تعالى { وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ } محمد 17 زيادة الهدى وهو ضد الطبع علي قلوب أولئك وآتاهم تقواهم وهو ضد اتباع أولئك الأهواء فصاحب التقوى ضد صاحب الأهواء كما قال تعالى {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ} {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} {41} {النازعات 40-41} وقال تعالى {إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا} {الفتح 26}

<sup>420</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 20

**"ليس أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما**

**ظهر منها وما بطن "**

\* قال الله تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } {151} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } {152} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } {153} {الأنعام 151- 153} في الصحيحين عن عبد الله بن

مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما احد اغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما احد احب اليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه وفي رواية لمسلم وليس احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك انزل الكتاب وارسل الرسل جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين وصفة سبحانه بأكمل المحبة للممادح واكمل البغض للمحارم وفي الصحيحين عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لأضربنه بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تعجبون من غيرة سعد والله لأنا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله من اجل ذلك وعد الله الجنة وقال البخاري وقال عبيد الله بن عمرو عن عبد الملك لا شخص اغير من الله وترجم البخاري على ذلك باب وفي الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى

الله عليه وسلم انه قال ان الله يغار وغيره الله ان يأتي المؤمن ما حرم عليه وفي الصحيح عن اسماء انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا شيء اغير من الله <sup>421</sup>

\* وفي الصحيحين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا امة محمد ما احد اغير من اله ان يزني عبده او تزني امته <sup>422</sup>

### المحرمات قسمان

\* أن المحرمات قسمان أحدهما ما يقطع بأن الشرع لم يبيح منه شيئاً لا لضرورة ولا لغير ضرورة كالشرك والفواحش والقول على الله بغير علم والظلم المحض وهي الأربعة المذكورة في قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} الأعراف 33 فهذه الأشياء محرمة في جميع الشرائع وبتحريمها بعث الله جميع الرسل ولم يبيح منها شيئاً قط ولا في حال من الأحوال ولهذا أنزلت في هذه السورة المكية ونفي التحريم عما سواها فانما حرمه بعدها كالدّم والميتة ولحم الخنزير حرمه في حال دون حال وليس تحريمه مطلقاً وكذلك الخمر يباح لدفع الغصة بالاتفاق ويباح لدفع العطش في أحد قولي العلماء ومن لم يبيحها قال إنها لا تدفع العطش وهذا مأخذ أحمد فحينئذ فالأمر موقوف على دفع العطش بها فان علم أنها

<sup>421</sup> مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 184 و مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 437

و الاستقامة ج: 2 ص: 3

<sup>422</sup> الاستقامة ج: 2 ص: 5

تدفعه أبيحت بلا ريب كما يباح لحم الخنزير لدفع المجاعة  
وضرورة العطش الذي يرى أنه يهلكه أعظم من ضرورة الجوع  
ولهذا يباح شرب النجاسات عند العطش بلا نزاع فان اندفع  
العطش وإلا فلا إباحة في شيء من ذلك وكذلك الميسر  
فإن الشارع أباح السبق فيه بمعنى الميسر للحاجة في مصلحة  
الجهاد وقد قيل إنه ليس منه وهو قول من لم يباح العوض من  
الجانبيين مطلقا إلا المحلل ولا ريب أن الميسر أخف من أمر  
الخمير وإذا أبيحت الخمير للحاجة فالميسر أولى والميسر لم يحرم  
لذاته إلا لأنه يصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويوقع العداوة  
والبغضاء فإذا كان فيه تعاون على الرمي الذي هو من جنس  
الصلاة وعلى الجهاد الذي فيه تعاون وتتألف به القلوب على  
الجهاد زالت هذه المفسدة وكذلك بيع الغرر هو من جنس  
الميسر ويباح منه أنواع عند الحاجة ورجحان المصلحة  
وكذلك الربا حرم لما فيه من الظلم وأوجب أن لا يباع  
الشيء إلا بمثله ثم أبيع ببيعه بجنسه خرصا عند الحاجة بخلاف  
غيرها من المحرمات فانهم تحرم في حال دون حال ولهذا والله  
أعلم نفي التحريم عما سواها وهو التحريم المطلق العام فان  
المنفي من جنس المثبت فلما أثبت فيها التحريم العام المطلق نفاه  
عما سواها و المقام الثاني أن يفرق بين ما يفعل في  
الانسان ويأمر به ويبيحه وبين ما يسكت عن نهيه غيره عنه  
وتحريمه عليه فاذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ما  
هو أشد تحريما لم ينه عنه ولم يبيحه أيضا ولهذا لا يجوز  
إنكار المنكر بما هو أنكر منه ولهذا حرم الخروج على ولاية  
الأمر بالسيف لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن ما  
يحصل بذلك من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل  
بفعلهم المنكر والذنوب واذا كان قوم على بدعة أو فجور ولو  
نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شر أعظم مما هم عليه من ذلك ولم  
يمكن منعهم منه ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه  
بخلاف ما أمر الله به الأنبياء وأتباعهم من دعوة الخلق فان

دعوتهم يحصل بها مصلحة على مفسدتها كدعوة موسى لفرعون ونوح لقومه فانه حصل لموسى من الجهاد وطاعة الله وحصل لقومه من الصبر والاستعانة بالله ما كانت عاقبتهم به حميدة وحصل أيضا من تفريق فرعون وقومه ما كانت مصلحته عظيمة وكذلك نوح حصل له ما أوجب أن يكون ذريته هم الباقين وأهلك الله قومه أجمعين فكان هلاكهم مصلحة فالمنهي عنه إذا زاد شره بالنهي وكان النهي مصلحة راجحة كان حسنا وأما إذا زاد شره وعظم وليس فى مقابلته خير يفوته لم يشرع إلا أن يكون فى مقابلته مصلحة زائدة فان أدى ذلك إلى شر أعظم منه لم يشرع مثل أن يكون الأمر لا صبر له فيؤذى فيخرج جزعا شديدا يصير به مذنبا وينتقص به إيمانه ودينه فهذا لم يحصل به خير لاله ولا لأولئك بخلاف ما إذا صبر واتقى الله وجاهد ولم يتعد حدود الله بل استعمل التقوى والصبر فان هذا تكون عاقبته حميدة وأولئك قد يتوبون فيتوب الله عليهم ببركته وقد يهلكهم ببغيهم ويكون ذلك مصلحة كما قال تعالى {فَقَطِّعْ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {الأنعام 45}

وأما الانسان فى نفسه فلا يحل له أن يفعل الذي يعلم أنه محرم لظنه أنه يعينه على طاعة الله فان هذا لا يكون إلا مفسدة أو مفسدته راجحة على مصلحته وقد تنقلب تلك الطاعة مفسدة فان الشارع حكيم فلو علم أن فى ذلك مصلحة لم يحرمه لكن قد يفعل الانسان المحرم ثم يتوب وتكون مصلحته أنه يتوب منه ويحصل له بالتوبة خشوع ورقة وإنابة إلى الله تعالى فان الذنوب قد يكون فيها مصلحة مع التوبة منها فان الانسان قد يحصل له بعدم الذنوب كبير وعجب وقسوة فإذا وقع فى ذنب أدله ذلك وكسر قلبه ولين قلبه بما يحصل له من التوبة ولهذا قال سعيد بن جبير إن العبد ليعمل الحسنة فيدخل بها النار ويفعل السيئة فيدخل بها الجنة وهذا هو الحكمة فى ابتلاء من ابتلى بالذنوب من الأنبياء والصالحين وأما بدون التوبة فلا يكون المحرم إلا مفسدته راجحة فليس للانسان أن يعتقد حل ما يعلم أن الله حرمه



قطعاً وليس له أن يفعله قطعاً فان غلبته نفسه وشيطانه فوقع فيه  
 تاب منه فان تاب فصار بالتوبة خيراً مما كان قبله فهذا من  
 رحمة الله به حين تاب عليه وإلا فلو لم يتب لفسد حاله بالذنب  
 وليس له أن يقول أنا أفعل ثم اتوب ولا يبيح الشارع له ذلك لأنه  
 بمنزلة من يقول أنا أطعم نفسي ما يمرضني ثم أتداوى أو أكل  
 السم ثم اشرب الترياق والشارع حكيم فانه لا يدرى هل يتمكن  
 من التوبة أم لا وهل يحصل الدواء بالترياق وغيره أم لا وهل  
 يتمكن من الشرب أم لا لكن لو وقع هذا وكانت آخرته الى التوبة  
 النصوح كان الله قد أحسن إليه بالتوبة وبالغفو عما سلف من  
 ذنوبه وقد يكون مثل هذا ليس صلاحه إلا في أن يذنب ويتوب  
 ولو لم يفعل ذلك كان شراً منه لو لم يذنب ويتوب لكن هذا أمر  
 يتعلق بخلق الله وقدره وحكمته لا يمكن أحد أن يأمر به الانسان  
 لأنه لا يدرى أن ذلك خير له وليس ما يفعله خلقاً لعلمه وحكمته  
 يجوز للرسول وللعباد أن يفعلوه ويأمرؤا به وقصة الخضر  
 مع موسى لم تكن مخالفة لشرع الله وأمره ولا فعل الخضر ما  
 فعله لكونه مقدرًا كما يظنه بعض الناس بل ما فعله الخضر هو  
 مأمور به في الشرع بشرط أن يعلم من مصلحته ما علمه  
 الخضر فانه لم يفعل محرماً مطلقاً ولكن خرق السفينة وقتل  
 الغلام وأقام الجدار فان إتلاف بعض المال لأصلاح أكثره هو أمر  
 مشروع دائماً وكذلك قتل الانسان الصائل لخط دين غيره أمر  
 مشروع وصبر الانسان على الجوع مع إحسانه إلى غيره أمر  
 مشروع فهذه القضية تدل على أنه يكون من الأمور ما ظاهره  
 فساد فيحرمه من لم يعرف الحكمة التي لأجلها فعل وهو مباح  
 في الشرع باطناً وظاهراً لمن علم ما فيه من الحكمة التي توجب  
 حسنه وإباحته وهذا لايجيء في الأنواع الأربعة فان الشرك  
 والقول على الله بلا علم والفواحش ما ظهر منها وما بطن والظلم  
 لا يكون فيها شيء من المصلحة وقتل النفس أبيح في حال دون  
 حال فليس من الأربعة وكذلك إتلاف المال يباح في حال دون  
 حال وكذلك الصبر على المجاعة ولذلك قال {قُلْ أَمَرَ رَبِّي

بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ  
الدِّينَ {الأعراف29} فإخلاص الدين له والعدل واجب مطلقاً  
في كل حال وفي كل شرع فعلى العبد أن يعبد الله مخلصاً له  
الدين ويدعوه مخلصاً له لا يسقط هذا عنه بحال ولا يدخل الجنة إلا  
أهل التوحيد وهم أهل لا إله إلا الله فهذا حق الله على  
كل عبد من عباده كما في الصحيحين من حديث معاذ أن النبي  
قال له يا معاذ أتدري ما حق الله على عبادة قلت الله ورسوله  
أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه لا يشركوا به شيئاً الحديث  
فلا ينجون من عذاب الله إلا من أخلص لله دينه وعبادته ودعاه  
مخلصاً له الدين ومن لم يشرك به ولم يعبده فهو معطل عن  
عبادته وعبادة غيره كفر عون وأمثاله فهو أسوأ حالاً من المشرك  
فلا بد من عبادة الله وحده وهذا واجب على كل أحد فلا يسقط عن  
أحد البتة وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره ولكن  
لا يعذب الله أحداً حتى يبعث إليه رسولا وكما أنه لا يعذبه فلا  
يدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة ولا يدخلها مشرك ولا مستكبر  
عن عبادة ربه فمن لم تبلغه الدعوة في الدنيا امتحن في الآخرة  
ولا يدخل النار إلا من اتبع الشيطان فمن لا ذنب له لا يدخل النار  
ولا يعذب الله بالنار أحداً إلا بعد أن يبعث إليه رسولا فمن لم  
تبلغه دعوة رسول الله كالصغير والمجنون والميت في الفترة  
المحضة فهذا يمتحن في الآخرة كما جاءت بذلك الآثار  
فيجب الفرق في الواجبات والمحرمات والتمييز بينهما هو اللازم  
لكل أحد على كل حال وهو العدل في حق الله وحق عباده بأن  
يعبدوا الله مخلصاً له الدين ولا يظلم الناس شيئاً وما هو محرم  
على كل أحد في كل حال لا يباح منه شيء وهو الفواحش والظلم  
والشرك والقول على الله بلا علم وبين ما سوى ذلك قال تعالى  
{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً  
{الأنعام151} فهذا محرم مطلقاً لا يجوز منه شيء }  
{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} {الأنعام151} فهذا فيه تقييد فإن الوالد إذا  
دعا الولد إلى الشرك ليس له أن يطيعه بل له أن يأمره وينهاه

وهذا الأمر والنهي للوالد هو من الاحسان اليه وإذا كان مشركا  
 جاز للولد قتله وفي كراهته نزاع بين العلماء قوله **{وَلَا  
 تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ} الأنعام 151** فهذا تحريم خاص  
**{ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ } الأنعام 151**  
 هذا مطلق **{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى  
 يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} الأنعام 152** هذا مقيد فان يتامى المشركين أهل  
 الحرب يجوز غنيمه أموالهم لكن قد يقال هذا أخذ وقربان بالتي  
 هي أحسن إذا فسر الأحسن بامر الله ورسوله  
**{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} الأنعام 152** هذا مقيد بمن  
 يستحق ذلك **{ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا } الأنعام 152** هذا مطلق  
**{ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا } الأنعام 152** فالوفاء واجب لكن يميز بين  
 عهد الله وغيره ويفرق بين ما يسكت عنه الانسان وبين ما يلفظ  
 به ويفعله ويأمر به ويفرق بينما قدره الله فحصل بسببه خير وبين  
 ما يؤمر به العبد فيحصل بسببه خير<sup>423</sup>

## جميع الرسل متفقون في الأصول الاعتقادية والعلمية

أرسل الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بين  
 يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا  
 أرسله إلى جميع الثقلين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميهم  
 وكتابيههم وأنزل عليه كتاب أنزله ليخرج الناس من الظلمات إلى  
 النور بإذن ربهم ويهديهم به إلى صراط مستقيم صراط الذي له  
 ما في السموات وما في الأرض وهو صراط الذين أنعم الله  
 عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو دين الله  
 الذي بعث به الرسل قبله و أنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما  
 بين يديه من الكتاب ومهيما عليه فصدق كتابه ما بين يديه من

<sup>423</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 470-478

كتب السماء وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء وهيمن على ما بين يديه من الكتاب وذلك يعم الكتب كلها شاهداً وحاكماً ومؤتمناً يشهد بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة وقرر ما في الكتاب الأول من أصول الدين وشرائعه الجامعة التي اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة في آخر الأنعام وأول الأعراف وسورة سبحان ونحوها من السور المكية قال تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} {151} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُفْ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {152} وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {153}

سورة الأنعام الآيات 150 153 فدين الأنبياء والمرسلين دين واحد فدين المرسلين يخالف دين المشركين المبتدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً<sup>424</sup>

فان الله سبحانه دلنا على نفسه الكريمة بما أخبرنا به في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه وبذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل فقال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ} {الشورى 13} وقال {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} {الزخرف 45} وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

<sup>424</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 65-66

أَنَا فَاعْبُدُونِ { الأنبياء 25 } وقد ثبت عن النبي أنه قال أنا  
 معاشر الأنبياء ديننا واحد الأنبياء إخوة لعلات وان أولى الناس  
 بابن مريم لأنا أنه ليس بيني وبينه نبي فالدين واحد وإنما  
 تنوعت شرائعهم ومناهجهم كما قال تعالى { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ  
 شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا } المائدة 48 فجميع الرسل متفقون في الدين  
 الجامع في الأصول الاعتقادية والعلمية كالإيمان بالله ورسله  
 واليوم الآخر والعملية كالأعمال العامة المذكورة في سورة  
 الأنعام والأعراف وبني إسرائيل وهو قوله تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ  
 مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا  
 تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ  
 مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَفْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ  
 ذَلِكَ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } { 151 } وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا  
 بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا  
 تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ  
 اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } { 152 } وَأَنَّ هَذَا  
 صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ  
 ذَلِكَ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } { 153 } الأنعام 151- 153 وقوله  
 { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ  
 { الأعراف 29 الآية وقوله { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا  
 ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ } { الأعراف 33 الآية وقوله { وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا  
 تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } { الإسراء 23 إلى آخر الوصايا وقوله { قُلْ هَذِهِ  
 سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ } يوسف 108 الآية فالدعوة  
 والعبادة اسم جامع لغاية الحب لله وغاية الذل له فمن ذل له من  
 غير حب لم يكن عابدا بل يكون هو المحبوب المطلق فلا يجب  
 شيئا إلا له ومن أشرك غيره في هذا وهذا لم يجعل له حقيقة  
 الحب فهو مشرك وإشراكه يوجب نقص الحقيقة كقوله تعالى  
 { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ  
 { البقرة 165 الآية } والحب يوجب الذل والطاعة والاسلام أن  
 يستسلم لله لا لغيره فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك ومن لم

يستسلم له فهو متكبر وكلاهما ضد الإسلام والقلب لا يصلح إلا بعبادة الله وحده وتحقيق هذا تحقيق الدعوة النبوية ومن المحبة الدعوة إلى الله وهي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم بما أمروا به فالدعوة إليه من الدعوة إلى الله تعالى وما أبغضه الله ورسوله فمن الدعوة إلى الله النهي عنه ومن الدعوة إلى الله أن يفعل العبد ما أحبه الله ورسوله ويترك ما أبغضه الله ورسوله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة بما أخبر به الرسول من أسماء الله وصفاته ومن سائر المخلوقات كالعرش والكرسي والملائكة والأنبياء وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما<sup>425</sup>

### قرن حق الأبوين بحقه

\* قال الله تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَنلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} {151} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} {152} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} {153} {الأنعام 151- 153} فإن الله خلق العبد وخلق أبويه

وخلقه من أبويه فالسبب الذي بينه وبين الله هو الخلقي التام بخلاف سبب الأبوين فإن أصل مادته منهما وله مادة من غيرهما ثم إنهما لم يصورا في الأرحام والعبد ليس له مادة إلا من أبويه

<sup>425</sup> مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 6-7 و مجموع الفتاوى ج: 15 ص:

والله هو خالقه وبارؤه ومصوره ورازقه وناصره وهاديه وإنما  
 حق الأبوين فيه بعض المناسبة لذلك فلذلك قرن حق الأبوين  
 بحقه في قوله { أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ } لقمان 14 وفي قوله  
 { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } النساء 36  
 وفي قوله { وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا  
 { الإسراء 23 وجعل النبي التبريء من الأبوين كفراً لمناسبته  
 للتبريء من الرب وفي الحديث الصحيح من أدعى إلى غير  
 أبيه وهو يعلمه إلا كفر أخرجاه في الصحيحين وقوله كفر  
 بالله من تبرء من نسب وإن دق وقوله لا ترغبوا عن آبائكم  
 فإن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم فحق النسب والقرابة  
 والرحم تقدمه حق الربوبية وحق القريب المجيب الرحمن فإن  
 غاية تلك أن تتصل بهذا كما قال الله أنا الرحمن خلقت الرحم  
 وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بنته  
 وقال الرحم شجنة من الرحم وقال لما خلق الله الرحم  
 تعلقت بحق الرحمن فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة<sup>426</sup>

## خص هذه الصورة بالنهاي لأنها هي الواقعة لا لأن

### التحريم يختص بها

\* قال الله تعالى { وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ } الأنعام 151  
 فإنه خص هذه الصورة بالنهاي لأنها هي الواقعة لا لأن التحريم  
 يختص بها وكذلك قوله { وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا  
 فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ } البقرة 283 فذكر الزمن في هذه الصورة  
 للحاجة مع أنه قد ثبت سائل أن النبي صلى الله عليه وسلم مات  
 ودرعه مرهونة فهذا رهن في الحضر<sup>427</sup>

<sup>426</sup>ب مجموع الفتاوى ج: 32 ص: 14

<sup>427</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 413-414

\*قال الله تعالى {وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ {8} بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ {9} التكوير 8-9 وقال الله تعالى {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ {الإسراء 31 وفي الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي أنه قيل له أي الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم أي قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك وإذا كان الله قد حرم قتل الولد مع الحاجة وخشية الفقر فلأن يحرم قتله بدون ذلك أولى وأحرى

428

### الشرعية تأمر بالمصالح الخالصة والراجحة

قال الله تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَنُؤْمِنُ بِمَا حَرَّمَ رَبِّيَ كَمَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمَ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {151} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمَ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {152} وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَمَ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ {153} الأنعام 151-153 والشرعية تأمر بالمصالح الخالصة والراجحة كالإيمان والجهاد فإن الإيمان مصلحة محضة والجهاد وإن كان فيه قتل النفوس فمصالحته راجحة وفتنة الكفر أعظم فساداً من القتل كما قال تعالى { وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ } البقرة 217 ونهى عن المفاصد الخالصة والراجحة كما نهى عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعن الإثم والبغى بغير



الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهذه الأمور لا يبيحها قط في حال من الأحوال ولا في شرعة من الشرائع وتحريم الدم والميتة ولحم الخنزير والخمر وغير ذلك مما مفسدته راجحة وهذا الضرب تبيحه عند الضرورة لأن مفسدة فوات النفس أعظم من مفسدة الإغذاء به

429

## "أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء"

\* وأما الحدود والحقوق التي لأدمى معين فمنها النفوس قال الله تعالى {قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِّمَ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} 151 { وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} 152 { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} 153 { الأنعام 151- 153 وقال تعالى {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطْنًا} النساء 92 الى قوله {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} النساء 93 وقال تعالى {مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا

{المائدة 32} وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة فى الدماء فالقتل ثلاثة أنواع أحدها العمد المحض وهو ان يقصد من يعلمه معصوما بما يقتل غالبا سواء كان يقتل بحده كالسيف ونحوه او بثقله كالسندان وكوزين القصار او بغير ذلك كالتحريق والتغريق والالقاء من مكان شاهق والخنق إمساك الخصيتين حتى تخرج الروح وغم الوجه حتى يموت وسقى السموم ونحو ذلك من الأفعال فهذا إذا فعله وجب فيه القود وهو ان يمكن أولياء المقتول من القاتل فإن أحبوا قتلوا وإن أحبوا عفوا وإن أحبوا أخذوا الدية وليس لهم ان يقتلوا غير قاتله قال الله تعالى {وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} {الإسراء 33} قيل فى التفسير لا يقتل غير قاتله وروى عن أبى شريح الخزاعى رضى الله عنه قال قال رسول الله من أصيب بدم او خبل الخبل الجراح فهو بالخيار بين إحدى ثلاث فان أراد الرابعة فخذوا على يديه ان يقتل او يعفو او يأخذ الدية فمن فعل شيئا من ذلك فعاد فان له جهنم خالدا فيها أبدا رواه أهل السنن قال الترمذى حديث حسن صحيح فمن قتل بعد العفو او أخذ الدية فهو أعظم جرما ممن قتل ابتداء حتى قال بعض العلماء انه يجب قتله حدا ولا يكون أمره لأولياء المقتول قال الله تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعَدَّى بِغَيْرِ عَدَابٍ إِلَيْكُمْ} البقرة 178 قال العلماء إن أولياء المقتول تغلى قلوبهم بالغیظ حتى يؤثروا ان يقتلوا القاتل وأولياءه ربما لم يرضوا بقتل القاتل بل يقتلون كثيرا من أصحاب القاتل كسيد القبيلة ومقدم الطائفة فيكون القاتل قد اعتدى فى الابتداء وتعدى هؤلاء فى الاستيفاء كما كان يفعل أهل الجاهلية الخارجون عن الشريعة فى هذه الأوقات من الأعراب والحاضرة وغيرهم وقد يستعظمون قتل

القاتل لكونه عظيماً أشرف من المقتول فيفضى ذلك إلى أن أولياء المقتول يقتلون من قدروا عليه من أولياء القاتل ربما حالف هؤلاء قوماً واستعانوا بهم وهؤلاء قوماً فيفضى إلى الفتن والعداوات العظيمة وسبب ذلك خروجهم عن سنن العدل الذى هو القصاص فى القتل فكتب الله علينا القصاص وهو المساواة والمعادلة فى القتل وأخبر ان فيه حياة فانه يحقن دم غير القاتل من أولياء الرجلين وأيضاً فاذا علم من يريد القتل أنه يقتل كف عن القتل وقد روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وعمر بن شبيب عن أبيه عن جده رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم ويسعى بذمتهم أدناهم ألا لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد فى عهده رواه أحمد وأبو داود وغيرهما من أهل السنن ففضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلمين تتكافأ دماؤهم أى تتساوى وتتعدل فلا يفضل عربى على عجمى ولا قرشى او هاشمى على غيره من المسلمين ولا حر اصلى على مولى عتيق ولا عالم او أمير على أمى او مأمور وهذا متفق عليه بين المسلمين بخلاف ما كان عليه أهل الجاهلية وحكام اليهود فانه كان بقرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم صنفان من اليهود قريظة والنضير وكانت النضير تفضل على قريظة فى الدماء فتحاكموا الى النبى فى ذلك وفى حد الزنا فانهم كانوا قد غيروه من الرجم إلى التحميم وقالوا إن حكم بينكم بذلك كان لكم حجة والا فانتم قد تركتم حكم التوراة فأنزل الله تعالى { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ } المائدة 41 إلى قوله { فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } المائدة 42 إلى قوله { فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَاخْشَوْا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمناً قليلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } 44 { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ

وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ {45} المائدة 44-45 فبين سبحانه وتعالى أنه سوى بين نفوسهم ولم يفضل منهم نفسا على أخرى كما كانوا يفعلونه إلى قوله {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} المائدة 48 إلى قوله {أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} المائدة 50 فحكم الله سبحانه في دماء المسلمين أنها كلها سواء خلاف ما عليه أهل الجاهلية وأكثر سبب الأهواء الواقعة بين الناس في البوادي والحوضر إنما هو البغى وترك العدل فان إحدى الطائفتين قد يصيب بعضها بعضا من لأخرى دما او مالا او تعلق عليهم بالباطل ولا تنصفها ولا تقتصر الأخرى على استيفاء الحق فالواجب في كتاب الله الحكم بين الناس في الدماء والأموال وغيرها بالقسط الذي أمر الله به ومحو ما كان عليه كثير من الناس من حكم الجاهلية وإذا أصلح مصلح بينهما فليصلح بالعدل كما قال الله تعالى {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} {9} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ {10} الحجرات 9-10 وينبغي أن يطلب العفو من أولياء المقتول فانه أفضل لهم كما قال تعالى { وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} المائدة 45 قال أنس رضي الله عنه ما رفع إلى رسول الله أمر فيه القصاص إلا أمر فيه بالعفو رواه أبو داود وغيره وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله وهذا الذي ذكرناه من التكافؤ هو في المسلم الحر مع المسلم الحر فأما الذمى فجمهور العلماء على أنه ليس بكفء للمسلم كما أن المستأمن الذي يقدم

من بلاد الكفار رسولا او تاجرا ونحو ذلك ليس بكفاء له وفاقا  
ومنهم من يقول بل هو كفاء له وكذلك النزاع في قتل الحر  
بالعبد والقصاص في الجراح أيضا ثابت في الكتاب والسنة  
والإجماع بشرط المساواة فإذا قطع يده اليمنى من مفصل فله أن  
يقطع يده كذلك وإذا قلع سنه فله أن يقطع سنه وإذا شججه في رأسه  
أو وجهه فأوضح العظم فله أن يشججه كذلك وإذا لم تمكن المساواة  
مثل أن يكسر له عظما باطنا أو يشججه دون الموضحة فلا يشرع  
القصاص بل تجب الدية المحدودة أو الأرش وأما القصاص في  
الضرب بيده أو بعصاه أو سوطه مثل أن يلطمه أو يلكمه أو  
يضربه بعصا ونحو ذلك فقد قالت طائفة من العلماء إنه لا  
قصاص فيه بل فيه تعزير لأنه لا يمكن المساواة فيه والمأثور عن  
الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين أن القصاص  
مشروع في ذلك وهو نص أحمد وغيره من الفقهاء وبذلك جاءت  
سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصواب وقال أبو  
فراس خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر حديثا قال  
فيه ألا إني والله ما أرسل عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا  
ليأخذوا أموالكم ولكن أرسلهم إليكم ليعلموكم دينكم وسننكم فمن  
فعل به سوى ذلك فليرفعه إلي فوالذي نفسي بيده إذا لأقصنه منه  
فوثب عمرو بن العاص فقال يا أمير المؤمنين إن كان رجل من  
المسلمين على رعية فأدب رعيته أثنك لتقصه منه قال إي والذي  
نفس محمد بيده إذا لأقصنه منه أني لا أقصه وقد رأيت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ألا لا تضربوا المسلمين  
فتذلوهم ولا تمنعواهم حقوقهم فتكفروهم رواه الإمام أحمد وغيره  
ومعنى هذا إذا ضرب الراعي رعيته ضربا غير جائز فأما  
الضرب المشروع فلا قصاص فيه بالإجماع إذ هو واجب أو  
مستحب أو جائز<sup>430</sup>

<sup>430</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 373-378 و السياسة الشرعية ج: 1

## النظر إلى العورات حرام

\*قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم فعلم أن مجرد الجمال الظاهر في الصور والثياب لا ينظر الله إليه وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال فإن كان الظاهر مزيئا مجملا بحال الباطن أحبه الله وإن كان مقبحا مدنسا بقبح الباطن أبغضه الله فإنه سبحانه يحب الحسن الجميل ويبغض السيئ الفاحش وأهل جمال الصورة يبتلون بالفاحشة كثيرا واسمها ضد الجمال فإن الله سماه فاحشة وسوءا وفسادا وخبيثا فقال تعالى { قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرِزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } الأنعام 151<sup>431</sup>

\*والنظر إلى العورات حرام داخل في قوله تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ } الأعراف 33 وفي قوله { وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ } الأنعام 151 فإن الفواحش وإن كانت ظاهرة في المباشرة بالفرج أو الدبر وما يتبع ذلك من الملامسة والنظر وغير ذلك وكما في قصة لوط { أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ } الأعراف 80 { أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ } النمل 54 وقوله { وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً } الإسراء 32 فالفاحشة أيضا تتناول كشف العورة وإن لم يكن في ذلك مباشرة كما قال تعالى { وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا } الأعراف 28 وهذه الفاحشة هي

<sup>431</sup>الاستقامة ج: 1 ص: 357

طوافهم بالبيت عراة وكانوا يقولون لا تطوف بثياب عصينا الله فيها إلا الحمس فإنهم كانوا يطوفون في ثيابهم وغيرهم إن حصل له ثياب من الحمس طاف فيها وإلا طاف عريانا وإن طاف بثيابه حرمت عليه فألقاها فكانت تسمى لقاء وكذلك المرأة إذا لم يحصل لها ثياب جعلت يدها على فرجها ويدها الأخرى على دبرها وطافت تقول اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدأ منه فلا أحله وقد سمى الله ذلك فاحشة وقوله في سياق ذلك {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ} الأعراف 33 يتناول كشف العورة أيضا وإبداءها ويؤكد ذلك أن إبداء فعل النكاح باللفظ الصريح يسمى فحشاء وتفحشا فكشف الأعضاء والفعل للبصر ككشف ذلك للسمع وكل واحد من الكشفيين يسمى وصفا كما قال عليه السلام لا تنعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها ويقال فلان يصف فلانا وثوب يصف البشرة ثم إن كل واحد من إظهار ذلك للسمع والبصر يباح للحاجة بل يستحب إذا لم يحصل المستحب أو الواجب إلا بذلك كقول النبي لما عز أنكتها وكقوله من تعزى الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا والمقصود أن الفاحشة تتناول الفعل القبيح وتتناول إظهار الفعل واعضائه وهذا كما أن ذلك يتناول ما فحش وإن كان بعقد نكاح كقوله تعالى {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا} النساء 22 فأخبر أن هذا النكاح فاحشة وقد قيل أن هذا من الفواحش الباطنة فظهر أن الفاحشة تتناول العقود الفاحشة كما تتناول المباشرة بالفاحشة فإن قوله {وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ} النساء 22 يتناول العقد والوطء وفي قوله {مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ} الأعراف 33 عموم لأنواع كثيرة من الأقوال والأفعال وأمر تعالى بحفظ الفرج مطلقا بقوله {وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} النور 30 وبقوله {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} {5} إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم {6} المؤمنون 5-6 الآيات وقال {وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ

{الأحزاب 35 فحفظ الفرج مثل قوله { وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ  
{التوبة 112 وحفظها هو صرفها عما لا يحل<sup>432</sup>

\*والفتنة تحصل بالسماع ( للشعر الملحن باعتباره بمنزلة ذكر  
الله كمجالس الصوفية وسماع الاغاني وحضور مجالس اللهو)  
من وجهين من جهة البدعة في الدين ومن جهة الفجور في الدنيا  
أما الأول فلما قد يحصل به من الاعتقادات الفاسدة في حق الله او  
الإرادات والعبادات الفاسدة التي لا تصلح لله مع ما يصد عنه من  
الاعتقادات الصالحة والعبادات الصالحة تارة بطريق المضادة  
وتارة بطريق الاشتغال فإن النفس تشتغل وتستغني بهذا عن هذا  
وأما الفجور في الدنيا فلما يحصل به من دواعي الزنا والفواحش  
والإثم والبغي على الناس ففي الجملة جميع المحرمات قد  
تحصل فيه وهو ما ذكرها الله في قوله { وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ  
مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ<sup>433</sup> { الأنعام 151

### مدح الله وأثنى على من كان له عقل

\*ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو  
الذي يسمى عرضاً قائماً بالعاقل وعلى هذا دل القرآن في قوله  
تعالى قال تعالى { ذَلِكَمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } الأنعام  
151 وقوله { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ  
بِهَا } الحج 46 وقوله { قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ  
{ آل عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر  
عقل يعقل عقلاً وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم  
الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم  
الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار { لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ

<sup>432</sup>مجموع الفتاوى ج: 15 ص: 381-384

<sup>433</sup>الاستقامة ج: 1 ص: 410



أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ { الملك 10 وقال تعالى  
 { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُون لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا { الحج 46  
 والعقل المشروط في التكليف لا بد أن يكون علوما يميز بها  
 الانسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين  
 الدراهم والفلوس ولا بين أيام الاسبوع ولا يفقه ما يقال له من  
 الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره  
 فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم  
 من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن  
 اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التي في  
 الانسان التي بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال  
 أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى وغيرهما ان العقل غريزة  
 وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن فى العين قوة بها  
 يبصر وفى اللسان قوة بها يذوق وفى الجلد قوة بها يلمس عند  
 434 جمهور العقلاء

\* الناس يدركون بعقولهم الامور الدنيا فيعرفون ما يجلب لهم  
 منفعة فى الدنيا وما يجلب لهم مضرة وهذا من العقل الذى ميز به  
 الانسان فانه يدرك من عواقب الافعال ما لا يدركه الحس ولفظ  
 العقل فى القران يتضمن ما يجلب به المنفعة وما يدفع به المضرة  
 435

\* قال تعالى { إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى { طه 54 أى  
 العقول وقال تعالى { هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حُجْرٍ { الفجر 5 أى  
 لذى عقل وقال تعالى { وَاتَّقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ { البقرة 197  
 وقال { إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ  
 { الأنفال 22 وقال تعالى { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

<sup>434</sup> مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

<sup>435</sup> مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 311

{يوسف 2 فإنما مدح الله وأثنى على من كان له عقل فأما من لا يعقل فإن الله لم يحمده ولم يثن عليه ولم يذكره بخير قط بل قال تعالى عن أهل النار {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} الملك 10 وقال تعالى {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ} الأعراف 179 وقال {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا} الفرقان 44<sup>436</sup>

### أعظم الله أمر اليتامى فى كتابه

\* قال تعالى {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَّا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأنعام 152 اليتيم فى الأدميين من فقد أباه لأن أباه هو الذى يهذبه ويرزقه وينصره بموجب الطبع المخلوق ولهذا كان تابعا فى الدين لوالده وكان نفقته عليه وحضانتة عليه والانفاق هو الرزق و الحضانة هى النصر لأنها الايواء ودفع الأذى فإذا عدم أبوه طمعت النفوس فيه لأن الانسان ظلوم جهول والمظلوم عاجز ضعيف فتقوى جهة الفساد من جهة قوة المقتضى ومن جهة ضعف المانع ويتولد عنه فسادان ضرر اليتيم الذى لا دافع عنه ولا يحسن اليه وفجور الأدمى الذى لا وازع له فلهذا أعظم الله أمر اليتامى فى كتابه فى آيات كثيرة مثل قوله {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ} البقرة 83 وقوله

<sup>436</sup> ب مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 437

{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} البقرة 177  
 الى قوله {وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ  
 {البقرة 177 وقوله {قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ  
 وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ} البقرة 215<sup>437</sup>

\* وقد دلت سنة رسول الله على أن الولاية امانة يجب أداؤها  
 في مواضع مثل ماتقدم ومثل قوله لأبي ذر رضى الله عنه في  
 الامارة إنها امانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها  
 بحقها وأدى الذى عليه فيها رواه مسلم وروى البخارى فى  
 صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى قال إذا  
 ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قيل يارسول الله وما إضاعتها قال  
 إذا وسد الأمر الى غير أهله فانتظر الساعة وقد أجمع  
 المسلمون على معنى هذا فان وصي اليتيم وناظر الوقف ووكيل  
 الرجل فى ماله عليه أن يتصرف له بالأصلح فالأصلح كما قال  
 الله تعالى {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

{الأنعام 152} ولم يقل إلا بالتي هي حسنة وذلك لأن الوالى  
 راع على الناس بمنزلة راعى الغنم كما قال النبى كلكم راع  
 وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الذى على الناس راع وهو  
 مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة  
 عن رعيته والولد راع فى مال ابيه وهو مسئول عن رعيته  
 والعبد راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ألا فكلكم راع  
 وكلكم مسئول عن رعيته أخرجاه فى الصحيحين وقال ما  
 من راع يستر عيه الله رعيه يموت يوم يموت وهو غاش لها إلا  
 حرم الله عليه رائحة الجنة رواه مسلم<sup>438</sup>

\*ومما قد انفقوا على تقديم العموم فيه كقوله {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ  
 الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} الأنعام 152 مع قوله {وَلَا تَأْكُلُوا

<sup>437</sup>مجموع الفتاوى ج: 34 ص: 110

<sup>438</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 250-251

إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا { النساء6 } فإن أكلها حرام سواء قصد  
439 بدارا كبر اليتيم أولا

## علق الله الأحكام ببلوغ الحلم

\*لأن الله انما علق الأحكام ببلوغ الحلم بقوله تعالى {وَإِنْتَلُوا  
الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ} {النساء6} وقوله تعالى {وَإِذَا بَلَغَ  
الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ} {النور59} وقوله تعالى {حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ  
{ الأنعام152} وقول النبي صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن  
الصبي حتى يحتلم لكن لما كان بلوغ الحلم خفيا عن غير المحتلم  
و كان ذلك غالبا يكون مع بلوغ خمسة عشر و إنبات شعر العانة  
جعل مظنته علامة قائمة مقامه في الأحكام التي تتعلق بغير هذا  
البالغ من الحدود و القصاص و الجهاد و الحجر و غير ذلك إذ  
كانوا لا يطلقون على الحقيقة غالبا فأما ما بينه و بين الله فإنه يعلم  
وقت احتلامه و لأن هذه الأمور تتكرر قبل الإحتلام و بعده فجاز  
إن يجعل ما يقارب الإحتلام في حكمه احتياطا و عموما و هذا  
لأن الصبي في الأصل لما كان مظنة نقص العقل و ضعف البنية  
جعل الشرع بلوغ الأشد حدا للتكليف لأن مظنة استكمال شرائطه  
غالبا 440

## الشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها

439 مجموع الفتاوى ج: 31 ص: 107

440 شرح العمدة ج: 4 ص: 47

\*والشرائع جاء بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فهي تأمر بما تترجح مصلحته وإن كان فيه مفسدة مرجوحة كالجهاد وتنهى عما ترجحت مفسدته وإن كان فيه مصلحة مرجوحة كتناول المحرمات من الخمر وغيره ولهذا أمر تعالى أن نأخذ بأحسن ما أنزل إلينا من ربنا فالأحسن إما واجب وإما مستحب قال تعالى { وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَاأُخْدُوا بِأَحْسَنَهَا سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ } الأعراف 145 وقال { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ } الزمر 55 فأمر باتباع الأحسن والأخذ به وقال تعالى { الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ } الزمر 18 فاقضى أن غيرهم لم يهده وهذا يقتضي وجوب الأخذ بالأحسن وهو مشكل وقد تكلم الناس فيه ونظيره قوله تعالى { وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } الأنعام 152 ونظائر هذا كثيرة مما يذكر فيه أن الأمور به خير وأحسن من المنهي عنه وإن كان الأول واجبا والثاني محرما وذلك لأن الأمور به قد يشتمل على مفسدة مرجوحة والمنهي عنه يشتمل على مصلحة مرجوحة فيكون باعتبار ذلك في هذا خير وحسن وفي هذا شر وسييء لكن هذا خير وأحسن وإن كان واجبا فقوله تعالى { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ } الزمر 55 هو أمر بالأحسن من فعل الأمور أو ترك المحظور وهو يتناول الأمر بالواجب والمستحب فإن كلاهما أحسن من المحرم والمكروه لكن يكون الأمر أمر إيجاب وأمر استحباب كما امر بالإحسان في قوله تعالى { وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } البقرة 195 والإحسان منه واجب ومنه مستحب<sup>441</sup>

\*وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن الولاية أمانة يجب أداؤها في مواضع مثل ما تقدم ومثل قوله لأبي ذر رضي الله عنه في الإمارة إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها رواه مسلم وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا ضعيت الأمانة انتظر الساعة قيل يا رسول الله وما إضعائها قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة وقد أجمع المسلمون على معنى هذا فإن وصي اليتيم وناظر الوقف ووكيل الرجل في ماله عليه أن يتصرف له بالأصلح فالأصلح كما قال الله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ولم يقل إلا بالتي هي حسنة وذلك لأن الوالي راع على الناس بمنزلة راعي الغنم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته والولد راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته والعبد راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته أخرجاه في الصحيحين وقال صلى الله عليه وسلم ما من راع يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لها إلا حرم الله عليه رائحة الجنة رواه مسلم<sup>442</sup>

### تحقيق المناط أن يعمل بالنص والإجماع

\*و تحقيق المناط أن يعمل بالنص والإجماع فإن الحكم معلق بوصف يحتاج في الحكم على المعين إلى أن يعلم ثبوت ذلك الوصف فيه كما يعلم أن الله أمرنا بإشهاد نوى عدل منا وممن

<sup>442</sup>السياسة الشرعية ج: 1 ص: 13

نرضى من الشهداء ولكن لا يمكن تعيين كل شاهد فيحتاج أن يعلم في الشهود المعينين هل هم من ذوى العدل المرضيين أم لا وكما أمر الله بعشرة الزوجين بالمعروف وقال النبي للنساء رزقهن وكسوتهن بالمعروف ولم يمكن تعيين كل زوج فيحتاج أن ينظر في الأعيان ثم من الفقهاء من يقول إن نفقة الزوجة مقدرة بالشرع والصواب ما عليه الجمهور أن ذلك مردود إلى العرف كما قال لهند خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف وكما قال تعالى **{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} {الأنعام 152}** ويبقى النظر في تسليمه إلى هذا التاجر جزء من الربح هل هو من التى هى أحسن أم لا وكذلك قوله **{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ}** {التوبة 60} يبقى هذا الشخص المعين هل هو من الفقراء المساكين المذكورين فى القرآن أم لا وكما حرم الله الخمر والربا عموما يبقى الكلام فى الشراب المعين هل هو خمر أم لا وهذا النوع مما إتفق عليه المسلمون بل العقلاء بأنه لا يمكن أن ينص الشارع على حكم كل شخص إنما يتكلم بكلام عام وكان نبينا قد أوتى جوامع الكلم

443

## بخس المكيال و الميزان من الأعمال التى أهلك الله بها

### قوم شعيب

\* أما بخس المكيال و الميزان فهو من الأعمال التى أهلك الله بها قوم شعيب و قص علينا قصتهم فى غير موضع من القرآن لنعتر بذلك و الاصرار على ذلك من أعظم الكبائر و صاحبه مستوجب تغليظ العقوبة و ينبغى أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين على طول الزمان و يصرف فى مصالح المسلمين اذا

لم يمكن إعادته الى أصحابه والكيال و الوزان الذي يبخس الغير هو ضامن محروم مأثوم و هو من أخسر الناس صفقة اذ باع آخرته بدنيا غيره ولا يحل أن يجعل بين الناس كيالا أو و زانا يبخس أو يحابي كما لا يحل أن يكون بينهم مقوم يحابي بحيث يكيل أو يزن أو يقوم لمن يرجوه أو يخاف من شره أو يكون له جاه و نحوه بخلاف ما يكيل أو يزن أو يقوم لغيرهم أو يظلم من يبغضه و يزيد من يحبه قال الله تعالى { وَأَوْفُوا **الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَّا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** { الأنعام 152 و قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُوا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا { النساء 135 والله أعلم <sup>444</sup>

### { لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }

\*فالصواب من القول قول الجهمية الذي وافقوا فيه السلف والجمهور وهو أنه ليس كل من طلب واجتهد واستدل يتمكن من معرفة الحق فيه بل استطاعة الناس في ذلك متفاوتة والقدرية يقولون ان الله تعالى سوى بين المكلفين في القدرة ولم يخص المؤمنين بما فضلهم به على الكفار حتى آمنوا ولا خص المطيعين بما فضلهم به على العصاة حتى أطاعوا وهذا من أقوال القدرية والمعتزلة وغيرهم التي خالفوا بها الكتاب والسنة واجماع السلف والعقل الصريح كما بسط في موضعه ولهذا قالوا إن كل مستدل فمعه قدرة تامة يتوصل بها الى معرفة الحق ومعلوم ان الناس إذا اشتبهت عليهم القبلة في السفر فكلمهم مأمورون بالاجتهاد والاستدلال على جهة القبلة ثم بعضهم يتمكن

<sup>444</sup>مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 474



من معرفة جهتها وبعضهم يعجز عن ذلك فيغلط فيظن في بعض الجهات أنها جهتها ولا يكون مصيبا في ذلك لكن هو مطيع لله ولا إثم عليه في صلاته اليها لأن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها فعجزهم عن العلم بها كعجزه عن التوجه اليها كالمقيد والخائف والمحبوس والمريض الذي لا يمكنه التوجه اليها ولهذا كان الصواب قول ما يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحظور والمعتزلة في هذا وافقوا الجماعة بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم فإنهم قالوا بل يعذب من لا ذنب له أو نحو ذلك ثم هؤلاء يحتجون على المعتزلة في نفي الإيجاب والتحریم العقلي بقوله تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } {الإسراء 15} وهو حجة عليهم أيضا في نفي العذاب مطلقا إلا بعد ارسال الرسل وهم يجوزون التعذيب قبل ارسال الرسل فأولئك يقولون يعذب من لم يبعث اليه رسولا لأنه فعل القبائح العقلية وهؤلاء يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحا قط كالأطفال وهذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضا قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } {الإسراء 15} وقال تعالى عن أهل النار { كَلِمًا أَقْبَىٰ فِيهَا فُوجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } {8} { قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } {9} { الملك 8-9 } فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما القى فيها فوج سألهم الخزانة هل جاءهم نذير فيعترفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم يبق فوج يدخل النار الا وقد جاءهم نذير فمن لم يأتته نذير لم يدخل النار وقال { ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } {الأنعام 131} أى هذا بهذا السبب فعلم أنه لا يعذب من كان غافلا ما لم يأتته نذير ودل أيضا على أن ذلك ظلم تنزه سبحانه عنه وأيضاً فإن الله تعالى قد أخبر في غير موضع انه لا يكلف نفسا الا وسعها كقوله { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } {البقرة 286} وقوله تعالى { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } {الأعراف 42}

وقوله { لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا } البقرة 233 وقوله {  
 لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا } الطلاق 7 وأمر بتقواه بقدر  
 الاستطاعة فقال { فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ } التغابن 16 وقد دعاه  
 المؤمنون بقولهم ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على  
 الذين من قبلنا { رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } البقرة 286  
 فقال قد فعلت فدللت هذه النصوص على أنه لا يكلف نفسا  
 ما تعجز عنه خلافا للجهمية المجبرة ودلت على أنه لا يؤاخذ  
 المخطيء والناسي خلافا للقدريّة والمعتزلة هذا فصل  
 الخطاب في هذا الباب فالمجتهد المستدل من إمام وحاكم وعلام  
 وناظر ومفت وغير ذلك إذا اجتهد واستدل فاتقى الله ما استطاع  
 كان هذا هو الذى كلفه الله إياه وهو مطيع لله مستحق للثواب إذا  
 اتقاه ما استطاع ولا يعاقبه الله ألنبته خلافا للجهمية المجبرة وهو  
 مصيب بمعنى أنه مطيع لله لكن قد يعلم الحق فى نفس الأمر وقد  
 لا يعلمه خلافا للقدريّة والمعتزلة فى قولهم كل من استفرغ وسعه  
 علم الحق فان هذا باطل كما تقدم بل كل من استفرغ وسعه  
 استحق الثواب وكذلك الكفار من بلغه دعوة النبى فى دار  
 الكفر وعلم أنه رسول الله فأمن به وأمن بما أنزل عليه واتقى الله  
 ما استطاع كما فعل النجاشى وغيره ولم تمكنه الهجرة الى دار  
 الاسلام ولا التزام جميع شرائع الاسلام لكونه ممنوعا من الهجرة  
 وممنوعا من إظهار دينه وأليس عنده من يعلمه جميع شرائع  
 الاسلام فهذا مؤمن من أهل الجنة كما كان مؤمن آل فرعون مع  
 قوم فرعون وكما كانت امرأة فرعون بل وكما كان يوسف  
 الصديق عليه السلام مع أهل مصر فإنهم كانوا كفارا ولم يمكنه  
 ان يفعل معهم كل ما يعرفه من دين الاسلام فإنه دعاهم الى  
 التوحيد والايمان فلم يجيبوه قال تعالى عن مؤمن آل فرعون  
 { وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ  
 بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا } غافر 34  
 وكذلك النجاشى هو وإن كان ملك النصرارى فلم يطعه قومه فى  
 الدخول فى الاسلام بل إنما دخل معه نفر منهم ولهذا لما مات لم

يكن هناك أحد يصلى عليه صلى عليه النبي بالمدينة خرج  
 بالمسلمين الى المصلى فصفهم صفوفًا وصلى عليه وأخبرهم  
 بموته يوم مات وقال إن أبا لكم صالحًا من أهل الحبشة مات  
 وكثير من شرائع الاسلام أو أكثرها لم يكن دخل فيها لعجزه عن  
 ذلك فلم يهاجر ولم يجاهد ولا حج البيت بل قد روى أنه لم يصل  
 الصلوات الخمس ولا يصوم شهر رمضان ولا يؤدي الزكاة  
 الشرعية لأن ذلك كان يظهر عند قومه فينكرونه عليه وهو لا  
 يمكنه مخالفتهم ونحن نعلم قطعًا أنه لم يكن يمكنه أن يحكم بينهم  
 بحكم القرآن والله قد فرض على نبيه بالمدينة أنه إذا جاءه أهل  
 الكتاب لم يحكم بينهم إلا بما أنزل الله اليه وحذره أن يفتنوه عن  
 بعض ما أنزل الله اليه وهذا مثل الحكم في الزنا للمحصن  
 بحد الرجم وفي الديات بالعدل والتسوية في الدماء بين الشريف  
 والوضيع النفس بالنفس والعين بالعين وغير ذلك والنجاشي  
 ما كان يمكنه أن يحكم بحكم القرآن فان قومه لا يقرونه على ذلك  
 وكثيرا ما يتولى الرجل بين المسلمين والتتار قاضيا بل وإماما  
 وفي نفسه أمور من العدل يريد أن يعمل بها فلا يمكنه ذلك بل  
 هناك من يمنعه ذلك ولا يكف الله نفسا ألا وسعها وعمر بن عبد  
 العزيز عودى وأوذى على بعض ما أقامه من العدل وقيل إنه سم  
 على ذلك فالنجاشي وأمثاله سعداء في الجنة وان كانوا لم يلتزموا  
 من شرائع الاسلام ما لا يقدرون على التزامه بل كانوا يحكمون  
 بالأحكام التي يمكنهم الحكم بها<sup>445</sup>

\* ان الله سبحانه أمرنا بالمعروف وهو طاعته وطاعة رسوله  
 وهو الصلاح والحسنات والخير والبر ونهى عن المنكر وهو  
 معصيته ومعصية رسوله وهو الفساد والسيئات والشر والفجور  
 وقيد الايجاب بالاستطاعة والوسع وابعح مما حرم ما يضطر

<sup>445</sup> مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 216 و منهاج السنة النبوية ج: 5

المرء اليه غير باع ولا عاد وقد اتفق سلف الامة وأئمتها على ان كل احد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله وهذا من الفروق بين الأنبياء وغيرهم فان الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه يجب لهم الايمان بجميع ما يخبرون به عن الله عز وجل وتجب طاعتهم فيما يأمرون به بخلاف الاولياء فانهم لا تجب طاعتهم في كل ما يأمرون به ولا الايمان بجميع ما يخبرون به بل يعرض امرهم وخبرهم على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب والسنة وجب قبوله وما خالف الكتاب والسنة كان مردودا وان كان صاحبه من اولياء الله وكان مجتهدا معذورا فيما قاله له اجر على اجتهاده لكنه إذا خالف الكتاب والسنة كان مخطئا وكان من الخطأ المغفور إذا كان صاحبه قد اتقى الله ما استطاع فان الله تعالى يقول {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} {التغابن 16} وهذا تفسير قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ} آل عمران 102 قال ابن مسعود وغيره حق تقاته ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان يشكر فلا يكفر أى بحسب استطاعتكم فان الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها كما قال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} {البقرة 286} وقال تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} {الأعراف 42} وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا امرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم فأوجب مما امر به ما يستطيع وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث اخر انكم لن تحصوا او تستطيعوا كل ما امرتم به ولكن وقال ان هذا الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا

واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد  
تبلغوا وهذا العام المجمل فقال { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ  
بِالْقِسْطِ لَأُكَفِّفَ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام<sup>446</sup> 152

\*ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد  
إذا لم يقدر على الاجتهاد وسلك في تقليده مسلك العدل فهو  
مقتصد إذ الأمر مشروط بالقدرة { لَأُكَفِّفَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا  
{ البقرة 286 فعلى المسلم في كل موطن أن يسلم وجهه لله وهو  
محسن ويدوم على هذا الاسلام فإسلام وجهه اخلاصه لله  
واحسان فعله الحسن فتدبر هذا فانه اصل جامع نافع عظيم<sup>447</sup>

### العدل جماع الدين والحق والخير كله

\* { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ  
لِيُقِيمُوا النَّاسَ بِالْقِسْطِ } الحديد 25 أن العدل جماع الدين والحق  
والخير كله والعدل الحقيقي قد يكون متعذرا أو متعسرا إما علمه  
وإما العمل به لكون التماثل من كل وجه غير متمكن أو غير  
معلوم فيكون الواجب في مثل ذلك ما كان اشبه بالعدل وأقرب  
إليه وهي الطريقة المثلى ولهذا قال سبحانه { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ  
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَأُكَفِّفَ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام<sup>448</sup> 152

\*والمحبة المحمودة هي المحبة النافعة وهي التي تجلب لصاحبها  
ما ينفعه وهو السعادة والضارة هي التي تجلب لصاحبها ما  
يضره وهو الشقاء ومعلوم أن الحي العالم لا يختار أن يجب

<sup>446446</sup> مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 208 و الاستقامة ج: 2 ص: 315

<sup>447447</sup> مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 128

<sup>448</sup> مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 132

ما يضره لكن يكون ذلك عن جهل وظلم فإن النفس قد تهوي ما يضرها ولا ينفعها وذلك ظلم منها لها وقد تكون جاهلة بحالها به بأن تهوي الشيء وتحبه بلا علم منها بما في محبته من المنفعة والمضرة وتتبع هواها وهذا حال من اتبع هواه بغير علم وقد يكون عن اعتقاد فاسد وهو حال من اتبع الظن وما تهوي نفسه وكل ذلك من أمور الجاهلية وإن كان كل من جهلها وظلمها لا يكاد يخلو عن شبهة يشتبها بها الحق وشهوه هي في الأصل محمودة إذا وضعت في محلها كحال الذي يحب لقاء قريبه فإن هذا محمود وهو أصل صلة الرحم التي هي شجنة من الرحمن لكن إذا اتبع هواه حتى خرج عن العدل بين ذوي القربى وغيرهم كان هذا ظلماً كما قال تعالى { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ } الأنعام 152 وقال تعالى { كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا } النساء 135 وكذلك الذي يحب الطعام والشراب والنساء فإن هذا محمود وبه يصلح حال بني آدم ولولا ذلك لما استقامت نفس الأنساب ولا وجدت الذرية ولكن يجب العدل والقصد في ذلك كما قال تعالى { وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا } الأعراف 31 وكما قال تعالى { إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ } {6} فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ } {7} المؤمنون 6-7 فإذا تجاوز حد العدل وهو المشروع صار ظالماً عادياً بحسب ظلمه وعدوانه وقد ذكرنا في مواضع أن المشروع والنافع والصالح والعدل والحق والحسن أسماء متكافئة مسماهما واحد بالذات وإن تنوعت صفاته بمنزلة أسماء الله الحسني فأسماؤه تعالى وأسماء كتابه ودينه ونبيه مسمي كل صنف من ذلك واحد وإن تنوعت صفاته فكل عمل صالح هو نافع لصاحبه وبالعكس وكل نافع

صالح فهو مشروع وبالعكس وكل ما كان صالحا مشروعا فهو  
حق وعدل وبالعكس 449

\*أن كل خير فهو داخل في القسط والعدل وكل شر فهو داخل في  
الظلم ولهذا كان العدل أمرا واجبا في كل شيء وعلى كل أحد  
والظلم محرما في كل شيء ولكل أحد فلا يحل ظلم أحد أصلا  
سواء كان مسلما أو كافرا أو كان ظالما بل الظلم إنما يباح أو  
يجب فيه العدل عليه أيضا قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا  
قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ { المائدة 8 أي  
يحملنكم شَنَاَنُ أي بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل {  
قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ  
خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ { المائدة 8 وقال تعالى { فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ  
فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ { البقرة 194 وقال تعالى  
{ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ { النحل 126 وقال تعالى  
{ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا { الشورى 40 وقد دل على هذا قوله  
في الحديث يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته  
بينكم محرما فلا تظالموا فإن هذا خطاب لجميع العباد أن لا  
يظلم أحد أحدا وأمر العالم في الشريعة مبني على هذا وهو العدل  
في الدماء والأموال والأبضاع والأنساب والأعراض ولهذا  
جاءت السنة بالقصاص في ذلك ومقابلة العادي بمثل فعله لكن  
المماثلة قد يكون علمها أو عملها متعذرا ومتعسرا ولهذا يكون  
الواجب ما يكون أقرب إليها بحسب الإمكان ويقال هذا أمثل  
وهذا أشبه وهذه الطريقة المثلى لما كان أمثل بما هو العدل  
والحق في نفس الأمر إذ ذاك محجوز عنه ولهذا قال تعالى  
{ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا  
{ الأنعام 152 فذكر أنه لم يكلف نفسا إلا وسعها حين أمر

بتوفية الكيل والميزان بالقسط لأن الكيل لا بد له أن يتفضل أحد المكيلين على الآخر ولو بحبة أو حبات وكذلك التفاضل في الميزان قد يحصل بشيء يسير لا يمكن الاحتراز منه فقال تعالى {لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} الأنعام 152 ولهذا كان القصاص مشروعا إذا أمكن استيفاؤه من غير جنف كالاقتصاص في الجروح التي تنتهي إلى عظم وفي الأعضاء التي تنتهي إلى مفصل فإذا كان الجنف واقعا في الاستيفاء عدل إلى بدله وهو الدية لأنه أشبه بالعدل من اتلاف زيادة في المقتص منه وهذه حجة من رأى من الفقهاء أنه لا قود إلا بالسيف في العنق قال لأن القتل بغير السيف وفي غير العنق لا نعلم فيه المماثلة بل قد يكون التحريق والتغريق والتوسيط ونحو ذلك أشد إيلا ما لكن الذين قالوا يفعل به مثل ما فعل قولهم أقرب إلى العدل فإنه مع تحري التسوية بين الفعلين يكون العبد قد فعل ما يقدر عليه من العدل وما حصل من تفاوت الألم خارج عن قدرته وأما إذا قطع يديه ورجليه ثم وسطه فقول ذلك بضرب عنقه بالسيف أو رض رأسه بين حجرين فضرب بالسيف فهنا قد تيقنا عدم المعادلة والمماثلة وكنا قد فعلنا ما تيقنا انتقاء المماثلة فيه وأنه يتعذر معه وجودها بخلاف الأول فإن المماثلة قد تقع إذ التفاوت فيه غير متيقن وكذلك القصاص في الضربة واللطمة ونحو ذلك عدل عنه طائفة من الفقهاء إلى التعزيز لعدم إمكان المماثلة فيه والذي عليه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة وهو منصوص أحمد ما جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثبوت القصاص به لأن ذلك أقرب إلى العدل والمماثلة فإننا إذا تحرينا أن نعمل به من جنس فعله ونقرب القدر من القدر كان هذا أمثل من أن نأتي بجنس من العقوبة تخالف عقوبته جنسا وقدرنا وصفة وهذا النظر أيضا في ضمان الحان والعقار ونحو ذلك بمثله تقريبا أو بالقيمة كما نص أحمد على ذلك في مواضع ضمان الحيوان وغيره ونص عليه الشافعي فيمن خرب حائط غيره أنه يبنيه كما كان وبهذا قضى سليمان عليه السلام في حكومة



الحرث التي حكم فيها هو وأبوه كما قد بين ذلك في موضعه  
فجميع هذه الأبواب المقصود للتشريعة فيها تحري العدل بحسب  
الإمكان وهو مقصود العلماء لكن أفهمهم من قال بما هو أشبه  
بالعدل في نفس الأمر وإن كان كل منهم قد أوتي علماً وحكماً  
لأنه هو الذي أنزل الله به الكتب وأرسل به الرسل وضده الظلم  
كما قال سبحانه يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي  
وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ولما كان العدل لا يبدأ  
يتقدمه علم إذ من لا يعلم لا يدري ما العدل والإنسان ظالم  
جاهل إلا من تاب الله عليه فصار عالماً عادلاً صار الناس من  
القضاة وغيرهم ثلاثة أصناف العالم العادل والجاهل والظالم  
فهذان من أهل النار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم  
القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل علم الحق  
وقضى به فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في  
النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار فهذان  
القسمان كما قال من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ  
ومن قال في القرآن برأيه فأخطأ فليتوباً مقعده من النار وكل  
من حكم بين اثنين فهو قاض سواء كان صاحب حرب أو متولي  
ديوان أو منتصباً للاحتساب بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
حتى الذي يحكم بين الصبيان في الخطوط فإن الصحابة كانوا  
يعدونه من الحكام ولما كان الحكام مأمورين بالعدل بالعلم وكان  
المفروض إنما هو بما يبلغه جهد الرجل قال النبي صلى الله عليه  
وسلم إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ  
فله أجر <sup>450</sup>

## صحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيغ والظلم والانحراف

\*أن العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض وهو محبوب في النفوس مركز حبه في القلوب تحبه القلوب وتحمده وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه والعدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال والله تعالى أرسل الرسل ليقوم الناس بالقسط قال الله تعالى {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} الحديد25 وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} الشورى17 وقال تعالى {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْتُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء58 وقال {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} المائدة42 وقال {فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ} المائدة48 فأمره أن يحكم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله فما أنزل الله هو القسط والقسط هو ما أنزل الله ولهذا وجب على كل من حكم بين اثنين أن يحكم بالعدل لقوله تعالى {وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} النساء58 فليس لحاكم أن يحكم بظلم أبدا والشرع الذي يجب على حكام المسلمين الحكم به عدل كله ليس في الشرع ظلم أصلا بل حكم الله أحسن الأحكام والشرع هو ما أنزل الله فكل من حكم بما أنزل الله فقد حكم بالعدل<sup>451</sup>

\*و العدل هو الاعتدال والاعتدال هو صلاح القلب كما أن الظلم فساده ولهذا جميع الذنوب يكون الرجل فيها ظالما لنفسه والظلم خلاف العدل فلم يعدل على نفسه بل ظلما فصلاح القلب في

<sup>451</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 130 و الصلفية ج: 2 ص: 327

العدل وفساده في الظلم وإذا ظلم العبد نفسه فهو الظالم وهو المظلوم كذلك إذا عدل فهو العادل والمعدول عليه فمنه العمل وعليه تعود ثمرة العمل من خير وشر قال تعالى {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} البقرة 286 والعمل له أثر في القلب من نفع وضر وصلاح قبل أثره في الخارج فصلاحتها عدل لها وفسادها ظلم لها قال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} فصلت 46 وقال تعالى الإسراء {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} الإسراء 7 قال بعض السلف إن للحسنة لنورا في القلب وقوة في البدن وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الخلق وإن للسيئة لظلمة في القلب وسوادا في الوجه ووهنا في البدن ونقصا في الرزق وبغضا في قلوب الخلق كما أن الجسد إذا صح من مرضه قيل قد اعتدل مزاجه والمرض إنما هو انحراف المزاج مع أن الاعتدال المحض السالم من الأخلط لا سبيل إليه ولكن الأمثل فالأمثل فهكذا صحة القلب وصلاحه في العدل ومرضه من الزيغ والظلم والانحراف والعدل المحض في كل شيء متعذر علما وعملا ولكن الأمثل فالأمثل ولهذا يقال هذا أمثل ويقال للطريقة السلفية الطريقة المثلى وقال تعالى {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ} النساء 129 وقال تعالى {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الأنعام 152 والله تعالى بعث الرسل وأنزل الكتب ليقوم الناس بالقسط وأعظم القسط عبادة الله وحده لا شريك له ثم العدل على الناس في حقوقهم ثم العدل على النفس و الظلم ثلاثة أنواع والظلم كله من أمراض القلوب والعدل صحتها وصلاحها قال أحمد بن حنبل لبعض الناس لو صححت لم تخف أحدا أي خوفك من المخلوق هو من

مرض فيك كمرض الشرك والذنوب وأصل صلاح القلب هو  
حياته واستنارته <sup>452</sup>

## العدل في القول خير يتعلق بالماضي و الحاضر و الوفاء بالعهد يكون في القول المتعلق بالمستقبل

\*قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ } المائدة 1 و  
العقود هي العهود و قال تعالى { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا  
قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا } الأنعام 152 و قال تعالى { وَأَوْفُوا  
بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا } الإسراء 34 و قال تعالى  
{ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الأدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ  
مَسْئُولًا } الأحزاب 15 فقد أمر سبحانه بالوفاء بالعقود و هذا  
عام و كذلك أمر بالوفاء بعهد الله و بالعهد و قد دخل في ذلك ما  
عقده المرء على نفسه بدليل قوله { وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ  
قَبْلُ } الأحزاب 15 فدل على ان عهد الله يدخل فيه ما عقده  
المرء على نفسه و ان لم يكن الله قد أمر بنفس ذلك المعهود عليه  
قبل العهد كالنذر و البيع إنما أمر بالوفاء به و لهذا قرنه بالصدق  
في قوله { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا  
} الأنعام 152 لأن العدل في القول خير يتعلق بالماضي و  
الحاضر و الوفاء بالعهد يكون في القول المتعلق بالمستقبل كما  
قال تعالى { وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ  
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ } 75 { فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ  
وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } 76 { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ  
يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْفَوْا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } 77 { التوبة 75

77- <sup>453</sup>

<sup>452</sup>أمراض القلوب ج: 1 ص: 7-8 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 99

<sup>453</sup>مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 138-139

\* والكلام يجب ان يكون بالعلم والقسط فمن تكلم فى الدين بغير علم دخل فى قوله تعالى { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ } {الإسراء 36} وفى قوله تعالى { وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ } {الأعراف 33} ومن تكلم بقسط وعدل دخل فى قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ } {النساء 135} وفى قوله تعالى { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا } {الأنعام 152} وفى قوله تعالى { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } {الحديد 25}

454

### يستدل بالعدل على القياس الصحيح العقلى والشرعى

\* أن عامة السيئات يدخل فى الظلم وأن الحسنات غالبها عدل وأن القسط هو المقصود بارسال الرسل وإنزال الكتب والقسط والعدل هو التسوية بين الشئيين فان كان بين متماثلين كان هو العدل الواجب المحمود وإن كان بين الشئىء وخلافه كان من باب قوله { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ } {الأنعام 1} كما قالوا { تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } {97} {إِنْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {98} {الشعراء 97-98} فهذا العدل والتسوية والتمثيل والاشراك هو الظلم العظيم وإذا عرف أن مادة العدل والتسوية والتمثيل والقياس والاعتبار والتشريك والتشبيه والتنظير من جنس واحد فيستدل بهذه الأسماء على القياس الصحيح العقلى والشرعى ويؤخذ من ذلك تعبير الرؤيا فان مداره على القياس والاعتبار والمشابهة التى بين الرؤيا وتأويلها ويؤخذ من ذلك ما فى الأسماء واللغات من الاستعارة والتشبيه إما فى وضع اللفظ بحيث يصير حقيقة فى الاستعمال وإما فى

الاستعمال فقط مع القرينة اذا كانت الحقيقة أخرى فان مسميات  
 الأسماء المتشابهة متشابهة ويؤخذ من ذلك ضرب الأمثال  
 للتصوير تارة وللتصديق أخرى وهو نافعة جدا وذلك أن أدرك  
 النفس لعين الحقائق قليل وما لم يدركه وإنما يعرفه بالقياس على  
 ما عرفته فاذا كان هذا في المعرفة ففي التعريف ومخاطبة الناس  
 أولى وأحرى ثم التماثل والتعادل يكون بين الوجودين

الخارجين وبين الوجودين العلميين الذهنيين وبين الوجود  
 الخارجي والذهني فالأول يقال هذا مثل هذا والثاني يقال فيه مثل  
 هذا كمثل هذا والثالث يقال فيه هذا كمثل هذا فالمثل إما أن  
 يذكر مره أو مرتين أو ثلاث مرات إذا كان التمثيل بالحقيقة  
 الخارجية كما في قوله { مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا

{ البقرة 177 فهذا باب المثل وأما باب العدل فقد قال تعالى {

**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ { الأنعام 152** وقال تعالى {

كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ { النساء 135 الآية وقال { شَهَادَةُ

كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ { المائدة 8 وقال { بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ

{ المائدة 106 { وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنكُمْ { الطلاق 2 فهذا العدل  
 والقسط في هذه المواضع هو الصدق المبين وضده الكذب

والكتمان وذلك أن العدل هو الذي يخبر بالأمر على ما هو  
 عليه لا يزيد فيكون كاذبا ولا ينقص فيكون كاتما والخبر مطابق

للمخبر كما تطابق الصورة العلمية والذهنية للحقيقة الخارجية  
 ويطابق اللفظ للعلم ويطابق الرسم للفظ فاذا كان العلم يعدل

المعلوم لا يزيد ولا ينقص والقول يعدل العلم لا يزيد ولا ينقص  
 والرسم يعدل القول كان ذلك عدلا والقائم به قائم بالقسط وشاهد

بالقسط وصاحبه ذو عدل ومن زاد فهو كاذب ومن نقص فهو  
 كاتم ثم قد يكون عمدا وقد يكون خطأ فتدبر هذا فانه عظيم نافع  
 جدا هو حسنة مأمور بها وأنه لا يقاومها شيء من الذنوب

\*ان المماثل من كل وجه متعذر حتى في المكيلات فضلا عن  
 غيرها فانه اذا اتلف صاعا من بر فضمن بصاع من بر لم يعلم

ان احد الصاعين فيه من الحب ما هو مثل الآخر بل قد يزيد  
 احدهما على الآخر ولهذا قال تعالى { وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ  
 بِالْقِسْطِ لَأَنْكَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } الأنعام 152 فان تحديد الكيل  
 والوزن مما قد يعجز عنه البشر ولهذا يقال هذا امثل من هذا اذا  
 كان اقرب الى المماثلة منه اذا لم تحصل المماثلة من كل وجه  
 455

### طريق الموازنة والمعادلة من سلكه كان قائما بالقسط

\*انه قد يقترن بالحسنات سيئات اما مغفورة او غير مغفورة وقد  
 يتعذر او يتعسر على السالك سلوك الطريق المشروعة المحضة  
 الا بنوع من المحدث لعدم القائم بالطريق المشروعة علما وعملا  
 فاذا لم يحصل النور الصافي بان لم يوجد الا النور الذى ليس  
 بصاف والا بقى الانسان فى الظلمة فلا ينبغي ان يعيب الرجل  
 وينهى عن نور فيه ظلمة الا اذا حصل نور لا ظلمة فيه والا فكم  
 ممن عدل عن ذلك يخرج عن النور بالكلية اذا خرج غيره عن  
 ذلك لما رآه فى طرق الناس من الظلمة وانما قررت هذه  
 القاعدة ليحمل ذم السلف والعلماء للشيء على موضعه  
 ويعرف ان العدول عن كمال خلافه النبوة المأمور به شرعا تارة  
 يكون لتقصير الحسنات علما وعملا وتارة بعدوان بفعل السيئات  
 علما وعملا وكل من الامرين قد يكون عن غلبة وقد يكون مع  
 قدرة فالاول قد يكون لعجز وقصور وقد يكون مع قدرة  
 وامكان و الثاني قد يكون مع حاجة وضرورة وقد  
 يكون مع غنى وسعة وكل واحد من العاجز عن كمال الحسنات  
 والمضطر الى بعض السيئات معذور فان الله يقول { فَأَتَّقُوا اللَّهَ  
 مَا اسْتَطَعْتُمْ } التغابن 16 وقال { لَأَنْكَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا

{الانعام152} وقال {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} {البقرة286} لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا} {الطلاق7} في البقرة والطلاق وقال {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} {الأعراف42} وقال النبي اذ امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وقال سبحانه { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} {الحج78} وقال { مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ} {المائدة6} وقال { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ} {البقرة185} وقال {غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} {البقرة173} وقال { وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} {الأحزاب5} وهذا اصل عظيم وهو ان تعرف الحسنة في نفسها علما وعملا سواء كانت واجبة او مستحبة وتعرف السيئة في نفسها علما وقولا وعملا محظورة كانت او غير محظورة ان سميت غير المحظورة سيئة وان الدين تحصيل الحسنات والمصالح وتعطيل السيئات والمفاسد وانه كثيرا ما يجتمع في الفعل الواحد او في الشخص الواحد الامران فالذم والنهي والعقاب قد يتوجه الى ما تضمنه احدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الاخر كما يتوجه المدح والامر والثواب الى ما تضمنه احدهما فلا يغفل عما فيه من النوع الاخر وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية والفجورية لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية البرية فهذا طريق الموازنة والمعادلة ومن سلكه كان قائما بالقسط الذي انزل الله له

456

الكتاب والميزان



## { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ }

\*فان الله قد اكمل لنا ديننا واتم علينا نعمته ورضى لنا الاسلام دينا وامرنا ان نتبع صراطه المستقيم ولا نتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله وجعل هذه الوصية خاتمة وصاياها العشر التي هي جوامع الشرائع التي تضاهي الكلمات التي انزلها الله على موسى في التوراة وان كانت الكلمات التي انزلت علينا اكمل وابلغ ولهذا قال الربيع ابن خثيم من سره ان يقرأ كتاب محمد الذي لم يفيض خاتمته بعده فليقرأ آخره سورة الانعام قال الله تعالى { **فُلن تَعَالَوْا أَنزَلْنَا مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمَ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } {151} وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَمَ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } {152} وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمَ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } {153} {الأنعام 151- 153} وأمرنا ان لا نكون { كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } آل عمران 105 واخبر رسوله { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } {الأنعام 159} وذكر انه جعله على شريعة من الامر وامره ان يتبعها ولا يتبع سبيل الذين لا يعلمون وقال تعالى { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } {48} وَأَنَّ**

احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ  
 عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ {49} المائدة 48-49 فأمره ان لا  
 يتبع اهواءهم عما جاءه من الحق وان كان ذلك شرعا او طريقا  
 لغيره من الانبياء انه قد جعل لكل نبي سنة وسبيلا وحذره ان  
 يفتنوه عن بعض ما انزل الله اليه فاذا كان هذا فيما جاءت به  
 شريعة غيره فكيف بما لا يعلم انه جاءت به شريعة بل هو  
 طريقة من لا كتاب له وأمره وايانا في غير موضع ان نتبع ما  
 انزل الينا دون ما خالفه فقال { المص {1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ  
 فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ {2}  
 اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا  
 تَذَكَّرُونَ {3} الاعراف 1-3 وبين حال الذين ورثوا الكتاب فخالفوه  
 والذين استمسكوا به فقال { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا  
 الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفِرُ لَنَا  
 {الأعراف 169 الى قوله { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا  
 الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ {الأعراف 170 وقال  
 { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ  
 {155} { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ  
 قَبْلِنَا {156} الأنعام 155- 156 الآيات وقال { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ  
 اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا {1}  
 وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا {2}  
 الأحزاب 1-2 وقال { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا  
 عمران 103 وحبل الله كتابه كما فسره النبي وقال { وَاتَّبِعْ مَا  
 يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ } يونس 109 الى غير ذلك من  
 نصوص الكتاب والسنة التي اجمع المسلمون على اتباعها وهذا  
 مما لم يختلف المسلمون فيه جملة ولكن قد يقع التنازع في  
 تفصيله فتارة يكون بين العلماء المعتبرين في مسائل الاجتهاد  
 وتارة يتنازع فيه قوم جهال بالدين او منافقون او سماعون  
 للمنافقين فقد اخبر الله سبحانه ان فينا قوما سماعين للمنافقين  
 يقبلون منهم كما قال { لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ بَيْنَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ { التوبة 47

457

## الدين ما شرعه الله ورسوله

\*فان اقواما استحلوا بعض ما حرمه الله واقواما حرموا بعض ما احل الله تعالى وكذلك اقواما احدثوا عبادات لم يشرعها الله بل نهى عنها و اصل الدين ان الحلال ما احله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله والدين ما شرعه الله ورسوله ليس لاحد ان يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به ورسوله قال الله تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} { الأنعام 153 وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطأ وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذه سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} { الأنعام 153 وقد ذكر الله تعالى في سورة الانعام والاعراف وغيرهما ماذم به المشركين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى كالبحيرة والسائبة واستحلوا ما حرمه الله كقتل اولادهم وشرعوا ديناً لم يأذن به الله فقال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ} { الشورى 21 ومنه اشياء هي محرمة جعلوها عبادات كالشرك والفواحش مثل الطواف بالبيت عراة وغير ذلك

458

<sup>457</sup>مجموع الفتاوى ج: 25 ص: 127-129

<sup>458</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 388-389

## حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحدا وجعل الباطل متعددا

\*الصراط في لغة العرب هو الطريق يقال هو الطريق الواضح ويقال هو الطريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه ومنه الصراط المنصوب على جهنم وهو الجسر الذي يعبر عليه المؤمنون إلى الجنة وإذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم ويقال فيه معنى الاستواء والاعتدال الذي يوجب سرعة العبور عليه وفيه ثلاث لغات هي ثلاث قراءات الصراط والسرط والزرط وهي لغة عربية عرباء ليست من المعرب ويقال أصله من قولهم سرطت الشيء أسرطه سرطا إذا ابتلغته واسترطته ابتلغته فإن المبتلع يجري بسرعة في مجرى محدود ومن أمثال العرب لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى من قولهم أعفيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته ويقال فلان يسترط ما يأخذ من الدين وحكى يعقوب بن السكيت الأخذ سريط والقضاء سريط والسرطاط الفالوج لأنه يسترط استرطا وسيف سراطي أي قاطع فإنه ماض سريع المذهب في مضربه فالصراط هو الطريق المحدود المعتدل الذي يصل سالكه إلى مطلبه بسرعة وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع ولم يسم الله سبيل الشيطان سراطا بل سماها سبلا وخص طريقه باسم الصراط كقوله تعالى **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}** {الأنعام 153} وفي السنن عن عبد الله بن مسعود قال خط لنا رسول الله خطأ وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قاله هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه من أجابه قذفه في النار ثم قرأ **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}** {الأنعام 153} فسمى سبحانه طريقه صراطا وسمى تلك سبلا ولم يسمها

صراطا كما سماها سبيلا وطريقه يسميه سبيلا كما يسميه  
صراطا 459

\*وقال تعالى في آل عمران {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ  
الْحَكِيمُ} {18} إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ {19} آل عمران 18-  
19- فآخبر ان الدين عند الله الاسلام وان الذين اختلفوا من اهل  
الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم  
العلم وفيه بيان ان الدين واحد لا اختلاف فيه وقال {شَرَعَ  
لَكُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ  
إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ  
{الشورى 13} وذكر في النحل دعوة المرسلين جميعهم واتفاقهم  
على عبادة الله وحده لا شريك له فقال {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ  
رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ  
وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ {النحل 36 الاية وهذا في القرآن  
مذكور في مواضع كثيرة وكذلك في الأحاديث الصحيحة  
مثل ما ترجم عليه البخارى فقال باب ما جاء في أن دين  
الأنبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة  
عن النبى قال انا معاشر الأنبياء اخوة لعلات ومثل صفته  
في التوراة لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فافتح به أعينا  
عميا وأذانا صما وقلوبا غلغا ولهذا وحد الصراط والسبيل فى  
مثل قوله تعالى { اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } {6} صِرَاطَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ } {7} الفاتحة 6-  
7 ومثل قوله تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا  
تَتَّبِعُوا السُّبُلَ } وقوله { مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ  
{البقرة 261} { وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } البقرة 218

وقوله { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ  
{ الأنفال 39 والاسلام دين جميع المرسلين 460

\*وقد ذكر في غير موضع أن دين الأنبياء كلهم الإسلام كما قال  
تعالى عن نوح { وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ } النمل 91 وقال  
عن إبراهيم وقال عن إبراهيم { إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ  
لِرَبِّ الْعَالَمِينَ } { 131 } { وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ  
اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } { 132 } البقرة  
131- 132 وقال يوسف { فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ  
وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ  
{ يوسف 101 } { وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ  
تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ } يونس 84 وقال عن السحرة { رَبَّنَا  
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ } الأعراف 126 وقال عن  
بلقيس { رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ } النمل 44 وقال { يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا  
لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ } المائدة 44 وقال { وَإِذْ أُوحِيَتْ  
إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا  
مُسْلِمُونَ } المائدة 111 وتنوع الشرائع لا يمنع أن يكون الدين  
واحدا وهو الإسلام كالدين الذي بعث الله به محمدا صلى الله عليه  
وسلم فإنه هو دين الإسلام أولا وأخرا وكانت القبلة في أول  
الأمر بيت المقدس ثم صارت القبلة الكعبة وفي كلا الحالين الدين  
واحد وهو دين الإسلام فهكذا سائر ما شرع للأنبياء قبلنا  
ولهذا حيث ذكر الله الحق في القرآن جعله واحدا وجعل الباطل  
متعددا كقوله { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا  
تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ  
{ الأنعام 153 } وقوله { شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتِنَابًا وَهَذَا هُوَ إِلَى صِرَاطِ  
مُسْتَقِيمٍ } النحل 121 وقوله { وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا } { الفتح 2

وقوله { اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى  
الظُّلُمَاتِ } البقرة 257 وهذا يطابق ما في كتاب الله من أن  
الإختلاف المطلق كله مذموم بخلاف المقيد الذي قيل فيه {وَلَكِن  
اٰخْتَلَفُوْا فَمِنْهُمْ مَّنْ اٰمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اَفْتَنَّاوْا  
{البقرة 253 فهذا قد بين أنه اختلاف بين أهل الحق والباطل <sup>461</sup>

## كتاب الله حكم ما بينكم ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله

\* أن الواجب على المسلمين الإعتصام بالكتاب والسنة كما أمرهم  
الله تعالى بذلك في قوله {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا  
{ آل عمران 103 وقوله تعالى {المص} {1} {كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا  
يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} {2} {اتَّبِعُوا  
مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا  
تَذَكَّرُونَ} {3} {الأعراف 1- 3} {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ  
فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا} {الأنعام 155} {وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ  
مَعَهُ} {الأعراف 157} و {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ  
{الأعراف 157} {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} {المائدة 92  
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} {النساء 64} {فَلَا  
وَرَبَّكَ لَا يُوْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ} {النساء 65  
الاية} {فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} {النساء 59} {وَأَنَّ هَذَا  
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} {الأنعام 153} وقوله {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا  
جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تِينُكُم مَّنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ  
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} {123} {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

<sup>461</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 265-267

مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ  
 حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا  
 فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى {126} طه 123-126 قال ابن  
 عباس رضي الله عنهما تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه  
 أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية ومثل  
 هذا كثير من الكتاب والسنة وهذا مما اتفق عليه سلف الأمة  
 وأئمتها<sup>462</sup>

\*فالا اعتقاد المطابق للحق ينفع صاحبه ويثاب عليه ويسقط به  
 الفرض إذا لم يقدر على أكثر منه لكن ينبغي أن يعرف أن عامة  
 من ضل في هذا الباب أو عجز فيه عن معرفة الحق فإنما هو  
 لتفريطه في إثبات ما جاء به الرسول وترك النظر والاستدلال  
 الموصل إلى معرفته فلما عرضوا عن كتاب الله ضلوا كما قال  
 تعالى لبني آدم { فَأَمَّا يَا تِئْتِيكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا  
 يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً  
 ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} طه 123-124 قال  
 ابن عباس تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في  
 الدنيا ولا يشقى في الآخرة وقرأ هذه الآية وكما في الحديث الذي  
 رواه الترمذي وغيره عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
 قال ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال  
 كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو  
 الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى  
 الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم  
 وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس  
 به الألسن ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تشبع  
 منه العلماء وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا { إِنَّا

<sup>462</sup>منهاج السنة النبوية ج: 2 ص: 553-554 و مجموع الفتاوى ج:



سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا {1} { يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ {2} الجن 1-2 من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم قال تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ { الأنعام 153 وقال تعالى { المص {1} كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ { الأعراف 1-2 إلى قوله { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ { الأعراف 3 وقال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {155} أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَي طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ {156} أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَن آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ {157} الأنعام 155-157

157 وقوله سبحانه أنه سيجزي الصادف عن آياته مطلقا

سواء كان مكذبا أو لم يكن سوء العذاب بما كانوا يصدفون يبين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن الإيمان به أو عرض عنه اتباعا لما يهواه أو ارتاب فيما جاء به فكل مكذب بما جاء به فهو كافر وقد يكون كافرا من لا يكذبه اذا لم يؤمن به ولهذا أخبر الله في غير موضع من كتابه بالضلال والعذاب لمن ترك إتباع ما أنزله وإن كان له نظر وجدل واجتهاد في عقليات وأمور غير ذلك وجعل ذلك من نعوت الكفار والمنافقين قال تعالى { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ { الأحقاف 26<sup>463</sup>

<sup>463</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 456 و درء التعارض ج: 1 ص: 167 و درء التعارض ج: 1 ص: 55 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 315

\*بل على المرید أن يسلك الصراط المستقیم صراط الذین انعمت  
 علیهم علیهم من النبیین والصدیقین والشهداء والصالحین ویتبع  
 ما دل علیه الكتاب والسنة والإجماع فإن ذلك هو صراط الله الذي  
 ذكره ورضى به في قوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ  
 وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ  
 تَتَّقُونَ} الأنعام 153 <sup>464</sup>

\*قال الامام أحمد في خطبته في الرد على الجهمية و الزنادقة  
 الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل  
 العلم يدعون من ضل الى الهدى و يصبرون منهم على الأذى  
 يحيون بكتاب الله الموتى و يبصرون بنوره أهل العمى فكم من  
 قتيل لإبليس قد احبوه و كم ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم  
 على الناس و أقبح أثر الناس عليهم ينفون عن كتاب الله تحريف  
 الغالين و إنتحال المبطلين و تأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية  
 البدعة و أطلقوا عنان الفتنة فهم مختلفون في الكتاب مخالفون  
 للكتاب مجتمعون على مخالفة الكتاب يقولون على الله و فى الله و  
 فى الكتاب بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام و يخدعون  
 جهال الناس بما يشبهون عليهم فنعود بالله من فتن المضلين  
 والثانية طريقة هشام و أتباعه يحكى عنهم أنهم أثبتوا ما قد نزه  
 الله نفسه عنه من إتصافه بالنقائص و مماثلته للمخلوقات فأجابهم  
 الإمام أحمد بطريقة الأنبياء و اتباعهم و هو الإعتصام بحبل الله  
 الذي قال الله فيه {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَنَّ  
 إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {102} {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا  
 {103} {أَلْ عَمْرَأَن 102- 103} و قال {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً  
 فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ  
 لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغِيًّا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا  
 اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ  
 مُسْتَقِيمٍ {البقرة 213} وقال تعالى {المص 1} كِتَابٌ أَنْزَلَ  
 إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى  
 لِلْمُؤْمِنِينَ {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ  
 أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ {3} الاعراف 1-3 وقال تعالى {  
 فِيمَا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى {123}  
 وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
 أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ  
 بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ  
 تُنْسَى {126} طه 123-126 وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ  
 آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ  
 فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
 الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا {النساء 59} وقال تعالى  
 {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ  
 اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {1} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ  
 صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن  
 تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ {2} الحجرات 1-2 وقال تعالى {  
 أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ  
 قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ  
 وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا {60} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا  
 إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُونَ عَنكَ  
 صُدُودًا {61} فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ  
 جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا {62} أُولَئِكَ  
 الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّهُمْ وَقَالَ لَهُمْ فِي  
 أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا {63} وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ  
 وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ  
 الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا {64} فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى  
 يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا

**قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** {65} النساء 60-65 و قوله تعالى **{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ}** {الأنعام 153} و قوله تعالى **{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ}** {الأنعام 159} و قوله تعالى **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}** {30} **{مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** {31} **{مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ}** {32} {الروم 30-32} و قوله **{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}** {الشورى 13} فهذه النصوص و غيرها تبين أن الله أرسل الرسل و أنزل الكتب لبيان الحق من الباطل و بيان ما اختلف فيه الناس و أن الواجب على الناس اتباع ما أنزل اليهم من ربهم و رد ما تنازعوا فيه الى الكتاب و السنة و ان من لم يتبع ذلك كان منافقا و ان من اتبع الهدى الذي جاءت به الرسل فلا يضل و لا يشقى و من أعرض عن ذلك حشر أعمى ضالا شقيا معذبا و أن الذين فرقوا دينهم قد برىء الله و رسوله منهم فاتبع الإمام أحمد طريقة سلفه من أئمة السنة و الجماعة المعتصمين بالكتاب و السنة المتبعين ما أنزل الله اليهم من ربهم و ذلك أن ننظر فما وجدنا الرب قد أثبتة لنفسه فى كتابه أثبتناه و ما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفينا و كل لفظ و جد فى الكتاب و السنة بالإثبات أثبت ذلك اللفظ و كل لفظ و جد منفيا نفي ذلك اللفظ و أما الألفاظ التى لا توجد فى الكتاب و السنة بل و لا فى كلام الصحابة و التابعين لهم باحسان و سائر أئمة المسلمين لا إثباتها و لا نفيها و قد تنازع فيها الناس فهذه الألفاظ لا تثبت و لا تنفى إلا بعد الإستفسار عن معانيها فان وجدت معانيها مما أثبتة الرب لنفسه أثبت و ان وجدت مما نفاه الرب عن نفسه نفيت و ان وجدنا اللفظ أثبتت به حق و باطل أو

نفى به حق و باطل أو كان مجملا يراد به حق و باطل و صاحبه  
 أراد به بعضها لكنه عند الاطلاق يوهم الناس أو يفهمهم ما أراد  
 و غير ما أراد فهذه الألفاظ لا يطلق اثباتها و لا نفيها كلفظ  
 الجوهر و الجسم و التحيز و الجهة و نحو ذلك من الألفاظ التي  
 تدخل في هذا المعنى فقل من تكلم بها نفيًا أو إثباتًا إلا و أدخل  
 فيها باطلا و أن أراد بها حقا و السلف و الأئمة كرهوا  
 هذا الكلام المحدث لاشتماله على باطل و كذب و قول على الله  
 بلا علم و كذلك ذكر أحمد في رده على الجهمية أنهم يفترون  
 على الله فيما ينفونه عنه و يقولون عليه بغير علم و كل ذلك مما  
 حرمه الله و رسوله و لم يكره السلف هذه لمجرد كونها  
 اصطلاحية و لا كرهوا الإستدلال بدليل صحيح جاء به الرسول  
 بل كرهوا الأقوال الباطلة المخالفة للكتاب و السنة و لا يخالف  
 الكتاب و السنة إلا ما هو باطل لا يصح بعقل و لا سمع  
 ولهذا لما سئل أبو العباس ابن سريج عن التوحيد فذكر توحيد  
 المسلمين و قال و أما توحيد أهل الباطل فهو الخوض في  
 الجواهر و الأعراض و إنما بعث الله النبي صلى الله عليه و  
 سلم بانكار ذلك و لم يرد بذلك أنه أنكر هذين اللفظين فإنهما لم  
 يكونا قد أحدثا في زمنه و إنما أراد إنكار ما يعنى بهما من  
 المعاني الباطلة فإن أول من أحدثهما الجهمية و المعتزلة و  
 قصدهم بذلك إنكار صفات الله تعالى أو أن يرى أو أن يكون له  
 كلام يتصف به و أنكرت الجهمية أسماءه أيضا و أول من  
 عرف عنه إنكار ذلك الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبدالله  
 القسري بواسط و قال يا أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم  
 فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا  
 و لم يكلم موسى تكليما تعالى الله عما يقول الجعد علوا كبيرا ثم

نزل فذبحه و كلام السلف و الأئمة في ذم هذا الكلام و أهله  
مبسوط في غير هذا الموضوع <sup>465</sup>

## كل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهي بدعة سيئة وهي ضلالة

\*أن باب العبادات والديانات والتقربات متلقاة عن الله ورسوله  
فليس لأحد أن يجعل شيئاً عبادة أو قرابة إلا بدليل شرعي قال  
تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ  
الشورى 21 } وقال تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ  
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } الأنعام 153 وقال  
تعالى { المص {1} كِتَابٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ  
مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ } {2} اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ  
وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ } {3} الاعراف 1-3  
ونظائر ذلك في الكتاب كثير يأمر الله فيه بطاعة رسوله واتباع  
كتابه وينهى عن اتباع ما ليس من ذلك والبدع جميعها كذلك  
فإن البدعة الشرعية أى المذمومة فى الشرع هى ما لم يشرعه  
الله فى الدين أى ما لم يدخل فى أمر الله ورسوله وطاعة الله  
ورسوله فاما إن دخل فى ذلك فإنه من الشرعة لا من البدعة  
الشرعية وإن كان قد فعل بعد موت النبی بما عرف من أمره  
كاخراج اليهود والنصارى بعد موته وجمع المصحف وجمع  
الناس على قارىء واحد فى قيام رمضان ونحو ذلك وعمر  
بن الخطاب الذى أمر بذلك وإن سماه بدعة فإنما ذلك لأنه بدعة  
فى اللغة إذ كل أمر فعل على غير مثال متقدم يسمى فى اللغة  
بدعة وليس مما تسميه الشريعة بدعة وينهى عنه فلا يدخل فيما  
رواه مسلم من صحيحه عن جابر قال كان رسول الله صلى الله

<sup>465</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 302-306

عليه وسلم يقول في خطبته إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة فإن قوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة حق وليس فيما دلت عليه الأدلة الشرعية على الاستحباب بدعة كما قال في الحديث الذي رواه أهل السنن وصححه الترمذى عن العرياض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعظنا رسول الله موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال أوصيكم بتقوى الله وعلوكم بالسمع والطاعة وإن كان عبدا حبشيا فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وفى رواية فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وفى رواية وكل ضلالة فى النار وفى هذا الحديث أمر المسلمين باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين وبين أن المحدثات التى هى البدع التى نهى عنها ما خالف ذلك فالتراويح ونحو ذلك لو لم تعلم دلالة نصوصه وأفعاله عليها لكان أدنى أمرها أن تكون من سنة الخلفاء الراشدين فلا تكون من البدع الشرعية التى سماها النبي بدعة ونهى عنها اتبع الإمام أحمد طريقة سلفه ذلك أن ننظر فما وجدنا الرب قد أثبته لنفسه فى كتابه أثبتناه و ما وجدناه قد نفاه عن نفسه نفينا<sup>466</sup>

\*وكل بدعة ليست واجبة ولا مستحبة فهى بدعة سيئة وهى ضلالة باتفاق المسلمين ومن قال فى بعض البدع إنها بدعة حسنة فإنما ذلك إذا قام دليل شرعى أنها مستحبة فأما ما ليس بمستحب ولا واجب فلا يقول أحد من المسلمين أنها من الحسنات التى

يتقرب بها الى الله ومن تقرب الى الله بما ليس من الحسنات  
المأمور بها أمر ايجاب ولا استحباب فهو ضال متبع للشيطان  
وسبيله من سبيل الشيطان كما قال عبد الله ابن مسعود خط لنا  
رسول الله خطأ وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا  
سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم  
قرأ { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ  
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } الأنعام 153 فهذا أصل جامع يجب على  
كل من آمن بالله ورسوله أن يتبعه ولا يخالف السنة المعلومة  
وسبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم  
بإحسان باتباع من خالف السنة والإجماع القديم لا سيما وليس  
معه في بدعته إمام من أئمة المسلمين ولا مجتهد يعتمد على قوله  
في الدين ولا من يعتبر قوله في مسائل الإجماع والنزاع فلا  
ينخرم الإجماع بمخالفته ولا يتوقف الإجماع على موافقته  
ولو قدر أنه نازع في ذلك عالم مجتهد لكان مخصوما بما عليه  
السنة المتواترة وباتفاق الأئمة قبله فكيف إذا كان المنازع ليس  
من المجتهدين ولا معه دليل شرعي وإنما اتبع من تكلم في الدين  
بلا علم ويجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير<sup>467</sup>

\*كل مبتدع خالف سنة رسول الله وكذب ببعض ما جاء به من  
الحق وإبتدع من الباطل ما لم تشرعه الرسل فالرسول برىء مما  
إبتدعه وخالفه فيه وقال تعالى { فَإِنَّ عَصَاكَ قُلٌّ إِنَّي بَرِيءٌ مِّمَّا  
تَعْمَلُونَ } الشعراء 216 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا  
شِيْعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } الأنعام 159 فالحلال ما حلله الله  
ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله والدين ما شرعه الله  
ورسوله وقد ذم الله المشركين على انهم حللوا وحرموا وشرعوا  
دينا لم يأذن به الله فقال تعالى { أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ  
الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ } الشورى 21 والسور المكية أنزلها الله



تبارك وتعالى فى الدين العام الذى بعث به جميع الرسل كالأيمان  
 بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ومحمد خاتم  
 المرسلين لا نبى بعده وأمه خير أمة أخرجت للناس وقد بعثه الله  
 بأفضل الكتب وأفضل الشرائع وأكمل له ولأمة الدين وأتم عليه  
 النعمة ورضى لهم الإسلام ديناً وهو قد دعا إلى الصراط  
 المستقيم كما قال تعالى {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
 {52} صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا  
 إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ {53} الشورى 52-53 وقد أمرنا الله أن نتبع

هذا الصراط المستقيم ولا نعدل عنه إلى السبل المبتدعة فقال  
 تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ  
 فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {الأنعام 153  
 وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله خطا  
 وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل  
 على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي  
 مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنِ

سَبِيلِهِ {الأنعام 153 ولهذا أمرنا الله ان نقول فى صلاتنا }  
 اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ  
 الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ {7} الفاتحة 6-7 وقال النبى  
 اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وهو لم يمت  
 حتى بين الدين وأوضح السبيل وقال تركتكم على البيضاء  
 النقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك وقال ما  
 تركت من شىء يقربكم من الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا من شىء  
 يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به وقال أنه من يعيش منكم  
 بعدى فسيرى إختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين  
 المهديين من بعدى تمسكوا بها بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم

ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة قال  
الترمذى حديث صحيح<sup>468</sup>

\* و قد قال تعالى {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} الجاثية 23 فمن كان يعبد ما يهواه فقد اتخذ إلهه هواه فما هو به هوية إلهه فهو لا يتأله من يستحق التأله بل يتأله ما يهواه و هذا المتخذ إلهه هواه له محبة كمحبة المشركين لآلهتهم و محبة عباد العجل له و هذه محبة مع الله لا محبة لله و هذه محبة أهل الشرك و النفوس قد تدعي محبة الله و تكون في نفس الأمر محبة شرك تحب ما تهواه و قد أشركته في الحب مع الله و قد يخفى الهوى على النفس فإن حبك الشيء يعمى و يصم وهكذا الأعمال التي يظن الإنسان أنه يعملها لله و في نفسه شرك قد خفي عليه و هو يعملها إما لحب رياسة و إما لحب مال و إما لحب صورة و لهذا قالوا يارسول الله الرجل يقاتل شجاعة و حمية و رياء فأبي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فلما صار كثير من الصوفية النساك المتأخرين يدعون المحبة و لم يزنوها بميزان العلم و الكتاب و السنة دخل فيها نوع من الشرك و إتباع الأهواء و الله تعالى قد جعل محبته موجبة لإتباع رسوله فقال {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} آل عمران 31 و هذا لأن الرسول هو الذي يدعو الى ما يحبه الله و ليس شيء يحبه الله إلا و الرسول يدعو إليه و ليس شيء يدعو إليه الرسول إلا و الله يحبه فصار محبوب الرب و مدعو الرسول متلازمين بل هذا هو هذا في ذاته و إن تنوعت الصفات فكل من ادعى أنه يحب الله و لم يتبع الرسول فقد كذب ليست محبته لله و حده بل إن كان يحبه فهي محبة شرك فإنما يتبع ما يهواه كدعوى اليهود و

<sup>468</sup>مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 372

النصارى محبة الله فإنهم لو أخلصوا له المحبة لم يحبوا إلا ما أحب فكانوا يتبعون الرسول فلما أحبوا ما أبغض الله مع دعواهم حبه كانت محبتهم من جنس محبة المشركين و هكذا أهل البدع فمن قال أنه من المریدین لله المحبین له و هو لا يقصد إبتاع الرسول و العمل بما أمر به وترك ما نهى عنه فمحبتة فيها شوب من محبة المشركين و اليهود و النصارى بحسب ما فيه من البدعة فإن البدع التي ليست مشروعة و ليست مما دعا إليه الرسول لا يحبها الله فإن الرسول دعا إلى كل ما يحبه الله فأمر بكل معروف و نهى عن كل منكر و أيضا فمن تمام محبة الله و رسوله بغض من حاد الله و رسوله و الجهاد في سبيله لقوله تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ } {المجادلة} 22 و قال تعالى { تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ } {80} وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا آلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } {81} {المائدة} 80-81 و قال تعالى { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لَقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ } {الممتحنة} 4 فأمر المؤمنين أن يتأسوا بإبراهيم و من معه حيث أبدوا العداوة و البغضاء لمن أشرك حتى يؤمنوا بالله و حده فأين هذا من حال من لا يستحسن حسنة و لا يستقبح سيئة و هؤلاء سلكوا طريق الإرادة و المحبة مجملا من غير إعتصام بالكتاب و السنة كما سلك أهل الكلام و الرأي طريق النظر و البحث من غير إعتصام بالكتاب و السنة فوقع هؤلاء في ضلالات و هؤلاء في ضلالات كما قال تعالى { فَأِمَّا يَا تِيبُكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا

وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى {124} قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى  
 وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا {125} قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ  
 الْيَوْمَ تُنْسَى {126} طه 123-126 و قال {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي  
 مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ  
 {الأنعام 153} و قال {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ  
 {الإسراء 9} و قال {قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى  
 فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا {يونس 108} و  
 مثل هذا كثير في القرآن و قد بسط الكلام على هذا الأصل  
 في غير هذا الموضع <sup>469</sup>

\*كان الزهري يقول كان علماؤنا يقولون الاعتصام بالسنة هو  
 النجاة وقال مالك السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف  
 عنها غرق وذلك أن السنة والشريعة والمنهاج هو الصراط  
 المستقيم الذي يوصل العباد إلى الله والرسول هو الدليل الهادي  
 الخريت في هذا الصراط كما قال تعالى {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا  
 وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا {45} وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا {46}  
 الاحزاب 45-46 وقال تعالى { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ  
 مُّسْتَقِيمٍ {52} صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي  
 الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ {53} الشورى 52-53  
 وقال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا  
 السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ  
 {الأنعام 153} وقال عبدالله بن مسعود خط رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل  
 الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ  
 {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ  
 عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ {الأنعام 153} <sup>470</sup>

<sup>469</sup>469 مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 359-362

<sup>470</sup>470 مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 57

## معرفة ما جاء به الرسول و ما أراده بألفاظ القرآن و الحديث هو أصل العلم و الإيمان و السعادة

\* أن معرفة ما جاء به الرسول و ما أراده بألفاظ القرآن و الحديث هو أصل العلم و الإيمان و السعادة و النجاة ثم معرفة ما قال الناس في هذا الباب لينظر المعاني الموافقة للرسول و المعاني المخالفة لها و الألفاظ نوعان نوع يوجد في كلام الله و رسوله و نوع لا يوجد في كلام الله و رسوله فيعرف معنى الأول و يجعل ذلك المعنى هو الأصل و يعرف ما يعنيه الناس بالثاني و يرد الى الأول هذا طريق أهل الهدى و السنة و طريق أهل الضلال و البدع بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدثوها و معانيها هي الأصل و يجعلون ما قاله الله و رسوله تبعاً لهم فيردونها بالتأويل و التحريف إلى معانيهم و يقولون نحن نفسر القرآن بالعقل و اللغة يعنون أنهم يعتقدون معنى بعقلهم و رأيهم ثم يتأولون القرآن عليه بما يمكنهم من التأويلات و التفسيرات المتضمنة لتحريف الكلم عن مواضعه و لهذا قال الإمام أحمد أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل و القياس و قال يجتنب المتكلم في الفقه هذين الأصلين المجمل و القياس و هذه الطريق يشترك فيها جميع أهل البدع الكبار و الصغار فهي طريق الجهمية و المعتزلة و من دخل في التأويل من الفلاسفة و الباطنية الملاحدة و أما حذاق الفلاسفة فيقولون ان المراد بخطاب الرسول صلى الله عليه و سلم إنما هو أن يخيل إلى الجمهور ما ينتفعون به في مصالح دنياهم و ان لم يكن ذلك مطابقاً للحق قالوا و ليس مقصود الرسول صلى الله عليه و سلم بيان الحق و تعريفه بل مقصوده أن يخيل إليهم ما يعتقدونه و يجعلون خاصة النبوة قوة التخيل فهم يقولون أن الرسول صلى

الله عليه و سلم لم يبين و لم يفهم بل و لم يقصد ذلك و هم  
متنازعون هل كان يعلم الأمور على ما هي عليه على قولين  
منهم من قال كان يعلمها لكن ما كان يمكنه بيانها و هؤلاء قد  
يجعلون الرسول أفضل من الفيلسوف و منهم من يقول بل ما كان  
يعرفها أو ما كان حاذقا في معرفتها و انما كان يعرف الأمور  
العملية و هؤلاء يجعلون الفيلسوف أكمل من النبي صلى الله عليه  
و سلم لأن الأمور العملية أكمل من العلمية فهؤلاء يجعلون خبر  
الله و خبر الرسول صلى الله عليه و سلم إنما فيه التخييل و أولئك  
يقولن لم يقصد به التخييل و لكن قصد معنى يعرف بالتأويل و  
كثير من أهل الكلام الجهمية يوافق أولئك على أنه ما كان يمكنه  
أن يبوح بالحق في باب التوحيد فخاطب الجمهور بما يخيل لهم  
كما يقولون إنه لو قال إن ربكم ليس بداخل العالم و لا خارجه  
و لا يشار إليه و لا هو فوق العالم و لا كذا و لا كذا لنفرت  
قلوبهم عنه و قالوا هذا لا يعرف قالوا فخاطبهم بالتجسيم حتى  
يثبت لهم ربا يعبدونه و ان كان يعرف أن التجسيم باطل و هذا  
يقوله طوائف من أعيان الفقهاء المتأخرين المشهورين الذين  
ظنوا أن مذهب النفاة هو الصحيح و احتاجوا أن يعتذروا عما  
جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم من الإثبات كما يوجد في  
كلام غير واحد و تارة يقولون إنما عدل الرسول صلى  
الله عليه و سلم عن بيان الحق ليجتهدوا في معرفة الحق من غير  
تعريفه و يجتهدوا في تأويل ألفاظه فتعظم أجورهم على ذلك و  
هم إجتهدهم في عقلياتهم و تأويلاتهم و لا يقولون إنه قصد به  
إفهام العامة الباطل كما يقول أولئك المتفلسفة و هذا قول أكثر  
المتكلمين النفاة من الجهمية و المعتزلة و من سلك مسلكهم حتى  
ابن عقيل و أمثاله و أبو حامد و ابن رشد الحفيد و أمثالهما يوجد  
في كلامهم المعنى الأول و أبو حامد إنما ذم التأويل في آخر  
عمره و صنف الجام العوام عن علم الكلام محافظة على  
هذا الأصل لأنه رأى مصلحة الجمهور لا تقوم إلا بابقاء  
الظواهر على ما هي عليه و إن كان هو يرى ما ذكره في كتبه

المضنون بها أن النفي هو الثابت في نفس الأمر فلم يجعلوا مقصوده بالخطاب البيان والهدى كما وصف الله به كتابه و نبيه حيث قال { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 وقال { هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ } آل عمران 138 وقال { إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } يوسف 2 وقال { وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ } العنكبوت 18 وقال { كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ } إبراهيم 1 و أمثال ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك وقال تعالى { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } الأنعام 153 وقال { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } 15 { يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } 16 { المائدة 15-16 } وقال { مَا كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابَ وَلَا الْإِيمَانَ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الشورى 52 وقال { فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } الأعراف 157<sup>471</sup>

## من أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمدا من

### الكتاب والحكمة

\* فمن أصول الإسلام أن تميز ما بعث الله به محمدا من الكتاب والحكمة ولا تخلطه بغيره ولا تلبس الحق بالباطل كفعل أهل الكتاب فإن الله سبحانه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا وقد قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على

<sup>471</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 355-358

البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك وقال  
عبدالله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله خطا وخط  
خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه السبل على  
كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ قوله تعالى {وَأَنَّ هَذَا  
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ  
{الأنعام 153} وجماع ذلك بحفظ أصليين أحدهما  
تحقيق ما جاء به الرسول فلا يخط بما ليس منه من المنقولات  
الضعيفة والتفسيرات الباطلة بل يعطى حقه من معرفة نقله  
ودلالته والثانى أن لا يعارض ذلك بالشبهات لا رأيا ولا رواية  
قال الله تعالى فيما يأمر به بنى إسرائيل وهو لنا {وَأْمِنُوا بِمَا  
أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا  
بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ} {41} وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ  
وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} {42} البقرة 41-42 فلا يكتم الحق  
الذي جاء به الرسول ولا يلبس بغيره من البطل ولا يعارض  
بغيره قال الله تعالى {اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا  
تَتَّبِعُوا مِمَّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} {الأعراف 3} وقال تعالى  
{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ  
إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} {الأنعام 93}  
وهؤلاء الأقسام الثلاثة هم أعداء الرسل فإن أحدهم إذا أتى بما  
يخالفه إما ان يقول إن الله أنزله علي فيكون قد افتري على الله أو  
يقول أوحى إليه ولم يسم من أوحاه أو يقول أنا انشأته وأنا أنزل  
مثل ما أنزل الله فأما ان يضيفه إلى الله أو إلى نفسه أو لا يضيفه  
إلى أحد وهذه الأقسام هم من شياطين الإنس والجن الذين {  
يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} {الأنعام 112} قال  
الله تعالى {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ



مَهْجُوراً {30} وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ  
بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا {31} الفرقان 30-31 والله أعلم والحمد لله<sup>472</sup>

\*قال الله تعالى {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ  
بِاللَّهِ} الأنفال 39 فالمقصود أن يكون الدين كله لله ولا دين إلا  
ما شرعه الله تعالى على ألسن رسله وفي الصحيحين أن النبي  
قيل له يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل  
رياء فأى ذلك فى سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمة الله هى  
العليا فهو فى سبيل الله فيكون المقصود علو كلمة الله وظهور  
دين الله وان يعلم المسلمون كلهم انما عليه المبتدعون المراءون  
ليس من الدين ولا من فعل عباد الله الصالحين بل من فعل أهل  
الجهل والضلال والاشراك بالله تعالى الذين يخرجون عن توحيدهِ  
واخلاص الدين له وعن طاعة رسله و أصل الاسلام  
أشهد أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله فمن طلب بعبادته  
الرياء والسمعة فلم يحقق شهادة ان لا إله إلا الله ومن خرج عما  
أمره به الرسول من الشريعة وتعبد بالبدعة فلم يحقق شهادة أن  
محمدا رسول الله وإنما يحقق هذين الأصلين من لم  
يعبد إلا الله ولم يخرج عن شريعة رسول الله التى بلغها عن الله  
فإنه قال تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها الا  
هالك وقال ما تركت من شىء يقربكم إلى الجنة الا قد  
حدثتكم به ولا من شىء يبعدكم عن النار إلا وقد حدثتكم به  
وقال ابن مسعود خط لنا رسول الله خطأ وخط خطوطا عن  
يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها  
شيطان يدعو إليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ  
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} الأنعام 153 فالعبادات  
والزهادات والمقالات والتورعات الخارجة عن سبيل الله وهو

الصراط المستقيم الذى أمرنا الله ان نسأله هدايته وهو ما دل عليه السنة هى سبل الشيطان ولو كان لأحدهم من الخوارق ما كان فليس أحدهم بأعظم من مقدمهم الدجال الذى يقول للسماء أمطرى فتمطر وللأرض أنبتى فتنبت وللخربة أظهرى كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة وهو مع هذا عدو الله كافر بالله وأولياء الله هم المذكورون فى قوله { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {62} الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } {63} يونس 62-63 فهم المؤمنون المتقون والتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه فمن ترك ما أمر الله واتخذ عبادة نهى الله عنها كيف يكون من هؤلاء وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى يقول الله تعالى من عادى لى وليا الحديث فبين سبحانه أنه ما تقرب العبد إلى الله بمثل أداء ما افترض عليه والتقرب بالواجبات فقط طريق المقتصدين أصحاب اليمين ثم التقرب بعد ذلك بما أحبه الله من النوافل هو طريق السابقين المقربين والمحوبات هى ما امر الله به ورسوله أمر ايجاب أو أمر استحباب دون ما استحبه الرجل برأيه وهواه والله سبحانه وتعالى أعلم <sup>473</sup>

## ان اتباع الامر أصل عام وان اجتناب المنهى عنه فرع خاص

\* عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ اتباع ما أنزل الله يتناول جميع الطاعات كقوله { اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ } الأعراف 3 وقوله { فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } طه 123 وقوله { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } الأنعام 153 وقد يقرن به غيره كقوله { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } الأنعام 155

473473 مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 617-618

وقوله { اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ  
الْمُشْرِكِينَ } الأنعام 106 وقوله { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ  
وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } يونس 109 <sup>474</sup>

\*ان الكلمات الجوامع التي في القرآن تتضمن امثال المأمور به  
والوعيد على المعصية بتركه مثل قوله تعالى لنبية { فَاسْتَقِمْ كَمَا  
أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطَّعُوا } هود 112 وقال { فَذَلِكِ  
فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ } الشورى 15 وقال  
{ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ  
14 } { قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ  
عَظِيمٍ } 15 { الأنعام 14-15 وقال { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ  
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ } 11 } { وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ

الْمُسْلِمِينَ } 12 { الزمر 11-12 وقال { قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي  
خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا  
يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ  
} الأنعام 50 وقال { وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ  
وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ } يونس 109 وقال { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي  
مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ

{ الأنعام 153 } الى امثال هذه النصوص التي يوصى فيها باتباع ما  
أمر ويبيّن أن الاستقامة في ذلك وانه لم يأمر الا بذلك وأنه ان  
ترك ذلك كان عليه العذاب ونحو ذلك مما يبيّن ان اتباع الامر  
أصل عام وان اجتناب المنهى عنه فرع خاص <sup>475</sup>

**"تعوذوا بالله من فتنه العالم الفاجر والعابد الجاهل فان**

**فتنتهما فتنة لكل مفتون "**

<sup>474474</sup> مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 169

<sup>475475</sup> مجموع الفتاوى ج: 20 ص: 113

\* وإنما دين الله ما بعث به رسله وأنزل به كتبه وهو الصراط المستقيم وهو طريقة أصحاب رسول الله خير القرون وأفضل الأمة وأكرم الخلق على الله تعالى بعد النبيين قال تعالى {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} التوبة 100 فرضى عن السابقين الأولين رضا مطلقا ورضى عن التابعين لهم بإحسان وقد قال النبي في الأحاديث الصحيحة خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول من كان منكم مستنفا فليستن بمن قد مات فإن الحى لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب رسول الله أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما يا معشر القراء استقيموا وخذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن اتبعتموهم لقد سبقتم سبقا بعيدا ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا وقد قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه خط لنا رسول الله خطا وخط حوله خطوطا عن يمينه وشماله ثم قال هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} الأنعام 153 وقد أمرنا سبحانه أن نقول في صلاتنا {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {6} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {7} الفاتحة 6-7 وقال النبي اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون وذلك أن اليهود عرفوا الحق ولم يتبعوه والنصارى عبدوا الله بغير علم ولهذا كان يقال تعوذوا بالله من فتنه العالم الفاجر والعابد الجاهل فان فتنتهما فتنة لكل مفتون وقال تعالى {فَأِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} {123} وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} {124} طه 123-124 قال ابن

عباس رضى الله عنهما تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه  
أن لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة وقرأ هذه الآية <sup>476</sup>

## "إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين"

\* فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وقال إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو عن الأزهر بن عبد الله الحرازي وعن أبي عامر عبد الله بن يحيى عن معاوية ورواه عنه غير واحد منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة رواه أحمد وأبو داود في سننه وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك الأشجعي ويروى من وجوه أخر فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة واثنان وسبعون لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من

قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إما في الدين فقط وإما في الدين والدنيا ثم قد يؤول إلى الدنيا وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث هو مما نهى الله عنه في قوله سبحانه {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ النَّبِيُّاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} آل عمران 105 وقوله {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} الأنعام 159 وقوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الأنعام 153 وهو موافق لما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة وسألت ربي أن لا يهلك أمتي فأعطانيها وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وروى أيضا في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما روى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامه وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامه وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضا ورواه البرقاني في صحيحه وزاد وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين

وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهذا المعنى محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه يشير إلى أن الفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة وكان يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رجلاً قرأ آية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلفها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهية وقال كلاكما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا رواه مسلم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق لأن كلا القارئ كان محسناً فيما قرأه وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا ولهذا قال حذيفة لعثمان أدرك هذه الأمة لا تختلف في الكتاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاد ذلك شيئين أحدهما تحريم الاختلاف في مثل هذا والثاني الاعتبار بمن كان قبلنا والحذر من مشابهتهم<sup>477</sup>

\* ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبي بعده فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة ولهذا كان إجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله و عما مضت عليه جماعة المسلمين فإن الله

<sup>477</sup>اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 32-35

أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ } {الأنعام 153} <sup>478</sup>

### لطائف لغوية

1- قال تعالى { وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } {136} { وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيُرِدُوهُمْ وَيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ } {137} { وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتٌ حَجَرَ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَّشَاءَ بَزْعَمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } {138} { الأنعام 136-138 } سمي الأرض المزروعة حرثاً <sup>479</sup>

2- قال تعالى { وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَرْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ } {الأنعام 139} حكيم منزه عن السفه عليم منزه عن الجهل <sup>480</sup>

3- ان الوصف هو الاظهار والبيان للبصر أو السمع كما يقول الفقهاء ثوب يصف البشرية او لا يصف البشرية وقال تعالى { سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ } {الأنعام 139} وقال { سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا

<sup>478</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 369

<sup>479</sup>مجموع الفتاوى ج: 29 ص: 124

<sup>480</sup>الجواب الصحيح ج: 4 ص: 407



يَصِفُونَ { الأنعام 100 } وقال لا تنعت المرأة المرأة لزوجها حتى كأنه ينظر إليها والنعت الوصف ومثل هذا كثير و الصفة مصدر وصفت الشيء أصفه وصفا وصفة مثل وعد و عدا وعدة ووزن وزنا وزنة وهم يطلقون اسم المصدر على المفعول كما يسمون المخلوق خلقا ويقولون درهم ضرب الامير فاذا وصف الموصوف بأنه وسع كل شيء رحمة وعلما سمي المعنى الذى وصف به بهذا الكلام صفة فيقال للرحمة والعلم والقدرة صفة بهذا الاعتبار هذا حقيقة الامر <sup>481</sup>

4- قال تعالى { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } الانعام 140 الى قوله { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } الانعام 144 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك لفظ الهدى اذا أطلق تناول العلم الذى بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما فى قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدَى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما فى قوله { وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما فى قوله { شَاكِرًا لِّلْأَنْعَمِ اجْتَنَابَهُ وَهَدَاهُ } النحل 121 { اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } الشورى 13 وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان ودين الحق هو الاسلام

<sup>481</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 340

وإذا أطلق الهدى كان كالإيمان المطلق يدخل فيه هذا وهذا  
ولفظ الضلال إذا أطلق تناول من ضل عن الهدى سواء  
كان عمداً أو جهلاً ولزم أن يكون معذباً كقوله {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا  
آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ} {69} فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} {70} وَلَقَدْ ضَلَّ  
قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ} {71} الصافات 69- 71 وقوله {وَقَالُوا  
رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} {67} رَبَّنَا آتِهِمْ  
ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنُفُومُ لَعْنًا كَبِيرًا} {68} الأحزاب 67- 68  
وقوله {فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى} طه 123 ثم  
يقرن بالغي والغضب كما في قوله {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا  
غَوَى} النجم 2 وفي قوله {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ  
{الفاحة 7 وقوله {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ} القمر 47  
482

5- لفظ التشابه ليس هو التماثل في اللغة قال تعالى  
{وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا} البقرة 25 وقال تعالى {مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ  
مُتَشَابِهٍ} الأنعام 141 ولم يرد به شيئاً هو مماثل في اللغة  
483

6- وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ  
مَّعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ  
مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ  
حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} الأنعام 141  
فالإسراف مجاوزة الحد تعدى الحد ومجاوزة القصد  
484

7- قال تعالى { قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ  
يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ  
رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ

<sup>482</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

<sup>483</sup>مجموع الفتاوى ج: 6 ص: 113

<sup>484</sup>مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 695

- رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ { الأنعام 145 لفظ الرجس أصله القدر و يراد به الشرك كقوله { فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ { الحج 30 و يراد به الخبائث المحرمة كالمطعمات و المشروبات كقوله { قُلْ لَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا { الأنعام 145 و قوله { إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ { المائدة 90<sup>485</sup>
- 8- قال تعالى { فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ { الأنعام 145 العدوان مجاوزة قدر الحاجة<sup>486</sup>
- 9- قال تعالى { فَإِنْ كَذَّبْتُمْ فَلَا تَكُونُوا رَبُّكُمْ تُرَاهِنًا وَأَنْتُمْ كَمَا كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا لَا تُحْسِنُونَ الْعُقُوبَةَ وَاللَّهُ بَاطِلٌ لِّمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ { الأنعام 147 ورحمته اسم جامع لكل خير ودار الرحمة الخالصة هي الجنة<sup>487</sup>
- 10- قال تعالى { وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ { الأنعام 150 و إذا كان الشيء يعدل غيره فعدل الشيء بالفتح هو مساويه و إن كان من غير جنسه كما قال تعالى { أَوْ عَدَلٌ ذَلِكَ صِيَامًا { المائدة 95 والصيام ليس من جنس الطعام و الجزاء و لكنه يعادله فى القدر و كذلك قوله صلى الله عليه و سلم لا يقبل الله منه صرفا و لا عدلا و قوله تعالى { وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ { البقرة 123 أي فدية و الفدية ما يعدل بالمفدى و إن كان من غير جنسه { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ { الأنعام 1 أي يجعلون له عدلا أي ندا

<sup>485</sup> منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 81

<sup>486</sup> مجموع الفتاوى ج: 11 ص: 695

<sup>487</sup> مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

فى الإلهية و إن كانوا يعلمون أنه ليس من جنس الرب سبحانه

488

11- ان اسم العقل عند المسلمين وجمهور العقلاء إنما هو صفة وهو الذي يسمى عرضاً قائماً بالعقل وعلى هذا دل القرآن فى قوله تعالى قال تعالى { **ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** } الأنعام 151 وقوله { **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا** } الحج 46 وقوله { **قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ** } آل عمران 118 ونحو ذلك مما يدل على ان العقل مصدر عقل يعقل عقلاً وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه ولا العمل بلا علم بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به والعمل بالعلم ولهذا قال أهل النار { **لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ** } الملك 10 وقال تعالى { **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا** } الحج 46 والعقل المشروط فى التكليف لا بد أن يكون علوماً يميز بها الإنسان بين ما ينفعه وما يضره فالمجنون الذي لا يميز بين الدراهم والفلوس ولا بين أيام الأسبوع ولا يفقه ما يقال له من الكلام ليس بعاقل أما من فهم الكلام ويميز بين ما ينفعه وما يضره فهو عاقل ثم من الناس من يقول العقل هو علوم ضرورية ومنهم من يقول العقل هو العمل بموجب تلك العلوم والصحيح أن اسم العقل يتناول هذا وهذا وقد يراد بالعقل نفس الغريزة التى فى الإنسان التى بها يعلم ويميز ويقصد المنافع دون المضار كما قال أحمد بن حنبل والحارث المحاسبى وغيرهما ان العقل غريزة وهذه الغريزة ثابتة عند جمهور العقلاء كما أن فى العين قوة بها يبصر وفى اللسان قوة بها يذوق وفى الجلد قوة بها يلمس عند

489 جمهور العقلاء

488488 مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 137

489489 مجموع الفتاوى ج: 9 ص: 286

12- قال تعالى {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْفُفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } الأنعام 152 اليتيم في الأدميين من فقد أباه لأن أباه هو الذي يهذبه ويرزقه وينصره بموجب الطبع المخلوق ولهذا كان تابعا في الدين لوالده وكان نفقته عليه وحضانتها عليه والانفاق هو الرزق<sup>490</sup>

13- الذي يدل عليه القرآن في سورة المائدة في آية الشهادة في قوله { فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا } المائدة 106 أي بقولنا { وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ } المائدة 106 حذف ضمير كان لظهوره اي و لو كان المشهود له كما في قوله { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ } الأنعام 152 و كما في قوله { كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ } النساء 135 إلى قوله { إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا } النساء 135 اي المشهود عليه و نحو ذلك لأن العادة أن الشهادة المزورة يعتاض عليها و إلا فليس احد يشهد شهادة مزورة بلا عوض و لو مدح أو اتخاذ يد و آفة الشهادة إما اللبى و اما الاعراض الكذب و الكتمان<sup>491</sup>

14- الصراط في لغة العرب هو الطريق يقال هو الطريق الواضح ويقال هو الطريق المحدود بجانبين الذي لا يخرج عنه ومنه الصراط المنصوب على جهنم وهو الجسر الذي يعبر عليه المؤمنون إلى الجنة وإذا عبر عليه الكفار سقطوا في جهنم ويقال فيه معنى الاستواء والاعتدال الذي يوجب سرعة العبور عليه وفيه ثلاث لغات هي ثلاث قراءات الصراط والسرط والزرط وهي لغة عربية عرباء ليست من المعرب ويقال أصله من

<sup>490</sup>مجموع الفتاوى ج: 34 ص: 110

<sup>491</sup>مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 484

قولهم سرطت الشيء أسرطه سرطا إذا ابتلغته واسترطته ابتلغته  
فإن المبتلع يجري بسرعة في مجرى محدود ومن أمثال  
العرب لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعفى من قولهم أعفيت  
الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته ويقال فلان يسترط ما يأخذ من  
الدين وحكى يعقوب بن السكيت الأخذ سريط والقضاء  
صريط والسرطاط الفالوج لأنه يسترط استرطا وسيف سراطي  
أي قاطع فإنه ماض سريع المذهب في مضربه فالصراط هو  
الطريق المحدود المعتدل الذي يصل سالكه إلى مطلبه بسرعة  
وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع ولم يسم الله  
سبيل الشيطان سراطا بل سماها سبلا وخص طريقه باسم  
الصراط كقوله تعالى **{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ  
وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ } الأنعام 153** وفي السنن عن عبد الله بن مسعود قال خط  
لنا رسول الله خطا وخط خطوطا عن يمينه وشماله ثم قاله  
هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه من  
أجابه قذفه في النار ثم قرأ **{ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا  
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } الأنعام 153**  
فسمى سبحانه طريقه صراطا وسمى تلك سبلا ولم يسمها  
صراطا كما سماها سبيلا وطريقه يسميه سبيلا كما يسميه  
صراطا<sup>492</sup>



## الأنعام 154-165

ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ  
وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ  
يُؤْمِنُونَ {154} وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا  
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {155} أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى  
طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لِعَافِلِينَ {156}  
أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ  
جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ  
بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدَفُونَ عَن  
آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدَفُونَ {157} هَلْ  
يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ  
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا  
إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا  
قُلْ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ {158} إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ  
وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ  
يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ {159} مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ  
عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ  
لَا يُظْلَمُونَ {160} قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ  
مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ  
الْمُشْرِكِينَ {161} قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ  
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمَرْتُ  
وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ {163} قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْعَى رَبًّا وَهُوَ  
رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ  
وِازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ  
فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {164} وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ



وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيُبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ {165}

إن الله تعالى إنما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة  
فالتوراة أعظم من الإنجيل وقد بين الله أنه لم ينزل كتاباً  
أهدى من التوراة والقرآن فإن الله تعالى إنما يخص  
بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة دون غيرها فهي التي

يقرنها بالقرآن كقوله تعالى { ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ  
تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى  
وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ } {154} وَهَذَا كِتَابٌ  
أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } {155} أَنْ  
تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا  
عَنْ دَرَأْسِهِمْ لَغَافِلِينَ } {156} الانعام 154-156 فقد  
ذكر التوراة والقرآن وقولهم أنزل الكتاب على طائفتين  
من قبلنا فبين أن الكتاب اسم جنس يتناول هنا التوراة  
والإنجيل كقوله تعالى يا أهل الكتاب <sup>493</sup>

\*قال تعالى { ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَاماً عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ  
وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهِمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ  
يُؤْمِنُونَ } الانعام 154 وذكر كتاب موسى بهذه الإضافة لا بلفظ  
التوراة في غير موضع <sup>494</sup>

<sup>493</sup> الجواب الصحيح ج: 2 ص: 352

<sup>494</sup> الجواب الصحيح ج: 5 ص: 244

قال تعالى { ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ  
وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّاهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ  
يُؤْمِنُونَ } الانعام 154

### الرحمة تحصل بالقرآن

\* وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ما  
اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله و يتدارسونه  
بينهم إلا غشيتهم الرحمة و تنزلت عليهم السكينة و حفتهم  
الملائكة و ذكرهم الله فيمن عنده و قد ذكر الله في غير  
موضع من كتابه أن الرحمة تحصل بالقرآن كقوله تعالى { أَوْ  
تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ  
مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ  
عَنْهَا سَنَجْرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَن آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا  
يَصْدِفُونَ } الأنعام 157 <sup>495</sup>

\* أصل جامع في الاعتصام بكتاب الله ووجوب اتباعه وبيان  
الاهتداء به في كل ما يحتاج إليه الناس من دينهم وأن النجاة  
و السعادة في اتباعه و الشقاء في مخالفته و ما دل عليه من اتباع  
السنة و الجماعة قال الله تعالى { قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ  
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَا تَبِئَتْكُمْ مَّتَّى هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا  
يَشْقَى } 123 { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا  
وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } 124 { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى  
وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } 125 { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَمَا كَانَ  
الْيَوْمَ تُنْسَى } 126 طه 123-126 قال ابن عباس تكفل الله  
لمن قرأ القرآن و عمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في  
الآخرة ثم قرأ هذه الآية وقال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ

<sup>495</sup> الاستقامة ج: 1 ص: 396

مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ {155} أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ  
 الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ  
 لَعَافِينَ {156} أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ  
 فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ  
 بَيِّنَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ  
 الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ {157} الانعام 155-157 فذكر  
 سبحانه أنه يجزي الصادق عن آياته مطلقا سواء كان مكذبا أو لم  
 يكن سوء العذاب بما كانوا يصدفون يبين ذلك أن كل من لم يقر  
 بما جاء به الرسول فهو كافر سواء اعتقد كذبه أو استكبر عن  
 الإيمان به أو أعرض عنه اتباعا لما يهواه أو ارتاب فيما جاء به  
 فكل مكذب بما جاء به فهو كافر وقد يكون كافرا من لا يكذبه إذا  
 لم يؤمن به ولهذا أخبر الله في غير موضع من كتابه  
 بالضلال والعذاب لمن ترك إيتباع ما أنزله وإن كان له نظر  
 وجدل واجتهاد في عقليات وأمور غير ذلك وجعل ذلك من نعت  
 الكفار والمنافقين <sup>496</sup>

### أنزل القرآن كراهة أن يقولوا ذلك ومنعا ودفعا

أرسل الله سبحانه وتعالى محمد صلى الله عليه وسلم بالحق بين  
 يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا  
 أرسله إلى جميع الثقليين الجن والإنس عربهم وعجمهم أميهم  
 وكتابتهم وأنزل عليه كتاب أنزله ليخرج الناس من  
 الظلمات إلى النور بإذن ربهم ويهديهم به إلى صراط مستقيم  
 صراط الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو صراط  
 الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين

<sup>496</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 77 و درء التعارض ج: 1 ص: 56

وهو دين الله الذي بعث به الرسل قبله و أنزل عليه الكتاب  
 بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فصدق كتابه  
 ما بين يديه من كتب السماء وأمر بالإيمان بجميع الأنبياء  
 وهيمن على ما بين يديه من الكتاب وذلك يعم الكتب كلها شاهدا  
 وحاكما ومؤتمنا يشهد بمثل ما فيها من الأخبار الصادقة  
 وقرر ما في الكتاب الأول من أصول الدين وشرائعه الجامعة  
 التي اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة في آخر الأنعام<sup>497</sup>  
 \*قال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ  
 تُرْحَمُونَ } {155} { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ  
 قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ } {156} {الانعام 155-156  
 فتبين أنه أنزل القرآن كراهة أن يقولوا ذلك ومنعا لأن يقولوا ذلك  
 ودفعا لأن يقولوا ذلك<sup>498</sup>

## التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله وأن تترك معصية الله على نور من الله

\* قال تعالى { وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ  
 تُرْحَمُونَ } {155} { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ  
 قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ } {156} {الانعام 155-156  
 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتقييد وكذلك اذا  
 أفرد اسم طاعة الله دخل في طاعته كل ما أمر به وكانت  
 طاعة الرسول داخله في طاعته وكذا اسم التقوى اذا افرد  
 دخل فيه فعل كل مأمور به وترك كل محظور قال طلق بن  
 حبيب التقوى ان تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو رحمة  
 الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عذاب الله وهذا

<sup>497</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 64

<sup>498</sup>مجموع الفتاوى ج: 32 ص: 187

كما في قوله {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ} {54} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ  
عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ {55} القمر 54- 55 وقد يقرب بها اسم آخر  
كقوله {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً} {2} وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ  
لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} {3} الطلاق 2- 3  
وقوله {إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ} يوسف 90 وقوله {وَاتَّقُوا اللَّهَ  
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ} النساء<sup>499</sup> 1

### إثبات الملائكة وأفعالها وكلامها وتأثيرها في العالم

\*فهذه النصوص وأمثالها صريحة بإثبات الملائكة وأفعالها  
وكلامها وتأثيرها في العالم بالقول والفعل وهذا يبطل قولهم إن  
المؤثر في العالم هو القوى النفسانية أو القوى الطبيعية فإن  
الملائكة خارجة عن هذا وهذا وحينئذ فما يحصل من خوارق  
العادات بأفعال الملائكة أعظم مما يحصل بمجرد القوى النفسانية  
والأنبياء أحق الناس بمعاونة الملائكة لهم وتأييد الله تعالى لهم  
500

### مذهب سلف الأمة أنهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله في النفي والاثبات

\*فاعتقاد الفرقة الناجية المنصورة الى قيام الساعة أهل السنة  
والجماعة وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والبعث بعد  
الموت والايمان بالقدر خيره وشره ومن الايمان بالله الإيمان  
بما وصف به نفسه في كتابه وبما وصفه به رسوله محمد صلى

<sup>499</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 164

<sup>500</sup>الصفدية ج: 1 ص: 207

الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل بل يؤمنون بأن الله سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفو له ولا ند له ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم رسله صادقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون ولهذا قال سبحانه وتعالى {سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} {180} وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ} {181} وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {182} الصافات 180- 182 فسيح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن وقوله سبحانه {وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} {الأنعام 155} وقوله سبحانه {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} {الأنعام 158}

501

\* هو سبحانه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء كما أنه سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش وأنه سبحانه استوى إلى السماء وهي دخان وأنه سبحانه يأتي في ظلل من الغمام والملائكة كما قال {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} {الفجر 22} وقال {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ

<sup>501</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 131 و العقيدة الواسطية ج: 1 ص: 18

المَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ { الأنعام 158 وقال تعالى { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } پس 82 وقال تعالى { وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ } التوبة 105 <sup>502</sup>

\*فان وصفه سبحانه وتعالى بالاستواء الى السماء وهي دخان كوصفه بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ووصفه بالاتيان والمجىء في مثل قوله تعالى { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ } البقرة 210 وقوله { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } الأنعام 158 وقوله { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } الفجر 22 وكذلك قوله تعالى { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 وقوله { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ } الذاريات 47 وقوله { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } الروم 40 وقوله { يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ } السجدة 5 وأمثال ذلك من الأفعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسميها النحاة أفعالاً متعدية وهي غالب ما ذكر في القرآن أو يسمونها لازمة لكونها لا تنصب المفعول به بل لا تتعدى إليه الا بحرف الجر كالاستواء الى السماء وعلى العرش والنزول الى السماء الدنيا ونحو ذلك فان الله وصف نفسه بهذه الأفعال ووصف نفسه بالأقوال اللازمة والمتعدية في مثل قوله { إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ } ص 71 وقوله { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا } النساء 164 وقوله تعالى { وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا } الأعراف 22 وقوله { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ } القصص 65 ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وما صح

عن رسوله فان القول فى جميع ذلك من جنس واحد  
ومذهب سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفونه بما وصف به نفسه  
ووصفه به رسوله فى النفى والاثبات والله سبحانه وتعالى  
قد نفى عن نفسه مماثلة المخلوقين فقال الله تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ  
أَحَدٌ {1} اللَّهُ الصَّمَدُ {2} لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ {3} وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا  
أَحَدٌ {4} فبين أنه لم يكن أحد كفوا له وقال تعالى {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ  
سَمِيًّا} {مریم} 65 فأنكر أن يكون له سمى وقال تعالى {فَلَا  
تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} {البقرة} 22 وقال تعالى {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ  
الْأَمْثَالَ} {النحل} 74 وقال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ  
{الشورى} 11 ففيما أخبر به عن نفسه من تنزيهه عن الكفؤ  
والسمى والمثل والند وضرب الأمثال له بيان أن لا مثل له فى  
صفاته ولا أفعاله<sup>503</sup>

\*وصف الله سبحانه نفسه بالنزول الى السماء الدنيا فى الثلث  
الآخر من الليل كما ورد فى الأحاديث الصحيحة وأيضاً بالنزول  
عشية عرفة فى عدة أحاديث صحيحة وبعضها فى صحيح  
مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبى أنه قال  
ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة  
وانه عز وجل ليدنو ثم يباهى بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء  
وعن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة ان الله ينزل الى سماء الدنيا  
يباهى بأهل عرفة الملائكة فيقول أنظروا الى عبادى اتونى شعنا  
غبرا ضاحين من كل فج عميق وعن أم سلمة رضى الله عنها  
قالت قال رسول الله ان الله ينزل الى السماء الدنيا يباهى  
بأهل عرفة الملائكة ويقول أنظروا الى عبادى اتونى شعنا غبرا  
فوصف أنه يدنو عشية عرفة الى السماء الدنيا ويباهى الملائكة  
بالحجيج فيقول انظروا الى عبادى اتونى شعنا غبرا ما أراد



هؤلاء ووصفه نفسه بالنزول كوصفه في القرآن بأنه { إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ } الأعراف 54 وبأنه { اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } فصلت 11 وبأنه نادى موسى وناجاه في البقعة المباركة من الشجرة { فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } القصص 30 وبالمجىء والأتیان فى قوله { وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } الفجر 22 وقال { هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ } الأنعام 158 والأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم فى اتیان الرب يوم القيامة كثيرة وكذلك اتیانه لأهل الجنة يوم الجمعة 504

## يفتح الله عز وجل للتوبة مسيرة عرضه أربعون سنة ولا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله

\* أخبرنا ابو إسحق إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن يحيى بن علوى بن الحسين الدرعى القرشى قراءة عليه انا اسمع فى رجب سنة 680 أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن أبى الفتح الصيدلانى اجازة أخبرنا أبو على الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد أخبرنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الحافظ أخبرنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن أحمد بن فارس قال سمعت سفيان بن عيينة يقول حدثنا عاصم عن زر قال أتيت صفوان بن عسال المرادى فقال لى ما جاء بك قلت جئت إبتغاء العلم فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم

رضا بما يطلب قلت حك في نفسى أو صدرى مسحا على الخفين بعد الغائط والبول فهل سمعت من رسول الله في ذلك شيئا قال نعم كان يأمرنا إذا كنا سفرا أو مسافرين أن لا ننزع خفافنا ثلاثة ايام ولياليهن إلا من جنابة ولكن من غائط أو بول أو نوم قلت هل سمعته يذكر الهدى قال نعم بينا نحن معه فى مسير إذ ناداه اعرابى بصوت له جهورى فقال يا محمد فأجابه على نحو من كلامه هاؤم قال أرأيت رجلا يحب قوما ولم يلحق بهم قال المرء مع من أحب ثم لم يزل يحدثنا أن من قبل المغرب بابا يفتح الله عز وجل للتوبة مسيرة عرضه أربعون سنة ولا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله وذلك قول الله {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا} {الأنعام 158} الآية ولد سنة 599 وتوفى فى صفر سنة 671<sup>505</sup>

## أنواع الاختلاف

\*والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسمان أحدهما أنه يذم الطائفتين جميعا كما في قوله {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} {118} إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} {119} هود 118-119 فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف وكذلك قوله {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} {البقرة 176} وكذلك قوله {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} {آل عمران 19} وقوله {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} {آل عمران 105}

<sup>505</sup>مجموع الفتاوى ج: 18 ص: 99

وقوله { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَسْتَمِنْهُمْ فِي شَيْءٍ

إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ { الأَنْعَامُ 159

وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله { وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ { المائدة 14 } ووصف اختلاف اليهود بقوله { وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ { المائدة 64 } وقال { فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ { المؤمنون 53 } وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وصف أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة قال كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وفي الرواية الأخرى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي فبين أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين إلا فرقة واحدة وهم أهل السنة والجماعة وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة فساد النية لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض بالفساد ونحو ذلك فيجب لذلك ذم قول غيره أو فعله أو غلبته ليطمئن عليه أو يحب قول من يوافق في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة ونحو ذلك لما في قيام قوله من حصول الشرف والرئاسة له وما أكثر هذا في بني آدم وهذا ظلم ويكون سببه تارة أخرى جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر أو جهل أحدهما بما مع الآخر من الحق في الحكم أو في الدليل وإن كان عالما بما مع نفسه من الحق حكما ودليلا والجهل والظلم هما أصل كل شر كما قال سبحانه { وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا { الأحزاب 72 } أما أنواع الاختلاف فهي في الأصل قسمان اختلاف تنوع واختلاف تضاد واختلاف التنوع على وجوه منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقا مشروعا كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة حتى زجرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

الاختلاف وقال كلاكما محسن ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان والإقامة والاستفتاح والتشهدات وصلاة الخوف وتكبيرات العيد وتكبيرات الجنائز إلى غير ذلك مما شرع جميعه وإن كان قد يقال إن بعض أنواعه أفضل ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف ما أوجب اقتتال طوائف منهم كاختلافهم على شفع الإقامة وإيثارها ونحو ذلك وهذا عين المحرم ومن لم يبلغ هذا المبلغ فتجد كثيرا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر أو النهي عنه ما دخل به فيما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم ومنه ما يكون كل من القولين هو في الواقع في معنى قول الآخر لكن العبارتان مختلفتان كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود والتعريفات وصيغ الأدلة والتعبير عن المسميات وتقسيم الأحكام وغير ذلك ثم الجهل أو الظلم هو الذي يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى ومنه ما يكون المعنيان غيرين لكن لا يتنافيان فهذا قول صحيح وذلك قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر وهذا كثير في المنازعات جدا ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان ولكن قد سلك رجل أو قوم هذه الطريقة وآخرون قد سلكوا الأخرى وكلاهما حسن في الدين ثم الجهل أو الظلم يحمل على ذم أحدهما أو تفضيله بلا قصد صالح أو بلا علم أو بلا نية وأما اختلاف التضاد فهو القولان المتنافيان إما في الأصول وإما في الفروع عند الجمهور الذين يقولون المصيب واحد وإلا فمن قال كل مجتهد مصيب فعنده هو من باب اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد فهذا الخطب فيه أشد لأن القولين يتنافيان لكن نجد كثيرا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما أو معه دليل يقتضي حقا ما فيرد الحق في هذا الأصل كله حتى يبقى هذا مبطلا في البعض كما كان الأول مبطلا في الأصل كما رأيت لكثير من أهل السنة في مسائل القدر والصفات والصحابة وغيرهم وأما أهل البدعة فالأمر فيهم ظاهر وكما رأيت لكثير من الفقهاء أو لأكثر

المتأخرين في مسائل الفقه وكذلك رأيت منه كثيرا بين بعض  
 المتفهمة وبعض المتصوفة وبين فرق المتصوفة ونظائره كثيرة  
 ومن جعل الله له هداية ونورا رأى من هذا ما يتبين له به منفعة  
 ما جاء في الكتاب والسنة من النهي عن هذا وأشباهه وإن كانت  
 القلوب الصحيحة تتكرر هذا ابتداء لكن نور على نور ومن لم  
 يجعل الله له نورا فما له من نور وهذا القسم الذي سميناه  
 اختلاف التنوع كل واحد من المختلفين مصيب فيه بلا تردد لكن  
 الذم واقع على من بغى على الآخر فيه وقد دل القرآن على حمد  
 كل واحد من الطائفتين في مثل هذا إذا لم يحصل من أحدهما  
 بغى كما في قوله { مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى  
 أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْخِزْيِ الْأَفَاسِقِينَ } الحشر 5 وقد كان  
 الصحابة في حصار بني النضير اختلفوا في قطع الأشجار  
 والنخيل فقطع قوم وترك آخرون وكما في قوله { وَدَاوُودَ  
 وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا  
 لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ } 78 { فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا  
 وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ } 79  
 الأنبياء 78- 79 فخص سليمان بالفهم وأثنى عليهما بالعلم  
 والحكم وكما في إقرار النبي صلى الله عليه وسلم يوم بني  
 قريظة وقد كان أمر المنادي ينادي لا يصلين أحد العصر إلا في  
 بني قريظة من صلى العصر في وقتها ومن أخرها إلى أن وصل  
 إلى بني قريظة وكما في قوله صلى الله عليه وسلم إذا اجتهد  
 الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد ولم يصب فله أجر ونظائره  
 كثيرة وإذا جعلت هذا قسما آخر صار الاختلاف ثلاثة أقسام  
 وأما القسم الثاني من الاختلاف المذكور في كتاب الله فهو ما حمد  
 فيه إحدى الطائفتين وهم المؤمنون وذم فيه الأخرى كما في قوله  
 تعالى { تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ  
 وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ  
 بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ مَّن بَعْدَ مَا  
 جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ وَلَوْ

شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ { البقرة 253 فقله )  
 وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ ( حمد لإحدى  
 الطائفتين وهم المؤمنون وذم للآخرى <sup>506</sup>

### اتبع الناس للرسول اقلهم اختلافا

\* ومعلوم أن الكفار فرقوا دينهم وكانوا شيعا كما قال سبحانه  
 { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ النَّبِيَّاتُ  
 وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } آل عمران 105 وقال { وَمَا تَفَرَّقَ  
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ { البينة 4 وقال  
 { وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا  
 ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ  
 يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } المائدة 14 وقال عن اليهود {  
 وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا  
 بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ } المائدة 64 وقد قال  
 تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام { لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ

{ الأنعام 159 وذلك يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء ومن  
 تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر لأن قول القائل  
 أنا من هذا وهذا مني أي أنا من نوعه وهو من نوعي لأن  
 الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع كما في قوله تعالى { بَعْضُكُمْ  
 مِنْ بَعْضٍ } آل عمران 195 وقوله عليه الصلاة والسلام لعلي  
 أنت مني وأنا منك فقول القائل لست من هذا في شيء أي  
 لست مشاركاً له في شيء بل أنا متبرئ من جميع أموره وإذا  
 كان الله قد برأ رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع أمورهم  
 فمن كان متبعاً للرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة كان متبرئاً  
 منهم كتبرئه صلى الله عليه وسلم منهم ومن كان موافقاً لهم كان

مخالفا للرسول بقدر موافقته لهم فإن الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما كلما شابته أحدهما خالفت الآخر<sup>507</sup>

\* فإن الله تعالى أمر بالجماعة والائتلاف وذم التفرق والاختلاف فقال تعالى {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} آل عمران 103 وقال {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} 105 {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} 106 {آل عمران 105-106} قال ابن عباس وغيره تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} {الأنعام 159} وقال تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ} {الروم 30} إلى قوله تعالى {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {31} {مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا} {32} {الروم 30-32} وقد ذم أهل التفرق والاختلاف في مثل قوله {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ} {البينة 4} وفي مثل قوله {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} {118} {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} {119} {هود 118-119} وفي مثل قوله {وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} {البقرة 176} وكذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم توافق كتاب الله كالحديث المشهور عنه الذي رواه مسلم بعضه عن عبد الله بن عمرو وسائره معروف في مسند أحمد وغيره من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يتناظرون في القدر ورجل يقول ألم يقل الله كذا ورجل يقول ألم يقل الله كذا فكأنما فقيء في وجهه حب

<sup>507</sup>507 اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 46-47

الرمان فقال أبهذا أمرتم إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما نزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً لا ليكذب بعضه بعضاً انظروا ما أمرتم به فافعلوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه هذا الحديث أو نحوه وكذلك قوله المرء في القرآن كفر وكذلك ما أخرجاه في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ} آل عمران 7 إلى قوله {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} آل عمران 7 فقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الذين يتبعون ماتشابهه منه فأولئك الذين سمي الله فاحذروهم<sup>508</sup>

\* وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} الانعام 159 فان القوم كلما بعدوا عن اتباع الرسل والكتب المنزلة كان أعظم في تفرقهم واختلافهم فانهم يكونوا أضل كما في الحديث الذي رواه الترمذي عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم قرأ قوله { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ } الزخرف 58 إذ لا يحكم بين الناس فيما تنازعوا فيه إلا كتاب منزل ونبي مرسل كما قال تعالى {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} البقرة 213 ولهذا قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

<sup>508</sup>508 الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 453 و منهاج السنة النبوية ج: 3 ص:

467 و درء التعارض ج: 1 ص: 48



الأمر منكم فإن تنازعتم في شئٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً

{ النساء 59 وقد أنزل مع رسله الكتاب والميزان كما قال تعالى { لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } الحديد 25 وقال { اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ } الشورى 17 والميزان قال كثير من المفسرين هو العدل وقال بعضهم هو ما به توزن الامور وهو ما به يعرف العدل وكذلك قالوا في قوله { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ } الرحمن 7 الامثال المضروبة والاقيسة العقلية التي تجمع بين المتماثلات وتفرق بين المختلفات وقد امر الله بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا } آل عمران 103 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } الأنعام 159 وقال { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } آل عمران 105 وقد اخبر ان اهل الرحمة لا يختلفون فقال تعالى { وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } { 118 } إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ } { 119 } هود 118-119 ولهذا يوجد اتباع الناس للرسول اقلهم اختلافا كاهل الحديث والسنة فانهم اقل اختلافا من جميع الطوائف ثم من كان إليهم اقرب من جميع الطوائف المنتسبة الى السنة كانوا اقل اختلافا فاما من بعد من السنة كالمعتزلة والرافضة فتجدهم اكثر الطوائف اختلافا

## وجوب الاجتماع في الدين

<sup>509</sup>الرد على المنطقيين ج: 1 ص: 334 و مجموع الفتاوى ج: 3 ص:

\*وأما دين الله وهداه الذي أنزل به كتابه وبعث به رسوله فهو اتباع كتابه وسنته في جميع الأمور وترك اتباع ما يخالف ذلك في جميع الأمور والإجماع على ذلك<sup>510</sup>

\*قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } {102} وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } {103} آل عمران 102-103 الى قوله تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } آل عمران 105 الى قوله { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ } آل عمران 110 فامرنا بملازمة الاسلام الى الممات كما أمر الأنبياء جميعهم بالاسلام وان نعتصم بحبله جميعا ولا نتفرق ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البيئات وذكر أنه تبييض وجوه وتسود وجوه قال ابن عباس تبييض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وذكر انه يقال لهم { أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ } آل عمران 106 وهذا عائد الى قوله { وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } آل عمران 102 فأمر بملازمة الاسلام وبين ان المسودة وجوههم أهل التفرق والاختلاف يقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم وهذا دليل على كفرهم وارتدادهم وقد تأولها الصحابة في الخوارج وهذا نظير قوله للرسل { أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الشورى 13 وقد قال في البقرة { كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } البقرة 213 الآية وقال ايضا { إِنَّ الدِّينَ

<sup>510</sup>الاستقامة ج: 1 ص: 270

**فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ { الأنعام 159**

وقال تعالى { فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ  
فَرِحُونَ { المؤمنون 53 } وقال تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا  
فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ  
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ { 30 } مُبَيِّنِينَ إِلَيْهِ وَانْقُوهُ وَأَقِيمُوا  
الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ { 31 } مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ  
وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ { 32 } { الروم 30-32 }  
وقال تعالى { إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا  
الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ { آل عمران 19 الآية  
} وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ  
{ البينة 4 } الآية ونظيرها في الجاثية { وَأَتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ  
فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي  
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ { الجاثية 17 } وقال الله  
تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي  
الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن  
كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا  
{ النساء 59 } وقال تعالى { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا  
اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا  
لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ { الحشر 10 } اذا كان الله تعالى  
قد أمرنا بطاعة الله وطاعة رسوله وأولى الامر منا وامرنا عند  
التنازع في شىء أن نرده الى الله والى الرسول وامرنا بالاجتماع  
والائتلاف ونهانا عن التفرق والاختلاف وامرنا أن نستغفر لمن  
سبقنا بالايمان وسمانا المسلمين وامرنا ان ندوم عليه الى الممات  
فهذه النصوص وما كان في معناها توجب علينا الاجتماع في  
الدين كاجتماع الانبياء قبلنا في الدين وولاية الأمور فينا هم خلفاء  
الرسول قال النبي في الحديث الصحيح إن بنى اسرائيل كانت  
تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي قام نبي و إنه لا نبي بعدى  
وسيكون خلفاء ويكثرون قالوا فما تأمرنا يا رسول الله قال اوفوا  
ببيعة الأول فالأول وأدوا لهم الذى لهم فان الله سائلهم عما

استرعاهم وقال ايضا العلماء ورثة الأنبياء وروى عنه أنه قال وددت أنى قد رأيت خلفائى قالوا ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى يعلمونها الناس فهؤلاء هم ولاة الأمر بعده وهم الأمراء والعلماء وبذلك فسرها السلف ومن تبعهم من الأئمة كالامام احمد وغيره وهو ظاهر قد قررناه فى غير هذا الموضوع فالأصول الثابتة بالكتاب والسنة والاجماع هى بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء ليس لأحد خروج عنها ومن دخل فيها كان من أهل الاسلام المحض وهم أهل السنة والجماعة <sup>511</sup>

\*ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء لا نبي بعده فعصم الله أمته أن تجتمع على ضلالة وجعل فيها من تقوم به الحجة إلى يوم القيامة ولهذا كان إجماعهم حجة كما كان الكتاب والسنة حجة ولهذا امتاز أهل الحق من هذه الأمة والسنة والجماعة عن أهل الباطل الذين يزعمون أنهم يتبعون الكتاب ويعرضون عن سنة رسول الله و عما مضت عليه جماعة المسلمين فإن الله أمر في كتابه باتباع سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولزوم سبيله وأمر بالجماعة والائتلاف ونهى عن الفرقة والاختلاف فقال تعالى {إِنَّ الدِّينَ قَرِّبُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعاً لَأَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} {الأنعام 159} <sup>512</sup>

\*وقد ذم الله سبحانه أهل التفرق والاختلاف فى الكتاب الذين يؤمن كل منهم ببعضه دون بعض <sup>513</sup>

## بعض صور التفرق والاختلاف

<sup>511</sup>ب مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 115

<sup>512</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 369

<sup>513</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 341

## التفرق والاختلاف في الكتاب والسنة

\* وهذه الأصول الثلاثة وهي الإيمان بالله وباليوم الآخر والعمل الصالح هي الموجبة للسعادة في كل ملة كما قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } البقرة 62 والشرع ما جاءت به الرسل وهو الأصل الرابع ذم الله التفرق والاختلاف في الكتاب والسنة فإن هذه الأصول الأربعة متلازمة والتفرق في ذلك بالأمر في بعضه والنهي عن بعض هو من التفرق والاختلاف الذي ذمه الكتاب والسنة من المختلفين وقال تعالى { وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ } البقرة 176 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } الأنعام 159 وقال تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } آل عمران 105 ولهذا غضب النبي لما اختلفوا في القراءة وقال كلاهما محسن وقال إن القرآن نزل علي سبعة أحرف فاقروا منه ما تيسر وكذلك غضب لما تنازعوا في القدر وأخذوا يعارضون بين الآيات معارضة تفضي إلي الإيمان ببعض دون بعض وهذا التفرق والاختلاف يوجب الشرك وينافي حقيقة التوحيد الذي هو إخلاص الدين كله لله كما قال تعالى { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } 30 { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ } 31 { الروم 30-31 فإقامة وجهة الدين حنيفا وعبادة الله وحده لا شريك له وذلك يجمع الإيمان بكل ما أمر الله به وأخبر به أن يكون الدين كله لله ثم قال الله تعالى { وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 31 { مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا } 32 { الروم 31-32 وذلك أنه إذا كان الدين كله لله حصل الإيمان والطاعة لكل ما أنزله وأرسل به رسله وهذا يجمع كل حق

ويجمع عليه كل حق وإذا لم يكن كذلك فلا بد أن يكون لكل قول ما يمتازون به مثل معظم مطاع أو معبود لم يأمر الله بعبادته وطاعته ومثل قول ودين ابتدعه لم يأذن الله به ولم يشره فيكون كل من الفريقين مشركا من هذا الوجه وأيضا ففي قلوب بني آدم محبة وإرادة لما يتألهونه ويعبدونه وذلك هو قوام قلوبهم وصلاح نفوسهم كما أن فيهم محبة وإرادة لما يطعمونه وينكحونه وبذلك تصلح حياتهم ويدوم شملهم وحاجتهم إلي التآله أعظم من حاجتهم إلى الغذاء فإن الغذاء إذا فقد يفسد الجسم ويفقد التآله تفسد النفس ولن يصلحهم إلا تآله الله وعبادته وحده لا شريك له وهي الفطرة التي فطروا عليها كما قال النبي في الحديث المتفق عليه كل مولود يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار عن النبي فيما يروي عن ربه أنه قال إنني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا لكن أكثر الشرك في بني آدم بإيجاد إله آخر مع الله ودان بذلك كثير منهم في أنواع كثيرة<sup>514</sup>

\* فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وعن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وقال إنه سيخرج من أمتي

<sup>514514</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 42

أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به هذا حديث محفوظ من حديث صفوان بن عمرو عن الأزهر بن عبد الله الحرازي وعن أبي عامر عبد الله بن يحيى عن معاوية ورواه عنه غير واحد منهم أبو اليمان وبقية وأبو المغيرة رواه أحمد وأبو داود في سننه وقد روى ابن ماجه هذا المعنى من حديث صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك الأشجعي ويروى من وجوه أخر فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة واثنان وسبعون لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إما في الدين فقط وإما في الدين والدنيا ثم قد يؤول إلى الدنيا وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث هو مما نهى الله عنه في قوله سبحانه {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} آل عمران 105 وقوله {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} الأنعام 159 وقوله {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الأنعام 153 وهو موافق لما رواه مسلم في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه أقبل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها وروى أيضا في صحيحه عن ثوبان رضي الله عنه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما روى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضا ورواه البرقاني في صحيحه وزاد وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين وحتى يعبد فئام من أمتي الأوثان وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورا لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى وهذا المعنى محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه يشير إلى أن الفرقة والاختلاف لا بد من وقوعهما في الأمة وكان يحذر أمته منه لينجو من الوقوع فيه من شاء الله له السلامة كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رجلا قرأ آية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ خلفها فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فعرفت في وجهه الكراهية وقال كلا كما محسن ولا تختلفوا فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا رواه مسلم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد من المختلفين ما مع الآخر من الحق لأن كلا القارئين كان محسنا فيما قرأه وعلل ذلك بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا ولهذا قال حذيفة لعثمان أدرك هذه الأمة لا تختلف في الكتاب كما اختلفت فيه الأمم قبلهم لما رأى أهل الشام وأهل العراق يختلفون في حروف القرآن الاختلاف الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفاد ذلك شيئين



أحدهما تحريم الاختلاف في مثل هذا والثاني الاعتبار بمن  
كان قبلنا والحذر من مشابهتهم<sup>515</sup>

\*دين الإسلام الذي بعث الله به جميع الرسل وهو عبادة الله وحده  
لا شريك له فإن هذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد من  
الأولين والآخرين ديناً غيره وكذلك الإسلام العام وقد ثبت في  
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إنا معاشر  
الأنبياء ديننا واحد وإن أولى الناس بآبِنِ مَرْيَمَ لِأَنَّا إِنَّمَا لَمِسْنَا بَيْنَنَا  
وَبَيْنَهُ نَبِيًّا وَلِهَذَا تَرَجَّمَ الْبَخَّارِيُّ عَلَى ذَلِكَ بَابٌ مِنْ جَاءٍ فِي أَنَّ دِينَ  
الْأَنْبِيَاءِ وَاحِدٌ وَقَالَ تَعَالَى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ  
نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى  
أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ  
إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} {13} الشورى  
13 فقد أمر الرسل أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وقال  
تعالى في الآية الأخرى {إِنَّ الدِّينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا  
لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا  
يَفْعَلُونَ} {159} الانعام 159 فدم الذين تفرقوا على الأنبياء  
فأمن هؤلاء ببعض وهؤلاء ببعض وهم الذين فرقوا دينهم وكانوا  
شيعا<sup>516</sup>

\*ونحن علينا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا من الكتاب والحكمة  
ونلزم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين  
والصديقين والشهداء والصالحين ونعتصم بحبل الله جميعاً ولا  
نتفرق ونأمر بما أمر الله به وهو المعروف وننهي عما  
نهى عنه وهو المنكر وأن نتحرى الإخلاص لله في أعمالنا  
فإن هذا هو دين الإسلام قال الله تعالى {إِنَّ الدِّينَ فَرَقُوا

<sup>515</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 22

<sup>516</sup> الصفية ج: 2 ص: 306

دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعاً لَّسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ  
يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ { الأنعام 159 }<sup>517</sup>

\*ان الله تبارك وتعالى أكمل الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وبينه وبلغه البلاغ المبين فلا تحتاج أمته إلى أحد بعده يغير شيئاً من دينه وإنما تحتاج إلى معرفة دينه الذي بعث به فقط وأمته لا تجتمع على ضلالة بل لا يزال في أمته طائفة قائمة بالحق حتى تقوم الساعة فإن الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فأظهره بالحجة والبيان وأظهره باليد واللسان ولا يزال في أمته أمة ظاهرة بهذا وهذا حتى تقوم الساعة والمقصود هنا أن ما اجتمعت عليه الأمة إجماعاً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ونحن لا نشهد بالعصمة إلا لمجموع الأمة وأما كثير من طوائف الأمة ففيهم بدع مخالفة للرسول وبعضها من جنس بدع اليهود والنصارى وفيهم فجور ومعاصي لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من ذلك كما قال تعالى له { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعاً لَّسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ } {159} الأنعام الآية 159 وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وذلك مثل إجماعهم على أن محمداً صلى الله عليه وسلم أرسل إلى جميع الأمم أهل الكتاب وغير أهل الكتاب فإن هذا تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو منقول عندهم نقلاً متواتراً يعلمونه بالضرورة وكذلك إجماعهم على استقبال الكعبة البيت الحرام في صلاتهم فإن هذا الإجماع منهم على ذلك مستند إلى النقل المتواتر عن نبيهم وهو مذكور في كتابهم وكذلك الإجماع

على وجوب الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت العتيق الذي بناه إبراهيم خليل الرحمن ودعا الناس إلى حبه <sup>518</sup>

\*وذم الذين تفرقوا واختلفوا فى الكتب وهم الذين يؤمنون ببعض دون بعض فيكون مع هؤلاء بعض ومع هؤلاء بعض كقوله { وَإِنَّ الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيْدٍ } البقرة 176 وقوله { وَمَا اٰخْتَلَفَ فِيْهِ اِلَّا الَّذِينَ اُوْتُوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيِّنَهُمْ } البقرة 213 <sup>519</sup>

\*ففى صفات العبادات الظاهرة التى حصل فيها تنازع بين الأمة فى الرواية والرأى مثل الأذان والجهر بالسلمة والقنوت فى الفجر والتسليم فى الصلاة ورفع الأيدي فيها ووضع الأكف فوق الأكف ومثل التمتع والإفراد والقران فى الحج ونحو ذلك فإن التنازع فى هذه العبادات الظاهرة والشعائر أوجب أنواعا من الفساد الذى يكرهه الله ورسوله وعباده المؤمنون احدها التفرق والإختلاف المخالف للإجتماع والإئتلاف حتى يصير بعضهم يبغض بعضا ويعاديه ويحب بعضا ويواليه على غير ذات الله وحتى يفضى الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز واللمز وبيعضهم إلى الإقتتال بالأيدى والسلاح وبيعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلى بعضهم خلف بعض وهذا كله من أعظم الأمور التى حرمها الله ورسوله والإجتماع والأئتلاف من أعظم الأمور التى أوجبها الله ورسوله قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ } {102} وَعَاتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا {103} آل عمران 102-103 إلى قوله { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } {105} يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ {106} ال

<sup>518</sup>الجواب الصحيح ج: 1 ص: 363

<sup>519</sup>مجموع الفتاوى ج: 12 ص: 13

عمران 105-106 قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة  
 والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وكثير من هؤلاء  
 يصير من أهل البدعة بخروجه عن السنة التي شرعها رسول الله  
 لأمته ومن أهل الفرقة بالفرقة المخالفة للجماعة التي أمر الله بها  
 ورسوله قال تعالى { **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ**  
**مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ { الأنعام 159** وقال تعالى { **فَاتَّقُوا اللَّهَ**  
**وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ { الأنفال 1** وقال { **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**  
**فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ { الحجرات 10** وقال { **إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ**  
**أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ { النساء 114** وهذا الأصل  
 العظيم وهو الإعتصام بحبل الله جميعا وأن لا يتفرق هو من  
 أعظم أصول الإسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه  
 ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت  
 به وصية النبي في مواطن عامة وخاصة مثل قوله عليكم  
 بالجماعة فإن يد الله على الجماعة وقوله فإن الشيطان مع  
 الواحد وهو من الإثنين أبعد وقوله من رأى من أميره شيئا  
 يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع  
 ربقة الإسلام من عنقه وقوله ألا أنبئكم بأفضل من درجة  
 الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر  
 قالوا بلى يا رسول الله قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات  
 البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين  
 وقوله من جاءكم وامرهم على رجل واحد منكم يريد أن يفرق  
 جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان وقوله  
 يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم  
 وقوله ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة منها واحدة  
 ناجية وإثنتان وسبعون في النار وقيل ومن الفرقة الناجية قال هي  
 الجماعة يد الله على الجماعة و باب الفساد الذي  
 وقع في هذه الأمة بل وفي غيرها هو التفرق والإختلاف فإنه  
 وقع بين امرائها و علمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك  
 ما الله به عليم وإن كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لإجتهاده

الذى يغفر فيه خطؤه أو لحسناته الماحية أو توبته أو لغير ذلك لكن يعلم أن رعايته من اعظم أصول الإسلام ولهذا كان إمتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة ويزكرون فى كثير من السنن والآثار فى ذلك ما يطول ذكره وكان الأصل الثالث بعد الكتاب والسنة الذى يجب تقديم العمل به هو الإجماع فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة<sup>520</sup>

## 2-الرافضة سلكوا فى الصحابة مسلك التفرق

\*والرافضة سلكوا فى الصحابة مسلك التفرق فولوا بعضهم وغلوا فيه وعادوا بعضهم وغلوا فى معاداته وقد يسلك كثير من الناس ما يشبه هذا فى أمرائهم وملوكهم وعلمائهم وشيوخهم فيحصل بينهم رفض فى غير الصحابة تجد أحد الحزبين يتولى فلانا ومحببيه ويبغض فلانا ومحببيه وقد يسب ذلك بغير حق وهذا كله من التفرق والتشيع الذى نهى الله عنه ورسوله فقال تعالى { **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** } الأنعام 159 وقال تعالى { 101 } يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ { 102 } وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا { 103 } آل عمران 102-103 وقال تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } { 105 } يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } { 106 } وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } { 107 } آل عمران 105-107 قال ابن عباس تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة ولهذا كان أبو أمامة الباهلي وغيره

<sup>520</sup>مجموع الفتاوى ج: 22 ص: 358-360

يتأولها في الخوارج فالله تعالى قد أمر المؤمنين كلهم أن يعتصموا بحبله جميعا ولا ينفرقوا وقد فسر حبله بكتابه وبدينه وبالإسلام وبالإخلاص وبأمره وبعهده وبطاعته وبالجماعة وهذه كلها منقولة عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وكلها صحيحة فإن القرآن يأمر بدين الإسلام وذلك هو عهده وأمره وطاعته والإعتصام به جميعا إنما يكون في الجماعة ودين الإسلام حقيقته الإخلاص لله وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله يرضى لكم ثلاثا أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم وقال لما ذكر الأمر بالجهاد وأن من الناس من يبغض عنه { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَوْ لَأَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } {78} مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } {79} النساء 78 79 <sup>521</sup>

### 3- زوال الألفة والعصمة واخوة الدين

\*ان الله بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب وكان قد بعث إلى ذوى أهواء متفرقة وقلوب متشتتة وآراء متباينة فجمع به الشمل وألف به بين القلوب وعصم به من كيد الشيطان ثم إنه سبحانه وتعالى بين أن هذا الأصل هو الجماعة عماد لدينه فقال سبحانه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } {102} وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ

<sup>521</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 136-138

لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ {103} وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ  
وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ  
الْمُفْلِحُونَ {104} وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا  
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ {105} يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ  
وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ  
فَدُفِقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ {106} ال عمران 102-106  
قال ابن عباس رضى الله عنهما تبييض وجوه أهل السنة وتسود  
وجوه أهل البدعة فانظروا رحمكم الله كيف دعا الله إلى  
الجماعة ونهى عن الفرقة وقال فى الآية الأخرى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا  
دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَلسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} {الأنعام 159 فبرأ نبيه  
من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كما نهانا عن التفرق  
والاختلاف بقوله {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا  
جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} آل عمران 105 وقد كره النبي من المجادلة ما  
يفضي إلى الإختلاف والتفرق فخرج على قوم من أصحابه وهم  
يتجادلون فى القدر فكأنما فقىء فى وجهه حب الرمان وقال  
أبهذا أمرتم أم إلى هذا دعيتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض  
إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض  
قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فما اغبط نفسى كما  
غبطتها ألا أكون فى ذلك المجلس روى هذا الحديث أبو داود فى  
سننه وغيره وأصله فى الصحيحين والحديث المشهور عنه صلى  
الله عليه وسلم فى السنن وغيرها انه قال تفرق أمتى على  
ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة قيل يا رسول الله  
ومن هي قال من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى  
وفى رواية هي الجماعة وفى رواية يد الله على  
الجماعة فوصف الفرقة الناجية بأنهم المستمسكون بسنته  
وأنهم هم الجماعة وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين  
ومن بعدهم إذا تنازعوا فى الأمر اتبعوا أمر الله تعالى فى قوله  
{فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ  
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} النساء 59 وكانوا

يتناظرون فى المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة وربما اختلف قولهم فى المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة واخوة الدين نعم من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع فعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قد خالفت ابن عباس وغيره من الصحابة فى أن محمدا رأى ربه وقالت من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله تعالى الفرية وجمهور الأمة على قول ابن عباس مع أنهم لا يبدعون المانعين الذين وافقوا أم المؤمنين رضى الله عنها وكذلك أنكرت ان يكون الأموات يسمعون دعاء الحى لما قيل لها أن النبى قال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم فقالت إنما قال أنهم ليعلمون الآن أن ما قلت لهم حق ومع هذا فلا ريب أن الموتى يسمعون خفق النعال كما ثبت عن رسول الله وما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام صح ذلك عن النبى إلى غير ذلك من الأحاديث وأم المؤمنين تأولت والله يرضى عنها وكذلك معاوية نقل عنه فى أمر المعراج أنه قال إنما كان بروحه والناس على خلاف معاوية رضى الله عنه ومثل هذا كثير وأما الاختلاف فى الأحكام فأكثر من أن ينضبط ولو كان كل ما اختلف مسلمان فى شىء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة ولقد كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما سيذا المسلمين يتنازعان فى أشياء لا يقصدان الا الخير وقد قال النبى لأصحابه يوم بنى قريظة لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة فأدرکتهم العصر فى الطريق فقال قوم لا نصلى الا فى بنى قريظة وفاتتهم العصر وقال قوم لم يرد منا تأخير الصلاة فصلوا فى الطريق فلم يعب واحدا من الطائفتين أخرجاه فى الصحيحين من حديث ابن عمر وهذا وإن كان فى الأحكام فما لم يكن من الأصول المهمة فهو ملحق بالأحكام وقد قال ألا أنبئكم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر



قالوا بلى يا رسول الله قال صلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين رواه أبو داود من حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه وصح عنه أنه قال لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذى يبدأ بالسلام نعم صح عنه أنه هجر كعب بن مالك وصاحبيه رضى الله عنهم لما تخلفوا عن غزوة تبوك وظهرت معصيتهم وخيف عليهم النفاق فهجرهم وأمر المسلمين بهجرهم حتى أمرهم باعتزال أزواجهم من غير طلاق خمسين ليلة إلى أن نزلت توبتهم من السماء وكذلك أمر عمر رضى الله عنه المسلمين بهجر صبيغ بن عسل التميمي لما رآه من الذين يتبعون ما تشابه من الكتاب إلى أن مضى عليه حول وتبين صدقه فى التوبة فأمر المسلمين بمراجعته فبهذا ونحوه رأى المسلمون أن يهجروا من ظهرت عليه علامات الزيغ من المظهرين للبدع الداعين إليها والمظهرين للكبائر فأما من كان مستترا بمعصية أو مسرا لبدعة غير مكفرة فان هذا لا يهجر وإنما يهجر الداعى إلى البدعة إذ الهجر نوع من العقوبة وإنما يعاقب من أظهر المعصية قولاً أو عملاً وأما من أظهر لنا خيراً فإننا نقبل علانيته ونكل سريرته إلى الله تعالى فإن غايته أن يكون بمنزلة المنافقين الذين كان النبو صلى الله عليه وسلم يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله لما جاءوا إليه عام تبوك يحلفون ويعتذرون ولهذا كان الإمام احمد وأكثر من قبله وبعده من الأئمة كمالك وغيره لا يقبلون رواية الداعى إلى بدعة ولا يجالسونه بخلاف الساكت وقد أخرج أصحاب الصحيح عن جماعات ممن رمى ببدعة من الساكتين ولم يخرجوا عن الدعاة إلى البدع<sup>522</sup>

\*والواجب على الجميع ان يكونوا يدا واحدة مع الحقى على المبطل فيكون المعظم عندهم من عظمه الله ورسوله والمقدم عندهم من قدمه الله ورسوله والمحبوب عندهم من أحبه الله ورسوله والمهان عندهم من أهانه الله بحسب ما يرضى الله ورسوله لا بحسب الأهواء فانه من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فانه لا يضر إلا نفسه فهذا هو الأصل الذى عليهم اعتماده وحينئذ فلا حاجة الى تفرقهم وتشيعهم فان الله تعالى يقول { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } { الأنعام 159 } وقال تعالى { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ } آل عمران 105 <sup>523</sup>

\*إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والإئتلاف ونهانا عن الفرقة والإختلاف وقال لنا فى القرآن { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا } آل عمران 103 وقال { وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا } آل عمران 105 وأن الله أمر بالجماعة الإئتلاف ونهى عن البدعة والاختلاف وقال { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ } { الأنعام 159 } وقال النبي عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة وقال الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد وقال الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم والذئب إنما يأخذ القاصية والنائية من الغنم فالواجب على المسلم إذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم وإن رأى بعضهم ضالاً أو غاوياً وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها وإذا كان قادراً على أن يولي في إمامة المسلمين الأفضل ولاه وإن قدر أن يمنع من يظهر البدع والفجور منعه <sup>524</sup>

<sup>523</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 17

<sup>524</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 284

## 4- تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين

### وإستحلال دمائهم وأموالهم

\*قال مجاهد فى قوله تعالى { **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا** } { **الأنعام 159** } قال هم أهل البدع و الشبهات فهم فى أمور مبتدعة فى الشرع مشتبهة فى العقل <sup>525</sup>

\*ومن البدع المنكرة تكفير الطائفة غيرها من طوائف المسلمين وإستحلال دمائهم وأموالهم كما يقولون هذا زرع البدعي ونحو ذلك فإن هذا عظيم لوجهين أحدهما أن تلك الطائفة الأخرى قد لا يكون فيها من البدعة أعظم مما فى الطائفة المكفرة لها بل تكون بدعة المكفرة أغلظ أو نحوها أو دونها وهذا حال عامة أهل البدع الذين يكفر بعضهم بعضا فإنه إن قدر أن المبتدع يكفر كفر هؤلاء وهؤلاء وإن قدر أنه لم يكفر لم يكفر هؤلاء ولا هؤلاء فكون إحدى الطائفتين تكفر الأخرى ولا تكفر طائفتها هو من الجهل والظلم وهؤلاء من الذين قال الله تعالى فيهم { **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَسْتَفِيحُ فِي شَيْءٍ** } { **الأنعام 159** } والثانى أنه لو فرض أن إحدى الطائفتين مختصة بالبدعة لم يكن لأهل السنة أن يكفروا كل من قال قولا خطأ فيه فإن الله سبحانه قال { **رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** } { البقرة 286 } وثبت فى الصحيح أن الله قال قد فعلت وقال تعالى { **وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ** } { الأحزاب 5 } وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وهو حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره وأجمع الصحابة وسائر أئمة المسلمين

<sup>525</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 28

على أنه ليس كل من قال قولاً أخطأ فيه أنه يكفر بذلك وإن كان قوله مخالفاً للسنة فتكفير كل مخطئ خلاف الإجماع لكن للناس نزاع في مسائل التكفير قد بسطت في غير هذا الموضوع و المقصود هنا أنه ليس لكل من الطوائف المنتسبين إلى شيخ من الشيوخ ولا إمام من الأئمة أن يكفروا من عداهم بل في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما وقال أيضاً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخواناً وقال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وليس للمنتسبين إلى ابن مرزوق أن يمنعوا من مناقحة المنتسبين إلى العوفى لإعتقادهم أنهم ليسوا أكفاء لهم بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان من هؤلاء وغيرهم كما قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } الحجرات 13 وفي الصحيح أن النبي سئل أي الناس أكرم قال أتقاهم وفي السنن عنه أنه قال لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى الناس من آدم وادم خلق من تراب

526

\* وفي الصحاح عن النبي أنه قال مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر وفي الصحاح أيضاً أنه قال المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه

وفي الصحاح أيضا انه قال والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يظلمه وأمثال هذه النصوص في الكتاب والسنة كثيرة وقد جعل الله فيها عباده المؤمنين بعضهم أولياء بعض وجعلهم إخوة وجعلهم متناصرين متراحمين متعاطفين وأمرهم سبحانه بالائتلاف ونهاهم عن الافتراق والاختلاف فقال {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} آل عمران 103 وقال {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ} الأنعام 159 الآية فكيف يجوز مع هذا لأمة محمد أن تفترق وتختلف حتى يوالي الرجل طائفة ويعادي طائفة أخرى بالظن والهوى بلا برهان من الله تعالى وقد برأ الله نبيه ممن كان هكذا 527

\*من أعظم أصول الإسلام الذي هو معرفة الجماعة وحكم الفرقة والتقاتل والتكفير والتلاعن والتباغض وغير ذلك فنقول هذا الباب أصله المحرم فيه من البغي فإن الإنسان ظلم جهور قال تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شئ سورة الأنعام 159 في غير موضع وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ص أنه قال لتسلكن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله فمن قال اليهود والنصارى ثم إنه من مسائل الخلاف ما يتضمن أن اعتقاد أحدهما يوجب عليه بغض الآخر ولعنه أو تفسيقه أو تكفيره أو قتاله فإذا فعل ذلك مجتهدا مخطئا كان خطؤه مغفورا له وكان ذلك في حق الآخر محنة في حقه وفتنة وبلاء ابتلاه به وهذه حال البغاة المتأولين مع أهل العدل سواء كان ذلك بين أهل اليد والقتال من الأمراء ونحوهم أو بين أهل اللسان والعمل من العلماء والعباد ونحوهم وبين من يجمع

الأمرين ولكن الاجتهاد السائغ لا يبلغ مبلغ الفتنة والفرقة إلا مع البغى لا لمجرد الاجتهاد كما قال تعالى **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء** سورة الأنعام 159 فلا يكون فتنة وفرقة مع وجود الاجتهاد السائغ بل مع نوع بغى ولهذا نهى النبي ص عن القتال في الفتنة وكان ذلك من أصول السنة وهذا مذهب أهل السنة والحديث وأئمة أهل المدينة من فقهاءهم وغيرهم ومن الفقهاء من ذهب إلى أن ذلك يكون مع وجود العلم التام من أحدهما والبغى من الآخر فيجب القتال مع العادل حينئذ وعلى هذا الفتنة الكبرى بين أهل الشام والعراق هل كان الأصوب حال القاعدين أو حال المقاتلين من أهل العراق والنصوص دلت على الأول وقالوا كان ترك قتال أهل العراق أصوب وإن كانوا أقرب إلى الحق وأولى به من الشام إذ ذاك كما بسطنا الكلام في هذا في غير هذا الموضوع وتكلمنا على الآيات والاحاديث في ذلك ومن أصول هذا الموضوع أن مجرد وجود البغى من إمام أو طائفة لا يوجب قتالهم بل لا يبيحه بل من الأصول التي دلت عليها النصوص أن الإمام الجائر الظالم يؤمر الناس بالصبر على جورهم وظلمهم وبغيه ولا يقاتلونه كما أمر النبي ص بذلك في غير حديث فلم يأذن في دفع البغى مطلقا بالقتال بل إذا كانت فيه فتنة نهى عن دفع البغى به وأمر بالصبر

528

## **5- ان كثيرا من نزاع الناس سببه أفاظ مجملة** **مبتدعة ومعان مشتبهة**

\* ومن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان نوع جاء به الكتاب والسنة فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك فيثبت

528 الاستقامة ج: 1 ص: 26

ما أثبتته الله ورسوله وينفى ما نفاه الله ورسوله فاللفظ الذى أثبتته  
 الله أو نفاه حق فإن الله يقول الحق وهو يهدى السبيل والألفاظ  
 الشرعية لها حرمة ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها  
 ليثبت ما أثبتته وينفى ما نفاه من المعانى فإنه يجب علينا أن  
 نصدقه فى كل ما أخبر ونطيعه فى كل ما أوجب وأمر ثم إذا  
 عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والايان وقد قال  
 تعالى { يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ  
 {المجادلة} 1 وأما الألفاظ التى ليست فى الكتاب والسنة ولا اتفق  
 السلف على نفيها أو إثباتها فهذه ليس على أحد أن يوافق من  
 نفاهها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده فان أراد بها معنى يوافق  
 خبر الرسول أقر به وان أراد بها معنى يخالف خبر الرسول  
 أنكره ثم التعبير عن تلك المعانى ان كان فى ألفاظه اشتباه او  
 اجمال عبر بغيرها او بين مراده بها بحيث يحصل تعريف الحق  
 بالوجه الشرع فان كثيرا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة  
 مبتدعة ومعان مشتبهة حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان  
 على اطلاق ألفاظ ونفيها ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم  
 يتصوره فضلا عن أن يعرف دليله ولو عرف دليله لم يلزم أن  
 من خالفه يكون مخطئا بل يكون فى قوله نوع من الصواب وقد  
 يكون هذا مصيبا من وجه وهذا مصيبا من وجه وقد يكون  
 الصواب فى قول ثالث وكثيرا من الكتب المصنفة فى أصول  
 علوم الدين وغيرها تجد الرجل المصنف فيها فى المسألة  
 العظيمة كمسألة القرآن والرؤية والصفات والمعاد وحدوث العالم  
 وغير ذلك يذكر أقوالا متعددة والقول الذى جاء به الرسول وكان  
 عليه سلف الأمة ليس فى تلك الكتب بل ولا عرفه مصنفوها ولا  
 شعروا به وهذا من أسباب توكيد التفريق والاختلاف بين الأمة  
 وهو مما نهيت الأمة عنه كما فى قوله تعالى { وَلَا تَكُونُوا  
 كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ  
 عَذَابٌ عَظِيمٌ } {105} يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ  
 اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ } {106} ال عمران 105-106 قال ابن عباس

تبييض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة وقد قال تعالى { **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ { الأَنْعَامُ 159** } وقال تعالى { **وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** } البقرة 176 وقد خرج النبي على أصحابه وهم يتنازعون في القدر وهذا يقول ألم يقل الله كذا وهذا يقول ألم يقل الله كذا فقال أبهذا أمرتم أم إلى هذا دعيتم إنما هلك من كان قبلكم بهذا أن ضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمرتم به فافعلوه وما نهيتم عنه فاجتنبوه ومما أمر الناس به أن يعملوا بمحكم القرآن ويؤمنوا بمتشابهه <sup>529</sup>

### المراد بالحسنة والسيئة عند عامة المفسرين

\* والذي عليه عامة المفسرين أن الحسنة و السيئة يراد بهما النعم و المصائب ليس المراد مجرد ما يفعله الانسان باختياره باعتباره من الحسنات أو السيئات و لفظ الحسنات و السيئات في كتاب الله يتناول هذا و هذا قال الله تعالى عن المنافقين { **إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبرُوا وَتَتَّقُوا لَا يُضْرِكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا { آل عمران 120** } وقال تعالى في حق الكفار المتطيرين بموسى و من معه { **فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ { الأعراف 131** } ذكر هذا بعد قوله { **وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ { الأعراف 130** } وأما الأعمال المأمور بها و المنهى عنها ففي مثل قوله تعالى { **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**



وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ  
530 {الأنعام 160}

\*قال تعالى { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } النساء 79 وأما القرآن فالمراد منه هذا بالحسنات والسيئات النعم والمصائب ليس المراد الطاعات والمعاصي وهذا كقوله تعالى { إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرُكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا } آل عمران 120 وكقوله { إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ } {50} قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } {51} التوبة 50- 51 الآية ومنه قوله تعالى { وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } الأعراف 168 كما قال تعالى { وَتَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً } الأنبياء 35 اي بالنعم والمصائب وهذا بخلاف قوله { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرٌ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا } {الأنعام 160} وأمثال ذلك فان المراد بها الطاعة والمعصية وفي كل موضع ما يبين المراد باللفظ فليس في القرآن العزيز بحمد الله تعالى اشكال بل هو مبين وذلك انه اذا قال ما اصابك وما مسك ونحو ذلك كان من فعل غيرك بك كما قال { مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ } النساء 79 وكما قال تعالى { إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ } التوبة 50 وقال تعالى { وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ } الشورى 48 وإذا قال { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ } {الأنعام 160} كانت من فعله لانه هو الجائى بها فهذا يكون فيما فعله العبد لا فيما فعل به <sup>531</sup>

<sup>530</sup> مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 237 والحسنة والسيئة ج: 1 ص: 21

<sup>531</sup> 531 مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 111-112

## يعطى العبد بكل حسنة عشر أمثالها

\* أن الله يعطى العبد بكل حسنة عشر أمثالها كما قال تعالى {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} {الأنعام 160} <sup>532</sup>

\* أن الحسنة يضاعفها الله و ينميها و يثيب على الهم بها و السيئة لا يضاعفها و لا يؤاخذ على الهم بها فيعطى صاحب الحسنة من الحسنات فوق ما عمل و صاحب السيئة لا يجزيه إلا بقدر عمله قال تعالى {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} {الأنعام 160} <sup>533</sup>

\* قال تعالى { وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ } {133} { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } {134} آل عمران 133-134 فذكر أنه يحب المحسنين والعافين عن الناس وتبين بهذا أن هذا من الإحسان والإحسان ضد الإساءة وهو فعل الحسن سواء كان لازماً لصاحبه أو متعدياً إلى الغير ومنه قوله {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} {القصص 84} وقال {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا} {الأنعام 160} فالكاظم للغیظ والعافی عن الناس قد أحسن إلى نفسه وإلى الناس فإن ذلك عمل حسنة مع نفسه ومع الناس ومن أحسن إلى الناس فإلى نفسه كما يروى عن بعض السلف أنه قال ما أحسنت إلى أحد وما أسأت إلى أحد وإنما أحسنت إلى نفسي وأسأت إلى نفسي قال تعالى {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}

<sup>532</sup> مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 136

<sup>533</sup> مجموع الفتاوى ج: 14 ص: 265

{الإسراء 7 وقال تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} فصلت 46 ولو لم يكن الإحسان إلى الخلق إحسانا إلى المحسن يعود نفعه عليه لكان فاعلا إثما أو ضررا فإن العمل الذي لا يعود نفعه على فاعله إما حيث لم يكن فيه فائدة وإما شر من العيب إذا ضر فاعله والعفو عن الظالم أحد نوعي الصدقة المعروف والإحسان إلى الناس وجماع ذلك الزكاة والله سبحانه دائما يأمر بالصلاة والزكاة وهي الصدقة وقد ثبت في الصحيح عن النبي من غير وجه أنه قال كل معروف صدقة وذلك نوعان أحدهما اتصال نفع إليه الثاني دفع ضرر عنه فإذا كان المظلوم يستحق عقوبة الظلم ونفسه تدعوه إليه فكف نفسه عن ذلك ودفع عنه ما يدعوه إليه من إضراره فهذا إحسان منه إليه وصدقة عليه والله تعالى {يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} يوسف 88 و{لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} التوبة 120<sup>534</sup>

### الظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى

\* والظلم ممتنع من الله سبحانه وتعالى بإتفاق المسلمين وقيل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فهو سبحانه لا يظلم الناس شيئا قال تعالى {وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا} طه 112 قال المفسرون هو أن يحمل عليه سيئات غيره ويعاقب بغير ذنبه والهضم أن يهضم من حسناته<sup>535</sup>

\* والمقصود هنا أن الثواب والعقاب إنما يكون على عمل وجودي بفعل الحسنات كعبادة الله وحده وترك السيئات كترك الشرك أمر وجودي وفعل السيئات مثل {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا

<sup>534</sup>534 مجموع الفتاوى ج: 30 ص: 364-370

<sup>535</sup>535 مجموع الفتاوى ج: 1 ص: 219

وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ  
 {الأنعام 160} فأما عدم الحسنات والسيئات فجزاؤه عدم الثواب  
 والعقاب وإذا فرض رجل آمن بالرسول مجملاً وبقي مدة لا  
 يفعل كثيراً من المحرمات ولا سمع أنها محرمة فلم يعتقد  
 تحريمها مثل من آمن ولم يعلم أن الله حرم الميتة والدم ولحم  
 الخنزير ولا علم أنه حرم نكاح الأقارب سوى أربعة أصناف ولا  
 حرم بالمصاهرة أربعة أصناف حرم على كل من الزوجين  
 أصول الآخر وفروعه فإذا آمن ولم يفعل هذه المحرمات ولا  
 اعتقد تحريمها لأنه لم يسمع ذلك فهذا لا يثاب ولا يعاقب  
 ولكن إذا علم التحريم فاعتقده أثيب على اعتقاده وإذا ترك ذلك  
 مع دعاء النفس إليه أثيب ثواباً آخر كالذي تدعوه نفسه إلى  
 الشهوات فينهاها كالصائم الذي تشتهي نفسه الأكل والجماع  
 فينهاها والذي تشتهي نفسه شرب الخمر والفواحش فينهاها فهذا  
 يثاب ثواباً آخر بحسب نهيه لنفسه وصبره على المحرمات  
 واشتغاله بالطاعات التي ضدها فإذا فعل تلك الطاعات كانت  
 مانعة له عن المحرمات وإذا تبين هذا فالحسنات التي يثاب  
 عليها كلها وجودية نعمة من الله تعالى وما أحبته النفس من ذلك  
 وكرهته من السيئات فهو الذي حُبب الإيمان إلى المؤمنين وزينه  
 في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان<sup>536</sup>

### التوحيد هو أول الدين وآخره وباطن الدين وظاهره

\*التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب وبه بعث الله  
 الأولين والآخرين من الرسل قال تعالى {وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا  
 مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ  
 {الزخرف 45} وَقَالَ تَعَالَى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ  
 اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ

<sup>536</sup>الحسنة والسيئة ج: 1 ص: 59

عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ { النحل 36 وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ  
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ { الأنبياء 25  
وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل مثل نوح وهود وصالح  
وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم آعبدوا الله مالكم من إله غيره  
وهذا أول دعوة الرسل وأخرها قال النبي صلى الله عليه وسلم  
في الحديث الصحيح المشهور أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا  
أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإذا قالوها فقد عصموا مني  
دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله وقال النبي صلى  
الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أيضا من مات وهو يعلم أن  
لا إله إلا الله دخل الجنة وقال من كان آخر كلامه لا إله إلا الله  
دخل الجنة والقرآن كله مملوء من تحقيق هذا التوحيد والدعوة  
إليه وتعليق النجاة والفلاح واقتضاء السعادة في الآخرة به  
ومعلوم أن الناس متفاضلون في تحقيقه وحقيقته إخلاص الدين  
كله لله والفناء في هذا التوحيد مقرون بالبقاء وهو أن تثبت الإلهية  
الحق في قلبك وتنفي الإلهية ما سواه فتجمع بين النفي والإثبات  
فتقول لا إله إلا الله فالنفي هو الفناء والإثبات هو البقاء وحقيقته  
أن تنفي بعبادته عما سواه ومحبته عن محبة ما سواه وبخشيته  
عن خشية ما سواه وبطاعته عن طاعة ما سواه وبموالاته عن  
موالاة ما سواه وبسؤاله عن سؤال ما سواه وبالاستعاذه به عن  
الإستعاذة بما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه  
وبالتفويض إليه عن التفويض إلى ما سواه وبالإنابة إليه عن  
الإنابة إلى ما سواه وبالتحاكم إليه عن التحاكم إلى ما سواه  
وبالتخاصم إليه عن التخاصم إلى ما سواه وفي الصحيحين  
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا قام يصلي من  
الليل وقد روي أنه كان يقوله بعد التكبير اللهم لك الحمد أنت قيم  
السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات  
والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق وقولك الحق ووعدك  
الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد  
حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت و عليك توكلت وإليك أنبت وبك

خاصمت وإليك حاکمت فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت  
 وقال تعالى { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ } الأنعام 14 وقال { أَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغِي حَكْمًا  
 وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا } الأنعام 114 وقال {  
 أَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ } 64 { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ  
 وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ  
 الْخَاسِرِينَ } 65 { بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ } 66 { الزمر  
 64- 66 وقال تعالى { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
 دِينًا قِيَمًا مِثْلَ دِينِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } 161 { قُلْ إِنْ  
 صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } 162 { لَا  
 شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } 163 { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ  
 أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا

عَلَيْهَا } 164 { الأنعام 161- 164 وهذا التوحيد كثير في  
 القرآن وهو أول الدين وآخره وباطن الدين وظاهره وذروة سنام  
 هذا التوحيد لأولى العزم من الرسل ثم للخليلين محمد وإبراهيم  
 صلى الله عليهما وسلم تسليما<sup>537</sup>

\*الدين هو التعاهد والتعاقد وإذا كان كذلك فالأمور التي  
 يحتاجون إليها يحتاجون أن يوجبوها علي أنفسهم والأمور التي  
 تضرهم يحتاجون أن يحرموها علي نفوسهم وذلك دينهم وذلك لا  
 يكون إلا باتفاقهم علي ذلك وهو التعاهد والتعاقد ولهذا جاء  
 في الحديث لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له  
 فهذا هو من الدين المشترك بين جميع بني آدم من التزام واجبات  
 ومحرمات وهو الوفاء والعهد وهذا قد يكون باطلا فاسدا إذا كان  
 فيه مضرة لهم راجحة علي منفعته وقد يكون دين حق إذا كانت  
 منفعة خاصة أو راجحة كما قال تعالى { قُلْ يَا أَيُّهَا  
 الْكَافِرُونَ } 1 { لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ } 2 { وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

{3} {عَبُدْ} وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ {4} وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَّا أَعْبُدُ {5}  
 لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ {6} {الكافرون 1-6} وقال تعالى { مَا كَانَ  
 لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ } {يوسف 76} وقال تعالى { قَاتِلُوا الَّذِينَ  
 لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ  
 وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ } {التوبة 29}  
 الدين الحق هو طاعة الله وعبادته والدين الحق هو طاعة الله  
 وعبادته كما بينا أن الدين هو الطاعة المعتادة التي صارت خلقا  
 وبذلك يكون المطاع محبوبا مرادا إذ أصل ذلك المحبة والإرادة  
 ولا يستحق أحد أن يعبد ويطاع علي الإطلاق إلا الله وحده لا  
 شريك له ورسله وأولو الأمر أطيعوا لأنهم يأمرون بطاعة الله  
 كما قال النبي في الحديث المتفق عليه من أطاعني فقد أطاع الله  
 ومن أطاع أميرى فقد أطاعني ومن عصاني فقد عصي الله ومن  
 عصي أميرى فقد عصاني وأما العبادة فله وحده ليس فيها  
 واسطة فلا يعبد العبد إلا الله وحده كما قد بينا ذلك في مواضع  
 وبيننا أن كل عمل لا يكون غايته إرادة الله وعبادته فهو عمل فاسد  
 غير صالح باطل غير حق أي لا ينفع صاحبه وقد قال سبحانه  
 { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا  
 الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ } {البينة 5} وقال تعالى  
 { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } {البقرة 193} وقال  
 تعالى { ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } {التوبة 36}  
 وقال تعالى { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا  
 مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {الأنعام 161} وقال  
 تعالى { فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ  
 وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ } {التوبة 122} وفي الصحيحين  
 عن النبي انه قال من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين  
 وقال تعالى { وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ  
 اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ  
 حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ } {البقرة 217} { وَلَا يَزَالُونَ  
 يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ

عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {البقرة 217  
وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ  
يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ {المائدة 54 وهو الدين الحق  
الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له وطاعته وطاعة رسوله هو  
الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره كما قال تعالى {إِنَّ  
الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ {آل عمران 19 وقال تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ  
غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ  
{آل عمران 85 وقال تعالى {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ  
مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ {آل  
عمران 83 وقال تعالى {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ  
نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى  
أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ  
إِلَيْهِ {الشورى 13 وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا  
شِبَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ {الأنعام 159 كل دين سوي الإسلام  
باطل فإذا كان لا بد لكل آدمي من اجتماع ولا بد في كل  
اجتماع من طاعة ودين وكل دين وطاعة لا يكون لله فهو باطل  
فكل دين سوي الإسلام فهو باطل وأيضاً فلا بد لكل حي من  
محبوب هو منتهى محبته وإرادته وإليه تكون حركة باطنه  
وظاهره وذلك هو إلهه ولا يصلح ذلك إلا لله وحده لا شريك له  
فكل ما سوي الإسلام فهو باطل والمتفرقون أيضاً فيه الذين  
أخذ كل منهم ببعضه وترك بعضه وافترقت أهواؤهم قد بريء  
الله ورسوله منهم لا بد في كل دين من شيئين العقيدة والشريعة  
أو المعبود والعبادة ولا بد في كل دين وطاعة ومحبة من  
شيئين أحدهما الدين المحبوب المطاع وهو المقصود المراد  
والثاني نفس صورة العمل التي تطاع ويعبد بها وهو السبيل  
والطريق والشريعة والمنهاج والوسيلة كما قال الفضيل بن  
عياض في قوله تعالى {لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا {هود 7  
قال أخلصه وأصوبه قالوا يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال إن



العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون علي السنة فهكذا كان الدين يجمع هذين الأمرين المعبود والعبادة والمعبود اله واحد والعبادة طاعته وطاعة رسوله فهذا هو دين الله الذي ارتضاه كما قال تعالى {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} المائدة 3 وهو دين المؤمنين من الأولين والآخرين وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد غيره لأنه دين فاسد باطل كمن عبد من لا تصلح عبادته أو عبد بما لا يصلح أن يعبد به <sup>538</sup>

### الاسلام دين جميع المرسلين

\*أن دين الله الذي أنزل به كتبه وبعث به رسله ما تقدم من إرادة الله وحده بالعمل الصالح وهذا هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد غيره قال تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} آل عمران 85 وقال تعالى {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَإِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} {18} {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} {19} آل عمران 18-19 والاسلام يجمع معنيين أحدهما الاستسلام والانقياد فلا يكون متكبرا والثاني الاخلاص من قوله تعالى {وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ} {الزمر 29} فلا يكون مشركا وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين كما قال تعالى {وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} {130} {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} {131} {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ

<sup>538</sup>قاعدة في المحبة ج: 1 ص: 36-40 و الصدفية ج: 2 ص: 302

اللَّهِ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ {132} البقرة  
 130-132 وقال تعالى { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
 دِينًا قِيمًا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {161} قُلْ إِنْ  
 صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لَا  
 شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } {163} الاتعام 161-

163 والاسلام يستعمل لا زما معدى بحرف اللام مثل ما ذكر في  
 هذه الآيات ومثل قوله تعالى { وَأَنْبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ  
 قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } الزمر 54 ومثل قوله  
 تعالى { قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ  
 رَبِّ الْعَالَمِينَ } النمل 44 ومثل قوله { أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ

وَلَهُ أَسْلَمَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ  
 يُرْجَعُونَ } آل عمران 83 ومثل قوله { قُلْ أُنذِعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا  
 لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُزِدْ عَلَيْنَا آعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي  
 اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى

الهُدَى انْتِنَا قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ فَإِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ  
 {71} وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } {72} الأنعام 71-72 ويستعمل

متعديا مقرونا بالاحسان كقوله تعالى { وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا  
 مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ  
 صَادِقِينَ } {111} بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ

رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } {112} البقرة 111-112  
 وقوله { وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ  
 مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا } النساء 125 فقد انكر  
 أن يكون دين أحسن من هذا الدين وهو اسلام الوجه لله مع

الاحسان وأخبر ان كل من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره  
 عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يخزنون أثبتت هذه الكلمة

الجامعة والقضية العامة ردا لم زعم من زعمه أن لا يدخل الجنة  
 الا متهود او منتصر وهذا الوصفان وهما اسلام الوجه لله  
 والاحسان هما الأصلان المتقدمان وهما كون العمل خالصا لله

صواباً موافقاً للسنة والشريعة وذلك ان اسلام الوجه لله هو  
متضمن للقصد ونبيه الله <sup>539</sup>

\*وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء  
ديننا واحد وهو الاسلام وهو الاستسلام لله لا لغيره بأن تكون  
العبادة والطاعة له والذل وهو حقيقة لا اله الا الله ولا ريب  
أن ما سوى هذا لا يقبل وهو سبحانه يطاع في كل زمان بما امر  
به في ذلك الزمان فلا اسلام بعد مبعث محمد الا فيما جاء  
به وطاعته وهي ملة ابراهيم التي لا يرغب عنها الا من سفه  
نفسه وهو الأمة الذي يؤتم به كما أن القدوة هو الذي  
يقتدى به وهو الامام كما في قوله { إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ  
إِمَامًا } البقرة 124 وهو القانت والقنوت دوام الطاعة وهو  
الذي يطيع الله دائماً والحنيف المستقيم الى ربه دون ما سواه

540

\*في توحيد الملة وتعدد الشرائع وتنوعها وتوحد الدين الملى دون  
الشرعى وما فى ذلك من اقرار ونسخ وجريان ذلك فى اهل  
الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار قال الله تعالى { وَإِذِ ابْتَلَى  
إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا  
{ البقرة 124 فهذا نص فى انه امام الناس كلهم وقال { إِنَّ  
إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً { النحل 120 وهو القدوة الذى يؤتم به وهو معلم  
الخير وقال تعالى { ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا  
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ { النحل 123 وقال تعالى فى آل عمران  
{ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ { 18 } إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا  
اِخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ  
{ 19 } آل عمران 18- 19 فاخبر ان الدين عند الله الاسلام وان

<sup>539</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 173- 176

<sup>540</sup>مجموع الفتاوى ج: 5 ص: 239

الذين اختلفوا من اهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا  
 الا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان ان الدين واحد لا اختلاف  
 فيه وقال تعالى {قُلْ اِنِّي هَدَانِي رَبِّي اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ  
 دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ اِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {161} قُلْ اِنْ  
 صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ

**العالمين} {162} الأنعام 161- 162** هذا بعد ان ذكر الانبياء فقال  
 {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَفْتَدِهِ} {الأنعام 90} وهذا في  
 القرآن مذكور في مواضع كثيرة وكذلك في الأحاديث  
 الصحيحة مثل ما ترجم عليه البخارى فقال باب ما جاء فى أن  
 دين الأنبياء واحد وذكر الحديث المتفق عليه عن أبى هريرة  
 عن النبى قال انا معاشر الأنبياء اخوة لعلات ومثل صفته  
 فى التوراة لن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء فافتح به أعينا  
 عميا وأذانا صما وقلوبا غلغا ولهذا وحد الصراط والسبيل فى  
 مثل قوله تعالى { اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} {6} صِرَاطَ الَّذِينَ  
 أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} {7} الفاتحة 6-  
 7 والاسلام دين جميع المرسلين<sup>541</sup>

\*قال تعالى {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ  
 اِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {البقرة 135} الى قوله {فَاِنْ  
 آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقِ  
 فَسِيكْفِيهِكُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} {البقرة 137} فقله { قُلْ بَلْ  
 مِلَّةَ اِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} {البقرة 135} يبين أن ما عليه اليهود و  
 النصارى ينافي ملة إبراهيم و هذا بعد مبعث محمد مما لا  
 ريب فيه فإنه هو الذي بعث بملة إبراهيم و الطائفتان كانتا  
 خارجتين عنها بما وقع منهم من التبديل قال تعالى {إِنَّ أَوْلَى  
 النَّاسِ بِاِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا} آل  
 عمران 68 و قال {قُلْ اِنِّي هَدَانِي رَبِّي اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا

<sup>541</sup>مجموع الفتاوى ج: 19 ص: 109 و شرح العمدة ج: 2 ص: 201

قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا { الأنعام 161 الآية وقال { ثُمَّ أَوْحَيْنَا  
إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا { النحل 123 <sup>542</sup>

\* وليس للقلوب سرور ولا لذة تامة الا فى محبة الله والتقرب  
اليه بما يحبه ولا تمكن محبته الا بالاعراض عن كل محبوب  
سواه وهذا حقيقة لا إله إلا الله وهى ملة ابراهيم الخليل عليه  
السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلاة الله وسلامه عليهم  
أجمعين وكان النبي يقول لأصحابه قولوا أصبحنا على فطرة  
الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد وملة أبينا ابراهيم  
حنيفا مسلما وما كان من المشركين والحنيف  
للسلف فيه ثلاث عبارات قال محمد ابن كعب مستقيما وقال  
عطاء مخلصا وقال آخرون متبعا فهو مستقيم القلب الى الله دون  
ما سواه قال الله تعالى { فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ  
لِّلْمُشْرِكِينَ { فصلت 6 وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ  
ثُمَّ اسْتَفَّأُوا { الأحقاف 13 قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه  
فلم يلتفتوا عنه يمنه ولا يسرة فلم يلتفتوا بقلوبهم الى ما سواه لا  
بالحب ولا بالخوف ولا بالرجاء ولا بالسؤال ولا بالتوكل عليه  
بل لا يحبون الا الله ولا يحبون معه أندادا ولا يحبون الا اياه لا  
لطلب منفعة ولا لدفع مضرة ولا يخافون غيره كائنا من كان ولا  
يسالون غيره ولا يتشرفون بقلوبهم الى غيره <sup>543</sup>

## أهل البدع والضلال يحجون إلى المشاهد وقبور شيوخهم

<sup>542</sup>مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 572

<sup>543</sup>مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 33

\*قال تعالى { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {161} قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {162} لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } {163} الانعام 161-163 فالله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن تكون صلواته ونسكه لله فمن سافر إلى بقعة غير بيوت الله التي يشرع السفر إليها ودعا غير الله فقد جعل نسكه وصلاته لغير الله عز وجل والنبي نهى عن السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة وإن كان بيتا من بيوت الله إذا لم تكن له خاصية تستحق السفر إليه ولا شرع هو ومن قبله من الأنبياء السفر إليه بخلاف الثلاثة فإن كل مسجد منها بناء نبي من الأنبياء ودعاء الناس إلى السفر إليه فلها خصائص ليست لغيرها فإذا كان السفر إلى بيوت الله غير الثلاثة ليس بمشروع بإتفاق الأئمة الأربعة بل قد نهى عنه الرسول فكيف بالسفر إلى بيوت المخلوقين الذين تتخذ قبورهم مساجد وأوثانا وأعيادا ويشرك بها وتدعى من دون الله حتى أن كثيرا من معظميها يفضل الحج إليها على الحج إلى بيت الله فيجعل الشرك وعبادة الأوثان أفضل من التوحيد وعبادة الرحمن كما يفعل ذلك من يفعله من المشركين وقال تعالى { إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَآ يَغْفِرَ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا } {116} إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا } {117} النساء 116-117<sup>544</sup>

وهذا الذي الذي ذكرنا من أن السفر إلى الأماكن المعظمة القبور وغيرها عند اصحابه كالحج عند المسلمين هو أمر معروف عند المتقدمين والمتأخرين لفظا ومعنى فإتهم يقصدون من دعاء المخلوق والخضوع له والتضرع إليه نظير ما يقصده المسلمون من دعاء الله تعالى والخضوع له والتضرع إليه نظير ما يقصده

المسلمون من دعاء الله تعالى والخضوع له والتضرع إليه لكن كما قال تعالى { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ } البقرة 165 وهم يسمون ذلك حجا إليها وهذا معروف عند متقدميهم ومتأخريهم وكذلك أهل البدع والضلال من المسلمين كالرافضة وغيرهم يحجون إلى المشاهد وقبور شيوخهم وأئمتهم ويسمون ذلك حجا ويقول داعيتهم السفر إلى الحج الأكبر ويظهرون علما للحج إليه ومعه مناد ينادى إليه كما يرفع المسلمون علما للحج لكن داعى أهل البدع ينادى السفر إلى الحج الأكبر علانية في مثل بغداد يعنى السفر إلى مشهد من المشاهد فيجعلون السفر إلى قبر بعض المخلوقين هو الحج الأكبر والحج إلى بيت الله عندهم الأصغر وقد ذكر ذلك ائمتهم فى مصنفاتهم ومن جهال الناس من يقول وحق النبى الذى تحج المطايا إليه فلما كان المشركون يصلون ويدعون المخلوق ويحجون إلى قبره قال تعالى { قُلْ إِنِّي هِدَايَ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } {161} قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } {162} لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } {163} {الانعام 161-163} وقال تعالى { وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ } القصص 88 وقوله تعالى { وَنُسُكِي } {الأنعام 162} قد ذكروا فى تفسيره الذبح لله والحج إلى بيت الله وذكروا أن لفظ النسك يتناول العبادة مطلقا والله سبحانه قد بين فى القرآن أن الذبح والحج كلاهما منسك قال تعالى { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } {الحج 34} وقال النبى من ذبح بعد الصلاة فقد أصاب النسك ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو شاة لحم عجلها لأهله وليس من النسك شىء وقال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل { رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } {127} رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَّكَ وَارِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } {البقرة 127-128}

فأرى الله إبراهيم وابنه إسماعيل المواضع التي تقصد في الحج والأفعال التي تفعل هناك كالطواف والسعى والوقوف والرمي كما ذكر ذلك غير واحد من السلف والصلاة تتناول الدعاء الذي هو بمعنى العبادة والذي هو بمعنى السؤال فالصلاة تجمع هذا وهذا قال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60 فقد فسر دعاءه بسؤاله فالنبي أمره الله أن يقول { **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { الأنعام 162** فأمره تعالى أن يكون الدعاء لله والصلاة لله ولا تبنى المساجد إلا لله لا تبنى على قبر مخلوق ولا من أجله ولا يسافر إلى بيوت المخلوقين وقد نهى أن يحج ويسافر إلى بيوت الله التي ليست لها تلك الخصائص <sup>545</sup>

\* ولم يشرع الله تعالى للمسلمين مكانا يقصد للصلاة إلا المسجد ولا مكانا يقصد للعبادة إلا المشاعر فمشاعر الحج كعرفة ومزدلفة ومنى تقصد بالذكر والدعاء والتكبير الصلاة بخلاف المساجد فإنها هي التي تقصد للصلاة وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر وفيها الصلاة والنسك قال تعالى { **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ { 162** لا شريك له وبذلك أمرت { 163 } الأنعام 162-163 وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصلاة ولا الدعاء ولا الذكر إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك وإن كان مسكنا لنبي أو منزلا أو ممرا فإن الدين أصله متابعة النبي وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا ونقتدى به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها بخلاف ما كان من خصائصه فأما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا ولا أمرنا به ولا

<sup>545</sup>مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 367



فعله فعلا سن لنا أن نتأسى به فيه فهذا ليس من العبادات والقرب  
 فاتخاذ هذا قربة مخالفة له وما فعله من المباحات على غير وجه  
 التعبد يجوز لنا أن نفعله مباحا كما فعله مباحا ولكن هل يشرع لنا  
 أن نجعله عبادة وقربة فيه قولان كما تقدم وأكثر السلف والعلماء  
 على أنا لا نجعله عبادة وقربة بل نتبعه فيه فإن فعله مباحا فعلناه  
 مباحا وإن فعله قربة فعلناه قربة ومن جعله عبادة رأى أن ذلك  
 من تمام التأسى به والتشبه به ورأى أن في ذلك برك لكونه  
 مختصا به نوع إختصاص<sup>546</sup>

### الصلاة و النسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله

\* وعماد الدين الذي لا يقوم إلا به هو الصلوات الخمس  
 المكتوبات ويجب على المسلمين من الاعتناء بها ما لا يجب من  
 الاعتناء بغيرها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى  
 عماله إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها  
 حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة وهي  
 أول ما أوجبه الله من العبادات والصلوات الخمس تولى الله  
 إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج وهي آخر ما وصى به  
 النبي صلى الله عليه وسلم أمته وقت فراق الدنيا جعل يقول  
 الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم وهي أول ما يحاسب عليه  
 العبد من عمله وآخر ما يفقد من الدين فإذا ذهب ذهب الدين كله  
 وهي عمود الدين فمتى ذهب سقط الدين قال النبي رأس  
 الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله  
 وأمر الصلاة عظيم شأنها أن تذكر ههنا فإنها قوام الدين وعماده  
 وتعظيمه تعالى لها في كتابه فوق جميع العبادات فإنه سبحانه  
 يخصصها بالذكر تارة ويقرنها بالنسك تارة كقوله تعالى {قُلْ إِنَّ

<sup>546</sup>مجموع الفتاوى ج: 27 ص: 504

صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أَمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ {163} {الأنعام 162 - 163}

547 163

\* وقوله تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} الكوثر 2 أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين العظيمتين و هما الصلاة و النسك الدالتان على القرب و التواضع و الإفتقار و حسن الظن و قوة اليقين و طمأنينة القلب إلى الله و إلى عدته و أمره و فضله و خلفه عكس حال أهل الكبر و النفرة و أهل الغنى عن الله الذين لا حاجة في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها و الذين لا ينحرون له خوفا من الفقر و تركا لإعانة الفقراء و إعطائهم و سوء الظن منهم بربهم و لهذا جمع الله بينهما في قوله تعالى {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {الأنعام 162} و النسك هي الذبيحة إبتغاء و جهه المقصود أن الصلاة و النسك هما أجل ما يتقرب به إلى الله<sup>548</sup>

\* أن كل عبادة من العبادات فإن الصلاة مقرونة بها فإن العبادة تعم جميع الطاعات و قد خصت الصلاة بذلك الأمر و الاضطبار عليها فإذا ذكرت الزكاة قيل {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} البقرة 43 و إذا ذكرت المناسك قيل {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} الكوثر 2 {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {الأنعام 162} و إن ذكر الصوم قيل {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} البقرة 45 فإن الصبر المعدود في المثاني هو الصوم قال صلى الله عليه و سلم صوم شهر الصبر و ثلاثة أيام من كل شهر<sup>549</sup>

<sup>547</sup>مجموع الفتاوى ج: 3 ص: 428

<sup>548</sup>مجموع الفتاوى ج: 16 ص: 531-532

<sup>549</sup>شرح العمدة ج: 4 ص: 89

\*ان الصلاة هي أعرف المعروف من الأعمال وهي عمود الاسلام وأعظم شرائعة وهي قرينة الشهادتين وانما فرضها الله ليلة المعراج وخاطب بها الرسول بلا واسطة لم يبعث بها رسولا من الملائكة وهي آخر ما وصى به النبي أمته وهي المخصوصة بالذكر في كتاب الله تخصيصا بعد تعميم كقوله تعالى { وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ } الأعراف 170 وقوله { ائْتِلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ } العنكبوت 45 وهي المقرونة بالصبر وبالزكاة وبالنسك وبالجهاد في مواضع من كتاب الله كقوله تعالى { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ } البقرة 45 وقوله { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ } البقرة 43 وقوله { إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي } الأنعام 162 وقوله { أَشِدَاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجَدًا } الفتح 29 وقوله { وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَأَلْيَاخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ } النساء 102 الى وقوله { فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا } النساء 103 وأمرها أعظم من ان يحاط به فاعتناء ولاة الامر بها يجب أن يكون فوق اعتنائهم بجميع الاعمال ولهذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يكتب الى عماله ان أهم أمركم عندى الصلاة من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها أشد إضاعة ورواه مالك وغيره <sup>550</sup>

## الاحكام المتعلقة بالاضحية

## 1-تسميته الله على الذبيحة غير ذبحها لله

\*ومعلوم أن ما حرم أن تجعل غير الله مسمى فكذلك منويا إذ هذا مثل النيات في العبادات فإن اللفظ بها وإن كان أبلغ لكن الأصل القصد الا ترى أن المتقرب بالهدايا والضحايا سواء قال أذبحه لله أو سكت فإن العبرة بالنية وتسميته الله على الذبيحة غير ذبحها لله فإنه يسمى على ما يقصد به اللحم وأما القربان فيذبح لله سبحانه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في قربانه اللهم منك ولك بعد قوله بسم الله والله أكبر لقوله تعالى {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

551

وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الأنعام 162

\* النسك في اللغة العبادة قال الجوهرى النسك العبادة و الناسك العابد و قد نسكك و تنسك أي تعبد و نسك بالضم أي صار ناسكا ثم خص الحج بإسم النسك لأنه أدخل فى العبادة و الذل لله من غيره و لهذا كان فيه من الأفعال ما لا يقصد فيه إلا مجرد الذل لله و العبادة له كالسعي و رمي الجمار قال النبي صلى الله عليه وسلم إنما جعل رمي الجمار و السعي بين الصفا و المروة لإقامة ذكر الله رواه الترمذي و خص بذلك الذبح الفداء أيضا دون مطلق الذبح لأن إراقة الدم لله أبلغ فى الخضوع و العبادة له و لهذا كان من كان قبلنا لا يأكلون القربان بل تأتي نار من السماء فتأكله و لهذا قال تعالى {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} آل عمران 183 وكذلك كانوا إذا غنموا غنيمة جمعوها ثم جاءت النار فأكلتها ليكون قتالهم محضا لله لا للمغنم و يكون ذبحهم عبادة محضة لله لا لأجل أكلهم و أمة محمد صلى الله عليه و سلم و سع الله عليهم لكمال يقينهم و إخلاصهم و أنهم يقاتلون لله و لو أكلوا المغنم و يذبحون لله و لو أكلوا القربان و

551551 اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 158

لهذا كان عباد الشياطين و الأصنام يذبحون لها الذبائح أيضا فالذبح للمعبود غاية الذل و الخضوع له ولهذا لم يجز الذبح لغير الله و لا أن يسمى غير الله على الذبائح و حرم سبحانه ما ذبح على النصب و هو ما ذبح لغير الله و ما سمي عليه غير إسم الله و إن قصد به اللحم لا القربان و لعن النبي صلى الله عليه و آله و سلم من ذبح لغير الله و نهي عن ذبائح الجن و كانوا يذبحون للجن بل حرم الله ما لم يذكر إسم الله عليه مطلقا كما دل على ذلك الكتاب و السنة فى غير موضع و قد قال تعالى

{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ } الكوثر 2 أي انحر لربك كما قال الخليل { إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } الأنعام 162 و قد قال هو و إسماعيل إذ يرفعان القواعد من البيت { رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } { 127 } رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } { 128 } البقرة 128

فالمناسك هنا مشاعر الحج كلها كما قال تعالى { لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ } الحج 67 و قال تعالى { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِيَذُكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ } الحج 34 و قال { لَنْ يَنَالَّ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ } الحج 37 كما قال تعالى { وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ } الحج 32 فالمقصود تقوى القلوب لله و هو عبادتها له و حده دون ما سواه بغاية العبودية له و العبودية فيها غاية المحبة و غاية الذل و الإخلاص و هذه ملة إبراهيم الخليل و هذا كله مما يبين أن عبادة القلوب هي الأصل كما قال النبي صلى الله عليه و سلم إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب و

النية و القصد هما عمل القلب فلا بد في المتابعة للرسول صلى  
الله عليه و سلم من إعتبار النية و القصد <sup>552</sup>

\*وأما الأضحية فإنه يستقبل بها القبله فيضجها على الأيسر  
ويقول بسم الله والله أكبر اللهم تقبل منى كما تقبلت من ابراهيم  
خليلك و اذا ذبحها قال وجهت وجهى للذى فطر السموات  
والارض حنيفا وما انا من المشركين {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي  
وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} {162} لَا شَرِيكَ لَهُ  
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} {163} {الأنعام 162-163  
ويتصدق بثلتها ويهدى ثلتها وإن أكل أكثرها او أهدها أو اكله أو  
طبخها ودعا الناس اليها جاز ويعطى أجرة الجزار من عنده  
وجلدها ان شاء انتفع به وان شاء تصدق به والله أعلم <sup>553</sup>

### الأضحية من أعظم شعائر الاسلام

\*وأما الأضحية فالأظهر وجوبها أيضا فانها من أعظم شعائر  
الاسلام وهى النسك العام فى جميع الأمصار والنسك مقرون  
بالصلاة فى قوله {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ} {الأنعام 162} وقد قال تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحِرْ  
{الكوثر} 2 فأمر بالنحر كما أمر بالصلاة وقد قال تعالى {وَلِكُلِّ  
أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ  
فَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} {الحج 34} وقال  
{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ  
عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِعُوا الْقَانِعِ  
وَالْمُعْتَرِّ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} {36} لَنْ يَبَالَ اللَّهُ  
لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَبَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ

<sup>552</sup>مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 484-486

<sup>553</sup>مجموع الفتاوى ج: 26 ص: 309

لِتُكَبَّرُوا لِلَّهِ عَلَى مَا هَذَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ {37} الحج 36-37  
وهي من ملة إبراهيم الذي أمرنا بإتباع ملته وبها يذكر قصة  
الذبيح فكيف يجوز أن المسلمين كلهم يتركون هذا لا يفعله أحد  
منهم وترك المسلمين كلهم هذا أعظم من ترك الحج في بعض  
السنين وقد قالوا إن الحج كل عام فرض على الكفاية لأنه من  
شعائر الإسلام والضحايا في عيد النحر كذلك بل هذه تفعل في  
كل بلد

هي والصلاة فيظهر بها عبادة الله وذكره والذبح له والنسك له ما  
لا يظهر بالحج كما يظهر ذكر الله بالتكبير في الأعياد وقد جاءت  
الأحاديث بالأمر بها وقد خرج وجوبها قولاً في مذهب أحمد وهو  
قول أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب مالك أو ظاهر مذهب  
مالك ونفاة الوجوب ليس معهم نص فإن عمدتهم قوله من  
أراد أن يضحي ودخل العشر فلا يأخذ من شعره ولا من أظفاره  
قالوا والواجب لا يعلق بالإرادة وهذا كلام مجمل فإن الواجب لا  
يوكل إلى إرادة العبد فيقال أن شئت فأفعله بل قد يعلق الواجب  
بالشرط لبيان حكم من الأحكام كقوله {إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ  
فَاغْسِلُوا} المائدة 6 وقد قدروا فيه إذا أردتم القيام وقدروا إذا  
أردت القراءة فاستعد والطهارة واجبة والقراءة في الصلاة واجبة  
وقد قال { إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ } 27 { لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ  
يَسْتَقِيمَ } 28 { التكوير 27-28 } ومشينة الاستقامة واجبة وأيضا  
فليس كل أحد يجب عليه أن يضحي وإنما تجب على القادر فهو  
الذي يريد أن يضحي كما قال من أراد الحج فليتعجل فإنه قد  
تضل الضالة وتعرض الحاجة والحج فرض على المستطيع  
فقوله من أراد أن يضحي كقوله من أراد الحج فليتعجل  
ووجوبها حينئذ مشروط بأن يقدر عليها فاضلا عن حوائج  
الأصلية كصدقة الفطر ويجوز أن يضحي بالشاة عن أهل  
البيت صاحب المنزل ونسائه وأولاده ومن معهم كما كان  
الصحابة يفعلون وما نقل عن بعض الصحابة من أنه لم يضح بل  
إشترى لحما فقد تكون مسألة نزاع كما تنازعوا في وجوب

العمرة وقد يكون من لم يضح لم يكن له سعة في ذلك العام وأراد بذلك توبيخ أهل المباهاة الذين يفعلونها لغير الله أو أن يكون قصد بتركها ذلك العام توبيخهم فقد ترك الواجب لمصلحة راجحة كما قال لقد هممت أن أمر بالصلاة فتقام ثم إنطلق معي برجال معهم حزم حطب الى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار لولا ما في البيوت من النساء والذرية فكان يدع الجمعة والجماعة الواجبة لأجل عقوبة المتخلفين فإن هذا من باب الجهاد الذي قد يضيق وقته فهو مقدم على الجمعة والجماعة ولو أن ولى الأمر كالمحتسب وغيره تخلف بعض الأيام عن الجمعة لينظر من لا يصلّيها فيعاقبه جاز ذلك وكان هذا من الأعدار المبيحة لترك الجمعة فإن عقوبة أولئك واجب متعين لا يمكن إلا بهذا الطريق والنبى قد بين أنه لولا النساء والصبيان لحرق البيوت على من فيها لكن فيها من لا تجب عليه جمعة ولا جماعة من النساء والصبيان فلا تجوز عقوبته كما لا ترجم الحامل حتى تضع حملها لأن قتل الجنين لا يجوز كما في حديث الغامدية<sup>554</sup>

### وقت الأضحية

\*وقد يكون الترتيب شرطاً لا يسقط بجهل ولا نسيان كما في الحديث الصحيح من ذبح قبل الصلاة فإنما هو شاة لحم فالذبح للأضحية مشروط بالصلاة قبله وأبو بردة بن نيار رضي الله عنه كان جاهلاً فلم يعذره بالجهل بل أمره بإعادة الذبح بخلاف الذين قدموا في الحج الذبح على الرمي أو الحلق على ما قبله فإنه قال افعل ولا حرج فهاتان سنتان سنة في الأضحية إذا ذبحت قبل

<sup>554</sup>مجموع الفتاوى ج: 23 ص: 162-164



الصلاة أنها لا تجزئ وسنة في الهدى إذا ذبح قبل الرمي جهلاً  
أجزأ والفرق بينهما والله أعلم أن الهدى صار نسكاً بسوقه إلى  
الحرم وتقليده وإشعاره فقد بلغ محله في المكان والزمان فإذا قدم  
جهلاً لم يخرج عن كونه هدياً وأما الأضحية فإنها قبل الصلاة لا  
تتميز عن شاة اللحم كما قال النبي من ذبح قبل الصلاة فإنما هي  
شاة لحم قدمها لأهله وإنما هي نسك بعد الصلاة كما قال تعالى  
{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} الكوثر 2 وقال {إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي  
{الأنعام 162} فصار فعله قبل هذا الوقت كالصلاة قبل وقتها  
فهذا وقت الأضحية وقته بعد فعل الصلاة كما بين الرسول ذلك  
في الأحاديث الصحيحة وهو قول الجمهور من العلماء مالك  
وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل وغيرهم وإنما قدر وقتها بمقدار  
الصلاة الشافعي ومن وافقه من أصحاب أحمد كالخزقي وفي  
الأضحية يشترط في أحد القولين أن يذبح بعد الإمام وهو قول  
مالك وأحد القولين في مذهب أحمد ذكره أبو بكر والحجة فيه  
حديث جابر في الصحيح وقد قيل إن قوله {لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ  
يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} الحجرات 1 نزلت في ذلك<sup>555</sup>

## الاسلام فى الاصل من باب العمل وأما الايمان فاصله تصديق واقرار ومعرفة

\*وقد صار الناس فى مسمى الاسلام على ثلاثة أقوال قيل  
هو الايمان وهما إسمان لمسمى واحد وقيل هو الكلمة وهذان  
القولان لهما وجه سنذكره لكن التحقيق ابتداء هو ما بينه النبي  
صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاسلام والايمان ففسر الاسلام  
بالاعمال الظاهرة والايمان بالايمان بالاصول الخمسة فليس لنا

<sup>555</sup>مجموع الفتاوى ج: 21 ص: 420-421

اذا جمعنا بين الاسلام والايمان أن نجيب بغير ما أجاب به النبي  
 وأما اذا أفرد اسم الايمان فانه يتضمن الاسلام واذا أفرد الاسلام  
 فقد يكون مع الاسلام مؤمنا بلا نزاع وهذا هو الواجب وهل  
 يكون مسلما ولا يقال له مؤمن قد تقدم الكلام فيه وكذلك هل  
 يستلزم الاسلام للايمان هذا فيه النزاع المذكور وسنبينه والوعد  
 الذى فى القرآن بالجنة وبالنجاة من العذاب إنما هو معلق باسم  
 الايمان وأما اسم الاسلام مجردا فما علق به فى القرآن دخول  
 الجنة لكنه فرضه واخبر أنه دينه الذى لا يقبل من أحد سواه  
 وبالاسلام بعث الله جميع النبيين قال تعالى { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ  
 الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } آل  
 عمران 85 ووصف الله أنبياء بنى اسرائيل بالاسلام فى قوله  
 { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا  
 لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ  
 } المائدة 44 والانبيااء كلهم مؤمنون ووصف الحواريين  
 بالايمان والاسلام فقال تعالى { وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ  
 أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ  
 } المائدة 111 و { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ  
 وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } آل عمران 52 وحقيقة الفرق أن الاسلام  
 دين و الدين مصدر دان يدين ديننا اذا خضع وذل و دين  
 الاسلام الذى إرتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله  
 وحده فاصله فى القلب هو الخضوع لله وحده بعبادته وحده دون  
 ما سواه فمن عبده وعبد معه الها آخر لم يكن مسلما ومن لم يعبده  
 بل استكبر عن عبادته لم يكن مسلما والاسلام هو الإستسلام لله  
 وهو الخضوع له والعبودية له هكذا قال اهل اللغة اسلم الرجل اذا  
 استسلم فالاسلام فى الاصل من باب العمل عمل القلب والجوارح  
 وأما الايمان فاصله تصديق واقرار ومعرفة فهو من باب قول  
 القلب المتضمن عمل القلب والاصل فيه التصديق والعمل تابع له  
 فلهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بايمان القلب  
 وبخضوعه وهو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وفسر

الإسلام بإستسلام مخصوص هو المباني الخمس وهكذا فى سائر كلامه يفسر الايمان بذلك النوع ويفسر الاسلام بهذا وذلك النوع أعلى ولهذا قال النبى الاسلام علانية والايمان فى القلب فان الاعمال الظاهرة يراها الناس وأما ما فى القلب من تصديق ومعرفة وحب وخشية ورجاء فهذا باطن لكن له لوازم قد تدل عليه واللازم لا يدل الا اذا كان ملزوما فلهذا كان من لوازمه ما يفعله المؤمن والمنافق فلا يدل فى حديث عبدالله بن عمرو وابى هريرة جميعا ان النبى قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من امنه الناس على دمائهم وأموالهم ففسر المسلم بأمر ظاهر وهو سلامة الناس منه وفسر المؤمن بأمر باطن وهو أن يأمنوه على دمائهم وأموالهم وهذه الصفة اعلى من تلك فان من كان مأمونا سلم الناس منه وليس كل من سلموا منه يكون مأمونا فقد يترك أذاهم وهم لا يأمنون اليه خوفا ان يكون ترك أذاهم لرغبة ورهبة لا لايمان فى قلبه وفى حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال للنبي ما الاسلام قال اطعام الطعام ولين الكلام قال فما الايمان قال السماحة والصبر فاطعام الطعام عمل ظاهر يفعله الإنسان لمقاصد متعددة وكذلك لين الكلام وأما السماحة والصبر فالتواصوا فى النفس قال تعالى {وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ} البلد 17 وهذا أعلى من ذاك وهو أن يكون صبارا شكورا فيه سماحة بالرحمة للانسان وصبر على المكاره وهذا ضد الذى خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فان ذاك ليس فيه عند النعمة ولا صبر عند المصيبة وتام الحديث فأى الاسلام أفضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قال يا رسول الله أى المؤمنين أكمل ايمانا قال أحسنهم خلقا قال يا رسول الله أى القتل اشرف قال من أريق دمه وعقر جواده قال يا رسول الله فأى الجهاد افضل قال الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله قال يا رسول الله فأى الصدقة أفضل قال جهد المقل

قال يا رسول الله فأى الصلاة أفضل قال طول القنوت قال  
يا رسول الله فأى الهجرة أفضل قال من هجر السوء وهذا  
محمفوظ عن عبيد بن عمير تارة يروى مرسلًا وتارة يروى مسندًا  
وفى رواية أي الساعات أفضل قال جوف الليل الغابر  
وقوله أفضل الايمان السماحة والصبر يروى من وجه  
اخر عن جابر عن النبي وهكذا فى سائر الأحاديث انما يفسر  
الاسلام بالاستسلام لله بالقلب مع الاعمال الظاهرة كما فى  
الحديث المعروف الذى رواه أحمد عن بهز بن حكيم عن ابيه عن  
جده أنه قال والله يا رسول الله ما أتيتك حتى حلفت عدد أصابعي  
هذه أن لا أتيتك فبالذى بعثك بالحق ما بعثك به قال الاسلام قال  
وما الاسلام قال أن تسلم قلبك لله وان توجه وجهك إلى الله  
وان تصلى الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة أخوان  
نصييران لا يقبل الله من عبد اشرك بعد إسلامه وفى رواية  
قال أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت وتقيم الصلاة وتؤتى  
الزكاة وكل مسلم على مسلم محرم وفى لفظ تقول أسلمت  
نفسى لله وخليت وجهي اليه وروى محمد بن نصر من حديث  
خالد بن معدان عن أبى هريرة قال قال رسول الله أن للاسلام  
صوى ومنازا كمنار الطريق من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به  
شيئًا وان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان والامر  
بالمعروف والنهى عن المنكر وتسلم على بنى ادم اذا لقيتهم فان  
ردوا عليك ردت عليك وعليهم الملائكة وان لم يردوا عليك ردت  
عليك الملائكة ولعننتهم ان سكت عنهم وتسليمك على أهل بيتك  
اذا دخلت عليهم فمن إنتقص منهن شيئًا فهو سهم فى الاسلام  
تركه ومن تركهن فقد نبذ الإسلام وراء ظهره<sup>556</sup>

## { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }

<sup>556</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 259-271

\* أن الله لا يجعل الذنب ذنباً لمن لم يفعله فإنه هو القائل { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } { الْأَنْعَامُ 164 }<sup>557</sup>

\* قال تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } فصلت 46 يدل الكلام على أنه لا يظلم محسناً فينقصه من إحسانه أو يجعله لغيره ولا يظلم مسيئاً فيجعل عليه سيئات غيره بل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وهذا كقوله { أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى } { 36 } { وَإِذْ آوَيْنَاهُمُ إِلَى الْوَادِي } { 37 } { أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } { 38 } { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } { 39 } النجم 36-39 فأخبر أنه ليس على أحد من وزر غيره شيء وأنه لا يستحق إلا ما سعاه وكلا القولين حق على ظاهره فأخبر أنه ليس على أحد من وزر غيره شيء وأنه لا يستحق إلا ما سعاه وكلا القولين حق على ظاهره وإن ظن بعض الناس أن تعذيب الميت ببياء أهله عليه ينافي الأول فليس كذلك إذ ذلك النائح يعذب بنوحه لا يحمل الميت وزره ولكن الميت يناله ألم من فعل هذا كما يتألم الإنسان من أمور خارجة عن كسبه وإن لم يكن جزاء الكسب والعذاب أعم من العقاب كما قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب وكذلك ظن قوم أن انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحي ينافي قوله { وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى } { النجم 39 } فليس الأمر كذلك فإن انتفاع الميت بالعبادات البدنية من الحي بالنسبة إلى الآية كانتفاعه بالعبادات المالية ومن ادعى أن الآية تخالف أحدهما دون الآخر فقوله ظاهر الفساد بل ذلك بالنسبة إلى الآية كانتفاعه بالدعاء والاستغفار والشفاعة وقد بينا في غير هذا الموضوع نحواً من ثلاثين دليلاً شرعياً يبين انتفاع الإنسان بسعي غيره إذ الآية إنما نفت استحقاق السعي وملكه وليس كل ما لا يستحقه الإنسان ولا يملكه لا يجوز أن يحسن إليه مالكة ومستحقه

<sup>557</sup>الفتاوى الكبرى ج: 2 ص: 361 و مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 300

بما ينتفع به منه فهذا نوع وهذا نوع وكذلك ليس كل ما لا يملكه الإنسان لا يحصل له من جهته منفعة فإن هذا كذب في الأمور الدينية والدنيوية<sup>558</sup>

\*قوله تعالى { قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } الأنعام 164 وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم ألا لا يجني جان إلا على نفسه وإنما ذلك مثل أن يطلب بمال قد وجب على غيره وهو ليس وكيلًا ولا ضامنًا ولا له عنده مال أو يعاقب الرجل بجريمة قريبه أو جاره من غير أن يكون قد اذنب لا بترك واجب ولا بفعل محرم فهذا الذي لا يحل<sup>559</sup>

\*أن الظلم ممكن مقدور وأنه منزه عنه لا يفعله لعلمه وعدله فهو لا يحمل على أحد ذنب غيره قال تعالى { مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا } الإسراء 15 { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } طه 112 وعلى هذا فعقوبة الإنسان بذنب غيره ظلم ينزهه الله عنه وأما إثابة المطيع ففضل منه وإحسان وإن كان حقا واجبا بحكم وعده باتفاق المسلمين وبما كتبه على نفسه من الحرمة وبموجب أسمائه وصفاته فليس هو من جنس ظلم الأجير الذي استؤجر ولم يوف أجره فإن هذا معاوضة والمستأجر استوفى منفعته فإن لم يوفه أجره ظلمه والله تعالى هو المحسن إلى العباد بأمره ونهيه وبإقداره لهم على الطاعة وبياعتهم على طاعته وهم كما قال تعالى في الحديث الصحيح الإلهي يا عبادي إنني حرمت

<sup>558</sup>الفتاوى الكبرى ج: 1 ص: 406

<sup>559</sup>السياسة الشرعية ج: 1 ص: 79

الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وكنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وكنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وكنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان منهم مسألتة ما نقص مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه فبين أن الخير الموجود من الثواب مما يحمد الله عليه لأنه المحسن به وبأسبابه وأما العقوبة فإنه عادل فيها فلا يلومن العبد إلا نفسه كما قيل كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل وأصحاب هذا القول يقولون الكتاب والسنة إنما تدل على هذا القول والله قد نزه نفسه في غير موضع عن الظلم الممكن المقذور مثل نقص الإنسان من حسناته وحمل سيئات غيره عليه<sup>560</sup>

\*أن سائر أهل السنة الذين يقرون بالقدر ليس فيهم من يقول إن الله تعالى ليس بعدل ولا من يقول إنه ليس بحكيم ولا فيهم من يقول إنه يجوز أن يترك واجبا ولا أن يفعل قبيحا فليس في المسلمين من يتكلم بمثل هذا الكلام الذي أطلقه ومن أطلقه كان كافرا مباح الدم باتفاق المسلمين ولكن هذه مسألة القدر والنزاع فيها معروف بين المسلمين فأما نفاة القدر كالمعتزلة ونحوهم فقولهم هو الذي ذهب إليه متأخرو الإمامية وأما

المثبتون للقدر وهو جمهور الأمة وأئمتها كالصحابه والتابعين لهم بإحسان وأهل البيت وغيرهم فهؤلاء تنازعوا في تفسير عدل الله وحكمته والظلم الذي يجب تنزيهه عنه وفي تعليل أفعاله وأحكامه ونحو ذلك فقالت طائفة إن الظلم ممتنع منه غير مقدر وهو محال لذاته كالجمع بين النقيضين وإن كل ممكن مقدر فليس هو ظلماً وهؤلاء هم الذين قصدوا الرد عليهم وهؤلاء يقولون إنه لو عذب المطيعين ونعم العصاة لم يكن ظلماً وقالوا الظلم التصرف فيما ليس له والله تعالى له كل شيء أو هو مخالفة الأمر والله لا أمر له وهذا قول كثير من أهل الكلام المثبتين للقدر ومن وافقهم من الفقهاء أصحاب الأئمة الأربعة وقال طائفة بل الظلم مقدر ممكن والله تعالى منزّه لا يفعله لعدله ولهذا مدح الله نفسه حيث أخبر أنه لا يظلم الناس شيئاً والمدح إنما يكون بترك المقدر عليه لا بترك الممتنع قالوا وقد قال تعالى { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا } طه 112 قالوا الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره والهضم أن يهضم حسناته وقال تعالى { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَفْسُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ } 100 { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ } 101 { هود 100-101 فأخبر أنه لم يظلمهم لما أهلكهم بل أهلكهم بذنوبهم وقال تعالى { وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } الزمر 69 فدل على أن القضاء بينهم بغير القسط ظلم والله منزّه عنه وقال تعالى { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } الأنبياء 47 أي لا تنقص من حسناتها ولا تعاقب بغير سيئاتها فدل على أن ذلك ظلم ينزه الله عنه وقال تعالى { قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ بِالْوَعْدِ } 28 { مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } 29 { ق 28-29 وإنما نزه نفسه عن أمر يقدر عليه لا عن الممتنع لنفسه ومثل هذا في



القرآن في غير موضع مما يبين أن الله ينتصف من العباد ويقضي بينهم بالعدل وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم ينزه الله عنه وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره وقال تعالى { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } { الأنعام 164 } فإن ذلك ينزه الله عنه بل لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى يقول يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا فقد حرم على نفسه الظلم كما كتب على نفسه الرحمة في قوله { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ } { الأنعام 54 } وفي الحديث الصحيح لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي والأمر الذي كتبه الله على نفسه أو حرمه على نفسه لا يكون إلا مقدوراً له سبحانه فالممتنع لنفسه لا يكتبه على نفسه ولا يحرمه على نفسه وهذا القول قول أكثر أهل السنة والمنتبين للقدر من أهل الحديث والتفسير والفقهاء والكلام والتصوف من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم<sup>561</sup>

### الرد على الذين يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولا ومن يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحا قط

\*كان الصواب في قول من يقول إن الله لا يعذب في الآخرة إلا من عصاه بترك المأمور أو فعل المحذور والمعتزلة في هذا وافقوا الجماعة بخلاف الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية وغيرهم فإنهم قالوا بل يعذب من لا ذنب له أو نحو ذلك ثم هؤلاء يحتجون على المعتزلة في نفس الإيجاب والتحرير العقلي بقوله تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً } { الإسراء 15

<sup>561</sup> منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 137

وهو حجة عليهم أيضا في نفي العذاب مطلقا إلا بعد إرسال الرسل وهم يجوزون التعذيب قبل إرسال الرسل فأولئك يقولون يعذب من لم يبعث إليه رسولا لأنه فعل القبائح العقلية وهؤلاء يقولون بل يعذب من لم يفعل قبيحا قط كالأطفال وهذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضا قال تعالى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } الإسراء 15 وقال تعالى عن النار { كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ } {8} قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ } {9} الملك 8- 9 فقد أخبر سبحانه وتعالى بصيغة العموم أنه كلما ألقى فيها فوج سألهم الخزنة هل جاءهم نذير فيعترفون بأنهم قد جاءهم نذير فلم يبق فوج يدخل النار إلا وقد جاءهم نذير فمن لم يأتئه نذير لم يدخل النار وقال تعالى لإبليس { لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ } ص 85 فقد أقسم سبحانه أنه يملؤها من إبليس وأتباعه وإنما أتباعه من أطاعه فمن لم يعمل ذنبا لم يطعه فلا يكون ممن تملأ به النار وإذا ملئت بأتباعه لم يكن لغيرهم فيها موضع وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه وفي رواية فيضع قدمه عليها فتقول قط قط وينزوي بعضها إلى بعض أي تقول حسبي حسبي وأما الجنة فيبقى فيها فضل فينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة هكذا روي في الصحاح من غير وجه ووقع في بعض طرق البخاري غلط قال فيه وأما النار فيبقى فيها فضل والبخاري رواه في سائر المواضع على الصواب ليبين غلط هذا الراوي كما جرت عادته بمثل ذلك إذا وقع من بعض الرواة غلط في لفظ ذكر ألفاظ سائر الرواة التي يعلم بها الصواب وما علمت وقع فيه غلط إلا وقد بين فيه الصواب بخلاف مسلم فإنه وقع في صحيحه عدة أحاديث غلط أنكرها جماعة من الحفاظ على مسلم والبخاري قد أنكر عليه بعض الناس تخريج أحاديث لكن الصواب فيها مع البخاري

والذي أنكر على الشيخين أحاديث قليلة جدا وأما سائر متونهما  
فمما اتفق علماء المحدثين على صحتها وتصديقها وتلقيها بالقبول  
لا يستريبون في ذلك وقد قال تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ  
وَإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ  
يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا  
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ {130} ذَلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ  
مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ {131} الأنعام 130-131 فقط  
خاطب الجن والإنس واعترف المخاطبون بأنهم جاءتهم رسل  
يقصون عليهم آياته وينذرونهم لقاء يوم القيامة ثم قال { ذَلِكَ  
أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } الأنعام 131  
أي هذا بهذا السبب فعلم أنه لا يعذب من كان غافلا ما لم يأتته  
نذير فكيف الطفل الذي لا عقل له ودل أيضا على أن ذلك  
ظلم تنزهه سبحانه عنه وإلا فلو كان الظلم هو الممتنع لم يتصور  
أن يهلكهم بظلم بل كيفما أهلكهم فإنه ليس بظلم عند الجهمية  
الجبرية وقد قال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ  
يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا  
وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } القصص 59 وقال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ  
الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } هود 117 وقال تعالى { وَمَنْ  
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا  
} طه 112 قال المفسرون الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره  
والهضم أن ينقص من حسناته فجعل سبحانه عقوبته بذنب غيره  
ظلما ونزه نفسه عنه ومثل هذا كثير كقوله { لَهَا مَا كَسَبَتْ  
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 وقوله { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ  
أُخْرَىٰ } الأنعام 164 وكذلك قوله { لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَِّ وَقَدْ  
قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ {28} مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ  
لِّلْعَبِيدِ } 29 { ق 28- 29 فبين سبحانه أنه قدم بالوعيد وأنه ليس  
بظلام للعبيد كما قال في الآية الأخرى { ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ  
نَقَصْنَا عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ } 100 { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا  
أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ

لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَّبِعِبِ {101} هود 100-  
 101 فهو سبحانه نزه نفسه عن ظلمهم وبين أنهم هم الذين ظلموا  
 أنفسهم بشركهم فمن لم يكن ظالما لنفسه تكون عقوبته ظلما تنزه  
 الله عنه وقال في الآية الأخرى {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ  
 جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} {74} لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ {75} وَمَا  
 ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ {76} الزخرف 74- 76<sup>562</sup>

### الايمان بربوبية الله

\*و اذا آمن بالرب واعتقد ربوبيته وأخبر بها كان قد اتخذ الله ربا  
 ولم يبيع ربا سوى الله ولم يتخذ ربا سواه كما قال تعالى {قُلْ أَعْبُدُوا  
 اللَّهَ أُنْبَغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} {الأنعام 164} وقال تعالى  
 {أَعْبُدُوا اللَّهَ أُنْبَغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} {الأنعام 164} وقال تعالى  
 {وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ  
 بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} آل عمران 80 وهو أيضا في نفسه  
 هو الاله الحق لا اله غيره فاذا عبده الانسان فقد وحده من لم  
 يجعل معه الها آخر ولا اتخذ الها غيره قال تعالى {فَلَا تَدْعُ مَعَ  
 اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} الشعراء 213 وقال تعالى  
 {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا} الإسراء 22  
 وقال ابراهيم لأبيه أزر {أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا إِلَهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ  
 فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} {الأنعام 74} فالمخلوق ليس باله في نفسه لكن  
 عبده اتخذها وجعله الها وسماه الها وذلك كله باطل لا يرفع  
 صاحبه بل يضره كما أن الجاهل اذا اتخذ اماما ومفتيا وقاضيا  
 كان ذلك باطلا فانه لا يصلح أن يؤم ولا يفتى ولا يقضى وغير  
 الله لا يصلح ان يتخذ الها يعبد ويدعى فانه لا يخلق ولا يرزق

<sup>562562</sup> منهاج السنة النبوية ج: 5 ص: 99-105

وهو سبحانه لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ولا ينفذ ذا  
الجد منه الجد ومن دعا من لا يسمع دعاءه أو يسمع خولا  
يستجيب له فدعاؤه باطل وضلال كل من سوى الله اما أنه لا  
يسمع دعاء الداعي أو يسمع ولكن لا يستجيب له فإن غير الله لا  
يستقل بفعل شيء ألبتة وقد قال تعالى {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ  
مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ  
وَمَا لَهُمْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ} {22} وَلَا تَنْفَعُ  
الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ {23} سبأ22- 23 فغير الله لا  
مالك لشيء ولا شريك في شيء ولا هو معاون للرب في شيء  
بل قد يكون له شفاعاة ان كان من الملائكة والانبياء والصالحين  
ولكن لا تنفع الشفاعاة عنده الا لمن أذن له فلا بد أن يأذن للشافع  
أن يشفع وان يأذن للمشفوع له أن يشفع له ومن دونه لا يملكون  
الشفاعة البتة فلا يصلح من سواه لان يكون الها معبودا كما لا  
يصلح أن يكون خالقا رازقا لا اله الا هو وحده لا شريك له له  
الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير<sup>563</sup>

### لا يصلح إن يقال إن الله يستخلف أحدا عنه

\*ال خليفة هو الذي خلف غيره وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما  
يقوله الجمهور لم يحتج في هذا الإسم إلى الإستخلاف  
والإستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الإسم  
يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه كقوله  
تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ  
تَعْمَلُونَ} {يونس14} وقوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ  
الْأَرْضِ} {الأنعام165} وقال {وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي  
الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} {الزخرف60} وقوله { وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ

خُلَفَاءٍ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ { الأعراف 69 وفي القصة الأخرى  
{ وَانذَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ عَادٍ { الأعراف 74 } وَقَالَ  
مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْفُيْ فِي قَوْمِي { الأعراف 142 فهذا  
استخلاف وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً  
لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا { الفرقان 62 وقال { إِنَّ فِي  
اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ { يونس 6 أي هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا  
فهما يتعاقبان وقال موسى { عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ  
وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ { الأعراف 129 }<sup>564</sup>  
\*والخليفة لا يكون خليفة إلا مع مغيب المستخلف أو موته فالنبي  
صلى الله عليه وسلم إذا كان بالمدينة امتنع أن يكون له خليفة فيها  
كما أن سائر من استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع  
انقضت خلافته وكذلك سائر ولادة الأمور إذا استخلف أحدهم على  
مصره في مغيبه بطل استخلافه ذلك إذا حضر المستخلف  
ولهذا لا يصلح إن يقال إن الله يستخلف أحدا عنه فإنه حي قيوم  
شهود مدبر لعباده منزه عن الموت والنوم والغيبة ولهذا لما  
قالوا لأبى بكر يا خليفة الله قال لست خليفة الله بل خليفة رسول  
الله وحسبي ذلك والله تعالى يوصف بأنه يخلف العبد كما قال  
صلى الله عليه وسلم اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في  
الأهل وقال في حديث الدجال والله خليفتي على كل مسلم وكل  
من وصفه الله بالخلافة في القرآن فهو خليفة عن مخلوق كان قبله  
كقوله { نَتَّمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ { يونس 14  
{ وَانذَرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ { الأعراف 69  
{ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي  
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ { النور 55 } وكذلك قوله  
{ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً { البقرة 30 } أي عن خلق كان في  
الأرض قبل ذلك كما ذكر المفسرون وغيرهم وأما ما يظنه

طائفة من الاتحادية و غيرهم أن الإنسان خليفة الله فهذا جهل و  
ضلال<sup>565</sup>

\* وقال تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ } { الأنعام 165 } وقال { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ } ص 26 أي خليفة عن قبلك من الخلق ليس المراد أنه خليفة عن الله وأنه من الله كإنسان العين من العين كما يقول ذلك بعض الملحدين القائلين بالحلول والاتحاد كصاحب الفتوحات المكية<sup>566</sup>

\* قال الله تعالى { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } { البقرة 30 } و قال الله تعالى { يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } ص 26 قوله { إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً } { البقرة 30 } يعم آدم و بنيه لكن الإسم متناول لآدم عينا كقوله { لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ } { التين 4 } و قوله { خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ 14 } { وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ 15 } { الرحمن 14-15 } و قوله { وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ } { 7 } { ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ } { 8 } { السجدة 7-8 } { ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ } { المؤمنون 13 } إلى أمثال ذلك ولهذا كان بين داود و آدم من المناسبة ما أحب به داود حين أراه ذريته و سأل عن عمره فقبل أربعون سنة فوهبه من عمره الذي هو ألف سنة ستين سنة و الحديث صحيح رواه الترمذي و غيره و صححه ولهذا كلاهما ابتلى بما ابتلاه به من الخطيئة كما أن كلا منهما مناسبة للأخرى إذ جنس الشهوتين واحد و رفع درجته بالتوبة العظيمة التي نال بها من محبة الله له و فرحه به ما نال و

<sup>565</sup> منهاج السنة النبوية ج: 7 ص: 353

<sup>566</sup> منهاج السنة النبوية ج: 1 ص: 509

يذكر عن كل منهما من البكاء و الندم و الحزن ما يناسب بعضه بعضا والخليفة هو من كان خلفا عن غيره فعيلة بمعنى فاعلة كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا سافر يقول اللهم أنت صاحب في السفر و الخليفة في الأهل و قال صلى الله عليه و سلم من جهز غازيا فقد غزا و من خلفه في أهله بخير فقد غزا و قال أو كلما خرجنا في الغزو خلف أحدهم و له نبيب كذبيب التيس يمنح احداهن اللبنة من اللبن لئن أظفرتني الله بأحد منهم لأجعلنه نكالا و في القرآن {سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ} الفتح 11 و قوله {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ} التوبة 81 والمراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق و الخلف فيه مناسبة كما كان أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم لأنه خلفه على أمته بعد موته و كما كان النبي صلى الله عليه و سلم إذا سافر لحج أو عمرة أو غزوة يستخلف على المدينة من يكون خليفة له مدة معينة فيستخلف تارة ابن أم مكتوم و تارة غيره و استخلف على بن أبي طالب في غزوة تبوك و تسمى الأمكنة التي يستخلف فيها الامام مخاليف مثل مخاليف اليمن و مخاليف أرض الحجاز و منه الحديث حيث خرج من مخلاف الى مخلاف و منه قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ} الأنعام 165 و قوله تعالى {وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونََ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} يونس 13 الى قوله تعالى {ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} يونس 14 و منه قوله تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ} النور 55 الآية و قد ظن بعض القائلين الغالطين كابن عربي أن الخليفة هو الخليفة عن الله مثل نائب الله و زعموا أن هذا بمعنى أن يكون الانسان مستخلفا و ربما فسروا تعليم آدم الأسماء كلها التي جمع معانيها الانسان و يفسرون خلق آدم على صورته



بهذا المعنى أيضا و قد أخذوا من الفلاسفة قولهم الانسان هو  
 العالم الصغير و هذا قريب و ضموا إليه أن الله هو العالم الكبير  
 بناء على أصلهم الكفرى فى و حدة الوجود و أن الله هو عين و  
 جود المخلوقات فالانسان من بين المظاهر هو الخليفة الجامع  
 للأسماء و الصفات و يتفرع على هذا ما يصيرون إليه من  
 دعوى الربوبية و الألوهية المخرجة لهم إلى الفرعونية و  
 القرمطية و الباطنية و ربما جعلوا الرسالة مرتبة من  
 المراتب و أنهم أعظم منها فيقرون بالربوبية و الوحدانية و  
 الألوهية و بالرسالة و يصيرون فى الفرعونية هذا إيمانهم أو  
 يخرجون فى أعمالهم أن يصيروا سدى لا أمر عليهم و  
 لانهى و لا إيجاب و لاتحريم و الله لا يجوز له خليفة و لهذا  
 لما قالوا لأبى بكر ياخليفة الله قال لست بخليفة الله لكنى خليفة  
 رسول الله صلى الله عليه و سلم حسبي ذلك بل هو سبحانه يكون  
 خليفة لغيره قال النبى صلى الله عليه و سلم اللهم أنت  
 الصاحب فى السفر و الخليفة فى الأهل اللهم اصحبنا فى سفرنا  
 و اخلفنا فى أهلنا و ذلك لأن الله حى شهيد مهيمن قيوم رقيب  
 حفيظ غنى عن العالمين ليس له شريك و لا ظهير و لا يشفع أحد  
 عنده الا بإذنه و الخليفة إنما يكون عند عدم المستخلف بموت أو  
 غيبة و يكون لحاجة المستخلف الى الاستخلاف و سمي خليفة  
 لأنه خلف عن الغزو و هو قائم خلفه و كل هذه المعانى منتفية فى  
 حق الله تعالى و هو منزه عنها فإنه حى قيوم شهيد لا يموت و لا  
 يغيب و هو غنى يرزق و لا يرزق يرزق عباده و ينصرهم و  
 يهديهم و يعافيههم بما خلقه من الأسباب التى هي من خلقه و التى  
 هى مفترقة إليه كافتقار المسببات الى أسبابها فانه هو الغنى  
 الحميد له ما فى السموات و ما فى الأرض و ما بينهما {يَسْأَلُهُ  
 مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} {الرحمن 29  
 {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} {الزخرف 84  
 و لا يجوز أن يكون أحد خلفا منه و لا يقوم مقامه لأنه لا سمي له  
 و لا كفاء له فمن جعل له خليفة فهو مشرك به و أما الحديث

النبوي السلطان ظل الله في الأرض يأوى إليه كل ضعيف و  
 ملهوف و هذا صحيح فإن الظل مفتقر الى أو و هو رفيق له  
 مطابق له نوعاً من المطابقة و الأوى الى الظل المكتنف بالمظل  
 صاحب الظل فالسلطان عبد الله مخلوق مفتقر إليه لا يستغنى عنه  
 طرفة عين و فيه من القدرة و السلطان و الحفظ و النصر و  
 غير ذلك من معاني السؤدد و الصمدية التي بها قوام الخلق ما  
 يشبه أن يكون ظل الله في الأرض و هو أقوى الأسباب التي بها  
 يصلح أمور خلقه و عبادته فإذا صلح ذو السلطان صلحت أمور  
 الناس وإذا فسد فسدت بحسب فساده و لا تفسد من كل و جه بل  
 لا بد من مصالح و إذ هو ظل الله لكن الظل تارة يكون كاملاً  
 مانعاً من جميع الأذى و تارة لا يمنع الا بعض الأذى و أما إذا  
 عدم الظل فسد الأمر كعدم سر الربوبية التي بها قيام الأمة  
 الانسانية و الله تعالى أعلم<sup>567</sup>

### وجوب اتخاذ الإمارة

\* فلا بد في العقل والدين من ان يكون بعضهم فوق بعض كما  
 ان الجسد لا يصلح إلا برأس قال تعالى { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ  
 الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيُبْلِغَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ  
 { الأنعام 165 وقال تعالى { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ  
 الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 سُخْرِيًّا { الزخرف 32<sup>568</sup>

\* وجوب اتخاذ الإمارة يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من  
 أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين إلا بها فإن بني آدم لا تتم

<sup>567</sup> مجموع الفتاوى ج: 35 ص: 42-46 و الفتاوى الكبرى ج: 2 ص:

<sup>568</sup> مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 394

مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم رواه أبو داود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وروى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم فاجب صلى الله عليه وسلم تأمير الواحد في الاجتماع القليل<sup>569</sup>

### الشر لم يرد في أسمائه وإنما ورد في مفعولاته

\*ومعلوم أن كل مخلوق يقال هو من الله بمعنى أنه خلقه بائنا عنه لا بمعنى أنه قام به واتصف به كما في قوله تعالى {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ} الجاثية 13 وقوله تعالى {وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ} النحل 53 والله تعالى وإن كان خالقا لكل شيء فإنه خلق الخير والشر لما له في ذلك من الحكمة التي باعتبارها كان فعله حسنا متقنا كما قال {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ} السجدة 7 وقال {أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} النمل 88 فلهذا لا يضاف إليه الشر مفردا بل إما أن يدخل في العموم وإما أن يضاف إلى السبب وإما أن يحذف فاعله فالأول كقول الله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} الزمر 62 والثاني كقوله {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} 1 {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} 2 {الْفَلَقِ} 1-2 والثالث كقوله فيما حكاه عن الجن {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} الجن 10 وقد قال في أم القرآن {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} 6 {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} 7 {الفاتحة} 6-7 فذكر أنه فاعل النعمة وحذف

فاعل الغضب وأضاف الضلال إليهم وقال الخليل عليه السلام  
{وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} الشعراء 80 ولهذا كان لله الأسماء  
الحسنى فسمى نفسه بالأسماء الحسنى المقترنية للخير وإنما  
يذكر الشر في المفعولات كقوله {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ  
وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} المائدة 98 وقوله في آخر سورة الأنعام  
{إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} الأنعام 165 وقوله  
في الأعراف {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ  
{الأعراف 167 وقوله {نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ  
الرَّحِيمُ} 49} {وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} 50} الحجر 49-  
50 وقوله {حم} 1} {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} 2}  
غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ} 3} غافر 1-3 وهذا لأن ما يخلقه من الأمور التي فيها شر  
بالنسبة إلى بعض الناس فله فيها حكمة هو بخلقه لها حميد مجيد  
له الملك وله الحمد فليست بالإضافة إليه شراً ولا مذمومة فلا  
يضاف إليه ما يشعر بنقيض ذلك كما أنه سبحانه خالق الأمراض  
والأوجاع والروائح الكريهة والصور المستقبحة والأجسام  
الخبیثة كالحیات والعذرات لما له في ذلك من الحكمة البالغة<sup>570</sup>

\* أن الشر لم يرد في أسمائه وإنما ورد في مفعولاته ولم يضاف  
إليه إلا على سبيل العموم وأضافه إلى السبب المخلوق أو بحذف  
فاعله وذلك كقوله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} الزمر 62 و  
{مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} الفلق 2 و كأسمائه المقترنة مثل المعطى  
المانع الضار النافع المعز المذل الخافض الرافع و كقوله {وَإِذَا  
مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ} الشعراء 80 و كقوله {صِرَاطَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} 7} الفاتحة 7  
و كقول الجن {وَأَنَا لَا نَدْرِي أَسْرُّ أَرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ  
بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} الجن 10 و قد ثبت في صحيح مسلم عن النبي

<sup>570</sup> منهاج السنة النبوية ج: 3 ص: 143

صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعاء الإستفتاح و  
 الخير بيدك و الشر ليس إليك و سواء أريد به أنه لا يضاف  
 إليك و لا يتقرب به إليك أو قيل إن الشر إما عدم و إما من لوازم  
 العدم و كلاهما ليس إلى الله فهذا يبين أنه سبحانه إنما يضاف إليه  
 الخير و أسماؤه تدل على صفاته و ذلك كله خير حسن جميل  
 ليس فيه شر و إنما وقع الشر في المخلوقات قال تعالى { نَبِيُّ  
 عِبَادِي أَنِي أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ } {49} وَ أَنَّ عَدَابِي هُوَ الْعَذَابُ  
 الْأَلِيمُ } {50} الحجر 49-50 و قال تعالى { اَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ  
 الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } { المائدة 98} وقال تعالى { إِنَّ رَبَّكَ  
 سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } { الأنعام 165} فجعل المغفرة و  
 الرحمة من معاني أسمائه الحسنی التي يسمی بها نفسه فتكون  
 المغفرة و الرحمة من صفاته و أما العقاب الذي يتصل بالعباد  
 فهو مخلوق له و ذلك هو الأليم فلم يقل و إني أنا المعذب <sup>571</sup>

### لطائف لغوية

1- قال تعالى { ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ  
 وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ  
 يُؤْمِنُونَ } { الانعام 154} وذكر كتاب موسى بهذه الإضافة لا بلفظ  
 التوراة في غير موضع <sup>572</sup>

2- قال تعالى { ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ  
 وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ  
 يُؤْمِنُونَ } { الانعام 154} ورحمته اسم جامع لكل خير ودار  
 الرحمة الخالصة هي الجنة <sup>573</sup>

<sup>571</sup>571 مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 95

<sup>572</sup>الجواب الصحيح ج: 5 ص: 244

<sup>573</sup>مجموع الفتاوى ج: 10 ص: 65

3- وقال تعالى { فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } الانعام 157 البيينة من البيان و البيينة هي السبيل البيينة وهي الطريق البيينة الواضحة وهي أيضا ما تبين بها الحق فهي بينه في نفسها مبينة لغيرها وقد تفسر بالبيان وهي الدلالة والإرشاد فتكون كالهدى كما يقال فلان على هدى وعلى علم فيفسر بمعنى المصدر والصفة والفاعل ومنه قوله { أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى } طه 133 أي بيان ما فيها أو يبين ما فيها أو الأمر البين فيها وقد سمي الرسول بيينة كما قال { حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ } {1} رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ {2} البيينة 1- 2 فإنه يبين الحق والمؤمن على سبيل بيينة ونور من ربه <sup>574</sup>

4- وقال تعالى { أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ آيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ } الانعام 157 عامة الأسماء يتنوع مسماها بالاطلاق والتفديد وكذلك لفظ الهدى إذا أطلق تناول العلم الذي بعث الله به رسوله والعمل به جميعا فيدخل فيه كل ما أمر الله به كما في قوله { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } الفاتحة 6 والمراد طلب العلم بالحق والعمل به جميعا وكذلك قوله { هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } البقرة 2 والمراد به أنهم يعلمون ما فيه ويعملون به ولهذا صاروا مفلحين وكذلك قول أهل الجنة { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا } الأعراف 43 وانما هداهم بأن ألهمهم العلم النافع والعمل الصالح ثم قد يقرن الهدى اما بالاجتناب كما في قوله { وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ } الأنعام 87 وكما في قوله { شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتِنَابًا }

وَهَدَاهُ { النحل 121 } اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ  
 مَنْ يُنِيبُ { الشورى 13 } وكذلك قوله تعالى { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ  
 رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ } التوبة 33 والهدى هنا هو الايمان  
 ودين الحق هو الاسلام واذا أطلق الهدى كان كالايمان المطلق  
 يدخل فيه هذا وهذا <sup>575</sup>

5- قال تعالى { قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ أُنْبَغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا  
 تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ تَمَّ إِلَىٰ  
 رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } الانعام 164 أن  
 الكسب هو الفعل الذي يعود على فاعله بنفع أو ضرر كما قال  
 تعالى { لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ } البقرة 286 فبين  
 سبحانه أن كسب النفس لها أو عليها و الناس يقولون فلان كسب  
 مالا أو حمداً أو شرفاً كما أنه ينتفع بذلك <sup>576</sup>

6- قال تعالى { قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ  
 الْعَالَمِينَ } الأنعام 162 ان أصناف العالمين يراد به جميع  
 اصناف الخلق كما فى قوله تعالى { الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
 { الفاتحة 2 <sup>577</sup>

7- قال تعالى { قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا  
 مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } { 161 } قُلْ إِنْ صَلَاتِي  
 وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } { 162 } لَا شَرِيكَ لَهُ  
 وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ } { 163 } الانعام 161-163  
 ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والانقياد ويتضمن الإخلاص  
 مأخوذ من قوله تعالى { ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ  
 مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ

<sup>575</sup>مجموع الفتاوى ج: 7 ص: 166

<sup>576</sup>مجموع الفتاوى ج: 8 ص: 387

<sup>577</sup>مجموع الفتاوى ج: 4 ص: 367

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ { الزمر 29 فلا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله فمن استسلم لله ولغير الله فهو مشرك والله لا يغفر أن يشرك به ومن لم يستسلم له فهو مستكبر عن عبادته وقد قال تعالى { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } غافر 60 وثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان فقيل له يا رسول الله الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا أفمن الكبر ذلك قال لا إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس بطر الحق جرده ودفعه وغمط الناس ازدرأؤهم واحتقارهم <sup>578</sup>

8- تخصيص العرش بالربوبية في قوله { رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ } التوبة 129 فإنه قد يخص لعظمته ولكن يجوز ذلك في سائر المخلوقات فيقال { رَبُّ الْعَرْشِ } التوبة 129 و { رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ } الأنعام 164 <sup>579</sup>

9- قال تعالى { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } الأنعام 164 وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا لا يجنى جان إلا على نفسه <sup>580</sup>

(رَبِّ)

أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

<sup>578</sup> اقتضاء الصراط ج: 1 ص: 454 والاستقامة ج: 2 ص: 303

<sup>579</sup> مجموع الفتاوى ج: 17 ص: 379

<sup>580</sup> مجموع الفتاوى ج: 28 ص: 324



الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ  
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي  
إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ )

الحمد لله رب العالمين

###